

ديوان
شعر ابن عبيد الله

الجزء الأول

الإمام العلامة الفقيه المؤرخ اللغوي

عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف

الحسيني الحضرمي الشافعي رحمه الله

١٣٠٠ - ١٣٧٥ هـ

اعتنى به وراجع تحقيقه

علي بن محسن بن علوي السقاف

الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع

ديوان
شعر بن عبيدالله

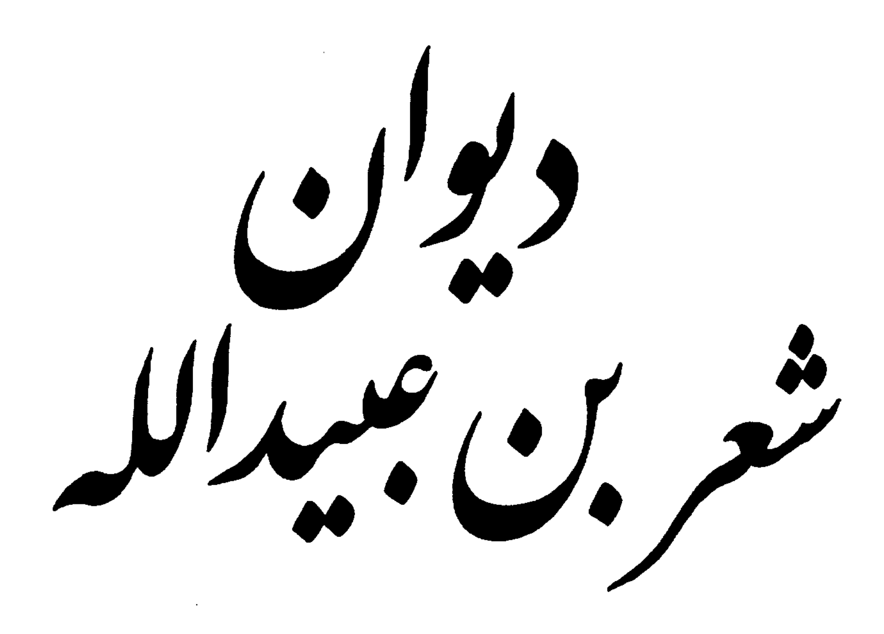
الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤١١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com



الجزء الأول

الإمام العلامة الفقيه المؤرخ اللغوي

عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف

الحسيني الحضرمي الشافعي رحمه الله

١٣٠٠ - ١٣٧٥ هـ

اعتنى به وراجع تحقيقه

علي بن محسن بن علوي السقاف

الأميرة

للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة من ترجمة صاحب الديوان

بقلم نجله الشاعر والأديب

حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف(١)

الذي قام بالإشراف على طبع ديوان والده

وقد تم طبعه في يوم الأربعاء التاسع من رمضَان سنة ١٣٧٨هـ

هو الشاعر المفلق والناثر البليغ العالم العلامة المتبحر عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف العلَوِيّ الحضرميّ. ولد بقرية «علمبدر» في

(١) أديب وشاعر وفقيه وخطيب ولد سنة ١٣٣٣هـ بحضرموت، وتلقى تعليمه على يد والده وعلى عدد من الشيوخ بمدينة سيؤون وحفظ القرآن الكريم. ولع منذ مقتبل حياته بالشعر وأسس مع زملائه من شعراء مدينة سيؤون (نادي القلم العلمي). أتاح له تنقله منذ مقتبل شبابه بين المدن اليمنية التعرف على عدد من الشخصيات الأدبية والسياسية. قال الشِّعر مبكراً وتناول شعره الأغراض المختلفة وقد غلبت على قصائده النزعة الرومانسية والحماسية. فهو يقول في قصيدة له سماها دولة العرب:

ما بال أمريكا وقد دانت إلى درك الشقاء   شغفت بشر الخلق من شغفوا بقتل الأنبياء

سبحان من جعل التعالي سُلماً للمنتهى

ويقول فيها أيضاً:

ياما أشد أسفي على الأمم المتحدة   عاثت بها حكومةٌ في أرضها منعقدة

داست على ميثاقها مجنونة معربدة

وقال في قصيدة فضيحة الدستور عندما أخرجت بريطانيا دستوراً لحكومة اتحاد الجنوب العربي التي شكلتها ومنها قوله:

إنــي لأسـال هــل هــو الـدسـتـور   كـتـبـوا الـبـنـود لـه أم الـتـنـور

لا لا نـريـد الـغـل فـي أعـنـاقـنـا   فـالـلـيـل ولَّـى والـمـسـالـك نـور =

وكان من عشّاق الحضرة النبوية؛ وآل البيت الطاهرين؛ وله في مدائحهم بدائع وروائع. منها ما حواه هذا الديوان من المدائح؛ وفيه يقول:

جَرَى فِيَّ مَجْرَى الدَّمِ صَادِقُ حُبِّهِمْ فَبُحْتُ وإنْ لامَتْ وُشَاتِي وعُذَّلِي

وكان عظيم الاهتمام بإصلاح وادي الأحقاف؛ والقضاء على ما أصابه من الفوضى والإستبداد والإجحاف؛ وما مُنِيَ به أهله من الجهل والتفرُّق والخمول؛ فجهر بالدعوة لدولة الإسلام[1]؛ في أواخر أيام الحرب العالمية الأولى. وكانت له صلة وثيقة بالقائد العثماني الكبير علي سعيد باشا؛ الذي احتل لحجاً في ذلك العهد. وقد جمع الوالد كثيراً من توقيعات أعيان الوادي؛ ومشايخه بالانضمام إلى الدولة العلية. ولما شعرت حكومة عدن الإنكليزية بذلك؛ وضعت جائزة لمن يغتاله؛ ولكن الله عصمه من كيدها.

وترى في قصائده الإماميات؛ توجُّعاً وأسفاً لما حلَّ بالوادي الحضرمي من نكبات أصابت أهله في دينهم ودنياهم. واستنجاداً بالإمام يحيى؛ الذي كانت تربطه به رابطة قوية؛ وكان الإمام يحيى يجيبه على كتبه وقصائده بمثلها بحراً وروياً. ولما اغتيل الإمام؛ أقام عليه صلاة الغائب بمسجد سيؤون؛ ثم رحل إلى «تعز» لتعزية ابنه وخليفته الإمام أحمد بن يحيى.

ثم قصد بعدها الحرمين الشريفين؛ وكانت له فيهما مواقف محمودة لا يزال الحضارمة يعتزُّون بها كلما ذكرت.

وكانت هذه الرحلة آخر رحلاته الخارجية؛ ثم مرض بالحمى؛ وبينما هو جالس بين عُوَّاده؛ أراد قراءة قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ فخنقته العبرات؛ حتى أشفقنا عليه؛ ثُمَّ أتمها بصوت متهدج؛ وبات يصابر الداء؛ حتى أسلم روحه فجر الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٧٥؛ ببلده بسيؤون.

---

(١) دولة الخلافة العثمانية وكان من أشد المناصرين لها.

فسارت النعاة بنعيه في طول الوادي وعرضه؛ وشيعت جنازته في مشهد عظيم لم تشهد سيؤون أعظم منه في سابق عهدها؛ وأقيمت له حفلات تأبين كثيرة في مختلف الجهات التي زارها؛ والبلاد التي وصل إليها تلاميذه؛ رحمه الله وأجزل مثوبته.

وكان ﷺ يسأل ربَّه أن يبارك في مؤلفاته وينتفع الناس بها؛ فاستجاب الله دعاءه؛ حيث انتدب من أعيان الحرمين الشريفين؛ رجلاً كريماً وثرياً ووجيهاً؛ يقدِّر العلم وأهله؛ فطبع هذا الديوان قربة لله؛ ورغبة في تعميم النفع به. وقام بضبطه وتصحيحه وشرحه وتنسيقه؛ أحد أفاضل الأدباء بمصر؛ إلى أول قسم الاجتماعيات؛ ثم أتَمَّ ذلك إلى آخر الديوان؛ فضيلة الأستاذ الكبير المحقِّقْ؛ الشيخ حسنين محمد مخلوف؛ مفتي الديار المصرية السابق؛ وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر.

فنسأل الله تعالى أن يبلغهم أقصى أمانيهم؛ وأن يختم بالصالحات أعمالهم؛ ونسأله تعالى أن يتغمد صاحب الديوان بسابغ رحمته؛ وأن يجمعنا به في جنة المأوى؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

التعريف بالإمام
عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف
(١٣٠٠ - ١٣٧٥هـ)

ولد الإمام عبد الرحمن بن عبيد اللهِ بن محسن بن علوي السقاف في السابع والعشرين من رجب سنة ١٣٠٠هـ بمدينة سيؤون بلد بحضرموت.

ونشأ نشأة صالحة في كنف أسرته؛ وهي إحدى الأُسر المشهورة بالعلم والكرم؛ واعتنى بتربيته والده الرجل الصالح العابد، الزاهد الورع، عبيد الله بن محسن والمتوفى سنة ١٣٢٤هـ، وتتلمذ؛ وهو دون سن البلوغ؛ على الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشي؛ صاحب الغرفة؛ المتوفى بها سنة ١٣١٤هـ؛ وكان تأثره به قوياً؛ وتعلقه به تاماً.

وقد اعتنى والده بتعليمه، وحرص على استصحابه للمجالس العلمية، المنتشرة في حضرموت تلك الأيام، كما اختار لتعليمه؛ نخبة من خيرة المدرسين، وعهد إليهم؛ تعليمه القرآن الكريم، والفقه والنحو؛ ومن المستغرب؛ أن بعض أساتذته أصبحوا فيما بعد؛ من تلامذته المواظبين على حضور دروسه!

مؤلفاته:

صنف ابن عبيد الله مصنفات تشهد له بالبراعة وعلو الكعب.

أولاً: مصنفاته الفقهية:

١ - كتاب (صوب الركام في عمدة الأحكام) مجلدان وهو مطبوع.

٢ - حاشية على كتاب (فتح الجواد بشرح الإرشاد).

٣ ـ حاشية على كتاب (منهاج الطالبين) للإمام النووي رحمه الله.

٤ ـ حاشية على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي.

ثانياً: مصنفاته في الحديث:

١ ـ بلابل التغريد فيما استفدناه من قراءة التجريد (مطبوع) يقع في ثلاث مجلدات. ولا يوجد منه إلّا الجزء الأول. قال عنه الأستاذ الزركلي: هو أشبه بكتب الأمالي في ثلاثة أجزاء وقد صنفه أيام تدريسه للتجريد الصريح للجامع الصحيح (مختصر البخاري) للإمام العلامة الزبيدي الشرجي.

٢ ـ حاشية على الشمائل النبوية للإمام الترمذي.

ثالثاً: مصنفاته التاريخية:

١ ـ كتاب بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت (مخطوط) يقع في ثلاث مجلدات ضخام، قال عنه الزركلي مثنياً عليه: (وأتى فيه بعلم غزير، في تاريخ حضرموت وبيوتها وحكامها وأعلامها، إلى استطرادات في فنون مختلفة من أدب وحديث ونقد، إلى وثائق سياسية ومعاهدات وملحوظات).

٢ ـ إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت (مطبوع).

رابعاً: مؤلفاته الأدبية النقدية:

١ ـ العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي: من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد مع الأشعار والأخبار، مما يدل على ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشى البعض من إيراده من النكت والنوادر، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد؛ طرائف من الشعر أو القصص الحديثة.

٢ ـ هذا الكتاب ديوان ابن عبيد الله: ديوان حافل بأصناف وألوان القصائد وأرقها وأعذبها وأجزلها. وقد طبع في رمضان من سنة ١٣٧٨هـ، تحت نظر

وتصحيح الشيخ حسنين مخلوف وبإشراف ابن الإمام السيد حسن بن عبد الرحمن السقاف كما توجد مجموعة أخرى مخطوطة من شعر الإمام ابن عبيد الله تقع في حوالي ٥٠٠ صفحة؛ وتمثل الجزء الثاني من هذا الديوان.

قال عنه الشيخ حسنين مخلوف: ديوان شعر وعلم وأدب وتاريخ وسير ودين وأخلاق.

٣ ـ معارضة البردة: طبعت بعد سنة ١٣٦٧هـ.

٤ ـ نسج البردة: على منوال بردة البوصيري وقد طبعت مؤخراً.

٥ ـ الرحلة الدوعنية: وهي عبارة عن رحلة منظومة . . وقد قام ابن عبيد الله بهذه الرحلة إلى مناطق دوعن سنة ١٣٦٠هـ . . وهي تعدّ من روائع أدب الرحلات.

٥ ـ مفتاح الثقافة أو النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي وهو هذا الكتاب (مطبوع).

٦ ـ النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي: وهو جزء لطيف مخطوط يقع في ٣٢ صفحة ومطبوعاً في ٢٢ صفحة.

خامساً: محاضراته وخطبه:

كان الإمام ابن عبيد الله السقاف خطيباً مصقعاً . . ومع ما ترى له من المؤلفات إلّا أنه كان في الخطابة أعظم منه في الكتابة؛ وقد جمعت بعض خطبه وطبع بعضها ومنها:

١ ـ محاضرة في تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره وما يتصل بذلك من حدّ الولاية وحكم الإلهام؛ طبعَهُ بمصر سنة ١٣٥٥هـ في ٣٢ صفحة بتقريظ العلامة أحمد المطاع الصنعاني.

٢ ـ كلمة عن العدالة والمساواة: ألقاها في درسه بسيؤون في ٩ ربيع الثاني سنة

١٣٧٢هـ.. بعد أن سُئل عن حكم الإسلام في ذلك، وكانت على البديهة ارتجالاً بدون تحضير سابق!!

٣ ـ كلمة حول (تحديد الملكية): وهي ردٌّ على مقال للشيخ محمد عرفة نُشر بمجلة الأزهر.. وتاريخها ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ.

سادساً: الردود:

نذكر منها:

١ ـ النجم الدري في الرّد على السيد سالم الجفري.

٢ ـ نسيم حاجر في تأكيد قولي عن المهاجر.

٣ ـ السيف الحاد لقطع الإلحاد: طبع بعدن في شعبان ١٣٦٩هـ في ١٣٨ صفحة. وهو ردٌّ على كتاب توحيد الأديان.

مقدمة الناشر للطبعة الأولى(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

أما بعد فإنا نقدّم للقرّاء الأكارم ديوان السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف اليمني مشروحاً شرحاً مناسباً بذلنا فيه جهد الطاقة.

لقد حوى الديوان من الألفاظ أجزلَها وأرصنها، ومن المعاني أبدعَها وأشرفَها، ومن الأغراض ما يُعَدّ به كتاب علم وأدب، ودين وأخلاق، وتاريخ وسِيَرْ.

لقد تضمن مادة لغوية واسعة؛ دَلَّت على سعة اطلاع صاحبه على مكنون اللغة؛ واستيعاب قواميسها؛ حتى لقد كنا في أثناء الشرح؛ نبحث عن الكلمة فلا نجدها إلّا في أمهات كتب اللغة، ثم يسترسل الشاعر؛ وقد تفوق القصيدة المئة عَدًّا. ذلك لأنه طويل النَّفَس؛ قويُّ الملَكة الشعرية؛ طاهر المقاصد؛ نبيل المرامي والأهداف؛ عالم بالدين والأدب وتاريخ آل البيت؛ خاصة، هاضمٌ

---

(١) كتب هذه المقدمة المشرف على طباعة الديوان والذي تمت طباعته في شهر رمضان من سنة ١٣٧٨هـ وقد أشرف على ضبطه وتنسيقه أحد أفاضل الأدباء بمصر إلى أول قسم الاجتماعيات؛ ثم أتم ذلك إلى آخر الديوان فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر. إلّا أن الغريب أن أحداً من المحقيقين لم يذيلها باسمه والأقرب أن الذي كتب هذه المقدمة هو فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

دواوين الشعراء الأقدمين؛ مما نوّهنا عنه في ذيل الديوان في بعض المناسبات.

والسيد الشاعر شديد التعلق بالامتزاج الوجداني بالنبيِّ ﷺ. وقد كان ذلك له مَعيناً فياضاً؛ أكسبه امتداد القول؛ وحسن التعبير؛ ومَدَّهُ بجَوٍّ رُوحيٍّ لطيفٍ؛ لا يلبث أن يجتذب قارئه إليه.

ولا غَرْوَ؛ فصاحب الشريعة الإسلامية ﷺ؛ نورُ الدنيا؛ والرائدُ الكريم إلى الأخرى. وحُبُّ عِترَةِ المصطفى؛ أجلُّ مَظهر من ظاهر التقوى، وأعظم سبب من أسباب التمسك الأقوى بالاقتداء به في العمل الصالح؛ بما جاء به كتاب الله وسنة رسوله رضي الله عنهم أجمعين.

كتبنا هذه المقدمة في أثناء القراءة والشرح؛ لمدح هذه النفوس الذكيَّة الطاهرة. وشعرنا بانشراح صدر، ونشاط شديد، ورغبة في فهم أسرار هذا الشاعر العربي العظيم؛ وأحسسنا بالسرور الفياض؛ أن نقضي وقتاً بين أزهار هذه الرياض، فأبعد الملل عن القراءة؛ وساعد على البحث وتقصِّي روائع هذا الشعر البليغ.

والديوان ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: مدائح النبيّ صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأصحابه.

القسم الثاني: الاجتماعيات والصوفيات وما يناسبها.

القسم الثالث: التُّركِيات.

القسم الرابع: الإماميات.

والله المسؤول أن يجعل هذا الديوان نافعاً لطلابه، مفيداً لقرَّائه؛ ما تعاقب الليل والنهار.

مقدمة محقِّق الطبعة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية للجزء الأول من ديوان الإمام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ وقد طبع هذا الديوان لأول مرة سنة ١٣٧٨هـ؛ أي قبل سبعٍ وخمسين سنة؛ بطريقة الطبع القديمة؛ ولم تبق من نسخ هذه الطبعة إلّا ما هو بعدد أصابع اليد؛ أو اليدين؛ بعد أن قضى عليها الزمن؛ فتلف معظمها؛ والتهمت دابة الأرض بقيتها.

وقد كنت متردداً في إعادة طبعه وتحقيقه؛ لأسباب؛ منها اعتقادي المتقدم بأنَّه لن تتحَصَّل من دواوين الشعر فوائد علمية؛ ولا تحقيقات فكرية؛ كما كان الأمر في كتب الإمام الأخرى ثم ثانياً؛ لكوني لا أميل كثيراً لقراءة الشعر؛ خصوصاً وأن الإمام ابن عبيد الله؛ يستخدم في شعره المفردات الصعبة؛ والكلمات الغريبة؛ والتي قال عنها محقق الطبعة الأولى من الديوان: إننا لا نجدها إلّا في أمهات القواميس؛ مما يزيد من صعوبة الاستمتاع بقراءة هذا الديوان؛ خصوصاً في هذه الأيام الذي ضعف فيها الاهتمام باللغة العربية؛ فنُسِيَتْ كلماتها الفصيحة؛ وجُهِلَتْ تعبيراتها البليغة؛ وخيَّم الجهل بأسرار اللغة على معظم العرب.

لكنني عندما قرأت مقدمة الناشر للطبعة الأولى من هذا الديوان والتي قال فيها: ولقد حوى الديوان من الألفاظ أجزلها وأرصنها؛ ومن المعاني أبدعها

وأشرفها؛ ومن الأغراض ما يعدُّ به كتاب علم وأدب ودين وأخلاق وتاريخ وسِيَرْ؛ فقد شجعتني هذه العبارات على البدء في تحقيق الديوان؛ بعد فترة استرخاء وتردُّد استمرَّت لعدة أشهر.

ومما شجَّعني أيضاً على إعادة تحقيق الديوان وطبعه؛ ما نقله الخال حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله؛ والذي أشرف على الطبعة الأولى لهذا الديوان؛ نقلاً عن والده حيث قال: وكان ﷺ يسأل ربَّه أن يبارك في مؤلفاته وينتفع الناس بها؛ فاستجاب الله دعاءه؛ حيث انتدب من أعيان الحرمين الشريفين؛ رجلاً كريماً وثرياً ووجيهاً؛ يقدِّر العلم وأهله؛ فطبع هذا الديوان قربة لله؛ ورغبة في تعميم النفع به. فكانت هذه العبارات من أقوى ما دفعني للاهتمام بإعادة تحقيق الديوان وإعادة طبعه؛ خصوصاً وقد توفرت لي؛ ولله الحمد؛ الإمكانيات على تنفيذ رغبة الجدّ وتحقيق أمنيته.

ومن الأمور الأخرى التي شجعتني على تحقيق هذا الكتاب وإعادة طبعه؛ ما تعرّضت له كُتب الإمام من هضم وإهمال؛ فقد بقيت كتبه العظيمة مخطوطة لأكثر من ثمانين سنة؛ ولم يهتم أحد بتحقيق بعضها إلّا في الفترة الأخيرة؛ بل إنَّ كثيراً ممن تعرضوا لدراسة الشعر في اليمن؛ لم يتكلموا عن الإمام ابن عبيد الله إلّا بالنزر اليسير؛ بل وقد أهمل ذكره بالكلِّيَّة صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين؛ مع كون الإمام من أشهر شعراء وعلماء حضرموت على الإطلاق؛ كما لم ينصفه الباحثون المتأخرون؛ بل ربما بنوا آراءهم على شعره؛ معتمدين على ما توفر لهم من المقتطفات الموجزة من شعره.

ولكنني عندما بدأت العمل في تحقيق الديوان؛ وجدت متعة عظيمة في قراءة قصائد الديوان؛ وأشرفت على واقع الحال في ذلك الزمن؛ وما جرى فيه من وقائع وأحداث؛ وعايشت حال الإمام وما تعرض له من قومه وأهل بلده؛ من أذية ومضايقات؛ بلغت إلى أقصى مدى؛ إضافة إلى ضعف حالته المادِّية؛ وتراكم ديونه. لكنه رغم ذلك؛ عاش عيشة طيبة؛ وكان كثير الإكرام للزوار والضيوف.

وقد عرفنا من هذا الديوان قوة شاعرية الإمام ابن عبيد الله؛ والتي أبرزتها بشكل واضح؛ تلك المباراة الشعرية بينه وبين الشاعر اليمني القاضي الحضراني؛ والتي أثبتت لأهل حضرموت عبقرية الإمام ابن عبيد الله ونبوغه.

ونحن لا نحتاج إلى تدليل على هذا الكلام بأكثر مما قاله فيه الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين مؤسس المملكة المتوكلية اليمنية والذي تبادل معه القصائد الشعرية والخطابات النثرية؛ والإمام يحيى كما كان ملك اليمن؛ فقد كان أيضاً من ملوك الكلام؛ وهو الشاعر الوحيد بين الحكام العرب؛ وقد قال في مدح الإمام ابن عبيد الله الشيء الكثير؛ ونقتطف منه قوله في إحدى رسائله: إلى محبنا الصادق، وابن العم بالنسب الملاصق، ذي القول العضب، واللسان الآخذ بمجامع القلب، الأجل العلامة وجيه الإسلام، والنخبة في آل باعلوي الكرام؛ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ ثم قال بعد السلام: فإنها وصلت البطاقة، المحتوية على محاسن الرشاقة، وفي طيِّها القصيدة الفريدة، والمديحة الخريدة، ولقد وقفنا منها على القول الحر، والمنطق الجزل، وأرتنا كيف يُدار كلام الحكم، وحكمة الكلام، وبأيِّ عبارة تُساق ركائب الحِفَاظْ؛ وتُثار نيران الغيرة والعزيمة؛ المصونة عن آفة التردد، فللّه درّكم من ناظم ثائر، تقف دون مداه أفكار البلغاء حواسر (انتهى).

وقبل أن نتحدث عن محتويات الديوان نتحدث قليلاً عن فريد عصره ووحيد زمانه الإمام العظيم عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ والذي تشهد مؤلفاته وخطبه وسيرته؛ على عبقريته الفذة ونبوغه المدهش؛ وتمكنه من العديد من الفنون المختلفة؛ والعلوم المتنوعة؛ فهو في الفقه إمام؛ وما كتابه (صوب الركام في تحقيق أدلة الأحكام)؛ إلّا شاهداً على بلوغه مرتبة كبار الفقهاء من أمثال الرملي وابن حجر الهيتمي؛ أما كتابه العود الهندي؛ فقد تحدَّث عنه الأدباء وأثنى عليه الشعراء؛ بما يضعه في مرتبة الأمالي لأبي علي إسماعيل القالي؛ وبلغ الإمام ابن عبيد الله مرتبة عظيمة في النقد الأدبي في كتابه (النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي) لم يبلغها في نظري أحد غيره؛ أما كتابه التاريخي الهام (إدام

القوت في ذكر بلدان حضرموت)؛ فهو معجم جغرافي تاريخي أدبي واجتماعي؛ في أسلوب جميل؛ وتفريع بديع؛ تفوق فيه على الهمداني وياقوت؛ ومع ذلك فإن إدام القوت ما هو إلّا ملخَّص لموسوعته العظيمة؛ (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت)؛ في ثلاثة أجزاء كبار وهي موسوعة تاريخية أدبية واجتماعية عظيمة؛ لكنها للأسف لا زالت رغم قيمتها العظيمة مخطوطة؛ ومهملة؛ ولا تحظى بالاهتمام المطلوب؛ كما يعتبر كتاب الإمام ابن عبيد الله العظيم؛ (بلابل التغريد)؛ تحفة فريدة؛ جمع فيها فلسفة الغزالي؛ وآراء الفخر الرازي؛ ونظريات ابن خلدون؛ في قالب أدبي وعلمي عجيب. كما أدهشني الإمام في كتابه (السيف الحاد لقطع الإلحاد)؛ باطّلاعه الواسع على الأديان والعقائد والملل؛ وبنصاعة أفكاره الحديثة؛ وتحليلاته العجيبة؛ وتنبؤاته الصادقة. والغريب المدهش أن الإمام ابن عبيد الله الذي لم يطلب العلم في غير حضرموت؛ ولم يغادرها إلّا لسفرات خارجية قصيرة؛ يملي هذه الكتب المتنوعة؛ من ذاكرته الخارقه؛ سواءً كانت علمية أو فقهية أو أدبية؛ ويورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وآلاف من الأبيات الشعرية والنوادر الأدبية والدقائق الفقهية؛ وكأنما المصحف؛ وكتب الحديث؛ والكتب الأخرى؛ مشرعة أمامه يختار منها حيث يشاء.

كما كان الإمام ابن عبيد الله خطيباً مفوَّهاً يأتي في خطبه الارتجالية؛ ببديع المعاني وفصيح الكلام؛ ويورد من ذاكرته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية؛ بلا جهد ولا تعب؛ وإذا تمنى أحدنا سماع خطب قس وسحبان؛ فإن خطب الإمام ابن عبيد الله؛ تغنيه عن الشوق لسماعها.

وكان الإمام ابن عبيد الله يلقي الدروس العلمية؛ ويأتي فيها بالعجب العجاب؛ وذكر الجدّ العلامة الفقيه علوي بن عبد الله السقاف دروس الإمام ابن عبيد الله الفقهية في المنهاج فقال[1]: فكان يعلق من حفظه على عبارات التحفة والأسنى والنهاية والشبراملسي وعبد الحميد؛ ويستشكل؛ ويحل ما استشكله

(١) علوي بن عبد الله السقاف التلخيص الشافي صفحة ١٣٨.

المحشُّون؛ فكانت تلك الدروس والمجالس تذكِّرنا بما يروى عن إمام الحرمين والغزالي والنووي والرافعي (انتهى بتلخيص).

ووصف الشاعر والأديب عبد القادر بن سالم خرد الإمام ابن عبيد الله؛ في مقدمة كتاب صوب الركام؛ فقال: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل القرن الأول في الإسلام؛ أو أقرب شبهاً بهم؛ فلينظر إلى هذا الإمام؛ لقد أخَّر الله ظهوره رحمة بأهل هذا العصر؛ لينظروا بأعينهم الشحمية هذا النوع من الرجال النادر الوجود؛ وليروا بين أظهرهم رجلاً يجمع بين العلم والزعامة؛ والتواضع والشهامة؛ والتقوى والإمامة، والسياسة والاستقامة، والجرأة والإقدام؛ والبلاغة والخطابة، واللطافة والمهابة، والوقار والقبول؛ والذكاء والنباهة والأخلاق؛ والمروءة والحلم والتسامح والإخلاص والعفة، كل هذا وغيره من الصفات الحسنة؛ مع كمال حليته؛ وحسن هيئته، وغزارة علمه؛ وفصاحة لسانه، وقوة حافظته، وسرعة بديهته، ودقَّة ملاحظته؛ وحدَّة فهمه، وأصالة شاعريته، ورقَّة عاطفته، وشفافية روحانيته، وبُعد نظره، وحلاوة أسلوبه، وعلوِّ همَّته، وثبات شكيمته.

لا تجد مجلساً كمجلسه؛ يجمع بين الفوائد الغالبة؛ والنوادر العالية، والنكت الغريبة، والطرائف العجيبة؛ في مختلف أنواع العلوم والآداب والمعارف المتشعِّبة؛ حتى أن السامع لينسى نفسه ووقته؛ مستغرقاً بكليته في حضرة هذا الإمام؛ لما يلقيه عليه من المعارف، وينثره من العلوم، ويستنبطه من المفاهيم؛ بأسلوب عذب شيِّق؛ في استرسال بليغ، يشد الانتباه ويلفت النظر.

ولقد رأيت كثيراً يستمعون إليه وهو يخطب ساعة زمنية كاملة؛ وربما أكثر، وهم يحدقون فيه أنظارهم مشدودة إليه أذهانهم، مندهشين من استرساله وبلاغته؛ مستعذبين لهجته وفصاحته، يتأملون هيئته العجيبة، وطلعته المهيبة، لا يشعرون بملل، ولا يعتريهم تذمُّر ولا كسل، كل هذا وهم لا يكادون يفقهون حديثه، ولا يعرفون معنى ما يقول، فكيف بمن ذاق وعرف، وعام في بحره ومنه اغترف (انتهى).

أما من الناحية السياسية؛ فقد كان الإمام ابن عبيد الله مؤيِّداً لدولة الإسلام العثمانية؛ وكان يشتعل حماساً لنصرة الدين والدفاع عن الإسلام والمسلمين؛ ويؤيد بكل ما أوتي من قوة؛ الدولة العليَّة؛ يفرح لانتصاراتها؛ ويحزن لنكساتها؛ ويعادي الأجانب ويكرههم لأجلها؛ ويحمل على كل من يناصر الأجانب؛ ومن يقف في صفوفهم ضد دولة الخلافة العثمانية.

بل وبلغت به الحماسة أقصى درجاتها عندما تقدم القائد التركي علي سعيد باشا؛ مع مجموعة من المجاهدين العرب؛ واحتلَّ لحجاً بسرعة البرق؛ ثم اتجه نحو عدن لطرد الإنجليز؛ وبدأ الإنجليز يعدون العدة لمغادرتها؛ رغم ما عندهم من أسلحة وعتاد؛ لولا تغيّر رياح الحرب العالمية لصالح الإنجليز؛ وانهزام الأتراك؛ وإصدارهم الأوامر لجيوشهم المتفرقة بالبلاد؛ بالتوقف عن الحرب وإعلان الاستسلام.

وكان الإمام ابن عبيد الله على اتصال مستمر بالقائد التركي علي سعيد باشا في لحج؛ وكان يجمع له المؤيدين بحضرموت؛ ويطلب من أعيان حضرموت وسلاطينها التوقيع على وثيقة البيعة للدولة العثمانية؛ التي أرسلها القائد العثماني للإمام ابن عبيد الله؛ وكان الإمام ابن عبيد الله يتمنى وصول الأتراك إلى بلده حضرموت؛ ليبعدوا عنها الأجانب؛ ويقيموا فيها العدل؛ وينشروا في ربوعها الأمان؛ وينصروا الشريعة؛ ويحفظوا الدين.

بل وبلغ الحماس بالإمام ابن عبيد الله أقصاه؛ عندما طلب من القائد التركي علي سعيد باشا المشاركة في الجهاد؛ كما جاء في هذا الديوان حين قال: وكنت استأمرته في السفر للجهاد؛ واستأذنت فيه الوالدة؛ فأذنت؛ مع أنِّي واحدُها؛ ولا تصبر عنِّي لحظة؛ ولكنها قالت: أمَّا سبيل الله؛ فلا أقدر على منعك عنه؛ ولا عن حرمانك الشهادة؛ فعاد جوابه؛ بالكفّ وقال: إنَّ الأصلح للإسلام بقاؤك حيث أنت. (انتهى).

ثم لمَّا انهارت دولة الخلافة؛ وبدت طلائع الإنجليز تتوافد على

حضرموت؛ وأخذت طائراتهم تطير في سمائها؛ تطلَّع الإمام ابن عبيد الله لمن يساعده على إنقاذ حضرموت من هذا الخطر العظيم؛ الذي رأى فيه تهديداً للأخلاق والدين؛ ولم يجد أمامه سوى الإمام يحيى الذي استقلَّ باليمن بعد هزيمة الأتراك؛ خصوصاً وقد أعجبه الدور الذي قام به الإمام المتوكل على الله؛ إسماعيل؛ من استنقاذه حضرموت؛ لمَّا استنجده الأمير بدر بن عمر الكثيري. وقال الإمام ابن عبيد الله متحدثاً بإعجاب عن دور هذا الإمام: وبعد أن رواها بالدماء؛ وأنفق عليها من الذهب ما يوازي قطر السماء؛ دفعها برمَّتها له؛ لقمة هنيَّة؛ وهدية سنيَّة؛ قانعاً منه بالدعوة المنبرية؛ ومشترطاً عليه الاعتصام بسنَّة خير البرية (انتهى).

ولهذا بدأت الاتصالات والقصائد بين الإمام ابن عبيد الله وبين إمام اليمن وملكها يحيى حميد الدين؛ وقد أعجب الإمام يحيى بفصاحة ابن عبيد الله وبلاغته وشعره؛ ووعده بتحقيق رغبته وما كانت إلّا استنقاذ حضرموت من أطماع الإنجليز. ولم يكن الإمام ابن عبيد الله يعرف على ما يبدو؛ أنَّ الإمام يحيى لا يستطيع أن يواجه الإنجليز الذين خرجوا من الحرب منتصرين؛ فقد كان في وضع سياسي دقيق؛ لا يستطيع معه؛ أن يقوم بأي عمل ضدهم لا في حضرموت؛ ولا في غيرها من مناطق نفوذ الإنجليز؛ خصوصاً وأنه ما زال يرتِّب أوضاع اليمن الداخلية والخارجية؛ وتحيط به الكثير من التحديات والأخطار. كما أن الإمام يحيى لم يكن قادراً على ما يبدو على توضيح هذا الأمر؛ بشكل جلي؛ لابن عبيد الله؛ واكتفى بالاعتذار بغيوم السياسة. لذا اقتصر الأمر بينهما على تبادل الرسائل والقصائد وإرسال الوعود دون تنفيذ؛ مما أضجر الإمام ابن عبيد الله وآيسه من أي عمل يقوم به الإمام يحيى لأجل حضرموت.

وقد انتقد بعض المثقفين اليمنيين؛ التجاء الإمام ابن عبيد الله إلى الإمام يحيى وطلب نصرته؛ واعتبروا أن ذلك من العبث[1]؛ حيث إنَّ الإمام يحيى؛ كما

---

(١) د. أحمد هادي باحارثة الانتصاف لابن عبيد الله صفحة ٨٠ تريم للدراسات والنشر.

قالوا؛ لا يفعل شيئاً؛ ولعل هذا الكلام صادر من أشخاص لم يقرؤوا تاريخ حضرموت؛ ولم يستوعبوا حالتها الراهنة؛ ولم يعايشوا ظروفها الصعبة. فقد عاشت حضرموت في زمن الإمام ابن عبيد الله؛ أوضاعاً شبيهة بالأوضاع التي عاشها جده الزعيم محسن بن علوي السقاف (١٢١١ ـ ١٢٩٠هـ)؛ أيام الدويلات القبلية بحضرموت؛ مما دفع الزعيم محسن بن علوي السقاف؛ وبقية أعيان حضرموت وقتها؛ إلى طلب العون والنصرة من إمام اليمن؛ ولكن طلباتهم لم تحظ منه بالقبول.

ورغم عدم قيام الإمام يحيى بأي دور إيجابي في حضرموت؛ فإنَّ أوضاع حضرموت السيئة لم تمنع بعد ذلك طائفة أخرى من كبار أعيان حضرموت على تكرار طلب العون والنصرة من الإمام يحيى؛ فهذا مثلاً الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري؛ يثني على دولة الإمام يحيى؛ ويتمنى أن يشملهم حكمه؛ فقال في قصيدة سيَّرها للإمام يحيى:

ومن كان يحيى إماماً له ... فهيهات هيهات أن يرهبوا
أقام لهم دولة تتقى ... فليست تصر ولا تحلب
وفازوا بأمنين في ظله ... هم العدل والبلد المخصب
كما باثنتين حصرنا هنا ... هما الجور والبلد المجدب

ثم يقول:

فقل للإمام عليه السلا ... م قوموا بواجبكم واندبوا
ولا تتركونا على ما بنا ... فنحن بنو العرب وهو الأب
وإنا به وبأبنائه ... لنأمل أن يحصل المطلب

وكذلك فعل الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر؛ فهو يقول في قصيدة بعثها للإمام يحيى:

بلِّغ أمير المؤمنين سلامنا ... واذكر له قوماً إليه تقربوا

واشرح مآسي حضرموت وقل له ... مستقبل حلك ونار تلهب
وإذا حبرت فقل له إن العدى ... صالوا على أهل الهدى وتغلبوا
فارأب بعزمك ذلك الصدع الذي ... قد كان من طول المدى لا يرأب
واجمع شتات بني أبيك فإنهم ... في حالة والله ليست تعجب

ولعلي أتوقف أمام قصيدة السيد محمد بن هاشم؛ لأنه من المقربين من السيد أبي بكر بن شيخ الكاف؛ وما أظنه يتوجه لإمام اليمن بهذا الطلب دون موافقته؛ أو ربما أرسله بتوجيه منه؛ بعد أن خيَّب الإنجليز أمله؛ وقد كان يعتقد أنهم قادرون على حفظ الأمن بحضرموت؛ وتطويرها لتصبح مثل سنغافورة؛ فأدرك مؤخراً أنهم لم يفعلوا شيئاً لحضرموت؛ وأنَّ ضررهم أكثر من نفعهم؛ وأنَّ دولة الإمام يحيى أفضل منهم.

هذا ولما أيس الإمام ابن عبيد الله من نصرة الإمام يحيى؛ بقي يتطلع إلى منقذٍ لحضرموت؛ ولهذا راوده الأمل عندما وصل عبد الله فلبي من الحجاز إلى حضرموت؛ بأول رحلة سيارة عبر الربع الخالي؛ وظنَّ الإمام ابن عبيد الله أن يكون مقدم عبد الله فلبي؛ المقرب من الملك عبدالعزيز؛ إلى حضرموت؛ نتيجة الحديث الذي شافهه به الملك ابن سعود يوم اجتمع به في مقره بالمعابدة قبيل لحج سنة ١٣٥٤هـ؛ فلقد قال له الملك عبد العزيز: إن حكومة الإنجليز أرسلت إليّ في رمضان من هذه السنة؛ من يفاوضني بشأن حضرموت؛ وانتهى الكلام على إرسال وفد يستفتي أهلها؛ أنتخب أنا بعض رجاله؛ وينتخب الأخ يحيى بعضاً؛ وتنتخب الحكومة الإنجليزية بعضاً؛ ثم يذهب كلهم وفداً؛ قال الإمام ابن عبيد الله: فسرَّني هذا الكلام كثيراً؛ وبنيت عليه الآمال الطويلة العريضة؛ غير أن السياسة لا لون لها؛ وإنما تتكون بألوان الظروف.

وبالإضافة للدور السياسي الدولي الذي قام به الإمام ابن عبيد الله؛ فلقد قام أيضاً بدور مهم في محاولة إصلاح أوضاع حضرموت؛ وذلك بإنشاء الجمعيات؛ ووضع القوانين لها؛ ومراجعة السلاطين وتوجيههم؛ بل إنه حاول حتى إصلاح

أحوال الحضارمة في جاوة؛ ولكن أغلب محاولاته باءت بالفشل؛ حيث قام المعارضون له بإفساد جميع خططه للإصلاح. ويقول الإمام ابن عبيد الله عن ذلك:

جـزَاءُ قِـيَـامِـي بـالـنَّـصِـيـحـة أَنـنِـي إِذَا شِـدْتُ بُـنْـيَـانـاً مِـنَ الـمـجـدِ خَـرَّبُـوا

يُـرِيـدُونَ أَنْ يُـطْـفُـوا بِـضَـغْـنِ نـفـوسِـهـم سـراجَ هُـدًى يُـذْكِـيـه عـلـمٌ فَـخُـيِّـبُـوا

وتعرض ابن عبيد الله للكثير من المكائد والدسائس والأذايا المتواصلة؛ وما ذلك إلّا بسبب جرأته وصراحته؛ وإصراره على قول الحق مهما كان الثمن؛ بل وصل الأمر إلى معاداة السلاطين له؛ وفرض الإقامة الجبرية عليه في بيته؛ ومنع الناس من زيارته؛ كما غضبت عليه بريطانيا لمناصرته الأتراك؛ ودعوته للتبعية لهم؛ فأعلنت جائزة لمن يغتاله أو يأتي به لهم حيًّا.

كما قاسى الإمام من تعامله الطيِّب مع الناس؛ وإسداء المعروف لهم؛ ثم إذا هم ينقلبون ضدَّه؛ ويقفون في صفِّ أعدائه؛ بل بلغ بهم الحال إلى تمنِّي موته؛ رغم أنهم يعرفون أنه لا يوجد بينهم من هو مثله.

ويَـهْـوَوْنَ مَـوتـي وهـو مـوتٌ لـعِـزِّهـم فَـلَـيْـسَ لـهـم إِلَّايَ فـي الـلـيـل كـوكَـبُ

يُـوالـون أَعـدائـي ويُـقْـصُـون شِـيـعَـتـي ومـا زِلْـتُ أَشْـقَـى فـي عُـلاهُـم وأنْـصَـبُ

والإمام ابن عبيد الله يحب بلده سيؤون ولا يرضى بها بديلاً؛ ولما اشتد الأذى عليه؛ وشرح ذلك للإمام يحيى؛ لم يقم الإمام يحيى بأكثر من دعوته للإقامة مع عائلته باليمن؛ مكرماً معززاً؛ لكن ابن عبيد الله أكبر ذلك الأمر؛ فهو لا يستطيع ترك حضرموت التي يقول فيها:

مـشـارفُ مـا فـيـهـن لـلـعـيـن مـنـظَـرٌ يَـرُوق سوى شيء من الـسِّـدر والـنـخـلِ

فـمـا زرعُـهـا ذاكٍ ولا ثَـمَّ قـاطـنٌ بـهـا غـيـر شـاكٍ قـلـةَ الأمـنِ والـعـدلِ

ولـكـنَّ فـيـهـا نـشـأتـي وولادتـي وخـلَّـفْـتُ فـيـهـا صِـبـيـتِـي وبـهـا أهـلِـي

ثم إن الإمام يحيى لم يفعل بعد ذلك شيئاً لنصرة صديقه ابن عبيد الله؛ إلّا

التوصية عليه لحكومة عدن؛ بعد عفوها على معارضيها بعد انتهاء الحرب، ولعلَّ الإمام يحيى بدهائه وسياسته؛ يريد بهذه التوصية أن يظهر لابن عبيد الله؛ استمرار اهتمامه بأموره؛ وحرصه على شؤونه؛ ويريد في الوقت نفسه أن يوحي للإنجليز؛ بأنه لن يتصرف في مجال نفوذهم بحضرموت وغيرها من المحميات؛ إلّا بمشاورتهم والترتيب معهم.

هذا وكان الإمام ابن عبيد الله؛ حميَّ الأنف؛ عزيز الجانب؛ كريماً؛ لا يقول الشعر كما يقوله الشعراء المحترفون؛ لأجل اكتساب الهدايا والهبات؛ ولكنه يقول الشعر للدفاع عن الإسلام ونصرة المسلمين. ولم يكن ذهابه لليمن واتصالاته ومراسلاته للإمام يحيى إلّا لإصلاح حضرموت؛ وحفظ الأمن بها؛ وطرد الإنجليز منها؛ وحفظ الشريعة والدين كما يقول:

وما استنصرْتهُ إلّا لدِينٍ خشيتُ عليه غاراتِ المغيرِ
ولن ترضَى مروءتهُم رجوعي على عَقِبي بلا مدَدٍ كبيرِ

ولمَّا عرض الإمام يحيى عليه التزوَّج باليمن؛ وقدموا له جارية للتسرِّي؛ رفض ذلك العرض لأنَّ له هدفاً معيَّناً لا يحيد عنه؛ ولا يحب أن يشغله عنه شاغل.

بل وعندما قال الإمام قصيدته الرائعة أمام الأمير محمد بن علي الإدريسي بصبيا؛ قال له الأمير: كل طلباتك مجابة؛ فلم يطلب ابن عبيد الله منه شيئاً؛ كما ذكره في بضائع التابوت؛ رغم أن كاهله كان مثقلاً بالديون.

كما كان الإمام ابن عبيد الله شديد الاهتمام بأمور المسلمين العامة؛ فنراه يتألم لأحداث طرابلس بليبيا؛ ويعترض على معاهدة الأتراك مع الإيطاليين وتخلِّيهم عن الليبيين؛ كما كان شديد التألُّم مما يحدثه الأجانب بين المسلمين من فرقة وخلاف؛ وفرح الإمام ابن عبيد الله بالصلح بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود؛ لأنه حقن دماء المسلمين؛ وأفسد خطط الأجانب بالوقيعة بين الحكام العرب؛ وقال يهنىء صديقه ابن الزبير لمشاركته في إبرام هذا الصلح:

صلحٌ به نلت ودَّ المسلمين فما ... في الأرض من مسلمٍ إلّا لكم داعِي

خفنا على بيضة الإسلام من فتن ... تفضي لأجناس أضرار وأنواعِ

رام الأجانب توسيع الفتوق فلم ... يبق امرؤٌ فيه دين غير مرتاعِ

وكان الإمام ابن عبيد الله لا يترك المجال لأيٍّ متجاوز على الدين الإسلامي؛ ولا معترض على الأخلاق الإسلامية؛ ولهذا لم يسكت على الرد على الملحدين؛ وألَّف كتاب السيف الحاد للرد على صاحب كتاب توحيد الأديان؛ ولم يترك الرد على الشاعر المصري الذي تبرَّع بالدفاع عن بغيٍّ مناقضاً لحكم الإسلام كما ورد في هذا الديوان.

والواقع أن من يقرأ شعر الإمام؛ أو كتبه؛ أو محاضراته؛ يدرك أن هذا الرجل يعيش في عصر غير عصره؛ لأن اللغة التي يتكلم بها؛ هي لغة الأصمعي وعبد الحميد والجاحظ والشريف الرضي؛ ولا يمكن أن يخطر ببال أحد أن هذا الرجل لم يغادر للتعلّم وطنه حضرموت؛ بل إنه كما يقول الإمام عن نفسه؛ أنه لم يتعلم شيئاً جديداً بعد أن تجاوز سن الخامسة والعشرين من عمره. فهذه اللغة التي يستعملها؛ لا يتكلم بها أحد في حضرموت؛ ولا توجد في أي مصنَّف من مصنفات الحضارمة؛ القديمة ولا الحديثة؛ فمن أين أتى بهذه اللغة الفصيحة والمفردات الغريبة؛ وكأنَّما هو قد حفظ أمهات قواميس اللغة. وقال المحقق المصري للطبعة الأولى من هذا الديوان: لقد تضمن الديوان مادة لغوية واسعة؛ دلت على سعة اطلاع صاحبه على مكنون اللغة؛ واستيعاب قواميسها؛ حتى لقد كنا في أثناء الشرح؛ نبحث عن الكلمة فلا نجدها إلّا في أمَّهات كتب اللغة (انتهى).

ولهذا ليس بمستغرب أن لا يفهمه أبناء زمانه؛ خصوصاً في حضرموت؛ لذا نجده يقول في إحدى قصائده:

فأنا اليوم سيّئ الحال في النا ... س كلامي يحتاج إلى ترجُمانِ

وهو أشبه ما يكون في هذا الحال؛ بالإمام الحداد الذي يقول:

وإني مقيم في مواطن غربة ... على كثرة الآلاف في جانبٍ وحدي

قــريــبٌ بــعــيــدٌ كــائــن غــيــر كــائــن وحيدٌ فريدٌ في طريقي وفي قصدي

وإذا تمعَنَّا في قصائد الديوان؛ نجد أنها تقدّم لنا تصويراً للحالة الاجتماعية والسياسية التي عاشها الإمام ابن عبيد الله في حضرموت؛ وتبيِّن ما كان يتعرض له الإمام من قومه وجماعته؛ من معارضة ومناكدة؛ وما عامله به السلاطين والأعيان؛ من ظلم واضطهاد؛ برغم جهوده المخلصة لإصلاح مجتمعه وتطوير بلاده؛ ومحاولاته المتكررة تأسيس الجمعيات الإصلاحية؛ لكنه لم يلاق من قومه إلّا التسويف والتخاذل؛ بل وأجمع الكثير من أهله وقومه؛ على معاداته وأذيته؛ كما يقول في إحدى قصائده:

ما كنت أحسب أسرتي اندمجت على حسدي فكنت أشيم منها خُلَّبَا

ضـيَّـعـت فـي إرشـادهـا وقـتـي ولـم أجـد ابـن عـمـي الـلـحَّ إلّا عـقـربـا

أهـوى الـصـلاح وأيـنـه مـن مـعـشـرٍ تـبـعـوا الـهـوى وتـفـرقـوا أيـدي سـبـا

لا ضـيـر قـد لـقـي الأذى مـن قـومـه جـدِّي فـعـاش مـحـسَّـداً ومـكـذَّبَـا

وكـذلـك الـداعـي الـصـدوق يـحـبـه الـبعـ ـــداء ويـبـغـضـه لـئـام الأقـربـاء

كما يعطينا الديوان فكرة عن شخصية الإمام ابن عبيد الله؛ والتي هي من أسباب معاناته؛ فقد كان الإمام ابن عبيد الله شديد الجرأة والصراحة؛ عنيداً لا يحابي ولا يجامل؛ مهما كانت الظروف؛ ولا يسكت عن أي مخالفة يعتقدها للشرع الشريف؛ مما أكسبه عداوة قومه؛ لكنه يعترف بأن الأمور تحتاج أحياناً إلى السياسة والمداراة؛ فيقول عن نفسه؛ عندما دُعِيَ للمشاركة في المفاوضات بين الدولتين الحضرميتين بالمكلا: لم يكن عندي من السياسة ما يحفظ لي به المكان عندهم؛ متى عدمتها من الجانب الثاني؛ بل صرت بصراحتي؛ وحرية فكري؛ مبايناً للفريقين؛ وأخشى مع ذكري لما تدَرَّجَ به مؤمن آل فرعون في دعوته؛ أن ينطبق عليَّ ما جاء في معجم الأدباء لياقوت عن بعضهم؛ أنَّه لم يكن يلطِّف صدعه بالحق بتعريض؛ ولا يرقِّقه بتدريج؛ فأكبر عيبه عند المنصف له؛ جهله بسياسة العلم التي هي أعوض من إتقانه (من مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني).

وقد نصحه شيخه الشاعر العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب؛ في قضية الخلاف بين الإمام ومعارضيه؛ فقال له في كتاب سيَّره له من تريم ٢٠ شعبان ١٣٣٢هـ: يا أخي انظر في علم البديع[1]؛ اجعل أغراضك كلها بذلك المعيار ومن ذلك النوع تظفر وتسلم (بضائع ص٢٨٤ ج٣).

ومن طبيعة الإمام ابن عبيد الله أيضاً؛ كراهيته لمجاوزة الحد في مدحه؛ وقد مدحه قوم؛ فرأى في مدحهم له مجاوزة للحد المعقول؛ فرد عليهم بقوله:

وإني وإن قابلتُ بالشكر فعلكُم أُعاتبكُم نوعاً مع البَسْط للعُذْر

ففي قولكم بعضُ الغلُوِّ وليتكم وقَفتُم بما قلتوه عنِّي على قَدْرِي

ورغم أن الإمام ابن عبيد الله كان يعيش في بيئة صوفية؛ إلّا أنه لم يكن يوافق الصوفية في جميع مشاربهم؛ رغم احترامه لهم؛ ورغم أنَّ والده من كبارهم؛ وكان يصف نفسه بأنه صوفي بالأقوال لا بالأفعال؛ ولعل ذلك بسبب تلزمه الفقه؛ لكنه لم يبلغ مبلغ ابن المقري صاحب الإرشاد؛ الذي كان شديد الوطأة على الصوفية؛ لكن ذلك ليس بمستغرب من ابن المقري؛ وهو يعيش في بلاد المذهب الزيدي المناوىء للصوفية؛ إضافة إلى اختلاف التصوف باليمن عنه بحضرموت؛ فلم يكن تصوف العلويين إلّا عبارة عن أخلاق؛ وزهد وأعمال صالحة؛ بدون دروشة ولا رياضات؛ بما يشبه ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

بل ولا يستخدم الإمام ابن عبيد الله في مؤلفاته الألقاب الصوفية؛ إلّا فيما ندر؛ فتراه لا يسمي شيخه الذي يكنُّ له عظيم الإعجاب والاحترام؛ وهو الحبيب العلامة عيدروس بن عمر الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤هـ؛ إلّا بالأستاذ الأبر؛ ويسمي بعض كبار الأولياء بالسيد العلامة؛ مما قد يوحي لمن لا يعرفه؛

(١) توجد في علم البديع أشياء مثل التورية والكناية والتلميح هو أن يشار في فحوى الكلام إلى قصة أو شعر، من غير أن يذكر صريحاً والهدف التدرج في الكلام والابتعاد عن صريح المخالفة الذي قد يثير النفور والعداوة.

بأنه ينتقّص من مقامهم؛ أو يقلّل من قدرهم؛ رغم أنه يكنُّ لهم عظيم التقدير والاحترام.

وقد حاول واحد من شيوخ الصوفية؛ ومن أصدقاء وملازمي والده؛ وهو الشيخ حسن عوض مخدم المتوفى سنة ١٣٢٨هـ؛ حاول إرشاده إلى طريق التصوف. قال الإمام ابن عبيد الله: وكان أرسل لوالدي كتاباً؛ خصَّني فيه بخطاب طويل؛ يحثني به على الزهد؛ والانتظام في سلك طريق الصوفية.

ومع أن للإمام ابن عبيد الله رسالة في مسألة التوسل؛ يبدو أنَّ فيها شيئاً من الإنكار؛ إلّا أن له بعض قصائد التوسُّل؛ ويفسِّر الإمام ابن عبيد الله ذلك بقوله[١]: وما أكثر ما يوجد التوسُّل في شعري؛ بالنبي ﷺ؛ وببقية الخمسة الأرواح تبعاً[٢]؛ مع فرط تكيُّفي بما في السياق السابق؛ من أن التوسُّل به ﷺ ليس كغيره؛ كما نقله ابن القيِّم وغيره عن ابن عبد السلام؛ لحديث الأعمى؛ وهو مرويٌّ عند أحمد والبيهقي والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وغيرهم. وذكره ابن تيمية في (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة)؛ ولم يقدر على تضعيفه بحال؛ بل ولا على إنكار الزيادة المشهورة فيه عند الطبراني والبيهقي؛ وقال في تلك الرسالة: إذا كان التوسُّل بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبِّيه؛ جائزاً بلا نزاع. . فلِمَ لا يحمل التوسُّل به على ذلك! قيل: من أراد هذا المعنى؛ فهو مصيب في ذلك بلا نزاع (انتهى).

ومن هنا يكثر التوسُّل في أشعاري؛ ويشتد على القبوريين إنكاري؛ لأنهم لا يقصدون ما أقصده؛ وإنما يأتون بصريح الإشراك والجهل؛ فالقرائن محكمة؛ والعلاقات معتبرة؛ والفروق بين الحقيقة والمجاز مرعيَّة؛ وكلا جانبي الإفراط والتفريط مردود (انتهى).

---

(١) الإمام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ كتاب إدام القوت؛ دار المنهاج للنشر صفحة ٦٥٩.

(٢) أي السيدة خديجة والسيدة فاطمة والحسن والحسين والإمام علي رضوان الله عليهم أجمعين.

وإذا نظرنا إلى شخصية الإمام ابن عبيد الله؛ نجده شخصاً مهاباً؛ قويَّ العارضة؛ ذكي الفؤاد؛ ولكنه أيضاً سريع الانفعال؛ يتأثر بسرعة بما يسمعه من الكلام؛ وقد يتصرف بنـاءً على ذلك؛ ثم يندم على فعله؛ فنراه يصم صديقه الوزير حسين بن حامد المحضار في إحدى قصائده بالخيانة؛ لموافقته على المعاهدة التي أبرمها القعيطي والكثيري مع الإنجليز؛ رغم علمه بكراهية الوزير حسين بن حامد للإنجليز؛ وأنه هو الذي كان يشجعه على الاتصال بالأتراك في اليمن؛ ويدفع له أجرة البريد؛ كما افتعل الوزير حسين بن حامد حرباً صورية مع الكثيري حتى يعتذر للإنجليز عن المشاركة في قتال الأتراك في لحج. لكن ابن عبيد الله يندم على كلامه هذا؛ ويقول بعد ذلك في موقع آخر: وكان وزير القعيطي السيد حسين المحضار؛ صحيحَ الإسلام؛ يسعى لصالحه؛ وما انتفعت لَحج إذ ذاك؛ إلّا بالبضائع التي تردها من المكلا؛ عن علمه؛ إلّا أن وظيفته اقتضت بعض ما هناك؛ ووَدَّ لو تشدَّد أهل حضرموت؛ ولكنهم سقطوا بمجيء الهَزَّ[١].

كما أنه يشفق على قومه المعاندين له والمحاربين ضده؛ حين يقف بهم الطريق؛ ويصعب عليهم التحقيق؛ من ذلك ما ذكره الإمام عندما تحداهم أمام السلطان علي بن منصور وكانوا قد اجتمعوا في قضية هامة قال الإمام ابن عبيد الله: عند ذلك أمرهم السلطان بالكلام، فأُرِمَ القوم[٢]، وأظلم عليهم اليوم، وشخَصَ البصرُ وبَرِق، واصفَرَّ وجه كل مريبٍ وعَرِق، ويبست الشفاه، واكفهرَّت الجباه، وسكنت الضجَّة، ولما تبيَّن الرشد من الغي؛ رجعنا عن النشر إلى الطي، وأدركتني لهم رِقَّة، وأشفقت عليهم من بعض المشقَّة (انتهى).

وحكى الإمام أيضاً قصصاً كثيرة مشابهة لذلك؛ تبيِّن رقَّته على خصومه عند وقوعهم في الشدة والحرج؛ أو عند اعتذارهم؛ . وكان أصعب ما مرَّ عليه ما

---

(١) ربما يقصد بهذه الكلمة الضابط السياسي الإنجليزي إنجرامس.

(٢) قطعوا عن الكلام وعجزوا عنه.

ذكره في (الجزء الثالث من مخطوطة بضائع التابوت ص٣٢٩) حين قال: ثم ما رأيتني أشد انكساراً في نفسي؛ ولا أكثر استحقاراً لحالي؛ ولا أحرَّ ندماً على ما فرط مني؛ يوم تنازل الفاضل الجليل الحبيب عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي؛ عن رئاسته ومنصبه؛ وجاء إلى منزلي لترضيتي؛ مع ظني أنني المتجرِّم عليه؛ إذ قلَّما يعرض ذكره إلّا أسأت القول فيه؛ وهترته؛ كما كانت الصدِّيقة عائشة؛ تهتر يزيد بن قيس الأرجي؛ كلما عرض ذكره؛ وذلك لما يكثِّره عليه أصحابه عندي؛ فلم يكن منه إلّا أن أدَّبني في نفسي بجميل صنعه؛ وحميد تواضعه؛ تأديباً بليغاً؛ أرجو ذخره وبرُّه؛ إذ قد بغَّض إليَّ الاغتياب؛ وتجدَّد لي بسببه منه خالص المتاب؛ فجزاه الله عنا أفضل الجزاء؛ ثم قلَّما يوقعني في الاغتياب إلّا توَهُّم المصلحة؛ إذا أبلغني جلسائي أمراً؛ اندفعت في الكلام عليه؛ حتى انغمس في ذلك عن طريق الوعظ؛ وما أشبه ذلك. أما التشفِّي فقلما جرني إلى الغيبة؛ منذ عرفت نفسي (انتهى باختصار بسيط).

وختاماً؛ فإن ما يعيب الطبعة الأولى لهذا الديوان؛ إغفال أسماء الأعلام؛ سواء منهم من قام بخدمة هذا الديوان؛ أو من مُدِحَ أو ذُمَّ بقصيدة من قصائد الديوان؛ فلم نعرف اسم الأديب المصري الكبير الذي قام بمراجعته؛ والذي لم يواصل المهمَّة؛ فأكملها مفتي مصر السابق؛ الشيخ محمد حسنين مخلوف؛ بل ولم نعرف حتى أسماء الصحف العربية المشهورة التي أشير إلى أنها نشرت بعض قصائد الديوان.

كما لم يقم المحقق للطبعة الأولى من هذا الديوان؛ بأكثر من ترجمة معاني الكلمات؛ ووضع بعض التشكيل على بعض الكلمات. وكان غريباً عن الثقافة الحضرمية بعيداً عن معرفة الشخصيات والبلدان الحضرمية التي ورد ذكرها في الديوان.

وما هذا الديوان الذي بين يديك الآن أيها القارئ الكريم؛ إلّا الجزء الأول من دواوين شعر الإمام؛ وبقي هناك جزآن مخطوطان؛ نرجو أن يجدا الطريق نحو التحقيق والتدقيق والطباعة.

وقد بذلت في تصحيح الأخطاء المطبعية الجديدة؛ وفي تحقيق بعض مواضيع الديوان؛ وفي التعريف ببعض الأعلام؛ ما وسعني من الجهد؛ وأمضيت فيه وقتاً طويلاً؛ وأرجو أن يكون هذا الديوان إضافة مهمة للمكتبة العربية؛ وتوضيحاً للجانب التاريخي؛ لمرحلة مهمة من تاريخ حضرموت، كما أتمنى أن تعيد هذه الطبعة الجديدة للديوان؛ بعض الاعتبار؛ لهذا العبقري العظيم؛ الذي لم ينصفه قومه السابقون ولا اللاحقون.

علي بن محسن السقاف

٤ ربيع الثاني ١٤٣٦هـ

مقدمة صاحب الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدُكَ اللهم مُنْطِقَ اللسان، ومُغْدِقَ الإحسان، ومورِق الأغصان[١]، عاجزين عن شكرك، فائزين من ذكرك، عائذين من مكرك، واقفين بوصيدك، خائفين من رصيك، ساجدين في صعيدك، حافدين[٢] من وعيدك، سائلين منك ـ يا باسِطَ الخير، ويا رابطَ الضَّيْر، ويا سائقَ المَيْر[٣]، ويا رازقَ الطير ـ أن تصلي وتسلّم على نبيِّك الذي به رفضت الكَتْم[٤]، وفضضت الختم؛ وفَلَقْت النور، وفتحتَ العور، وعلى آله؛ نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين، وعلى أصحابه؛ الموفين بذِمَّته؛ المعروفين بالنصح لأمَّتِه.

أمَّا بعد؛ فإن العلم مما استأثر به الله؛ وإن عرَضت الدعاوى. وطالت واستننت الأعْوَجيَّة وجالت، وغير أنه جل شأنه أفاض النَّدى، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدَى، وفتح للإنسان بقدر ما نفخ فيه من روحه، وقسم له من فتوحه، فمن غَبِيٍّ امتلك الجهل عنانهَ، وما ارتفع عن القرد بنانُه، ومن مدَّعٍ اغتر بما لديه، وظن البعيد بين يديه، فانطبق بعد التصحيف قول ابن الفارض عليه:

عجيبٌ لأهل الدَّير قد سكِروا بها ... وما شرِبوا منها ولكنهم هَمُّوا

ومِنْ كاملٍ؛ يهيم إذا شرب، ويتوقَّر إذا طرب، وكلما شرب نَهَلاً، عرف أنه

---

(١) في الأصل الأرسان.

(٢) حافدين: عاملين بنشاط في طاعتك من خشية وعيدك.

(٣) المير: مار الرجل عياله مَيْراً: أتاهم بالميرة وهي الطعام.

(٤) الكتم: الإخفاء.

ازداد جهلاً، يشرب ولا يرتوي، ويشتد ولا يستوي، فذلك الذي يتدرج إلى الكمال في طريقه، وهيهات؛ لا يبلغه حتى يشرّق بريقه، إذ الإنسان لا يتناهى مدُّه، إلّا إذا تمَّ له حَدُّه، وكما أنَّ البعوضة في زِيِّ الفيل، فالإنسان والكون سواء في التمثيل، والأمر مسلَّمٌ فلا حاجة للتفصيل، وإذا قيل إن فيه من الرُّوح نفخة، وإنه مما سوى الله نسخَة، فما هو السر؛ الذي به اشتدَّت دَفته؛ ورجحت كفته، ليس إلّا النطقَ؛ الذي تفاوت البشر بمقداره؛ والحكمةَ التي هي مادته وقعيدة داره، وهي من سماء الرُّوح تُشرِق، والروح دونها حجاب من الأنوار يحُرِق، طالما ركبوا لاكتناهه الخطر، فعادوا بخيبة الأمل ما انقضى له وَطَر، وإذا كان النطق بمادّته هو المجال، والميزان الذي تتفاوت به الرجال، فما عن تفضيل الشعر مَفَرّ، ولهو أولى ما سُقى ربُّه على الظَّفَر، وهل يكون الجُمَانُ؛ مركوماً، في مثل جَماله؛ منظوماً؟ وانظر كيف لا يقدر صاحبه على كتمه؛ وإن أفضى به إلى شتمه. وكم سر يُخفيه عن حميم يُحفيه[1]؛ متى قرضه عرضه للأنظار، ولم يخش ما افترضه في الإفشاء من المضار، وهذه بنفسها؛ خاصة الحبيب؛ كما قال في معناه الشاعر الأريب:

وَيقبحُ من سواكَ الفِعلُ عندي فتفعلهُ فيَحسنُ منك ذاكا

وحسبك أن الخصائص لا تكون إلّا لنبيٍّ كريم، ثم رأينا للشاعر ميزة وإن شط البَون[2] حتى في التحليل والتحريم، فلو لم يرتفع به المرء؛ ويكرُم؛ لَمَا حلَّ له من نحو الكذب؛ ما على غيره يحرُم، ومن أنصع الأدلة على تفضيله؛ صرف سيد البَشَر ﷺ عن سبيله، لأنه وإن كان الذكر عليّاً والفرق جليّاً، ويستحيل أن يشبه بلاغةَ القرآن غيرُه؛ فإنه لا يمكن التشكيك إلّا به عند من قلَّ خيره؛ ولو كان عليه السلام شاعراً؛ لكان للشبهة مجاز؛ فكونه أُمّياً لا يقرضهُ؛ أبلغ ما يكون في الإعجاز.

(١) يُحفيه: يبالغ في مودته.

(٢) البَوْن: مسافة ما بين الشيئين.

وأما ما ينسب للشعر من المذامّ، فراجعٌ إلى العلّة التي انتشرت بأهله كالجُذام، وهي التكسب القبيح، وبالغلوّ في المديح، وقد صاننا الله عن ذلك؛ فالساحة برا، وبيننا وبين الذل؛ إلّا لله وحده؛ سبلٌ وَعِرَةٌ وأرضٌ عَرَا.

ثم إنَّ النفس؛ كما سلفت الإشارة؛ تستمد الإلهام من عالمها القديم، وتناجي به الضمائر في المهامّ كما يفعل النديم، فما يقوله الشاعر عن الوجدان إذا اهتز، يُطَبّق المفاصل لا جَرَم ويصيب المحزّ، وربما عثَر بغيبٍ فكشف حجابه؛ وهتف بما وراء المادة؛ فلم يعدَم إجابَه، ولكنه متى تكلّف رثَّ، وإذا كدَّ فيه الطبعَ غَثَّ. وأصدقه ما تهُبُّ النفوس لإرشاده، وتقُفُّ الشعور من إنشاده، ويعبّر بإحسانه، عن خاطر كل إنسان بغير لسانه، أو لم تر الرشيد؛ وهو جَبَّارُ الأرض كيف حَكَمَ لمنصور النميري في القرض؛ إذ نطق بحاله؛ وعبّر عما في باله؛ أنه لم يبعد منالاً وإنما احتذى أمثالاً؛ وذلك حيث يقول:

وإنك حين تُبْلِغهم أذاهم وإن ظَلَموا لَمُحْترِقُ الضمير

وخيرُه؛ ما يعجِز الناثر عن تحويره، ولا يقدر على تقديم شيء منه ولا تأخيره. وأبلغه؛ ما سهلت مبانيه، ووضَحت معانيه، فعرف بلا مُهلة، وعَلِق بالضمير، من غير روية ولا تكرير، بيد أن هذا لا تغلو قيمته؛ إلّا عند من غزَرت ديمته. فأمّا ما يقَرّ في الأفهام، ويُعْرَف بعد الاستفهام، ويكون لفظه فخماً، ومعناه ضخماً، فإنه أعلى من السهل قدراً، وإن كان ذلك أنفذَ في القلوب سحراً. «وللناس فيما يعشقون مذاهب».

ولينفُض يده من خيره؛ من يَنْظُرْ إذا شَعَرَ في نظم غيره؛ فذلك الشاعر المخذول، والرابع المرذول، وقلَّ من تكلّف إلّا ذَلَّ؛ إذ لا قيمة للرديء ولا للمبتذَل، وإنما هو من كبائر الذنوب؛ وعظائم العيوب، حدُّ صاحبِه أن يُذال[1]، ويُضرَبَ في القَذال[2]، ويُنْفى مع الأنذال.

---

(١) يذال: يهان.

(٢) القذال: ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

ومما يمكن به للمرء أنْ يَزِنَ فضله؛ ويعرف نضلَه. ويرى مبلغ عارضته في القريض؛ اعتمادُ الصعب من القوافي والأعاريض، فمن كان فيها أجمل وأجزل فهو الفائز، ومن لم يكن إلّا أثقل وأنزل فهو العاجز، فنشأة العتب على الأوائل بالتضييق، ليس إلّا عن الضعف وعدم التحقيق، وذلك أن الفحل يذِل له الكلامُ وينقاد، ومع السهولة تَفَرَّقَ عليه[١] الظباء فلا يدري أيها يصطاد. أوَلا ترى مصاقع الخطباء يجزل كلامهم في البدائه؛ وربما ينزل لدى التحرير إذا ذهبت بهم الأفكار من المعاني في المتائه. ولقد جازف في تفريطه، من فضَّل اليشكري[٢] على امرىء القيس[٣] في تمليطه[٤]. إذ الثاني قد مهَّد السبيل، وعبَّد الطريق، وعيَّن الموضوع وأبلع الريق، وخاض البحر الغريق، الذي لا يدرك قعره، ولا يبصر عَبره، فلما استخرج الدرّ والتقط، وقارب أن يوصله إلى الشط، دفعه لليشكري ليبلغ به الساحل فقط. فما أخصب بعد المَحْل؛ إلّا لتَسَمُّتِهِ[٥] آثار الفحل.

وكنت من نعومة الأظفار أحس إلى قرضه بميل، وأسمع من مفكرتي[٦] له دَوِيَّ السيل، فلم أجد من يقرع لي مَرْوته[٧]، أو يصعد بي ذِروته، بل كان والدي رحمة الله عليه؛ يُقَرِّعْنِي بملامه؛ ويسمعني قارص كلامه، كلما رآني أعلّل به نفسي، ولو بعد فراغي من درسي، فلم تنصرف نفسي عنه، وأحبُّ شيء إلى

---

(١) أي تصير فرقاً وأقساماً.

(٢) المنخل اليشكري شاعر جاهلي من أصدقاء النابغة الذبياني وعاصر حاتم الطائي وعنترة وامرأ القيس وكان له قصص معهم.

(٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي أحد أشهر شعراء الجاهلية الذين منهم زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى وهو أحد أصحاب المعلقات السبع.

(٤) يريد تزيينه وتحسينه واختيار السهل من القوافي.

(٥) المحل ـ الجدب، التسمت الاتباع.

(٦) الأولى: من فكرتي أو قلبي.

(٧) الحجر.

الإنسان ما مُنع منه، ولم يكن عندي منه إلّا نُتَفٍ غير كافية، ونُبَذٍ غير شافية، ولا وافية، سوى بعض دواوين الحضارمة، ولكنَّ أكثرها حَميتُ منه[(١)]؛ وتركيبها منحط؛ لأنهم بالأغلب لا ينظرون في شعر قط، على ما لهم فيه من المذاهب الكريمة، والمعاني الجسيمة. وأقسم ما رأيت شاعراً على ضعف عربيته، وعاميّة لهجته، أخف روحاً، ولا أوفر فتوحاً، ولا أحسن شارة، ولا أبعد إشارة، ولا أجمع فنوناً؛ ولا ألطف جداً ومجوناً، ولا أصفى زجاجة، ولا أرقَّ ديباجة، ولا أسلم ذوقاً، ولا أكثر للمعاني سوقاً؛ ولا أقدر على تعبير؛ عن كل ما يسنح بالضمير؛ من جَدِّي المحسن؛ فإنه والله لكما قال أبو الطيّب[(٢)]:

تَفكُّرُهُ عِلْمٌ وسيرتهُ هُدًى وباطنهُ دِينٌ وظاهرُهُ ظَرْفُ

قلما ينشىء قصيدة؛ إلّا شكر وشكا، وضحك وبكى، وعلّم وأرشد، وأغور وأنْجد، وصوّب وصعّد، وقرب وَبعّد، ووعظ وأنْذرَ، ولاطف وبشّر وتصرف في السياسة، وأوضح طرق الرياسة وقد قال أبو العتاهية:

لا يُصلحُ النَّفس إذ كانت مصرّفةً إلّا التنقُّلُ من حالٍ إلى حال

وقال حبيب[(٣)]:

خذها مغرَّبةً في الأرض آنسةً بكّل معنى غريب حين تغتربُ
الجِدّ والهزل في توشيع لُحْمتها والنبل والسخف والأشجان والطرب

---

(١) ابتعدت عنه وأنفت وفي الأصل حميني.

(٢) أبو الطيب المتنبي، أحد أعظم شعراء العرب، له مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وهو شاعر حكيم وأحد مفاخر الشعر العربي وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب.

(٣) هو أبو تَمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري.

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المُرْسي:

تَنَقَّلْ فلذَّات الهوى في التنَقُّلِ ... وِردْ كل صاف لا تقف عند منهل

ويقرب منه في خفة الظلّ؛ والسلامة من الغلِ؛ وحلاوة الأسلوب؛ والأخذ بمجامع القلوب؛ سيدي أحمد بن محمد المحضار؛ وما ذاك إلّا لاطّراح التصنُّع؛ والسير بسوق الطبيعة؛ وقد قال أبو الطيب:

أفضل ما يُطلب النجاحُ به ... الطبْعُ وعند التعمق الزَّلَلُ

نعم؛ أفادني الشيخ محمد بن محمد باكثير في الشعر؛ جليل فوائد؛ وعادت عليَ مجالستي لسادن بيته؛ ومُوقد زيته؛ الوالد أبي بكر بن شهاب[١]؛ بجميل عوائد. فبمذاكرته انفتق فكري؛ فاستحقَّ شكري؛ فعلى أثَره جريت؛ ومن متحه فريت؛ وبعقب ذلك اتسع الخرق على الراقع؛ واستن الضليع والضالع[٢]؛ واختلط الحابل والنابل[٣]؛ وأخذ يعسِل[٤] في طريقنا الراكب والراجل. «والذئبُ يعسِل في طريق الضيغَمِ».

وقد جمعت ما اتفق لي من الأماديح في سادة الكون، ونشرته بالطبع راجياً بواسع جاههم من الله العون. وكذلك ما قلته سابقاً في حافظ ذمامهم؛ وقائم مقامهم؛ أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين؛ فقد أعلنته أستمطر رعده، وأستنجز وعده، وأنشدُه ذمامَه، وأذكّره كلامَه[٥].

---

(١) السيد أبو بكر بن شهاب، عالم موسوعيّ جامع مصلح وشاعر موهوب ولد في تريم بحضرموت سنة ١٢٦٢هـ، وتوفي في حيدرآباد الدكن بالهند سنة ١٣٤١هـ.

(٢) استنّ: جرى. الضليع: القوي والضالع ضده.

(٣) مثل يضرب في اضطراب الأمر.

(٤) عَسَل: مضى مسرعاً واضطرب في عدوه.

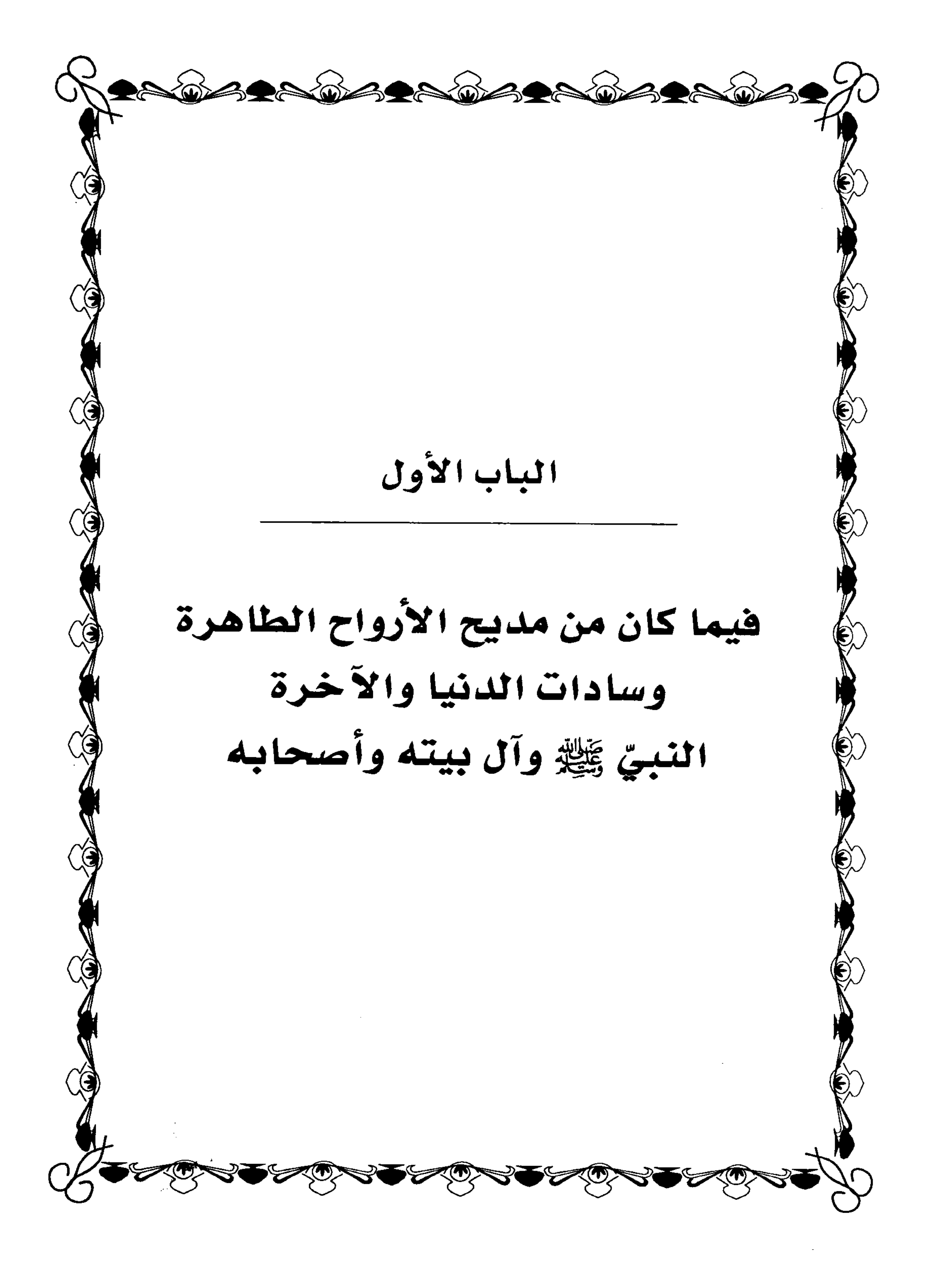
(٥) كان الإمام ابن عبيد الله قد تلقى وعداً من الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن بمساعدته في طرد الإنجليز عن حضرموت وجنوب اليمن واتصل ابن عبيد الله بالكثير من دويلات الجنوب وقبائلها وأعيانها لأجل تجميع القوى ضد الإنجليز ولكن سياسة الإمام يحيى =

وما بي خوف أن يَخيس بوعدِهِ   فحاشاه لكن أهنأ الخير عاجله

وقد وقع في طبع القسمين(١)؛ أخطاء بائنة، وأغلاط شائنة، تضطرنا إلى الاستئناف إنْ يسَّر الله ثانية. لا سيما وأن الطبعة الأولى فانية، وأما المراثي والنسيب؛ فقد جعلتها للإلهيات لدِة، وأفردتها بمجموعة على حدة. وما سوى ذلك اطّرحته، لخوف من المعائب إذا شرحته؛ حتى ألحَّ عليَّ بضم منتشره؛ ونظم منتثره؛ بعضُ من انحطَّ نظر الأكابر عليه، ورنت عيون أولياء الله إليه؛ فلبيت طلبه جازماً؛ ورأيت أمره لازماً، وقابلت حُكمه بالسمع، وكابدت من تفرُّق المسودات شدَّة في الجمع. وإني لأرجو من الله الإثابة، ومن الناظر دعوة مجابة؛ ولا شك أن ما تعلق بخير العرب؛ معدودٌ من جملة القرب؛ وقد جعلته في أبواب.

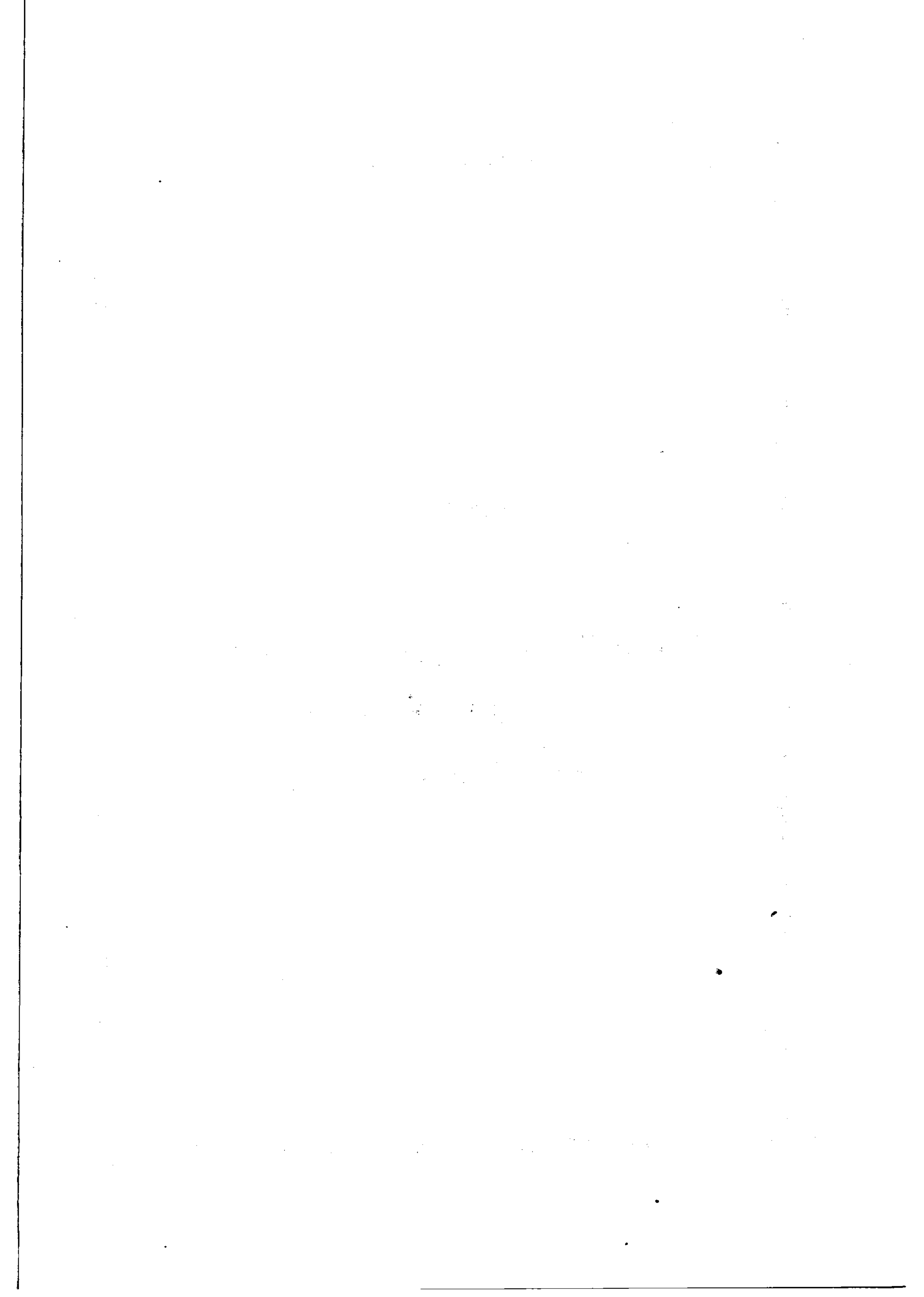
= تغيرت مع تغير ظروف الحرب بين تركيا ودول أوروبا فرأى أن من السياسة عدم الاستمرار في ذلك ونصح الإمام ابن عبيد الله بالتوقف عن هذا الأمر لخطورته كما كتب الإمام ابن عبيد الله ذلك بالتفصيل في كتابه المخطوط بضائع التابوت.

(١) لا أعرف شيئاً عن هذه الطبعة التي ذكرها الإمام وما أعرفه أن أول طبعة لكتابه هي التي تولاها ابنه الشاعر الأديب حسن والتي طبعت في رمضان من عام ١٣٧٨هـ أي بعد وفاة الإمام.



الباب الأول

فيما كان من مديح الأرواح الطاهرة
وسادات الدنيا والآخرة
النبيّ ﷺ وآل بيته وأصحابه



القصيدة الأولى[١]

لوالده وهو على فراش الموت

أنشأت هذه القصيدة في جمادى الأول سنة ١٣٢٤هـ وأنشدتها للوالد يرحمه الله؛ وهو على فراش الموت؛ فَسُرّ منها كثيراً؛ وقال: ما أحسَب أنَّ لي عندك هذا كله[٢]؛ واستهلَّت دموعه؛ وجاشت بلابله؛ وقال لي: لقد أوجبت، وأما الفراق فحاصل؛ واستودعني الله؛ ودعا لي بدعوات حرّا؛ وأوصاني وأجازني بما كان سيدنا الإمام الأبرّ؛ عيدروس بن عمر أوصاه؛ وأجازه به قبيل موته. وبما أنها في أيام الحداثة، ومع شغل البال؛ فقد عدنا عليها مع هذا بشيء من التنقيح:

أيـهـا الـبـحـرُ مـنـكَ تُـمْـلَـى الـدِّلاءُ ... مـاؤك الـعـذبُ لـلأنـام شـفـاءُ

أنـت سِـرُّ الـوجـودِ أوجـدك الـلَّـهُ ... ولا آدمٌ ولا حـــــوَاءُ

أنـــت لـــلأنـــبـــيـــاء أصـــلٌ ... وإن جـئـتَ أخـيـراً وكُـلُّـهـم أبْـنَـاءُ

طَـرِبَ الـكـونُ إذ وُلِـدتَ سـروراً ... بـعـد مـا بَـشَّـرَتْ بـك الأنـبـيـاءُ

---

(١) تشبه هذه القصيدة من ناحية غرضها وأسلوبها قصيدة البردة أو البرأة للإمام البوصيري والتي أنشأها مستشفعاً برسول الله في شفائه عندما أصابه الفالج ثم رأى البوصيري رسول الله ﷺ في المنام فمسح عليه وألقى عليه بردته فاستيقظ من نومه سليماً معافى وبلغت أبياتها ١٣٠ بيتاً وقسمها كما قسم الإمام ابن عبيد الله هنا قصيدته هذه والتي تشفع في نهايتها بالرسول ﷺ في شفاء أبيه من مرضه.

(٢) يشير إلى توسل الشاعر في آخر هذه القصيدة بالنبيّ ﷺ وبقصد شفاء والده من الداء العضال مما يدل على أنه بارّ شديد التعلق بأبيه.

واستنارَ الوجودُ إذ عَمّه الجُودُ وجَلَّت للعالَمِ النَّعماءُ[١]

وَرَمَتْ كُلَّ ماردٍ يَسْرق السمعَ بشُهْبٍ من النجومِ السماءُ[٢]

ورأى الفرسُ آيةً في انطفاء النّارِ والقصرُ مالَ منه البناءُ[٣]

وأضاءت من الجزيرة فيه ليلةٌ قبل وضعِهِ لَيْلاءُ[٤]

يا هلالاً تُضيءُ منه قصورُ الرّوم بالشام أطْلَعَتْه كَدَاءُ[٥]

مَولدٌ كان للأضاليل نَسْخاً هكذا يَنْسَخُ الظلامَ الضياءُ

جاءَ والشركُ يَمْلأُ الأرضَ جهلاً فتلاشَتْ بِهَدْيه الظَّلْماءُ[٦]

وَعَرى الكفرَ منه بَيْنٌ مُشِتٌّ وَبالٌ وَذِلَّةٌ وَبَلاءُ[٧]

مَحَت الجهلَ والجمودَ بنور العلمِ والعقل طَلعةٌ زَهراء

طَلْعَةٌ نورُها له البدرُ يَعْنو ما لإشراقها البديعِ انمِحاءُ[٨]

طَلْعَةٌ تَسْتَبي النُّهَى بجمال من جَلالٍ عليه يَضْفُو رداءُ[٩]

لا تَملّى من وَجهه العينُ إلّا رَجَعَتْ وهي من سَناً عَشْوَاءُ[١٠]

---

(١) جلّت النعماء: عظم قدرها.

(٢) مارد: شيطان خارج على الطاعة.

(٣) آية: أمراً عَجباً وعلامة على أن حدثاً عظيماً سيأتي. القصر: إيوان كسرى.

(٤) ليلة ليلاء: شديدة صعبة والمراد أنه في ليلة الوضع خرج نور عظيم أضاء الكون ليلاً فكانت ليلة غريبة.

(٥) كَداء: الثنية العليا بأعلى مكة.

(٦) تلاشي الشيء: ذهب واضمحلّ.

(٧) عراه: أصابه. البين: الفرقة والبعاد. مُشِتّ: مُفَرّق. الوبال: سوء العاقبة. البلاء: الغمّ والمصيبة.

(٨) يعنو: يخضع.

(٩) يقال: استبى العدو بمعنى أسره. يضفو: يتسع ويصير كاسياً.

(١٠) تملّى: أصله تتملّى أي تتمتع. السنا: الضوء. العشواء: التي لا تبصر ليلاً.

قَسَماتٌ من حُسْنِها تَتَجَلَّى آيةُ العِزِّ ما عليها غِطَاءُ[١]

قَسَماتٌ من تحتِها نَظَراتٌ طَيُّهن الحياةُ والأرزاءُ[٢]

نَظْرَةٌ تَنشُرُ الرُّفاتَ وأخرَى في الأعادي يطولُ منها الرِّثاءُ[٣]

وَدَّتْ الجنُّ حَضْنه وتَسَامَتْ لرَباه الملائكُ الأُمناءُ[٤]

رَامَ كُلٌّ بأنْ يكونَ لديهم ثاوِياً لا يُمَلّ منه الثَّواءُ[٥]

عَلِمُوا أنَّهُ يكونُ له شأنٌ عظيمٌ ورُتبةٌ قَعْساءُ[٦]

واستبانوا سِمَاتِه الغُرَّ لكنْ لم يُساعِدْهُمُ بذاكَ القَضاءُ[٧]

وَأَبَتْ مِنْ رَضاعِهِ كُلُّ ظِئْرٍ ليس إلّا لحِكمةٍ ذا الإباءُ[٨]

وأتتْ جَدَّهُ فتاةُ بَنِي سَعدٍ لِسِرٍّ به هُم سُعَداءُ

قَدَّمَتْها سعادَةُ الحَظِّ لمّا أخرَتْها أتانُها العَجْفاءُ[٩]

تَعِبَتْ في السُّرى فَخَلَّفَها القومُ طَليحاً وخانها الإعياءُ[١٠]

---

(١) القسمات: جوانب الوجه الجميلة. تتجلّى: تظهر. الآية هنا: العلامة.

(٢) الأرزاء: المصائب. يُعرف من وجه النبيّ ﷺ الخير والحياة لمن أطاع وآمن. والوعيد والعقاب لمن عصى وكفر.

(٣) الرفات: الجسم المتفتت، وتنشره: تحييه. الرثاء: البكاء على الميت.

(٤) حضن الصبي حَضْناً: جعله في حَضْنه وربَّاه. ربا الصغير ربَاء: نشأ.

(٥) رام: أراد. ثاوياً: مقيماً: لا يُمَلّ منه الثواء: يحبون إقامته بينهم.

(٦) قعساء: ثابتة.

(٧) استبان الأمر: تأمله حتى يتبين له: السمات: العلامات. الغرّ: الجميلة. لم يقدّر الله أن يكل إليهم تربيته.

(٨) أبى الشيء إباء: كرهه وامتنع منه. الظئر: المرضع.

(٩) الأتان: الأنثى من الحمير. العجفاء: الهزيلة.

(١٠) السرى: السير ليلاً. الطّلِيح: المهزول. الإعياء: التعب.

وَاستُطيرَتْ مَعَ الرجوعِ وصارتْ ... لا تُجارَى كأَنَّها العَضْباء[١]

لَحَظَتْها عِنَايةُ اللّهِ فانْزا ... حَ شَقاها وزالَ عنها العَناء

بُورِكَتْ أَرْضُها وَدَرَّت لَدَيْها ... شائِلٌ أرضُ رَعْيِها جَدْباءُ[٢]

وَرَأَتْ من خوارِق العادِ شيئاً ... يَبْهَرُ العقلَ ما لَهُ إحْصاءُ[٣]

وأطالَ النبيُّ عند بني سعد ... مُقاماً فغارَتِ البَطْحاءُ[٤]

وَلَدَيْهِمْ ملائك الله شَقَّتْ ... صَدْرَه حَسْبَما رَوَى العُلَماءُ

وَحَشَوْا قَلْبَهُ الشريفَ بِنُورٍ ... لاحَ مِنه السَّنا وَشِيمَ السَّناءُ[٥]

وَرَأَتْ منهُ صِبْيَةُ الحيِّ هَوْلاً ... يَنْثَني مِنْ أَقَلِّه الأَقْوياءُ[٦]

لَيْتَ شِعْرِي ما الخَطْبُ في حينَ جاءوا ... أُخْتَ سَعْدٍ وَكُلُّهُمْ ضُعفاءُ[٧]

حِكْمَةُ اللّهِ للكرامِ امْتِحانٌ ... حيث كانوا وَلِلِئام الرَّخاءُ[٨]

ثُمَّ رَدَّتْهُ ظِئْرُهُ حينَ خافَتْ ... أنْ يَنالَ اغتيالَهُ الأعداءُ[٩]

ولقد شَفَّها نَواه وأضنا ... ها جَواهُ وَما أَلاها البُكاءُ[١٠]

---

(١) استُطيرت: أسرعت الجري. العضباء: مشقوقة الأذن. وكانت ناقة النبي ﷺ تلقَّبُ بالعضباء لنجابتها لا لشق أذنها.

(٢) الشائل: الناقة التي جفت لبنها فشال ضرعها.

(٣) يبهر العقل: يعجبه ويدهشه. خوارق العاد: ما لم تجر العادة به.

(٤) المُقام: المسكن والإقامة. البطحاء: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى، ومنه بطحاء مكة.

(٥) السنا: الضوء والسناء الرفعة. شام الشيء: قدَّره وانتظره.

(٦) الهول: ما يخيف، يريد شجاعة النبي ﷺ وهو طفل. ينثني الأقوياء من العمل: يعدلون عنه.

(٧) ليت شعري: الشعر: العلم أي ليتني أعرف، والخطب: الأمر العظيم يستعمل في الشر وفي الخير.

(٨) امتحن: اختبر.الرخاء: هنا الإملاء والإمهال يريد: الله يبتلي عباده المؤمنين ليختبرهم ويملي ويؤخر العذاب للعاصين ثم يأخذهم بعقابه.

(٩) الظئر: المرضع. الاغتيال: الإهلاك.

(١٠) النوى: البعد. وشفها النوى: أنحلها وأضناها. الجوى: الحرقة وشدة الوجد. ما ألاها: ما ابتعد عنها وما فارقها.

وَانْـتَـوَتْ أُمَّـةُ الـمَـدِيـنـةَ يَـسْـرِي قَبْلَهُ في الجَنُوب مِنهُ الكباء[١]

وأتـاهـا مـن الـمَـنُـونِ مَـعَ الـعَـوْدِ رَسُـولٌ فَـضَـمَّـهـا الأَبْـواء[٢]

فَـحَـنـا جَـدهُ عـلـيـه وَمِـنْ قـبـلُ دعـا الـلّـهَ فاسْتُجيب الدُّعـاءُ[٣]

ذلك السيدُ الذي اسْتَجْهرَ الناسَ ودانـتْ لِـفَـضْـلِـهِ الكُـبَـرَاءُ[٤]

ثُـمَّ أَوْصـىَ بـه إلى المـاجـد القَرْم أبـي طـالـبٍ عَـدَاهُ الـشَّـقـاءُ[٥]

فَـتَـوَلَّاهُ بـالـعـنـايـةِ والـلُّـطـفِ وحـقٌّ لـه بـذاك الـنَّـجَـاء[٦]

كـلـمـا نـامَ طِـيـلَـةَ الـحَـصْـرِ يـفـديـه بـأبـنـائـهِ وصـحَّ الـفِـداءُ[٧]

وانـتَـحَـى بـالـنـبـيِّ بُـصْـرَى فـأضْـحَـى فَـحَـمَـتْـهُ الـغـمـامَـة الـوَطْـفـاءُ[٨]

وَوَقَـتـه الـهَـجـيـرُ وهـو صـغـيـرٌ ذَكَـرَتْ ذاكَ أُخـتـهُ الـشَّـيْـمـاءُ[٩]

وَإذا الـظِّـلُّ ضـاقَ عـنـه لـسَـبْـق الـقـوم مـالَـتْ تُـظِـلُّـه الأفـيـاءُ[١٠]

---

(١) الكباء: عود البخور. يسري في الجنوب أي في ريح الجنوب.

(٢) المنون: الموت. العَوْد: الرجوع من المدينة. الرسول: ملك الموت. الأبواء قرية بين مكة والمدينة. المعنى أن السيدة آمنة أم النبي ﷺ ماتت بالأبواء وهي عائدة من عند أخواله بالمدينة.

(٣) جنا: عطف. جده: يقصد عبد المطلب أي هو الذي رعى النبيّ وكفله.

(٤) دانت: خضعت. استجهر الناس: جمعهم.

(٥) القرم من الرجال: السيد المعظم. وعداه: يعد عنه.

(٦) النجاء: الخلاص. يريد الشاعر: النجاة من العذاب يوم القيامة.

(٧) الحصر: التضييق. يريد حصر النبيّ ﷺ في شعب أبي طالب وحماية عمه له.

(٨) الوطفاء من السحب: التي تدلّت ذيولها لكثرة مائها. في السنة التاسعة من عمر النبيّ سافر إلى الشام السفرة الأولى مع عمه أبي طالب فلما نزل الركب بُصرى واشتدت الشمس جاءت غمامة أظلته وحمته من حرارة الشمس.

(٩) الهجير: شدة الحرّ. الشيماء: بنت حليمة السعدية أخت النبيّ من الرضاع رأت غمامة تقيه الهجير ﷺ.

(١٠) الفيء: ما كان شمساً فنسخه الظل.

واجْتَلى منهُ كاهنُ الشامِ سِراً ... ما به عن أولي العُقولِ خَفاءُ[١]

مَنْظَرٌ نَمَّ بالحقائق حَتَّى ... كاد يُغْنِي عن الدليل الرُّواءُ[٢]

قال رُدُّوه لا تراهُ الأعادِي ... إنَّهم في ضلالِهِمْ أشْقياءُ[٣]

ثُمَّ هامَتْ بِه خَديجة لَمّا ... وفّر المالَ بيعُهُ والشِّراءُ[٤]

وَرَجَتْ من أشائر اليُمْن فيه ... للحياتَيْنِ أنْ يَدُومَ العَلاءُ[٥]

واقْتَضَى الحزمُ أنها خَطَبَتْه ... واطّباها جمالُه الوَضَّاءُ[٦]

رَغِبَتْ في الفلاحِ واللّهُ يَهدي ... لِلْهُدَى مِنْ عِبادِه مَنْ يشاءُ

---

(١) اجتلى الشيء: نظر إليه وعرفه. نمّ بالحقائق: أظهرها. الرُّواء بضم الراء: حسن المنظر. لما سافر النبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ومرّ ببصرى رآه الراهب بحيرى فجعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده وسأله عن أشياء في نومه وهيئته وأموره فأخبره، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه. فقال بحيرى لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود؛ كأن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

(٢) اجتلى الشيء: نظر إليه وعرفه. نمّ بالحقائق: أظهرها. الرُّواء بضم الراء: حسن المنظر. لما سافر النبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ومرّ ببصرى رآه الراهب بحيرى فجعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده وسأله عن أشياء في نومه وهيئته وأموره فأخبره، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه. فقال بحيرى لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود؛ كأن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

(٣) اجتلى الشيء: نظر إليه وعرفه. نمّ بالحقائق: أظهرها. الرُّواء بضم الراء: حسن المنظر. لما سافر النبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ومرّ ببصرى رآه الراهب بحيرى فجعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده وسأله عن أشياء في نومه وهيئته وأموره فأخبره، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه. فقال بحيرى لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود؛ كأن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

(٤) هامت به خديجة: تعلقت به ورغبت في الزواج منه لأمانته وصدقه ولما أخبرها به غلامها ميسرة من مقابلة الكاهن له والبشارة برسالته وقد أحست في قلبها بما سيكون له من شأن عظيم. في هذه السفرة إلى الشام مع غلامها ربحت تجارتها ربحاً عظيماً.

(٥) اليمن: البركة. الأشاير: العلامات. والحياتان: الدنيا والآخرة.

(٦) الحزم: العقل وحسن التصرف، اطباها: دعاها.

واسْتَمَرَّ النبيُّ فَوْقَ مِهاد العِزِّ ... يَزْدادُ حُسْنُهُ والبَهاءُ[١]
كُلَّ يوم يَزيدُ نُوراً وطُهْراً ... وَصِقالاً وما هناك صَدَاءُ[٢]
دَأْبُهُ في حِرَا التَّحَنُّثُ للَّه ... حَنِيفاً إذا لَها القُرُناءُ[٣]
لَمْ يَزَلْ شَأْنُهُ كَذلك حتَّى ... جَاءَهُ الوَحْيُ فاسْتَتَمَّ الهَنَاءُ
غَطَّهُ الرُّوحُ ثم قالَ لَه اقْرَأ ... وَعَرتَهُ مِنْ غَطِّهِ العُرَوَاءُ[٤]
واسْتجَابَتْ لَهُ خَدِيَجةُ والثاني ... أَخُوه الصحيحُ مِنْهُ الإخَاءُ[٥]
فَعَتِيقٌ كذا بِلالٌ وَزَيْدٌ ... فَهُمُ السابقون والأَتْقِياءُ[٦]
وَاقْتَفَى إثْرَهُمْ فِئامٌ مِنَ الخَلْقِ ... كرامٌ وسادةٌ نُجَبَاءُ[٧]
وَتَسنَّى بِحَمْزَةَ الشَّهْمِ والفاروق ... بعد التَّكَتُّمِ الاعْتِلَاءُ[٨]
بَعْدَ أَنْ صالتِ العُدَاةُ وطالتْ ... وتوالَى مِنْهُمْ عليه اعْتِداءُ[٩]
حَيْثُما سارَ للسعادةِ يَدْعُو ... يَتَلَقَّاهُ منهمُ الإيذَاءُ[١٠]

---

(١) المهاد: الفراش.
(٢) الصقال: الجلاء. صدأ الحديد: وسخه. والمعنى أن الرسول ﷺ كان يزداد مع الأيام عقلاً ورأياً وذكاء وجمال أخلاق. والمؤلف مدّ همزة صدأ فقال: صداء.
(٣) دأبه: عادته. التحنث العبادة. يقصد بحرا غار حراء. حنيفاً: مائلاً إلى الحق.
(٤) غطّه: أصل معناه: غطّسه في الماء ثم استعمل بمعنى حبس النَّفَس، وفي سيرة ابن هشام عَتّه بالتاء أي حبس نفَسه. والروح والوحي هو جبريل. عرته: أصابته. العرواء: رعدة الحمى.
(٥) يريد الشاعر بأخيه الصحيح منه الإخاء: سيدنا علي بن أبي طالب.
(٦) عتيق: لقب أبي بكر الصديق. زيد بن حارثة صاحب رسول الله ومولاه.
(٧) الفئام: الجماعة من الناس.
(٨) تسنَّى: تيسَّرَ وتسهَّل. جهر الرسول الكريم بالدعوة وعاونه الصحابة بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فاعتلوا على المشركين.
(٩) صال عليه: وثب وسطا عليه. طالوا: تعاظموا. يريد أن قريشاً آذت النبيّ ﷺ. ومن العجب أن يريد لهم السعادة ويتلقى منهم الاعتداء.
(١٠) صال عليه: وثب وسطا عليه. طالوا: تعاظموا. يريد أن قريشاً آذت النبيّ ﷺ ومن العجب أن يريد لهم السعادة ويتلقى منهم الاعتداء.

أَهْلُ نَصْفٍ أولُو الأباطِحِ إلّا ... معَ خَيْرِ الْوَرَى فَهُمْ سُفهَاءُ[1]
نَابَذُوهُ وَتابعين لِكَيْما ... يَفْتِنُوه فخابَ ذاكَ الرَّجاءُ[2]
صِدْقُ دِينٍ به حَلَا المُرُّ في الله ... لَدَيْهِمْ وهمّةٌ شَمّاءُ[3]
ثُمَّ أَسْرى عَلى البرَاقِ وكَمْ ضَمّ ... مِنَ الآيِ ذَلِكَ الإِسْراءُ[4]
قَطَعَ البَيدَ والطباقَ عَلاها ... وانجَلَى عند وَصْفِهِ إيلياءُ[5]
جاء بالمُعْجِزِ المُبينِ فما لِلشّكِّ ... في قلبِ مَنْ تلاهُ بَقاءُ[6]
وَانتفَى الرَّيبُ عن قلوبِ الأعادي ... فيهِ لكنّما الشقاءُ عَيَاءُ[7]

---

(١) النَّصف. اسم بمعنى الإنصاف. أولو الأباطح: يريد سكان مكة وما حولها من منخفض الأرض.

(٢) نابذ الرجل صاحبه: خالفه وفارقه عن عداوة وكراهة. فتن فلاناً: أوقعه في الفتنة ومن معاني الفتنة الضلال والإثم.

(٣) الهمة الشماء: العالية. يريد أن الذي حفظ النبيّ وأصحابه وجعلهم يتحملون الأذى هو إخلاصهم لله وللدين واعتقادهم أنهم على حق.

(٤) إسراء النبيّ: توجهه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس ورجوعه من ليلته. البُراق: دابة تركبها الرُسل وقد ركبها محمد ﷺ. الآي: جمع آية وهي هنا المعجزة الدالة على قدرة الله. الطّباق: جمع طَبَق. وكل سماء كالطبق للأخرى يريد أن البراق صعد بالنبيّ إلى السماء ليلة الإسراء ويسمى هذا الصعود المعراج ولما عاد أخبر بذلك قريشاً فلم يصدقوه وسألوه عن وصف بيت المقدس (إيلياء) فوصفه وصفاً دقيقاً صادقاً فكان موضع العجب.

(٥) إسراء النبيّ: توجهه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس ورجوعه من ليلته. البُراق: دابة تركبها الرُسل وقد ركبها محمد ﷺ. الآي: جمع آية وهي هنا المعجزة الدالة على قدرة الله. الطّباق: جمع طَبَق. وكل سماء كالطبق للأخرى يريد أن البراق صعد بالنبيّ إلى السماء ليلة الإسراء ويسمى هذا الصعود المعراج ولما عاد أخبر بذلك قريشاً فلم يصدقوه وسألوه عن وصف بيت المقدس (إيلياء) فوصفه وصفاً دقيقاً صادقاً فكان موضع العجب.

(٦) يقصد بالمعجز القرآن الكريم الذي أعجز العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه. ومن تلاه وعرف بلاغته سلّم بذلك.

(٧) الريب: الشك: مرض عياء: لا دواء له.

قابَلُوا بالجحودِ بَغياً وَظُلماً ... ما رَأَوْا أَنَّهُ الهُدَى وأَساءوا[١]

فأراد النبيُّ طَيْبَةَ لمّا ... زادَ من قومه عليه البَذاءُ[٢]

نَغِلَتْ منهمُ القلوبُ عليه ... واسْتَحَرَّ الأَذى وفاضَ الجَفاءُ[٣]

وانتَدَوْا يَرْتأونَ فيه وَضَلَّتْ ... منهمُ يومَ ذلكَ الآراءُ[٤]

وأَرادُوا أَنْ يُطِفئوا شَمْسَ فَضْل ... بَارِحَ الحقُّ مِنْ سَنَاها الخفاءُ[٥]

وَحَموهُ الخروجَ فانسابَ يَحْثُو التـ ... ـربَ من فَوْقِهِم وَهُمْ أَغْبِياءُ[٦]

وانتَحَى الغارَ ماشِياً وَأَبُو بَكْرٍ ... وجبريلُ حَوْلَه رُفَقاءُ[٧]

وعلى فَرشِهِ عَلَيٌّ تَسَجَّى ... هكذا هكذا يكونُ الوَفاءُ[٨]

ثم سارُوا إلى المدينةِ واللُّطفُ ... الإلهيُّ سِتْرُهُمْ والوِقاءُ[٩]

واقتفَوْا إثرهُ وفي كلِّ وجهٍ ... حاولوا قَتْلَهُ وبالضَّيْمِ باءوا[١٠]

وازدَهَتْ للنبيِّ طابةُ ... والأنصارُ والسابقون والنُّقَبَاءُ[١١]

---

(١) الجحود: إنكار الشيء مع العلم به.

(٢) البذاء: السفاهة: أراد طيبة: هاجر إلى المدينة.

(٣) نَغِلت: فسدت. استحرّ: اشتدّ

(٤) انتدوا: اجتمعوا بدار الندرة. يرتؤون فيه: يدبّرون لهم أمراً.

(٥) بارح الحَقَّ من سناها الخفاء: ذهب الخفاء عن نور الحق فظهر. والعرب تقول: بَرِح الخفاء إذا وضح الأمر.

(٦) حموه: منعوه. حثا التراب عليه. وفي وجهه: قبضه ورماه به.

(٧) انتحى الغار: قصده.

(٨) تسجى: تغطى بالثوب.

(٩) الوفاء: الحفظ. اللطف الإلهي: كرم الله وعنايته وتوفيقه.

(١٠) اقتفى أثره: تبعه. باؤوا بالضيم: رجعوا مقهورين.

(١١) الزهو: التّيه. وازدهت: استعدت وفرحت بقدوم النبيّ. طابة: اسم من أسماء المدينة المنورة. استقبله الأنصار والسابقون من المهاجرين والنقباء الذين جعلهم النبيّ حين البيعة في مكة رؤساء على جماعتهم في تبليغ الإسلام لأهل المدينة.

كُلَّ يومٍ يَضْحُون في الشمس شوقاً ... لـلـمُـهَـدَّى حتـى أُتيـحَ الـلِّـقـاءُ[١]

مُلْتَقًى عمَّ خيرُه الكونَ واختصَّ ... بـأَسْنَـا الحظوظِ مِنـه قبـاءُ[٢]

طَيْبةٌ منـه أَينَعَتْ بـالمعالي ... كيـف لَا والـزُّلال فيـهـا رِوَاءُ[٣]

ليت شِعْري والقلبُ فيه ... من الشَّوْقِ إلى هذه الرُّبا رَمضاءُ[٤]

هل لِعينٍ رَمْداءَ من حُرْقَةِ ... البَيْنِ بِلَمْحِ العَقيقِ يوماً شِفاءُ[٥]

أو لِجِسْمٍ أَذابَهُ الحُبُّ والوَجْدُ ... فلَـم يَـبْـقَ مـنـه إلَّا ذَمـاءُ[٦]

وَقْفَةٌ في حِمَى النبيِّ لِرُوحي ... من نَسيم القَبولِ فيها غِذاءُ[٧]

فمتى تقطعُ الفَدافدَ بي وَجْناءُ ... كـالنُّونِ ضامرٌ قَنْوَاءُ[٨]

تَخْبِطُ الدَّوَّ والسَّرابَ وتَجْرِي ... في الفَيَافِي كأنها الهَوْجَاءُ[٩]

---

(١) ضحوا في الشمس: تعرضوا لحرها. المهدي: مقدم الهدايا يريد السعادة إلى الإسلام. أتيح اللقاء: تهيَّأ

(٢) أسنى: أرفع. قباء: أول مكان نزل فيه الرسول قرب المدينة وأسس به مسجد قباء.

(٣) أينع الثمر: أدرك وطاب. الزلال: العذب السريع المرور في الحلق. ماء رواء كثير مُرْوٍ. يريد أن القلب فيه حرارة واشتياق لهذه الربوع الشريفة.

(٤) يقصد وادي العقيق قرب المدينة: يتمنى الشاعر أن يرى مدينة الرسول ويعبر عن ذلك بأن عينه مصابة بالرمد بسبب البعاد ولا يشفيها إلّا رؤية هذه البقاع الطاهرة.

(٥) الذَّماء: بقية الروح في المذبوح: الشاعر يتفنّن في التعبير عن تعلقه بزيارة المدينة.

(٦) الحمى: ما يدافع عنه ويحفظ. فإذا قدر للشاعر أن يزور النبيّ ويقف في حماه فإنه سيحظى بمدد روحي كالنسيم المنعش فيه غذاء وراحة.

(٧) الفدفد: الفلاة لا شيء فيها.

(٨) الوجناء: الناقة الشديدة الصلبة. النون: من أسماء الحوت يريد هي في الصحراء تسير كالحوت في البحر. الضامر: القليلة اللحم فتكون خفيفة في السير. الأقنى منتصب الأنف محدود به والأنثى قنواء.

(٩) الدوّ: الفقر. السراب: ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء وليس بماء. يريد الشاعر تسير الناقة سيراً شديداً في الفيافي والصحاري حتى في أوقات الشمس والحر التي يظهر فيها السراب. كأنها الهوجاء المجنونة من سرعة السير.

وَمَتَى تَجْتَلِي عُيُونِي المُصلّى | فاجتِلَاها للقلب نعمَ الجِلاءُ(١)
وأرى النَّخْلَ والحَدائقَ والأَثْلَ | بَهيجاً تجُودُه الزَّرْقاءُ(٢)
والثنايا تَفْتَرُّ نَحْوي وتزوّ | ر عن الهجر والحفا الزَّوْرَاءُ(٣)
وتلوحُ الديارُ للوالهِ الصَّبّ | صَباحاً والقُبَّةُ الخَضْراءُ(٤)
حيثُ سِرُّ المليكِ يظهر والغُفْـ | ـرانُ يهمي ويَستفيضُ العَطاءُ(٥)
حيثُ وحيُ الإلهِ يَنْزِلُ والحاجاتُ | تُقْضَى وتُكْشَفُ الغَمَّاءُ(٦)
بُقعَةٌ شاءت البقاعَ فما أرضٌ | تُوازِي ولا تُسامِي سَمَاءُ(٧)
يا شفَيع الأنامِ يا مَنْ إليه | يومَ تستعجمُ الوفودُ اللواءُ(٨)
يا غِياثَ الطَّريد والحِصْنُ والكهفُ | من البُؤسِ لي إليكَ التِجاءُ(٩)
يا ثِمالَ اليتيمِ يا غيثَ ذي الجَدْ | ب الذي تستَميحُهُ الأنواءُ(١٠)

---

(١) اجتلى: الشيء نظر إليه. الجلاء بكسر الجيم الكحل.
(٢) تجوده الزرقاء: ينزل عليه المطر فيورق ويخضرّ.
(٣) الزوراء: الناقة المعدة للسفر. الثنايا تفتر: يبين منها الضحك يريد السرور وحسن اللقاء. تزوّر: تبتعد وتنحرف. وبين تزوّر والزوراء جناس. والحفا: المشي أو رقة الحافر من المشي.
(٤) الواله الصب: الذي استبدّ به العشق. القبة الخضراء: التي فوق القبر الشريف.
(٥) همى الماء: سال. الغَمَّاء: الداهية والضرر. معنى البيتين أن الأماكن المطهرة التي بها النبيّ ﷺ فيها سر الإله من وحي وخير وتجلّ على العباد وقضاء الحاجات وكشف الكرب.
(٦) همى الماء: سال. الغَمَّاء: الداهية والضرر. معنى البيتين أن الأماكن المطهرة التي بها النبيّ ﷺ فيها سر الإله من وحي وخير وتحلّ على العباد وقضاء الحاجات وكشف الكرب.
(٧) شاءت البقاع: غلبتها في الفضل فارضها وسماؤها مفضلة لوجود النبيّ فيها.
(٨) استعجم الرجل: سكت عجزاً. وفد: قدم: ورد أن النبيّ ﷺ يحمل اللواء يوم القيامة وتتبعه أمته.
(٩) الطريد: المطرود والهارب. الحصن والكهف: الملجأ والملاذ. يستعين بالرسول الكريم على ما سيذكره بعد.
(١٠) الثمال: الغياث الذي يقوم بالأمر ويقضي الحاجة. النوء: هنا المطر الذي يضرب به المثل في كثرة العطاء ليستمد منه.

يـا افْـتـقـارِي أَدعـوكَ مـولايَ يـا مَـنْ لا يـنَـالُ الـجـمـيـلَ مـنـه الـثـنـاءُ[١]

وَبِـعـلْـيـاك أَسـتَـغِـيـثُ لـضُـرٌّ بِـأَبِـي مِـنْ مَـسـاسـه الـبُـرحَـاءُ[٢]

عِـلَّـةٌ أوسَـعَـتْـهُ سـقْـمـاً وضـعـفـاً نَـفِـدَ الـطـبُّ عـنـدهـا والإسـاءُ[٣]

لـيـسَ إلّا نـدَاكَ يُـبـرِيـهِ مـمـا مَـسَّـهُ فَـهْـو لـلـسـقـامِ دَوَاءُ[٤]

آسِـهِ سَـيِّـدي بِـحُـسـنِ افْـتِـقـادٍ إنَّ قـلـبـي لـمـا اعْـتَـرَاهُ هَـواءُ[٥]

وتَـوَسَّـلْ إلـى إلـهِـك يَـفْـدِ يـهِ ويَـشْـفِـيـه كـي يـزولَ الـعـنَـاءُ[٦]

فـإلـى نُـصْـحِـه الـصـريـحِ وإحـيـا ءِ الـصـحـيـحِ بـه الـوَرَى فُـقَـراءُ[٧]

وافـتـقِـدْنـا فَـفـي الـقـلـوبِ إلـى جَـد واكَ يـا واسـعَ الـعـطَـا حَـوْجـاءُ[٨]

وعـلـيـكَ الـصـلاةُ فـي كـلِّ آنٍ والـتـحـيـاتُ مـا لـهـنّ انْـتِـهـاءُ[٩]

---

(١) الجميل: الإحسان والمعروف. يا هنا للتنبيه. وترتيب الكلام: يا مولاي أدعوك لشدة حاجتي إليك وأنت فوق الثناء إذ إن جميلك لا تستطيع الألفاظ أن تحصي مداه أو تحصر مقداره.

(٢) الضر: المرض. البُرحَاء: شدة الأذى والمشقة. يستغيث الشاعر بجاه النبيّ ليتجلى على أبيه بالشفاء من مرض أسقمه.

(٣) الإساء: الأطباء. يريد: لم يفلح الطب والأطباء في علاج أبيه.

(٤) الندى: الكرم والعطف. أبرأ المريض يُبرئه: شفاه. وسهلت الهمزة فصارت ياء.

(٥) آسه: عالجه. افتقده: سأل عنه واهتم به. اعتراه: أصابه وحلّ به. قلبه هواء: أي ذهب عقله من شدة شغله بمرض أبيه قال تعالى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي لا عقول لهم.

(٦) توسل إلى الله بوسيلة: اتجه إليه بالرجاء فإنك مقبول الدعاء. فدى الرجل الأسير استنقذه بمال. وفداه الله قبل منه الفدية ثم عفا عنه.

(٧) الناس محتاجون إلى حكمة والده ونصحه الخالص ثم هو محدث يحيى صحيح الحديث الشريف بالرواية.

(٨) افتقدناه: لا تخلنا من تجلياتك علينا؛ فنحن في أشد الحاجة إلى جدواك يا رسول الله.

(٩) الشاعر يصلي ويسلم على النبيّ صلاة دائمة وسلاماً دائماً أيضاً بدوام انتقال الرياح منه ﷺ إلينا بالريحان الطيب.

وشريفُ السلامِ ما أهدت الريحانَ ... عنكم لأرضنا النَّكْبَاءُ[1]

وعلى صَحْبِكَ الذين وَفَوْا بالعـ ... ـهدِ لَمَّا اكْفَهَرَّتِ الأَهْواءُ[2]

وعلى آلكَ النجومِ اللواتي ... في الديَّاجِي بها لنا الأهْتِدَاءُ[3]

وعلى بِنْتِكَ البتَولِ وَمَنْ ضَمَّ ... على الطُّهْر والعفَافِ الكِساءُ[4]

ولِأزواجِكَ التحيّاتُ تَتْرَى ... كلّما عاقَبَ الصباحَ المساءُ[5]

سِيَّمَا أمُّ قاسمٍ والْحُمَيْرَ الـ ... لاءِ لم تَلْقَ مِثْلَهُنَّ النِّساءُ[6]

وبهم منك نرتجي فضلَ عفوٍ ... يَنْمَحِي منه يا إِلهي الخطاءُ

ويتمُّ المرادُ دِيناً ودُنيا ... في سرورٍ وَتَبْرُدُ الأحشاءُ[7]

هذه حاجتي وما لِي طريقٌ ... قَطُّ إلّا مديحهُم والوَلاءُ[8]

* * *

---

(1) الشاعر يصلي ويسلم على النبيّ صلاة دائمة وسلاماً دائماً أيضاً بدوام انتقال الرياح منه ﷺ إلينا بالريحان الطيب.

(2) اكفهرّ السحاب تراكم واسودّ. أصحاب النبيّ كانوا على عهده وعلى ما سنّه إليهم وعلمهم لما اضطربت الآراء فهداهم الله إلى الطريقة المثلى.

(3) الدياجي: الظلمات. وآل النبيّ هداة الأنام.

(4) البتول: المنقطعة للعبادة. يطلق أصحاب الكساء على عليّ وفاطمة وابنيهما.

(5) تترى: أصلها وترى بمعنى واحد بعد واحد.

(6) أم قاسم: السيدة خديجة زوج النبيّ، والحميرا: السيدة عائشة بنت أبي بكر.

(7) تبرد الأحشاء: كناية عن هدوء النفس واطمئنانها.

(8) الولاء: القرب والمحبة.

القصيدة الثانية

يا نبيَّ الهدى

يـا نَـبـيَّ الـهُـدَى إلـيـك الْـتِـجـائـي	أنـت حـصـنـي مـن الـعـنَـا والـبَـلاءِ
أطَّ ظـهـري بِـعِـبْـئِـهِ وتـلاشـى	كـنْـزُ صـبـري وضـاقَ صـدري بـدائـي[1]
طـالـمـا رُمـتُ فـي الـمـسـاعـي نـجـاحـاً	وَهـوَ عَـنّـي بِـنَـجْـوَةٍ فـي الـثّـواءِ[2]
شـفَّ جـسـمـي وَبَـتَّ حـبـلَ سـروري	داءُ وَجْـدٍ عَـرَا فـأَعـيـا إسـائـي[3]
ضِـقْـتُ ذَرْعـاً بـمـا لَـقِـيـتُ فـجـسـمـي	فـي شـحُـوُبٍ مـمـا تُـكِـنُّ حَـشـائـي[4]
بـيـن ضِـيـقٍ وَحَـيْـرةٍ وَقـعـت بـي	رِجْـلُ حَـظّـي فـأظـلـمـتْ آرائـي[5]
يـا حـبـيـبـي ويـا طـبـيـبَ سـقَـامـي	لـيـس إلّا نَـداك فـيـه شِـفـائـي[6]
فَـعَـسَـى فـي الـمـنـامِ طـيـفُ خـيـالٍ	مـنـكَ يَـفْـرِي ضـرايَ بـالـسَّـراءِ[7]

(١) أطّ الرحل صوت: والظهر حدث له صوت عند انكساره. العبء: الحمل. تلاشى: ذهب

(٢) بنجوة: بعيد بمعزل عنه. أي النجاح بعيد عنه.

(٣) شفَّ الجسم: نحل. بت الحبل: قطعه. الوجد هنا: الحب والتعلق الشديد بذات الرسول الكريم، إنه الذي فعل به كل ذلك. الإساء: الأطباء.

(٤) ضاق بالأمر ذرعاً: لم يقدر عليه تُكِنّ: تستر. الحشا: ما في البطن من الكَرِش والأمعاء. والحشاء مد للمقصور. كناية عن تعب نفسه.

(٥) إنه يصور قلقه إذ لا يجد مخرجاً مما هو فيه من عناء.

(٦) لقد وجد المخرج مما هو فيه من تعب بالالتجاء إلى الرسول الأكرم.

(٧) فرى الرجل الشيء قطعه. الضراء ضد السراء. يريد أنه يأمل رؤية النبيّ في المنام فتقطع ما فيه من ألم وتحوله إلى سرور. وضراء مقصور من ضراء.

أو قُدومٌ إلى المدينة ذاتِ الفـ خروالذُّخْرِ والبهَا والضياءِ(١)

والنخيلِ البهيجِ والأثْلِ والبا نِ ووادِي العقيقِ زَيْنِ الرُّواء(٢)

بلدةٌ فَوقَها عودٌ من النور مضيءٌ إلى عَنان السماء(٣)

ليس بِدْعاً وفي ثَراها نَبِيٌّ من سنَاه استَمَدَّ قُرصُ ذُكاء(٤)

وَجَديرٌ بأن يَذوبَ اشتياقاً كُلُّ قلب للقُبَّةِ الخضراء(٥)

قَصَرَ الدهرُ من خُطايَ وطالت فيه وَاحسرتا ذيولُ خَطائي(٦)

وثناني الهوى وَرَغْيُ الأماني عن مَراقي العلى وعما ورائي(٧)

غيرَ أني عَلِقت في جاه طه بحبال وَثيقةٍ من رجاء(٨)

ورفعتُ اليدين صِفْراً إلى اللّـ ـه به في توسُّلي ودُعائي(٩)

باكيَ العينِ ضارعَ الخدِّ أُدْلِي بانتسابٍ وخدمةٍ وَوَلاءِ(١٠)

---

(١) الذخر: ما يحتفظ به لوقت الحاجة..

(٢) البها: الحسن. يأمل أكثر من طيف الخيال في المنام وهو أن يوفق إلى القدوم إلى المدينة المنورة التي بها قبر المصطفى ﷺ.

(٣) عنان السماء: ما يبدو لك منها إذا نظرت إليها. بدعاً: غريباً. الثرى: التراب. السنا: الضوء. ذُكاء: من أسماء الشمس.

(٤) عنان السماء: ما يبدو لك منها إذا نظرت إليها. بدعاً: غريباً. الثرى: التراب. السنا: الضوء. ذُكاء: من أسماء الشمس.

(٥) جدير: حقيق.

(٦) قصر الرجل الشيء جعله قصيراً. الخطأ والخطاء ضد الصواب. قصر الدهر من خطاه: لم يستطع السفر وتحقيق ما تمنى مع كثرة ذنوبه.

(٧) الأماني جمع أمنيّة وهي ما يُرجى ويُرغب. الذي منعه عن تحقيق مراده بزيارة الرسول هو النفس ومآربها فإنها أمارة بالسوء. وجاء هنا بمعنى أمام.

(٨) رجل صفر اليدين: ليس بهما شيء مما يعتمد عليه. وتوسل به اتخذه وسيلة وصلة.

(٩) ضارع الخد: ذليلاً.

(١٠) أدلى بانتساب: اتصل بنسب.

لِيَنْشَقَ منكُم رَيًّا وَيَشْفِي | فُؤاداً في الهوى قاسَى صِعابَهْ[(١)]
فهل يسْخُو الزمانُ بِطِيبِ وَصْلٍ | لِمَنْ أَفْنَتْ مَحبَّتُكُم شبَابَهْ
وهل تُطْفَى لواعجُ مُستهامٍ | وَيَبْرُدُ قلبُه بِوُرود طابَهْ[(٢)]
وتَحمِلُهُ النجائبُ في سُراها | إلى من شَرَّفَ المولى جنَابَهْ[(٣)]
هناكَ القُبةُ الخضراءُ تبدو | من الأنوار تغْشاها سحَابَهْ[(٤)]
فَتَضْطَرِبُ الفرائصُ من سنَاها | وتمتلئُ القلوبُ من المْهَابَهْ[(٥)]
وينتفضُ المحبُّ إذا رآها | ويُوقنُ كُلُّ داعٍ بالإجابَهْ
وَثَمَّ الوافدون لهم ضجيجٌ | وإخلاصٌ وصدقٌ في الإنابَهْ[(٦)]
تَحِنُّ لها القلوبُ لأنَّ فيها | ضريحَ المصطفى زَينِ العِصابَهْ[(٧)]
نبيٌّ هاشميٌّ أَرْيَحِيٌّ | ملائكةُ العُلى خَدَمَتْ رِكابهُ[(٨)]

---

(١) نشِق الرائحة: شمها. رَيًّا بفتح الراء الرائحة الطيبة.

(٢) الهوى اللاعج: المحرق. طابة: من أسماء المدينة المنوّرة. النجائب جمع نجيبة وهي الكريمة من الإبل. السُّرَى: السير ليلاً والغرض السير عامة.

(٣) الهوى اللاعج: المحرق. طابة: من أسماء المدينة المنوّرة. النجائب جمع نجيبة وهي الكريمة من الإبل. السُّرَى: السير ليلاً والغرض السير عامة.

(٤) يخيل للشاعر أن القبة الخَضْراء التي على القبر الشريف تغطيها سحابة مُظِلَّة كما ورد أن الرسول الكريم أظلته سحابة من الشمس وهو صغير.

(٥) السنا: الضوء. الفرائص جمع فريصة وهي لحمة بين الثدي والكتف ترتعش عند الخوف. المهابة: الجلال. غرض الشاعر أن النفوس إذا وردت هذه الرحاب الكريمة أخذتها روعة الجلال وعظمة اللقيا.

(٦) ثم بفتح الثاء: هنالك. أناب إلى الله إنابة. رجع بالتوبة.

(٧) العصابة: الجماعة من الرجال اجتمعوا لأمر واتحدوا. يقصد أصحاب الرسول. زين العصابة: خيرهم.

(٨) الأريحية: خصلة يرتاح بها المرء إلى صنع المعروف وبذل العطايا وصاحبها أريحي.

القصيدة الثالثة

إليكم يشتكي

إليكمْ يشتكي مما أصابَهْ مُحِبٌّ هامَ من فَرْطِ الصبَّابَهْ[١]
براه الشَّوقُ والهِجران منكمْ ولم يُبْقِ النوَّى إلّا إهابَهْ[٢]
سبَاهُ جَمالُكُمْ بيسير لَحْظٍ تَعوَّدَ في رِمايته الإصابَهْ[٣]
وسَلْطانُ الجمال له نُفُوذٌ إذا نادى ولو مَلِكاً أجابَهْ
فيا أهلَ النَّقَى رِقُّوا لصَبٍّ يُعانِي في الغَرامِ بكم عَذَابَهْ[٤]
يُسَلَّى بالنهار النفس حتى إذا أمسى تَغَشَّاهُ الكآبَهْ[٥]
تُؤَرِّقُهُ الحمائمُ حينَ تشدو وإن مرَّ النسيمُ به أذابَهْ[٦]
فيغرَقُ في الهواجس والأماني ويَعدَم من تقلبه صَوَابَهْ[٧]
يُسائلُ عنكُمُ الرُّكبانَ شوقاً لكم ويُطيلُ في النجوى خِطابَهْ[٨]

---

(١) بدأ القصيدة بالغزل على عادة الشعراء، ولكنه يرمز إلى التعلق بالذات المحمدية الشريفة.

(٢) براه: هزله. الإهاب: الجلد.

(٣)

(٤) النقى: الكثيب من الرمل. يريد أهل المدينة. والغرض معروف.

(٥) تغشاه: تُغطّيه أي أدركه الحزن للفراق.

(٦) أرّقه: أسهره وأقلقه. تشدو: تغني. أذابه: أساله يريد ضنا جسمه وهزاله.

(٧) الهاجس: ما وقع في النفس واحتل مكان التفكير. الأماني: الآمال. الصواب ضد الخطأ ومراده أنه يفقد توازن عقله.

(٨) النجوى: السرّ بين اثنين.

ويومَ دعا إلى المولى ثَقِيفاً ... فَرَدُّوا قولَه وأبَوْا جَوابه[١]

وعادَ وقد رَمَوْا رجليه يمشي ... بِنعلٍ من دم جعلوا خِضابَهْ

ويوم سَلَى الجزور عليه أَلْقَوْا ... وَبَلُّوا من نجاستها ثِيابَهْ[٢]

هناكَ تفطَّرت كَبِدِي وجْداً ... دموعي بالعقيق جَرَتْ مَثابَهْ[٣]

شَرِقْنا بالدموع وما ذَخَرْنا ... لحادثةٍ سِوى هذى انْسكَابَهْ[٤]

وَمَنْ ذا لا يذوبُ أَسًى لذكرى ... رسولِ اللّهِ في تلك المثابَهْ[٥]

وما زالَ النبيُّ رَخيَّ بالٍ ... يُوالِي في رِضا الباري ضِرَابَهْ[٦]

إلى أَنْ أَذعنَ الكفرُ اعترافاً ... وَباءَ بخيبةٍ وحَنَى رِقابَهْ[٧]

رسولُ الله ناداكم مُحِبٌّ ... بِحُسْن الودِّ يُدلي وَالقَرَابَهْ[٨]

إليكم بالنَّجارِ لِحُسْنِ حَظٍ ... تَقَدّمَ صَحَّحَ المولَى انتسابَهْ[٩]

---

(١) دعا الرسول ﷺ قبيلة ثقيف بالطائف إلى الإسلام فردوه رداً قبيحاً ورموه بالحجارة فسال الدم حتى صار كالخضاب لنعله.

(٢) السَّلى: الجلدة التي يكون فيها الإنسان أو الحيوان في بطن أمه. من مكايد أهل مكة للإسلام وللنبي أن بعضهم انتهز فرصة سجوده في الصلاة ﷺ وألقى عليه سلى الجزور وهو ما ذبح من المواشي.

(٣) تفطرت الكبد: تشققت من الحزن، ودموعه جرت بدم أحمر كالعقيق ثاب الماء: اجتمع في الحوض. أي جرت دموعه بكثرة.

(٤) شرق بالدمع حلّ به الشَّرَق أي الغصة فكاد يموت. انسكاب الدم: انصبابه.

(٥) الأسى: الحزن. المثابة هنا المنزل والمجتمع أي اشتداد ثقيف على النبيّ ﷺ وهجومهم عليه.

(٦) يريد بالضراب الحرب والجهاد في سبيل الله.

(٧) أذعن: خضع. باء: رجع.

(٨) يدلي: يتصل.

(٩) النجار: الأصل. صحح المولى انتسابه: إنه شريف ينتسب للنبيّ والدليل على ذلك شدة إخلاصه وحبه كما يخلص الأقرباء بعضهم لبعض إذ أظهر الله ذلك فيه فصار نسبه صحيحاً حقاً.

إذا نام الأنامُ على الحشايا تَمَثَّلَ قائِماً يتلو كِتابَهْ[١]
أجَلُّ المرسلين عُلاً وقدراً وأرجحهم وأوفرهُم نَجابَهْ[٢]
أتى والناسُ في ليلٍ بهَيمٍ مِن الأوهام تاهوا في غَيابَهْ[٣]
ونورُ الحقِّ مستورٌ بجهل فزحزحَ من أشعتِهِ حجابَهْ[٤]
وبالعلم الصحيحِ أنارَ بدراً وعن وجه الرشادِ جَلا نِقابَهْ[٥]
بعزمٍ صادقٍ وثباتِ قلبٍ يخوض اللُّجَّ لا يخشى عُبابَهْ[٦]
لنصر الدينِ سلَّ السيفَ حتى مَحَى الشِّرْكَ الصريحَ وفلَّ نابَهْ[٧]
بِمُهجته يُخاطِرُ في المغازي إذا اشتدَّ الوغى سَبَقَ الصحابَهْ[٨]
وَقَدَّم نفسهُ للّهِ مهما تقاصرتِ الخُطا يبغي ثوابَهْ
تذكرتُ النبي غداةَ شجُّوا مُحَيّاهُ وما خافوا عِقابه[٩]
وفاطمةُ تعالجُه وتَبكي وتغسِلُ وجهَه مِما أصابَهْ

---

(١) الحشية: الفراش الحشو أي اللين. من خصوصيات النبيّ وجوب العبادة ليلاً وقراءة القرآن كما جاء في سورة (المزمّل).
(٢) النجابة: الكرم والحس.
(٣) الليل البهيم: الشديد الظلمة. الأوهام: جمع وهم وهو ما يقع في الذهن من الخواطر يريد الخواطر الفاسدة التي لا تعتد على الحق. الغيابة من الجُبّ: قعره. أي تاهوا في الضلال.
(٤) جعل الشاعر الحق كالبدر مغطى بحجاب هو الجهل فكشف النقاب بالعلم الصحيح والحجة الدامغة.
(٥) جعل الشاعر الحق كالبدر مغطى بحجاب هو الجهل فكثف النقاب بالعلم الصحيح والحجة الدامغة.
(٦) اللّجّ من البحر: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. العباب. الماء الكثير.
(٧) الشرك الصريح: البّين: فلّ الناب: شقه فلا نفع فيه.
(٨) المهجة: الروح ودم القلب. الوغى: الحرب.
(٩) المحيا: الوجه. يقصد ما حدث للرسول ﷺ في غزوة أُحد من شج وجهه الشريف.

القصيدة الرابعة

فِيمَ التَّرَيُّثُ؟

فِيمَ التَّرَيُّثُ والأيامُ تُغْرِي بي ... أَمَرَّ لي المكْثُ فَاستحْلَيْتُ تغريبي[١]

وهل يُعينُ على حرب الزمانِ سوى ... طَيِّ الفيافي بآسادٍ وتأويبِ[٢]

أهكذا كلُّ صِنْديدٍ تُعاكسه ... أيامُهُ ويفوزُ الفَسْلُ بالطِّيب؟[٣]

فاضربْ بطرفك أَنَّى شئتَ تَلْقَ أولى الـ ... أخطارِ في فِتن هُوجٍ وتعذيبِ[٤]

تَلْقَ اللِّئامَ الليالي وهْيَ باسمةٌ ... والأكرمين بتعبيسٍ وتقطيبِ

وانظر إلى حال خيرِ المرسلين وما ... لاقاه في اللّهِ من حربٍ وتكذيبِ

---

(١) الشاعر في هذه القصيدة يعارض المتنبي من حيث الوزن والقافية في قصيدته في مدح كافور الإخشيدي:

من الجآذر في زيّ الأعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب

ويشير إليها في البيت الأخير (ما هَيجَتْ شيّقاً حمرُ الجلابيب) التريث: التمهل والانتظار: أغرى العداوة بين القوم: ألقاها وأفسد بينهم. أمر المكث. صار مراً لا يستساغ. يستفهم الشاعر استفهاماً إنكارياً بأنه لا داعي للإقامة على الألم والمتاعب وقد صارت الغربة محببة إليه.

(٢) التأويب سير النهار والنزول ليلاً. يريد الشاعر أن الذي يساعد على مغالبة الزمان والانتصار على صروفه إنما هو طيّ الفلوات مع قوم شجعان كالآساد ومع حركة السير والسفر.

(٣) الصنديد: السيد الشجاع. الفسل. الرديء الرذل.

(٤) الهوجاء جمع هوج: الريح الشديدة التي تقلع البيوت. الفتنة هنا الامتحان والعذاب والحرب. يقصد الشاعر ما لاقاه النبيّ وآل بيته من أذى.

بمدحكَ يا شفيعَ الخلق يرجو ... من الله الكرامةَ والإثابَهْ[١]
وبالكُبْرَى وبالمولَى عَلِيٍّ ... وبالفَرْعَيْنِ والزهرا الذؤابَهْ[٢]
يُؤمِّلُ أن يفوز بكل خيرٍ ... وأَنْ يُؤتَى بلا تعبٍ كِتابَهْ[٣]
وأَن يُعْطَى المُنى دُنيا وأُخرى ... وأن يتقبلَ المولَى مَتابَهْ
أَجَلُّ وسيلةٍ للفوزِ أنتم ... بكم يستفتحُ الراجون بابَهْ[٤]
وأنتم للعديم أعَزُّ كنزٍ ... فَمَنْ يَهتِف بكم يُدْرِك طِلابَهْ[٥]
صلاةُ الله تغشاكم وتغشَى ... جميعَ الآل أقطابِ النَّقابه[٦]

* * *

(١) الإثابة: الثواب والمجازاة الطيبة.

(٢) يريد بالكبرى: السيدة خديجة أول أزواج النبيّ وأم أولاده ما عدا إبراهيم. والفرعان الحسن والحسين ﵄. الزهراء: السيدة فاطمة الزهراء أم الحسنين. الذؤابة: من كل شيء أعلاه أي أنها في أسمى مكانه.

(٣) يشير إلى قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ وإلى قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ وذلك يوم القيامة.

(٤) يريد آل بيت النبيّ الكريم.

(٥) هتف به: ناداه.

(٦) تغشاكم: تشملكم. الأقطاب جمع قطب وهو من القوم سيدهم. النَّقابة بفتح النون مصدر نقُب الرجل على القوم صار نقيباً ومقدماً عليهم.

وحيثُ لا وَحْيَ في شأن فعادتُهُ فيه السكوتُ إذا أدَّى لَتشغيبِ[١]

وقد أشار إلى الصِّديقِ آوِنَةً إشارةً لم تكن نَصّاً بتهذيبِ[٢]

رآه بالكشفِ مولاها وَوَدَّ لها أبا التُّرابِ اجتهاداً بعد تّجريبِ

لكنها انصرفَتْ عنه لِمَصْلَحَةٍ له وللدين وَالشبانِ والشيبِ

فإنهم لو أصابوا المُلْكَ ما بقي النـ ـسلُ المباركُ حَيّاً في الأعاريبِ[٣]

إذ كُلُّ رَفْعٍ من الدنيا إلى ضِعَةٍ والمُلْكُ رَفْعٌ وَمَرْهونٌ بِتَقْليبِ[٤]

وكيف يَخْرُجُ عنهم إن سَمَوْا ونَمَوْا وإنما هُوَ دُولاتٌ بتعقيبِ[٥]

بدعوةِ المُصْطفَى صِينَتْ سُلالَتُهُ عن كُلِّ كَيْدٍ من الأعدا وتَألِيبِ[٦]

مِلْءُ النواحِي أعاديهم وقد أَمِنُوا والعُرْبُ تَأْمَنُ بين الضَّبْعِ والذِّيبِ[٧]

يا أيها الخمسةُ الأرواحُ لي بكم تَعَلُّقٌ جاءني من قَبْلِ تَأديبي[٨]

وما سِوَى حُبِّكُمْ نَفْسِي تلُوذُ به يوماً إذا سَمِعتْ آياتِ تَرْهيبِ[٩]

يَجِيشُ صدري بِجَزل الشعر في غَرَضٍ فَتَذْكُرُونَ فَأَنْسَ كُلَّ تركيبِ[١٠]

= وغدير خم بناحية الجحفة. وروي أن النبيّ قام وأخذ بيد عليّ فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه.

(١) التشغيب: الهياج والفتنة.

(٢) هذَّب الشيء أخلصه من الشوائب وهنا هذّب الكلام تهذيباً جعله صريحاً واضحاً.

(٣) الأعاريب: جمع أعراب.

(٤) كما قال الشاعر: «ما طار وارتفع إلّا كما طار وقع».

(٥) صار الأمر دولة بضم الدال أي يتداولونه مرة لهذا ومرة لذاك.

(٦) التأليب: الاجتماع على الظلم والعداوة.

(٧) كناية عن أن الأعداء محيطون بهم.

(٨) الأرواح الخمسة الكرام: خديجة وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

(٩) تلوذ به: تلجأ إليه. الآيات: الدلائل. ترهيب: إخافة.

(١٠) الشعر الجزل: القوي البليغ. يجيش صدري: يتحرك. يفكر الشاعر أن يقول قصيدة في =

وإثْـرَه بـنـتُـه مـاتـت بـغُـصَّـتِـهـا سَـحَّـتْ عليـهـا الأذايا بالشـآبيب[١]

وآلـهُ قـلـبَ الـدهـرُ الـمـجَـنَّ لـهـم وَمَـسَّـهُـمْ بـمـشـقـاتٍ وتـقـصـيـبِ[٢]

تَـوَاصُـلُ الـحـزن قـد أنسـى عـقـائـلَـهُـمْ مَسَّ الدِّهانِ وتزجيجَ الحواجيبِ[٣]

والـمُـرْتَـضَـى بـعْـدَه مـا زال فـي مَـضَـضٍ ومـوجـعـاتٍ وأيّـامٍ غَـرَابـيـبِ[٤]

مـا كـان ذاكَ جـزاءً لـلـوصـيّ ولـ ـكـنْ لـلـمـقـاديـر أَسـرارٌ بـتَـرْتـيـبِ[٥]

جَـمُّ الـمـنـاقـبِ مرفوعُ الـمـراتِـب معرو ف الـقـواضـبِ والـصُّـمَّ الأنـابِـيـبِ[٦]

وَكُـلُّ ذلـك مَـطْـويٌّ عـلـى حِـكَـمٍ يـصـونـهـا الـغـيـب مـلأى بـالأعـاجـيـب

تـشَـادَقَ الـقـومُ فـي نـصِّ الـخـلافـةِ هـل يَـصِـحُّ أم لا وأكْـدَوْا بـعـد تـنـقـيـب[٧]

وَلِـلـنَّـبـيِّ إشـارَاتٌ نُـقَـرِّبُـهـا لـفـهـم من لـم يُـكـابِـرْ بـعـضَ تـقـريـبِ

قـد رَشَّـح المرتَـضَـى يـومَ الـغـديـر لـهـا فـصَـادفَ الـرايَ لـم يُـقْـبَـلْ بِـتَـرْحِـيـبِ

وَشَـاءَ تَـوْثـيـقـهـا يـوم الـخـمـيـسِ لـه فـي خُـطْـبـة قـالـهـا بـيـنَ الأصـاحِـيـبِ[٨]

---

(١) الغصة: ما اعترض في الحلق من الطعام والشراب والهم والحزن. سح الماء: اشتد انصبابه. الشؤبوب: الدفعة القوية من المطر.

(٢) المجن: الترس. وقلب له ظهر المجن: تغيّر عليه. قصّ فلاناً: شدَّ يديه إلى عنقه.

(٣) العقيلة: الكريمة المخدَّرة من النساء يراد بها المزَوَّجة.

(٤) المضض: المشقة الشديدة. الغرابيب: جمع غربيب: شديد السواد. المرتضى هو سيدنا عليّ بن أبي طالب. وهو المراد بالوصي.

(٥) المضض: المشقة الشديدة. الغرابيب: جمع غربيب. شديد السواد. المرتضى هو سيدنا عليّ بن أبي طالب. وهو المراد بالوصي.

(٦) جم: كثير. المناقب: المفاخر. القواضب: السيوف القواطع. الصم الأنابيب: الرماح القوية.

(٧) تشادقوا: تفاصحوا بالكلام في الخلافة بعد الرسول أنص على عليّ أم لم ينصّ؟. أكدوا بعد تنقيب: انقطعوا بعد البحث الكثير ولم يهتدوا لرأي.

(٨) روي أن النبيّ ﷺ عند عودته من غزوة الحديبية قال لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بغدير خم: (من كنت مولاه فعليّ مولاه): وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. =

القصيدة الخامسة

كَمَنا إلى بعدِ الضُّحى

كَـمَـنـا إلـى بـعـدِ الـضُّـحـى فَـأطـلَّـتِ وأَخْفَتْ ضِياءَ الشمسِ حينَ اسْتَقَلَّتِ(١)

وَأَبْـصَـرْنـهَـا خـودٌ فَـأَسْـرَعْـنَ نَـحْـوَهـا يُـسـائِـلْـنَـهـا حـتـى تـوارَتْ وَمـلَّـتِ(٢)

صَـبـرْنَ عـلـى لَـفْـحِ الـوَدِيـقَـةِ مِـثْـلَـنـا وَلـمْ نَـذْرِ بـالـرَّمْـضـاءِ حَـتّـى تَـوَلَّـتِ(٣)

وَلـمْ نَـسْـتَـفِـقْ إلّا وَقَـدْ أخَـذَ الـهَـوى بِـأَغْـنـاقِـنـا فـاسْـتَـسْـلَـمَـتْ واسْـتَـذَلَّـتِ(٤)

وَلَا شـيءَ مِـثْـلُ الـحُـبِّ يُـعْـيِـي إسـاؤُهُ مَـتَـى دَبَّ فـي الإنـسـانِ لـم يَـتَـفَـلَّـتِ(٥)

تَـعَـرَّضْـتُ لا عـن غـرَّةٍ بـل لأنـنـي بِـقـوَّةِ نـفـسـي واثِـقٌ فـاضْـمَـحَـلَّـتِ(٦)

وَأَهْلُ الْهَوَى ضَلّوا وما اعتبرُوا بِمَنْ قَضَى قَبْلَهُمْ كالطَّير مِنْ حيثُ ضَلَّتِ(٧)

رَمَـتْ فـي سُـوَيْـدَاءِ الـفُـؤادِ سِـهـامَـهـا مِن اللَّفْظِ بَعْدَ اللحظ لَمَّا تَجَلَّتِ(٨)

---

(١) كمن: اختفى. أطلت: أشرفت ونظرت. استقلت: ارتفعت فظهرت وهكذا يبدأ الشاعر قصيدته بالغزل وتفنن فيه ما شاء ثم انتقل إلى آل البيت.

(٢) الخود بفتح الخاء: الشابة الناعمة جمعها خود بضم الخاء. يسائلنها: يتحدثن إليها إعجاباً بجمالها لتفوقها عليهن

(٣) الوديقة: شدة الحر نصف النهار. الكل شغل بجمالها الباهر عن ألم الحر.

(٤) أخذ الهوى بأعناقنا: ملكنا فخضعنا له.

(٥) إساؤه: طبه وعلاجه.

(٦) الغرّة: الغفلة. اضمحلّ الشيء: انحلّ وذهب.

(٧) قضى: مات.

(٨) السويداء من القلب: حبته. تجلت: ظهرت يريد أن يقول إنها أثّرت في أعماق القلب من نظرتها النافذة ولسانها الحلو.

فِيكُمْ يَسِيلُ كمثلِ الماءِ مُنْحَدِراً ... إلى القَرَارِ وأَصْفَى حينَ تشبِيب[1]
عليكُم من صلاةِ اللّهِ أَبْلغُهَا ... ما هَيَّجَتْ شَيِّقاً حُمْرُ الجَلابيبِ[2]

* * *

= غرض من الأغراض ويعد لها العدة من أساليب فإذا تذكر آل البيت نسي ما كان فيه وانساق إلى مدحهم.

(١) التشبيب: الغزل. إن شعره الوجداني في آل البيت الذي يسلك فيه مسلك الغزل أصفى من الماء يسيل إلى منحدره.

(٢) الشيق: المشتاق.

هَوَاهُم هَوًى ما لي سِواهُ وسيلةٌ إلى الفَوْز إذ بَعْضُ الهوى نوعُ ضَلَّةِ

وَمِنْ لُطْفِهِمْ بي لا يزالُ خَيالُهُمْ يُفَرِّجُ مِنَ كَرْبِي وَيُبْرِدُ غُلَّتِي[(١)]

أَساسِي وَنِبْراسِي ورأسي وَعُدَّتي وَرُوحي وأَفراحي وَرَاحي وَقِبْلَتي[(٢)]

وفخري وذُخْرِي واعتمادي وعِصْمَتي إذَا النَّعْلُ في الدنيا أو الدين زَلَّتِ[(٣)]

أولئِكَ حَبْلُ اللّهِ والعُرْوَةُ التي بها نِعْمَةُ الدين الحنيفي جَلَّتِ[(٤)]

بِهِمْ سَلَخَ الليلُ البَهِيمُ إهابَه وَأَسْفَر صُبْحُ اليُمنِ عَن خَيْرِ مِلّةِ[(٥)]

أَقامُوا اعْوجَاجَ الجاهِلَيِةَّ بالقنَا وبالذِّكْرِ دَاوَوهاً إلى أنَ أَبَلَّتِ[(٦)]

بِعَزْمٍ سَماوِيٍّ يَزيدُ مَضاؤُهُ إذَا فُلَّتِ البِيضُ المَواضِي وَكَلَّتِ[(٧)]

وَكَمْ كابَدُوا في اللّهِ مِنْ مِحنةٍ وَكَمْ لَهُمْ مِنْ دِماءٍ في الميادين طلَّتِ[(٨)]

وَكَمْ مِن قَتيلٍ فَاظَ ظَمْآنَ عَارِياً لهُ منَ نَسِيجِ الفَخْرِ أَشْرَفُ حُلَّةِ[(٩)]

---

(١) الغلة: شدة العطش.

(٢) النبراس: المصباح. الراح: من أسماء الخمر. قبلتي وجهتي.

(٣) عصمتي: أي آل البيت سبب بعدي عن المعاصي لأنهم رأس الدين والملة وقدوة الناس. زلت نعله كناية عن الخطأ إنهم ملجؤه في كل حال.

(٤) جلت: عظمت. الحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. والحنيفية: ملة الإسلام المائلة عن الباطل إلى الحق. آل البيت الحبل المتصل بالله. العروة من الدلو مقبضه يريد أنهم أداة الاتصال.

(٥) الإهاب: الجلد. أسفر: انكشف وأشرق. اليمن: البركة. القنا: الرماح. الذكر: القرآن. أبلت من المرض: شفيت واستقامت. المعنى: بآل البيت ذهبت الظلمات وجاء النور فأذهبوا عوج الجاهلية بالقرآن والجهاد.

(٦) الإهاب: الجلد. أسفر: انكشف وأشرق. اليمن: البركة. القنا: الرماح. الذكر: القرآن. أبلت من المرض: شفيت واستقامت. المعنى: بآل البيت ذهبت الظلمات وجاء النور فأذهبوا عوج الجاهلية بالقرآن والجهاد.

(٧) إن قوتهم من قوة الله نافذة ماضية في أحرج الأوقات التي تتكسر فيها السيوف وتكل عن الضرب في معمعة القتال.

(٨) طلَّ دمه: لم يؤخذ بثأره. (٩) فاظ: مات.

فيا ليتَ شِعْرِي هَل دَرَتْ أنها فَرَتْ ... فُؤادِي بِفَتًّا كَيْ لِسانٍ وَمُقْلَةِ[١]

وَمَن ذا يُؤَدِّي لي إليها رِسالَةً ... وقد جاوزَتْ بُرْجَ السَّماكِ وَحلَّتِ[٢]

وَأَخْشى نُعامَى بِي أَلَمتْ لأَنَّها ... عَلَى ما أجنَّته الجَوانِحُ دَلَّتِ[٣]

وَلَا بُدّ أَنْ تَنْمِي إليها شِكايتي ... وُيوشكُ أن تَرْني لضعفي وَعلَّتي[٤]

فَقَدَ رَبَطَتنا بالغَرامِ قَرابةٌ ... يَحق لها منها افتقادٌ بِبِلّةِ[٥]

وَما ضَرَّني إلّا هَوَاها ولم أكُنْ ... لأختارَ لولاها على الصون بِذْلَتِي[٦]

ونَحمِي عيوني عَنْ سِواها دموعَها ... وإن ذكروها اغرورقتْ وَاسْتَهَلَّتِ[٧]

نَعَمْ ولآلِ البيت تَمزجُها دَماً ... وَتُرْسِلُها حَمْراءَ منهمْ وَقلَّتِ[٨]

يُقَوِّمُ أَحنائي لذكراهُم الجَوَى ... وَيُزْعِجُني وَجْدٌ بِحُكْمِ الْجِبلّةِ[٩]

جَرَى حُبُّهُمْ مَجْرَى دَمِي في عُرُوقِه ... من النَّشْءِ واسْتَوْلَى عَلَيّ بِجُمْلَةِ[١٠]

---

(١) الشاعر هنا: يتمنى أن يعلم.

(٢) السماكان: الأعزل والرامح: نجمان نيران.

(٣) النُّعامى ريح الجنوب وهي ريح تأتي من اليمن. ألم بالقوم: أتاهم ونزل بهم. أجنته: سترته. الجوانح: الأضلاع وهي التي تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع ما يلي الظهر.

(٤) تنمي: نقل. يقول: إنه يخاف ريح النعامى الحارة فإنها صورة لما بين جوانحه مما أحدثه الشوق. ولا بدّ أن تنقل إليها ما يشكو فيكون العطف والرثاء منها لضعفه وعلته.

(٥) الافتقاد: السؤال والبحث. البلة بكسر الباء: الرزق والخير. اجتمع للشاعر مع الحب القرابة فاستحق العطف حتى يزول ما به.

(٦) البذلة: بكسر الباء: ما يتمهن من الثياب.

(٧) اغرورقت العينان: امتلأتا بالدموع. استهلت العين: دمعت، لا يبكي إلّا عليها. وعند ذكرها يغلبه البكاء.

(٨) تخلص الشاعر من الغزل إلى ذكر آل البيت ﷺ.

(٩) الأحناء جمع حنو وهو ما فيه اعوجاج من الجسم. الجبلة: الطبيعة والخلقة. يريد: إذا ذكر آل البيت انتفض من الوجد والتعلق بهم واعتدلت مفاصله وتأثر تأثراً شديداً بطبيعة الحال.

(١٠) أحبهم من الصغر فاستولى عليه الحب استيلاء شديداً.

فيا ذِرْوَةَ العَلْيا ويا جَبْهَةَ النَّدَى ... وَيا خَيْرَ مَنْ ذَاتُ النُّجُوم أقَلَّتِ[١]

وَيا مالكي الجاهِ العَريضِ ومَنْ لَهُمْ ... مِنَ اللّهِ في الدَّارَيْنِ أَعْلَى مَحَلَّةِ

صِلُوا نَجْلَكُمْ بَلْ قِنَّكُمْ بِعَوَارِف ... تُخَلِّصُهُ مِنْ كُلِّ بُؤسٍ وَخَلَّةِ[٢]

فأَعْمالُهُ سُودٌ وَأَيَّامُ دَهْرِهِ ... كذلك قَدْ غَالَتْ مُنَاهُ وغَلَّتِ[٣]

وحَلَّتْ عُرَى الآمالِ فَانْقَبَضَ الرَّجَا ... عنِ النَّفْس إلّا ما يَشُدُّ بِقِلَّةِ

وطأْطأنَ مِنْ إشْرَافِها غيرَ أَنَّها ... إذا زَارَها مِنْكُمْ خَيَالٌ تَسَلَّتِ[٤]

فَلَا تَغْفُلُوا عَنِّي فلي ذِمَّةٌ بِكُمْ ... وَقُرْبَى إلى وُدٍّ صَحِيحِ الأدِلَّةِ

وَأَدْنَى التفاتٍ مِنْكُم يكشف العَنَا ... وَيَجْعَلُنِي مِنْ أهل أَوَّلِ ثُلَّةِ[٥]

عليكُمْ صَلاةُ اللّهِ ما سارَ رَاكِبٌ ... يُرَاقِبُ في الظلماءِ نُورَ الأهِلَّةِ[٦]

= أقوى. قال ذلك بعد أن فاضل بين قول المجنون:

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ... ومن بين رمسينا من الأرض منكب

لظلّ صدى رمسي وإن كنت رمة ... لصوت صدى ليلي يهش ويطرب

وبين قول توبة:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... عليَّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو رنا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

وقال: بتفضيل الأول؛ لأن تلاقي روحين ميِّتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حيّ وميت. أقول: وهذه زلة ظاهرة من الشيخ؛ لأنَّ تلاقي الأرواح مع اختلاف العوالم أعظم وأخطر؛ بخلافه مع الاتفاق؛ ولهذا يشتد الوحي عليه ﷺ إذا جاءه جبريل بهيئته الملكية. ثم إنَّ في قول توبة؛ التصريح باسم ليلى وبنسبتها؛ مع حُسْنَ السبك وجودة اللفظ. فهو أفصح وأوضح وأبلغ من قول المجنون. انتهى قول المؤلف.

(١) ذروة كل شيء أعلاه. أقلت: حملت. ذات النجوم كناية عن السماء.

(٢) النجل: الولد أو النسل. القن: العبد الذي أبوه مملوك لمواليه فهو خالص العبودية. العوارف جمع عارفة: المعروف والعطية. الخلة: الفقر.

(٣) غالى المنى: أضاعه وأهلكه. غَلّ الرجل غلولاً: خان أو هو خاص بالمغنم.

(٤) الإشراف: العلو.

(٥) العنا: التعب والمشقة. الثلة: الجماعة من الناس إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

(٦) يريد الصلاة دائمة عليهم لربطها بشيء طبيعي دائم من المخلوقات الحسية.

مَضَوْا كُلُّهُمْ بعدَ النبيِّ بِحَسْرَةٍ ... وَلَا قَوامِنَ الدَّهرِ اللتيَّا مَعَ اللَّتي[١]

فَأَوَّلُهُمْ خَيْرُ النِّساءِ تَجَرَّعَتْ ... أفاوِيق من صاب الأذى وَتَقَلَّتِ[٢]

مَنيَّتُها صارت مُناها لِأجْلِها ... تَعُدُّ الليالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ[٣]

وَمِنْ بعدِها جَرَّ البلاءُ ذُيولَهُ ... عَلى آلِها الصَّيدِ الكِرام الأَجِلَّةِ[٤]

بِهِمْ غَرْسُ خَيْر المُرْسَلينَ اسْتَوَى فَلَم ... يَذُوقُوه لكِنَّ العُدَاةَ اسْتَغَلَّتِ[٥]

لَهُمْ ذَخَرَ اللهُ الجِهادَ وزادَهُمْ ... بِما ارْتَكَبَتْ أعداؤهُمْ واسْتَحَلَّتِ[٦]

وَلَا عَابَ فِيما نالَهُمْ بل لَهُمْ بِهِ ... مَرَاتِبُ عَنْ مَرْقاتِها العُصْم ذُلَّتِ[٧]

فَدَوْلَتُهُمْ مِنْ حِينَ طَارَتْ نفوسُهُمْ ... إلَى المَلإِ الأَعْلَى وَباتَتْ وَظَلَّتِ[٨]

---

(١) وقع فلان في اللتيّا والتي أي في الداهية.

(٢) خير النساء: يقصد السيدة فاطمة الزهراء. الفيقة: بكسر الفاء اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين؛ وجمعه أفواق وجمع الجمع أفاويق. تجريع الماء: شربه شيئاً فشيئاً. الصاب: شجر مُرّ. تقلت: تعذبت.

(٣) صارت تتمنى الموت وتتعجله.

(٤) الصيد: السادة الكبار.

(٥) العداة جنوا ثمار ما غرسه الرسول الكريم.

(٦) الجهاد لهم وأبهة الحياة لخصومهم ولا عيب في ذلك بل لهم عند الله والناس مراتب أعلى لا يرقي إليها غيرهم. والعصم من ذوات الظلف جمع أعصم تسكن أعلى الجبل. ذلت: لم تستطع الوصول إلى مثل ما وصلوا إليه.

(٧) الجهاد لهم وأبهة الحياة لخصومهم ولا عيب في ذلك بل لهم عند الله والناس مراتب أعلى لا يرقي إليها غيرهم. والعصم من ذوات الظلف جمع أعصم تسكن أعلى الجبل. ذلت: لم تستطع الوصول إلى مثل ما وصلوا إليه.

(٨) كتب مؤلف الديوان على الهامش بعد هذا البيت: كان إنشاء هذه القصيدة حوالي سنة ١٣٤٢هـ؛ وكون قوة الروح بعد مفارقتها للجسد تزداد أيداً وشدة؛ هي نظرية فلسفية صحيحة لم أقلها في هذا البيت إلّا عن تشبع بالبراهين الناصعة، ولكني لا أذكر شيئاً مع الأسف من مصادرها أبداً حالة الإنشاء، وأحمد الله إذ رأيت اليوم وهو السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٣٧٣ قول (المقري) في صفحة ٦٦ من نفح الطيب: فقد أجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع؛ بأن لاستلذاذ الأرواح وإدراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية شأناً =

وعليكَ الصلاةُ ما أُلقِحَ المز ... نُ بريحٍ من الجنوبِ رُخاءِ[1]

أَوْ سَرَتْ نَسْمَةٌ فأَهدتْ لِرُوحي ... مِن رياحينِكم أريجَ الكِباءِ[2]

أو بكى شَيِّقٌ وَكَرَّرَ صَبٌّ ... في مَراقي عُلاكَ آيَ الثناءِ[3]

أَو شَكا ناهلٌ إليكَ ظَمأً ... ليسَ يُرْوَى إلّا مِنَ الزرقاءِ

أَوْ تلا الذِّكرَ حولَ قبرِكَ باكٍ ... وَرَّدَ الحزنُ خدَّه بالدِّماءِ[4]

أَو أجابَ الحمامُ نَوْحَ مُصَلٍّ ... بِغِناه في الروضةِ الغَنَّاءِ[5]

❋ ❋ ❋

---

(١) المزن: السحاب ذو المطر. ريح رخاء: لينة: الصلاة على النبيّ دائمة ما دامت هذه الأحوال الطبيعية التي خلقها الله وهي باقية أبداً فالريح تسوق البخار فيتكون المزن اللاقح أي المشبع بالماء وكذلك في بقية الأبيات من هذه القصيدة يريد الصلاة على النبيّ مستمرة دائماً.

(٢) الكباء: عود البخور. تنتقل الريح الطيبة إلى الشاعر من مقرّ الرسول الكريم.

(٣) شيق: مشتاق. أي حَنَّ المشتاق وبكى وكرر مدح صفات النبيّ العالية.

(٤) ورّد: الخد جعله أحمر كالورد.

(٥) غنا: أصله غناء بكسر الغين. الغَنّاء من الرياض بفتح الغين الكثيرة الشجر.

القصيدة السادسة

لِمَنْ غَيْرُكُم

لِمَنْ غَيْرُكُم يا سادتي نَشْتَكي الْبَثَّا ... ومَنْ ذَا سِوَاكم يَفْتِلُ الحَبلَ إنْ رَثَّا؟[١]

فـلـم يَـبْـقَ إلّاكـمُ وَأَمَّـا حُـمَـاتُـنـا ... فإنَّ الثَّرَى مِنْ فَوْقِهِمْ دائِماً يُحثَى[٢]

غَـزَتْـنـا الـلَّـيـالـي بـالـخـطـوبِ وَكـلـمَـا ... هَـزَمْـنـا لـهـا بَـعـثـاً أَجَـدَّتْ لَـنـا بَـعـثـا

فَـهَـلْ مِـنْ خَـلَاصٍ أوْ مَـنَـاصٍ فـإنَّـنـا ... حَيَازِيمُنَا مَلْأَى وأَحْشاؤُنا لهثى[٣]

وَأَكْـبـادُنـا حَـرّا وَقَـد كـادَت الـعِـدَا ... لِما مَسَّنَا مِنْ حَرْبِ أَيامِنا تُرْثَى[٤]

وَإِنَّـا وإنْ كـانَ الـتَّـجَـلُّـدُ شـأنَـنـا ... فَلَا بُدَّ مِنْ نَثِّ الحديثِ لَكم نَثَّا[٥]

لـدى غـيـركـم خُـشْـنٌ وأَمَّـا لَـدَيـكُـم ... فَلَا وصْفَ إلَّا الذُّلَّ والخُلُقَ الدَّمْثا[٦]

صِـلـونـا فـإِنَّـا قَـدْ بَـعِـلْـنَـا بِـدَائِـنـا ... ولَا سِيَّمَا لَمَّا أطالَ بِنَا اللُّبْثَا[٧]

هَـلـمُّـوا فـإنّ الـسَّـيْـلَ قَـدْ جَـاوَزَ الـزُّبَـى ... وَقَدْ عَاثَ فاسْتَشْرَى الفَسادُ وقَدْ أَغْثَى[٨]

---

(١) البث: الغم الشديد. رث الثوب: بلي.

(٢) الثري: التراب. حثى التراب: قبضه ورماه به.

(٣) ناص الرجل مناصاً: تحرك أو فرّ. الحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر. لهثي: عطشى متعبة.

(٤) أكبادنا حراً: عطاش كناية عن المشقة. رثي لفلان: رحمه ورقّ له. بلغت بنا المشقة درجة عنيفة حتى إن أعداءنا رقوا لحالنا كأنهم المصابون يستحقون الرثاء لألمهم وشفقتهم علينا.

(٥) شأننا: عادتنا. نث الحديث: أفشاه.

(٦) رجل أخشن الجانب: صعب لا يطاق وجمعه خشن. الدمث: السهل.

(٧) بعل: دهس ومحير. اللبث: الإقامة والمكث.

(٨) الزبية وجمعها زبى الرابية لا يعلوها الماء. وفي الأمثال: بلغ السيل الزبى: اشتد الأمر =

أَتَرْضَونَ أَنْ تَرْعَى اللَّيالِي مُرُوجَنا كما تَرْتَعي حَوْلَ الحِمَى الإِبِلُ الرِّمْثا(١)

ومنْكُم لَنا عَهْدٌ وَثِيقٌ تحكَّمَتْ مَرائِرُه لَيْسَ السَّحِيلَ وَلا الْوَلْثا(٢)

وشَائِجُ من قُرْبٍ وَحُبٍّ وَخِدْمَةٍ وَعَقْدِ ذِمَامٍ قد أَمِنَّا لَهُ النَّكْثا(٣)

إليكم بها نُدْلي فَمُنُّوا بِلَحْظَةٍ يُمَثُّ بها الكَرْبُ الَّذِي عندنا مَثًّا(٤)

ذكَرْنا لكم بعضَ القضايا وعِلْمُكُمْ بِتَفْصِيلها يُغْنِي فَلَا نُسْهِبُ البحْثَا(٥)

عَجَزْنا فلا الأولَى رَتَقْنَا فُتوقَها وَلَا للَّتِي مِنْ بَعْدِهَا نُصْلِحُ الحرْثا(٦)

تَقَطَّعَتِ الأَسْبَابُ إلّا رَجَاؤُكُم وَكُلُّ سَمِينٍ مِنْ أَمانِيِّنا غَثَّا(٧)

وعادتْ لنا الآمالُ إلّا الذي بكم تَعَلَّقَ مِنْها يا بَنِي المصْطَفَى غَرْثَى(٨)

فَمُدُّوا إلى اللّهِ الأَكُفَّ ضَرَاعَةً لِيَكْشِفَ عنا النائباتِ وَيَجْتَثَّا(٩)

فَجَاهُكم الجاهُ العَرِيضُ وكيفَ لا وَمِنْ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ قد حُزْتم الإرْثا(١٠)

= وتفاقم لأن السيل لا يبلغ الزبى إلّا إذا كان جارفاً شديداً جداً. عاث: أفسد. استشرى: زاد. أغثى السيل: اشتد وخلط الأشياء بعضها ببعض.

(١) المرج أرض واسعة ذات كلأ: الحمى: ما يحمى ويدافع عنه. الرمث: مرعى من مراعي الإبل ينبت في السهل.

(٢) المريرة: الحبل الشديد الفتل جمعها مرائر. السحيل: الحبل غير المبرم. الولث: العهد غير الأكيد.

(٣) وشائج جمع وشيجة وهي عرق الشجرة. النكث: الانتقاض.

(٤) مث اليد: مسحها. (٥) الإسهاب: الإطالة.

(٦) رتق الفتق: أصلحه. حرث الأرض شقها وأثارها للزراعة. يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ يريد بالأولى: الدنيا. والتي من بعدها: الآخرة.

(٧) السمين من اللحم: ضد الغث. غثت الشاة هزلت فيصير لحمها رديئاً.

(٨) الغرثى: الجائعة. وترتيب الكلام: عادت لنا الآمال غرثى إلّا الذي تعلق منها بكم يا بني المصطفى.

(٩) يجتث: يقطع ويزيل. الضراعة: التذلّل.

(١٠) الجاه العريض: العظيم.

عليكم لِوَاءُ الَحْمدِ يَخْفِقُ عندَما يَصِيرُ ثبيرٌ كالهبَاءِ إذا انْبَثَّا(١)

وَيَوْمَئِذٍ يشتَدُّ بالأُمَمِ الصَّدَى فَتَسْقُونَ مِنْ لم يعْرِفِ النّصبَ والخُبْثَا(٢)

لكم حَوْضُ أَرْيٍ كالحليب إساغَةً وَإنْ لم يجَاوزْ لا دِماءً ولا فَرْثا(٣)

لأقْسَمْتُ جُهْدِي أنكم أشْرَفُ الْوَرى وَأعْلاهُم قَدْراً وَجَاهاً ولا حِنْثَا(٤)

وَمِنِّي لكم وُدٌّ إذا مَرَّ ذِكْرُكُم ولو بين أولادي اجتويتُ به المكْثا(٥)

وَمنكم لي الْفَخْرُ الذي مِنْ جَرَائِهِ أقولُ ولم أكْذِبْ بِفِي الحاسِدِ الأخثَا(٦)

وَقَدْ حَصَلَتْ لي في المنَامِ بشارَةٌ بِرُؤْيا رَسُولِ اللّهِ في الرَّوْضَةِ الوَعْثَا(٧)

سَقاني بكفيه الشريفَيْن شَرْبَةً حقيقيّةً ليستْ مُحَالاً وَلا ضِغثَا(٨)

لآلِي وَلِي منها جميلُ عِنايَةٍ يُشارِكُ في خَيْرَاتِها الذَّكَرُ الأُنثى

عليكم صلاةُ اللّهِ ما لاَحَ بارقٌ وَما العِيسُ سارت في الفلَا تحملُ الشُّعثا(٩)

❊ ❊ ❊

(١) لواء الحميد: عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر. ثبير: جبل بمكة. انبث: تفرق.

(٢) أهل النصب: الذين عادوا سيدنا علياً كرم الله وجهه ووقعوا في آل البيت.

(٣) الأري: العسل. الفرث: ما في الكرش. للنبيّ ﷺ حوض يوم القيامة يشرب منه طائفة من المؤمنين.

(٤) حنث في يمينه: لم يبر بها. وحلف باطلاً.

(٥) اجتوى: كره يقصد إذا كان في حال سرور مع أولاده ثم مرّ بخاطره ذكر آل البيت كره الإقامة بين أولاده ليرحل حيث آل البيت النبيّ ﷺ.

(٦) من جرائه: من أجله. الأخثاء مفرده خثي بكسر الخاء وهو ما يخرجه البقر أو نحوه من بطنه (بفي الحاسد الأخثا) أي بفمه. دعاء عليه.

(٧) الروضة الوعثاء: التي يصعب السير فيها.

(٨) المحال: المستحيل. الضغث: قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس وأضغاث أحلام: الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها.

(٩) لاح: أضاء. بارق: سحاب ذو برق. العيس: كرائم الإبل. الأشعث: المغبر جمعه شعث.

القصيدة السابعة

بِقَلْبِي جَوًى

بِقَلْبِي جَوًى من حَرِّهِ بِتُّ أَلْهَثُ ... أُصَابرُ لم أَنْفُثْ وَذُو الصَّدْرِ يَنْفُثُ[١]

وَلَوْ قلْتُ شَيْئاً في النَّسيبِ لَحُقَّ ما ... أُكابِدُهُ لكنني خِفْتُ أَحْنَثُ[٢]

عَلَيَّ لأصْحَابِ الكِسَاءِ أَلِيَّةٌ ... وَلَسْتُ ويْمُ اللّهِ لِلْعَهْدِ أَنْكُثُ[٣]

حَلَفْتُ بِأَنْ لا أَمْدَحَ الدَّهْرَ غيرَهُمْ ... أَمُوتُ عليها ثم أَحْيَا وَأُبْعَثُ[٤]

لَهُمْ بَيْنَ أَحْنَائِي هَوًى كُلُّ لَاعِجٍ ... يزولُ وهذَا يَسْتَمِرُّ وَيَمْكُثُ[٥]

ومنهُمْ لنا عِزٌّ وَجَاهٌ وَحُرْمَةٌ ... وَهمْ ذُخْرُنا يَوْمَ العَظَائِمُ تحْدُثُ[٦]

نَطيبُ بحُبّ الطيّبينَ وَحَسْبُنَا ... بِذِمَّتِهمْ طِيباً فَمَنْ شاءَ يَخْبُثُ[٧]

---

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن. لهث الرجل: ارتفع نفسه وتتابع من الإعياء. نفث المصدور: رمي بالنفاثة من فيه.

(٢) النسيب: الغزل. حُق له أن يفعل كذا أي كان فعله حقيقاً به. حنث في يمينه: لم يبرّ بها والغرض أنه لو تغزل بمن يهواه لكان عذابه حقاً. لكنه يخشى العواقب ولا يضمن أن ما يقوله يستطيع تحمله فعلاً لمشقته عليه.

(٣) الألية: اليمين والحلف. وايم الله. أقسم أنه على العهد دنيا وأخره ألا يمدح غير آل البيت.

(٤) الألية: اليمين والحلف. وايم الله. أقسم أنه على العهد دنيا وأخره ألا يمدح غير آل البيت.

(٥) الأحناء: الجوانب: هوى لاعج محرق.

(٦) الحرمة: الذمة، وما وجب القيام من حقوق الله وحرم التفريط فيه أي نحن في حمايتهم.

(٧) خبث الشيء: ضد طاب. من كان مع آل البيت فهو طيب ومن جانبهم فهو خبيث.

بِهِم قَدْرُنا يَعْلُو وَكُلُّ فَضِيلَة لَها حاسِدٌ يُؤْذِي ذَوِيها وَيرْفُث(١)

وَكَم حاسِدٍ يُولي جَمِيلًا لِأَنَّهُ يَبُثُّ وَعَنْ سِرِّ المُحَسَّدِ يَبْحَثُ(٢)

❁ ❁ ❁

---

(١) رفث: تكلم بالفحش. بث الحديث نشره تضمن البيت الأخير معنى قول أبي تمام:
وإذا أراد الله نصر فضيلة طويت أتاح لسان حسودِ

(٢) رفث: تكلم بالفحش. بث الحديث: نشره؛ وتضمن البيت الأخير معنى قول أبي تمام:
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسودِ

القصيدة الثامنة

قِفِي وتلطَّفِي

قِفِي وتلطَّفِي وَسَلي وَمُوجِي	وريثي بالسُّرَى إن لَمْ تَعوجِي[1]
فَفي المَغْنَى مُعَنًّى ذُو ضُلُوعٍ	من الزَّفَرَاتِ عادَتْ غَيْرَ عُوجِ[2]
تُعَبِّرُ عن فُؤَادٍ مُسْتَهامٍ	وَعَنْ كَبِدٍ مُقرَّحةٍ هَدوجِ[3]
وَحَشْوُ حَشائِهِ باللَّيْلِ وَجْدٌ	وَكلُّ زَمانِهِ لَيْلٌ دَجُوجِي[4]
تَمَلَّكهُ الهَوَى بِشِرَاكِ لَفْظٍ	ومن لَحْظٍ بما نُوجي وفُوجِي[5]
تَحَرَّشَ بالهوى والحُبُّ يُفْضي	بِصاحِبه إلى الوَعْر الزَّلُوجِ[6]

(١) ماج الناس: تحركوا باضطراب كالأمواج؛ والغرض أنه يريد منها أن تلم به ولو سريعاً كالموج. ريثي: من راث الرجل: أبطأ أي إن لم تجودي بالزيادة وتعرجي علينا؛ فلا أقل من أن تتمهلي في السير حتى نراك. والسرى في الأصل: السير ليلاً ويراد به هنا مطلق السير.

(٢) المغنى: المنزل؛ أي من شدة أنفاسه الحارة التي تخرج من صدره؛ اتسعت ضلوعه حتى تخيل أنها تغيرت عن طبيعتها في العوج وتمددت أو صارت مستقيمة.

(٣) هدوج: من هدج ويقال تهدّج صوت فلان: تقطع في ارتعاش فأكباده مقرحة مريضة.

(٤) الحشا والأحشاء: الكرش والأمعاء. ليل دجوجي: شديد الظلمة.

(٥) الشراك: سير النعل والشرك آلة الصيد. فالهوى نصب شركة لا شراكه. هكذا تقول كتب اللغة التي بأيدينا عن الشراك والشرك. ناجي: صاحبه: تحدث معه في السر. فاجأ الأمر فلاناً: عاجله.

(٦) تحرش به: تعرض له. الوعر: الزلوج: السريع الانزلاق من السهام.

جَرى زمنَ الشبيبة فيه شَأْواً وَحَثَّ جَوادَهُ مِلْءَ الفُرُوجِ(١)

وَذَلَّ له على شَرَفٍ وإلَّا فَمَنْزِلُه بِمنْطَقَةِ الْبُروجِ(٢)

وَهِمَّتُهُ تَذوبُ لها الرَّواسِي فكيفَ تَعُوقُها كُرَةُ الثُّلوجِ(٣)

عِصامِيٌّ تَفَرَّدَ بالمَعَالِي وَشَفَّ على الأعادِي بِالفُلُوجِ(٤)

فَما فِي غَيْره فِكْرٌ لِعَيٍّ جَفاه النومُ في ليل شَجُوجِي(٥)

وما للمشكلاتِ سواه يَهْوِي إليه الحائرون على الوَسُوجِ(٦)

نَمَتْهُ حَرائِرٌ ورِجالُ صِدْقٍ إلى غَيظِ الخوارجِ والعُلُوجِ(٧)

---

(١) الشأو: الغاية والأمد. وعدا الفرس شأوا: أي طلقا. الفروج هنا جمع فرج؛ وهو سعة ما بين أرجل الفرس؛ كناية عن سرعة السير. يريد أنه أطاع الهوى في زمن الشاب بقدر استطاعته.

(٢) أصل معنى المنطقة ما يشده الإنسان على وسطه؛ واستعيرت لغير ذلك مما يقارب المعنى؛ والمراد: مدار البروج وهي صور نجوم فيها مدار السيارات. لقد ذلّ الشاعر لمحبوبه واحترس لنفسه فقال: على شرف يعني ذلّ مع عزة نفسه وعلو أصله. لا جرم قد ذلّ لمحبوبٍ منزلُهُ منطقة البروج؛ هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كما تدل عليه الأبيات الآتية.

(٣) الرواسي: الجبال الثوابت مثل خصوم الإمام كمثل كرة الثلج ما أسرع ما تذوب.

(٤) العصامي: من كان الفضل في ظهوره لنبوغه وعمله؛ فذلك في ميزان الحياة أفضل من أن يفتخر بالعظم الرميم وحده؛ ولا يمنع أن يكون شريف الآباء والأمهات؛ واستعملت هذه اللفظة في هذا المعنى بعد أن مدح النابغة الذبياني عصام بن شهيرة؛ حاجب النعمان بن المنذر بقوله:

نفس عصام سوّدت عصاماً وعلمته الكَرّ والإقداما

شفّ الشيء هنا بمعنى زاد. الفلوج: جمع فلج وهو الغلبة

(٥) العيّ هنا: الذي عجز عن الأمر. شجوجي: الرجل المفرط الطول.

(٦) الوسوج. البعير المسرع في سيره.

(٧) نما فلاناً إلى أهله: نسبه إليهم. الحُرَّة: ضد الأمة والكريمة من النساء. الخوارج: يريد بهم الذين خرجوا على سيدنا عليّ كرّم الله وجهه وأرضاه. العلوج: جمع علج: الرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً.

مُــردي ســيــفــه مــن كــلِّ بــاغٍ ومُـرْدِي الـكـافـريـن عن الـسُّـرُوجِ(١)

أمـيـرُ الـمـؤمـنـيـنَ أبـو تُـرابٍ قـريـعُ الـربِ صَـدَّامُ الـثُّـبُـوجِ(٢)

نُـكـاثِـرُ بَـالْـوَصِـيِّ وإن فَـخَـرنـا أَتَـيْـنـا بـالـنُّـبُـوّة وَالْـعُـرُوجِ(٣)

وبِـالْـكُـبْـرَى وبـالـحَـسَـنَـيـنِ أيْـضـاً وبـالـزهـرا الـمـقـدسـةِ الـنَّـتُـوجِ(٤)

بِـهـمْ نَـأْوِي إلـى كَـهْـفٍ حَـرِيـزٍ عـلـى رَغـمِ الـمُـكـابِـرِ والـلَّـجُـوجِ(٥)

بِـهـمْ وشَـجَـتْ عَـلائـقُـنـا وأمّـا مَـرَاتِـبُـنـا فَـنـاصِـعَـةُ الـنَّـفُـوجِ(٦)

هُـنـا بـالـخـمـسـة الأرواح تـعـلـو مَـرَاتِـبُـنـا وفـي يـومِ الـخُـرُوجِ(٧)

وَتَـنْـدفـعُ الأذايـا والـبَـلايـا ويُـكـفـي كُـلُّ مـكـروه وحُـوجِ

عـلـيـهـم مـا انـبَـرَى بَـرْقٌ صـلاةٌ ومـا رَعَـت الـبـهـائـمُ فـي الـمـرُوجِ(٨)

ومـا عَـنَّـتْ عـلـى الـبـانـاتِ وُرْقٌ ومـا هَـبَّـتْ ريـاحٌ غـيـرُ هُـوجِ(٩)

* * *

(١) مردي: مهلك. يريد بالسروج سروج الخيل في الحرب فهو شجاع يقتل الظالمين والكافرين.

(٢) القريع الغالب والقريع المقارع وهو المضارب لقرنه. الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر. وأثباج الآكام أعاليها؛ وركب ثبج البحر أي أمواجه العالية؛ وجمع الثبج ثبوج؛ فمعنى صدام الثبوج: يصدم الأعداء الأشداء فيقهرهم.

(٣) كاثر الرجل غيره: غالبه في الكثرة. من مواضع فخرنا انتسابنا للإمام عليّ. وإذا أردنا المفاخرة فميدانها فسيح؛ فمنا محمد بن عبد الله الذي عرج به إلى السماء.

(٤) النتوج في اللغة التي استبان حملها.

(٥) الكهف: الشق في الجبل وفلان كهف: ملجؤهم. لجّ: عند في الخصومة فهو لجوج.

(٦) وشجت: تماسكت وتمكنت. ناصعة: بينة واضحة. نفجت: ظهرت.

(٧) يوم الخروج: البعث من القبور.

(٨) الصلاة عليهم دائمة بدوام ظهور البرق ورعي البهائم في المروج.

(٩) البانات جمع بان والبان جمع بانة: شجر معتدل القوام لين ورقه. الورقاء: الحمامة التي لونها الرماد. الرياح الهوج: جمع أهوج الشديدة الهبوب.

القصيدة التاسعة

خَطَرَ الحبيبُ

خَطَرَ الحبيبُ بسرِّهِ فارْتاحا | واستاف مِنْ ذِكْراهُ عِطْراً فاحَا(١)
وأراد إخفاءَ الهوى فَوَشَى به | دَمْعٌ جَرَى بخدودِهِ سَفَّاحَا(٢)
وَعَزَا مدامِعَهُ لِعِلّةِ عَيْنِهِ | ولأجلِ إيهامِ الْوُشاةِ تَصَاحَى(٣)
والحبُّ لا تَخْفَى سَرائر أهلِهِ | إلّا إذا سَتَرَ الدُّجَى الإصْبَاحا(٤)
رَقَّ الحجابُ فلو أَلَمَّ بعاشِقٍ | طَيْفٌ لتَمَّ بِهِ الصَّفاءُ فَباحَا(٥)
شَأْنُ الهَوَى تَعَبُ وَمَنْ يَعْلَقْ بِهِ | يَعْدَمْ من الأسْر المُهِينِ سَرَاحا(٦)
فإذا وَرَى في النفسِ صار كأنَّهُ | ماءٌ يخالطُ في الزجاجةِ رَاحا(٧)

(١) السر: موضع السر وهو القلب. استاف: شمَّ.
(٢) وشى به: نمّ عليه ودلّ. سفح الدمع: أرسله.
(٣) عزا: نسب. تصاحى: تظاهر بالصياح من وجع عينيه.
(٤) الدجى: الظلمة. السرائر جمع سريرة وهي السر. الحب لا يخفى كما لا يستر الظلام نور الصباح.
(٥) لفرط الصفاء بين العاشقين لا يكاد أن يكون لهما حجاب ساتر والصفا مظهر من مظاهر النور والإخلاص حتى لو أن طيف المحبوبة زاره في المنام لدلّ الصفاء عليه فباح بسره. وطالما ألمّ الصوفية بهذه الدقائق من معاني الحب الإلهي.
(٦) من شأن الحب التعب فإن المحب أسير مثقل لا يرجى انطلاقه من الأسر.
(٧) ورت النار اتقدت. وهذا معنى دقيق أيضاً؛ فإن الهوى إذا اشتد تفاعل في النفس كتفاعل الماء والخمر وفيه إشارة إلى أن لون الماء والخمر قريب من لون النار المشتعلة. أشعل النار فانقدحت. أي اشتد الهوى.

بفؤادِهِ انقَدَحَ الهوى مِنْ نَظْرةٍ عَرَضتْ فكانتْ للْبِلَى مِفْتاحا[١]

مَنَعتْ مَحاجِرَه الكرى فإذا شَدَتْ وُرْقُ الْحَمامِ على الخمائل ناحا[٢]

وَإذا بدا بَرْقٌ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِتهامةٍ للعاشقينَ ألاحا[٣]

فَيَبِيتُ مِنْ كَلَفِ الغَرَامِ مُسَهَّداً مُضْنًى كثيرَ وَساوسٍ مُلْتَاحَا[٤]

وَيَظَلُّ خَفَّاقَ الفُؤادِ إذا غَدَا رَكْبُ الحِجازِ مسافراً أوْرَاحا[٥]

برزوا فذاب من الجوى لوداعه وحدا بهم حادي الرحيل فصاحا[٦]

يَهْوي مِنَ الحُرَقِ التي في جَوْفه أَنْ لو أَعَارَتْهُ القَطاةُ جَناحا[٧]

ذَهَبَ الرِّفاقُ وَخَلَّفُوهُ بحَسْرَةٍ وَسَقَوْهُ مُرَّ الفُرْقَةِ الذُّبَّاحا[٨]

يا ليتني مَعَهُمْ لأَنْشَقَ مِنْ شَذَا نَجدٍ نَسيماً يُنْعِشُ الأَرْواحَا[٩]

وأَشَمَّ رائحةَ السعادةِ عندما نَرِدُ المدينةَ بالرّكابِ صَباحا

وأَرَىَ دِيارَ الْوحِي والأَرْضَ التي فيها الملائكُ يملؤون الساحا[١٠]

---

(١) البلى: الفناء

(٢) طار النوم من عينيه؛ فإذا غنت الحمائم لتذكر إلفها؛ حركت شجونه فناح وبكى.

(٣) ألاح؛ كلاح: بدا وظهر. إذا برق البرق خيِّل إليه أنه آتٍ من تهامة تذكرةً للعاشقين.

(٤) الكلف: الحب المفرط. مسهداً: سهران. مضنى: مثقل من المرض. الوساوس هنا: أفكار الشر التي تتردد في القلب. التاح: عطش والغرض الفناء. البلى: الفناء.

(٥) خفق الفؤاد: اضطرب. غدا في الصباح وراح في المساء أي أتى أو ذهب. إنه يحن ويشتاق إلى أهل الحجاز إذا تذكرهم.

(٦) الجوى: شدة الحزن. فلما حدا الحادي للجمال بالرحيل لم يطق المحب الصبر فصاح.

(٧) الحرقة: الحرارة. القطاة طائر في حجم الحمام صوته (قطا قطا). يريد أن يطير فيلحق بأحبابه.

(٨) الذُّباح: وجمع في الحلق وصيفة المبالغة منه الذَّبّاح بتشديد الباء.

(٩) نشق: شم. الشذا: ذكاء الرائحة الطيبة. ينعش الأرواح: يريحها. وينشطها.

(١٠) يريد المدينة المنورة.

وأُعَفِّر الخَدَّينِ حولَ ضَرِيحِ مَنْ ... بِوجوده امْتَلأَ الوجودُ فَلَاحا[١]

خَيْر النَّبِيِّينَ الذي بَسَنَائِهِ ... قد فَسَّرُوا المْشكاةَ والمِصْباحَا[٢]

بالطَّبْعِ يُدْرِكُ صِدْقَهُ مَنْ جاءه ... يوماً وشاهَدَ وَجْهَهُ الْوضَّاحا

وَجْهٌ عليه مِنَ المَهابَةِ والْبَها ... نُورٌ يَرُدُّ الناظرَ الطَّمَّاحا[٣]

جَمَعَ المحاسِنَ عِفَّةً ونزاهَةً ... وشجاعةً وَمَرَاحِماً وَسَماحا[٤]

وَزَهادةً وعِبادةً وتواضُعاً ... شِيَمٌ بها اندحَرَ الضَّلالُ وَطاحا[٥]

يَحنُو ويدعو لِلْعِدَا من بعدما ... أَجْرَوْا دِماهُ وأثْخَنُوهُ جِرَاحا[٦]

وَأَتَتْ ملائكةُ الجِبالِ لِنَصْرِهِ ... فَعَفَا وَكانَ إذا أُغيظ أَشاحا[٧]

لولاه ما انْكَشَفت الظّلامُ لنا ولا ... عرفَ الأنامُ الواهِبَ الفَتّاحا

لولاه ما فاضَ العطاءُ ولا مَرَتْ ... كَفُّ الجنُوبِ من السَّحابِ لِقاحا[٨]

لولاهُ ما جَرتِ الدموعُ ولا طَوَتْ ... حُمْرُ المَطِيّ مَهامِها وَبِطاحا[٩]

---

(١) يتبرك الشاعر بالأرض الطيبة حتى ليعفر خديه بترابها.

(٢) السناء: الضوء. المشكاة: الكوة غير النافذة في الحائط يوضع فيها المصباح - يشير إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ونور النبيّ مستمد من نور الله.

(٣) المهابة: الجلال. البها: الحسن والظرف. طمح بصره إليه: امتد وارتفع؛ لا يستطيع أحد أن يديم بصره إليه من شدة مهابته ونوره بل يرتد البصر ويكل.

(٤) السماح: الكرم واللطف.

(٥) دحره فاندحر: أقصاه وأبعده. طاح: هلك.

(٦) أثخنته الجراح: أضعفته. مراحم الرسول فاقت الحد فقد بالغت قريش في إيذائه وقابلهم بقوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٧) أشاح بوجهه عن الشيء: نحاه وأبعده.

(٨) مرى الراعي الناقة: مسح ضرعها لتدر. لقحت المرأة والنخلة لقاحاً: حملت. لولا محمد عليه الصلاة والسلام ما فاض عطاء ولا نزل مطر.

(٩) الجمال الحمر من أجودها. المهمة: المفازة البعيدة الأطراف. البطاح: الأرض الواسعة التي فيها دقاق الحصى ولانخفاضها جرى فيها السيل.

يا صاحِبَ الآيِ التي قد أوضحَتْ طُرُقَ السّعَادِةِ والهُدَى إيضاحا[١]

خُلُقٌ أرَقُّ من النسيمِ وخِلْقَةٌ بِجَمالِها قد أعْيَت المُدَّاحا[٢]

نَطَقَ الجمَادُ بِصِدْقهِ والجِذْعُ مِنْ أَلَمِ النَّوىَ مَلأَ البِقاعَ نُواحا[٣]

وَبِنَفْثِهِ عذُبَ الأجاجُ وكَفُّهُ تُجْدِي وتارات تسيلُ قَراحا[٤]

وكلامُهُ أحْلَى من السَّلْوَى به راضَ النفوسَ النافرات جِماحا[٥]

وحديثُهُ نِعْمَ الدواءُ بِرَاحِه نَسْلو إذا عَزَّ اللقاءُ كِفاحا[٦]

ولنا الأسانيدُ العُلَى فيما رَوَى الـ ـراوُون عنه مَسانِداً وصِحاحا[٧]

ومديحُه قُوتُ القلوبِ وَرُوحُهُ بِمَجيئِها ذهبَ العنَا وانْزاحا[٨]

إن غاب عن عيني فقَلبي شاهد بَحضوره ولذا غدا مُرتاحا[٩]

---

(١) الآي جمع آية: وهي جملة من القرآن.

(٢) أعيتهم: لم يستطيعوا أن يبلغوا بمدحهم ما تجمل به الرسول الكريم من محاسن.

(٣) نفث نفثاً: نفخ مع قليل من الريق. الأجاج: الماء الشديد الملوحة. تجدي: تعطي. القراح من الماء الخالص. من معجزات النبيّ الكريم شهادة الجماد بصدقه وحنين جذع النخلة له بالنواح؛ ولما نفث في الماء الملح صار عذباً. وكفه ﷺ سالت بالماء العذب الحلو.

(٤) نفث نفثاً: نفخ مع قليل من الريق. الأجاج: الماء الشديد الملوحة تجدي: تعطي. القراح من الماء الخالص. من معجزات النبيّ الكريم شهادة الجماد بصدقه وحنين جذع النخلة له بالنواح ولما نفث في الماء الملح صار عذباً. وكفه ﷺ سالت بالماء العذب الحلو.

(٥) السلوى: طائر أبيض كالسماني اشتهر لحمه بالحلاوة. فحديث الرسول يقلب الجامح من الناس خاضعاً مطيعاً.

(٦) كفاحاً: مواجهة. الراح: الخمر.

(٧) والأسانيد الصحيحة ناطقة بشمائل المصطفى ﷺ والأسانيد الصحيحة في الإسلام جعلته أصح الأديان إذ لا توجد هذه الأسانيد في غيره.

(٨) إن النفوس لترتاح بمدح النبيّ؛ فهو قوتها وعماد حياتها فإذا استحضر الإنسان شخص النبيّ أحس كان روحه حاضرة تجلب السعادة والطمأنينة وهدوء النفس.

(٩) إن النفوس لترتاح بمدح النبيّ فهو قوتها وعماد حياتها فإذا استحضر الإنسان شخص النبيّ أحس كان روحه حاضرة تجلب السعادة والطمأنينة وهدوء النفس.

شَمَلَ الوقارُ وضاءَتِ الأنوارُ والـ أَسرارُ قد مَلأَتْ لنا الأقداحا[١]
كَأْسٌ تَرَشَّفتِ النفوسُ مُدامَها فَسَرَتْ وهَزَّ دَبِيبُها الأشْباحا[٢]
يا أَشرفَ الثَّقَلَيْنِ يا مَنْ ذِكْرُهُ قد شَرَّفَ الإنْجِيلَ والأَلْواحا[٣]
بكَ يا ابنَ آمِنةٍ نقومُ بِذُلِّنا نَرْجُو من اللّهِ الحيَا السَّحَّاحا[٤]
فأسْأَلْ لِأمتكَ الضعيفةِ رحمةً تُحْيِي المَوَاتَ وَتَدْفعُ الأتراحا[٥]
إنّ العزيزَ القَدْرِ هانَ مَقامُه وأَلَحَّ بالناسِ الْغَلَا إلْحاحا[٦]
وَتقطَّعَتْ مِنَّا الحبالُ ومالنا عَمَلٌ به نَرْجُو الإله نَجاحا[٧]
كَسَدَتْ بِضاعَتُنا وأنت عزيزُنا وَفِّرْ لنا المِكْيالَ والأرباحا[٨]
يا كعبَةَ الآمالِ يا مَنْ جُودُه يَرْوِي العِطاشَ ويَغْمُرُ الْمُمْتاحا[٩]
أنت الوسيلةُ يا أبانَا والتي لقِيتُ لفُرْقَتِكَ الحِمَامَ مُتاحا[١٠]

---

(١) شمل الوقار: عَمّ. السرّ جمعه أسرار: لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة.
(٢) المدام: من أسماء الخمر. دبَّ دبيباً: سرى. الشبح. ما بدا لك شخصه.
(٣) الثقلان: الجن والإنس. لقد وصف النبيّ ومن تبعه في التوراة والإنجيل فكان تشريفاً لهما. والألواح: ألواح موسى.
(٤) الحيا السحاح: المطر الكثير. يستشفع بالنبيّ ﷺ أن يجيء الخير ويدفع الله الضيق.
(٥) الموات من الأرض: ما لا نفع فيه لجدبه. الأتراح: ضد الأفراح.
(٦) اشتداد الغلاء؛ أذل العزيز؛ وتقطعت الروابط؛ ولم نعمل من الطاعة ما يرضي الله حتى يخفف عنا البلاء.
(٧) اشتداد الغلاء أذل العزيز وتقطعت الروابط ولم نعمل من الطاعة ما يرضي الله حتى يخفف عنا البلاء.
(٨) كسدت البضاعة. بارت كناية عن إدبار الزمن. وأنت عزيزنا: إشارة إلى سيدنا يوسف في مصر.
(٩) غمر الماء الشيء: غطاه. امتاح فلان الماء: اغترفه.
(١٠) أراد الشاعر أن يقرب عطف النبيّ على أمته فخاطبه (يا أبانا) ومن أعطف من الآباء! =

خيرُ النساءِ الحرةُ الزَّهرَا التي قلَّدْتَها دُرَرَ الفَخَارِ وِشاحا[١]

والقانِتُ الأوَّابُ قُطْبُ الحربِ والـ ـمِحْرَاب أَعْني المُرْتَضَى الجَحْجَاحا[٢]

وابْناكُمُ الحَسَنانِ أنتمُ حُجَّةُ الـ ـرحْمَنِ يَغْمُرُ فضلُكُمْ مِنْ لاحا[٣]

فَتَفَقَّدُونَا سادتي وسَلُوا لنا من ربِّنا التوفيقَ والإصلاحا[٤]

وعلى ضرائِحِكُمْ سلامٌ فَضْلُهُ يَغْشَى الصَّحَابَةَ بُكْرةً وَرَوَاحا[٥]

❊ ❊ ❊

= ووسيلتنا أيضاً السيدة فاطمة ﵍ التي حزنت حزناً عميقاً لوفاة أبيها حتى صار الموت مهيأً لها قريباً؛ فلم يمض وقت طويل حتى لحقت بأبيها.

(١) قلده الشيء جعله كالقلادة في العنق. الوشاح: شبه قلادة من جلد عريض يرصع بالجواهر. إنما هي مقلدة فخار الدين والنسبة الشريفة.

(٢) القانت: المطيل الصلاة. الأواب. التائب. الجحجاح: السيد.

(٣) لاح السفر فلاناً: غيره وأضمره. إنهم ملجأ القاصدين. الحجة: البرهان. النبيّ وآله حجة الله لأنهم دعاة دينه وبرهان يقينه.

(٤) فتفقدونا: اهتموا بأمرنا. يغشى الصحابة: يغمره.

(٥) فتفقدونا: اهتموا بأمرنا. يغشى الصحابة: يغمره.

القصيدة العاشرة

فَدَيْتُكَ

فَدَيْتُكَ هل عَلِمْتَ بِمَا جَرَى لي — غَدَاةَ الرَّكْبُ قِيلَ لنا أَناخا؟[١]
أَمَرَّ مَعِيشَتي وأَطارَ نومي — أَسًى لو كان في طفلٍ لشاخَا[٢]
وَأُقْسِمُ ما النجائبُ يومَ زُمَّتْ — لِعَقْلِ عَمِيدِكُمْ إلّا فِخاخا[٣]
تَرَادَفَتِ الهُمُومُ عليه حَتَّى — تَمَنَّى أنه في الأرضِ ساخا[٤]
يخَافِتُ كَيْ يُكاتِمَكُمْ نَشِيجاً — يُذِيبُ الصَّخْرَ وَجْداً لو أَصاخا[٥]
لأجل قلوبِكُمْ أَخْفَى ولَمَّا — خَلا بِالرَّكْب أَزْعَجَهُ صُرَاخا[٦]
وأَرَّقَهُ العَشِيَّةَ ساقُ حُرٍّ — بكى شَجْواً ولم يَفْقِدْ فِرَاخا[٧]
على عَهْدِ الوفا دُوموا فَإنّي — عليه لا أُطيقُ له انْفِساخا[٨]

---

(١) فديتك: دعاء للسامع. أناخ الركب: أبركوا الجمال استعداداً للرحيل، الأسى: الحزن.
(٢) فديتك: دعاء للسامع. أناخ الركب: أبركوا الجمال استعداداً للرحيل، الأسى: الحزن.
(٣) النجيبة: الكريمة من الإبل. زمّ البعير: خطمه وشد زمامه. العميد المعمود: من أضناه العشق. الفخ: آلة تطبق بغتة على ما يقع فيها؛ يصاد بها الطير والحيوان؛ جمعه فخاخ. لقد صار عقله أسيراً لترك الأحباب يوم الفراق.
(٤) ساخ في الأرض: خسفت به.
(٥) خفت بصوته: خفضه. نشج الباكي غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. أصاخ الرجل لمن يكلمه: استمع وأصغى.
(٦) لقد سافر مع الركب وترك الأحباب فلم يطق صبراً فأزعج الركب بصراخه.
(٧) ساق حر: ذكر الحمام.
(٨) انفسخ العقد انفساخاً: انتقض عليه؛ أي على العهد.

وَصَبْراً فالتلاقِي عن قريبٍ بِحُرْمة من بِهِ الطُّغيانُ باخا[١]

به وبِبنته وأبي تُرابٍ يُعَجِّلُ رَبُّنا عَيشاً رَخاخا[٢]

عسى بِذِمَامِهِمْ دُنْيَا ودِيناً نَفوزُ ونَرتَوِي عَذْبا نُقاخا[٣]

على أرواحِهِمْ مِنّا سَلامٌ زَكِيٌّ مِنْ شَذَاهُ العِطْرُ فاخا[٤]

❋ ❋ ❋

---

(١) الطغيان: الكفر والظلم. باخ: فتر وهمد.

(٢) الرخاخ: العيش الناعم الواسع.

(٣) النقاخ: الماء العذب البارد الصافي.

(٤) فاخ العطر: انتشر.

القصيدة الحادية عشرة

ذَكَرَ العَقيقَ

ذَكَرَ العَقيقَ فجاش مِرْجَلُ وَجْدِهِ ... وتَساقطتْ قَطَرَاتُه في خَدِّهِ(١)

والحُبُّ من شِيَمَ النفوسِ فَقَلَّما ... ذَكَرَ النَّوَى إلا وَرَى مِنْ زَنْدِهِ(٢)

فَتَحِنُّ إنْ ذُكِرَ الفراقُ لِفَقْدِها ... أَرَباً وإنْ جَهِلَتْ حَقيقَةَ فَقْدِهِ(٣)

بالْبَيْنِ تَشْعُرُ وهْيَ لا تَدْري بِمَنْ ... تُذْرِي الدموعَ على الرُّبوعِ لِبُعْدِهِ(٤)

وإذا تُنُوشِدَتْ المآثِرُ هَزَّها ... طَرَبٌ يُذَكِّرُهَا بِسابِقِ عَهْدِهِ(٥)

سِرٌّ يجِلُّ عَن العبارةِ وَصْفُهُ ... في النفس مُسْتَتِرٌ بِمَظْهَر ضِدِّهِ(٦)

---

(١) العقيق: الوادي. جاش المرجل: تحرك وغلى.

(٢) النوى: الفراق. ورى الزند: خرجت ناره.

(٣) فتحن أي النفوس. الأرب: الحاجة.

(٤) أذرت العين الدمع: صبّته.

(٥) المأثرة: المكرمة. تناشد القوم الأشعار: أنشدها بعضهم بعضاً. تنوشدت المآثر: تداول الناس الحديث في المدح.

(٦) جلّ وصفه: لم يمكن. الراقي: الصاعد في السلم؛ أي السلم المعنوي. الغفل: الذي لا فطنة له. القصد: طريق الرشد. المشرفي: السيف: الغمد: غلافه. كدّ الرجل في العمل: اشتد. المهد: سرير الطفل. درج: مشي أي نشأ. الكَلّ: عدم تحقيق المنظور. الملأ الأعلى: الملائكة المقربون.

جعل الشاعر مكان الغزل في أوائل هذه القصيدة بحثاً في حقيقة النفس الإنسانية عند أعلى المعرفة وأنها جاءت إلى الأشباح من عالم الأرواح؛ فإذا مات الإنسان عادت من حيث بدأت. فظلام الجسد حاجب لنور الروح وقد يظهر ثم يختفي؛ والإنسان في ذلك لا يدري حقيقة نفسه؛ فهي سرّ من أسرار الله. ولبس الروح الجسد في الحياة إنما هو سرّ الوجود.

يَخفَى على الفَطِنِ اللّبيبِ وَرُبَّمَا ... يَتَذَوَّقُ الرَّاقي حَلاوةَ شَهْدِهِ(١)

فَالْمَرءُ مُحْتَجِبٌ بهيكلِ جِسْمِه ... عن سِرِّهِ ومُغَفَّلٌ عن قَصْدِهِ(٢)

والرُّوحُ في الجُسدِ الكَثِيفِ عن العُلَى ... مَحْبُوسَةٌ كالْمَشْرَفيِّ بِغِمدِهِ(٣)

هُوَ قَيْدُهَا لكنَّها لجِواره ... أَلِفَتْ فَيُوحِشُها تَمَزُّقُ بُرْدِهِ(٤)

والإلْفُ مِنْ كَرَمِ الطِّباعِ لأجْلِهِ ... رَضِيتْ بما تَشْقَى بِهِ مِنْ كَدِّهِ(٥)

وَحَنِينُها أَبَداً لِأوَّلِ مَوْطِنٍ ... دَرَجَتْ هُناكَ عَلَى النَّعِيمِ بِمَهْدِهِ(٦)

وَلَرُبَّما غَلِطَتْ فَظَنَّتْ غَيْرَهُ ... سَبَبَ الحَنِينِ وَكَلُّهَا من بُعْدِهِ(٧)

فصِلَتْ عن الْمَلأ العَليِّ لحِكْمةٍ ... فِيها من المَلِكِ الفلاحُ لِعَبْدِهِ(٨)

فَنَوى المتَيَّمِ رَحْمَةٌ إذْ وَصْلُهُ ... يَحْلُو إذا سَبَقَتْ مَرارَةُ صَدِّهِ(٩)

---

(١) النوى: الفراق. إذ إنما تكون حلاوة الوصل بعد الصد. وبضدها تتميز الأشياء.

(٢) جلّ وصفه: لم يمكن. الراقي: الصاعد في السلم أي السلم المعنوي. الغفل: الذي لا فطنة له. القصد: طريق الرشد. لمشرفي: السيف: الغمد: غلافه. كدّ الرجل في العمل: اشتد. المهد: سرير الطفل. درج: مشي أي نشأ. الكَلّ: عدم تحقيق المنظور. الملأ الأعلى: الملائكة المقربون.

جعل الشاعر مكان الغزل في أوائل هذه القصيدة بحثاً في حقيقة النفس الإنسانية عند أعلى المعرفة؛ وأنها جاءت إلى الأشباح من عالم الأرواح فإذا مات الإنسان عادت من حيث بدأت. فظلام الجسد حاجب لنور الروح وقد يظهر ثم يختفي والإنسان في ذلك لا يدري حقيقة نفسه فهي سرّ من أسرار الله. ولبس الروح الجسد في الحياة إنما هو سر الوجود.

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

(٩)

وعلى الحقيقة لا حَبِيبَ لِمُهْجةٍ إلَّا الذي عَنتِ الْوُجُوهُ لَمِجْدِهِ[(١)]
رَبُّ الوجودِ وواهبُ الجُودِ الذي عَمَّ الْوَرَى سُبْحَانَهُ وبحَمْدِهِ
هُوَ مَصْدَرُ الأَفْضالِ ما مِنْ ذَرَّةٍ إلَّا وَقد غُمِرتْ بسابغِ رِفْده[(٢)]
بكماله شَهِدَتْ بوالغُ آيِهِ في الكَونِ فاعترفَ المَدِينُ بجَحْدِهِ[(٣)]
وَتقَاصَرَتْ عن كُنهِهِ فِكَرُ الوَرى والعقل باءَ بِعَجْزِهِ عَن حَدِّه[(٤)]
سُبْحَانَ مَنْ رَفَعَ السماءَ وزانَها وَمَحَى الظلامَ من الصَّباح بوَفْدِهِ[(٥)]
حِكَمٌ يَزيدُ بها اليقينُ أَلَا تَرَى لِلْغَيْثِ تحفِزُهُ زَمَاجِرُ رَعْدِهِ[(٦)]
والبحرُ فيه من العجائب جَمَّةٌ فتفكَّرُوا في جَزْرِهِ مِنْ مَدِّهِ
كَرَمٌ يَفيضُ على الخلائق مالَهُ حَصْرُ فلا تَفْنَى دَوَائِرُ عَدِّهِ[(٧)]
بِإِرَادَةٍ خَصَّ ابنَ آدمَ بالنُّهَى وهداه بالرُّسلِ الكِرَام لِرُشْدِهِ[(٨)]
وأَجَلُّ نِعْمَته لنا وَأَعَزُّنا بمحمدٍ بدر الكمال وَفَرْدِهِ
لُطْفٌ من الرحمنِ بِعْثَتُهُ لنا بإجابةٍ سَبَقتْ لِدَعْوَةِ جَدِّهِ[(٩)]

---

(١) عنت: خضعت وذلت. خرجت قائل الشعر من الحديث عن أسرار النفس وهو من مطالب الصوفية إلى العشق الإلهي.

(٢) الذرة: جزء من أجزاء الهباء المنبث في الفضاء. الرفد: العطاء. الرفد السابغ: المتسع التام.

(٣) الآى جمع آية: عجائب صنع الله. الجحد: إنكار النعمة والجحد أيضاً إنكار الحق مع العلم.

(٤) كنه الأمر حقيقته. باء بعجزه: اعترف. حدّ الرجل الشيء حَدًّا: وصفه وصفاً يحيط بمعناه، ويميزه عن سواه.

(٥) الوفد: مجيء الصباح.

(٦) الحكمة: ما وافق الحق، وصواب الأمر وسداده. اليقين: الإيمان. حفزه: دفعه من خلفه. الزمجرة هنا: صوت الرعد.

(٧) دوائر الحساب: عملياته.

(٨) النهي: جمع نهية وهي العقل.

(٩) دعوة جده: يريد دعوة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل كما جاء في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

خَيْرُ النَّبِيِّينَ الذي عَرَضَتْ لَهُ الدُّ نْيَا فَقَابَلَهَا بِآيَةِ زُهْدِهِ[(١)]
وَأَمَاطَهَا عن نفسِه بُغْضاً لها وَطَوَى الحجارَةَ فَوقَ مُتْرَفِ جِلْدِهِ[(٢)]
وَزَوَى زَخَارِفَ زَهْرِها عن عَيْنِهِ ثِقَةً من الباري بصادقِ وَعْدِهِ[(٣)]
مَعَ آلِهِ اختارَ الطَّوَى كَرَماً وَلم يَهْتَمَّ فيها بالمعاش وَرَغْدِهِ[(٤)]
صَبْراً يقولُ لِبِنْتِه خَيْرِ النِّسَا لما اشتكتْ شُحَّ الزمانِ بِرِفْدِهِ[(٥)]
وَنَدَاهُ فوقَ الناسِ يَهْمِي غَيْثُهُ في الكَوْن عَمَّ بِغَوْرِهِ وبِنَجْدِهِ[(٦)]
مَاحِي الظلامِ ومُوضِحِ الأحْكام بالْبِيضِ الرِّقَاقِ على سَوَابِقِ جُرْدِهِ[(٧)]
يلْقَى العِدَا وبنَصْرِهِ رِيحُ الصَّبَا تَجْرِي وجَبْرَائيلُ قائدُ جُنْدِهِ[(٨)]
نَسْجُ الحديد لَبُوسُه وأَسِنَّةُ الخَطِّيِّ في الهيْجَا بَرَائِنُ أُسْدِهِ[(٩)]
جَمُّ المنَاقِبِ ذِكْرُهُ لقُلوبِنا أَهْنَى من الماءِ الزُّلَالِ وبَرْدِهِ[(١٠)]

---

(١) الآية هنا: البرهان والدليل.

(٢) أماط الدنيا: أبعدها. مترف جلده: أي الذي لا يحتمل خشونة الحجارة.

(٣) زوى: أبعد. الزخارف جمع زخرف: الذهب والزينة. زهرة الدنيا: بهجتها وحسنها. ووردت آيات كثيرة في القرآن تشير إلى متاع الدنيا والآخرة من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾. ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾... إلخ.

(٤) الطوى: الجوع. الرغد: طيب العيش واتساعه.

(٥) الرفد: العطاء.

(٦) همى الغيث: كثر. الغور: ضد النجد. أي عمّ كرم الرسول كل مكان؛ فهو يحرم ابنته ويعطي الناس.

(٧) ماحي الظلام: مزيل ظلام الجهل. لبيض الرقاق: السيوف. الأجرد من الخيل: القصير الشعر والذي يسبق غيره.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

(٩) اللَّبوس: ما يلبس والدرع. الخطيّ: الرمح. الهيجا: الحرب. البرثن: من السباع والطير بمنزل الإصبع من الإنسان جمعه براثن. يريد أن أصحاب النبيّ ﷺ كانوا شجعاناً في الحروب.

(١٠) جم المناقب: الكثير المفاخر والأعمال العظيمة.

عالي المراتبِ صاحبُ الحوض الذي يُشْفَى غَلِيلُ الظامئينَ بِوِرْدِهِ[١]

يَسْقِي الوُفُودَ المُرْتضَى وَلِمَائِه لونُ الحليب إلى لُيُونَةِ زُبْدِهِ[٢]

طوبَى لشارِبِهِ ومَنْ في قَلْبِهِ مَرَضٌ يكونُ هُناكَ عُرْضَةَ طَرْدِهِ[٣]

صِيغَتْ من الشرف المُصَفَّى ذَاتُهُ فَمَكَارِمُ الأخْلاقِ مَطْلَعُ سَعْدِهِ[٤]

قَسَماً به ما مَرَّ بِي رِيحُ الصَّبَا إلّا وَحَيَّانِي بِرَيَّا رَنْدِهِ[٥]

وَخَيَالُهُ نُصْبُ العِيَانِ وحُبُّهُ مِلْءُ الضَّمِيرِ وَقَدْ عَلِقْتُ بِعَهْدِهِ[٦]

أُدْلِي إِلَيْهِ بِنِسْبَةٍ وبِخِدْمَةٍ أَصْبَحْتُ مُنْتَظِماً بِهَا في عِقْدِهِ

أَنَّى يَضِيعُ مَن اسْتَجَارَ بِرُكْنِهِ وَيُضَامُ صَبٌّ مُخْلِصٌ في وُدِّهِ؟[٧]

في ذِمَّةِ البَارِي وَحِرْزِ أَمانِهِ مَنْ كانَ خَيْرُ الخلْقِ عاضِدَ زَنْدِهِ[٨]

فَبِهِ تَوسَّلْنَا لِكلِّ مُهِمَّةٍ وبِصِهْرِهِ وَبِبِنْتِهِ وبِوُلْدِهِ

---

(١) الغليل: شدة العطش.

(٢) يريد بالمرتضى سيدنا عليّ بن أبي طالب.

(٣) الطوبى: مؤنث الأطيب وهي السعادة والخير. الذين في قلوبهم مرض: المنافقون المخادعون.

(٤) مطلع السعد: ما يتفاءل به من خير: مصداقاً لقول النبيّ ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

(٥) الرند: شجر طيب الرائحة. العهد: الذمة والميثاق. الشاعر مستغرق بعواطفه الكريمة في الذات المحمدية حتى إنه ليحس إذا مرت به ريح الصبا اللينة الآتية من الشرق وهي منعشة لطيفة أن راحة نفسه رَوْح من الرسول بل تحية منه. إذ خيال النبيّ مائل له وكلّ تفكيره فيه.

(٦) الرند: شجر طيب الرائحة. العهد: الذمة والميثاق. الشاعر مستغرق بمواطفه الكريمة في الذات المحمدية حتى إنه ليس إذا مرت به ريح الصبا اللينة الآتية من الشرق وهي منعشة لطيفة أن راحة نفسه رَوْح من الرسول بل تحية منه. إذ خيال النبيّ مائل له وكلّ تفكيره فيه.

(٧) أنى يضيع؟ استفهام معناه النفي أي لا يضيع. الركن: العز والمنعة.

(٨) الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار. وعاضد الزند: قطعة من الشجر الصالح لا يدخل النار. وذلك كناية عن رعاية الرسول الكريم وحياطته له.

فَاعْنَوْا بنا يا سادتي فالدهرُ قَدْ أَبْدَى الّذِي يُخْفِي لنَا مِنْ حِقْدِهِ
وَارْعَوْا ذِمامَ سَلِيلِكُمْ بِعِنايَةٍ تَحْمِيه من ضُرِّ الزَّمانِ وجَهْدِهِ[1]
وَاصْغُوا لِقِصَّتِهِ ولَبُّوا صَوْتَهُ فَضْلاً فحاشا بِرُّكُمْ عَنْ رَدِّهِ
وَسَلُوا لهُ التَّوْفيقَ طولَ حياتِهِ والعَفْوَ عندَ نزولِهِ في لَحْدِهِ
وَتَقبَّلُوا منه التَّحِيَّةَ كلَّمَا ذَكَرَ العَقِيقَ فجاشَ مِرْجَلُ وَجْدِهِ[2]

❋ ❋ ❋

(١) السليل: الولد والنسل.
(٢) المرجل: القدر من النحاس. جاش المرجل: غلى.

القصيدة الثانية عشرة

لِآلِ رَسُولِ اللّهِ

لِآلِ رَسُـولِ الـلّـهِ فـي خـاطِـرِي وُدّ ... تَلِينُ العُرَى بين الوَرَى وَهْوَ يَشْتَدُّ
هَوىً لم يَقِفْ بِي عندَ حَدٍّ ولم يكنْ ... كِمثْلِ هَوَى المَحْدُودِ يَضْبُطهُ الْحدُّ[١]
بِهِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيَّ تمازَجَتْ ... عِظَامِي وَلَا لَحْمٌ عَلَيْها ولَا جِلْدُ
ولولا خيالٌ لا يَغِبُّ زِيارةً ... بهِ ينْطَوِي ما بَيْنَ أَرْوَاحِنا الْبُعْدُ[٢]
لَأَحْرَقَ أَحْشَائي بِنِيرَانهِ الْجوَى ... وقَطَّعَ قلبي منْ لوَاعِجِهِ الْوَجْدُ[٣]
وَإنْ بَعُدَتْ دارِي وشَطَّ بِيَ النَّوَى ... فَرَيَّا تمنِّيهِمْ عَلَى كَبِدِي بَرْدُ
كأَنِّي لِذكرِ المصطفَى وَوَصِيِّهِ ... وَسِبْطَيْهِ والزَّهْرَا من الرقة الزُّبْدُ[٤]
لِذِكْرَاهُمُ تَهْتَزُّ رُوحِي وَينْتشِي ... فُؤَادِي ويَنْدَى من مَدَامِعِهِ الخْدُّ
أَحَادِيثُهُمْ لِلنَّفْسِ أَشْهَى من المُنَى ... وأَخْبَارُهُمْ لِلذَّوْقِ أَنَّى جَرَتْ شَهْدُ[٥]
نُحِسُّ كأَنَّا عند ذِكْرِ الذي جرى ... لَهُمْ وضَعَتْنا بَيْنَ أَنيابِها الأُسْد

---

(١) المحدود: ما له حدود تعينه.

(٢) غب الرجل عن القوم: جاء زائراً يوماً بعد يوم. الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن. الهوى اللاعج: المحرق. الوجد: شدة الحب.

(٣) غب الرجل عن القوم: جاء زائراً يوماً بعد يوم. الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن. الهوى اللاعج: المحرق. الوجد: شدة الحب.

(٤) المعنى أنه يكاد يذوب لشدة تأثره من الذكرى.

(٥) الشهد: العسل. ما دام لم يعصر من شمعه.

وَعِنْدَئِذٍ تَحْمَى الَمعاطِسُ غَيْرَةً ... تَكادُ بَها مِنَّا الْجوَانِحُ تَنْقَدُّ[١]

وَهَيْهاتَ مِنْ أَوْلادِهِمْ نجْلُ حُرَّةٍ ... يُوالي الأُلَى عادَوْهُمُ قبلُ أَوْ بَعْدُ

أُولئِك رُوحُ الكَوْنِ والحُجَّةُ التي ... بهَا افْتَضَحَ الطُّغْيانُ واتَّضَحَ الرُّشْدُ

وَهُمْ عِلَّةُ الإيجادِ لِلْخَلْقِ ثانِياً ... وهُمْ نُقْطَةُ البِيكارِ والْجوْهَرُ الفَرْدُ[٢]

مَحَى هَدْيُهُمْ لَيْلَ الضَّلالِ فأَبصَرَتْ ... بِهِ العُمْيُ واسْتَهْدَتْ بِأَنْوَارِهِ الرُّمْدُ

أُمَثِّلُهُمْ في فِكْرَتِي وشِعَارُهُمْ ... وَفَاءٌ وأَنْوَارٌ مُلَازِمُهَا الزُّهْدُ

جَلَالٌ إِلهِيٌّ عليهِمْ وهَيْبَةٌ ... سماوِيَّةٌ يَنْمَاعُ مِنْهَا الصَّفَا الصَّلْدُ[٣]

وما ثَمَّ سُلْطانٌ ولا ثَمَّ دَوْلَةٌ ... ولكنَّ جبريلَ الأمينَ لهم جُنْدُ

أَمُتُّ إِليهِمْ بالنِّجارِ وخدمة ... ومنهم على غَيْظِ العِدَا صَحَّ لي عَهْدُ[٤]

أَمِنْتُ به كَيْدَ الزمان وغَدْرَهُ ... وتَمَّ عَلَى عِلّاتِهِ لِي به الْمَجْدُ[٥]

وَجُلُّ العِدا مِمَّنْ يُؤَلِّفُ بينهم ... وبَيْني لو صَحَّتْ مناسِبُهُمْ جَدُّ

وَلا فَاضلٌ في العُرْبِ إِلّا وقومُهُ ... عِداهُ وأَولادُ الْحَرَامِ له ضِدُّ

ولا ذَنْبَ إِلّا الحقُّ لي فوجُوهُهُمْ ... لَدَى قَوْلِهِ من شِدَّةِ الضَّيْمِ تَسْوَدّ[٦]

فَقُلْ لَهُمْ ارْغُوا كيف شِيتُمْ وازْبِدُوا ... وَخَلُّوهُ يَغْلِي في صُدُورِكُم الحِقْدُ[٧]

وكُونُوا كما شِيتُمْ وطُولُوا أَوِ اقصُرُوا ... فليسَ لكُم من رغْم آنِفكُمْ بُدُّ[٨]

وَسِيَّانِ عِنْدِي سَخَطُهُمْ وَرِضَاهُمُ ... ومنْ قُرْبِهِمْ خَيْرٌ لِيَ الْبُعْدُ والصَّدُّ

---

(١) المعاطس: الأنوف. الجوانح. الأضلاع: انقدّ الشيء: انشق طولاً.

(٢) البيكار: آلة لتعيين أقطار الأجسام المستديرة. الجوهر الفرد. أصغر الأجزاء الذي تنتهي إليه قسمة الجسم البسيط.

(٣) ينماع: يذوب. الصفاة: الحجر العريض الأملس وجمعه صفا. الصلد: الصلب.

(٤) النجار: الأصل والحسب. متّ إليهم: توسل وتقرب.

(٥) العلات: الأحوال والشؤون المتنوعة. (٦) لدى قوله: الضمير يعود للحق.

(٧) رغا البعير: ضجَّ وصوَّت: أزبد البحر: قذف بالزبد. أرغى الرجل وأزبد: فار غضبه وتوعد.

(٨) آنف: جمع أنف. رغم الأنف: الذل.

مَشَائِيمُ كَذّابُونَ ذَمٌّ ثَنَاؤُهُمْ كما أَنَّهُمْ مِنْ نَقْصِهِمْ عَيْبُهُمْ حَمْدُ[١]
إذَا غِبتُ عابُونِي ولكنَّ ريقَهُمْ يَجِفُّ عَلَيْهِمْ هَيْبَةً عندما أَبْدُو
كِلابٌ لها خَلْفِي نُبَاحٌ وإنَمَا تُبَصْبِصُ مَهْما جَاءَهَا الأَسَدُ الْوَرْدُ[٢]
ومَا مَسَّنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ اجْتِهَادِهِمْ لِضُرَّى أَذًى لَكنْ بِغَيْظِهِمُ ارْتَدُّوا
وفي ذِكْرهمْ عارٌ عَلَيَّ لِأَنَّهمْ وَإِنْ كَثُرُوا حِسّاً فَمَنْ هم إذا عُدُّوا؟
لِيَصْنَعَ ما شَاءَ الأعَادِي فإنَّنِي عَلَيَّ بِفَضْلِ اللهِ مِنْ حِفْظِهِ بُرْدُ[٣]
وَبالْخمسَةِ الأرْواح أَعْلى وَسِيلَةٍ إِلَيْهِ وبالأُسْتاذِ في الْفَتْح أَعْتَدُّ[٤]
وفي كلِّ حَالٍ ليس لي غَيْرُ جَاهِهِمْ عَقَدْتُ به الآمَالِ فاسْتَوْثَقَ العَقْدُ
ولا غَرْوَ إنْ طالَتْ إلى الْفَوْزِ بي يَدٌ لَهَا خَيْرُ خَلْقِ اللهِ قَاطِبَةً زَنْدُ[٥]
ولِلِعارِف الْمِحْضَارِ أَرْفَعُ قِصَّتِي وأَصْدُقُهُ قَوْلِي وفيهِ لَهُ النَّقْدُ[٦]
خِليفَةُ أَصْحَابِ الكِسا وارثُ الهُدَى ومَنْ لِلْعُلَى والدِّينِ مَنْزِلُهُ مَهْدُ[٧]
عَلَيْهِمْ جميعاً رَحْمَةُ اللّهِ مَا بَدَا غَمامٌ وما أَبْكاهُ بِالضَّحِكِ الرَّعْدُ[٨]

---

(١) الشؤم: ضد البركة. والشؤوم الذي يجلب الشر ويمنع الخير. جمعه مشائيم.
(٢) الأسد الورد: الجريء.
(٣) الأصل: ليصنعَنْ على حد قول الشاعر: لاتهبن الفقير... إلخ.
(٤) الفتح: النصر. أعتقد: أدخل في حسابي بركة الأستاذ وأستعين به. والأستاذ هو الإمام عيدروس بن عمر الحبشي
(٥) لا غرو: لا عجب. قاطبة: جميعاً. الزند: موصل طرف الذراع بالكف. ومن كانت يده تستمد القوة من زند الرسول المبارك الشجاع ﷺ فله البشر والفوز.
(٦) نقد الكلام: وزنه وتقديره. والعارف المحضار هو العلامة الشهير مصطفى بن أحمد المحضار (١٢٨٢ ـ ١٣٧٤هـ) كان آية في الكرم والعبادة ونبل الأخلاق؛ حفر قبره قبل وفاته بأكثر من ثلاثين سنة وقرأ فيه أكثر من عشرة آلاف ختمة؛ وكان عالماً حكيماً أديباً ظريفاً وكان الإمام ابن عبيد الله يستشيره في كثير من الأمور.
(٧) المهد: الموضع يعد للطفل لكي ينام فيه. وهو هنا يصف الحبيب مصطفى المحضار.
(٨) الغمام: السحاب. الرعد يضحك بصوته ليبكي السحاب؛ فما ألطف هذا التعبير.

القصيدة الثالثة عشرة

زَارت وقَدْ جَنَحَ الظَّلامُ

زَارت وقَـدْ جَـنَـحَ الـظَّـلامُ بِـلا حِـذَا ... عُـطْـلاً مُـنَـقَّـبَـةً فَـنَـمَّ بـهـا الـشّـذا[1]

فَـسَلَلْـتُ رَوْعَـتَـها وقـلْـتُ أَلَا اثْـلَـجِـي ... لا ضَـيْـرَ مِـنْ عُـذّالِـنـا إِلّا أَذى[2]

فـتَـهَـلّـلَـتْ فَـرَحـاً وأَسْـفَـرَ وجْـهُـهـا ... والـلـيـلُ مُـسْـبِـلُ سِـتْـرِهِ فَـتَـشَـرَّذَا[3]

فَـرَأَيـتُ مـا مَـلأَ الـعـيـونَ مَـحَـاسِـنـاً ... وشَـجَـى الـفُـؤادَ فـكـادَ أَنْ يَـتَـفَـلَّـذَا[4]

شَمْسُ الضُّحَى أَبصرتُ في جَوْفِ الدُّجَا ... والرِّيمُ يخطِرَ في الِحْلَى والْجُنْبُذَا[5]

فـي صـدرِهـا أثـمـارُه وبـخَـدِّهـا ... أزهـارُهُ وكـأَنَّ فـيـهِ زُمُـرُّذَا[6]

---

(١) جنح الظلام: أقبل. بلا حذا: حافية حتى لا يقطن إليها أحد. العُطل من النساء: الخالية من الحلي إما لأنها استغنت بجمالها عن الحلي وإما للخوف من أن يسمع صوت الحلي. منقبة: ذات نقاب. نمّ: أعلن وباح. الشذا: ذكاء الرائحة الطيبة.

(٢) الروعة: الفزع والخوف. اثلجي: اهدئي واطمئني. لا ضرر. اقتبس من قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ أي إلّا ضرراً يسيراً لا أهمية له.

(٣) تهلل الوجه: تلألأ من السرور. أسفر وجهها: أشرق. تشرَّذ الليل: انتشر ظلامه وتفرق؛ وجاء في «القاموس المحيط» فشرذ بهم من خلفهم بالذال المعجمة قراءة الأعمش، وقال ابن جِنّي: لم يمرّ بنا في اللغة تركيب شرذ، وكأن الذال بدل من الدال.

(٤) شَجَى الفؤادَ: أثر فيه أو أطربه. يتفلذ: يتقطع من العشق.

(٥) الريم: الظبي. يخطر: يتمايل. الجنبذ: نوع من الحجارة الكريمة من صنف الياقوت يسمى حب الرمان. الزمرذ: لغة في الزمرد. فهو شفاف جداً حتى يخيل للناظر أن فيه خضرة الزمرد.

(٦) الريم الظبي. يخطر: يتمايل. الجنبذ نوع من الحجارة الكريمة من صنف الياقوت يسمى =

وبِثَغْرِهَا ماذِيُّ ظَلْمٍ كالطَّلَى ... في السِّرِّ لكِنْ لا صُدَاعَ وَلَا قَذَى[١]

أَلْقَتْ مَقَادَتَها إليَّ لِعِلْمِها ... أَنَّ العَفافَ على هَوَايَ اسْتَحْوَذَا[٢]

بِتْنَا وَإِيَّاها بِأَسْعَدِ لَيْلَةٍ ... لم تُلْفِ شائبةٌ إليها مَنْفَذَا[٣]

لم أَنْسَهَا أَبَداً وإن كان الْجوَى ... منها يُؤَجِّجُ بينَ جَنْبَيَّ الجِذَا[٤]

كادَتْ تَمَلَّكُني فأدركَ مُهْجَتِي ... حُبُّ النَّبِيِّ وآلِهِ فاستَنْقَذَا

مَلأَتْ مَحَبَّتُهُمْ جَميعَ جَوانِحي ... فإذا ذَكَرْتُهُمُ اكْتَفَيْتُ عَنِ الغِذَا

وإذا اكْفَهَرَّ لي الزَّمَانُ رَأَيْتَنِي ... رَخْوَ الخنَاقِ بِحُبِّهِمْ مُتَلَذِّذَا

أَنَّى تَغُولُ نَوَائِبُ الْحدَثَانِ مَنْ ... أَضْحَى بِوَاسِعِ جَاهِهِمْ مُتَعَوِّذَا؟[٥]

شَرَفٌ قِد انتعلَ الثُّرَيَّا وارْتَدَى الْمَرِّيخَ ... والْجوْزَاءُ كانَتْ مِشْوَذَا[٦]

وأَرُومةٌ كرُمتْ فأَفْرَعَتْ الهُدَى ... وبنورِها غَسَقُ الضَّلَالِ تَشَذَّذَا[٧]

جَمَعَتْ إمامَ المُرْسَلينَ وبِنْتَهُ ... وابنَيْهِما وأَبا التُّرَابِ الجَهْبِذَا[٨]

وَفُرُوعَهُمْ من كل دَفْرٍ لا يَرَى ... هَبَوَاتِهِ ليثُ الشَّرَى إلَا خَذَا[٩]

= حب الرمان. الزمرذ: لغة في الزمرد. فهو شفاف جداً حتى يخيل للناظر أن فيه خضرة الزمرد.

(١) الماذيّ: العسل. الظلم: شدة بياض الأسنان. تراها من شدة الصفاء كأن الماء يجري فيها. القذى: ما يقع في الشراب من وسخ يجعله غير مرغوب في شربه. السرّ: يقصد به التأثير الخفي في النفس.

(٢) استحوذ عليه: غلبه واستولى عليه.

(٣) لم تلف: لم تجد. الشائبة: الدنس والعيب. منفذاً: طريقاً.

(٤) الجذا: مثلث الجيم: جمع جذوة وهي القطعة من الجمر.

(٥) أنّى: كيف؟ تغول: تهلك.

(٦) الثريا والمريخ والجوزاء: كواكب في السماء. المشوذ: العمامة.

(٧) الأرومة: أصل الشجرة: ويستعار للحسب. الفسق. الظلام. تشذذ: تفرق.

(٨) الجهبذ: الناقد البصير.

(٩) دفر: شجاع. الهبوات: غبار الحرب. الشرى: طريق كثير الأسود. خذا ويخذو: استرخى.

شُمُّ المَعاطِسِ لم يُقِرُّوا باغِياً حتى يموتُوا دُونَهُ أَوْ يؤْخذَا[(١)]

صَبَرُوا فكانوا للرِّماحِ دَرِيَّةً في نُصْرةِ الإسلامِ كيْ لا يُنْبُذَا[(٢)]

غَيْظُ العِدَا وسِمامُ أحزابِ الرَّدَى والْحُجَّةُ الْكُبرَى عَلَى مَنْ شَعْوَذَا[(٣)]

يا سادتي يا مَنْ فؤادِي دَارُهُمْ لا تَتْرُكُوهُ من الكروبِ مُجَذَّذَا[(٤)]

وَخُذُوا بِثأْرِي من عُدَاتِي إنّهمْ قد صَارَحُوني بالعداوَةِ والبَذَا[(٥)]

وَبِكُمْ أَلُوذُ ولي ذِمامٌ مِنْكُم أَفَتتْركوني عُرْضَةَ الْبَلْوَى كَذَا

وَلَكُم مَدَائِحُ قُلْتُها فِيكُم إذَا أَذِنَ الْحسُودُ لَها أَقَرَّ وحَبَّذَا[(٦)]

وَمِنَ الذُّنابَي مَنْ يُمَنِّي نفسَهُ فإذَا نَظَمْتُ رَوَائِعي فِيكُمْ هَذَى[(٧)]

ومنَ المُحال بُلوغُ مِدْحَتِكُم وَإِنْ وشَّحْتُ بالدُّرَرِ القَوَافِي الشُّمَّذا[(٨)]

وَعَلَيْكُمُ الصَّلَوَاتُ ما طَوَتِ الفَلَا بالشِّعْبِ نَاجِيةٌ مَرَاعِيها الغِذَا[(٩)]

❊ ❊ ❊

(١) الأشم: المرتفع قصبة الأنف من استواء أعلاها والمعاطس: الأنوف أقر: خضع وأذعن.
(٢) همم دريئة للرماح: يعرضون أنفسهم لطعناتها. ينبذ: يتعرض للزوال.
(٣) شعوذ وشعوذة: لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر.
(٤) مجذذ: مقطّع.
(٥) البذاء: السفه.
(٦) أذن: استمع.
(٧) الذنابى: ذنب الطائر. هذى هذياناً: تكلم بغير المعقول.
(٨) الشمذ جمع شامذ: القوافي البليغة المتمثلة فكراً ورأياً
(٩) الشعب: الطريق بين الجبال. ناجية: سريعة. مراعيها الغذا: ترعى رعياً يشبعها وينمي جسمها.

القصيدة الرابعة عشرة

لا تُنْكرُوا

لا تُنْكـرُوا مَـرَّ الـنـسـيـمِ الـعَـاطِـرِ ... ذِكْـرُ الأحِـبَّـةِ قـد جَـرَى فـي خـاطِـري
رَقَّ الـحْـجَـابُ فـمـا تُـجِـنّ ضـمـائِـرِي ... يَـبْـدُو بـدُونِ تَـأَمُّـلٍ فـي ظـاهـرِي[١]
وَالْـحُـبُّ أَلْـطَـفُ مَـا يَـكـونَ طـبـيـعَـةً ... فَـيـنِـمُّ حـتـى بـالـخـيـالِ الـزائِـرِ
مـا الـطَّـيـبُ مِـنْ نـفـسـي ولـكـنْ زارَنـي ... طَـيْـفٌ تَـضَـوَّعَ مـنـه رَيَّـا حَـاجِـرِ[٢]
مَعْنًى تجَسَّمَ للضميرِ على النَّوَى ... فـكـأَنَّ مَـنْ أَهـوَى يَـلـوحُ لَـنـاظِـرِي
لَـوْلاهُ لانْـفَـطَـرَ الـفُـؤَادُ مِـنَ الْـجَـوَى ... طَـوْعـاً لأحْـكـامِ الـغَـرَامِ الْـجَـائـرِ
والـبَـيْـنُ مَـجْـلـبَـةُ الـشَّـقـاءِ بـهِ اكْـتَـسَـتْ ... أَيَّـامُـنَـا الـغَـرَّاءُ ثـوبَ دَيـاجـرِ[٣]
والـلّـهِ مـا ذُكِـرَ الـعَـقِـيـقُ وأَهْـلُـهُ ... إِلّا وسَـالَ مَـذَابُـهُ بِـمَـحَـاجِـرِي[٤]
أَتـعَـرَّضُ الـرُّكْـبـانَ مِـنْ طـرَبـي إلـى ... أَخْـبَـارِهِ مـهْـمَـا عَـلِـمـتُ بِـصَـادِرِ[٥]
فـإذا ظَـفِـرْتُ بـه سَـرَتْ حَـالـي لـه ... واسْتَعْجَلتهُ عن الكلامِ بوَادِرِي[٦]

---

(١) تجن: تحفى
(٢) الحاجر: ما يمسك الماء من شفة الوادي، فتنبت فيه الأزهار البرية الذكية.
(٣) الدياجر: الظلمات.
(٤) المحاجر: العيون.
(٥) طريق صادر: يصدر بأهله عن الماء. قد أعلم أن من غاب عائد من سفره. ولكني من طربي وسروري بالحديث عنه أسأل عنه المسافرين.
(٦) سرت حالي له: يريد عرف شدة تعلقي به. البوادر: الدموع.

وعَدَتْ لَوَاعِجُنا الرِّكابَ فأَبْطأت ... بالسَّيْرِ هازئةً بِزَجْرِ الزَّاجِرِ[١]

عَجَباً لِغِلْظَتِهِ ورِقَّةِ طبْعِهَا ... ونَبَاهَةٍ فيها ولُطْفِ مَشَاعِرِ[٢]

يا ليْتَ شِعْرِي والتَّمَنِّي باطلٌ ... بمُحَالِهِ تَرْتاحُ نَفسُ السَّاهِرِ[٣]

هل لي إلَى البلدِ الأمِينِ زِيارةٌ ... تحيْا بها رُوحِي ويَسْعَدُ طائِري[٤]

وتَقَرُّ لي عَيْنِي وتَبْرُدُ غُلَّتي ... وأَشَمُّ عَرْفَ سَعَادةٍ وبَشَائِر[٥]

ويَخِفُّ مِنْ أَثقالِهِ ظَهْري بِحَطِّ ... الرَّحْلِ في حَرَمِ النَّبيِّ الطَّاهِرِ[٦]

حيثُ الوُفُودُ من الملَائِكِ والْوَرَى ... فِي زَحْمَةٍ عندَ الضريحِ الزَّاهِرِ

وهنالك العَبرَاتُ تُرْسَلُ والثَّرَى ... يُرْوَى بدمع الخاشعينَ الماطِرِ[٧]

حيثُ الحمامُ لهُ لدَى شُبَّاكِهِ ... زَجَلٌ يُهَيِّجُ حُزْنَ كلِّ مُجَاوِرِ[٨]

والناسُ بَيْنَ مُرَتِّلٍ مُتَدَبِّرٍ ... آيَ الكِتابِ وبَيْنَ باكٍ ذاكِرِ

ومُمَرِّغٍ في التُّربِ صَفْحَةَ خَدِّهِ ... ومُرَدِّدٍ حَمْدَ الإلهِ وشاكِرِ

تلكَ المواقِفُ لا تَمَثَّلُها النُّهَى ... إلّا بشَوْقٍ في القلوبِ مُخامِرِ[٩]

فإذا تَصَوَّرْنا الوُفودَ وحالَهم ... ووُرُودَ طَيْبَةَ في الصباحِ الباكِرِ

---

(١) الركاب: الإبل. زجره: أراد منعه عن الشيء. انتقلت عدوى الرقة وشدة التأثر إلى الجمال فتأنت في السير ولم تعبأ بإزعاج المسافرين لها لتسرع.

(٢) يعجب الشاعر من غلظة الإنسان ورقة طبع الحيوان إذ إنه رثى لحاله فتأنى في السير.

(٣) إنه يسهر ويعز عليه النوم لما شغله من الشوق إلى البلد الأمين حتى ليخيل إليه أنه لن تتحقق أمانيه ولكن نفسه ترتاح إذ يملؤها التفكير فيما أحب.

(٤) الطائر هنا: الحظ.

(٥) قرت عينه: سعد واستراح. الغلة: العطش. العرف: الرائحة الطيبة.

(٦) ويخف من أثقاله ظهري: كناية عن راحة النفس وزوال العناء.

(٧) العبرات: الدموع. الثرى: التراث.

(٨) الزجل: الصوت.

(٩) النهى: العقول. المخامر. مخالط القلوب. تمثلها: أصل الفعل نتمثلها حذفت التاء الأولى.

فتَحَتْ عزاليها الشُّؤونُ من الهوى وغَرِقْتُ في بحرِ الهُيامِ الزَّاخرِ(١)
فكأَنَّ صَدْرِي بيْن لَحيَيْ ضَيْغَمٍ وكأَنَّ قلبي في قَوادِمِ طائرِ(٢)
فعَسَى إلى بَلدِ الهُدَى لي عَوْدَةٌ فيها أَفُوزُ بفَيْضِ جُودٍ غامِرِ
وعسَى يُساعِدُني الزمانُ بِهمَّةٍ تمْضِي عزائمُها مَضاءَ البَاترِ(٣)
فأُواصِلُ الغَدَواتِ بالرَّوْحَاتِ لا أَخْشَى الظلامَ ولا سُمومَ الهاجرِ(٤)
حتَّى تَلوحُ القُبَّةُ الخضراءُ والبَلدُ المُكَلَّلُ بالجمالِ البَاهِرِ(٥)
فإذا بدَا للناظرينَ سَنَاؤُها وجَمُوا لسلطانِ الوَقارِ القاهرِ(٦)
سكَتُوا كأَنَّ الطيرَ فوقَ رُؤُوسِهم رَهَباً وهُمْ في ضَجَّةٍ وزمَاجِرِ(٧)
فإذا دَنَتْ بِهِمُ المَطِيُّ تَساقَطوا لدُخولِ مَسْجِده الأغَرَّ السافِرِ
وأتَوْهُ بيْن مُقَصِّرٍ مِنْ خَطْوِه لعَظيمِ هَيْبَتِه وبَيْنَ مُبادرِ(٨)
وهناكَ أَدْخُلُ بانكسَاري بادياً بتَحِيَّةِ المَلِك الجليل الْفاطر(٩)
وأعُوجُ للهادي أُخَاطِبُه بتَسْليمي وحَاجاتي خطابَ الحاضِرِ(١٠)
مِني السلامُ عليكَ يا مَنْ ودُّهُ كَنْزِي لعَاجلَتي ويَوْمي الآخِرِ

---

(١) العزلاء: فم الدلاء الذي يسقط منه الماء والجمع العزالى بفتح اللام وكسرها وأرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادات.
(٢) اللحي: الفكّ. الضيغم: الأسد. قوادم الطائر: عشر ريشات في مقدم جناحه.
(٣) الباتر: السيف. مضى السيف: قطع.
(٤) الهاجر: نصف النهار عند اشتداد الحر.
(٥) تلوح: تظهر. المكلل: المزيَّن.
(٦) وجموا: سكنوا.
(٧) الرهب: الخوف.
(٨) المبادر: المسرع.
(٩) الفاطر: الخالق. يريد بتحية الملك الصلاة.
(١٠) عاج: مال.

مـنّـي الـسـلامُ عـلـيـكَ يـا مَـنْ عِـنْـدَهُ ... يـتَـكَـرَّمُ الـمَـوْلَـى بـرِبْـح الـخـاسِـر
مِنّي السلامُ عليكَ يا مَنْ ذِكْرُه المحمُودُ ... فَــخْــرُ مــنــائــرٍ ومــنــابــرِ
مـنّـي الـسـلامُ عـلـيـكَ يـا مَـنْ مَـدَحُـهُ ... في الذِّكْرِ أَغْنَى عَن مديحِ الشَّاعرِ[١]
يـا ابـنَ الـعـواتِـك يـا رسـولَ الـلّـهِ يـا ... جَـدّي حَـنـانـاً لـلـضـعـيـفِ الَـحْـائـرِ[٢]
لِأسِـيـرِ أَشْـجَـانٍ إلـى عَـلْـيـائِـكُـمْ ... يُـدْلِـي بـثـابـتِ ذِمَّـةٍ وأواصِـر[٣]
قـلـبَـتْ لَـهُ الأيَّـامُ ظَـهْـرَ مِـجَـنّـهـا ... وَلِـحـظِّـهِ انـكَـشَـفَـتْ بـوَجْـهٍ بـاسـرِ[٤]
وبِـصَـدْرِه غَـرضٌ كـفَـانـي عِـلْـمُـكُـمْ ... عـنْ ذِكْـرِه فـمَـحـلُّـكُـمْ بـسَـرائـرِي
لا زلْـتَ يـا نـورَ الـوجـودِ ورُوحَـهُ ... مِـنّـا تُـحَـيَّـا بـالـسـلام الـوافـر
وعـلـيـكَ صـلّـى الـلّـهُ ما رقَـصَـتْ إلـى ... سُـوح الـحـجـاز نـجـيـبَـةٌ بـمُـسَـافـر
وعَـلـى صـحَـابـتـكَ الأجـلَّـةِ حَـافـظي ... عَـهْـدِ الـوفـا مـن كـلّ حُـرٍّ صـابـر
وعـلـى وصـيِّـكَ والـوزيـر الـمُـرْتـضَـى ... غـيْـظِ الـعِـدَا وقـذا عـيُـون الـكـافـر
جَـمِّ الـثَّـبَـاتِ وصـادقِ الـوَثَـبَـاتِ فـي ... يـوم احْـتِـدَام تـجَـالُـدٍ وتـشَـاجُـر
الـكـاشـفِ الـكُـربـاتِ عِـنْ خـيـر الـوَرى ... بـالـمـشْـرفـيَّـة والـقـويـم الـشَّـاجـر[٥]
هـلْ قـال غـيـرُ أبـي الـتُّـرَابَ أنـا لَـهـا ... لـمّـا تَـحـدَّى الـقـوْم فـارسُ عـامـرٍ[٦]
وبـضَـرْبـةٍ مـن ذي الـفـقَـار لـمـرْحـبٍ ... شـالـتْ نـعَـامـتُـه كـأَمْـس الـدَّابـر[٧]

---

(١) الذكر: القرآن.

(٢) العاتكة: المرأة تسكثر الطيب. والعواتك في جدات النبيّ ﷺ تسع.

(٣) الأواصر: الروابط.

(٤) المجن بكسر الميم وفتح الجيم: الترس. ومن أمثال العرب قلب له ظهر المجن أي استعد لحربه. باسر: عابس.

(٥) الشرفيه: السيوف. الشاجر: الرمح.

(٦) فارس عامر: هو عمرو بن عَبْدُوَدّ.

(٧) ذو الفقار: سيف الإمام. شالت نعامته: مثل يضرب للفرار.

مـنْ غـيـرُهُ خَـلَـفَ الـنَّـبـيَّ بـفـرشـه ... وعِـداهُ تـرصُـدُ قـتْـلـهُ بـخـنـاجـر
وَمَـن الـمـلازمُ لـلـنَّـبـيِّ مُـذِ اشْـتَـكـى ... حـتَّـى تُـوُفـي وهْـو خـيْـرُ مـوازر
وحـديـثُ سُـدُّوا بـاب كُـلٍّ غـيـرُه ... حـقٌّ روايـةُ كـابـرٍ عـن كـابـر
فـعـلـيـه بـعـدك يـابْـنَ آمـنـة مـن ... الـمُـضْـنَـى صـلاةٌ لا تُـحـدُّ لـحـاصـر[1]
وعـلـى خَـدِيـجـةَ والـمصُـونَـةِ بِـنْـتِـهَـا ... أُمِّ الـنّـتـاجِ الـطِّـيِّـب الـمُـتُـكـاثـرِ
وعـلـى الْـحُـسَـيْـنِ وصِـنْـوِهِ وَبـنِـيـهِـمـا ... سُـفُـنِ الـنَّـجَـاةِ أَمـانِ كـلِّ مُـحـاذِرِ

* * *

(١) لا تحد لحاصر: لا يحدها حصر ولا عدد.

القصيدة الخامسة عشرة

في الروضة الشريفة

وهذه القصيدةُ كان إنشاؤها في ذي القَعْدة من سنة ١٣٥٤هـ بالمدينة المنورة؛ وتكرر إنشادها بالروضة الشريفة بجانب القبر الأعطر؛ ولكن بصوتٍ خافتٍ؛ حتَّى اطّلع عليها بعض العلماء المصريين؛ واسمه فيما أتذكر (محمد عبد الله دراز) فشجَّعني على قراءتها أمام الضريح؛ فقمت وإيَّاه في جمعٍ من الناس؛ وأنشدناها بعقب السلام؛ من غير تَهَيُّب؛ ولم يعترضنا أحد، وحصلَ من الخشوع ما نتمنى أن يكون عنوان الإجابة، وكان ذلك حين الوداع، وكله بعقب الاعتمار والرجوع من مكة؛ كما يُعْرَفْ منها؛ ثم عدنا للحج نسأل الله القبول[1].

هَيْبَةٌ تَبْدُو وسِرٌّ يَظْهَرُ ... وَشَذاً يَذْكُو ونَورٌ يَبْهَرُ

هذه طَيْبَةُ والْهَيْبَةُ مِنْ ... فَوْقِها ظاهِرةٌ لا تُنْكَرُ

---

(١) في هذه السنة حج الإمام ابن عبيد الله وحضر المأدبة التي أقامها الملك عبد العزيز يرحمه الله لكبار الحجاج وممن حضرها الدكتور محمد حسنين هيكل والحاج أمين الحسيني والأمير شكيب إرسلان والشيخ حسن البنا والاقتصادي المصري الكبير طلعت حرب الذي جاء للحج لأول مرة على طائرة مصرية وتكلم الإمام ابن عبيد الله ارتجالاً في هذه الجلسة بعدما تكلم قبله عدد من كبار الأدباء العرب فعلق على خطب من سبقه وندد بالأدباء الذين افتتنوا بأدب الغرب ولم يحفلوا بأدب العرب وقال: هاتوا ما شئتم من أدب الغرب آتكم بعشرات الأمثال عليه من أدب العرب وما انتهى من خطبته حتى حملوه على الأعناق تكريماً له واعترافاً بفضله وأدبه وغزارة علمه وقال الشيخ خالد باخشب وهو من المعمرين الذين حضروا هذا المجلس أن الملك عبد العزيز قال لابن عبيد الله: بارك الله في الأرض التي أنجبتك.

هــذه قُــبَّــةُ خَـيْــرِ الأنْــبِـيــا يَـتَـغَـشَّـاهَـا شُـعَـاعٌ أَخْـضَـرُ
مَـشْـهَـدٌ يَـسْـبِـي الـنُّـهَـى سُـلْـطـانُـهُ مَــا رَآهُ الــنَّــاسُ إِلَّا كَــبَّــرُوا
هـا هـنـا فَـيْـضُ الْـعَـطَـايـا والـرِّضـا حَـاجَـةٌ تُـقْـضَـى وذَنْـبٌ يُـغْـفَـرُ
رَوْضَــةٌ مِــنْ جـنَّـةِ الـخُـلْـدِ إلـى جَـنْـبِـهـا سِـرُّ الـحـيـاةِ الْـمِـنْـبَـرُ
ولـذا يـوُضَـعُ فـي الـحـشْـرِ عَـلَـى رَبْــوَةٍ مِـنْـهَـا يَـسِـيـلُ الْـكَـوْثَـرُ
هـا هـنـا جِـبْـرِيـلُ بِـالْـوَحْـيِ أَتَـى هَـاهُـنـا الْـمُـزمِّـلُ الْـمُـدَّثِّـرُ[(١)]
بُـقْـعَـةٌ تَـهْـوِي لَـهـا الأَلْـبَـابُ مِـنْ كـلِّ إِقْـلِـيـمٍ بِـشَـوْقٍ يَـقْـهَـرُ[(٢)]
وإذا لَاحَ مِــنَ الـصُّـبْـحِ سَـنـاً فـاحَ مِـنْـهَـا فـي الْـوُجُـودِ الـعَـبْـهَـرُ[(٣)]
بُـقْـعَـةٌ مِـنْ دُونِـهـا الْـعَـرْشُ كـمـا نَـقَـلَ الإجْـمَـاعَ قَـوْمٌ قَـرَّرُوا[(٤)]
بَـلْـدَةٌ حَـصْـبَـاؤُهـا دُرٌّ ومـا تُـرْبُـهـا إلَّا فَـتِـيـقٌ أَزْفَـرُ[(٥)]
مَـثَّـلُوا الأصـحـابَ يَـمْـشُـونَ بـهـا حَـوْلَـهُ والآلُ مـنـهـم زُمَـرُ[(٦)]
دَبَـغَـتْ أَقـدامُـهُـمْ تُـرْبَـتَـهَـا فَـلِـذا مـنـهـا يَـضُـوعُ الْـعَـنْـبَـرُ[(٧)]
بَـلْـدَةٌ مَـشْـهُـودَةٌ مَـأْثُـورَةٌ مَـنْ أَتـاهـا زائـراً لا يَـخْـسَـرُ[(٨)]
لا يَـرَى الْـخـيْـبَـةَ فـي طَـيْـبَـةَ مَـنْ جَـاءَ يَـرْتـادُ الـنَّـدَى فـاسْـتَـبْـشِـرُوا

---

(١) إشارة إلى وصف الله لنبيه وندائه إياه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ المزمل. أصله المتزمل من تمزل في ثيابه إذا تلغف بها. المدثر: أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو الثوب الذي يكون فوق الشعار مما يلي البدن.

(٢) تهوى: تميل.

(٣) العبهر: النرجس أو الياسمين.

(٤) دون هنا: بمعنى فوق. العرش: كرسي الله تعالى الذي وسع السماوات والأرض.

(٥) الحصباء: الحصى. الفتيق من المسك: ما خلط بالعنبر. الأذفر: قوى الرائحة.

(٦) زمر: جماعات. يضوع: ينتشر.

(٧) زمر: جماعات. يضوع: ينتشر.

(٨) مشهودة: يحضرها أهل السماوات والأرض. مأثورة: مفضلة.

بَـلْـدَةٌ حَـتَّـى عَـلاقـاتُ الـهَـوَى ... لِـلْـمُـحِـبِّـيـنَ بِـهَـا لا تَـخْـطُـرُ
فـلـقـد عَـايَـنْـتُ مِـنْ حَـرِّ الْـجـوَى ... لَاعِـجـاً حُـرْقَـتُـهُ مـا تَـفْـتُـرُ
أَتـقَـلَّـى مـن تَـبَـارِيـحِ الـنَّـوَى ... وإذا نـامَ خَـلِـيٌّ أَسْـهَـرُ[1]
لـم يَـدَعْـنِـي الـشَّـوْقُ إِلّا وَالِـهـاً ... كَـبِـدٌ تُـشْـوَى وعَـيْـنٌ تُـمْـطِـرُ[2]
غَـيْـرَ أَنِّـي مُـذْ رأَيْـتُ الْـبَـيْـتَ لـم ... يَـبْـقَ فـي نـفـسـي لَـشَـيءٍ خَـطَـرُ[3]
حَـرَمٌ مـا فـيـه إلّا طـائِـفٌ ... أَوْ مُـصَـلٍّ أَوْ مُـنِـيـبٌ يـجْـأَرُ
أَوْ نَـشِـيـجٌ أَوْ عَـجِـيـجٌ أَوْ دُعَـا ... مَـنْـظَـرٌ مـنْـهُ يَـذُوبُ الـحـجَـرُ[4]
مَـوردٌ عِـدٌّ وعَـذْبٌ سَـائِـغٌ ... كـلُّ وفْـدٍ عـنـدَهُ مُـحْـتَـضِـرُ[5]
وَعَـطِـيَّـاتٌ غَـزِيـرٌ جُـودُهَـا ... وهِـبَـاتٌ مَـدُّهَـا لا يَـجْـزُرُ
وَغَـمَـامٌ فـائـضٌ روَّادُه ... بـأَقـاصِـي الأمـانـي تَـصْـدُرُ[6]
وَسَـوَاءٌ فـيـه مَـحْـبـوكُ الْـقـوَى ... والـفـقـيـرُ الـعَـاجِـزُ الـمـحْـتَـقَـرُ
حِـكْـمَـةٌ بَـالِـغَـةٌ فـي ضَـوْئِـهَـا ... يَـتَـرَاءَى لـلـعـقـولِ الْـمَـحْـشَـرُ
ثـمَّ واصَـلْـنَـا الـسُّـرَى حـتـى وشـى ... بـشـذا وادي الـعـقـيـق الإِذْخِـرُ[7]
ثـمَّ لَـمَّـا ظَـهَـرَتْ لـي طـابَـةٌ ... كـادَ قـلـبِـي عـنـدَهـا يَـنْـفَـطِـرُ[8]
حِـرْتُ لا أدْرِي أَيـقْـظَـانُ أَنَـا ... أمْ رُؤىً مَـا قَـدْ جَـرَى يُـعْـتَـبَـرْ

---

(١) أتقلى: أتعذب. مثل الطعام الذي ينضج في المقلى على النار. تباريح النوى: شدائد الفراق.
(٢) الواله: الذي ذهب عقله من شدة الحزن.
(٣) ليس لشيء خطر: اهتمام.
(٤) نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. العجيج: رفع الصوت.
(٥) العِدّ: الماء الجاري الذي لا ينقطع. محتضر: حاضر.
(٦) كل من جاءه يصدر عنه مقضيّ الحاجات.
(٧) الإذخر: نبات طيب الرائحة.
(٨) ينفطر: يتشقق من شدة التأثر لرؤية معالم المدينة المنورة.

فَلَقَدْ شَاهَدْتُ مَا رَوْعَتُهُ … عَنْ لِسَانِي وجَنانِي تَكْبُرُ(١)

قُبَّةٌ مِنْ فَوْقِهَا نُورُ الهُدَى … لِعَمُودِ الصبحِ لا بلْ أَظْهَرُ

وقْتَمَا لَاحتْ عَرَتْنَا هَزَّةٌ … طَفِقَ الدَّمْعُ لَها يَنْتَثِرُ

وَانْتَشى الرَّكْبُ وكَمْ مِنْ مُهْجَةٍ … طَرِبَتْ لَمَّا تَجَلَّتْ تَقْطُرُ(٢)

وَجَدِيرٌ كلُّ ما صار فَمَا … مثْلُهُ في الأَرْضِ يَبْدُو مَنْظَرُ(٣)

يا رسولَ اللّهِ حاولْتُ الثَّنا … فإِذَا بِالْمَدْحِ عَنْكُمْ يَقْصُرُ

وَعَرَتْني مِنْ سَنَاكُمْ أُخْذَةٌ … فَغَدَتْ عَنِّي القَوَافِي تَنْفِرُ(٤)

أَنْتُم رُوحُ المعالي وَالنَّدَى … أَنْتُمُ سِرُّ الهُدَى الْمُعْتَصَرُ(٥)

زِنْتُمُ الإِسْلَامَ وَالدُّنْيا كَمَا … زَيَّنَتْ كُمْتَ الْجِيَادِ الغُرَرُ(٦)

نَعْمَةٌ مِنْ عَالمِ الْقُدْسِ انجَلَتْ … وتَدَلَّتْ فَاحْتَوَاهَا بَشَرُ(٧)

وَضِيَاءُ دُونَهُ الشَّمْسُ الَّتِي … مِنْ سَنَاهَا يَسْتَمِدُّ الْقَمَرُ

شَرَفٌ ضَخْمٌ مَعِزٌّ بَاذِخٌ … ضَاقَ عَنْهُ الْحَدُّ لَا يَنْحَصِرُ(٨)

مَظْهَرُ الإِحْسَانِ والْحُسْنِ الَّذِي … مِنْهُ فاضَتْ للمعانِي الصُّوَرُ(٩)

---

(١) الروعة هنا: ما يدهش مما يسر النفس ويهزها. الجنان: العقل.

(٢) المهجة: الروح. تقطر: تذهب وتفنى.

(٣) جدير: حقيق.

(٤) عرتني: حصلت لي. السنا: الضوء. الأُخذة بضم الهمزة: رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر. يريد بالقوافي الشعر. تنفر: تشرد.

(٥) المعتصر: الخالص أو الموقوف عليكم.

(٦) الكميت من الخيل ما خالط حمرته سواد. الغرر: جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس.

(٧) عالم القدس: عالم الطهارة. بشر: يقصد الرسول الكريم.

(٨) باذخ: عال.

(٩) الصور والأعمال الحسية دالة دلالة كاملة على المعاني السامية ومترجمة عنها. فالرسول ﷺ دلت مظاهره على ما أضمرته نفسه من كل معاني السمو والأخلاق الشريفة الكريمة.

غَـرِقَ الْـفَـهْـمُ مِـنَ الْـحَـيْـرَةِ فـي وَصْـفِـكَ الأَسْـمَـى الـذي لا يُـقْـدَّرْ
رُتْـبَـةٌ لا يَـرْتَـقِـي الْـفِـكْـرُ لـهـا والـنُّـهَـى عَـنْ شَـأْوِهَـا تَـنْـحَـدِرُ[1]
مَـا لَـعـلِّـي قـائـلٌ فـي مـدحِـكُـمْ بـعـدمـا قـد رَتـلَّـتْـهُ الـسُّـوَرُ
وَبِـوُدّي أن أُطِـيـلَ الـقـولَ عَـنْ مَـا بـأَحْـشَـائـي ولا أَخْـتَـصِـرُ
غـيـرَ أَنِّـي سـاوَرَتْـنِـي دَهْـشَـةٌ صِـرْتُ مـنـهـا واجِـمـاً لا أَجْـسُـرُ[2]
يـا نَـبِـيَّ الـلّـهِ هـذا عَـبْـدُكُـم وَابْـنُـكُـمْ جاءَ بِـكُـمْ يَـسْـتَـنْـصِـرُ
مَـسَّـهُ الـدَّهْـرُ بِـضُـرٍّ وأَذًى وَمَـشَـقَّـاتٍ وَجَـهْـدٍ يَـعْـسُـرُ
وَتَـلَـقَّـاهُ بِـوَجْـهٍ بَـاسِـرٍ لـم تَـكَـدْ مِـنْـهُ تَـغِـبُّ الْـغِـيَـرُ[3]
وَبِـحَـظّ قـلّـمـا سـارَ إلـى وِجْـهَـةِ الْـعَـلْـيَـاءِ إِلّا يَـعْـثُـرُ
ولـقـد ضَـاقَـتْ بِـحـالِـي حِـيـلَـتِـي وسِـوَى حُـبِّـي لـكُـمْ لَا أَذْخَـرُ[4]
يـا رسـولَ الـلّـهِ مـا لـي غَـيْـرُكُـمْ أَنْـتُـمُ الـسَّـمْـعُ لـنـا والْـبَـصَـرُ
ولَـكُـمْ جَـاهٌ عَـرِيـضٌ عِـنْـدَ مَـنْ يَـكْـشِـفُ الْـبَـلْـوَى فـلا تَـعْـتَـذِرُوا
أَتَـرُدُّونـي وَكَـعْـبٌ فَـائِـزٌ وأَنَـا بِـالْـعَـطْـفِ مِـنْـكُـمْ أَجْـدَرُ[5]
وأَمَـادِيـحِـي بِـلَا فَـخْـرٍ ولا مِـنَّـةٍ فِـيـكُـمْ لَـعَـمْـرِي أَشْـعَـرُ
ومِـنَ الـنِّـسْـبَـةِ والـخِـدْمَـةِ لـي ذِمَّـةٌ صَـادِقَـةٌ لا تُـخْـفَـرُ[6]
وَلِـسُـكَّـانِ الْـبَـوَادِي فـي الـقُـرَىَ مَـذْهَـبٌ يُـرْوَى وَشَـأْنٌ يُـذْكَـرُ

(١) الشأو: الغاية والأمد والعقل. لا يستطيع الإحاطة بما للنبيّ من أوصاف شريفة.

(٢) ساورتني: حلّت بي. واجماً: صامتاً.

(٣) غبَّت: انقطعت.

(٤) ذخر الشيء: خبأه لوقت الحاجة.

(٥) كعب: يقصد كعب بن زهير بن أبي سُلْمى الذي مدح النبيّ ﷺ بقصيدته المشهورة (بانت سعاد) لما اعتذر من رسول الله ﷺ وأعلن الإسلام.

(٦) خفر العهد: نقضه.

ويَـداكُـمْ بِـالْـعَـطَـا مَـبْـسُـوطَـةٌ دُونَـهـا كـلُّ عُـبَـابٍ يَـزْخَـرُ[١]
ولَـئِـنْ كُـنَّـا أَسَـأْنـا فَـلَـكَـمْ قَـدْ حَـقَـنْـتُـمْ مِـنْ دِمـاءٍ تُـهْـدَرُ[٢]
بِـكَ نَـسْـتَـسْـقِـيَ وما زَالَ الْـحَـيَـا لِـمَـنِ اسْـتَـسْـقَـى بِـكَـمْ يَـنْـهَـمِـرُ[٣]
فَـاطْـلُـبُـوا الـلّـهَ لـنـا رُحْـمَـى بِـهَـا كـلُّ كَـسْـرٍ عَـنْـدَنـا يَـنْـجَـبِـرُ
ومُـعَـافَـاةً ورِزْقـاً واسِـعـاً فـي هَـنَـاءٍ مِـنْ حَـلَالٍ يَـغْـزُرُ
ولِـحـاجَـاتِـي قـضـاءً عـاجِـلاً ولآمـالِـي نَـجـاحـاً يُـثْـمِـرُ
ومَـتَـابـاً صـادِقـاً يُـمْـحَـى بـه مِـنْ كِـتَـابِ الـذَّنْـبِ مَـا يُـسْـتَـطَـرُ[٤]
وثَـبـاتـاً سـاعـةَ الـسَّـوْقِ وَفـي يـومِ يَـأْتِـي لِـسُـؤَالـي مُـنْـكَـرُ
فَـلَـقَـدْ فَـرَّطْـتُ حـتـى ذَهَـبَـتْ مَـيْـعَـةُ الْـعُـمْـرِ ووَافَـى الْـكِـبَـرُ[٥]
فَـعَـسَـى عـارِفَـةٌ مِـنْ جُـودِهِ غَـمْـرَةُ الْـغَـيِّ بِـهَـا تَـنْـحَـسِـرُ[٦]
وتَـنَـالُ الْـخَـصْـمَ مـنـهـا نِـقْـمَـةٌ ظَـهْـرُهُ مِـنْ هَـوْلِـهـا يَـنْـكَـسِـرُ[٧]
تَـفْـقَـأُ الـعـيـنَ وتَـحْـشُـو جَـوْفَـهُ كَـمَـداً نِـيـرَانُـهُ تَـسْـتَـعِـرُ
فَـلَـقَـدْ جَـاوَزَ حَـدَّ الاعْـتِـدَا وتَـوَلّاهُ الْـغَـوِيُّ الأشِـرُ[٨]
كَـمْ تَـجَـلَّـدْتُ لِإرْغـامِ الْـعِـدَا فَـطَـغَـى الْـمَـاءُ فَـلَا مُـصْـطَـبَـرُ
أَكْـتُـمُ الـشَّـكْـوَى وأَمَّـا عِـنْـدَكُـمْ فَـبِـإِعْـلانِـي لَـهـا أَفْـتَـخِـرُ
فَـاسْـأَلُـوا الْـجَـبَّـارَ يَـرْمِـيـهِـمْ بـمـا يَـقْـطَـعُ الـدَّابِـرَ أَوْ يَـنْـزَجِـرُوا

---

(١) العباب: كثرة الماء. زخر البحر: طما وارتفعت أمواجه.

(٢) حقن الدماء: منع الشخص أن يقتل. أهدر دم فلان: أجاز قتله.

(٣) الحيا: المطر. ينهمر. ينزل بكثرة.

(٤) يستطر: يسطر ويكتب.

(٥) ميعة العمر: قوة الشباب ونشاطه. مأخوذ من جريان الماء. ماع يميع: سال.

(٦) الغي: الضلال. الغمرة: الشدة. انحسرت: انكشف.

(٧) النقمة: ضد النعمة.

(٨) الغوي: الضال. الأشر: المرح والبطر. الغوي الأشر: يريد أن الشيطان استبد به.

الْوَحا يا سَيِّدَ الْكَوْنِ الْوَحا ... إنَّني مِنْ مُدَّةٍ أَنْتَظِرُ[(١)]

يا أَبانا اسْتَغْفِرِ اللّهَ لنا ... فالَخطايا لَيْلُها مُعْتَكِرُ[(٢)]

وعَلَيْكَ اللّهُ قَدْ حَوّلَنا ... فَأَتَيْناكَ لَها نَسْتَغْفِرُ

يا رسولَ اللّهِ يا مَنْ آيَةُ ... بَيْنَنا مَلْمُوسَةٌ والنُّذُرُ

وَسَواءٌ بَعْدَ ما قَدْ بَهَرَتْ ... آمَنَ القَوْمُ بِها أَوْ كَفَرُوا

أَيُّ شَكٍ بعد أُمِّيٍ أَتَى ... بِفَصِيحِ الْقَوْلِ لَوْ يَدَّ كِرُوا

وَعَلَيْكُمْ صَلَوَاتٌ كُلَّما ... تُلِيَتْ للناسِ عَنْكُمْ سِيَرُ

وَتَحِيَّاتٌ ذَكِيٌّ عَرْفُها ... وسَلَامٌ نَفْحُهُ يَنْتَشِرُ

وَمِنَ الأوْلَادِ والأَهْلِ عَلَى ... رُوحِكَ الأعْلَى سَلَامٌ أَعْطَرُ

ويُحَيِّيكُمْ ويُنْهِي شَوْقَهُ ... بِلِسَانِي ابنُ الإمَامِ الأَنْوَرُ

وهْوَ قَدْ طَوَّقَنِي فِي حُبِّكُمْ ... بِأَيَادٍ سَابِغاتٍ تُشْكَرُ

فاسْأَلُوا الرَّحمنَ يُعْطِيهِ الْمُنَى ... إنَّهُ لِلْعِلْمِ نِعْمَ الْوَزَرُ[(٣)]

أَشْرِكُونا فِي نَوامِي جُودِكُمْ ... فَإلَيْها كُلُّنا مُفْتَقِرُ

وَلأَهْلِي وَلأَوْلَادِي ومَنْ ... يَتَوَلَّانِي لَدَى اللّهِ اذْكُرُوا

وَاسْتَمِيحُوهُ لَنا مَرْحَمَةً ... كُلُّنَا مِنْ فَيْضِهِ نَنْغَمِرُ[(٤)]

شَنِّفُوا الكاسَاتِ لي كَيْ يَرْتَوِي ... كلُّ مَنْ وَالَيْتُ مِمَّا أَسْأَرُ[(٥)]

---

(١) الوحا: الإسراع.

(٢) معتكر: شدد الظلمة.

(٣) الوزر: الملجأ.

(٤) استماحه: استعطفه أو طلب منه الشفاعة.

(٥) شنف الجارية جعل لها شنفا وهو القرط الأعلى. سأر الشارب في الإناء: أبقى بقية. إذا كانت الكاسات التي أشرب منها مترعة مليئة فإن البقية بعد شربي تكفي كل من كان على مذهبي في حبكم.

وَيَـقِـيـنِـي أَنَّـنِـي فـي جَـاهِـكُـمْ ... يَـنْـقَـضِـي لِـي مِـنْ إِلٰـهِـي الْـوَطَـرُ[1]

فَـانْـعَـمِـي يـا نَـفْـسُ عَـيْـنـاً إِنَّـهـا ... تَـمَّـتْ الـنُّـعْـمـى ووَلّـى الْـحَـذَرُ

وَتَـمَـلَّـيْ بـالـحـبـيـبِ الْـمُـصْـطَـفَـى ... فَـهُـنـا الْـعَـيْـنُ وهَـذَا الأَثَـرُ

قَـبْـرُهُ هَـذَا وذَا مَـسْـجِـدُهُ ... وهُـنَـا مَـنْـزِلُـهُ والْـحُـجَـرُ

مِـثْـلَ قَـيْـسِ الـشَّـبْـرِ إِنْ لَـمْ نَـرَهُ ... فَـلَـهُ عَـمْـرِي إِلَـيْـنـا مَـنْـظَـرُ

يَـسْـمَـعُ الـنَّـجْـوَى وقَـدْ أَبْـثَـثْـتُـهُ ... مَـا بِـأَحْـشَـائِـي وبَـاحَ الْـمُـضْـمَـرُ[2]

بَـرَدَ الْـقَـلْـبُ عـلـى زَوْرَتِـهِ ... وانْـجَـلـى الْـكَـرْبُ وزَالَ الـضَّـرَرُ

وأُدِيـلَ الـنَّـحْـسُ وانْـزَاحَ الْـعـنَـا ... وَصَـفَـا الْـوَقْـتُ وغَـابَ الْـكَـدَرُ

وَتَـوَلّـى الـلّـهُ بِـالِـحِـفْـظِ فَـلَا ... ضَـيْـرَ مِـنْ أَعـدائِـنـا إِنْ مَـكَـرُوا

وصـلاةٌ تَـتَـوَالَـى لَـكَ يـا ... مَـنْ بِـهِ سَـادَتْ وزَادَتْ مُـضَـرُ

وَعَـلَـى أَزْوَاجِـكَ الـرِّضْـوَانُ مَـا ... جِـئْـن فـي إِثْـرِ الْـعَـشَـايـا الْـبُـكَـرُ

وَضَـجِـيـعَـيْـكَ وأَصْـحَـابِـكَ والْآلِ ... والْأَتْـبَـاعِ مَـهْـمَـا كَـثُـرُوا

وكَـذَا آلُ الْـكِـسَـا خَـيْـرُ الـنِّـسَـا ... وبَـنُـوهـا وأَبُـوهُـم حَـيْـدَرُ

❋ ❋ ❋

---

(١) الوطر: المأرب والحاجة.

(٢) النجوى: السر.

القصيدة السادسة عشرة

فَهِمْتُ عَنِ الْبَرْقِ

فَهِمْتُ عَنِ الْبَرْقِ الإشَارَةَ والرَّمْزَا ... وَهِمْتُ لِبُعْدٍ في الْبِشَارَةِ والْمَغْزَى[١]

أَلَاحَ وأَوْحَى أَنْ هَلُمَّ لِوَصْلِ مَنْ ... تُحِبُّ فإِنَّ الْوَعْدَ قد شَارَفَ النَّجْزَا[٢]

دَعَانِي ولَكِنَّ الدَّيامِيمَ دُونَهُ ... فإِنَّ الجَوَى مِنْ شَحْطِهِ خاطِرِي أَزَّا[٣]

وَحِينَئِذٍ أَدْرَكْتُ سِرَّ الْتِوَائِهِ ... وأَخْفَقَ ظَنِّي مُذْ تَحَقَّقْتُهُ لُغْزَا[٤]

كَذَلِكَ حالُ العاشقينَ أُمُورُهُمْ ... تَلَوَّى وتاراتُ الزمانِ بِهِمْ تَهْزَا[٥]

أَلَا قاتلَ اللّهُ الْهَوَى فَهْوَ بالنُّهَى ... لَعَمْرُ الدُّمى أَضْرَى مِنَ الذِّئبِ بالمِعْزَى[٦]

وأَيُّ امرِئٍ يَخْلُو من الحبِّ قَلْبُهُ ... أَلَمْ تَرَهُ حَتَّى الجَمادُ بِهِ اهْتَزَّا[٧]

وَلَكِنَّهُمْ شَتَّى فَمِنْ هَابِطٍ بِهِ ... إِلَى الدَّرَكِ الأَدْنَى ومِنْ صاعِدٍ عِزَّا

---

(١) هام بالمحبوب: اشتد تعلقه به. المغزى من الكلام: مقصده والمراد منه.

(٢) ألاح: أضاء وتلألأ. أوحى: ألهم. شارف: قارب.

(٣) مفازة ديمومة: دائمة البعد. أزّ خاطري: هيج نفسي. شحطه: بعده.

(٤) اللغز من الكلام: ما يُعَمَّى به أو ما كان المراد غير ظاهر منه.

(٥) تلوى: أصله تتلوى أو تتعطف وتتثنى. يريد تتعقد. تارات: مرات؛ أي أحوال الزمان. تهزا: أصله تهزأ بالهمزة.

(٦) الهوى يجترئ على العقول اجتراء أشد من اجتراء الذئاب على المعيز ويحلق الشاء بالدمى جمع دمية وهي الصورة من العاج تشبه بها المرأة البالغة الحسن.

(٧) لفرط حب الشاعر يتخيل أن الحب أثر في كل شيء حتى الجماد ودليله على ذلك تحرك الجماد فإنما هو من أثر الحب كما يرى.

وَلَا عِـزَّ إِلّا فـي هَـوَى الـلّـهِ وَحْـدَهُ وحُبّ الذي هانَتْ به اللّاتُ والْعُزَّى
نَبِيَّ الهُدَى بَحْرِ النَّدَى كاشِفِ الرَّدَى بِرَغْمِ الْعِدَا قد جَزَّ أَمْرَاسَهُ جَزًّا[١]
أَجَلُّ الْوَرَى شأناً وَأَوْجَهُهُمْ إِذَا تَطَايَرَتِ الأَلْبَابُ واشْتَدَّتِ الأَرْزَا
وطاشَتْ من الرَّوْعِ القُلوبُ وجاشَتِ الـ كُرُوبُ ولا مَنْجَى يُعِيذُ ولا حِرْزَا[٢]
مَقَامٌ تَذُوبُ الشُّمُّ مِنْ عُظْمِ هَوْلِهِ وكَمْ من وُجُوهٍ فيه يَوْمَئِذٍ تُخْزَى
ولِلْمُصْطَفَى فيه الشفاعةُ والعُلَى تَنَاهَى وغاياتُ الكمالِ له تُعْزَي[٣]
ولابْنَتِهِ القدرُ الجليل وكيف لا وبالنَّصِّ عنها رَبُّها أَذْهَبَ الرِّجْزَا[٤]
يُقَالُ لأَهْلِ الجَمْعِ غُضُّوا جُفُونَكُمْ لِتَعْبُرَ في وَفْدٍ يَرُوعُ النُّهَى طِرَازَا[٥]
وَمَنْ ذا الَّذِي يَسْقِي مِنَ الْكَوْثَرِ الظَّمَا سِوَى الْمُرْتَضَى الرَّاقِي مِن الشَّرَفِ النَّشْزَا[٦]
ونَجْلاهما الرَّيْحانَتَانِ اللذانِ مِنْ مُصابَيْهِمَا وَهْيُ الْعُلَى أَعْوَزَ الخُرْزَا[٧]
تَجَهَّمَتِ الدُّنيا لهم وتَسَوَّرَتْ عَلَيْهِمْ بَلاياها وَحَقُّهُمُ ابْتُزَّا[٨]
وأَبْنَاؤُهُمْ مِنْ كلِّ طَلَّاعِ أَنْجُدٍ لَدَى الرَّوْعِ لا يَلْتاثُ بل يَسْبِقُ الرِّكْزَا[٩]
مساعيرُ لا يَقْضُونَ حَتْفَ أُنُوفِهِمْ ولكن كِراماً في مَجَالِ الْوَغَى جُرْزَا[١٠]

---

(١) جزّ: قطع. الأمراس: الحبال.
(٢) طاشت: اضطربت. يعيذ: يحمي. يريد يوم القيامة.
(٣) تعزى: تنسب.
(٤) الرجز: العذاب والرجس. وأما النص فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
(٥) الطرز: الشكل والهيئة. (٦) النشز: المرتفع من الأرض.
(٧) يريد بالريحانتين الحسن والحسين. الوهي: الشق. خرز الجلد. ثقبه بالمخرز وخاطه.
(٨) تجهمت الدنيا لهم: استقبلتهم بوجه عابس. تسور الحائط: تسلقه وصعد عليه. ابتز: سلب.
(٩) أنجد: جمع نجد، وطلاع أمجد: مجرب للأمور يعلوها ويقرها. الروع: الفزع. يريد الحرب. التاث: اختلطت الأمور عليه. الركب: الطعن بالرمح.
(١٠) المساعير: جمع مسعار وهو ما تحرَّك به النار: مات حتف أنفه: مات على الفراش لا في ساحة الحرب. يقال أرض جُرزٌ: قطع نباتها أو أكل. إنهم يقضون في ميدان الحرب.

أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ كَمْ هَالِكٍ بِهِم ... وكَمْ مُخْلِصٍ في وُدِّهِمْ بِالنَّجَا يُجْزَى[١]

تَرَاهُمْ يطيعونا هنا أو غدا إذا ... أَرَزْنَا إِلى المأمولِ من جاهِهِمْ أَرْزَا؟[٢]

بِحُرْمَةِ أَصْحابِ الْكِسَا يذْهَبُ الأَسَى ... متى حَزَّ نَصْلُ الْبَأْسِ صَدْرَ الرَّجَا حَزَّا[٣]

رَبَطْتُ بِهِمْ حَبْلِي وَأَرَّبْتُ عُقْدَتِي ... وَأَعْدَدْتُهُمْ لِلأَزْلِ في عُسْرَتي كَنْزَا[٤]

وَإِنِي لَأَرْجُو اللَّهَ غُفْرَانَهُ بِهِمْ ... وإن كانَ شأني في عِبَادَتِهِ الْعَجْزَا

فإِنَّ رِضَا البارِي مَنُوطٌ بِحُبِّهِمْ ... وللناسِ جُزْءٌ مِنْ هَوَاهُمْ وَلِي أَجْزَا[٥]

أَأَظْمَا وهُمْ رِيِّي ورِيقي وبُلْغتي ... ولا جودَ إِلّا مِنْ مَنَابِعِهِمْ نَزَّا[٦]

أَمِنْتُ على الآمالِ مِنْ كلِّ عَثْرَةٍ ... لِأَنِّيَ قد أَمْسَكْتُ مِنْ مَدْحِهِمْ غرزا[٧]

وطابَتْ بِهِمْ نَفْسِي وأَفْرَخَ رَوْعُها ... وبَلَّ صَدَاها مَزُّها وُدَّهُمْ مَزَّا[٨]

مِنَ المَلَأِ الأَعْلَى تَحِيَّةٌ ... يُضَوِّعُ رَيَّاها أولى الصُّحْبَةِ الْغُزَّا[٩]

* * *

(١) هالك بهم: بسبب عداوتهم.

(٢) أرز: انضم إلى الشيء وانحاز إليه. استفهام للنفي؛ أصله أتراهم.

(٣) الأسى: الحزن. حزّ: قطع. النصل: حديدة السهم والسيف والسكين. البأس: الحرب.

(٤) أرّب العقدة: أحكمها. الأزل: الشدة.

(٥) منوط: معلق ومتوقف.

(٦) البلغة: قوام العيش.

(٧) الغرز: ركاب الرحل من جلد؛ أي تمكنت من التعلق بهم والانتماء إليهم بمدحي.

(٨) أفرخ الروع: انكشف أي ذهب الخوف. مزّ الشراب: مصّه. بل الصدى: أذهب العطش.

(٩) الملأ الأعلى: الملائكة المقربون. يضوع رياها أولى الصحبة: يستنشقون روائحها الطيبة. الغز: جمع غاز وهو المحارب.

القصيدة السابعة عشرة

هَذِي مَلَاعِبُهُ

هَــذِي مَــلَاعِــبُــهُ وتــلــكَ كِــنــاسُــهُ ... مِنْ حَوْلِها ضَرَبُ الخِيامَ أُناسُهُ[(١)]

حَـيْـثُ الْـمَـوَاضِـي والْـعَـوالِـي شُـرَّعٌ ... والـمـوتُ تُـذكـي نـارَهُ حُـرَّاسُـهُ[(٢)]

وَقَـفَ الـشَّـجِـيُّ مُـفَـكِّـراً فـتـضـاعَـفَـتْ ... حَـسَـرَاتُـهُ وتَـصـاعَـدَتْ أَنْـفـاسُـهُ[(٣)]

وَتَـنَـكَّـرَتْ أَحـوالُـهُ وْتَـقَـطَّـعَـتْ ... آمـالُـهُ وَتَـغَـيَّـرتْ أَحْـسـاسُـهُ[(٤)]

وتَـخَـرَّصَ الآسِـي ولا مَـسٌّ ولَـكِـنَّ ... الْـهَـوى صَـعْـبٌ يَـشُـقُّ مِـرَاسُـهُ[(٥)]

هـي فـكْـرَةٌ قَـدَحَـتْ بِـخـاطِـرَةِ الْـهَـوى ... لا تُـنْـكِـروه فـإنّ ذَا وَسْـوَاسُـهُ[(٦)]

مَـا بِـالـفَـتَـى مِـنْ جِـنَّـةٍ لـكِـنْ بـه ... لَـدْنُ الـقَـوَامِ جَـمـيـلُـهُ مَـيَّـاسُـهُ[(٧)]

الـشَّـمْـسُ تَـغْـبِـط مـنـه ضَـوْءَ جَـبـيـنِـه ... والـرَّوْضُ يَـحْـسُـدُهُ الـنُّـعُـومَـةَ آسُـهُ[(٨)]

---

(١) الكناس: مأوى الظبي.

(٢) المواضي: السيوف. العوالي: الرماح شرع: مسددة موجهة. أذكى النار: أوقدها. لا يستطيع العاشق زيارتها لأنها عزيزة يحرسها قومها بالرماح والسيوف.

(٣) الشجيّ: المشغول والحزين.

(٤) أحساس: جمع حِس.

(٥) تخرص: قال بالحدس والظن. الآسي: الطبيب. مس: أي مس من الجن. يشق مراسه: يصعب علاجه.

(٦) قدحت: أشعلت. الوسواس. مرض يختلط به الذهن.

(٧) الجِنَّة: مس من الجن. لدن القوام مياسه: جسم طري العود يتمايل.

(٨) الغبطة: تمنى مثل النعمة. الآس: شجر أوراقه دائمة الخضرة.

فَضَحَ الجَدَايَةَ والمَهاةَ بطَرْفِهِ الْـ ـفَتَّانِ لمَّا فاتَهنَّ نُعاسُه[١]

بهَرَ العُقولَ جَمالُهُ فَجَلالُهُ واللّهِ إنْ حَسَرَ اللِّثامَ لِباسُه[٢]

كَمْ عاشِقٍ ذَابتْ حُشَاشَتُهُ أسىً لَمَّا بدا للناسِ أطْرَقَ رأسُهُ[٣]

فكأنه الطُّهر البَتُولُ بموقفٍ تَشْتَدُّ كُرْبَتُهُ وَيودِي بأسُهُ[٤]

يَوْمَ القيامةِ يومَ لا يُغْني امْرؤٌ شَيْئاً وذو التَّقْصِير يَعْظُمُ يأسُهُ[٥]

فَتَمُرُّ فاطِمَةُ هُناكَ بمَوْكِبٍ مِنْ آلِ بَيْتٍ طُهِّرَتْ أَرْجَاسُهُ

بَيْتٌ من الشرفِ الأثِيلِ عِمادُه ومِنَ الفضائلِ شُيِّدتْ آساسُهُ

بَيْتٌ صَرِيحُ الذِّكْرِ أَعْلَنَ فَضْلَهُ كَرُمَتْ أرُومَتُهُ وَطابَ نُحاسُهُ[٦]

لِمَ لَا يَسُودُ وأُمُّهُ الزَّهْرَا التي في ثَوْبِها العزُّ انْطَوَتْ أَجْناسُهُ[٧]

رُوحُ السِّيادَةِ والسعادةِ ذاتُها سِرُّ النُّقَى نُورُ الْهُدَى نِبْراسُه

رَوْضٌ سقاهُ من النُّبُوَّةِ ماؤها عَذُبَتْ مشارِبُهُ فطابَ غِراسُهُ

يا بنتَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ ومَنْ بِهِ انْدَحَرَ اللَّعِينُ وذَلَّ منهُ شِماسُه[٨]

---

(١) الجداية: الغزالة. المهاة: البقرة الوحشية. الطرف: العين. النعاس: فترة في العيون أو السن. المعنى أنه فاق الغزالة الرشيقة والبقرة الوحشية التي يضرب بها المثل في سعة العيون بجمال عينيه عند قرب انطباقهما.

(٢) اللثام: ما على الفم من نقاب. وحسر اللثام: كشفه. فإذا ذهب اللثام حلّ محله الجلال والهيبة.

(٣) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

(٤) الطهر: النقاء من الدنس. البتول هنا: المنقطعة للعبادة التاركة لزخارف الدنيا. الكربة والبأس: الشدة. وهكذا انتقل الشاعر وأحسن التخلص من الغزل إلى مدح آل البيت.

(٥) يوم لا يغني امرؤ شيئاً: يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً فكل إنسان وعمله.

(٦) صريح الذكر: نص القرآن. الأرومة والنحاس: الأصل.

(٧) في ثوبها العز: كناية عن ملازمته لها.

(٨) يريد باللعين: الشرك أو الشيطان وقد خضع وضعف شره أو ذهب.

وقَرِينَةَ الْبَطَلِ الذي انَدَحَر الرَّدَى ... بِقِراعِهِ وتجذَّمَتْ أمْرَاسُه[١]

هَذا سَلِيلُكِ قد أحاطَ به الْعَنَا ... لَوْلا رَجَاكِ لَقِيلَ ضَاعَ قِياسُه[٢]

كَثُرَتْ عليهِ مَصَارِعُ الآمالِ كَم ... رَامَ النجاحَ فما وَرَى مِقْبَاسُهُ[٣]

جَمُّ العيوب مِنَ الذنوبِ قد امْتَلاً ... واسْوَدَّ من آثامِهِ قِرْطَاسُهُ

يَعِظُ الأنَامَ وما تَأثَّرَ قَلْبُهُ ... مَنَعَتْ تَأثُّرَهُ به أدْنَاسُهُ

ضَاقَتْ مذاهِبُهُ وكاد لِمَا جَنَى ... يَهْوي به إثْرَ الهَوَى خَنّاسُه[٤]

لكِنَّ طَيْفاً مِنْكِ أنْعَمَ عَيْنَهُ ... وَحَشَا حَشَاهُ مَسَرَّةً إيجاسُهُ[٥]

نهَضَ الرَّجاءُ به وزالَ به الشَّقَا ... عَنْهُ وُبدِّلَ بالْغِنَى إفلاسُهُ

أحْيَيْتِ مُهْجَتَهُ بِزَوْرِكِ في الكرى ... فَتَعَهَّدِيه بِمَا به إيناسُهُ

وتَقَبَّلي هذا الكلامَ وقُلَّ في ... عَلْيَاكُم دُرُّ الكَلام ومَاسُهُ

واجْزِي مُحَرِّرَهُ ثواباً وافِراً ... لِيَنَالَ فَضلَ عَطَائِهِ جُلّاسُهُ

* * *

---

(١) القراع: الضرب في الحرب؛ فقد ذهب بسيدنا عليّ الردى والأذى عن المسلمين. تجذمت أمراسه: تقطعت حباله.

(٢) سليلك: نسلك. يريد نفسه. ضاع قياسه: ضاع قدره.

(٣) للمقباس: الشعلة: من النار كالقبس. ما ورى مقباسه: لم توقد ناره. كناية عن ضياع الأمل.

(٤) الخناس: الشيطان.

(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام. أنعم عينه: سره. حشا: ملأ. الإيجاس: حديث النفس.

القصيدة الثامنة عشرة

بأُسَرَتِهِ كُلٌّ ينادي

بـأُسْـرَتِـهِ كُـلٌّ يـنـادي لَـدَى الْـبَـأسِ ... وما لِـي سِوا كُـم قَـطُّ ياخِيـرَةَ النـاسِ
بِكُـم أَحْـتَمِـي من كـلِّ سُوءٍ وأَنْـتَمِـي ... إِلَيْكُمْ فهلْ تَرْضَوْنَ ضَيْمي وإبْلاسي[١]
إلـى الله فـي تـفَـرِيـجِ كَـرْبِـي تَـوَجّـهُـوا ... وفي نَيْـل آمالِـي وفـي جلـب إينـاسِـي
وفـي دَحْـرِ أَعـدائـي وإكْـبَـاتِ حُـسَّـدِي ... وفي كَبِّ مَنْ يَبْغِي اهْتِضَامِي على الرَّاسِ[٢]
فَـقَـدْ رَامَ إذلالِـي ونَـاصَـبَـنـي الـعِـدا ... عَـدُوٌّ مُـبِـيـنٌ جاهـلٌ قَـلْـبُـهُ قـاسِـي[٣]
سَلُـوا الله يَـشْـفِـي مِـنْـهُ غَـيْـظي بِـعِـلّـةٍ ... تُـعـاجِـلُـهُ فـي رَأْسِـهِ مـالَـهـا آسِـي[٤]
وَيَـشْـغَـلُ عَـنِّـي جِـسْـمَـهُ وَفُـؤادَه ... بِـضُـرٍّ وإسـقـام وغَـمٍّ وَوَسْـوَاسِ
وَيُـوقِـعـه فـي حُـفْـرةٍ مِـنْ مَـهَـانَـةٍ ... وَيَـمـلأُ كَـفَّـيـه بِـفَـقْـرٍ وَإِفْـلَاسِ
فَـلِـي ذِمَّـةٌ مِـنْـكُـمْ تَـسَـوَّرَهَـا وَلَـمْ ... يُـبَالِ وَأَنْـتُـمْ سَادَةَ الْكَـوْنِ حُـرَّاسِـي[٥]
أَمَـا سَـاءَكُـمْ هَـتْـكُ الْـحَـرِيـمِ وَجَـوْرُهُ ... عَـلَـى الْـحَـقِّ جَـوْراً لا يُـحَـدُّ بِـمِـقْـيَـاسِ
إلـى الـلّـهِ أَدْعُـو بـالْـبَـرَاهِـيـنِ وَهْـوَ لـي ... يُـعَـاكِـسُ عُـدْوَانـاً بِـتَـمْـوِيـه خَـنَّـاسِ[٦]

---

(١) أبلس في أمره إبلاساً: تحير وأنكر وحزن.

(٢) الذي في كتب اللغة التي بأيدينا كبت العدو كبتاً: أخزاه وأذله؛ وليس فيها أكبت إكباتاً. كبّ الرجل الإناء: قلبه على رأسه وكب الرجل على وجهه: صرعه.

(٣) ناصبه العدا: قاومه وعاداه. والعِدا مقصور العدا مصدر عادي ومعاداة.

(٤) الآسى: الطبيب.

(٥) تسور الحائط: تسلقه وصعد عليه. أنتم حراسي يا سادة الكون.

(٦) التمويه إظهار الكذب بصورة الحق. الخناس: الشيطان.

وَمَا لِيَ مَنْ أشْكُو إِلَيْهِ لأَنَّنِي وَحِيدٌ مُقِيمٌ بَيْنَ جُمْلَةِ نَسْنَاسِ

فأَرْفَعُ لِلْبَارِي الشَّكَايَةَ مُخْلِصاً دُعَائِي وَمُضْطَرّاً أُصَعِّدُ أَنْفَاسِي

وَأُدْلِي إِلَيْهِ بِانْكِسَارِي وَذِلَّتِي وَبِالخَمْسَةِ الأَرْوَاحِ نُورِي وَمِقْبَاسِي[1]

نَبِيَّ الهُدَى وَالمُرْتَضَى وَبَنِيهِمَا وفاطِمَةَ الزَّهْرَا هُم جَبَلِي الرَّاسِي

وَلِيّ حُبُّهُمْ دِينٌ أَرُومُ ثَوَابَهُ مِنَ اللّهِ فَي هَذِي الحَيَاةِ وأَرْماسِي[2]

عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ التَّحِيَّةُ ما انْثَنَى مُحِبٌّ بِذِكْرَاهُمْ كَمُرْتَشِفِ الكَأْسِ

* * *

---

(١) المقباس: الشعلة من النار كالقبس.

(٢) الأرماس: القبور. يريد بعد الموت.

القصيدة التاسعة عشرة

تَوَهَّمَنِي قَرِيراً

تَوَهَّمَنِي قَرِيراً بالفِراشِ عَلَى شَوْكِ الْقَتادِ بلا انْتِقاشِ[(١)]

وأنَّ عَزِيمَتِي لانَتْ وأنِّي رَئِمْتُ الذُّلَّ في لِينِ المَعَاشِ[(٢)]

وَأَعْطَيْتُ الهَضِيمَةَ ثَنْيَ حَبْلِي وَلُذْتُ إلى الهزيمَةِ في الهرَاشِ[(٣)]

وَحَاشا أَنْ تَلِينَ عُرَى كَرِيمٍ تَلَزَّمَ بالمَعَالِي وَهْوَ ناشِي[(٤)]

وَلَكِنِّي صَبَرْتُ على الألاقي لِتَشْتَدَّ الْقَوَادِمُ مِنْ رِياشِي[(٥)]

وَلَاقَيْتُ الخُطُوبَ رَحِيبَ صَدْرٍ وَزَاحَفْتُ الزَّمانَ رَبِيطَ جَأشِ[(٦)]

وَمَا قَصَّرْتُ في طَلَبٍ وَلكِنْ أُرَاعِي بُطْءَ سَيْرِ الْمُسْتَجَاشِ[(٧)]

---

(١) قرير: مستقر ثابت. القتاد: شجر صلب له شوكة حجناء. وفي المثل دون ذلك خرط القتاد أي لا ينال إلّا بمشقة عظيمة. انتقش الشوكة: أخرجها.

(٢) رئم الشيء: أحبه وألفه.

(٣) الهضيمة: الظّلم. وفي الأصل الهظيمة. المعنى أسلم نفسه للظلم كالدابة التي يضم صاحبها حبلها إليه فتنقاد. الهراش: المقابلة.

(٤) حاش: معاذ الله. لا يمكن. تلين العروة: تضعف الروابط. ناشي: أصله ناشئ بالهمزة أي صغير. أخذ نفسه بالمعالي والمكارم وهو ناشئ فمثله لا يقبل الضيم. لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا تلزّم بل لزم والتزم.

(٥) الألاقي: الشدائد. القوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح يعتمد عليها في الطيران.

(٦) ربيط الجأش: شديد القلب شجاعاً.

(٧) استجاش فلاناً: أثاره وطلب منه جيشاً ومدداً.

وَأَخَّـرْتُ الـنُّـهُـوضَ لِـيَـوْمِ صِـدْقٍ يَـكُـونُ الْـجَـوُّ مُـعْـتَـكِـرِ الْـحَـوَاشِـي[(١)]

وَتُـمْـتَـحَـنُ الْأَسَـافِـلُ بِـالأَعَـالِـي وَتَـشْـتَـغِـلُ الأَجَـادِلُ بِـالْـخِـشَـاشِ[(٢)]

وَفِـي جَـاهِ الـنَّـبِـيِّ وَمَـنْ يَـلِـيـهِ أُرَجِّي حُـسْـنَ عَـاقِـبَـةِ انْـكِـمَـاشِـي

بِـنَـصْـرٍ فِـيـهِ أَوْصَـالُ الأَعَـادِي تَـطَـايَـرُ مِـثْـلِ أَجْـنِـحَـةِ الـفَـرَاشِ[(٣)]

وَفِـيـهِ وَفِـي شُـؤونِ أَبِـي تُـرَابٍ عَـزَاءٌ مِـنْ أَذَى الْـفِـتَـنِ الْـغَـوَاشِـي[(٤)]

فَـكَـيْـفَ نَـضِـيـقُ والـدُّنْـيـا تَـلَـوَّى لِأَشْـرَفِ رَاكِـبٍ وَأَعَـزِّ مَـاشِـي[(٥)]

فـمـا سَـلِـمُـوا وَهُـمْ خَـيْـرُ الـبَـرَايـا مِـنَ الْـبَـلْـوَى وَلَا مِـنْ قَـوْلِ وَاشِـي

لَـقَـدْ وَقَـعُـوا بِـثَـالِـثَـةِ الأَثَـافِـي وَلَاقَـوْا فـي الْـهُـدَى لَـدْغَ الـرَّقَـاشِ[(٦)]

وَبَـاعُـوا الْأَهْـلَ والأَمْـوَالَ فِـيـمـا يُـؤَيِّـدُهُ وَضَـحَّـوْا بـالـحُـشَـاشِـي[(٧)]

وزالـوا عَـنْ مَـوَاطِـنِـهِـمْ ولَاذُوا عَـلَـى كُـرْهٍ بِـيَـثْـرِبَ والـنَّـجَـاشِـي

ومـا وَهَـنُـوا وَمـا زَالُـوا بِـضَـرْبٍ دِرَاكٍ لِـلأَعَـادِي أَوْ نِـقَـاشِ[(٨)]

فـأَشْـرَقَـتِ الـحَـقِـيـقَـةُ مِـنْ بَـيَـانٍ تَـلَاهُ الـطَّـعْـنُ نَـضَـاخَ الـرَّشَـاشِ[(٩)]

---

(١) اعتكر الجو: تغيّر، وفلان في الحرب على خصم حمل. الحواشي: النواحي، الجوانب. يريد أن يكون الجوّ صالحاً للحرب.

(٢) الأجادل: جمع أجدل وهو الصقر. الخِشاش: حشرات الأرض.

(٣) الأوصال: الأعضاء. تطاير: أصله تتطاير.

(٤) الفتن: جمع فتنة وهي الضلال والإثم. الغواشي: جمع غاشية وهي هنا الغطاء والغرض أن الفتن عامة.

(٥) تلوي: تتلوى وتتثنى محذوف التاء الأولى. لنا أسوة بسادة الناس وأشرافهم فلا نضيق بأذى الدنيا.

(٦) الأثْفِيةُ: أحد الحجارة التي توضع عليها القدر. ورماه بثالثة الأثافي أي بشر عظيم. رقاش كسحاب: الحية.

(٧) الحشاش: بقية الروح في المريض والجريح.

(٨) دراك: متلاحق. ناقشه نقاشاً: جادله وحاوره.

(٩) النضاخ: الغزير من المطر. الرشاش: ما تطاير وتفرق من الماء.

وَهَـزَّ الأَرْضَ ذُلُّ جُـيُـوشِ كِـسْـرى ... وَقَيْصَرَ مِنْ هُجُومِ أُولِي الحِفاشِ[١]

سَأَمضي في طَرِيقَتِهِمْ بَرَاحاً ... إِلَى قُلَلِ المَكَارِمِ غَيْرَ خاشِي[٢]

وَأَنْظُرُ فُرْصَةً وَبِحَوْلِ رَبِّي ... سَأَكْشِفُ هذِهِ الْمِحَنَ الْغَوَاشِي

أُنازِعُ فِي الْمَقادَةِ صَرْفَ دَهْرِي ... وَمِنْهُ رَأَيْتُ آثارَ ارْتِهاشِ[٣]

وَفَرْطُ الْمَيْلِ عُنْوَانُ اعْتِدَالٍ ... وَطُولُ النَّوْمِ مَجْلَبَةُ انْتِعاشِ[٤]

وَإِنْ كانَ الَّذي انْدَمَجَتْ عَلَيْهِ ... طِباعُ الْقَوْمِ دَاعِيَةَ انْدِهَاشِ

وَأَفْسَدَ شَيْبَهُمْ حَسَدٌ وَلُومٌ ... وسار من الشبابِ إِلَى النَّواشِي[٥]

فَإِنَّ خِلَالَ هذا الخُبْثِ تَبْدُو ... أَشائِرَ بَشَّرَتْ بِالانْتِياشِ[٦]

كَذَا الأَيَّامُ فِي خَيْرٍ وَشَرٍّ ... تجاري والتئام وانتفاش[٧]

وَإِنْ كَثُرَ الأَعِزَّةُ فِي عُداتِي ... كَما كَثُرَ الظِّبَاءُ عَلَى خِدَاش[٨]

فَفِي الضُّعَفاءِ لِي أَمَلٌ كَبِيرٌ ... وما إِلّا بِهِمْ ضَرْبُ الكِباشِ[٩]

---

(١) الحفاش جمع حفش: وهو البيت الصغير أو رديء المتاع.

(٢) البراح: الأرض الواسعة أي لا يعوقني شيء. القلة من كل شيء أعلاه. غير حاش: غير خائف.

(٣) المقادة: أي لا أنقاد لنوائب الزمان فأذل. ارتهاش: ارتعاش. فقد تغلبت عليه وهزمته.

(٤) النفس ميالة للتغيير فإذا غالى الإنسان في شيء كان ذلك غير طبيعي وهو أمارة على صيرورته إلى الاعتدال وكذلك طول النوم غير طبيعي وهو مجلب اليقظة.

(٥) الناشئة: السحابة أول نشئها، يريد الصغار.

(٦) الأشائر: الدلائل. الانتياش: تناول الشيء وإظهاره.

(٧) تجارى القوم: جروا معاً وأصله تتجارى. والتئام وانتفاش: اجتماع وتفرق

(٨) يشير إلى قول الشاعر كما في اللسان. تكاثرت الظباء على خداش فما يدري خداش ما يصيد والذي نحفظه في البيت خراش بالراء يقول: فليكن أعدائي أقوياء أعزة؛ كما اجتمعت الظباء أمام خداش متماثلة فما يدري أيها يصطاد.

(٩) الضعفاء: أتباع الأنبياء يقويه الله فيهزمون الأقوياء. وهو جواب الشرط.

فإنْ عِشْنا وَساعَدَنا رَفِيقٌ ... مِنَ التوفيقِ ماضٍ غير رَاشِي[1]
فيا وَيْلَ الْعِدَا مِنِّي وَبُشْرَى ... لِضَبٍّ دُحُولِهِمْ بِالاحْتِرَاشِ[2]
وَما لِي غَيْرَ نَصْرِ الدِّينِ حَاجٌ ... وَقَهْرِ المفسدينَ وَلَا أُحَاشِي[3]
وَقَدْ أَنْزَلْتُ حاجَاتِي بِرَبِّي ... لِيَقْضِيَهَا كما قضى الأراشِي[4]
وَلِي فِي الخمسةِ الأَرْواحِ حُبٌّ ... جَرَى في سائرِي حَتَّى مُشاشِي[5]
بِهِمْ أَسْتَمْطِرُ الرَّحْمنَ رَبِّي ... وَمِنْهُمْ لم يَزَلْ رِيُّ العِطاشِ
وَتَحْتَ لوائِهِمْ أَرْجُو أَماني ... لَدَى الأَهْوَالِ والعقلِ المطَاشِ[6]

* * *

(١) غير راش: غير لين.
(٢) الذحل وجمعه ذحول: الثأر. احترش الضب احتراشاً: صاده.
(٣) حاج: حاجة ومقصد. لا أحاشي: لا أستثني.
(٤) الأرش: الدية التي تدفع على الجرح وغيره وجمعها أروش. وقضّاها: قضاها ودفعها.
(٥) المشاش: جمع مشاشة وهي رأس العظم.
(٦) المطاش: من أطاش. والطيش هو الفزع والاضطراب.

القصيدة العشرون

هَوىً صَانَنَا

هَوىً صَانَنَا فيهِ العَفَافُ عَنِ الفَحْشَا ... وإنْ مَلأَتْ مِنَّا لَوَاعِجُهُ الأَحْشَا

وَوصْلٌ على طُولِ النَّوَى أَنْعَمَتْ به ... فجاءَتْ تُغِيرُ البدرَ بالليل إِذْ يَغْشَى[1]

فَبِتْنا كما شاءَ الهوى نَجْتَنِي المُنَى ... أفانِينَ لا نُصْغِي لِوَاشٍ وَإِنْ وَشى[2]

غَنِينَا بِرَشْفِ الثَّغْرِ عن صَرْخَدِيَّةٍ ... لها لَهَبٌ تَرْوِي بِرُؤْيتِهِ الْعَطْشَى[3]

ثَمِلْنا ومَا قُلْنا لِنَشْوَتِنا قِفِي ... فلا عَيْبَ في الأسرارِ نَحذَرُ أَنْ تُفْشَى[4]

لنا الصونُ في الدنيا أَمَانٌ وفي غدٍ ... نَلُوذُ بِخَيْرِ المُرْسَلِينَ فلا نَخْشَى

إذا غَيَّرَ الباري النِّظامَ وركَّبَ الْـ ... ـعِظَامَ وجَاءَتْ وَهْي من هَيْبَةٍ دَهْشَى[5]

وطاشَتْ من الخوفِ الظُّنونُ وغارت الـ ... ـعيون وجَشَّتْ ماءَ آماقِها جَشّا[6]

لا تَفَصَّى الْعُرَى ممَّا جَرَى ثَمَّ والوَرَى ... تَرَاهَا إلى سامي الذّرَى زُمَراً جَهْشَى[7]

---

(١) أغاره: حمله على الغيرة. يغشى: يغطي بظلمته.

(٢) المنية: ما يتمناه المرء والجمع منى. أفانين: أنواع. الواشي: النمام. وشّى: كذب.

(٣) صرخد: بلد بالشام ينسب إليه الخمر. لها لهب: أي لون الخمر كلون اللهب.

(٤) ثمل: سكر. يريد بالنشوة تجدد السكر.

(٥) جاءت النفوس يوم القيامة.

(٦) طاشت الظنون: اضطربت وتحيرت. جشت: نقت. الآماق: جمع موق وهو مؤخر العين مما يلي الصدغ. لم تبق العيون ماء في الآماق.

(٧) تفصى العرى: تنفصل الروابط ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ثم: هناك جهش: فزع وقدهمّ بالبكاء.

هنـاك يَـخِـرُّ ابـنُ الـعـواتِـكِ سـاجِـداً ويُلْهِمُهُ اللّهُ المحامِدَ في الإنْشَا[(١)]
ولا يَـسْـتَـوِي حـتـى يـجُـابَ دُعـاؤُه فَـتَـنْـتَـعِـشَ الآمـالُ حـيـنـئـذٍ نَـعْـشَـا
أيـغْـفُـلُ عـن خُـدّامِـهِ وعِـيـالِـهِ غَـدَاةَ يُـوَافُـونَ الـمَـهـالِـكَ والـبَـطْـشَـا
نَـبِـيٌّ بَـرَاهُ الـلّـهُ لِـلْـخَـلْـقِ رَحْـمَـةً وأَسْعَدَ حتى الِجْنَّ والطَّيْرَ والْوَحْشَا
لَـهُ الـفـضـلُ حـتَّـى أنّ مَـوْضِـعَ قَـبْـرِهِ كما قِيل في تخصيصِه يَفْضُلُ العَرْشَا
لِـمَـهْـجَـرِهِ تَـهْـوي الـقـلُـوبُ لِأَنَّـهُ بِـه أَبَـداً حـيٌّ وتَـشْـتَـاقُ لـلْـمـنْـشَـا[(٢)]
فيَا ليتَ شِعْرِي هل يُبَلِّغُنِي المُنَى دِيَاراً يمُشُّ العَفْوُ فيها الَخْطَا مَشا[(٣)]
ديَـارٌ عـلـيـهـا لـلـمـلائـكِ زَحْـمَـةٌ بأنوارِها في الليل يَسْتَصْبِحُ الأَغْشَا[(٤)]
ديِـارٌ يَـطـيـبُ الـعـيْـشُ فـيـهـا لأَنَّـهُ عـلـيـه سَـلامُ الـلّـهِ فـيـهـا بَـنَـى الـعُـشَّـا
بـلادٌ إلـيـهـا مِـنْ شَـرِيـف مَـقَـامِـهـا على الرأسِ والعينين يَلْزَمُ أن يُمْشَى
حـبـيـبـي رسـولَ الـلّـهِ نـاداكَ وامِـقٌ أَناخَ عـلـيـه الـدهـرُ يَـخْـدِشُـهُ خَـدْشَـا[(٥)]
تُـحـارِبُـهُ الأيـامُ فـي كـلِّ حـالـةٍ وَتَـنْـهَـشُـهُ حـيـاتُ آفـاتِـهـا نَـهـشْـا
فـهـل أنـتَ يـا مـولايَ راحـمُ عَـبْـرَةٍ وبَـثٍ بـه مُـضـنـاكَ خـاطِـرُهُ يُـحْـشَـى[(٦)]
وسـامـعُ شَـكْـوَى مُـخْـلِـصٍ لـكَ وُدَّهُ يُـؤَمِّـلُ مِـنْ هـامِـي مَـوَاهِـبـك الـرَّشَـا[(٧)]

---

(١) العاتكة: طيبة الرائحة؛ وجدات النبيّ ﷺ الملقبات بالعواتك تسع. ألهمه الله: أوحى إليه أو ألقى في روعه. يريد بالإنشاء النشأة الأخرى (يوم القيامة) والمحامد جمع محمدة: ما يحمد عليه صاحبها ويثني عليه. يخر النبيّ ﷺ ساجداً لله راجياً الشفاعة لأمته.

(٢) تهوى القلوب: تميل وتتعلق. والمهجر: مكان الهجرة «المدينة». والمراد بالمنشأ «مكة المكرمة».

(٣) مش الرجل يده: مسحها بشيء لتنظيفها. الخطأ: الذنب؛ أي إن زيارة دار الهجرة من أسباب الغفران.

(٤) استصبح: أوقد المصباح ليرى. الأعشى: من لا يبصر ليلاً.

(٥) الوامق: المحب. أناخ عليه الدهر: حلّ به البلاء. خدشة: جرحه.

(٦) العبرة: الدمعة. البث: الغم الشديد. الخاطر هنا: القلب. حشا فلاناً بسهمه: أصاب حشاه.

(٧) الهامي: الماء السائل الكثير. الرش: المطر القليل.

أَنَطْتُ بك الآمالَ فامْنُنْ بِلَحْظةٍ يُمَهِّدُ لي الْبارِي بها لُطْفَهُ فَرْشا[١]

فما لِيَ إلَّا أَنْتَ وابناكَ والّذِي لَهَاذِمُهُ أَشْوَى مِنَ الحَيةِ الرَّقْشا[٢]

وَبِضْعَتُكَ الزَّهْرَا التي ذابَ قَلبُها لِفَقْدِكَ واختارَتْ على إِثْرِكَ النَّعْشَا[٣]

خُذُوا لي بِثارِي من زَمانِي وأَهْلِهِ فقدْ أَضْمَرُوا لي المكرَ والشَّرَّ والغِشَّا

وكادوا ولكنِّي عليَّ بجاهِكُمْ من اللّهِ أحراسٌ تُهابُ ولا تُرْشَى[٤]

عليكمْ صلاةُ اللّهِ ما غبَّسَ الدُّجَى ومَا افْتَرَّ بَرْقٌ بالغمام وما طَشَّا[٥]

* * *

---

(١) ناط به الآمال: علقها عليه.

(٢) اللهذم: الماضي من الأسنة. أشوى: أشد أذى. الرقشاء: ذات نقط سود وبيض وهي من أخبث الحيات.

(٣) بضعته: جزءٌ منه. النعش: سرير لميت وهو عليه.

(٤) كاد عدوه: مكر به. لا ترشى: لا تقبل رشوة فتترك حمايته.

(٥) غبس الليل: ظلامه. طشت السماء: رشت.

القصيدةُ الحادية والعشرونَ

رَامَ الْتِقاطَ الدُّرِّ

رَامَ الْـتِـقـاطَ الـدُّرِّ مـن أَلـفـاظِـهـا ... فَـرَمَـتْ سَـوَادَ فـؤَادِهِ بِـلَـحَـاظِـهـا[1]

فـكـأَنّ نُـورَ الـوردِ مِـنْ وَجَـنـاتِـهـا ... نـارٌ تُـذِيـبُ حَـشَـاءَهُ بِـشُـوَاظِـهـا[2]

هِـيَ لَـحْـظَـةٌ سَـلَـبَـتْ حِـجَـاهُ ولَـفْـظَـةٌ ... ما زال مُـنـتـشِـياً بِـفَـضْـلِ لُـمَـاظِـها[3]

لـوْ أنَّـهُ عَـرَفَ الـهَـوَى مِـنْ قَـبْـلـهـا ... ما سَامَ مُـهْـجَـتَـهُ بِـسُـوقِ عُـكـاظِـها[4]

وَلَـمَـا تَـصَـدَّى عَـنْ رِضـىً لِـبَـلِـيَّـةٍ ... بَعِلَتْ بِها الْحُذَّاقُ منْ إِلْظَاظِها[5]

وَعَـلَـى الـتَّـعـايـى قـدْ تـكـونُ وسِـيـلَـةً ... لِـسَـعـادةِ الأَرْوَاحِ واسْـتِـيـقـاظِـهـا[6]

فـالـنـفْـسُ تَـكْـسِـبُ بـالْـمَـحَـبَّـةِ رِقَّـةً ... تُـصْـغِـي بـهـا لـلـنُّـصْـحِ منْ وُعَّـاظِـهـا

طُرقُ الْجَمالِ إلى الكمال كحالةِ الأَزْهارِ ... يُـفْـضِـي ثَـمْـرُهَـا لِـلُـفـاظِـهـا[7]

---

(١) اللحاظ: مؤخر العين مما يلي الصدغ أي بنظرتها.

(٢) المعروف في كتب اللغة التي بأيدينا الحشى وقد مد الشاعر المقصور. الشواظ: لهب لا دخان فيه.

(٣) الحجا: العقل. اللماظ: الشيء يذاق.

(٤) سام: عرض للبيع. سوق عكاظ: من أعظم أسواق العرب في الجاهلية، كان العرب يجتمعون فيها كل سنة يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون الشعر. وسوق عكاظ بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن.

(٥) بعل: دهش وتحير. الحذاق: جمع حاذق وهو الماهر. الإلظاظ: الإلحاح.

(٦) تعايا الأمر عليه: أعجزه ولم يهتد لوجه مراده.

(٧) الجمال وسيلة الكمال فإذا بلغت المقصد فاطرح الوسيلة. ومثل ذلك الأزهار تفضي إلى الإثمار فإذا أثمرت ذبلت وذهب جمالها. اللفاظ: جمع لفاظة طرح الشيء.

فاصْرِفْ عَنِ الْخُودِ الهوى وَاعْلَقْ بِمَنْ ... يُنْجِي النفوسَ هَوَاهُ يَوْمَ فَوَاظِها[١]

خَيْرِ النَّبِيِّينَ الذي لانَتْ به الأ ... يام لِلْإِسْلامِ مِنْ إِغْلَاظِها[٢]

فَصَفَتْ مَوَارِدُهُ على رَغْمِ العِدَا ... من كلِّ ظامِىءٍ مُهْجَةٍ مُغْتاظِها[٣]

وَعَنَتْ لِمِلَّتِهِ الأنامُ بِأَسْرِها ... مِنْ ذِي دَماثَتِها إلى جَوَّاظِها[٤]

وَبِنُورِهِ العَرَبُ اهتدتْ من غَيِّها ... وبِهَدْيِهِ ائْتَلَفَتْ بِإِثْرِ شِظاظِها[٥]

كانَتْ بِمَدْرَجَةِ الشقاءِ فجاءَها ... بِسَعادةٍ نَظَمَتْ جَميلَ أَحاظِها[٦]

فَسَمتْ به مَعَ ضَعْفِها حتَّى انْتَحَتْ ... تُصْلِي ملوكَ الأرضِ من أقياظها[٧]

فَتَزَلْزَلَتْ منها العروشُ ونُكِّسَتْ ... غُلْبُ الرؤوسِ لِباسِها وعِظاظِها[٨]

شَرَفٌ عظيمٌ من مَهابَتِه العِدَا ... رَجَعَتْ بِشِدَّتِها على أَرْعَاظِها[٩]

شَرَفُ إمامِ المرسلينَ وآلُهُ ... كالعيْنِ منه مُحاطَةً بِجِحَاظِها[١٠]

---

(١) الفواظ: الموت. في البيت حسن تخلص من الغزل إلى مدح النبيّ وآله.

(٢) أغلظ له القول: كلمه كلاماً عنيفاً. والغلظ: الأرض الخشنة الصلبة وجمعه أغلاظ.

(٣) المهجة: الروح: صفت موارده: تيسر أمر الإسلام وانتشر مع وقوف الأعداء وتجمعهم وهم في ظمأ إلى الشر.

(٤) عنت: خضعت. ذو الدمانة: السهل كريم الخلق. الجوّاظ: الضخم المختال الكثير الجلبة في الشر.

(٥) الغيّ ضد الرشد. الشظاظ: العود الذي يدخل في عروة الجوالق ليشد به. هو الدين والألفة نتيجة له.

(٦) أحاظ: جمع حظ أي نصيب.

(٧) القيظ: شدة حر الصيف وجمعه أقياظ.

(٨) الغلباء: من القبائل العزيزة الممتنعة وجمعها غلب. لباسها: لبأسها أي شدتها وقوتها. العظاظ: الشدة والغلبة.

(٩) أرعاظ: جمع رُعظ هو من السهم مدخل النصل فيه. رجعت بقوتها على نصالها فأهلكت نفسها.

(١٠) الجحاظ: محجر العين.

لُـذْ بـالـنـبـي وِبِـنْـتِـهِ وابْـنَـيْـهِـمـا فـبـهـم أَمـانُ الـخـلْـقِ يـومَ كَـظـاظِـهـا[١]

وأبـي تُـرابٍ صـاحـبِ الإلْـهَـام مُـرْ دِي الهَامِ مُنْسِي الشوسِ وصْفَ حِفاظِها[٢]

شَـهِـدَتْ لـه الأخـبـارُ بـالـتـبـجـيـلِ والتَّـ فـضـيـلِ وأسـأَلْ مُـنْـصِـفـي حُـفَّـاظِـهـا

فـعَـلـيـهـمُ الـصَّـلـوَاتُ والْـبَـرَكـاتُ مـا طَـوَتِ الـفَـلَا الأَنْـضَـا عـلـى أَوقْـاظِـهـا[٣]

❊ ❊ ❊

---

(١) كظه كظاظاً: ملأه هماً. يوم الكظاظ: يوم القيامة.

(٢) ألهمه الله: ألقى في روعه. مردي: ملك. الهامة: الرأس من كل شيء وهام القوم: رئيسهم والجمع هام. الأشوس: المتكبر وجمعه شُوس. الحفاظ: الأنفة والحمية.

(٣) الأنضا: أصله الأنضاء جمع نضو وهو المهزول من الإبل وغيرها. على أوقاظها: على حالاتها من الإعياء والعجز عن النهوض. يقال: وقظه أثقله؛ وجمل وقيظ: أي مثبت لا يقدر على النهوض. أي ما طوت هذه النوق المهازيل الفلاة على ما بها من عجز وإعياء. وعادة مثلها أن تقطعها في أطول زمن. وفي الأصل أوقاظها بالفاء ولم نجده في كتب اللغة.

القصيدة الثانية والعشرون

شُغُولٌ

شُغُولٌ هَلْ تَؤُولُ إِلى فَرَاغ فَقَدْ غَيَّرْنَ مِنْ هَمٍّ صِبَاغي[1]

أَبِيتُ مُوَزَّعَ الأفكارِ غَمّاً يَذُوبُ لِحَرِّ لَوْعَتِهِ دِماغِي

كأنَّ الزُّهْرَ عَيْنٌ تَسْتَبِيني بِرَوْنَقِها أَبِيتُ لَهَا أُنَاغِي[2]

وَما حُبُّ الْجمالِ أطالَ لَيْلي ولكنْ جَدَّ دَهْرِي في مَضَاغِي[3]

وَلِي بالْخَمْسَةِ الأَرْواح جَاهٌ مِنَ الْمَوْلى بِهِ أَرْجو بَلَاغِي[4]

عَسَى بِذِمَامِهِمْ لِلْحَالِ قَلْبٌ كحالِ الجِلْدِ يُدْرَجُ في الدّباغ[5]

يُعَاجِلُنِي الكريمُ بِفَيْضِ فَضْلٍ أَرَى عَيْشِي به حُلْوَ الْمَسَاغ

ويَغْمُرُنِي وأَوْلادِي بِلُطْفٍ ويَكْبِتُ كلَّ ذي حَسَدٍ وباغ

* * *

(١) الصباغ: ما يلون به الثوب.

(٢) سبى العدو واستباه: أسره. الرونق: الحسن. ناغاه: كلمه بما يعجبه.

(٣) المضاغ: المضغ وما يمضغ.

(٤) البلاغ: بلوغ المأمول وتحقيق الرجاء.

(٥) الذمام: الحرمة. يدرج: يطوي. أي عسى ينقلب الحال بسرّ حرمتهم فيطوى ويذهب العسر كما يذهب حال الجلد في الدباغ ولا يبقى لحاله الأول أثر. يقال: أدرج الشيء في الشيء طواه وأدخله. وأدرج الميت في القبر أدخله.

القصيدة الثالثة والعشرون

مرَتْ لَيالِي الشَّقا

مرَتْ لَيالِي الشَّقا والوجدُ يَثْلَغُهُ ... يُصْبِيه غانٍ رَخِيمُ اللَّفْظِ أَلْثَغُهُ[١]

يَكْفِيهِ ما عِنْدَهُ ما لِلْهَوَى وَ لَهُ؟ ... أَتَسْتَبِيه الدُّمَى والدهرُ يَمْضُغُهُ؟[٢]

إلى العُلَى سَعْيُهُ والحظُّ يَدْفَعُهُ ... لِكنَّ هِمَّتَهُ الشَّما تُبَلِّغُهُ

والْمَجْدُ يُعْشَقُ لولا ما يَعِنُّ لِمَنْ ... يَهْوَاهُ من مِحَنٍ هُوجٍ تُرَوِّغُهُ[٣]

ألا تَرَاهُمْ أُلوفاً في مَدَارِجِهِ ... ولَنْ تَرَى غيرَ أفرادٍ تُسَوِّغُهُ[٤]

ما في مُعاكَسَةِ الأيام مَنْقَصَةٌ ... فالْحُرُّ يَفْدَغُها يوماً وتَفْدَغُهُ[٥]

هَذِي بَحِيزَتُها وأذْكُرْ إذِ انْدَفَعَتْ ... بِشَرِّهَا لِأعَزِّ الْخَلْقِ تَفْرَغُهُ[٦]

لِآلِ بَيْتِ رسولِ اللّهِ شِدَّتُها ... وَعَيْشُها لِكلابِ النَّارِ تَرْفَغُهُ[٧]

---

(١) ثلغ رأسه كمنع شقه. أصبت الجارية فلاناً: شاقته ورجعته إلى الصبا. الغانية: المرأة تستغني بجمالها عن الزينة. والمعنى على ذلك ولكنه استعمل الضمير للمذكر. رخيم الصوت: لينه رقيقه. الألثغ: الذي بلسانه تحول من حرف إلى حرف. وقد يكون طريفاً في النساء.

(٢) الدمى جمع دمية: التمثال الجميل يقصد الحسناوات. اجتمع عليه عذابان؛ التعلق بالجمال ومصائب الدهر.

(٣) يعنّ: يعرض. محن هوج: مصائب عنيفة. تروغه. تجعله يحيد عنه.

(٤) في مدارجه: في طرقه. سوّغ الشيء: أباحه وسوَّغ له كذا: أعطاه إياه والمراد تحصل عليه.

(٥) فدغه: شدخه.

(٦) النحيزة: الطبيعة. تفرغه: تقصده.

(٧) ترفغه: تتمتع بخيره وخصبه.

كم مِنْ سلاحٍ لأعداءِ الشَّريعَةِ في ... دِماءِ أَطَهَرِ خلقِ اللّهِ تُولغُهُ[١]

وكم تَجَنَّتْ عليهم واجْتَرَتْ ولكَمْ ... وَشَّى عليهم قَبيحُ القولِ صَيِّغُه[٢]

حُكْمٌ من اللّهِ مَطْويٌّ على حِكَمٍ ... باللُّطْفِ مَهمْا اكْفَهَرَّ الأمْرُ يَصْبُغُهُ[٣]

يا مَعْدِنَ الْجُودِ يا رُوحَ الْوُجُودِ بِكَمْ ... تَنَبَّهَ الْحقُّ للطغيانِ يَدْمَغُهُ[٤]

واسْتفحَل الدِّينُ واشْتَدْتْ قَوائِمُهُ ... واسْتَحْصَفَتْ يا حُماةَ المجدِ أَرْسُغُهُ[٥]

أَنْتُمْ وَسِيلَتُنَا فارْثُوا لحالَتِنا ... فالْجَوْرُ في قطرِنا أعْيا تَبَيّغُهُ[٦]

مِنْ هَوْلِ ما نابَهُ صَارَ الْغيُورُ أَسًى ... يغصُّهُ فيه عندَ الأكلِ سَيّغُهُ[٧]

فاعْنَوْا به فهو وَادِيكُمْ وما بَرِحَتْ ... أَقدامُ نَسْلِكُم الميمونِ تَدْبَغُهُ[٨]

واستمطروا اللّهَ لي من غيثِ رَحْمَتِهِ ... حُسْنَى تَدُومُ وَفَضْلاً مِنْهُ يُسْبِغُهُ

وَأَنْ يُزِيلَ عن القلْبِ الكروبَ وأَنْ ... يَمْحِي الْهُمُومَ التي بالليلِ تَلْدَغُهُ

وَأَنْ يُوَفِّقَنِي للصالحاتِ وأنْ ... يَصُون صَدْرِي من الشيطانِ يَنْزَغُهُ

لَا زِلْتُمُ ذُخْرَنا في كلِّ نائبَةٍ ... عَلَيْكُمْ من سَلامِ اللّهِ أَبْلَغُهُ

* * *

(١) أولغ الرجل كلبه: سقاه وجعل له شيئاً يلغ فيه.

(٢) تجنى على فلان: ادعى عليه ذنباً لم يفعله. وشى عليهم: كذب وزخرف الكلام. الصيّغ: الكذاب المزخرف حديثه.

(٣) اكفهرّ الجو: تغيّر وتكدر. يصبغه الله باللطف: يجعل العواقب حسنة ويحول الشر إلى خير.

(٤) يدمغه: يغلبه ويبطله.

(٥) استحصفت: استحكمت وقويت. أرسغ: جمع رسغ: مفصل ما بين الساعد والكف.

(٦) تبيّغ عليه الأمر: اختلط. صعب تدارك مضار الجور.

(٧) السيّغ: السهل المدخل من الطعام والشراب. من هول ما حلّ بالشاعر من ألم صار يرثي لحاله كل من عرف شأنه حتى إن الغيور من الحزن يقف الماء في حلقه، ويصبح ما ساغ وجرى في الحلق يحدث غصة وموتاً.

(٨) هو واديكم: سائر في طريقكم ومذهبكم. تدبغه: تحدث أثرها فيه؛ يريد أن النسل الهاشمي المبارك مقيم بوادي حضرموت.

القصيدة الرابعة والعشرون

تَذَكَّرَ الْمُنْحَنَى

تَـذَكَّـرَ الْـمُـنْـحَـنَـى والـرَّوْضَـةَ الأُنُـفـا ... وعَهْدَ أُنْسٍ بِجَرْعاءِ الحِمى سَلفا[١]

والجِزْعَ والبانَ والخَيْفَ الشريفَ وأصـ ... ـحاب الحَجُونِ وجِيرانَ الصَّفا الظُّرَفا[٢]

والحجْرَ والبابَ والبيتَ العتيقَ مع الـ ... ـبِئْرِ الـتـي ماؤهـا لـلـشـاربـيـنَ شِـفـا[٣]

والـرُّكْـنَ مُـسْـتَـوْدَعَ الـمـيـثـاقِ من قِـدَمٍ ... وبُـقْـعَـةً قـامَ فـيـهـا سَـيِّـدُ الْـحُـنَـفـا[٤]

وكـم بِـأَجْـيَـادٍ جـادَتْـهـا الـسـحـائـبُ مِـنْ ... شَمُولِ أُنْسٍ أُدِيرَتْ في كؤوسِ صفا[٥]

---

(١) في هذه الأبيات الخمسة يذكر الشاعر أماكن في الأرض المقدسة بمكة والمدينة. وهذا الأسلوب يسمى في شعر الشريف الرضي: الحجازيات؛ لأنه أكثر منه وقلده فيه الشعراء وأطالوا؛ وإن لم يروا الأماكن ولا عاشوا فيها؛ وذلك من أثر الوجدان. المنحني: منعطف الوادي. الروضة الأنف: التي لم يرعها أحد؛ أي التي بقي نبتها وعشبها فحسن منظرها؛ لعله يريد بها روضة مسجد النبيّ ﷺ لقوله: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». الجرعاء: الكثيب جانب منه رمل وجانب منه حجارة.

(٢) الجزع: جانب الوادي أو منعطفه. البان: شجر معتدل القوام لينّ. الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سمي مسجد الخيف بمنى. الحجون: جبل بمكة فيه مقبرة. الصفا: جبل بمكة يبتدئ منه السعي بين الصفا والمروة.

(٣) الحجر: الجزء الذي لم تبنه قريش من الكعبة ويسمى حجر إسماعيل ويقع من جهة الميزاب. الباب: باب الكعبة. البيت العتيق: الكعبة. البئر: بئر زمزم.

(٤) الركن: الذي فيه الحجر الأسود. مستودع الميثاق: العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ وبقعة قام فيها سيد الحنفاء: مقام إبراهيم ﷺ أبي الأنبياء. الحنفاء: جمع حنيف وهو المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق.

(٥) أجياد: محلة بمكة.

فهاجَ أشواقَهُ التِّذْكارُ وانْفَصَمَتْ عُرَى تَصَبُّرِهِ مُذْ آنَسَ التَّلَفا

وَاسْتَنْجَدَ العينَ مِنْ حُزْنٍ فما ذَرَفَتْ لأنَّ مَدْمَعَها مِنْ نَوْحِهِ نَزَفا[1]

وباتَ يَرْعَى نُجُومَ الليلِ مِنْ أَرَقٍ يَشْكو الْجوَى والنَّوَى والْوَجْدَ والأَسَفا

وَزَادَهُ كَلَفاً قيلُ الرِّفاق له هِيِّئْ حُمُولَكَ إنَّ البَيْنَ قد أَزِفا

رَامَ الذهابَ فلم تَسْمَحْ صَوارِفُهُ فقال لَيْتَ بَرِيدَ الموتِ بي هَتَفا[2]

مَتَى تُبَلِّغُنِي الْبَطْحَاءَ يَعْمَلَةٌ عَنْسٌ شَمَرْدَلَةٌ تَطْوِي النَّوَى القُذُفا[3]

لهْفِي إذَا رَيْتُ رَكْبَ القومِ مَرْتَحِلاً إلى الحجازِ يخوضُ الدَّوَّ مُعْتَسِفا[4]

يا أَيُّها الطائرُ الغادِي إلى بلدٍ نُورُ الجَلالَةِ يُلْفَى فوقها سُقُفا[5]

نُبْ في السَّلامِ على سُكانِها ولكي يَرْثُوا له اشْرَحْ لَهُمْ من حَالِهِ طَرَفا

وَقُلْ تَرَكْتُ صَرِيعَ الشَّوْقِ في حُرَقٍ مِنَ النَّوَى بِرِداءِ الْهَمِّ مُلْتحِفا

وانْشُدْ بِيَثْرِبَ قلباً طار من زمنٍ حولَ الضريحِ به صِدْقُ الهوى وَقَفا

في لَوْعَةٍ من تَباريحِ الغرامِ إذَا غَنَّى الحمَامُ وَحَنَّ الخاشعونَ هَفا[6]

في رَوْضَةٍ من رِياضِ الجنةِ ازْدُلِفَتْ للمتقينَ فَزِدْهَا رَبَّنا شَرَفا[7]

---

(١) نزفت البئر: لم يبق من مائها شيء.

(٢) صوارفه: الدوافع له. يقال صرف فلاناً عن وجهه: رده ودفعه. البريد: الرسول. هتف نادى. إنه يفضل الموت على الحياة.

(٣) البطحاء: الوادي الواسع يقصد أرض مكة المكرمة. اليعملة: النجيبة من الجمال. عنس: سمينة تامة الخلق. الشمردلة: الفتية الحسنة الخلق السريعة. فلاة قذف ونوى قذف: أرض بعيدة مترامية الأطراف.

(٤) يقول المحزون: يا لهف نفسي عليه. واللهف: الحزن والأسف. الدوّ: القفر من الأرض. اعتسف الطريق: سار فيه بلا روية لعجلته ورغبته في قطع الطريق بلهفة وعجلة.

(٥) يلفى سقفاً أي كالسقف ممتداً.

(٦) اللوعة: الحرقة في القلب من حب وغيره. تباريح الغرام: شدته. الخاشع: الخاضع الذليل لله: هفا الفؤاد: خفق وذهب.

(٧) ازدلفت: أدنيت وقربت.

القصيدة الخامسة والعشرون

إذا شِمْتُ

إذا شِمْتُ من نجدٍ وَميضَ بَريقِ تَناثَرَ من عَيْنَيَّ عَقْدُ عَقيقِ[١]

وَإنْ وكَفَتْ يوماً بَطَشٍ غَمامة أَكادُ لِشَوْقي أن أَغُصَّ بَريقِي[٢]

أَشَمُّ رياحِينَ الحجازِ وها أَنا بِوَادٍ لسُوءِ الحظِّ عنه سَحِيقِ[٣]

بِأيِّ يَدٍ أَجْزِي النسيمَ فَإنَّهُ أَتى حاملاً لي مِنْهُ نَشْرَ فَتِيقِ[٤]

إِلَيْكَ حَمَامَ الأيْكِ عَنِّي فليس لي جَوَابٌ إذا غنَّيتَ غَيْرَ شَهِيقِ[٥]

تَهيَّجُ أشْجَانِي وقلبي من الَجوَى وطولِ النَّوَى في شِدَّةٍ وحَرِيقِ[٦]

كَفانِي وَجْدٌ منه ذابَتْ حُشاشِتي غَدَاةَ وَدَاعِي رُفْقَتِي وَفرِيقي

فقلبي وَرَكْبٌ يَمَّمُوا نحوَ طَيْبَة مَنارِ الْهُدَى سَارَا مَعاً بِطَرِيقي

ولم يَبْقَ مِنِّي بَعْدَما أَزْمَعُوا السُّرَى سِوَى جَسَدٍ بالانْمِحَاقِ خَلِيقِ[٧]

---

(١) شام البرق: نظر إليه ليعرف من أين يأتي المطر؟ ومض البرق: لمع خفيفاً ولم ينتشر في نواحي الغيم. يذكره من نجد أحبابه فيبكي بدم أحمر متناثر كعقد من العقيق.

(٢) وكف الماء والدمع: سال قليلاً. الطش: المطر القليل: غصَّ ويغصّ بالماء أو الطعام: وقف في حلقه فلم يكد يسيغه.

(٣) السحيق: البعيد.

(٤) الفتيق من المسك: ما خلط بالعنبر.

(٥) الأيك: الشجر الملتف الكثير. شهيق: تردد بالبكاء في صدره. إليك عني: ابتعد عني فإن غناءك يذكرني الأحباب وأحن إليهم فأشهق.

(٦) تهيج: تتهيج وتثور. الجوى: حرقة العشق.

(٧) السرى: السير ليلاً، وقد يراد مطلق السير. أزمعوا: عزموا بشدة، الانمحاق: الفناء: خليق: حقيق.

تَنَكَّرَتِ الدُّنْيا وضاقَ فَضاؤُها ... وأَظْلَمَ في عينيَّ كلُّ أنيقِ[١]

وَثَمَّةَ روُحِي في مَسَارِحِ أُنْسِها ... تُسَامُ وتَأْوِي في ظِلالِ وَرِيقِ[٢]

وَمَنْ لي بِأَن أَسْعَى إلى أَشْرَف الورى ... فأَشْكُوَ مِنْ صَرْفِ الزمانِ وضِيقي؟[٣]

وأُعْلِنَ بَثِّي حَوْلَ قبْرِ مُحَمَّدٍ ... نَبِيٍّ رَؤوفٍ بالأنامِ شَفِيقِ

كريمٍ رحيمٍ يُعْجِزُ الدهر جُودُه ... مُفيدٍ بتصديقِ الرجاءِ حَقِيقِ

تَوَجَّهْ رسولَ اللهِ في كَشْفِ كُرْبتي ... وَرِقَّ لِصَبٍّ في الغرامِ غَرِيقِ

أَسيرُ ذُنُوبٍ أَوْثَقَتْهُ بِقَيْدِها ... حَنانَيْكَ سَلْ قُلْ كَيْفَ حَالُ رَقيقِ

يَمُتُّ إلى عَلْيَائِكُمْ بِوِلادَةٍ ... وَعَهْدٍ وإنْ أَخْنَى الزمانُ وَثِيقِ

وَحَسْبي قَليلٌ مِنْ نَدَاكَ وقد كفَى الصَّـ ... حَابَةَمن كَفَّيكَ نَزْرُ سَوِيقِ[٤]

عَلَيْكَ صلاةُ اللّهِ ما ذَرَّ شارقٌ ... وَأوضأ في الدنيا كعقد عقيقِ[٥]

صلاةٌ تَعُمُّ الصَّحْبَ وَالآلَ كُلَّهُمْ ... خصوصاً أبا السِّبْطَيْن خَيْرَ صَدِيقِ

وَلِيَّ رسولِ اللهِ وارِثِ سِرِّهِ ... بِغَيْرِ انْتِقاصٍ من مَقامِ عَتِيقِ[٦]

* * *

---

(١) الأنيق: الحسن المعجب.

(٢) ثمة: هنالك. المسرح: مكان المرعى. تسام: تُخْرَج المرعى. في ظلال وريق: في ظلال شجر ذي ورق. يريد إن كنت معذباً بالبعد عنهم فإن روحي سعيدة بقربهم.

(٣) الاستفهام هنا معناه التّمنّي. من لي: من يعينني؟

(٤) السويق: الناعم من دقيق الحنطة والشعير. استفاض أن النبيّ ﷺ أطعم النفر الكثير من الطعام القليل في منزل جابر. ومرة أطعم أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص الشعير. وهما من معجزاته الباهرة.

(٥) ذَرّ قرن الشمس: ظهر. شارق: الشمس حين تشرق.

(٦) وليّ رسول الله: الإمام علي. عتيق: لقب الخليفة الأولى سيدنا أبي بكر.

القصيدة السادسة والعشرون

مَا لِقَلْبِي

مَا لِقَلْبِي وَالْفِرَاقِ إِنَّهُ مُرُّ الْمَذَاق
لَسَعَ الأَحْشَاءَ وَجْدٌ هل لهَذا اللَّسْعِ رَاقي؟[1]
كلما رُمْتُ سُلُوّاً زاد مِنْ شَوْقي احْتِراقي
كَيْفَ أَسْلُو وَشُؤوني قُرِّحَتْ منها مَآقِي[2]
واسْتَبَانِي الوجدُ حتَّى بَلَغَتْ رُوحِي التَّرَاقِي[3]
شابَ فَوْدِي وفُؤادِي ذَابَ من حَرِّ اشتِياقِي[4]
أنا في العِشْقِ إمَامٌ ضَلَّ مَنْ رَامَ لَحَاقِي[5]
أَنْهَكَ الجِسْمَ سَقامٌ وَضَنِّي مِمَّا أُلاقِي
ذَبُلَتْ حالي وأمَّا رَمَقُ الرُّوحِ فَبَاقِي

---

(١) اللسع: اللدغ من العقرب أو الحية. الراقي: من يصنع الرقية وهي العوذة التي تعوّدوا أن يصنعوها للشفاء.

(٢) الشؤون: جمع شأن مجرى الدمع إلى العين. قَرَّحَها: جرحها وشقها. المآقي: جمع مؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(٣) استباني: سباني وملكني. التراقي: جمع ترقوة وهي عظم يصل ما بين ثغرة النحر والعانق من الجانبين. بلغت الروح التراقي: كاد يموت.

(٤) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

(٥) إمام: مثال أو متقدم على العاشقين.

والـــــذي أَوْسَـــــعَ ضُـــــرِّي سُـــقْـــمُ هَـــاتِـيـــكَ الـــحـــداقِ[(١)]
أَوْعِـــدُونِـــي وامْـــطُـــلُـــونـــي إنْ وَعَـــدْتـــمْ بـــالـــتَّـــلاقِـــي[(٢)]
أَوْ مُـــرُوا الـــطَّـــيْـــفَ يَـــزُرْنـــي فَـــهْـــوَ مِـــنْ حَـــتْـــفـــيَ وَاقِـــي[(٣)]
مَـــا عَـــلَـــيْـــكُـــمْ لـــوْ مَـــنَـــنْـــتُـــمْ لـــي يَـــوْمـــاً بِـــالْـــوِفـــاقِ
وَسَـــقَـــيْـــتُـــونِـــي رَحِـــيـــقـــاً عُـــتِّـــقَـــتْ مِـــنْ كَـــفِّ سَـــاقِـــي
وَأَبَـــحْـــتُـــمْ لَـــيِ رَشْـــفَ الـــثَّـــغْـــرِ مـــن بـــعـــد الـــعِـــنـــاقِ
وَمَـــحَـــوْتُـــمْ ذَنْـــبَ دَهْـــرٍ سَـــامَـــنِـــي ضُـــرَّ الـــفِـــراقِ[(٤)]
مَـــنْ مُـــجِـــيـــرِي مِـــنْ زَمـــانٍ أنـــا مِـــنْـــهُ فـــي وَثـــاقِ[(٥)]
لَـــيْـــسَ لـــي إِلَّا نَـــبِـــيٌّ قَـــدْ عَـــلَا ظَـــهْـــرَ الـــبُـــرَاقِ[(٦)]
وَرَقِـــي الْـــمِـــعْـــرَاجَ حَـــتَّـــى جـــاز أَسْـــمـــاكَ الـــطِّـــبـــاقِ[(٧)]
أَفْـــضَـــلُ الـــرُّسْـــلِ وأَعْـــلَا هُـــمْ بِـــحُـــكْـــمِ الاتِّـــفَـــاقِ
أَحْـــمَـــدُ الـــمـــخـــتـــارُ تـــاجُ الـــ أَصْـــفِـــيَـــا رَبُّ الْـــمَـــرَاقـــي[(٨)]

---

(١) سقم الحداق: يريد جمال العينين بفتورهما.

(٢) مطل فلاناً بدينه: سوّفه الوعد بالوفاء مرة بعد مرة. أوعد قد تستعمل بمعنى وعد في الخير. يفضل الوعد مع المطل على القطيعة التامة.

(٣) الحتف: الهلاك.

(٤) سام فلاناً الأمر: كلفه إياه وألزمه؛ وأكثر ما يستعمل في الظل والشر.

(٥) الوثاق: ما يشد به من حبل أو نحوه.

(٦) السمك: السقف. علا ظهر البراق: في الإسراءِ من مكة إلى بيت المقدس، ورقي المعراج من بيت المقدس حيث عرّج به إلى السماوات.

(٧) السمك: السقف. علا ظهر البراق: في الإسراءِ من مكة إلى بيت المقدس، ورقي المعراج من بيت المقدس حيث عرّج به إلى السماوات.

(٨) المراقي: مواضع الصعود؛ واحده مرقى. ربّ المراقي: صاحبها أو مستحقها. وهو سيد الأنبياء الذين اصطفاهم الله واختارهم من خلقه.

جَـاءَ والـشِّـرْكُ بَـهِـيـمٌ   حَـالِـكٌ مُـلْـقِـي الـرِّواقِ[(١)]
فـجَـلَا الـظُّـلْـمَـةَ بَـدْرٌ   مِـنْـهُ زَاهِـي الائْـتِـلَاقِ[(٢)]
وَرَمَـى الْـكُـفْـرَ بِـأَبْـطـا   لٍ عَـلَـى الـجُـرْدِ الـعِـتَـاقِ[(٣)]
رَأَبُـوا الـصَّـدْعَ مِـن الإسْـلَامِ   بِـالـبِـيـضِ الـرِّقَـاقِ[(٤)]
وَأَتَـانَـا بِـكِـتَـابٍ   هُـوَ فِـيـنَـا الْـيَـوْمَ بَـاقِـي
أَحْـجَـمَـتْ يَـوْمَ تَـحَـدِّي   عَـنْـهُ فُـرْسَـانُ الـسِّـبَـاقِ[(٥)]
واسْـتَـبَـانُـوا أَنَّـهُ الْـحَـقُّ   وَلَـجُّـوا فِـي الـشِّـقَـاقِ[(٦)]
يَـا رَسُـولَ الـلَّـهِ إِنِّـي   ضَـاقَ مِـنْ بُـعْـدِي خِـنَـاقِـي[(٧)]
أَوْثَـقَـتْـنِـي سَـيِّـئَـاتِـي   عِـنْـدَمَـا سَـارَ رِفَـاقِـي
أَنَـا فِـي أَسْـرِ ذُنُـوبِـي   رَبِّ عَـجِّـلْ بِـانْـطِـلَاقِـي
لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـل تُـبَـارِي   بِـي فِـي الْـبِـيـدِ نِـيَـاقِـي[(٨)]
وَيُـدِيـلُ الـلَّـهُ رِقِّـي   عَـنْ قَـرِيـبٍ بِـعَـتَـاقِـي[(٩)]

---

(١) بهيم حالك: أسود شديد السواد كالليل الشديد الظلمة. الرواق: الستر، أي مرخٍ ستره وظلمته.
(٢) الائتلاق: اللمعان.
(٣) الجرد العتاق: الخيل القوية الأصيلة.
(٤) الصدع: الشق. ورأبه: أصلحه. البيض الرقاق: السيوف.
(٥) تحداه في فعله: باراه ونازعه الغلبة. وقد تحدى الرسول بلغاء العرب بالقرآن وبسورة منه فعجزوا.
(٦) لجوا في الشقاق: عندوا في الخصومة.
(٧) ضاق خناقه: كاد يهلك.
(٨) تباري: تسابق حتى تصل قبل غيرها إلى المدينة وهي سائرة في البادية.
(٩) أدال الله فلاناً نصره وأخذ له من عدوه وجعل الدولة له. يقصد بالرق ما هو فيه من بعد، وبالعتاق ظفره برؤية ساكني طيبة فهو السعادة له، كأنه انتقل من الرق.

سَاكِنِي طَيْبَةَ شَوْقِي لَكُم فَوْقَ الْمَطَاقِ[١]
وغَرَامِي بِحِمَاكُمْ شِيمَةٌ لا باخْتِلَاقِ[٢]
غَايَةُ الآمالِ تَقْبِيـ ـلي ثَرَاكُمْ وانْتِشاقِي[٣]
وَارْتِشافي عَذْبَ مَاكُمْ واصْطِباحِي واغْتِباقِي[٤]
وَعَلَى طه سَلَامٌ مَا رَقِي الْعَلْيَاء رَاقِي
وعلى السِّبْطَيْنِ والزَّهْرَا وَمَلْحُودِ الْعِرَاقِ[٥]

* * *

(١) المطاق: الطاقة والقدرة.

(٢) شيمة: جبلة لا اختلاق ولا تكلف فيها.

(٣) الثرى: التراب الندي. الانتشاق: الشم.

(٤) ارتشف الماء: بالغ في مصه. ماكم: ماؤكم. اصطبح: شرب الصبوح وهو ما أصبح عند القوم من شراب فشربوه. اغتبق: شرب الغبوق وهو شراب العشّي.

(٥) يريد بملحود العراق. عليّ بن أبي طالب ﷺ وقبره في النجف الأشرف.

القصيدة السابعة والعشرون

أَطارَ الْكَرَى

أَطارَ الْكَرَى بَثٌّ مَدَى الدهر مالِكِي ... أَظَلُّ وأُمْسِي في دُجًى منه حَالِكِ[١]

تُكَلِّفُنِي شَيْبَ الْغُرَابِ عَزِيمتِي ... وَتَسْلُكُ بِي الْوَعْرَ البعيدَ الْمسالِكِ[٢]

دَيامِيمُ فيها تَعْزِفُ الجنُّ ما تَرَى ... بِها غَيْرَ مَنْجُودٍ وآثارَ هَالِكِ[٣]

وذلكَ إِجْرِيَّايَ لا أَنا تارِكٌ ... طِلَابَ الْمعَالِي والْأَذَى ليس تارِكي[٤]

يُدافِعنِي عَن مُرْتَقَى الْمَجْدِ مَعْشَرٌ ... بِحِيلَةِ نَمَّامٍ وَفِرْيَةِ آفِكِ[٥]

وهذا مُحَالٌ لا يَلِيقُ بِشِيمَةٍ ... تَرَى فيه إِهْدَارَ الدِّماءِ السوافِكِ[٦]

يُسيغُ الشَّجا غَيْرِي ويُغْضِي على الْقَذَى ... لِيَأْمَنَ مِنْ كيدِ الليالي الْفَوَاتِكِ[٧]

---

(١) الكرى: النوم. البث الغم الشديد. الدجى الحالك: الظلام الشديد.

(٢) كلفه شيب الغراب: طلب منه المستحيل. الوعر من الأمكنة: الشديد ضد السهل. المسلك: الطريق.

(٣) فلاة ديمومة: دائمة البعد. عزفت الجن: صوتت. إن تقابل التيارات الهوائية في الأدوية يحدث صوتاً يزعم العرب أنه صوت الجن فيبتعدون عن هذه الأمكنة ويتحامون القرب منها. منجود: متعب من السير في النجد. آثار هالك: بقايا ميت.

(٤) الإِجْرِيّا: الوجه الذي تجري عليه والخلق والطبيعة.

(٥) الفرية: الكذب. الآفك: الكذاب.

(٦) الشيمة: الطبيعة والخلق. الدماء السوافك: السائلة. وإهدارها: إباحتها.

(٧) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. ويسيغه: يبلعه كناية عن الرضا بالذل. القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبن ونحوه. وغض العين على القذى. كناية عن احتمال الضيم مع عدم الشكوى.

وَتَأْنَفُ نَفْسِي خطَّةَ الخَسْفِ مَوْرداً ولو كان بَيْنَ الحُورِ فَوْقَ الأَرَائِكِ[(١)]

سَجَايا كِرامٍ خَلَّقَتْ بي وعُنْصَرٌ إلى شَرَفٍ سَامِي الذُّرَى مُتَشَابِكِ[(٢)]

أُمُومَةُ صِدْقٍ قابَلَتْها أُبُوَّةٌ تَلَاقَتْ عَلَى الْكَرَّارِ وابْنِ الْعَوَاتِكِ

وَنَجْلَيْهِما الْمَسْمُومِ والضَّيْغَمِ الذي قَضَى ظامِئاً بالطَّفِّ بَيْنَ السَّنابك[(٣)]

وفاطِمَةَ الزَّهْرَاء وَمَنْ مَرَّ عُمْرُهَا وليس لها في المُصْطَفَى مِنْ مُشَارِك[(٤)]

وَمَنْ دَرَجُوا مِنْ وَكْرِهِم من أَئِمَّة بِبَأْسِ مُلُوكٍ في لِباسِ مَلائِكِ[(٥)]

نُجُومُ الْهُدَى من بَأْسِهِمْ يَنْمَحِي الرَّدَى وتَعْنُو العِدَا مِنْ فَتْكِهِمْ في الْمَعَارِكِ[(٦)]

بِهِمْ مِلَّةُ الإسلامِ أَشْرَقَ نورُها عَلَى النَّاسِ مِنْ بَطْحَاءِ أُمِّ الْمَنَاسِك[(٧)]

لِذِكْرَاهُم فَوْقَ المنائِرِ نَشْوَةٌ تَهُزُّ شُعُورَ الْمُؤمِنِ الْمُتَماسِكِ

أُولئِكَ آبائِي بِوَاسِعِ جَاهِهِمْ أُؤَمِّلُ في الدارَيْنِ حَلّ الشَّبائِكَ

وَاسْتَمْطِرُ الرَّحْمَنَ لي ولِشِيعَتِي بِحُرْمَتِهِمْ فَضْلَ النَّدَى الْمُتَدَارِكِ[(٨)]

---

(١) الخطة: الطريقة. الخسف: الظلم. الورد: المنهل وموضع الورود. الحور: الحور العين جمع حوراء. الأريكة: سرير منجد فاخر. تأنف نفسي الهوان ولو كان بين ما أعده الله لأهل الجنة من الحور العين والأرائك وهذا مبالغة في إباء الضيم.

(٢) نسب متشابك بين أم وأب كريمين اتصلا بسيدنا رسول الله ابن العواتك. وسيدنا علي الكرَّار على أعداء الإسلام في الحروب. فالشاعر شريف الأب والأم.

(٣) السنبك وجمعه سنابك: طرف مقدم الحافر. يريد بالمسموم سيدنا الحسن وبالضيغم أي الليث في الحرب سيدنا الحسين فقد مات عطشان بين أرجل الخيل. قريباً من عين ماء تسمى الطّف بجوار الكوفة.

(٤) يريد خديجة رضي الله عنها.

(٥) درج: مشى وسار. الوكر: عش الطائر أيًا كان. سادة آل البيت في عزة الملوك وطهارة الملائكة، منذ كانوا.

(٦) تعنو: تخضع.

(٧) المنسك: مكان النسك أي العبادة وأم المناسك مكة.

(٨) بحرمتهم: بما لهم من العهد أو المهابة. المتدارك: المتتابع.

فَهُمْ عُرْوَةُ الرَّاجِي وَقِبْلَةُ قَصْدِهِ وَهُمْ مَلْجَأُ العافي وكَنْزُ الصَّعَالِكِ
عليهم صلاةُ اللّهِ ما عَبَسَ الدُّجى وما افْتَرَّ عَنَ ثَغْرٍ مِنْ الْبَرْقِ ضَاحِكِ

✲ ✲ ✲

القصيدة الثامنة والعشرون(١)

بجاهِكِ يا أُمَّ البَتُولِ

بِـجـاهِـكِ يــا أُمَّ الـبَـتُـولِ تـوَسُّـلـي وَبـالْـحُـرَّةِ الـزَّهْـرَاء وسَـيِّـدِنـا عـلـي(٢)

وَبـابـنَـيْـهِـمـا الـسِّـبْـطَـيْـنِ فـي كـلِّ كُـرْبـةٍ إلـى الـلّـهِ أَدْعُـو بـانـكـساري فـتَـنْـجَـلـي

هُــم وَرَسُــولُ الــلّــهِ ذُخْــري وَعُــدَّتــي وَحِـصْـنِـي إِذَا جَـارَ الـزَّمـانُ وَمـعْـقِـلِـي(٣)

وَمَــنْ بِــحـمَـاهُـمْ لاذَ فَـهْـوَ عَـنِ الأذَى بَـمـنْـجًـى وعـن كَـيْـدِ الـلَّـيَـالـي بِـمَـعْـزِلِ

أَأَخْـشَـى ولـي مـنـهـم ذِمَـام مَـهـانَـة؟ وآسَـى وقـلـبـي مِـنْ مَـحَـبَّـتِـهِـمْ مَـلـي؟(٤)

جَرَى فِيَّ مَجْرَى الرُّوحِ صادقُ حُبِّهِمْ فَـبُـحْـتُ وإنْ لامَـتْ وُشَـاتـي وَعُـذَّلـي

إِذَا ذُكِـرُوا فـاضَـتْ دُمُـوعـي صَـبَـابـةً وَدَبَّـتْ حُـمَـيَّـا الشوقِ في كلِّ مَفْصلِ(٥)

يُـؤَرِّقُـنِـي شَـدْوُ الـحـمـامِ وَيَـنْـتَـشـي فـؤَادي إِذا آنَـسْـتُ تـغْـرِيـدَ بُـلْـبُـلِ(٦)

وأعْـرِفُ أَنَّ الـرِّيـحَ مِـنْ حَـيِّـهِـمْ سَـرَتْ إذا هـيَ جَـاءَتْـنـا بـمِـسْـكٍ ومَـنْـدَلِ(٧)

ويَـتْـلو لـنَـا الـرَّاوي حـديـثـاً جَـرَى لَـهُـمْ فَـتَـعْـتـادُ قـلـبـي حَـسْـرَةٌ كـلـمـا تُـلـي

---

(١) قلتها في شعبان من سنة ١٣٣٥هـ.

(٢) البتول السيدة فاطمة وأمها السيدة خديجة رضي الله عنهما.

(٣) المعقل: الحصن.

(٤) ذمام: عهد وميثاق. مهانة: ذلة. آسى: أحزن.

(٥) الصبابة: أشد الحب أي من الصبابة. الحميا: حِدّة الخمر.

(٦) أرقه: أبعد عنه النوم. الشدو: الغناء. ينتشي فؤادي: يزداد نشاطه وحركته أي غناء الحمام وشدو البلبل لأليفه يذكرني بهم إذ هم أحبتي.

(٧) المندل: عود الطيب الذي يتبخر به.

تُحَرِّكُنِي أَخْبَارُهُمْ وَتَهُزُّنِي ... وشَتَّانَ ما بَيْنَ الْمتَيَّم وَالْخَلِي[١]

وَهُمْ نُصْبُ عَيْني لا يَزالُ خَيَالهمْ ... لَزِيمِي أَنَّى سِرْتُ في أَيِّ مَنْزِلِ[٢]

فَيا سَادةً تُتْلَى مناقبُ فَضْلِهِمْ ... عَلَى النَّاس في آيِ الكتابِ الْمُنَزَّلِ

ويا صَفْوَةَ البَاري ويا مطلَعَ الهُدَى ... ويا مَنْ لهمْ بَيْنَ الوَرَى الشَّرَفُ الجَلي

ويا مَنْ لهم جِبريلُ بالنَّصِّ خادمٌ ... وهَلْ بعْدَ هذَا المجْدِ مِنْ منْصب عَلي

سَلِيلُكُم جَاشَتْ منْ الغَمِّ نَفْسُهُ ... فجاءَ لَكُمْ يشْكُو بدَاعي التَّذَلُّلُ[٣]

لَهُ نَفْسُ حُرٍّ لا تَلِينُ وحالُه ... لَدَى الضُّر حالُ الصابِر المتَحَمِّلِ

وَأَمَّا لَدَيْكُمْ فَالخُضُوعُ شِعارُه ... وَيقْبُحُ عِندَ الأَهْلِ غَيرُ التَّذَلُّل

فيا زِينَةَ الدنيا ويا مَنْبَعَ النَّدَى ... ويا مَلْجَأَ الْعَافِي وَغَوْثَ الْمُؤَمِّلِ

أَتَرْضَوْنَ ضُرّي واهْتِضَامِي وأَنْتُم ... عِمَادي وَرُكْنِي واعْتِصَامِي وموئلي[٤]

وحَالِيَ لا يَخْفَى وَمُجْمَلُ قِصَّتِي ... جَلِيٌّ لَدَيْكُمْ واضحٌ كَالْمُفَصَّلِ

وَكُلُّ الذي أَشْكُو يَزُول بِلَحْظِكُمْ ... إِلَيْهِ فلا يحتاجُ أَدْنَى تَأَمُّلِ

تَنَكرَ لي دَهْرِي وَضَاعَتْ سِيَاسَتِي ... وأَمْسَيْتُ في ليل من الْفِكرِ أَلْيَلِ[٥]

وَضِقْتُ بأَحوالِ الزمانِ وَأَهْلِهِ ... وَقَاسَيْتُ مِنْ أَفْعَالهِمْ كُلَّ مُشْكلِ

بَذَلْتُ لهم نُصْحِي رَجَاءَ صَلَاحِهِم ... وَأَفْنَيْتُ قِرْطَاسي وَأَتْعَبْتُ مِقْوَلِي[٦]

أُريدُ لَهُمْ نَيْلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى ... وَهُمْ يُضْمِرُونَ الْمَكْرَ والسَّيِّئات لي

---

(١) المتيم: الذي استعبده الحب.

(٢) نصب عيني: ماثلون أمام عيني.

(٣) السليل: النسل. حاشت نفسه: دارت للغثيان.

(٤) المؤئل: الملجأ.

(٥) ليل أليل: شديد الظلمة.

(٦) المقول: اللسان.

فبِالْخمْسَة الأَرْوَاحِ والأنْفُسِ التي بها باهَلَ الْكُفَّارَ أَفْضَلُ مُرْسَلِ[(١)]

وَبِالْعِتْرَةِ الأبرار مِنْ كلِّ مُخْلِصٍ لِمَوْلاهُ قَوَّامِ الدُّجَى مُتَبَتِّلِ[(٢)]

دَعوتُكَ يا مَوْلايَ يا واسِعَ العَطَا ويا فائِضَ المعروفِ يا بَرُّ يا وَلِي

أَثِبْنِي وَقُمْ بي وارْحمنِي وَتوَلَّني وَجُدْ بِعَطَاكَ الجَمِّ لِي وَتَفَضَّلِ

وَبَلِّغني الآمَالَ يا ربِّ كُلَّهَا وَعَجِّلْ إلهي بِالْمُنَى لا تُؤَجِّلِ

وَكُنْ لِي وأَولادِي مُعيناً وناصراً وَصِلْنَا وَوَاصِلْنَا وبالْعِلْم جَمِّلِ

وَصُنَّا عِن الْبأساءِ والذُّلِّ وَالشَّقَا بجاهٍ وإقبَالٍ وَمَجْدٍ مُؤثَّلِ[(٣)]

وَغِظْ حاسِدِينَا وَارْمِهِمْ بمَصَائِبٍ مِنَ الْبُوسِ تُصْمِي مِنْهُم كلَّ مَقْتَلِ[(٤)]

وَجَدِّدْ لنا الأفراحَ في كلِّ ساعَةٍ وَرِشْنَا بِحَظٍّ دَائِم الوقتِ مُقْبِلِ[(٥)]

وَحُطْنَا ولاحِظْنَا بلطْفِكَ واسْقِنَا مَعينَ غَوَادٍ مِنْ أَيادِيكَ هُطَّلِ[(٦)]

ويَسِّرْ من التَّوفيق لِي مَا يَقُودُنِي لعَفْوٍ جَزِيلٍ عَنْ أَخِيري وَأَوَّلِي

وَهبْ كُلَّ رَاجٍ مِنْ مُحِبِّيَّ قَصْدَهُ فَبَابُك لِلطُّلَّاب غَيْرُ مُقفَّلِ

---

(١) باهل الكفار: أي لاعنهم؛ إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ نبتهل: نتباهل ونتلاعن. بأن نقول بهله الله على الكاذب منا ومنكم. والآية نزلت في محاججة نصارى نجران للنبيّ ﷺ، ولما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا، وقالوا: إنه والله النبيُّ المبَشَّرُ به في التوراة والإنجيل، ولو باهلناه لم يبق نصراني على وجه الأرض.

(٢) العترة: نسل الرجل وعشيرته الأدنون. الدجى: الظلام. متبتل: منقطع إلى العبادة.

(٣) المؤثل: ما له أصل قديم.

(٤) أصمى الصائد الطير: رماه فقتله مكانه وهو يراه.

(٥) راشَه: نفعه وأعانه وأغناه.

(٦) المعين: الماء الجاري على وجه الأرض. الغوادي: جمع غادية: مطرة الصباح. هطل: جمع هاطل: المطر العظيم القطر.

وَثَبِّتْ لِسَانِي بِالجواب مَتَى أَتَى ... نَكِيرٌ وَوَارَنِي رِفَاقِي بَجَنْدَلِ[١]

وَوَدَّعَنِي الأَحْبَابُ مَا بَيْنَ صَابِر ... وَرَاضٍ وَمَفْجُوع الْفُؤَادِ ومُعْولِ[٢]

دَعَوْتُكَ يا مَوْلَايَ فَانْظُر لِفَاقَتي ... وَفَقْرِيَ يا مَنْ بِالْغِنَى جُودُهُ مَلِي

وَقَدَّمْتُ جاهَ الطَّيِّبِينَ وَسِيلَةً ... فَحَاشَاكَ مِنْ رَدِّي وتَقْطِيع أَحْبُلِي

فَشَفِّعْهُم يا رَبِّ واقْضِ حَوَائِجِي ... وَرَفِّهْ فُؤَادِي وَانْفِ عَنِّي تحمُّلي[٣]

وَجُدْ لإمامِ الْمؤمِنينَ بِنُصْرَةٍ ... وَفَتْحٍ على الأَعْدَا أَغَرَّ مُحَجَّلِ[٤]

وَدَمِّرْ جيوشَ الإنكليز وحِزْبَهُم ... وَشَتِّتْ بِهِمْ في كلِّ صُقْعٍ وَنَكِّلِ[٥]

بِحُرْمَةِ مَنِ شَرَّفْتُ شِعْرِي بِذِكْرِهِمْ ... فزان بمدحي فيهم كل مَحْفِلِ[٦]

عَلَيْهِمْ صَلَاةُ اللّهِ مَا هَبَّتْ الصَّبَا ... وَمَا أفترَّ ثَغْرُ الْبَارِقِ الْمُتَهَلِّلِ[٧]

❋ ❋ ❋

---

(١) نكير أحد الملكين السائلين في القبر. الجندل: الصخر.

(٢) المفجوع: الذي أصابته مصيبة بما هو عزيز عليه. أعول: رفع صوته بالبكاء.

(٣) رفه الله فلاناً: ألان عيشه. ورفّه نفسه: أراحها. تحملي: ما أحمله من الأوزار.

(٤) الغرة: بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم، ومن الهلال طلعته، والأغر من الخيل ما كان في جبهته غرة. المحجل: ما كان في قوائمه بياض. أغر محجل: كناية عن الشهرة.

(٥) دمّرهم: أهلكهم. شتت: فرق. الصقع: الناحية. نكل: عاقبهم عقوبة تجعلهم عبرة لغيرهم.

(٦) الحرمة: المهابة والذمة.

(٧) البارق: سحاب ذو برق. تهلل: تلألأ.

القصيدة التاسعة والعشرون

بِعَرِيضِ جاهِ

بِعَرِيضِ جاهِ الْمُصْطَفَى نَتَوَسَّلُ ... وإلَى النجاةِ بِحُبِّهِ نَتَوَصَّلُ
وَبِبِنْتِهِ وبِأُمِّها وَبِزَوْجِها ... وأبْنَيه نَرْجُو أنْ يُحَلَّ المُشْكِلُ
ثانِي سُطُور الْقَلْبِ إخْلَاصِي لَهُمْ ... وُدّي وتَوْحِيدُ الإلهِ ألأوَّلُ
مالِي سِوَى حُبّي لهم عَمَلٌ وَلا ... لِي غَيْرَهُمْ عندَ الشَّدَائِدِ مَعْقِلُ[1]
لِي ذِمَّةٌ مِنْهُمْ صَحِيحٌ عَقْدُها ... وَمَن اسْتَذَمَّ بِرُكْنِهِم لا يُخذَلُ[2]
هُمْ دَوْحة ماءٍ بالنُّبُوَّةِ أَصْلُها ... فَوُجُوهُهُمْ أَبداً بِهِ تَتَهَلَّلُ[3]
شَرَفٌ أناف على النجومِ وجَاوزَ الْـ ... ـغاياتِ شاهِدُهُ الْكِتابُ الْمُنْزَلُ[4]
هُمْ للوجودِ على الحقيقةِ رُوحُهُ ... لولاهمُ ما الْكَوْنُ إلّا هيكَلُ[5]
وَهُم الأمانُ من العذابِ هُنا وَفي ... يومِ القيامةِ والخلائقُ تَجْفِلُ[6]
هُمْ حُجَّةُ الباري وسَلْ عَمَّن دَعَا ... يومَ المباهلةِ النَّبِيُّ المُرْسَلُ[7]

---

(١) معقل: حصن.

(٢) استذم: طلب الذمة والعهد.

(٣) الدوح: الشجر العظيم. تتهلل: تشرق.

(٤) أناف: زاد. شاهده الكتاب المنزل: يريد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

(٥) الهيكل: عظام الجسم، أي ما الكون لولاهم إلّا هيكل من غير حياة ولا روح.

(٦) تجفل: تشرد.

(٧) الحجة: البرهان والدليل المقنع. الحديث عن المباهلة في القصيدة السابقة. بالبيت رقم (١٣) من (١٢٤).

هـل جـاءَ غـيـرُ مـحـمـدٍ وَوَزِيـرِه وابـنْـيـهِ فـانْـدَهَـشَ الْـعِـدَا إِذْ أَقـبَـلُـوا
وَوَرَاهُـم خَـيْـرُ الـنِّـسـاءِ كِـسَـاؤُهَـا ثَـوْبٌ بَـدَت فِـيـهِ الـرِّقـاعُ مُـرَحَّـلُ[١]
مَـرْأى بـه الأَرْضُ اقْـشَـعَـرَّتْ وَالْـوَرَى ضَعُفَتْ بِحَمْلِهِم عليها الأَرْجُلُ[٢]
فَهُنالِكَ انْكَشَفَ الْغُبارُ وكادت الـ ـصُّمُّ الصِّلابُ من الوقار تَزَلْزلُ[٣]
سِـرٌّ قُـوَى الـثَّـقَـلَـيْـن مِـنْـهُ تَـفَـسَّـخَـتْ أنَّـى تُـكَـيِّـفُـه الـعُـقـولُ الـذُّهَّـلُ[٤]
بُـهِـتُـوا لِـمَـعْـنـى لاحَ مـنـه لـوِ انْـجـلَـى وَتـأَمَّـلـوهُ لـكـبَّـرُوا وَلـهـلَّـلـوا[٥]

---

(١) المرحل من الثياب: الذي فيه تصاوير الرحال.

(٢) اقشعرت: اهتزت وتزلزلت.

(٣) الصم الصلاب: الجبال الغليظة المحجرة.

(٤) الثقلان: الجن والإنس. تفسخت: تقطعت. تكيّفه: تصوره. الذهل جمع ذاهل: وهو الغائب عن الرشد.

(٥) بهت: دهش وتحير. كبرّ: قال: الله أكبر. هَلّل: رفع صوته بقول: لا إله إلّا الله.
وعلّق الإمام ابن عبيد الله في الهامش على هذا البيت بقوله: يقال لا معنى للتهليل لأن الجمال إنما ينطق الأفواه بالتسبيح. قال بشار:
تلقى بتسبيحه من حسن ما خلقت وتستفِزّ حشا الرائي بإرعادِ
والجلال إنما ينطق الأفواه بالتكبير. قال المتنبي:
كبرّت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس منها المشرق
وقال:
صغت السوار لأيّ كف بشرت بابن العميد وأي عبد كَبَّرَا
وإنما صار التهليل شعاراً في تشييع الجنائز فما معناه؟ قلت: المراد لو أنهم زادوا عما كان منهم في تأمله لاعتنقوا الإسلام. واستهلوا بالشهادة التي لابد منها لصحته؛ فالأمر كما قال البحتري يصف وفد الروم عند المتوكل:
نظروا إليك فقدَّسوا ولو أنهم نطقوا الفصيح لكبّروا ولهلّلوا
والله يعلم أنَّ إنشائي لهذه القصيدة كان قبل اطلاعي على بيت البحتري بزمان طويل، لأنها من قدامى قصائدي. وشبيه ببيت البحتري قول أبي الطيب:
وَمُستكبرٍ لم يعرف الله ساعةً رأى سيفَه في كفِّه فتشهَّدًا
وبعد اطلاعي على بيت البحتري أبدلت لفظ لأعظموه وهللوا بقولي: لكبروا ولهللوا. =

فَتَذَكَّرُوا ذاكَ الْمَقامَ وصَوِّرُوا بِعُقُولِكُمْ مَا ضَمَّ ذاكَ الْمَحْفِلُ
فَكَأَنَّمَا طه وَصَفْوَةُ آلِهِ شَمْسٌ تَحُفُّ بِهَا بُدُورٌ كُمَّلُ
ما مَرَّ ذِكْرُهُمِ بخاطِرِ مُؤْمِنٍ إِلَّا انْثَنَى وَدُمُوعُهُ تَتَسَلْسَلُ
جُبِلَتْ لِوُدِّهِمُ النفوسُ فحُبُّهُمْ في كلِّ قلبِ مُوَحِّدٍ مُتَغَلْغِلُ[1]
قَسَماً بِطَيْبَةَ مَنْ مُحِبٌّ ما جَرَى ذِكْرُ اللَّوَى إِلَّا غَدَا يَتَمَلْمَلُ[2]
وَلَقَلَّما ذُكِرَتْ مَنازِلُ يَثْرِبٍ إِلَّا وَنَمَّ بِنَشْرِهِنَّ المَنْدَلُ[3]
ويَهُزُّنِي ذِكْرُ الْعَقِيقِ كأَنَّنِي مِنْ شَوْقِ سَاكِنِهِ قَطا مُتَبَلِّلُ[4]
وَإِذَا شَدَتْ وُرْقُ الحَمامِ رَأَيْتَنِي كَبِدِي تَذُوبُ أَسًى وَعَيْنِي تَهْمِلُ[5]
نَصْبُو إذا ذُكِرَ الْحِجازُ لِأَنَّنا بالساكنينَ بِسُوحِهِ نَتَجَمَّلُ[6]
وبِهِمْ نَعُوذُ مِنَ الزمانِ وَجَوْرِهِ وعَلَيْهِمُ عِنْدَ الْخُطُوبِ نُعَوِّلُ
وَنَحِنّ إِنْ ذُكِرَ الْعِرَاقُ وكَيْفَ لَا وَأَبُو تُرَابٍ في ثَرَاهُ مُجَنْدَلُ[7]

= وأي إنسان مسلم أو غيره لا يقول: إني أحق به منه، ثم ذكرت بعد هذا قوله في مدح المتوكل:

يُرَغِّنَ منك إلى وجه يَرَيْنَ له جلالةً يُكْثِرُ التسبيحَ رائيها

(انتهى تعليق الإمام ابن عبيد الله).

ويقول الشارح: إن المتوكل استسقى للمسلمين فنزل المطر غزيراً فاجتمعت الوحوش من البادية وسارت وراءه كأنها تعلن الطاعة (ارجع إلى ديوان البحتري).

(١) تغلغل: تعمق في الدخول.

(٢) اللوى: ما التوى من الرمل.

(٣) المندل: عود الطيب الذي يتبخر به.

(٤) القطاة: طائر في حجم الحمام. فإذا تبلل ارتعش ريشه وتحرك حركة شديدة.

(٥) شَدَت: غنت الحمامة الورقاء: التي لونها كلون الرماد. هملت العين: فاضت.

(٦) نصبو: نميل ونحنُّ. السوح: جمع ساح، فضاء بين دور الحيّ. تجمَّل الفقير: تصبر ولم يظهر المسكنة والذل.

(٧) أبو تراب: كنية سيدنا عليّ. جندل الرجل: صرعه على الجدالة وهي الأرض. كناية عن الموت مقتولاً.

قُطْبُ الْحُرُوبِ وَزِينَةُ المِحْرَابِ نَقَّا ... فُ الرُّؤوسِ الْيَلْمَعِيُّ الفَيْصَلُ(١)

ذُو الْبَاسِ مَوْلَى الناسِ قد صَحَّتْ لَهُ ... يَوْمَ الْغَدِيرِ ولَايَةٌ لا تُعْزَلُ(٢)

سَاقِي الْكُؤوسِ غَداً إذا اشْتَدَّ الظَّماَ ... والشَّمْسُ تَلْفَحُ والْمَرَاضِعُ تَذْهَلُ(٣)

وَالْخَلْقُ يَوْمَئِذٍ تَفَصَّمَتِ الْعُرَى ... مَا بَيْنَهُمْ وهُنَاكَ عَزَّ الْمَوْئِلُ(٤)

إِلّا ابْنَ آمِنَةٍ يَقُومُ مُشَفَّعاً ... ولِوَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ يُظَلِّلُ

يَا مَنْ بِطِيبِهِم الْإِرَادَةُ قَدْ قَضَتْ ... وَإِرَادَةُ الرَّحْمنِ لا تَتَبَدَّلُ

يَا مَنْ لَهُمْ في الحالَتَيْنِ عَلَى الْوَرَى ... شَرَفٌ تَمَنَّاهُ السِّماكُ الْأَعْزَلُ(٥)

رِقُّوا على الْمُضْنَى الذي بِذِمامِهِ ... يُدْلِي وبِالنَّسَبِ الذي لا يُجْهَلُ(٦)

فَفُؤَادُهُ جَمُّ الْهُمُومِ وظَهْرُهُ ... مِمّا جَناهُ مِنَ الْخَطايا مُثْقَلُ(٧)

عَثَرَتْ بِهِ الآمالُ والْأَعْمالُ لا ... سَبَبٌ ولَا أَدَبٌ بِهِ يَتَعَلَّلُ(٨)

لَكِنَّهُ رَبَطَ الحِبالَ بِكُمْ فَأَبْو ... ابُ الرِّضَى في وَجْهِهِ لا تُقْفَلُ

وأَمامَ نَجْوَاهُ الْمَدِيحُ أَتَى بِهِ ... فَصِلوهُ بِالْكَرَمِ الْغَزِيرِ وعَجِّلوا(٩)

---

(١) نقاف: من النقف وهو هشم الرأس: اليلمعيّ: الألمعي وهو الذكي. المتوقد الفؤاد الذي إذا لمع له أول الأمر عرف آخره. الفيصل: الفاصل بين المتخاصمين بالحق.

(٢) يوم الغدير. غدير خم وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة. ويروى أن الرسول ﷺ قال فيه: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

(٣) يوم القيامة يسقى من نهر الكوثر حينما يشتد العطش. تلفح: يشتد حرها. تذهل: تغفل عن رضيعها من شدة الهول.

(٤) تفصَّمت العرى: تقطعت الروابط. الموئل: الملاذ والملجأ.

(٥) السماك الأعزل: نجم في السماء.

(٦) المضنى: المعذب. الذمام: الذمة والعهد. يدلي: يتصل ويتقرب.

(٧) جم: كثير.

(٨) عثر: زلّ وكبا. تعلّل بالشيء: أبدى الحجة وتمسك بها.

(٩) النجوى: الحاجة التي يرجو نجاحها، وتستعمل النجوى في السرّ بين اثنين.

فَالأَرْيَحِيَّةُ شأنُكُمْ والحُرُّ مَنْ ... يُوفي لِمَادِحِهِ الثَّوابَ ويُجْزِلُ[1]

وَلأَنْتُم بابُ المَكارِمِ والنَّدَى ... مَنْ جَاءَهَا مِنْ غَيْرِكُمْ لا يَدْخُلُ

بِكُمُ إِلى الرَّحْمنِ يَرْفَعُ حَاجَهُ ... فَعَسَى بِجاهِكُم المَطالِبُ تَحْصُلُ

فَتَدَارَكُوهُ بِدَعْوَةٍ مَقْبُولَةٍ ... وتَعَطَّفُوا وتَلَطَّفُوا وتَفَضَّلوا

وَسَلُوا لَهُ مِنْ رَبِّهِ نَيْلَ المُنَى ... وَبُلُوغَ غايَةِ ما إِلَيْهِ يُؤَمِّلُ

وسَعادَةً كُبْرَى وحَظّاً باهِراً ... بوجودِهِ يَتَزَيَّنُ المُسْتَقْبَلُ

ويَعُودُ بالحُسْنَى عَلَى أَوْلادِهِ ... وِلآلِهِ ولِمَنْ يُوالِي يَشْمَلُ

والعَفْوَ عَنْهُ إِذَا أَنَاخَ بِهِ القَضَا ... وبَكَى أَحِبَّتُهُ عَلَيْهِ وَأَعْوَلُوا[2]

وَطَوَوْهُ في أَكْفانِهِ مِنْ بَعْدِما ... قَدْ حَنَّطُوهُ وطَيَّبُوهُ وغَسَّلوا[3]

وَخَلَتْ مَنازِلُهُ وأُفْرِدَ بالثَّرَى ... وأتَى المَلائكةُ الكِرَامُ لِيَسْأَلوا

بِكُمُ إلَى البَارِي أَلُوذُ وفَضْلُهُ ... لِلرَّاغِبِينَ بِصِدْقِ قَصْدٍ يُبْذَلُ

فاقْبَلْ دُعائي يا كَرِيمُ فإِنَّني ... لَكَ مُسْتَكِينٌ ضارِعٌ مُتَذَلِّلُ[4]

وَعَلى النَّبِيِّ وِبِنْتِهِ ووَصِيِّهِ ... وَأبْنَيْهِما مِنَّا السَّلامُ الأفْضَلُ

يَغْشَى خَدِيجَةَ والصَّحابَةَ فَضْلُهُ ... والآلَ ما جَارَى الحَمامَ البُلْبُلُ[5]

* * *

---

(١) الأريحية: خصلة يرتاح بها المرء إلى صنع المعروف وبذل العطايا. يجزل: يكثر.

(٢) أعول: رفع صوته بالبكاء.

(٣) الحنّوط: كل ما يطيَّب به الميت خاصة أو يذّر عليه تجفيفاً لرطوبته، يقال حنطه: أي فعل به ذلك.

(٤) استكان: خضع وذلّ.

(٥) يغشى خديجة: يشملها. البلبل: طائر حسن الصوت.

القصيدة الثلاثون

يا رَبَّنا

أنشأها حينما ختم أولاده عبد القادر وحسن[1] القرآن في حدود سنة ١٣٤٣هـ:

---

(١) عبد القادر وحسن هم أكبر أبناء الإمام من أمَّين مختلفتين وللإمام من الأبناء؛ من عرفناه باسم جديد؛ وأظنه لقبه؛ وهو شقيق عبد القادر؛ الذي اشتهر بلقبه قيدان؛ وكان شاعراً وأديباً لكنه هاجر إلى جاوا في مقتبل شبابه لكسب العيش وتزوج هناك وأنجب أولاداً وبناتاً ولم يعد إلى حضرموت وتوفي بجاوة وكانت له كثير من القصائد الجيدة كما شابه أباه في الجرأة وخفة الروح أما حسن فقد كان أقرب أولاد الإمام شبهاً بأبيه؛ وله خمسة أشقاء وهم محمد وعيدروس وأحمد الذي عرف بلقبه؛ امدو وقد عملوا بالوظائف الحكومية وتوفوا جميعاً كما توفي للإمام اثنان من الأبناء في بداية شبابهما وللإمام أيضاً ست من البنات. وقد ولد ابنه الشاعر والأديب والفقيه والخطيب حسن في سنة ١٣٣٣هـ وتلقى تعليمه على يد والده وعلى عدد من الشيوخ بمدينة سيؤون. وقد ولع منذ مقتبل حياته بالشعر وأسس مع زملائه من شعراء مدينة سيؤون (نادي القلم العلمي) وأتاح له تنقله منذ مقتبل شبابه بين المدن اليمنية لكسب الرزق التعرف على عدد من الشخصيات الأدبية والسياسية. وقال الشِّعر مبكراً وتناول شعره الأغراض المختلفة وقد غلبت على قصائده النزعة الرومانسية والحماسية. فهو يقول في قصيدة له سماها دولة العرب:

ما بال أمريكا وقد دانت إلى درك الشقاء شغفت بشر الخلق من شغفوا بقتل الأنبياء

سبحان من جعل التعالي سُلماً للمنتهى

ويقول فيها أيضاً:

ياما أشد أسفي على الأمم المتحدة عاثت بها حكومةٌ في أرضها منعقدة

داست على ميثاقها مجنونة معربدة

صدر ديوانه الأول (ولائد الساحل) في سنة ١٩٤٣م وتضمن قصيدة درب السيف التي =

يَا رَبَّنَا بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ ... وَبِحِزْبِهِ وبِجُنْدِهِ ورِجَالِهِ
يَدْعُوكَ ذُو أَمَلٍ يَجِيشُ بِبَالِهِ ... يُغْنِيهِ عِلْمُكَ عَنْ صَرِيحِ سُؤَالِهِ[1]
مَا فِي الْقُلُوبِ يَجُولُ عِنْدَكَ ظَاهِرٌ ... يا مَنْ لَهُ المُلْكُ الْعَظِيمُ الْقَاهِرُ[2]
وَالْمَجْدُ والْفَضْلُ الْعَمِيمُ الْبَاهِرُ ... بَلِّغْ فَقِيرَكَ مُنْتَهَى آمَالِهِ
بِالْخَمْسَةِ الأَرْوَاحِ أَصْحَابِ الْكِسَا ... يَرْجُو نَوَالَكَ في الصَّبَاحِ وفي الْمَسَا
وبِهِمْ يُلَيَّنُ قَلْبُهُ مَهْمَا قَسَا ... حَاشَا عَرِيضُ نَدَاكَ عَنْ إِهْمَالِهِ
بِأَبِي الْبَتُولِ وَزَوْجِهَا خَيْرِ الْبَشَرْ ... وَبِآلِهِمْ نَرْجُو كِفَايَةَ كُلِّ شَرّ[3]
وَنَعُوذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَا وَمِنَ الأَشَرْ ... وَمِنَ الزَّمَانِ ومِنْ تَنَكُّرِ حَالِهِ[4]
وبِجَاهِ سَيِّدَةِ النِّسَا نَتَوَسَّلُ ... وَإِلَى النَّجَاةِ بِوُدِّهَا نَتَوَصَّلُ
وَلَنَا الْمُنَى بِوَلَائِهَا يَتَحَصَّلُ ... وَيَدُومُ طَالِعُنَا عَلَى إِقْبَالِهِ
وَخَدِيجَةَ الْكُبْرَى لَنَا نِعْمَ السَّنَدْ ... مِنْ بحْرِهَا الطَّامِي يَفِيضُ لَنا الْمَدَدْ
وَهِيَ الّتِي رُزِقَ النَّبِي مِنْهَا الْوَلَدْ ... هِيَ قُرَّةُ الْهَادِي وَأُمُّ عِيَالِهِ
وَبِسَيِّدَيْنِ تَبَوَّآ أَعْلَى الْغُرَفْ ... لِعُلَاهُمَا زُحَلٌ تَضَاءَلَ واعْتَرَفْ[5]
وَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الْمَفَاخِرِ والشَّرَفْ ... كَانُوا ضِيَاءً فِي سَمَاءِ جَلَالِهِ
مِنَّا لَهُمْ وُدٌّ تَمَازَجَ بِاللُّحُومْ ... ومَحَبَّةٌ ذَابَتْ لِكَثْرَتِهَا الشُّحُومْ

= اعتبرها النقاد رائدة في الشعر العربي الحديث وقد عمل في الثمانينيات الهجرية مدرساً بالمملكة العربية السعودية لسنوات قليلة وشارك أثناءها بالكتابة في جريدة المنهل السعودية ثم عاد إلى حضرموت سنة ١٣٨٤هـ وعمل بالتدريس حتى وفاته في سنة ١٤٠٦هـ.

(١) يجيش بباله: يتحرك ويتردد. البال: الخاطر والنفس.

(٢) يجول: يخطر.

(٣) خير البشر: صفة لأبي البتول.

(٤) الأشر: البطر. تنكر حاله: تغيّره.

(٥) الغرفة: العُلّيّة. يريد أعلى مكانة. وتبوأها: سكنها وحلّ فيها. زحل: كوكب سيار يضرب به المثل في البعد والعلو. تضاؤل: صغر.

والـرُّوحُ فَـوْقَ دِيـارِهِـمْ أَبَـداً تَـحُـومْ | والْـقَـلْـبُ لَا يَـنْـفَـكُّ مِـنْ بَـلْـبَـالِـهِ[١]
هُمْ ذُخْرُنا وبِهِمْ عَلى الْأَعْدَا نَصُولْ | وَلِمَا نُـؤَمِّلُهُ بِحُرْمَتِهِمْ حُصُولْ[٢]
وبِهِمْ إِلَى الشَّرَفِ الْأَثِيلِ لَنا الْوُصُولْ | نِلْنا بِهِمْ مَا النَّجْمُ دُونَ مَنالِهِ[٣]
ظَهَرَ الذي تُخْفِي الضَّغائِنُ مِنْ خَبَثْ | وبِجاهِهِمْ كَيْدُ الْعُدَاةِ لَنا انْتَكَثْ[٤]
ذَهَبَتْ بِأَجْمَعِهَا دَسَائِسُهُمْ عَبَثْ | وارْتَـدَّ طَـائِـرُهُـمْ بِـأَشْـأَمِ فَـالِـهِ[٥]
مَا سَاءَهُمْ مِنِّي سِوَى صِدْقٍ كَسَدْ | وَطَهارَةٍ فِي الْعِرْضِ أَيْضاً والْجَسَدْ[٦]
وَمَـجَـابَـةٍ مَـلأَتْ بَـوَاطِـنَـهُـمْ حَـسَـدْ | والْـحُـرُّ مَـحْـسُـودٌ بِـقَـدْرِ كَـمَـالِـهِ
يَـا رَبِّ بَـالْأَعْـتَـابِ عَـبْـدُكَ مُـنْـكَـسِـرْ | يَـرْجُـوكَ يَـا فَـتَّـاحُ تَـيْـسِـيـرَ الْـعَـسِـرْ
وَعَـوَارِفـاً تَـحْـشُـو جَـوَانِـحَـهُ بِـسِـرّ | وتَـعُـودُ بِـالْـحُـسْـنَـى عَـلَـى أَطْـفَـالِـهِ[٧]
كُـنْ لِـي وَأَوْلادِي مُـعِـيـنـاً حَـافِـظـاً | وبِـعَـيْـنِ لُـطْـفِـكَ يـا لَـطِـيـفُ مَـلَاحِـظـاً
وَلِـمَـا تُـدَبِّـرُهُ عُـدَاتِـي دَاحِـضـاً | ومِنَ التُّقَى اكْسُ بَنِيّ ثَوْبَ جَمالِهِ[٨]
وَفِّـرْ جَـوَائِـزَهُـمْ ورِشْـهُـمْ يَـا كَـرِيـمْ | وارْحَمْ تَعَرُّضَهُمْ لِجُودِكَ يَا رَحِيمْ[٩]
يـا مَـلْـجَـأَ الْـعَـافِـي ويَـا كَـنْـزَ الْـعَـدِيـمْ | يـا مَـوْئِـلَ الْـعَـانِـي الـطَّـرِيـدِ الْـوَالِـهِ[١٠]

---

(١) حام على الشيء: دار حوله. البلبال بفتح الباء: شدة الهم وحديث النفس. وهو المراد وأما بكسر الباء فالهياج والحركة.

(٢) صال على قرنه: سطا عليه وقهره.

(٣) الأثيل: الأصيل - نلنا مرتبة أعلى من النجم.

(٤) خبث: ما لا خير فيه. انتكث: انقلب.

(٥) الطائر هنا: الحظ. الشؤم: ضد البركة. الفأل ما به يتُوجه للرجل كأن يرى شيئاً أو يسمع شيئاً فيظنه بشير خير أو نذير شر.

(٦) كسد: بار عندهم. النجابة: حسن القول والفعل.

(٧) بسر: بنفحة من أسرارك.

(٨) داحضاً: أي مبطلاً. يقال دحضت حجته: أبطلتها ودفعتها.

(٩) رِشْهُمْ: ادخل عليه السرور.

(١٠) العافي: طالب المعروف. العاني: الخاضع والعبد.

قَدْ أَخْتَمْوا الْقُرْآنَ يَرْجُونَ الْعَطَا ... فانْظُرْ لِصُغْرِهِمُ كأَفْرَاخِ الْقَطَا[1]

وَاكْشِفْ بَفَضْلِكَ عَنْ قُلوبِهِم الْغِطَا ... وَامْنُنْ عَلَيْهِمْ بِالنَّوَالِ وَوالِهِ[2]

وأَقِرَّ عَيْنِي يَا مُهَيْمِنُ بِالْفُتُوحْ ... فَدَلائِلُ الإقْبالِ قَدْ ظَهَرَتْ تَلوحْ

وَافْعَلْ بِقَوْمِي مَا فَعَلْتَ بِقَوْمِ نُوحْ ... عَجِّلْ لِكلِّ مُنافِقٍ بِنَكالِهِ[3]

فَلَقَدْ طَغَوْا وَبغَوْا ومانُوا وافْتَرُوا ... وعَلى شَرِيعَتِكَ الْمُطَهَّرَةِ اجْترُوا[4]

قَبَضُوا أَزِمَّتَها فَباعُوا واشْتَرُوا ... وَالحَقُّ أَذَّنَ بَيْنَهُمْ بِزَوَالِهِ[5]

وَعَلَى النَّبيِّ وآلِهِ مَنَّا السَّلَامْ ... ما لاحَ بَدْرٌ فانْجَلَى مِنْهُ الظَّلَامْ

أَوْ مَرّ ذِكْرُهُم فَزَانَ بِهِ الْكَلَامْ ... أَوْ حَنَّ مُشْتاقٌ إِلَى أَطْلالِهِ[6]

مَنْ ذَا يُفاخِرُنا وبَيْتُ فَخَارِنا ... سَامٍ أَنافَ عَلى النُّجُومِ طَوِيلُ[7]

فِيهِ النَّبيُّ وِبِنْتُهُ وبَنُوهُما ... وَالْمُرْتَضَى وَخِتَامُهُ جِبْرِيلُ

❊ ❊ ❊

---

(١) أختموا: في قاموس اللغة ختم القرآن: قرأه من أوله إلى آخره؛ وبالعامية الحضرمية ختم القرآن أي حفظه كله عن ظهر قلب. أفراخ القطا: صغار هذا الطائر.

(٢) واله: تابعه.

(٣) نكَّل بغلامه: صنع به صنيعاً يحذر غيره منه إذا رآه، والنكال: ما نكلت به غيرك.

(٤) طغى: أسرف في المعاصي والظلم. بغى: تجاوز الحد. مان: كذب. افترى فلان الكذب: اختلقه.

(٥) أزمة: جمع زمام. قبضوا على زمام الشريعة: كانوا منفذيها والمسؤولين عنها لأنهم حكام. أذّن بينهم: نادى. بزواله، بالذهاب والانقضاء.

(٦) الأطلال: ما بقي من آثار ديار الأحباب.

(٧) أناف: زاد.

القصيدة الحادية والثلاثون

إلى الغَرَّاءِ

أنشأها في شعبان من سنة ١٣٣٧هـ:

إِلى الغَرَّاءِ مَا سَرَتِ النُّعامَى ... نُحَمّلُها التَّحِيَّةَ والسَّلَاما[١]

فَنُوبِي في الزِّيارةِ عَنْ مُحِبٍّ ... إِذَا ذَكَرَ الْعَقِيقَ بَكَى وَهاما[٢]

تَفِيضُ دُمُوعُهُ ويَطِيرُ شَوْقاً ... إِلىَ مَنْ طَنَّبُوا ثَمَّ الْخَيَاما[٣]

يُنَاغِي النَّجْمَ في ظُلَمِ اللَّيَالِي ... وتَحمِيهِ الصَّبَابَةُ أَنْ يَناما[٤]

أَلَا يا أَرْجَحَ الثَّقَلَيْنِ وَزْناً ... ويا مَنْ عَزَّ قَدْراً أَنْ يُسَامَى[٥]

وَيَا غَوْثَ الصَّرِيخِ إِذَا دَعَاهُ ... ويَا كَنْزَ الأَرَامِلِ والْيَتَامَى[٦]

سَلِيلُكَ يابْنَ آمِنَةٍ يُنَادِي ... ويَنْشُدُكَ الْقَرَابَةَ والذِّماما

وَهَا هُوَ يَسْتَجِيرُ بِكُمْ وحَاشَا ... لِجَارِكَ يا مُحَمَّدُ أَنْ يُضَاما

وَقَدْ عَضَّتْهُ أَنْيابُ اللَّيالِي ... وكابَدَ مِنْ حَوَادِيثِها عِظَاما

وبَيْنَ ضُلُوعِهِ رَهَبٌ لِأَمْرٍ ... يُحاذِرُ أَنْ يُمِيطَ لَهُ اللِّثَاما[٧]

---

(١) الغراء: من أسماء مدينة الرسول. النعامى: ريح الجنوب. سرى: سار ليلاً والمراد مطلق السير.

(٢) العقيق: واد قرب المدينة. هام: اشتد عشقه.

(٣) طنب البيت: شده بأطنابه ومفردها طُنبُ: حبل طويل يشد به البيت ثم: هنالك.

(٤) ناغاه: كلمه كلاماً يعجبه ويفهمه. الصبابة: شدة الوجد. تحميه: تمنعه. أرقته الصبابة فسهر الليالي وحيداً يناغي النجوم.

(٥) الثقلان: الجن والإنس.

(٦) الصريخ هنا: المستغيث.

(٧) الرهب: الخوف. أماط اللثام: كشفه. اللثام ما على الفم من النقاب.

فَكُنْ حِصْناً لَهُ مِنْ كلِّ سُوءٍ حَصِيناً لَنْ يُنَالَ ولَنْ يُرَاما
إِلهِي بِالنَّبِيِّ إِلَيْكَ أَدْعُو فَهَبْنِي الْخَيْرَ والنِّعَمَ الجِسَاما
وَلَاحِظْنِي بِفَضْلِكَ واحْمِ رُكْنِي وعَجِّلْ مِنْ عُدَاتِي الانتِقاما
وشَتِّتْ شَمْلَهُمْ وافْصِمْ عُرَاهُمْ ومَكِّنْ مِنْ نُحُورِهِمُ السِّهاما
ونَكِّلْ بِالّذِي يَبْغِي اهْتِضَامِي ويُضْمِرُ لِي الْمسَاءَةَ والخِصَاما
وعامِلْنِي وأَوْلادِي بِلُطْفٍ تَذُودُ بِهِ الْمَخَاوِفَ والسِّقَاما[1]
وهَبْنَا مِنْ عَطَاكَ نَدًى كَثِيراً وإِحْسَاناً لَنَا يَجْرِي دَوامَا
وحَظّاً وافِراً وَجمِيلَ عَفْوٍ بِهِ تَمْحُو الْخَطَايَا والآثامَا
فَإِنّا فِي الْمَآثِمِ قَدْ رَتَعْنَا وقارَفْنَا الْمَعَاصِيَ والحَرَاما[2]
ولَكِنَّ الحَبِيبَ لَنَا شَفِيعٌ إِلَيْكَ بِجاهِهِ نَرْجُو السَّلاما
فَصَلِّ عَلَيْهِ مَا هَبَّتْ نَسِيمٌ ومَا مَرَت الجنُوبُ لنا غَماما[3]
ومَا أَهْدَى لَنا رَيَّاهُ صُبْحٌ وما فاحَتْ بِوَادِيهِ الْخُزَامَى[4]
صلَاةً عَرْفُها يَبْدِي عَبِيرا تَعُمُّ الآلَ والصَّحْبَ الكِرَاما[5]
وأُمَّ بَنِيهِ والحَسَنَيْنِ أَيْضاً وفاطِمَةَ وحَيْدَرَةَ الهُماما[6]

---

(١) تذود: تدفع. السقام: المرض.

(٢) رتع في المكان: أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة. قارف الشيء: خالطه. والإمام هنا على طريقة أسلافه يذم نفسه باقتراف المحرمات والتقصير في الواجبات طلباً للرحمة والمغفرة.

(٣) مرى الراعي الناقة مسح ضرعها لتدرّ. الغمام: السحاب. أي الريح تسقط المطر من الغمام كفعل الراعي حينما يحاول إدرار اللبن من الضرع.

(٤) الريا: الرائحة الطيبة. الخزامى: نبت زهره يضرب به المثل في الطيب.

(٥) عرفها: رائحتها. نديت الأرض: أصابها الندى. العبير: أخلاط من الطيب.

(٦) أم بنيه: السيدة خديجة. حيدرة: من أسماء الأسد. سمي به سيدنا عليّ لشجاعته. الهمام: السيد الشجاع.

القصيدة الثانية والثلاثون

هَذِي مآثِرُهُم

واستوقَفَنِي مرة دارُ حبيب؛ اندرست آثارُه واستعْجَمَتْ[١] أخبارُه؛ فَطَفِقْتُ أُكَرِّرُ قول الشِّبْلي[٢] (هذه دارهم وأنت محب. إلخ) حتى هاجت الشجون؛ وسالت الشؤون؛ فأخذت معناه؛ وأطلقت عنان جواد القريظ؛ وتشرَّفت بمدح صاحب الجاه العريض؛ وقلت ذلك في رجب؛ من سنة ١٣٣٨هـ:

هَذِي مآثِرُهُم وأنت مُتَيَّمٌ ... فَعَلامَ يَجْمُدُ في مَحَاجِرِكَ الدَّمُ[٣]

لَوْ صَحَّ شوقُكَ لم تَذُقْ طعمَ الكَرَى ... إنَّ الغرامَ هُو العنا والمَغرَمُ[٤]

حمل النسيمُ عن الأحِبَّةِ مندلاً ... مِنْ عَرْفِهِ أرَجَ الرِّضَى يَتَنَسَّمُ[٥]

إنا ندين بِحُبِّهم ونفوسنا ... في جَوِّهِمْ رغم البِعاد تحومُ

لولا الخيالُ لذابت الأحشاءُ من ... مَضَضِ الهَوَى فهو الشديدُ المؤلِمُ

لطفٌ من البارِي يقرِّب بُعْدَهُم ... بزيارَةِ الطَّيفِ الذي يتجَسَّمُ[٦]

---

(١) استعجم الرجل: سكت عجزاً، واستعجمت الأخبار: انقطعت ولم نعرفها.

(٢) الشبلي: هو أبو بكر دُلَف بن جحدر الصوفي المشهور، البغدادي المولد والمنشأ. ينسب إلى شبلة من بلاد خراسان، وكانت وفاته ببغداد سنة ٣٣٤هـ.

(٣) المتيَّم: الذي استعبده الحب

(٤) الكرى: النوم. العناء: التعب. المغرم: الغرم ضد الغُنم.

(٥) المندل: عود الطيب الذي يتبخر به. العرف: الرائحة. الأرج: الطيب. من بالهم: في خاطرهم. خيموا: نصبوا الخيام

(٦) تجسَّم: صار ذا جسم؛ وكذلك الخيال في المنام.

طَوَتَ الأمانيُّ النَّوى فكان من ... أهواهُ عندي حاضرٌ يتكلَّمُ

واهاً لفكرةِ مُستهامٍ شَيِّقٍ ... يَقِظٍ اذا اعتَكَرَ الدُّجَى تتقَسَّمُ[1]

فوق الثريا هَمُّهُ وحُظُوظُهُ ... تحتَ الثَّرَى وزمانُه يتهجَّمُ[2]

وقفت به الآمالُ موقفَ حِيرَةٍ ... طوراً تغورُ بِهِ وطوراً تُتْهِمُ[3]

وغدا تجاذبه الشجَاعَةُ والحِجَى ... هَذَا يؤخِّرُه وتلك تُقَدِّمُ[4]

لم يُثْنِ هِمَّتَهُ بكاءُ حبيبةٍ ... كلَّا ولا أمٌّ تُليحُ وتُقْسِمُ[5]

لكنَّه نظر العواقب فَارْتَأى ... أنَّ التَرَيُّث في الحقيقة أحزمُ

نَدَمُ العَجُولِ قضيةٌ معهودةٌ ... وأخوا التأنِّي دائماً لا يندمُ[6]

لُذْ بالثَّبَاتِ ولا تَضِقْ ذرعاً وإنْ ... حَرَبَ الزَّمَانُ فَلَطفُ رَبِّك أعظمُ[7]

وتأمَّلَ الأيامَ في وثباتِهَا ... فشؤونها عِبَرٌ لِمَنْ يَتفهَّمُ

فلرُبَّمَا قَلِقَ الفتى لعظيمةٍ ... ولهُ بها اندمجَ الهَنَا لو يعلمُ[8]

للغيبِ سِرٌّ لا يُذَاعُ وهذِهِ ... سِيَرُ الليالي في الوُجُودِ تُتَرجَمُ

فاملأ فؤادَك باليقينِ فإنَّ ما ... سبقت به الأقدارُ أمرٌ مبرمُ

---

(١) واهاً: كلمة تلهف وحسرة. شيق: مشتاق.. اعتكر الدجى: اشتد الظلام. تقسَّم الشيء: تجزأ وتفرق.

(٢) يتجهم: يستقبل بوجه عابس.

(٣) غار: أتى الغور وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة. اتهم: أتى أرض تهامة. والآمال تغور به وتتهم: أي لا تستقر على حال.

(٤) الشجاعة تدعوه إلى الإقدام؛ والعقل الراجح يدعوه إلى الإحجام لأن الظروف التي يشير إليها لم تتهيأ بعد.

(٥) تليح: تبدو وتتعرض لمنعه وتلح عليه.

(٦) يشير إلى الحكمة المأثورة: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

(٧) حرب الزمان فلاناً: سلبه ماله وتركه بلا شيء.

(٨) اندمج في الشيء: دخل فيه.

بَرَدَ الفؤادُ لعلمِهِ أنَّ الذي ... يقضِي الأمُورَ العَدْلُ فيما يحكمُ[1]

وَتَنَفَّسَتْ عَنِّي الْكُروبُ وَكَيْفَ لا ... وَوَسِيلَتِي فِيها الشَّفِيعُ الأَكْرَمُ

خَيْرُ النَّبِيِّينَ الذي بِعُلومِهِ ... وبِفَضْلِهِ شَهِدَ الْكِتابُ الْمُحْكَمُ

سِرُّ الْوُجُودِ ومَنْبَعُ الْجُودِ الذي ... يُثْرِي بِسَيْبٍ مِنْ نَدَاهُ الْمُعْدِمُ

كَهْفُ الْعُفَاةِ ومَصْدَرُ الإحْسَانِ ... عَلِقَتْ بِهِ آمالُهُ لَا يُحْرَمُ[2]

لَوْلَاهُ ما اتَّضَحَ الْهُدَى ومَحَى الرَّدَى ... نُورٌ بِهِ ثَغْرُ العُلَا يَتَبَسَّم

فَوُجُودُهُ في الْكَوْنِ أَفْضَلُ نِعْمَةٍ ... لِلْخَلْقِ جَادَ بِها الْكَرِيمُ الْمُنْعِمُ

هُوَ رَحْمَةُ الْبَارِي ومَظْهَرُ فَضْلِهِ ... لَوْلَاهُ مَا عَرَفَ الهِدَايَةَ مُسْلِمُ

قَدْ كانَ مَبْعَثُهُ ودِينُ الكُفْرِ في ... عُرْسٍ فَقامَ على بَنِيهِ الْمَأْتَمُ[3]

عَجَمُوا كِنانَتَهُ وَرَامُوا صَدَّهُ ... عَنْ قَصْدِهِ الْمَيْمُونِ وهوَ مُصَمِّمُ[4]

حَمَلَ الأَذِيَّةَ في الإلهِ ولَمْ تَلِنْ ... عَزَماتُهُ مِنْ هَوْلِ ما يَتَجَشَّمُ[5]

وَدَعَا الْعَشِيرَةَ لِلَّنجاةِ فَأَعْرَضُوا ... عَنْ قَوْلِهِ وَاسْتَهْزَؤُوا وتَذَمَّمُوا[6]

وَتَفَنَّنُوا في ضُرِّهِ لَكِنَّهُ ... جَبَلٌ رَسَا فَإِذَا أَسَاؤُوا يَحْلُمُ[7]

---

(١) برد الفؤاد: هدأ واطمأن.

(٢) كهف: ملجأ. العفاة: جمع عاف وهو طالب المعروف.

(٣) الضمير في بنيه يعود إلى دين الكفر. انقلب سرور الكفار إلى حزن بمبعثه ﷺ.

(٤) عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته من خوره. الكنانة جعبة للنبل من جلد أو من خشب. كان العرب يعضون السهام التي في الكنانة ليجربوا صلابتها أتصلح للاستعمال أم لا؟ ومنه قول الحجاج بن يوسف الثقفي حين أقامه عبد الملك بن مروان أميراً على العراق: «إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه؛ نثر كنانته بين يديه، وعجم عيدانها؛ فوجدني أمرَّها عوداً؛ وأصلبها مكسراً؛ فرماكم بي» من خطبته في أهل العراق، أي امتحنني فوجدني أهلاً لذلك. مصمم: عازمٌ عزماً أكيداً.

(٥) تجشم الأمر: تكلفه على مشقة.

(٦) تذمم: استنكف.

(٧) رسا: ثبت.

لَقِيَ الْمَتَاعِبَ والْمصَاعِبَ مِنْهُم ... وَغَدَتْ له أَحْقادُهُمْ تَتَضَرَّمُ[(١)]

وَقَدِ اسْتَجَابَ له عَلِيٌّ والَّتِي ... لِفَخَارِها يَتَأَخَّرُ الْمُتَقَدِّمُ[(٢)]

وَتَلَاهُمُ الصِّدِّيقُ في تَصْدِيقِهِ ... والفَذُّ أَسْلَمَ بَعْدَهُ والتَّوْأَمُ[(٣)]

صَبَرُوا على الْبَلْوَى فَأُوتُوا نُصْرَةً ... غَلْبَاءَ تُسْدِيها السُّيُوفُ وتلحم[(٤)]

مَثِّلْ بِفِكْرِكَ حَالَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى ... وَالْخَيْلُ تَصْهَلُ والْغُبارُ مُقَتَّمُ[(٥)]

والنَّاسُ بَيْنَ مُضَرَّجٍ بِدِمائِهِ ... والْبِيضُ تَشْكُلُ والْأَسِنَّةُ تُعْجِمُ[(٦)]

والْمُصْطَفَى فِيهِمْ يُناشِدُ رَبَّهُ ... والْوَحْيُ يَنْزِلُ والْمَلَائكُ تَخْدِمُ

واذْكُرْ مَصَارِعَ آلِهِ فَهُمُ الْأُولى ... يَتَقَدَّمُونَ إِذَا الْفَوَارِسُ أُحْجِمُوا

فَلَطَالَما حَزِنَ النَّبيُّ لِجَعْفَرٍ ... ولِعَمِّهِ وهُوَ الْكَمِيُّ الْمُعْلَمُ[(٧)]

وَبَكَى عُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ قَبْلَهُمْ ... عَيْناهُ تَدْمَعُ والْفُؤَادُ مُسَلَّمُ[(٨)]

هَذَا الْكَمالُ فَلَوْ أَخَلَّ بِمَظْهَرٍ ... لَأَتَى إِلَى أَخْلَاقِهِ يَتَظَلَّمُ[(٩)]

---

(١) تتضرم: تشتعل وتلتهب.

(٢) يريد السيدة خديجة، ومفاخرها عظيمة في الجاهلية والإسلام.

(٣) الفذ: الفرد. التوأم: المولود مع غيره في بطن واحد. يريد أن الناس بعد الصديق بادروا إلى الدخول في الإسلام أفراداً وجماعات.

(٤) غلباء: قاهرة. أسدى الثوب: أقام سَداه وهو ما مُدّ من خيوط الثوب في النسيج، وألحم الناسج الثوب: نسجه عرضاً؛ نصرة قاهرة حاكتها سيوفهم.

(٥) مقتم: مائل إلى السواد لتكاثره.

(٦) مضرج: ملطخ. البيض: السيوف. الأسنة: الرماح. شكل الكتاب يشكله: ضبطه بالحركات. أعجم الكتاب يعجمه: نقطه. يريد أن السيوف تضرب، والرماح تطعن بسنانها.

(٧) يريد جعفر بن أبي طالب؛ فقد قتل في موقعة مؤتة من أعمال البلقاء بالشام، وعمه يريد حمزة بن عبدالمطلب؛ فقد قتل في غزوة أحد. الكمي: المعلم الشجاع المشهور.

(٨) عبيدة بن الحارث كان من الصحابة، ومن آل البيت استشهد في بدر.

(٩) كل ما يصدر عن النبيّ ﷺ ينبئ عن الكمال والعظمة النفسية؛ فهذه العاطفة الرقيقة في البكاء على قتل أصحابه وأهله في سبيل الله تدل على التأثر القلبي الذي لا يغلب، وهي =

يَا لَيْتَنا كُنَّا تَقَدَّمَ عَهْدُنا لِيَعُمَّنا غَيْثُ الرِّضا والْمَغْنَمُ
ونَفُوزَ مِنْهُ بِرُؤْيَةِ الْوَجْهِ الَّذِي تَعْنُو الشُّمُوسُ لِضَوْئِهِ والأَنْجُمُ
جَمُّ الْبَشَاشَةِ لا عُبُوسَ يَشِينُه فَتَرَاهُ يَضْحَكُ والْقَنا يَتَحَطَّمُ[1]
مِم لِي وبَيْنَ جَوانِحِي نارُ الْجُوَى أَنِّي لِأَخْمَصِهِ الْمُشَرَّفِ أَلْثَمُ[2]
إِنَّا إِذا ذُكِرَ النَّبِيُّ نَذُوبُ مِنْ طَرَبٍ فَيَظْهَرُ مَا نُجِنُّ وَنكْتُمُ
مِقَةٌ تَمَشَّتْ في الْعِظَامِ دَلِيلُها عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ ودَمْعٌ مُسْجَمُ[3]
مَلأَتْ مَحَبَّتُهُ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ حَتَّى الْجَمادُ يُحِبُّهُ والأَعْجَمُ[4]
وَالْفَضْلُ يُعْشَقُ والْمَحَاسِنُ كُلُّهَا فِيمَنْ بِهِ شَرُفَ الْحَطِيمُ وزَمْزَمُ
حُسْنٌ وَإِحْسَانٌ ومَجْدٌ بَاذِخٌ وخَلَائِقٌ غُرٌّ ودِينٌ قَيِّمُ[5]
نَشْتاقُهُ ولَئِنْ حُرِمْنا وجْهَهُ فَحَدِيثُهُ لِلطَّالِبِينَ الْموْسِمُ[6]
سَعِدَتْ بِرُؤْيَتِهِ الصِّحابُ ونَحْنُ في مَا حَصَّلوهُ مِنَ السَّعَادَةِ نُسْهِمُ[7]

= مظهر النفس الشريفة الكريمة (ولو في الكلام حرف يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط) ومعنى الجملة فرضي مستحيل؛ فلو قال النبيّ أو فعل ما يخل بمظهر من مظاهر الكمال؛ لما أمكن ذلك؛ فأخلاقه الشريفة تأباه، ولو كان الكمال شخصاً لرفع ظلامته إلى أخلاق المصطفى التي بلغت الغاية في الكمال، وأبت أن يحدث ذلك، فلا يتأتى أن يصدر عن المصطفى ما ينقص عن مظاهر الكمال.

(١) القنا: الرماح. يتحطم: يتكسر. يضحك في وقت الشدائد والحروب لثقته بنصر الله.
(٢) الجوانح: أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر. الجوي: شدة الوجد. الأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم. ألثم: أقبّل. من لي؟ من يمكنني ويسمح لي استفهام للتمني.
(٣) المقة: الحب. مسهدة: لا تنام. مسجم: سائل.
(٤) الأعجم: الحيوان الأعجم. كما جاء في معجزاته عليه الصلاة والسلام.
(٥) باذخ: عال. قيّم: قويم.
(٦) الموسم: المجتمع؛ لأنه معلم يجتمع إليه الناس، ويطلق في أيامنا على الزمن الذي يظهر فيه الفرح والسرور وانشراح القلب.
(٧) أسهم لفلان في كذا جعل له سهماً ونصيباً.

بِسَمَاعِ مَا نَتْلُوهُ مِنْ أَخْبَارِهِ ... سَيَتَلَذَّذُ الْعَانِي وَيَسْلُو الْمُغْرَمُ

وَبِفَضْلِ إِسْنَادِ الْمَلَا حَصَلَتْ لَنَا ... طُرُقٌ بِهَا عِقْدُ الرِّوَايَةِ يُنْظَمُ(١)

فَلَنَا الْأَسَانِيدُ الْعَلِيَّةِ فِي الَّذِي ... جَمَعَ الْبُخَارِيُّ الْإِمَامُ وَمُسْلِمُ

كُتُبٌ قِرَاءَتُهَا لِإِدْرَاكِ الْمُنَى ... سَبَبٌ وَلِلْعِلْمِ اللَّدُنِّي سُلَّمُ(٢)

تُكْفَى بِهَا الْبَلْوَى وَيُسْتَمَعُ الدُّعَا ... وَيَجُودُ بِالْخَيْرِ الْجَوَادُ وَيُنْعِمُ

يَا أَشْرَفَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ جَاهُهُ ... حِصْنٌ لَنَا بِجَنَابِهِ نَسْتَعْصِمُ

يَا مَنْ يَلُوذُ بِهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ ... يَوْمَ الْمَخَاوِفِ إِذْ تَفُورُ جَهَنَّمُ

إِنَّا نَمُتُّ إِلَى عُلَاكَ بِنِسْبَةٍ ... قُرْبَى وَمِثْلُكَ لِلْقَرَابَةِ يَرْحَمُ(٣)

فَانْظُرْ إِلَيْنَا إِنَّنَا فِي حَالَةٍ ... يُرْثَى لَهَا وَنَدَاكَ نِعْمَ الْمَرْهَمُ

قَلَبَ الزَّمَانُ لَنَا الْمِجَنَّ وَمَا رَعَى ... فِينَا الذِّمَامَ فَسُورُنَا مُتَهَدِّمُ(٤)

وَبَغَى الْقَرِيبُ وَذُو الصَّدَاقَةِ مَا وَفَى ... وَعَدُوُّنَا يَابْنَ الْعَوَاتِكِ يَرْجُمُ(٥)

وَأَصَابَ أُمَّتَكَ الْغَلَاءِ فَعَيْشُهَا ... مُرٌّ وَمَشْرَعُهَا أُجَاجٌ عَلْقَمُ

فَاسْتَسْقِ رَبَّكَ لِلْعِبَادِ فَإِنَّهُ ... أَوْدَى بِهِمْ جَدْبٌ وَعَامٌ أَعْوَمُ(٦)

وَاسْأَلْهُ مِنْ أَفْضَالِهِ رُحْمَى لَنَا ... يُمْحَى بِهَا عَنَّا الْخَطَا وَالْمَأْثَمُ

---

(١) الملأ: علية القوم وأشرافهم. إسناد الملأ: إسناد رواة الحديث.

(٢) العلم اللدني: هو علم إلهامي غير كسبي سمي بذلك أخذاً من قوله تعالى في قصة الخضر وموسى وفتاه ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ أي من عندنا بطريق الفيض والإلهام. واستعملت لدن استعمالاً اصطلاحياً في هذا المعنى فقيل: (العلم اللدني).

(٣) نمت: نتصل ونتقرب.

(٤) المجن: الترس وقلب له الدهر ظهر المجن: ناصبه العداوة.

(٥) رجم فلاناً: رماه بالحجارة حتى قتله، العواتك: جدّاته ﷺ.

(٦) أودى بهم: أهلكهم. الجدب: ضد الخصب. عام أعوم: طويل لامتناع خصبه.

فَلَقَدْ تَنَكَّبْنا الطَّرِيقَ عَنِ الهُدَى ... وَأَمامَنَا الْأَمْرُ الْمَهُولُ الْمُبْهَمُ[1]

أَجْرَيْتُ طِرْفَ صِبَايَ مِلْءِ فُرُوجِهِ ... في اللَّهْوِ حَتَّى ابْيَضَّ فَوْدِي الْأَسْحَمُ[2]

وَالآنَ بَيْنَ يَدَيَّ جَاهُ (مُحَمَّدٍ) ... وبِجاهِهِ يَرْجُو الخَلاصَ الْمُجْرِمُ

كُنْ لي بِعَفْوِكَ واقضِ حَاجِي كلَّها ... يا رَبِّ إِنَّكَ بالسَّرَائِرِ أعْلَمُ

وَأَطِلْ حَيَاتِي في هَنا يا واسِعَ الْـ ... إِحْسانِ واجْعَلْها بِحُسْنَى تُخْتَمُ

وَالْطُفْ إذا عَرِقَ الْجَبِينُ وضَمَّني ... كَفَن كأنِّي في اللّفائِفِ مُحْرِمُ

وَأَحِبَّتِي يَبْكُونُ حَوْلَ جَنازَتِي ... وبَنِيّ أَيْتامٌ وَزَوْجِي أَيِّمُ

واحْفَظْ جُيُوشَ الدِّينِ وانْصُرْ أَهْلَهُ ... نَصْراً بِهِ حِزْبُ الضَّلالَةِ يُرْغَمُ[3]

وَعَلَى النَّبِيِّ وآلِهِ وَوَصِيِّهِ ... مِنَّا صَلاةٌ لا يَجِفُّ بِها فَمُ

مَا سَارَ مُشْتَاقٌ يَؤُمُّ دِيارَهُمْ ... وشَدَتْ بِمَدْحِهِمُ الْحُدَاةُ وَزَمْزَمُوا[4]

* * *

(١) تنكب فلان الطريق: تجنب سواء السبيل. المهول: المفزع. المبهم: الخفي المجهول: يفزع من المستقبل. لا يدري ما الله فاعل بهم بعد تصويره الحاضر بهذه الصورة الفظيعة؟

(٢) الطرف: الكريم العتيق من الخيل. الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. الأسحم: الأسود. ملءَ الفروج: ما بين أرجل الخيل من الأتساع.

(٣) يرغم: يذل ويهان.

(٤) يؤم: يقصد. شدا: غنى. الحداة: جمع حاد وهو الذي يسوق الإبل بالغناء. زمزموا: تتابعوا في الغناء.

القصيدة الثالثة والثلاثون

لِآلِ الْكِسَا

لِآلِ الْكِسَا بَيْنَ الضُّلُوعِ غَرَامُ وَفي غَيْرِهِمْ نَظْمِي الْقَرِيضَ حَرَامُ
وَلَيْسَ لِرُوحِي رَاحَةٌ غَيْرُ ذِكْرِهِمْ إذا مَرَّ يُطْفَى مِنْ حَشَايَ ضِرَامُ[1]
ولَوْلا جِوَارٌ مِنْهُم لي وذِمَّةٌ لَنالَ الْعِدَا ما دَبَّرُوهُ ورَامُوا
فَقَدْ بَذَلُوا في الْكَيْدِ لي فَوقَ جُهْدِهِمْ وَقامُوا وِفيهِمْ شِرَّةٌ وعُرَامُ[2]
وَلَمْ يَقْدرُوا إِلَّا عَلَى الْهَجْرِ وحْدَهُ وَسِيَّانِ وصْلٌ مِنْهُم وصِرامُ[3]
بإِثْمِ الْجَفا باؤوا ولَسْتُ بِهَجْرِهِمْ أُبالِي وما في هاجِرِيَّ كِرَامُ[4]

* * *

(١) الضرام: لهب النار واشتعالها.
(٢) الشرة: النشاط. العرام: الشراسة والأذى.
(٣) الصرام: القطع.
(٤) الإثم: الذنب. باء به: رجع.

القصيدة الرابعة والثلاثون

إذَا غَنَّتْ

إذَا غَـنَّـتْ مِـنَ الْـوَادِي حَـمَـامَـهْ جَرىَ دَمْعِي كَمُنْهَل الْغَمامَهْ[١]

وَإنْ هَبَّ النَّسِيمُ أَهِيمُ وجْداً إلَى مَنْ خَيَّمُوا في شِعبِ رَامَهْ[٢]

مَتَى يَبْدُو لنا عَلَمُ الْمُصَلَّى ونَنْشَقُ مِنْ نَسَائِمِهِ خُزَامَهْ[٣]

وتَبْدُو قُبَّةٌ مُلِئَتْ جَلالاً عَلَيْها النُّورُ في الدَّاجِي عَلامَةْ[٤]

لَنا شَوْقٌ إلى سُكَّانِ نَجْدٍ بِحُرْقَتِهِ حَمَى جَفْني مَنَامَهْ[٥]

فَهَلْ تَقْضي النُّفُوسُ لَهَا مَرَاماً بِرُؤْيَةِ سَادَةٍ سَكَنُوا خِيَامَهْ

إذا ذُكِرَ الْعَقِيقُ يَذُوبُ قَلْبِي وذِكْرُ الْمُصْطَفَى يُذْكِي غَرَامَهْ[٦]

نَبِيٌّ قَدْ بَرَاهُ اللّهُ نُوراً لِأَهْلِ الأَرْضِ أَشْرَفَ مِنْ تِهامَهْ[٧]

وَأَعْطَاهُ الْمَرَاتِبَ والْمَزَايَا وآتَاهُ الْمَنَاقِبَ والشَّهامَهْ[٨]

---

(١) الغمامة: السحابة. انهلت: اشتد نزول مائها.

(٢) أهيم وجداً: يشتد تعلقي. الشعب: ما انفرج بين جبلين. رامة: موضع بالبادية.

(٣) من معاني العلَم: ما ينصب في الطريق ليهتدي به، والحد بين الأرضين: ومصلى النبيّ ﷺ خارج سور المدينة في غربيها. الخزامى نبت زهره أطيب الأزهار. واحدته خزاماة.

(٤) الداجي: الليل المظلم.

(٥) حمى: منع.

(٦) العقيق: واد قرب المدينة. يذكى: يزيد.

(٧) براه: برأه وخلقه. أشرف: أطلّ. أقبل.

(٨) المنقبة: العقل الكريم، والمفخرة جمعها مناقب. الشهامة: ذكاء الفؤاد، وإصابة الرأي.

وأَيَّـدَهُ بِـنِـعْـمَـتِـهِ وأَعْـلَـى بِـلا اسْـتِـثْـنـا لِـمَـخْـلُـوقٍ مَـقَـامَـهْ
أَجَـلُّ الْـمُـرْسَـلِـيـنَ بِـلا نِـزَاعٍ إِذا اجْـتَـمَـعُـوا وظِـيـفَـتُـهُ الإمـامَـهْ
لَـهُ الْـمَـجْـدُ الْـمُـؤَثَّـلُ والْـمَـعَـالِـي وَفـي يَـوْمِ الـحـسـابِ لَـهُ الـزَّعـامَـهْ
إِذا اشْـتَـدَّ الأَذَى وصَـلُـوا إِلَـيْـهِ لِأَنَّ لَـهُ الـشَّـفَـاعَـةَ فـي الْـقِـيَـامَـهْ
فَـيَـجْـثُـو سَـاجِـداً لِـلَّـهِ يَـدْعُـو فَـيُـولِـيـهِ الـفَـضِـيـلَـةَ والْـكَـرَامَـهْ[1]
نَـبِـيٌّ لا يُـطِـيـقُ الْـمَـرْءُ وصْـفـاً لِـرِفْـعَـتِـهِ وإِنْ وشَّـى كَـلَامَـهْ[2]
بِـطَـلْـعَـتِـهِ يَـصِـيـرُ الـلَّـيْـلُ صُـبْـحـاً لِـنـاظِـرِهِ وإِنْ أَبْـقَـى لِـثـامَـهْ
كَـأَنَّ جَـبِـيـنَـهُ قَـمَـرٌ مُـنِـيـرٌ يُـضِـيءُ إِذا الـدُّجـى أَرْخَـى ظَـلَامَـهْ
تَـدُلُّ عَـلَـيْـهِ هَـيْـبَـتُـهُ الأَفَـاقِـي فَـيَـعْـرِفُـهُ وإِنْ لَـبِـسَ الْـعِـمـامَـهْ[3]
تَـوَاضَـعَـتِ الـمُـلـوكُ لَـهُ خُـضُـوعـاً وَذلَّ الْـكُـفْـرُ مِـنْ بَـعْـدِ الْـعَـرَامَـهْ[4]
لَـهُ الآيـاتُ أَعْـلاهَـا كِـتَـابٌ مَـتَـى يُـتْـلَـى تَـطَـامَـنُ كـلُّ هـامَـهْ[5]
تَـحَـدَّى الـمُـشْـرِكِـيـنَ فـمـا اسْـتَـطَـاعُـوا مُـعَـارَضَـةً وبَـاؤُوا بِـالـنَّـدَامَـهْ
بِـجـاهِ الـسَّـيِّـدِ الْـمَـحْـبُـوبِ نَـرْجُـو مِـنَ الـلَّـهِ الـسَّـعـادَةَ والـسَّـلامَـهْ
وبِـالـزَّهْـرَاء وبـالْـحَـسَـنَـيْـنِ أَيْـضـاً وَمَـنْ رَوَّى مِـنَ الأعْـدَا حُـسَـامَـهْ[6]
نُـؤَمِّـلُ أَنْ تَـتِـمَّ لـنـا الأمـانِـي بِـدُنْـيـانـا وفـي دَارِ الإِقـامَـهْ
وَيَـغْـمُـرَنـا الـكـريـمُ بـفـضـلِ جُـودٍ يُـبَـلِّـغُ كـلَّ ذِي قَـصْـدٍ مَـرَامَـهْ

---

(١) جثا: جلس على ركبتيه.

(٢) وشى: زخرف وأبدع.

(٣) الأفاقي: يريد الرجل الغريب الآتي من نواح بعيدة. والآفاق: النواحي والنسبة إليها أفقي بضمتين وبفتحتين وتصرف الشاعر فيه بما ترى.

(٤) العرامة: الشدة.

(٥) الآيات هنا: المعجزات. تطامن الرجل: انحنى. الهامة: الرأس.

(٦) يريد علياً كرّم الله وجهه.

فَهُمْ غوْثُ الطَّرِيدِ لِمَنْ دَعاهُمْ ... أجابُوا صَوْتَهُ وشَفَوْا سَقامَهْ

بِكَمْ يَدْعُو سَلِيلُكُم وَيَأْوِي ... إلى إحسانِكُمْ فَارْعَوْا ذِمامَهْ

وَوالُوا مَنْ يُوالِيهِ وعَادُوا ... عِدَاهُ وأبغَضُوا مَنْ كانَ ضَامَهْ[١]

فَقَدْ مُلِئَتْ جَوَارِحُهُ وِدَاداً ... وخامَرَهُ الهَوَى حَتَّى عِظَامَهْ

وَأَخْلَصَ في مَحَبَّتِكُمْ وفيكُمْ ... بِصِدْقِ عَزِيمَةٍ قَوَّى اعْتِصَامَهْ[٢]

تَشَبَّثَ مِنْكُم بِوَثِيقِ عَهْدٍ ... بِحَوْلِ اللّهِ لا يَخْشَى انْفِصَامَهْ

وَمَنْ يَعْلَقْ بِذِمَّتِكُمْ فَأَنَّى ... تُطِيقُ حَوَادِثُ الدهرِ اهْتِضَامَهْ؟

وَإِنْ مَسَّتْهُ تَارَاتُ اللَّيَالِي ... بِمَكْروهٍ فَأَنْتُمْ في المَلَامَهْ

وَحَاشا أَنْ يضَامَ لَكُمْ نَزِيلٌ ... وجَبَّارُ السَّما فَرَضَ احْتِرَامَهْ[٣]

بِحُبِّكُمْ عَسَى البَارِي يُحَسِّنْ ... لَهُ حتَّى يُرافِقَكُمْ خِتَامَهْ[٤]

عَلَى أَزْواجِكُمْ مِنَّا صَلاةٌ ... وتَسْلِيمٌ أَلَذُّ مِنَ المُدَامَهْ[٥]

* * *

(١) ضامه: ظلمه وقهره.

(٢) اعتصم به: تمسك.

(٣) يشير إلى أمر الله باحترام العلماء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وما جاء في السنة بذلك

(٤) يحسن: يحسن ختامه حتى يرافقكم. سكن الفعل من غير جازم للضرورة..

(٥) المدامة: الخمر.

القصيدة الخامسة والثلاثون

خَيَالٌ من الأَحْبابِ

خَيَالٌ من الأَحْبابِ بالليلِ وافانِي فَرَوَّحَ رُوحِي بالوِصالِ وأَحْيَانِي
وَذَكَّرَنِي العهدَ الذي مَا نَسِيتُهُ وهَيَّجَ أَشْوَاقِي وبَعْثَرَ أَشْجَانِي[1]
رَأَيْتُ كأَنَّا طَائِرُونَ لِحَضْرَةٍ عَلَى فَلَكِ الْمَرِّيخِ تَسْمُو وكيوَانِ
إلى مَهْبِطِ التَّنْزِيلِ والبَلدِ الذي لِجبريلَ تَطْوَافٌ بِهِ ولِرِضْوانِ
طَوَيْنا الْفَلَا وخْداً إِلَى سَادَةِ المَلَا بِأَجْنِحَةِ الشَّوقِ المُبَرِّحِ في آنِ[2]
فَلَمَّا وردْناهَا اقْشَعَرَّتْ شُعُورُنا لِهَيْبَةِ سُلْطَانٍ هنالِكَ رَبَّانِي
وَأَدْهَشَنا نُورُ الْوَقارِ كأَنَّمَا فُصِلْنَا عَنِ الدُّنْيَا إِلى عالَمٍ ثَانِي
وحِينَئِذٍ زادَ الْعَجيجُ وأُخْرِسَ الـ ـنَّشيجُ ورَوَّيْنَا الثَّرَى بالدَّمِ القَانِي[3]

* * *

(١) المريخ: نجم من السيارات وهو أقربها للشمس. كيوان: زحل وهو من الكواكب التي يضرب بها المثل في البعد والعلو.

(٢) الوخذ: الإسراع بخطو واسع. سادة الملأ: سادة الناس. برّح به الشوق: آذاه أذى شديداً. الآن: الوقت الحاضر. يريد في أسرع زمن من غير ركبان.

(٣) عج القوم: ضجوا وأجلبوا. نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. الدم القاني: الشديد الحمرة.

القصيدة السادسة والثلاثون

أَبِيتُ مِنَ الهَوَى

أَبِيتُ مِنَ الهَوَى قَلِقَ الوَضِينِ غَزِيرَ الدَّمْعِ مُنْتَقَعَ الجَبِينِ[١]

يُدَافِعُنِي الغَرَامُ على فِرَاشِي مُدَافَعَةَ الزَّوَاخِرِ لِلسَّفِينِ[٢]

زَجَرْتُ له الحَمامَ فطارَحَتْني قَرِيضَ الشَّوْقِ بِالنَّغمِ الحَزِينِ[٣]

فَبَعْثَرَ لي تَرَنُّمُهَا شُجُونِي وأَظْهَرَ حُسْنُ لَهْجَتِها دَفِينِي[٤]

أَرَدْتُ بِها السُّلُوَّ فَأَقْصَدَتْنِي مَرامِيها فقُلْتُ لَها دَعِينِي[٥]

فَقَدْ قَطَّعْتِ بِالتَّرْجِيعِ قَلْبِي فَحَسْبُكِ قَدْ كَفانِي مَا يَلِينِي[٦]

أَسَائِلُها أَلِلْعُشَّاقِ طِبٌّ فقالتْ ما لَهُمْ غَيْرُ الحَنِينِ

وهَيْهَاتَ السُّلُوّ لِمُسْتَهَامٍ يُرَوَّعُ بالنَّوَى في كلِّ حِينِ[٧]

كأَنَّ اللَّيْلَ يَطْلُبُنِي بِدَيْنٍ فَيُلْزِمُنِي الوَفا خُلُقي ودِينِي

---

(١) الوضين: بطان عريض يكون للهودج كالحزام للسرج. انتُقع لونه: تغير لأمر أصابه كالحزن ونحوه وهو منتقَع. الجبين: ناحية الجبهة إلى الصدغ.

(٢) الزواخر: البحار العظيمة. السفين: جمع سفينة.

(٣) زجر الطير: رماه بحصاة فإن ولّاه في طيرانه ميامنه: تفاءل به؛ أو مياسره تطيَّر؛ لما حرك الطائر رد عليه بنوح كأنه يطارحه الشعر في موضوع واحد وهو الشوق إلى الأحباب.

(٤) ترنم الحمام وحرك أحزاني وأظهر ما كمن من وجدي.

(٥) أقصدتني: أصابتني.

(٦) يليني: يملك أمري ويستبد بي.

(٧) النوى: البعاد. يروع: يهدد ويفزَّع.

فَأُرْخِصُ في الغرامِ عَزِيزَ دَمْعِي وأُبْدِلُ في الهوى جَلَدِي بِلِينِي
وَأَخْلَعُ في الصَّبَابَةِ ثَوْبَ صَبْرِي وأَسْتَخْذِي خُذُوَّ المُسْتَكِينِ[١]
فَهَلْ لِظَلامِ هَذَا اللَّيْلِ بَدْرٌ وهلْ يُفْضِي إِلَى فَجْرٍ مُبِينِ[٢]
وهَلْ يَسْخُو الزَّمانُ بِطِيبِ وصْلٍ أَلَذُّ لنا مِنَ الْمَاءِ الْمَعِينِ[٣]
وهلْ تَطْوِي القِفَارَ بِنا رِكابٌ فَتُوصِلَنا إِلَى البَلَدِ الأَمِينِ
بِلادُ تُرْبُها مِسْكٌ وأَمَّا حَصَاها فَهْوَ أَشْبَهُ بالرَّقِينِ[٤]
بِلادُ الأَمْنِ والإيمانِ فيها نبيُّ اللّهِ ذوو الدِّينِ المَتِينِ
أَجَلُّ الْمُرْسَلِينَ بِلا نِزَاعٍ فَرِيدُ الدَّهْرِ مُنْقَطِعُ الْقَرِينِ
سَنَامُ الْمَجْدِ عِرْنِينُ الْمَعَالِي جَلِيلُ الشأنِ ذُو القَدْرِ المَكِينِ[٥]
مِنَ المَلَكُوتِ عُنْصُرُهُ تَدَلَّى وصُوِّرَ بَعْدُ مِنْ مَاءٍ وطِينِ[٦]
بِبَعْثَتِهِ أَضاءَ الْكَوْنُ نُوراً وصِينَ الدِّينُ بالحِصْنِ الحَصِينِ
وبَاءَ الشِّرْكُ بالأَوْصَابِ يَبْكِي على الأَنْصَابِ بالْجَفْنِ السَّخِينِ[٧]
أَتَى والكُفْرُ مُغْتَكِرُ النَّوَاحِي فَنَاصَبَهُ الخِصامَ بِلا مُعِينِ[٨]

---

(١) استخذى: أخضع.
(٢) أفضى إليه: وصل وانتهى.
(٣) الماء المعين: السائل على وجه الأرض.
(٤) الرقين: الدرهم يشبه حصاها في البياض.
(٥) السَّنام: الجدية على ظهر البعير. العرنين من الأنف: ما تحت مجتمع الحاجبين، ومن كل شيء أوله. وعرانين الناس: أشرافهم وساداتهم.
(٦) الملكوت: السلطان والعظمة يريد من الملأ الأعلى.
(٧) باء: عاد ورجع. الشرك: عبادة غير الله كالأصنام والأوثان وغيرهما. الوصب وجمعه أوصاب: المرض والوجع الدائم. الأنصاب: كل ما عبد من دون الله. السخين: الحار. يريد يدمع العين الحار: لو صوِّر الشرك شخصاً لكان حزيناً خائب الرجاء بسبب بعثة الرسول الأمين.
(٨) مفتكر النواحي: مختلط الطرق وكلها ضلال. ناصبه: قاومه وعاداه.

فَظَفَّرَهُ المَلِيكُ بِرِيحِ نَصْرٍ ... وبِالْقُرْآنِ والرَّأْيِ الرَّزِينِ
وبِالإِخْوَانِ أَيَّدَهُ فَكَانُوا ... لِمِلَّتِهِ الشَّرِيفَةِ كَالْعَرِينِ[(١)]
وبِالآيَاتِ مِنْ خُلُقٍ عَظِيمٍ ... ومِنْ عَذْبٍ يَفِيضُ مِنَ الْيَمِينِ[(٢)]
ومن ثَمَدٍ يَجِيشُ بِرِيٍّ جَيْشٍ ... وبُورِكَ في الْعَنَاقِ وفي الْعَجِينِ[(٣)]
ومِنْ حَجَرٍ يُكَلِّمُهُ وجِذْعٍ ... بَكَى يَوْمَ الْعَرُوبَةِ بِالرَّنِينِ[(٤)]
إذا كانَ الجَمَادُ يَحِنُّ وجْداً ... لِفُرْقَتِهِ فَمَا بَالُ البَنِينِ[(٥)]
نَعَمْ نَشْتَاقُ طَيْبَةَ والْمُصَلَّى ... وحُبُّ الدَّارِ مِنْ أَجْلِ الْقَطِينِ[(٦)]
إذا ذُكِرُوا تَفِيضُ دَماً عُيُونِي ... ويُزْعِجُنِي غَرامٌ يَقْتَضِينِي[(٧)]
وأَصْوَاتُ الحُدَاةِ تَهِيجُ حُزْنِي ... وَأَجْهَشُ عِنْدَ تَكْبِيرِ الأَذِينِ[(٨)]
أكَادُ أَذُوبُ لِكِنَّ الأَمَانِي ... تَعِلَّةُ صَاحِبِ الْقَلْبِ الرَّهِينِ[(٩)]
ولولا طَيْفُ مَنْ أَهْوَاهُ عِنْدِي ... لأَشْرَقَنِي النَّوَى بِدَمِ الوَتِينِ[(١٠)]

---

(١) العرين: مأوى الأسد.

(٢) الآيات: المعجزات. ومنها نبع الماء من بين أصابعه.

(٣) الثمد: موضع كالحوض يجتمع فيه ماء السماء فيشرب به الناس زمناً. جاشت العين: فاضت بالماء. العناق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول. بارك الله في الماء واللحم والعجين الذي يخبز فكان فيه الكفاية. وكان من المعجزات.

(٤) يوم العروبة: يوم الجمعة؛ وهو من أسمائه في الجاهلية. الرنين: الصوت. يريد بالجذع جذع النخلة الذي كان يستند إليه ﷺ وهو يخطب.

(٥) كسر النون في جمع المذكر السالم لغة (البنين).

(٦) القطين: أهل الدار.

(٧) اقتضى الحال كذا: استدعاه واستوجبه.

(٨) أجهش: أفزع هاماً بالبكاء. أصوات الحداة تذكرني بالسفر إلى الأرض المقدسة، وتكبير المؤذن يلهبني شوقاً إلى الحرم النبوي الشريف.

(٩) الأماني: جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان. التعلة: ما يُتعلل به ويُتلهى ويُشغل. الرهين: المرهون المقيد.

(١٠) أشرقني: أغصني. النوى: البعد. الوتين: عرق القلب يجري الدم منه إلى العروق جميعها.

فَفِي زَوْرِ الْخَيَالِ لَطِيفُ مَعْنًى ... بِهِ يَهْفُو الْمحِبُّ مِنَ الأَنِينِ[١]

يُحَيِّينِي النَّسِيمُ بعرفِ مِسْكٍ ... ويُتْحِفُنِي بِنَشْرِ الْيَاسَمِينِ

فَأَنْشَقَ عِطْرَ طَيْبَةَ مِنْ شَذَاهُ ... ويَجْلو الْغَمُّ عَنْ صَدْرِي المرِينِ[٢]

وأُحفِيهِ المسائلَ عَنْ نَبِيٍّ ... أَتَى الثَّقلَيْنِ بالْحَقِّ اليَقِينِ[٣]

وَأُنشِدُهُ فُؤاداً هَامَ عَنِّي ... هُنالِكَ بَيْنَ غِزْلانٍ وعِينِ[٤]

وَأودِعُهُ السَّلامَ إِلَيْكَ يَا مَنْ ... أَلُوذُ بِرُكْنِهِ الضَّخْمِ الرَّكِينِ

وَأَجْعَلُهُ الوَسِيلَةَ في ابْتِهالِي ... إِلَى الْبَارِي وحُرْمَتُهُ ضَمِينِي[٥]

بِهِ وبِبِنْتِهِ أَرْجُو نَجاتِي ... وبَالسِّبْطينِ والحَبْرِ الْبَطِينِ[٦]

وَأَلْتَمِسُ الْجَوَائزَ والْعَطَايا ... بِجاهِهِمُ الْعَرِيضِ الْمُسْتَبِينِ

وَعافِيَةً مِنَ الْمَوْلَى وعَفْواً ... لِنَفْسِي والْجَلِيسِ ولِلْخَدِينِ[٧]

فَهُمْ ذُخْرِي وسِلْسِلَةُ انْتِسَابِي ... لَهُمْ أَغْلَى مِنَ الْعِقْدِ الثَّمِينِ

وَحَاشَا أَنْ أَضِيعَ وهُمْ مَلَاذِي ... وما قَدْرِي لَدَيْهِمْ بِالْمَهِينِ[٨]

أَيَغْمُرُ جُودُهُمْ كَعْباً بِمَدٍ ... ويَجْزُرُ عَنْ سَلِيلِهِمُ القَمِينِ[٩]

---

(١) الخيال: ما يأتي في المنام. يهفو من الأنين: يخف توجعه.

(٢) الشذا: الرائحة. المرين: المغلوب المغطى عليه بالغموم.

(٣) أحفى فلاناً يُحْفيه: سأله فأكثر عليه الطلب.

(٤) العين. بكسر العين: بقر الوحش، لاتساع عيونها شبه بها.

(٥) الحرمة: الذمة والعهد.

(٦) يريد بالحبر البطين: سيدنا علياً.

(٧) الخدين: الصاحب.

(٨) المهين: الحقير.

(٩) يريد كعب بن زهير الشاعر الذي مدح النبيّ ﷺ بقصيدته المشهورة (بانت سعاد) فغمره النبيّ بجوده، وأهدى إليه بردته، القمين: الحقيق بالتقدمة وكيف لا وهو سليلهم.

وَلِـي فِـيـهِـمْ بِـلَا مَـنٍّ عَـلَـيْـهِـم مَـدَائـحُ أخْـرَسَـتْ مَنْ يَـقْـتَـفِـينِـي(١)

عَـلَـى أزْوَاجِـهِـمْ مِـنّـي صَـلَاةٌ وتَـسْـلِـيـمٌ مِـنَ الـبَـلْـوَى يَـقِـيـنِـي

* * *

(١) يقتفيني: يتبع أثري. المن: عدّ الإحسان والتعيير به. لذلك احترس الشاعر.

القصيدة السابعة والثلاثون

طَفِقَتْ تُعَيِّرُ

طَفِقَتْ تُعَيِّرُ أَدْهَمِي بِحِرَانِهِ ... وَهِيَ الَّتِي أَمَرَتْ بِفَضِّ عِنَانِهِ[١]

أَنَّى يَشِيبُ غُرَابُ لَيْلِ مُتَيَّمٍ ... ظَلَعَتْ جِيَادُ الشُّهْبِ فِي مَيْدَانِهِ[٢]

وَقَصَدْنَ مِنْ نَهْرِ الْمَجَرَّةِ مَوْرِداً ... لِلشُّرْبِ حِينَ ظَمِئْنَ مِنْ غُدْرَانِهِ[٣]

فَحَمَى عَلَيْهِنَّ الْمَنَاهِلَ شَيِّقٌ ... لَمَّا حَمَيْنَ النَّوْمَ عَنْ أَجْفَانِهِ[٤]

صَبٌّ لِخَفْقِ الْبَرْقِ يَهْفُو قَلْبُهُ ... عَنْ صَدْرِهِ وَيَذُوبُ مِنْ لَمَعَانِهِ[٥]

وَإِذَا اسْتَهَلَّ مِنَ الْغَمَائِمِ صَيِّبٌ ... سَالَتْ شُؤُونُ عَقِيقِهِ وَجُمَانِهِ[٦]

---

(١) الأدهم: الأسود من الخيل. حرنت الدابة: تعاصت عن الأنقياد. العنان: سير اللجام. وفضه: فكه.

(٢) المتيم: من استعبده الحب. ظَلَع: غمز في مشيه وعرج. الشهب: النجوم. أي لا أمل في انقضاء الليل إذا كانت نجومه لا تتحرك إلّا ببطء كأنها لا تريد السير أو كأن جيادها عرجت في الميدان فلا تستطيع السبق. لما جعلها خيلاً جعل لها ميداناً.

(٣) المجرة: منطقة في السماء فيها نجوم كثيرة لا يميزها البصر، وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء. لذلك سماها العرب نهراً وأدخلوه في التشبيه والاستعارة. ولما جعل للنجوم خيلاً جعل لها ورداً لتشرب، ولما لم تجد الماء حين ظمئت قصدت نهر المجرة لتشرب من غدرانه.

(٤) حمى: منع. شيق. مشتاق. لما كانت النجوم سبباً في سهره وحرمانه النوم انتقم منها بحرمانها موارد الماء.

(٥) هفا القلب: ذهب وطار: هذا المحب إذا رأى لمع البرق تأثر قلبه، وذاب لأنه آت من ناحية الأحباب، وقد تذكر أيامه معهم وأنسه بهم.

(٦) الصيب: السحاب ذو المطر. العقيق: فصوص حمر. الجمان: اللؤلؤ. إذا نزل المطر ظن =

وَإذا تَطارَحَتِ الْحَمَائِمُ سَجْعَهَا كادَتْ تَطِيرُ الرُّوحُ عَنْ جُثْمانِهِ[١]
مَلَكَ الْغَرَامُ فُؤادَهُ مِنْ نَظْرَةٍ أَمْسَى بِهَا كَالْغُصْنِ في خَفَقانِهِ
لا شَيْءَ مِثْلُ الْحُسْنِ في جَذْبِ النُّهَى كَلَّا ولَا كَالْبَيْنِ في أَشْجَانِهِ
كَتَمَ الجوَى حَتَّى دَنا يَوْمُ النَّوَى وَهَتِ القُوَى فَعَجَزْنَ عَنْ كِتْمَانِهِ[٢]
أَزِفَ الرَّحِيلُ فَلَا تَسَلْ عَمَّا ورَى في جَوْفِهِ بِالنَّأْيِ مِنْ نِيرَانِهِ[٣]
وَمَضَى الرِّفاقُ وما قَضَى مِنْ عَزْمِهِ غَرَضاً وأَوْثَقَةَ النَّوَى بِمَكانِهِ[٤]
فَمَتَى يُحَلُّ عِقَالُهُ وبُدَالُ مِنْ مَذْمُومِ شُومِ الْبُعْدِ سَعْدُ قِرَانِهِ[٥]
ومَتَى تُبَلِّغُهُ المَطِيُّ بِنَصِّهَا بَلداً يَفُوحُ الْمِسْكُ مِنْ كُثْبَانِهِ[٦]
بَلَدٌ يخِرُّ الْمُسْتَهامُ إذا انْجَلى نُورُ الجَلَالِ له على أَذْقانِهِ
بَلَدٌ تَطُوفُ بِهِ مَلائكةُ الْعُلَى لِتَشَمَّ عَرْفَ الطِّيبِ مِنْ رَيحانِهِ
بَلَدٌ تُنَازِلُكَ الْمَهابَةُ عِنْدَما تَبْدُو مَنَازِلُهُ لِرِفْعَةِ شَانِهِ[٧]
بَلَدٌ يَشُوبُ المُؤمِنُونَ دُمُوعَهُمْ بِدِمائِهِمْ شَوْقاً إِلَى سُكَّانِهِ[٨]

= أن السحاب آت من جهة الأحباب فبكى لبعده بدمع كالدم في لونه وكاللؤلؤ في صفائه.

(١) سجع الحمام: غناؤه وترديده. غناء الحمائم تذكر إلفها؛ يذكّره أحبابه فيكاد يموت.

(٢) الجوى: حرقه الوجد؛ فقد كتمها حتى قرب يوم الفراق فضعفت قواه فأعلن سره.

(٣) أزف الرحيل: اقترب. ورى: اشتعل: النأي: البعاد.

(٤) رحل رفاقه، وما استطاع أن يبلغ غرضه وقيده البعاد بمكانه.

(٥) أدال الله لهم من عدوهم: جعل لهم النصر عليه. لقد كان بعده عن أحبابه عذاباً وشؤماً وإنه ينتظر اليوم الذي تكون فيه الغلبة للسعد. أي يسعد بعد بؤس وفيه إشارة إلى ما كان يعتقده العرب من نسبة السعادة أو الشقاوة إلى الكواكب فمن منازل القمر سعد السعود. يكون من حظه فيقرن به.

(٦) نصها: سيرها السريع. الكثيب وجمعه كثبان: التل من الرمل.

(٧) نازل خصمه: قاومه. إذا بدت منازل المدينة المنورة للقادمين عرضت المهابة لهم أي أحسوا بالهيبة لعظمة دار الهجرة ورفعة شأنها.

(٨) يشوب: يخلط وفي الأصل يشيب ولا معنى له هنا.

بَلَدٌ يَهُزُّ النَّاسَ يَوْمَ وُرُودِهِ ... جَذَلٌ كما لعبَ النسيمُ ببَانِهِ[(١)]

بَلَدٌ يَوَدُّ النَّجْمُ لَوْ حَصْبَاؤهُ ... كَانَتْ مَحَلَّ الدُّرِّ مِنْ تِيجَانِهِ[(٢)]

بَلَدٌ سَقَى مَاءُ النُّبُوَّةِ غَرْسَهُ ... فَتَفَرَّعَ الإِيمَانُ مِنْ أَغْصَانِهِ

بَلَدٌ تَدَيَّرَهُ الحَبِيبُ (مُحَمَّدٌ) ... واخْتَارَهُ وأَحَبَّ شُمَّ رِعَانِهِ[(٣)]

وَدَعَا لَهُ ولساكنيهِ لأنهمْ ... آوَوْهُ لَمَّا ذِيدَ عَنْ أَوْطَانِهِ[(٤)]

مَثِّل بِفِكْرِكَ مَشْيَهُ بِعِرَاصِهِ ... في هَالَةٍ مِنْ صَالِحِي إِخْوَانِهِ[(٥)]

وَجُلوسَهُ مَعَهُمْ وطِيبَ حَدِيثِهِ ... وَوُرُودَهُمْ مِنْ فَيْضِ عَذْبِ بَنَانِهِ[(٦)]

وَتَرَدُّدَ الرُّوحِ الأَمِينِ عَلَيْهِ بالتَّنْزِيل ... والتَّبْجِيل مِنْ سُلْطَانِهِ[(٧)]

مَا الحَالُ إِذْ يَتْلُو بِقَلْبٍ خَاشِعٍ ... لِلْمُؤْمِنِينَ الآيَ مِنْ قُرْآنِهِ[(٨)]

يَتْلُوهُ رَطْباً بَيْنَهُمْ وَدُمُوعُهُ ... تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ أَحْزَانِهِ[(٩)]

فَهُنَالِكَ الزَّفَرَاتُ تَغْلُو والجَوَى ... يَغْلُو لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ بُرْهَانِهِ[(١٠)]

لِلّهِ مُعْجِزَةٌ أَقَرَّ بِصِدْقِهَا ... حَتَّى أُولُو الشَّنَآنِ مِنْ أَقْرَانِهِ[(١١)]

---

(١) الجذل: الفرح. البان: الشجر المعروف أي لعب بأغصانه.

(٢) الحصباء: الحصى الصغار.

(٣) تديره: اتخذه دار له. الرعان جمع رعن: أنف يتقدم الجبل. وشمها: عاليها.

(٤) ذيد: أبعد.

(٥) العراص جمع عرصة: البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء. الهالة: الدائرة النيِّرة التي تظهر أحياناً حول القمر.

(٦) من معجزاته ﷺ نبع الماء من بين أصابعه.

(٧) الروح الأمين: جبريل. السلطان: القدرة التي جعلها الله لجبريل.

(٨) الآي: الآيات.

(٩) يتلوه: رطباً: إثر نزوله.

(١٠) يغلو: يزيد. برهانه: حججه القاطعة.

(١١) الشنآن: البغض. أقرانه: قومه المعاصرون له. يشير إلى سجود بعض المشركين لبلاغة القرآن.

كَمْ جَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصَاخَ فَمَا انْثَنَى إِلَّا كَمُرْتَشِفٍ سُلَافَةَ حَانِهِ[١]

ذاكَ الذي مَلكَ الْعُقُولَ وأَلْجَمَ الْـ فُصَحَاءَ بالأَحْجَارَ فَضْلُ بَيَانِهِ[٢]

مَلأَ النُّفُوسَ سَمَاعُهُ مِنْ غَيْرِهِ طَرَباً فَكَيْفَ سَمَاعُهُ بِلِسَانِهِ

يَا أَشْرَفَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ ذِكْرُهُ يَحْلُو وَيَجْلُو الْقَلْبَ مِنْ أَدْرَانِهِ

يَا مَنْ لَهُ الجَاهُ الْعَرِيضُ هُنَا وَفي يَوْمٍ يَهُولُ الخَوْفُ مِنْ دَيَّانِهِ

يَا صاحِبَ الحَوْضِ الّذِي يَرْوِي إذا اشْـ ـتَدَّ الظَّما النَّاجُونَ مِنْ كِيزَانِهِ

وَافاكَ ذُو أَمَلٍ بِلَا عَمَلٍ سِوَى حُبٍّ تَمَكَّنَ مِنْ صَمِيمِ جَنانِهِ[٣]

وَبِذِمَّةٍ وَبُنُوَّةٍ يُدْلِي فَمَا يَجْنِيهِ يَلْزَمُكَ الْوَفا بِضَمانِهِ[٤]

أَيَعُودُ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ رَجَاءَهُ مُتَعَثِّرَ الآمالِ مِنْ حِرْمانِهِ

كَلَّا فَإِنَّ اللَّيْثَ يَحمِي خِيسَهُ والْحُرُّ يحْفظُهُ انْتِهاكُ أَمانِهِ[٥]

وَمَنِ اسْتَذَمَّ بِجاهِكَ السَّامِي فَلَا يَخْشَى بِحَوْلِ اللّهِ مِنْ خِذْلَانِهِ[٦]

نَدْعُو بِكَ الْمَوْلَى وبِالْقَرْمِ الذي رَوَّى مِنَ الْأَعْدَا شَبَاةَ سِنَانِهِ[٧]

وَبِبِنْتِكَ الزَّهْرَاء وبِالْكُبْرَى وبِالْـ حَسَنَيْنِ نَرْجُو الْجُودَ مِنْ مَنَّانِهِ

نِعْمَ الْوَسِيلَةُ أَنْتُمُ الدَّاعِي بِكُمْ يَجْنِي ثِمارَ الْفَوْزِ مِنْ أَفْنانِهِ[٨]

فَتَدَارَكُوا الْمُضْنَى بِلَحْظَةِ رَحْمَةٍ يَقْضِي بِها الْبَارِي جَمِعَ لُبَانِهِ[٩]

---

(١) أصاخ: استمع. السلافة: الخمر.

(٢) ألجمهم بالأحجار: كناية عن أنهم عجزوا عجزاً تاماً عن معارضته.

(٣) الجنان: القلب.

(٤) من لازم البنُوة غرم الآباء جناية الأبناء.

(٥) الخيس: غابة الأسد. أحفظه: أغضبه. انتهك حرمته: تناولها بما لا يحل. وانتهاك الأمان: إزالته.

(٦) استذم به: اتخذه ذمة وعهداً.

(٧) القرم من الرجال المعظم: يريد الإمام علياً. الشباة: الحد.

(٨) الأفنان: الغصون.

(٩) اللبان: الحاجات.

وَسَــلُـــوا لَــهُ وَلآلِــهِ مِـــنْ رَبِّــهِ ... الـتَّـوْفِـيـقَ والـتَّـأْيِـيـدَ طُـولَ زَمـانِـهِ
وَسَـعَـادَةَ الـدَّارَيْـنِ والْـحُـسْـنَـى إذا ... عَـرِقَ الْـجَـبِـيـنُ وضُـمَّ فـي أَكْـفـانِـهِ[1]
وَلَـئِـنْ تَـعَـاظَـمَ بـالـتَّـجَـرّي ذَنْـبُـهُ ... فَـدَلَالُـهُ يُـفْـضِـي إلَـى غُـفْـرَانِـهِ[2]
وَعَـلَـيْـكُـمُ الـصَّـلَـواتُ والْـبَـرَكـاتُ مَـا ... نَـفَـضَ الـصَّـبَـاحُ الْـعِـطْـرَ مِـنْ أرْدَانِـهِ[3]
وَأتَـى بِـرَيَّـاكُـمْ عَـلِـيـلُ نَـسِـيـمِـهِ ... فَـاسْـتَـافَـهُ الْـمُـشْـتَـاقُ وقْـتَ أَذَانِـهِ[4]

أَبياتٌ في البيتِ النَّبويِّ

جُـرْ يـا زَمـانُ فَـإِنَّ عِـنْـدِي جَـنَّـةً ... هِـيَ صَـفْـوَةُ الـرَّحْـمنِ لَا تَـنْـسَـانِـي[5]
طـه وفـاطِـمَـةُ الْـبَـتُـولُ وَأُمُّـهـا ... وعَـلِـيٌّ الْـكَـرَّارُ والـحَـسَـنَـانِ
شَـادَتْ عِـنَـايَـةُ رَبِّـنـا لِـفَـخَـارِنـا ... بَـيْـتـاً لَـهُ تَـتَـضَـاءَلُ الْأَكْـوَانُ
فـيـهِ الـنَّـبِـيُّ وبِـنْـتُـهُ وَوَصِـيُّـهُ ... وَابْـنَـاهُـمُ وخِـتَـامُـهُ الْـقُـرْآنُ

❋ ❋ ❋

(١) عرق الجبين: كناية عن ساعة الاحتضار.
(٢) التجري: الإقدام وأصله التجرؤ. الدلال: يقال: له عليه دالة ودلال أي جرأة بسبب منزلته عنده.
(٣) أردان جمع ردن: مقدم كم القميص.
(٤) استافه: شمه.
(٥) لا أبالي بك أيها الزمان ما دامت لي هذه الجنة.

القصيدة الثامنة والثلاثون

أَبِيتُ يَنْشُرُنِي

أَبِيتُ يَنْشُرُنِي وَجْدِي وَيَطْوِينِي ... يُمِيتُنِي الْيَأسُ وَالآمالُ تُحْيِينِي[١]

فَوْجُ الْوَسَاوِسِ في مَوْجِ الْهَوَاجِسِ في ... أَوْجِ الْحَنَادِسِ يُلْقِينِي فَيَقْلِينِي[٢]

لوْ كانَ لِلْحبِّ لَوْنٌ لاعْتَمَدْتُ لَهُ ... طِبّاً ولكنَّهُ أعْيَا بِتَلْوِينِ[٣]

طَوْراً يُحَلِّقُ بِي جَوّاً ويَهْبِطُ بِي ... طَوْراً وآوِنَةً أُخْرَى يُمَنِّينِي[٤]

لَهُ غَرَائِبُ تَسْتَهْوِي العُقُولَ ولَا ... يَرْمِي إلى كُنْهِهَا فِكْرٌ بِتَخْمِينِ[٥]

يَجُورُ لكنَّهُ عَدْلٌ سِيَاسَتُهُ ... تَجْرِي على كلِّ جَبَّارٍ ومِسْكِينِ[٦]

شَرِيعَةٌ لَيْسَ فِيهَا فُرْقَةٌ ولَهَا ... عِلْمٌ دِرَايَتُهُ مِنْ غَيْرِ تَلْقِينِ[٧]

وَدَوْلَةٌ مَا لَهَا حَامٍ مُهَيْمِنَةٌ ... عَلَى النُّفُوسِ بِتَأْيِيدٍ وتَمْكِينِ[٨]

---

(١) الوجد: الحزن. الوساوس: أحاديث الشيطان. الهواجس: خواطر السوء. الحنادس: الظلمات. وأوجها: بلاغها غايتها. الإلقاء: الطرح. يقليني: من قلاه أي أنضجه في المقلى.

(٢) الوجد: الحزن. الوساوس: أحاديث الشيطان. الهواجس: خواطر السوء. الحنادس: الظلمات. وأوجها: بلاغها غايتها. الإلقاء: الطرح. يقليني: من قلاه أي أنضجه في المقلى.

(٣) اللون: صفة الشيء وهيئته التي تميزه عن غيره. طبا: علاجاً. أعيا: أعجز. بتلوين: بكثرة تلونه وأطواره.

(٤) يمنيني: يبعث في نفسي الأمل بتحقيق الأماني.

(٥) تستهوي: تستميل. الكنه: الحقيقة. تخمين: حدس وظن.

(٦) يجور: يظلم.

(٧) شريعة: طريقة وخطة. التلقين: الإفهام بالمشافهة.

(٨) حام: حاكم يسيرها. مهيمنة: مسيطرة حافظة.

وَقُـوَّةٌ أَصْلُـهَـا ضَـعْـفٌ ولا عَـجَـبٌ ... إِذْ كـلُّ ذِي شِـدَّةٍ فـي الأَصْـلِ مِـنْ لِـيـنِ

شُوسُ البَهَالِيلِ في حُكْمِ الْهَوَى رَئِمُوا ... لِـلـذُّلِّ تِـحْـتَ إِسَـارِ الْـخُـرَّدِ الْـعِـيـنِ[1]

لِـلّـهِ فـي الْـحُـبِّ سِـرٌّ لا يُـكَـيِّـفُـهُ الْـ ... إِنْسَـانُ ما دامَ في ذَا الْقَالَـبِ الطِّينِي

وَفِـيـهِ لِـلْـمَـرْءِ بـالـتَّـوْفِـيـقِ مَـدْرَجَـةٌ ... إِلَـى السَّـعَـادَةِ فـي الدنْيَا وفـي الدِّيـنِ

وَرُبَّـمَـا طـارَ ذُو الـذَّوْقِ الـسَّـلِـيـمِ بِـهِ ... إِلَـى مَـحَـبَّـةِ يَـعْـسُـوبِ الـنَّـبِـيِّـيـنِ[2]

سِـرُّ الْوُجُـودِ ورُوحُ الْجُـودِ مَـنْ قَـرَنَ الْـ ... ـبـارِي اسْـمَـهُ بِـاسْـمِـهِ فـي كـلِّ تَـأْذِيـنِ

حُـلْـوُ الْـخَـلِـيـقَـةِ وضَّـاحُ الـحـقـيـقـةِ ... مَـحْـمُـودُ الطَّرِيقَةِ مَخْدُومٌ بِجِبْرِينِ[3]

ضَـوْءُ الزَّمَانِ وَمِفْتَاحُ الْأمـانِ عَلَى الْـ ... أَدْيـانِ مِـلَّـتُـهُ امْـتَـازَتْ بِـتَـبْـيِـيـنِ

لُـبُّ اللُّبَـابِ لَـهُ فَـضْـلُ الخِطـابِ وَفـي ... يَـوْمِ الضِّـرَابِ يُجَلَّى في الْمَيَادينِ[4]

زاكـي الـنَّـبَـاتِ ومَـعْـلُـومُ الـثَّـبَـاتِ لَـدَى ... نَـشْـرِ الـرُّفـاتِ وتَـفْـرِيـقِ الـدَّواوِيـنِ[5]

لَـهُ وَلابْـنَـتِـهِ الـزَّهْـرَا الـتـي اشْـتَـمَـلَـتْ ... مِنْ يَـوْمِ مَـاتَ على حَـزِّ السَّـكـاكِـيـنِ[6]

وَلِـلْـوَصِـيِّ وَلِـلِـسِّـبْـطَـيْـنِ عَـارِفَـةٌ ... مِـنَ الـتَّـحِـيَّـاتِ فـي كـلِّ الْأحَـايِـيـنِ[7]

يَـا سَـادةَ الْكَـوْنِ مَـا لـي غَـيْـرُ ذِمَّـتِـكُـمْ ... أَرْجُـو بِـهـا الْـعَـوْنَ فـالْأَيَّـامُ تَـرْمِـيـنِـي

---

(١) شوس: ذوو عظمة وسموّ. جمع أشوس. البهاليل: السادة. رئموا للذل: خضعوا له. إسار: أسر. الخرَّد جمع خريدة. المرأة المصونة ذات الحياء. العين جمع عيناء. حسنة العيون وفي الأصل الهدى وهو تصحيف.

(٢) اليعسوب هنا: الأصل العظيم. وكسر نون جمع المذكر لغة.

(٣) حلو الخليقة: جميل الطبع. جبرين: لغة في جبريل.

(٤) اللب: الخالص من كل شيء. الضرائب: الحرب. يجلي: يسبق ويفوز.

(٥) الزاكي: النامي على الخير والصلاح. الرُّفات: كل ما تكسر وبلي؛ يريد بعث الأجسام. تفريق الدواوين: إعطاء الخلق صحائف أعمالهم.

(٦) احتوت على أشد الحزن والألم.

(٧) عارفة من التحيات: تحيات تليق بهم.

وَنَظْرَةٌ يا أجلَّ الخلقِ مَرْتَبَةً مِنْكُمْ هُنَا وَغداً في الحشرِ تَرْوِيني[1]
أَثْقَلْتُ ظَهْرِي بِآثامٍ صَحائِفِهَا لَوْلا شَفَاعَتِكُمْ كانَتْ بِسِجِّينِ[2]
بِجاهِكُمْ أَسْأَلُ اللّهَ اللَّطائِفَ في عمْرِي وَأَرْجُو نجَاتِي يَوْمَ تَكفِينِي[3]
فَلَاحِظُونـي وأَوْلَادِي وغاشِيَتِي يا مَنْبعَ الْفَضْلِ يا شُمَّ الْعَرَانينِ[4]

❁ ❁ ❁

---

(١) نظرة منكم في الدنيا والآخرة تملأ قلبي إيماناً وطمأنينة.

(٢) السجين: كتاب جامع لأعمال الفجرة.

(٣) يوم تكفيني: يوم مماتي.

(٤) غاشية الرجل: من ينتابه من زواره وأصدقائه. شم: جمع أشم: المرتفع. العرانين: جمع عرنين: الأنف. شم العرانين: كناية عن السيادة وعلو المقام.

القصيدة التاسعة والثلاثون

سَلُوهَا لِمَاذَا؟

سَلُوهَا لِمَاذَا عَادَ جِدّاً مُجُونُها ... وَغَطَّتْ صَفَاءَ الالْتِئَامِ دُجُونُهَا[1]

ومَا بَالُهَا صَبَّتْ سِيَاطَ عَذَابِها ... عَلَى مُهْجَةٍ مِنْ قَبْلُ كانَتْ تَصُونُهَا

تَجَنَّتْ عَلَيْها بِالصُّدُودِ وَمَا دَرَتْ ... بِأَنَّ الجَفَا وَالْبُعْدَ فِيهِ مَنُونُها[2]

تَقُولُ لها رُوحِي طَلِيقَةَ غَضْبَةٍ ... وَقَدْ أَوْثَقَتْهَا بِالأَوَاخِي جُفُونُهَا[3]

عَلَى أَمَلٍ يَهْفُو به الْيَاسُ عِنْدَهَا ... تخَالِجُها طُولَ اللَّيَالِي ظُنُونُهَا[4]

تَجَمَّلُ بَيْنَ النَّاسِ لا عَنْ جَلَادَةٍ ... وَسَاعَةَ مَا تَخْلُو يُجَنُّ جُنُونُهَا[5]

وَلَكِنْ خَيَالٌ قَدْ يَزُورُ بِسُحْرَةٍ ... على عَدْواءِ الدَّارِ منهُ سُكُونُهَا[6]

خَيَالٌ مِنَ الأَوْجِ المُقَدَّسِ زَارَهَا ... فَسَالَتْ سُرُوراً بَعْدَ حُزْنٍ شُؤُونُها[7]

مِنَ الْخَمْسَةِ الأَشْبَاحِ هَبَّتْ لِرُوحِها ... نَسَائِمُ فاهْتَزَّتْ حَيَاةً غُصُونُهَا

---

(١) الجد: ضد الهزل. المجون: خلط الجد بالهزل. الدجون: كثرة الضباب والإظلام: أي لماذا تغيرت عما كانت عليه من انبساط وصفاء؟

(٢) تجنت عليها: ادعت على المهجة ذنباً لم تفعله وعاقبتها بالصدود. المنون: الموت.

(٣) الأواخي جميع أخيّة: عود يدفن طرفاه في الأرض ويبرز كالحلقة تربط به الدابة. قيدتها نظراتها عن الانطلاق.

(٤) يهفو به: يذهب به.

(٥) تجمل: نتجمل: أي تتكلف الصبر. الجلادة: الجلد. جُنّ جنونه: زال عقله أو فسده.

(٦) السحرة: أول السَّحر، والسحر متنفس الصبح. العداوة: البعد.

(٧) الأوج: المنزل الرفيع. الشؤون: مجاري الدموع.

هُمُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى لَها مِنْهُم الْمُنَى إِذَا اشْتَدَّتِ الْبَلْوَى ومِنْهُمْ حُصُونُهَا
هُمُ الْعُصْبَةُ الْعَلْياءُ عَنْ قُذفاتِها تَحَطَّمُ مِنْ عُصْمِ الْوُعُولِ قُرُونُهَا(١)
هُمُ النَّفَرُ الْبِيضُ الّذِينَ وُجُوهُهُمْ نُصُولُ الْمَوَاضِي أخْلَصَتْها قُيُونُهَا(٢)
بَنُو خِنْدِفٍ هَامُ الْمَعَالِي وَهَاشِمٌ لَعَمْرُ أَبِي أَسْمَاعُها وعُيُونُها(٣)
حَثَى مَجْدُهُمْ في وجْهِ كلِّ مُفَاخِرٍ لِأَنَّ الْعُلَى فِيهِمْ تَلَاقَتْ فُنُونُهَا(٤)
بِهِمْ تَأْتَسِي الأَبْطَالُ في مَأْقِطِ الْوَغْي إِذَا عَضَّتِ الشُّمَّ الْكُمَاةَ زَبُونُهَا(٥)
مَنَاجِيدُ بَسَّامُونَ إِمَّا تَعَثَّرَتْ بِأُسْدِ الشَّرَى مِنْ آلِ جَلْوَى أُمُونُها(٦)
تَجَافَوْا عَنِ الدُّنْيَا وقَدْ وُطِئَتْ لَهُمْ وَذَلَّتْ نَوَاصِيهَا ولَانَتْ مُتُونُهَا(٧)

---

(١) قذفاتها: ما أشرف من رؤوس الجبال جمعه قذفة. الوعول جمع وعل: حيوان له قرون متشعبة وذنب قصير جداً يسكن قلل الجبال. الأعصم من ذوات الظلف وجمعه عصم: ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض.

(٢) النفر البيض: أنقياء العرض أو الشرفاء. قال حسان بن ثابت في آل جفنة ملوك الشام: (بيض الوجوه كريمة أحسابهم) وقال الكميت بن زيد الأسدي شاعر آل البيت:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

النصول: جمع نصل: وهي حديدة السيف. المواضي: السيوف. القيون: جمع قين: الحداد صانع السيوف وجاليها. وهو تشبيه.

(٣) بنو خندف: خندف: هي زوجة إلياس بن مضر من أجداد النبيّ ﷺ ومن بنيها بنو هاشم وهم منهم بمنزله الأسماع والعيون من الرأس.

(٤) حثى التراب في وجهه حثيا: قبضه ورماه به. الفنون: الأغصان والفروع.

(٥) تأتسي: تقتدي. المأقط: المضيق في الحرب. الوغى: الحرب. الشم: الأعالي. الكماة جمع كميّ: الشجاع. الحرب الزبون: التي يتدافع فيها أهلها لكثرتهم.

(٦) مناجيد: نصراء لمن استنصرهم. بسامون: لا تعبس وجوههم. أسد الشرى: الشجعان. والشرى: خيس الأسد. جلوى: اسم فرس عريقة. وآلها: نسلها. الأمون: الفرس التي أمنت العثار.

(٧) تجافوا عن الدنيا: ابتعدوا عن مغرياتها وقد مُهِّدَت لهم. النواصي: يريد الرؤوس. المتون: الظهور.

وَلَا مُسْلِمٌ إِلَّا تُطَوَّقُ جِيدَهُ لَهُمْ ذِمَّة بُشْرَى لِمَنْ لا يَخُونهَا(١)
لِنَصْرِ الْهُدَى جَابُوا البِلَادَ ولَمْ تَعُقْ عَزَائمَهُمْ فِيحُ الْفَلَا وحُزُونها(٢)
وَعَادَتْهُمُ الأوْطانُ فِيهِ فَقَلَّمَا ثَوَوْا بَلْدَةً إِلَّا اقْشَعَرَّتْ بُطُونُها(٣)
فَأَوَّلُهَا أُمُّ الْمَنَاسِكِ أَوْحَشَتْ لِفُقْدَانِهِمْ بَطْحَاؤُهَا وَحَجُونُها(٤)
وَلَمْ يَبْرَحُوا مِنْ بَعْدِهَا في مَتَاعِبٍ بِدَارِ اغْتِرَابٍ لا يَرِيعُ شَطُونُها(٥)
وفي حَالِهِمْ سَلْوَى لِمَنْ وَقَفَتْ بِهِ عَلَى الضُّرِّ مِنْ سُودِ اللَّيَالِي حَرُونها(٦)
إذا كانَ هَذَا حَالَ مَنْ كلَّمَا مَشَوْا عَلَى حَصْبَةٍ وَدَّ السَّماكُ يكُونُها(٧)
فَأَحْرَى بِنَا أَنْ لا نَضِيقَ إذا الْتَوَتْ لَنا عُقَدُ الدُّنْيَا وطَالَ شُفُونُها(٨)
وَهَيْهاتَ مِنَّا شَأْوُهُمْ فَصُدُورُهُمْ غَدَاةَ الدَّوَاهِي لا تَضِيقُ سُجُونُها(٩)
أُولئِكَ قَوْمٌ كالرَّواسِي رَكَانَةً وأَلْبَابُنا صُغرَى كَثِيرٌ فُتُونُها(١٠)
تَطِيشُ لِأَدْنى حَادِثٍ غَيْرَ أَنَّها لَهَا رَحِمٌ مِنْهُمْ عَلَيْها رُكُونُها(١١)

---

(١) الجيد: العنق. تطوق الذمة جيده: في عنقه عهد يلزمه الوفاء به.
(٢) الفيح جمع أفيح: الواسع. الحزن: ما ارتفع وصعب من الأرض.
(٣) عادتهم الأوطان: تجافت عنهم. ثووا بلدة: نزلوا بها للإقامة. اقشعرت بطونها: كناية عن نبوِّها بهم.
(٤) أم المناسك: مكة المكرمة. أوحشت: وجدت وحشة. البطحاء: الأرض المنخفضة الواسعة. الحجون: جبل بمكة.
(٥) يريع: يعود ويرجع. شطونها: بعيدها. يريد وصف دار الغربة بأنها لا يعود من ذهب إليها إلى وطنه.
(٦) الحرون: الدابة التي إذا استدرّ جريها وقفت.
(٧) السماك: نجم في السماء. الحصبة: الحجارة. يكونها: يكون في مكانها ابتغاء الشرف.
(٨) الشفون: النظر بمؤخر العين بغضاً أو تعجباً.
(٩) الشأو: الغاية والأمد. الدواهي جمع داهية: الأمر المنكر العظيم. الصدر في الكتمان والتحمل كالسجن الذي يحجز ما بداخله.
(١٠) الرواسي: الجبال الثوابت. ركانة: ثباتاً وتمكناً. فتونها: افتتانها بالوساوس.
(١١) الطيش: النزق والخفة. الرحم: القرابة. ركونها: اعتمادها.

وكَمْ في عُلَاهُمْ مِنْ أمادِيحَ لِي بِها تَنافَسُ أَبْكارُ الْمَعانِي وعُونُها[١]
نَجُرُّ عَلَى كَعْبٍ وحَسَّانَ ذَيْلَها إذا أُنْشِدَتْ تَسْبِي النُّفُوسَ لُحُونُها[٢]
أَأَظْمَا وهُمْ عِدًى الخَسِيفُ وقَطْرَةٌ لِغُلَّةِ قَلْبِي مِنْ نَدَاهُمْ تَمُونُها[٣]
تَدِيفُ لِيَ الْأَيَّامُ مُرَّ ذُعَافِها فَتَحْلُو بِذِكْرَاهُمْ لَدَيَّ غُضُونُها[٤]
وَمَا لِي سِوَاهُمْ قَطُّ ذُخراً إذا غَلَتْ مَرَاجِلُ أَفْكارِي وهَاجَتْ شُجُونُها[٥]
وَلَمْ يُعْطِنِي نَصْفاً زَمانِي وضَاقَتِ الْـ أَمانِي بِنَفْسٍ أَرْهَقَتْها دُيُونُها[٦]
وَلَكِنَّنِي فِي جَاهِهِمْ أَسْأَلُ الذي إِلَيْهِ النَّوَاصِي أَنْ تُفَكَّ رُهُونُها[٧]

❋ ❋ ❋

(١) العوان من النساء: التي كان لها زوج والبكر ضدها. مدح آل البيت بمدائح كثيرة بها تتناقش أبكارها وهي المعاني التي لم يسبق إليها في مديحهم وعونها وهي التي طرقها الشعراء قبله.

(٢) تجر ذيلها: تفتخر لبلاغتها وتفوقها عليهما. يريد باللحون هنا الأساليب والمعاني. تسبي: تمتلك وتأسر.

(٣) العِدّ: الماء الجاري الذي لا ينقطع. الخسيف من الآبار: التي تحفر في صخر فلا ينقطع ماؤها لكثرته. مان الرجل عياله يمونهم: قام بكفايتهم وعالهم.

(٤) تديف: تخلط. الذعاف: السم الذي يقتل من ساعته. الغضون: يريد النوائب.

(٥) المرجل: القدر من النحاس. الشجون: الأحزان.

(٦) النصف: الإنصاف. أرهقتها: حملتها ما لا تطيق.

(٧) إليه النواصي: الملك المطلق له تعالى.

القصيدة الأربعون

كلَّمَا شَارَفْتُ

كـلَّـمَـا شَـارَفْـتُ بِـالْـيَـاسِ سُـلُـوَّا هَـاجَـنِـي بَـرْقٌ كَـحَـيَّـاتٍ تَـلَـوَّى[(١)]

بَـاتَ يُـمْـلِـي نَـبْـضُـهُ لِـي قِـصَّـةً زَادَ مِـنْ عُـجْـمَـتِـهـا الـشَّـوْقُ غُـلُـوَّا[(٢)]

لَـيْـسَ بِـدْعـاً خَـبَـرُ الْـبَـرْقِ ولَـكِـنَّـنِـي لَـمْ أَدْرِ شَـحْـطـاً أَمْ دُنُـوَّا[(٣)]

طـالَ لَـيْـلِـي وَجَـفَـا جَـفْـنِـي الْـكَـرَى وغَـدَتْ مِـنْ أدْمُـعِـي الْـقَـاعُ تَـرَوَّى[(٤)]

حَـسَـرَاتٌ أوْرَثَـتْ جِـسْـمِـي ضَـنـاً مِـنْـهُ قَـدْ كـادَتْ بِـيَ الْأَرْضُ تُـسَـوَّى[(٥)]

وَظُـنُـونٌ فِـكْـرَتِـي فِـيـهـا ارْتَـمَـتْ وأَلَـحَّـتْ بِـي رَوَاحـاً وغُـدُوَّا[(٦)]

إِنَّـمَـا خَـفَّـفَ مِـنْ عِـبْءِ الـنَّـوَى زَائِـرٌ يَـطْـوِي مَـرَوْرَاةً وَدَوَّا[(٧)]

جَـاءَنِـي والْـعَـيْـنُ يَـقْـظَـى طَـيْـفُ مَـنْ جَـاوَزَ الْـكُـرْسِـيَّ والْـعَـرْشَ عُـلُـوَّا[(٨)]

---

(١) شارف: قارب. هاجني: حركني.

(٢) نبه: حركته. العجمة: الإبهام والخفاء. غلواً: شدة.

(٣) شحطاً بعداً. ليس غريباً أن يخبره البرق الآتي من ناحية الأحباب بقصتهم ولكنه لا يدري: أقربت زيارتهم أم لا يزال البعاد نصيبه؟

(٤) الكرى: النوم: القاع: أرض واسعة مطمئنة مستوية قد انفرجت عنها الآكام. تروى: أصله تتروى: تشرب وتشبع.

(٥) الضنى: الهزال والتعب. الأرض تسوى به: كناية عن الموت.

(٦) ألحت: ألحفت. رواحاً وغدواً: مساءً وصباحاً.

(٧) عبء النوى: ثقل البعاد. المروراة: الأرض لا شيء فيها. الدو: القفر.

(٨) يريد النبيّ ﷺ.

سَادَةٌ طولُهُم الْعَادِي لَهُ كلُّ طُولٍ جَاءَ في الْغَبْرَاءِ بَوَّا[١]

غُرَرٌ زَاهِرَةٌ مِنْ نُورِهَا قَارَبَ الإِنْصَافَ مَنْ جَارَ عُتُوَّا[٢]

كلُّ أَرْضٍ وَطِئَتْ أَقْدَامُهُمْ في ثَرَاهَا بِالدُّجَى تُشْرِقُ جَوَّا[٣]

مَا رَأى الْكَوْنُ على طُولِ الْمَدَى بَشَراً في وصْفِهِمْ مِنْ عَهْدِ حَوَّا[٤]

خَمْسَةٌ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُمْ وتَكْفِينِي سُمُوَّا

فَازَ قِدْحِي في حَيَاتِي فَعَدَتْ كلُّ أَيَّامِي بِهِمْ سَعْداً وعَوَّا[٥]

جَاهُهُمْ واسِطَةُ الأَلْطَافِ لِي كلَّمَا اسْتَمْطَرْتُ مِنْ مَوْلَايَ نَوَّا[٦]

وَبِهِمْ أَطْمَعُ في مَحْوِ الْخَطَا ومِنَ الْفِرْدَوْسِ أَرْجُو الْمُتَبَوَّا[٧]

حُبُّهُمْ مَا بَيْنَ لَحْمِي ودَمِي مَانِعٌ حَتَّى عَنِ الْعَظْمِ الْخُلُوَّا

لَيْسَ إِلَّا وُدَّهُمْ أَرْجُو بِهِ بَعْدَ مَوْتِي مَدْخَلَ الْجَنَّةِ تَوَّا[٨]

ضَاعَ في اللَّهْوِ زَمَانِي إِنَّمَا الْقُرْبُ مِنْهُمْ مَانِعٌ لَيْتَ وَلَوَّا[٩]

---

(١) الغبراء: الأرض. البوّ: جلد الحمار يحشى تبناً أو نحوه فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدرّ. يشير إلى ما روي أنه ﷺ ما ماشى أحداً إلّا طاله وكان عبد المطلب وابنه العباس وابنه عبد الله وابنه علي من أطول الناس قامة وأن غيرهم بالنسبة إليه كالبو بالنسبة للناقة في الطول والفخامة.

(٢) الغرة من الهلال طلعته: جار عتوا: تعدى مجاوزاً الحدّ. من نور هذه الغرر الزاهرة كاد يعود إلى الإنصاف والحق من تجاوز في تعديه الحد في الكفر والطغيان.

(٣) الثرى: التراب: الدجى: الظلام. تُشرق جواً: تضيء أجواؤها من نورهم.

(٤) حوا: حواء أم بني الإنسان.

(٥) القدح: سهم الميسر. يضرب به المثل لمن فاز ونجح. سعد وعواء: من منازل القمر.

(٦) اللطف من الله: التوفيق والعصمة. النوء: المطر.

(٧) المتبوأ: المنزل.

(٨) ليس ما أرجوه إلّا ودهم. جاء توّاً: قاصداً لا يعرجه شيء.

(٩) ليت ولو: أداتان للتمني. قربه من آل البيت عوضه عن تمني ما فاته من المحب.

لَحْظَةٌ مِنْهُمْ إذَا صَحَّتْ بِهَا شَرَفِي يَزْكُو وَيَزْدَادُ نُمُوَّا[(١)]
وَيَقِينِي أَنَّهُمْ لَنْ يُهْمِلُو نِي وَهُمْ قَدْ عَلَّمُوا النَّاسَ الْحُنُوَّا
صَلَوَاتُ اللّهِ تَغْشَى سُوحَهُمْ مَا سَعَى رَكْبٌ إِلَيْهِمْ أَوْ تَنَوَّى[(٢)]

* * *

(١) يزكو: يزيد ويعظم.
(٢) سوحهم: نواحيهم، وتغشاها: تحل بها تنوي الركب إليهم: قصد.

القصيدة الحادية الأربعون

إِذَا كانَ شَكِّي

وكان لي أَلِيفٌ أَيَّامَ الصِّبَا لم أَشْعُرْ إِلّا والمَنْزِلُ به نَبَا؛ فاشْتَدَّ أَلَمِي وأطَرَبَني قَوْلُ الشاعر ـ إذا كانَ شَكِّي في الفِرَاقِ يَروُعُني إلخ ـ لِمُوَافَقَتِهِ حَالتِي؛ فأَخَذْتُهُ؛ وَرَأَيْتُ سَيّدَ الْخَلِيقَةِ؛ هُوَ المحبوبُ على الحقِيقَةِ؛ فجعَلْتُ الْقَصِيدَةَ في حَضْرَتِهِ؛ وفيها ذَكَرْتُ خَتْمَ الْبُخَارِيّ؛ لِأَنَّ إِنْشَاءها كان في رجب من سنة ١٣٢٤هـ.

إِذَا كانَ شَكِّي في النَّوَى يَبْعَثُ الشَّجْوَا ... فَكَيْفَ وهُمْ بِالْبَيْنِ قَدْ أعْلَنُوا النَّجْوَى[١]

تَنَاجَوْا وزَمُّوا العِيسَ لَيْلاً وأَصْحَرُوا ... فَذَرَّتْ رِياحُ الْوَجْدِ عَنِّي الْكَرَى ذَرْوَا[٢]

وَزَادَ الْجَوَى لَمَّا بَدَتْ لِيَ نَارُهُمْ ... تَأَجَّجُ حَوْلَ الرَّكْبِ سَاطِعَةَ الأضْوَا[٣]

فَبِتُّ مِنَ الْأَشْجَانِ والْعَيْنُ دَمْعُهَا ... شُؤونٌ وأحْشَائِي بِنَارِ الْهَوَى تُكوَى[٤]

وَأَخْنَى عَلَيَّ الْحُزْنُ يَهْصِرُ بانَتِي ... وغادَرَنِي مِنْ فَرْطِ وجْدِي بِهِمْ نِضْوَا[٥]

وَأَوْقَعَنِي حُكْمُ الهَوَى في بَلِيَّةٍ ... ولَكِنَّها هَانَتْ بِنَشْوَتِهِ الْبَلْوَى[٦]

---

(١) النوى: البعاد. الشجو: الحزن. البين: الفراق. النجوى: السر.

(٢) تناجوا: تساروا. زمّ البعير: خطمه وشد زمامه. أصحر القوم: برزوا إلى الصحراء. ذرت الريح الشيء ذرواً: طيّرته. الكرى: النوم.

(٣) تأجّج أصله تتأجج: تلتهب.

(٤) الأشجان: الأحزان. الشؤون: مجاري الدموع إلى العين.

(٥) أخني عليَّ الحزن: أتى عليَّ وأهلكني. يهصر: يكسر. بانة مفرد بان: شجر معروف. غادرني: تركني. نضواً: هزيلاً.

(٦) النشوة: أثر السكر من نشاط وانتعاش.

أَرَانِي شَقَائِي فِي الْمَحَبَّةِ رَاحَةً ... ومَا كَانَ مُرّاً عَادَ مِنْ أَجْلِهِ حُلْوَا
وَأَتْرَعَ لِي مِنْ رَاحِهِ أَكْؤُساً مَحَتْ ... بِهِزَّتِها عنْ ناظِرِي هَيْكلِي مُحْوَا[١]
فَكِدْتُ أُجِيزُ الاتِّحادَ مُذِ اجْتَلَتْ ... عُيُونِيَ فِي مِرْآةِ ذَاتِيَ مَنْ أَهْوَى[٢]
لِمَاذَا وَرُوحِي بَالْوِصَالِ قَرِيرَةٌ ... يُذِيبُ حشَايَ النَّأْيُ أَوْ كَبِدِي تَجْوَى؟[٣]
فَمَا لِي وذمُّ الْبَيْنِ والْحبُّ حَاضِرٌ ... لَدَيَّ ومَا لِي والتَّبَرُّمَ والشَّكْوى[٤]
وِصَالٌ بِهِ لِلنَّازِحِينَ تَعِلَّةٌ ... مِنَ الْجَوْرِ إِلَّا أَنَّهُ ناقِصُ الْجدْوَى[٥]
هَوَ الحُبُّ يُعْيِي الْمَاهِرِينَ عِلَاجُهُ ... فَهَيْهاتَ في حَالِ التَّفَرُّقِ أنْ يُدْوَى[٦]
وَلَكِنَّ نَفْسِي تُونسُ الْأُنْسَ في الْفَنَا ... وتَدْرِي بِعِبْءِ الصَّدِّ إِنْ أَنِسَتْ صَحْوَا[٧]
خُلَاصَةُ شَأْنِي أَنَّنِي تَارَةً أَرَى ... نَعِيماً وأُخْرَى مِحْنَةً عَذْبَةَ اللَّأواء[٨]
أَلَمْ تَرنِي جَلْداً عَلَى كلِّ حَالَةٍ ... وأَيُّ فَتًى مِثْلِي على حَمْلِهِ يَقْوَى؟
رَضِيتُ عَنَائِي في غرَامِي ولَمْ أَقُلْ ... غَدَاةَ اسْتَقَلَّتْ عِيسُهُمْ لَيْتَنِي خِلْوَا[٩]

---

(١) أترع: ملأ. الراح: الخمر. هيكله: شخصه وذاته. سقاه من الراح كؤوساً محت عن ناظره رؤية ذاته. واجتلى في مرآتها محبوبه فلم ير فيها سواه؛ فكاد يجيز اتحاد ذاته بذات محبوبه.

(٢) أترع: ملأ. الراح: الخمر. هيكله: شخصه وذاته. سقاه من الراح كؤوساً محت عن ناظره رؤية ذاته. واجتلى في مرآتها محبوبه فلم ير فيها سواه فكاد يجيز اتحاد ذاته بذات محبوبه.

(٣) النأي: البعاد. تجوى: تمرض من العشق. استبعد أن يصيبه ذلك مع سروره بالوصال في الخيال.

(٤) الحِب: المحبوب. يعجب لذم الفراق مع أن حبيبه حاضر لديه مع سروره. تبرّم: تضجر.

(٥) تعلة: مشغلة وتسلية. النازح: البعيد عن الديار. الجور: ظلم الهوى والحب. الجدوى: الفائدة. عاد الشاعر إلى نفسه فرأى أن هذا الوصال وإن تسلّى به قليل الجدوى عنده.

(٦) يعيى: يعجز. يدوي: يعالج.

(٧) تُونس الأنس: تحس به. نفسه تشعر بالأنس والارتياح في حالة الفناء في المحبوب، وتدرك ثقل الصد والهجران في حالة الصحو والعود إلى عالم المادة.

(٨) المحنة: البلية التي يمتحن بها الإنسان. اللأواء: الضيق والشدة.

(٩) استقلت العيس: ارتحلت الجمال. خلواً: خالياً من الغرام.

لَقَدْ أَزْمَعَ السَّيْرَ الرِّفَاقُ فَنُوقُهُمْ تَميسُ على الْبَيْدَاءِ مِنْ شَوْقِها زَهْوَا[١]
تَزِفُّ بِهِمْ مِثْلَ الرِّئَالِ كأَنَّها بَوَاخِرُ في الدَّأْماءِ تَجْرِي بِهِمْ رَهْوَا[٢]
تَصَافَحُ بالأعْنَاقِ كِيرَانُها ولَا تِكلُّ عَن الإرْقالِ بَلْ تُدْمِنُ الْعَدْوَا[٣]
بَرَاها سُرَاها والْبُرَى قدْ تَقَطَّعَتْ وما فتِئَتْ تطْوِي بِتْبِغيلِهَا الدَّوَّا[٤]
غَدَتْ مِثْلَ نُوناتِ الطُّرُوسِ ومَا ونَتْ وَقَدْ كَرَبَتْ مِنْ طُولِ ما عَطِشَتْ تَتْوَى[٥]
أَرَى سَفَهاً حَدْوَ الحُدَاةِ لِأَنَّها بِخَمْرَةِ حُبِّ الْمُصْطَفَى في السُّرَى نَشْوَى[٦]
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ وَخْدِها فأَمامَهَا بلَادٌ زَهَتْ حَتَّى عَلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى[٧]
بِلَادٌ إليها يَأرِزُ الدِّينُ والْهُدَى وَفي كُثْبِها الإيمانُ يَنْبُتُ والتَّقْوَى[٨]
بِلَادٌ بِأَنْوَارِ الجَمَالِ تَكَلَّلَتْ تَرَى النُّورَ فِيها بِالدُّجَى يَمْلأُ الجَوَّا[٩]
بِلَادٌ لَها فَخْرٌ على كلِّ بَلْدَةٍ وحَسْبُكَ أَنَّ الْغِشَّ عَنْ سُوحِهَا يُزْوَى[١٠]
فَكلُّ فَخَارٍ في حِمَاهَا مُخَيَّمٌ وكلُّ عَلَاءٍ ضَمَّهُ ذَلِكَ الْمَثْوَى[١١]

---

(١) أزمع: عزم عزماً أكيداً. تميس: تتبختر. الزهو: التيه.

(٢) تزف: تسرع. الرئال جمع رأل: فرخ النعام. البواخر: السفن الجارية. الدأماء: البحر. رهواً: جرياً ليناً كأنها ساكنة.

(٣) الكيران جمع كُور: الرحل. لا تكل عن الإرقال: لا تنقطع عن الإسراع بل تواصل السير السريع.

(٤) السرى: السير ليلاً ويراد به مطلق السير. براها: هزلها. البري جمع برة: الحلقة من النحاس تكون في أنف البعير. التبغيل: نوع من سير الإبل فيه سعة. الدَّوَّا: الفقر.

(٥) صارت لهزلها مستديرة كالنون في الورق. ما ونت: ما فترت. كربت: قربت. تتوى: تهلك.

(٦) من السفه حدو الحداة للإبل السائرة إلى المدينة لأنها منتشية بحب المصطفى ﷺ فهي لذلك نشيطة مسرعة.

(٧) الوخد: نوع من السير السريع. زهت: افتخرت. جنة المأوى: الإقامة الدائمة في الآخرة.

(٨) يأرز: يلجأ. الكثب جمع كثيب: مجتمع الرمل.

(٩) تكللت بالأنوار: أحاطت بها الأنوار. الدجى: الظلام. يريد الليل.

(١٠) سوح جمع ساح. يزوى: يجمع بعيداً عنها.

(١١) المثوى: المنزل.

إِلَيْهَا يَحِنُّ الْمُؤْمِنُونَ وما لَهُمْ لِفَرْطِ جَوَاهِمْ لَا قَرَارٌ ولا سَلْوَى[١]

فَلَا بِدْعَ إِنْ طِرْنا بِرِيشِ غَرَامِنَا إِلَيْها وإِنْ ذُبْنا مِنَ الشَّوْقِ لَا غَرْوَا[٢]

تَخيَّلْتُ مَشْيَ الْمُصْطَفَى بَيْنَ آلِهِ وأَصْحابِهِ في رَوْضِها النَّاضِرِ الْأَحْوَى[٣]

ومَا كانَ جَبْرَائِيلُ يَتْلُوهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْوَحْيِ تَهْتَزُّ الْقُلُوبُ لَهُ رَبْوَا[٤]

فَسَحَّتْ بِمَرْجَانٍ مِنَ الدَّمْعِ مُقْلَتِي وكادَتْ حَشَائِي مِنْ لَوَاعِجِها تُشْوَى[٥]

فَيا لَيْتَ شِعْرِي هل زمانِي مُسَاعِدٌ أَرَى هذهِ الْفَيْفَاءَ مَا بَيْنَنا تُطْوَى[٦]

وهل أَمْتَطِ يوْماً إِلى ذَلِكَ الحِمى جَوَاداً قَصِيرَ الظَّهْرِ يُعْزَى إِلَى جَلْوَى[٧]

لَعَمْرُك لا أَقْضِي حُقُوقَ (مُحَمَّدٍ) ولوْ جِئْتُهُ سَعْياً على الرَّأْسِ أَوْ حَبْوَا[٨]

نَبِيٌّ بَرَاهُ اللّهُ للناسِ رَحْمَةً وَأَسْعَدَ مَأْتاهُ الحَضارَةَ والْبَدْوَا[٩]

تخَلّى عَنِ الدنْيا ولوْ شاءَ مَلْكَها لَسَارَ إِلى حيثُ انْتَحَى عَسْجَداً رَضْوَى[١٠]

نَبِيٌّ بِهِ الإِسْلَامُ أَصْبَحَ آهِلاً وَرَبْعُ الشَّقَا لَمَّا بَدَا فَجْرُهُ أَقْوَى[١١]

أَتَى وَرِياضُ الْكُفْرِ تَزْهَى زُهُورُهَا فَمَا بَرِحَتْ مُذْ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ تَذْوَى[١٢]

---

(١) لفرط جواهم: لشدة حبهم. سلوى: مشغلة.

(٢) لا غرابة إذا طرنا إليها من شدة الغرام. ولا عجب إذا ذبنا من عظم الشوق.

(٣) الناضر من النبات: الشديد الخضرة. الأحوى: الذي اشتدت خضرته حتى صارت أقرب إلى السواد.

(٤) ربوا: منتفخة من شدة الاهتزاز.

(٥) سحّ الدمع: اشتد انصبابه. بمرجان: بدمع لونه كالمرجان الأحمر. المقلة: العين.

(٦) الفيفاء: المفازة لا ماء فيها.

(٧) الحمى: الحرم النبوي. قصر الظهر: كناية عن أنه مريح. يُعْزى: ينسب. جلوى: فرس كريم معروف.

(٨) الحبو: الزحف.

(٩) برأه: خلقه. مأتاه: مجيئه.

(١٠) لسار: لمشي جبل رضوى ذهباً إلى حيث أراد ﷺ من ملك الدنيا لكنه لم يرد ذلك.

(١١) فجره: صبحه. ربع الشقاء والكفر أصبح خرباً لما بعث الرسول ﷺ.

(١٢) تزهى زهورها: تهتز أو تحسن. شمسه: شمس النبي. تذوى: تذيل.

أَقامَ قناةَ الدِّينِ واسْتَلَّ عَضْبَهُ ... وَوَاصَلَ في تَدْمِيرِ أَعْدائِه الغَزْوَا[(١)]
فَفِي كلِّ آنٍ يَتْرُكُ الْخَيْلَ حُسَّراً ... يُتَابِعُ في الْكُفَّارِ غارَاتِهِ الشَّعْوَا[(٢)]
وَتُغْنِي عَنِ الجَيْش اللُّهَام مَهَابَةٌ ... عَلَيْهِ مِنَ الْبَارِي تَلِينُ لها الصَّفْوَا[(٣)]
فَدَانَتْ لهُ الأَعْرَابُ خَشْيَةَ باسِهِ ... وأذْعَنَتِ الْأَقْيَالُ إذْ رَأَتِ السَّطْوَا[(٤)]
ونامَ جَبَانُ الْقَلْبِ في ظِلِّ أَمْنِهِ ... وَسَارَتْ مَعَ السِّرْحانِ في الْأَكَمِ الْأَرْوَى[(٥)]
نَبِيٌّ بَرَاهُ اللّهُ لِلْحُسْنِ نُسْخَةً ... تَجِلُّ عَنِ الأَشْكالِ سُبْحانَ مَنْ سَوَّى
وَآتاهُ مَا لَمْ يُوتِهِ قَطُّ مُرْسَلاً ... وَأَعْطَاهُ مِنْ كَنْزِ السَّعَادَةِ مَا يَهْوَى
وَأَوْجَدَ قَبْلَ الْكَوْنِ أَنْوَارَ ذَاتِهِ ... فَصَوَّرَ مِنْها آدَماً وكَذَا حَوَّا
وَمَيَّزَهُ رَبُّ الْوَرَى بِخَصَائِصٍ ... فَوَدَّتْ بِأَنْ تُلْفَى نِعَالاً لَهُ الْعَوَّا[(٦)]
وَفي لَيْلَةِ الْمِعْراجِ ناداهُ رَبُّهُ ... بِغَيْرِ حِجَابٍ وَارْتَقَى الْغايةِ الْقُصْوَى
وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ فَكَمْ هَمَتْ ... أَصَابِعُهُ مَاءً به جَيْشُهُ يَرْوَى[(٧)]
وَجَاءَ بِقُرْآنٍ مَجِيدٍ كأَنَّهُ ... بِأَفْوَاهِنَا مِنْ حُسْنِ تَرْكِيبِهِ الْحَلْوَا
تَحَدَّى به أَهْلَ البيانِ فَأَحْجَمُوا ... وقالُوا مَقَالاً في مضاهاتِهِ لَغْوَا[(٨)]
لَقَدْ عَلِمُوا صِدْقَ الرَّسُولِ وَأَيقَنُوا ... وَلَكِنَّما الشَّيْطَانُ بَالَغَ في الإغْوَا[(٩)]

---

(١) القناة هنا: القامة. استل غضبه: استل سيفه القاطع يريد إقامة دين الإسلام.

(٢) يترك الخيل حسراً: مصابة بالإعياء والتعب. كناية عن البلاء في الحرب. الغارة الشعواء: المتفرقة في أمكنة مختلفة حتى تثخن في العدو.

(٣) الجيش اللهام: العظيم. الصفواء: الصخرة الصلبة الملساء.

(٤) البأس: الشدة والحرب. أذعنت: خضعت. الأقيال جمع قيل: وهو الملك أو دون الملك الأعلى؛ كان يلقب به بعض ملوك اليمن. السطو: القهر بالبطش.

(٥) السرحان: الذئب. الأكم جمع أكمة: التل. الأروى: إناث الوعول وهي التيوس الجبلية.

(٦) العوا: كوكب من منازل القمر. تلفى: تكون.

(٧) همت العين: صبَّت دمعها.

(٨) أحجم: كف ونكص. المضاهاة: المشاكلة والمشابهة. اللغو من الكلام: ما لا قيمة له.

(٩) الإغواء: الإضلال.

وَهَيْهاتَ أَنْ تَقْوى على لَمْحِ نُورِهِ عُيُونٌ مِنَ الْفُجَّارِ عَنْ رُشْدِها عَشْوَا[١]

جَرَتْ حِكْمَةُ الرَّحْمنِ بِالسَّبْقِ لِلأُلَى بِهِ انْتَبَهُوا مِنْ رَقْدَةِ الشَّكِّ والأَهْوَا

حظُوظٌ قَضَت للسابقين بِشُرْبِهِمْ هَنِيئاً زُلَالَ الحَقِّ من كَفِّهِ صَفْوَا[٢]

فَطوبَى لَهُمْ قَدْ صَدَّقوهُ وهَاجَرُوا إِلَيْهِ ولا هابُوا الأَذِيَّةَ والعَدْوا[٣]

وَشَادُوا صُروحَ الدِّينِ بِالْبِيضِ والْقَنا وأَبْدَوْا مُحَيَّا الشَّرْعِ بِالْعِلْمِ والْفَتْوَى[٤]

وَصَانُوهُ عَنْ أَيْدِي الضَّيَاعِ فَهَذِهِ أَحادِيثُهُ الْغَرَّاءُ مَا بَيْنَنَا تُرْوى

أَحاديثُ تَزْهَى بالْبَدِيع كأَنَّها الْـ ـمُدَامُ إذا تُتْلَى أَوِ الْمَنُّ والسَّلْوَى[٥]

صَحيحُ الْبُخَارِي قدْ قَرَأْناهُ نَرْتَجِي بُلُوغَ الْمُنَى والحَلَّ مِنْ عُقْدَةِ الأَسْوَى[٦]

لَنَا طُرُقٌ نَرْوِيهِ مِنْها عَدِيدَةٌ تَجِلُّ عَنِ الإِحْصَاءِ والسَّنَدُ الْأَقْوَى[٧]

بِفَضْلِ أَبِي الشِّبْلَيْنِ إِسْنادُنا عَلا الْـ أَسَانِيدَ مِنْ غَيْرِ انْتِحَالٍ ولا دَعْوَى[٨]

فَيا خَاتَمَ الرُّسْلِ الْكِرَامِ وخَيْرَهُمْ فِعالاً وَأَعْلَاهُمْ لَدَى رَبِّهِ شَأْوَا[٩]

ويَا شافِعِي يَوْمَ القِيَامِ ومَنْ لَهُ لِوَاءُ الثَّنا والَحَمْدِ والعِزِّ والْبَأْوَا[١٠]

---

(١) لمح نوره: النظر إليه باختلاس البصر. عشوا: عشواء لا تبصر.

(٢) الزلال من الماء: الصافي العذب. الماء الصفو: الخالص من الكدر.

(٣) طوبى لهم: العيش الطيب لهم، أو حسنى لهم. العدو: الاعتداء.

(٤) الصروح: القصور. وشادوها: بنوها. البيض والقنا: السيوف والرماح. المحيا: الوجه. إبداؤه: إظهاره.

(٥) تزهى: تحسن. المدام: من أسماء الخمر. المن: الطل ينزل على الشجر ويحلو وينعقد كالعسل. السلوى: الطائر المعروف بالسماني.

(٦) الأسواء: الشرور.

(٧) تجل عن الإحصاء: تعظم عنه.

(٨) أبو الشبلين: سيدنا عليّ. علا الأسانيد: فاقها.

(٩) الشأو: الغاية والمنزلة.

(١٠) البأواء: الفخر.

سَلِيلُكَ أَنْشَا فِي عُلاكَ قَصِيدَةً ... مُحَبَّرَةً بِالْمَدْحِ تَوْطِئَةَ النَّجْوَى(١)

تَفَضَّلْ عليها بِالْقَبُولِ فَإِنَّها ... عَلَى قَزَل جاءَتْكَ تَسْتَمْطِرُ الْجَدْوَى(٢)

وَما تَبْلُغُ الْأَشْعارُ؟ والذِّكْرُ ناطِقٌ ... بِفَضْلِكَ لَكِنْ في فُؤَادِي لَكَ الْعَلْوَا(٣)

أَبَتْ هِمَّتِي جَدْوَى سِوَاكَ وأنْزَلَتْ ... بِبَابِكَ مَأْوَى الْفَضْلِ حَاجِيَ والرَّجْوَا(٤)

مَددْتُ يَدِي صِفْراً وحَاشَا تَرُدُّهَا ... وَجُودُكَ يا مَوْلَايَ يَسْتَحْقِرُ الْأَنْوَا(٥)

لَقَدْ فازَ كَعْبٌ وهُوَ قَاصٍ بِبُرْدَةٍ ... فَمُنَّ على الْأَدْنَى بِمَا يُذْهِبُ الأَدْوَا(٦)

وَصَلَّى عليكَ اللّهُ ما هَبَّتِ الصَّبَا ... وَلَاحَ وَمِيضٌ في كَنَهْوَرِهِ خَفْوَا(٧)

وَسَارَتْ إليكَ الْعِيسُ تَمْرَحُ في الْفَلَا ... كما مَرِحَتْ في الحربِ ناقَتُكَ الْقَصْوَا(٨)

* * *

---

(١) التوطئة: التمهيد. النجوى: السر، والغرض القرب الشديد لأنه لا يُسرُّ الإنسانُ إلّا إخصاؤه.

(٢) القزل: التبختر في المشي. الجدوى: العطية.

(٣) الذكر: القرآن. العلوا: القصة العالية الرفيعة. وفي الأصل: العين المعجمة وهو غير مناسب.

(٤) الرجو: الرجاء والأمل.

(٥) صفرا: خالية. الأنواء جمع نوء: يريد هنا المطر.

(٦) كعب بن زهير مدح الرسول ﷺ فمنحه بردته وهو ليس من ذوي قرابته. الأدواء: الأمراض.

(٧) لاح وميض: ظهر لمعان خفيف. الكنهور من السحاب: قطع كالجبال. خفوا: ظهوراً من خفا الشيء ظهر.

(٨) القصواء: اسم لناقة النبيّ ﷺ.

القصيدة الثانية والأربعون

مَا الْكَوْنُ؟

وهذه الأبيات لا تليق إلّا بأهل البيت أولى الشَّرَفِ الْعِدّ[١]؛ والمجد الذي ما له نِدّ[٢]؛ إلَّا أنَّ فيها تجوُّزاً بقصر الممدود. وهو إن جاز للشاعر؛ فالمقتدرُ مُؤاخَذٌ بهِ؛ ما لم ينْضمَّ إليه مَعْنى جزل؛ فَيُغْتَفَرُ؛ وليست هذه هناك؛ ولكنها على البديهة من رأسِ القَلَم[٣].

مَا الْكَوْنُ إِلَّا صُورَةٌ ... وجَمَالُكُمْ مَعْنَاهُ
فَلْنَعْذِرَنَّ مُتَيَّماً ... في حُبِّكُمْ لُمْنَاهُ[٤]
مَا لِلْكَلامِ وَوَصْفِكُمْ؟ ... وَأَقَلُّهُ أَفْنَاه[٥]
مِمَّا لَكُمْ بِقُلُوبِنَا ... لَمْ نَرْضَ مَا قُلْنَاهُ
وكَذَلِكَ الْمَعْنَى الْعَظِيمُ ... يَجِلُّ عَنْ مَبْنَاهُ[٦]
قَسَماً بِكُمْ مِنْ وامِقٍ ... هِجْرَانُكُمْ أَضْنَاهُ[٧]

---

(١) العد: أصله الماء الجاري الذي لا ينقطع.

(٢) ند: نظير.

(٣) رأس القلم: كناية عن السرعة.

(٤) المتيم: من استعبده الحب.

(٥) أقل الوصف أفنى الكلام أي لا يحيط الكلام بمفاخركم.

(٦) يجل: يعظم. المبنى: اللفظ المركب.

(٧) الوامق: المحب. أضناه: هزله وأضعفه.

لَخَيَالُكُمْ مِنْ بَرْدِهِ ... عَنْ وِرْدِهِ أَغْنَاهُ[١]

مَلَكَ الْغَرَامُ زِمَامَهُ ... وَفُؤَادَهُ ومُنَاهُ[٢]

فَلَئِنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ ... فَخَيَالُكُمْ أَدْنَاهُ[٣]

لَكِنَّهُ طَالَ الْمُنَى ... فَمَتَى يَذُوقُ جَنَاهُ[٤]

يُذْكِي الْحَمَامُ شُجُونَهُ ... فَيَذُوبُ إِنْ غَنَّاهُ[٥]

كَالْبَانِ يَخْفِقُ كُلَّمَا ... مَرَّ النَّسِيمُ ثَنَاهُ[٦]

رِقُّوا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ ... فِي الْحُبِّ طَالَ عَنَاهُ[٧]

فَلَقَ النَّشِيجُ فُؤَادَهُ ... وتَقَوَّمَتْ أَحْنَاهُ[٨]

أَفَلَا تَرَوْنَ قَرِيضَهُ ... وَقْفاً لَكُمْ وثَنَاهُ

حَاشَا يَخِيبُ لَهُ بِكُمْ ... أَمَلٌ يَلُوحُ سَنَاهُ[٩]

* * *

---

(١) خيال الأحبة في المنام أو في اليقظة أحدث في نفسه راحة كراحة الماء الزلال البارد فهو لذلك يستغني بالخيال عن ورد الماء.

(٢) الزمام: المقود. مناه: ما يتمناه ويرجوه.

(٣) تناءت: بعدت. أدناه: قربه.

(٤) الجني: ما يتناول من الشجرة ويجنى.

(٥) أذكى النار: أوقدها. الشجون: الأحزان، ويذكيها: يلهبها.

(٦) يخفق: يحركه الريح. ثناه: لواه في ك ناحية.

(٧) عناه: تعبه.

(٨) نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. وقلق فؤاده: شقه. الحنو: ما فيه اعوجاج من البدن وجمعه أحناء ويريد الأضلاع. تقومت: اعتدلت فإذا اشتد البكاء اتسع الصدر وازدادت حركته، فكأن الأضلاع اعتدلت بعد اعوجاج.

(٩) يلوح: يبدو ويظهر. السنا: الضوء.

القصيدة الثالثة والأربعون

وَمُعْتَرِضٍ قالَ

وَمُـعْـتَـرِضٍ قـالَ مِـنْ غَـيْـرِ نُـورِ عَـهِـدْنـاكَ حَـرْبـاً لِأَهْـلِ الـغُـرُورِ[1]

تـشـدُّ الـنـكـيـرَ لـحـزبِ الـقـبـورِ فـمـا لـك تـنـقـضُ هـذا الـصـنـيـعْ

فـقـلـتُ اسـتـمـع حـجُـتـي يـا بَـغِـيـضْ وكـيـف تـقـاسُ الـذُّرى بـالـحـضِـيـضْ؟

عـلـى أَنَّ مـن كـان جَـزْلَ الـقـرِيـضْ يـراعِـي الـمـجـازَ لِأجـل الـبـديـعْ

لـكـل مـقـامٍ شـريـفٍ رجـالُ ومـا لـلـبـراذيـن هـذا الـمـجَـالُ[2]

وحَـربـي لأهْـل الـدعـاوى سِـجَـالُ ومـا لـلـمـرائـيـنَ مِـثْـلِـي قـريـعْ[3]

ومـا فـي مـنـاجـاةِ مـا حِـي الـظـلامِ ولا فـي الـتـوسُّـل لـي مـن مَـلامِ[4]

وراجـعْ كـلامَ ابـن عـبـد الـسـلامِ غـزيـرِ الـمـعـارفِ شـيـخِ الـجـمـيـعْ[5]

وآل الـكِـسَـا مـنـه مـن غـيـر لـي ومـا فـي مـديـحـي لـهـم قـطُّ غَـيْ[6]

---

(١) من غير نور: من غير بصر وعلم. الغرور: الخداع والباطل.

(٢) البراذين: من الخيل، ما كان من غير نتاج العراب.

(٣) سجال: السجل: الدعاوى سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء.

(٤) مع أن الإمام ابن عبيد الله يناهض الصوفية في بعض الأحيان إلّا أنه قال عن نفسه في بعض كتبه: إنه صوفي بالقول لا بالفعل وله في التوسل رسالة مخطوطة وإلى هذا الكلام يشير في بيته

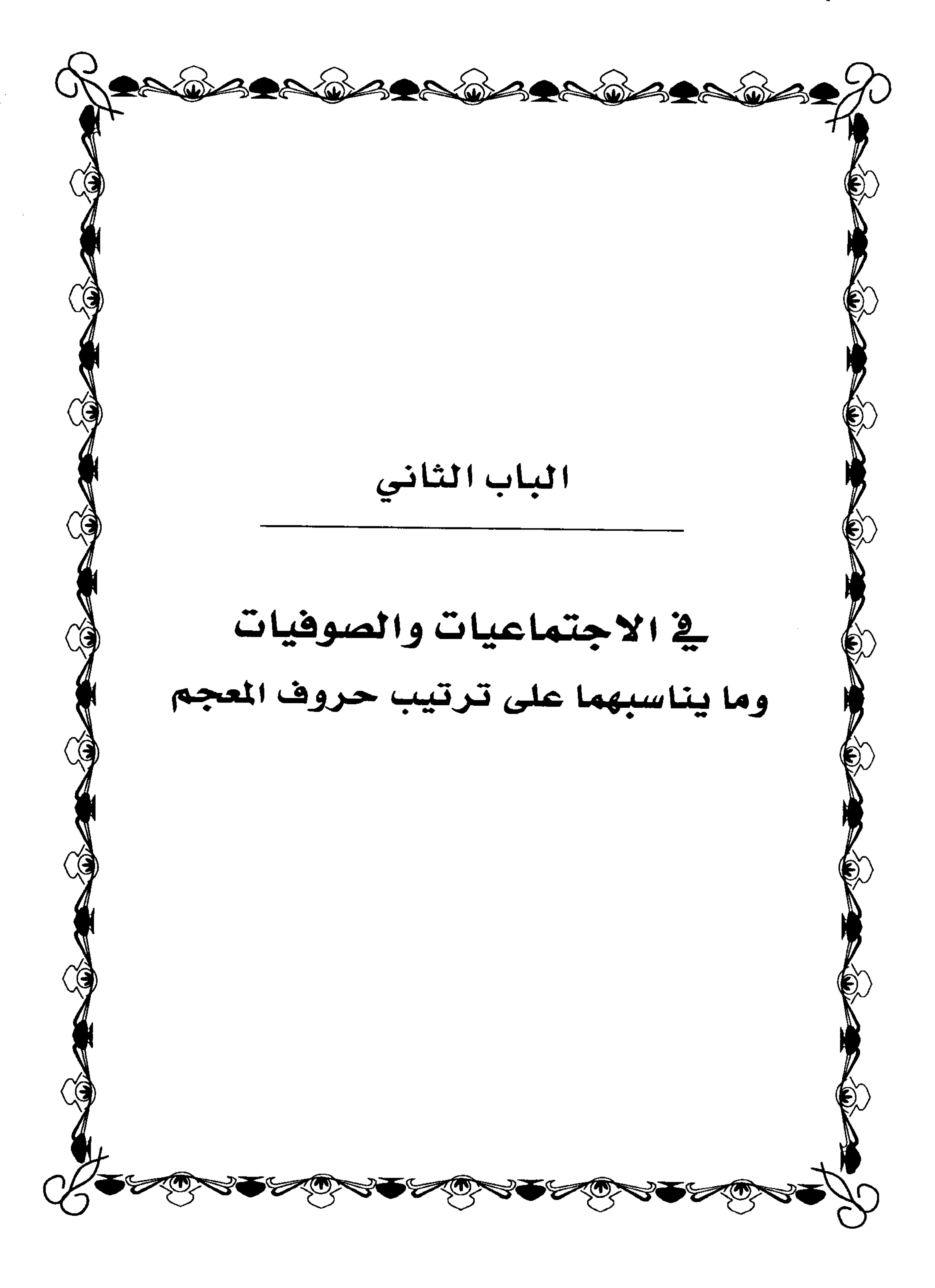
(٥) سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ) المصري الشافعي والصوفي حرض الناس والحكام ضد التتار الغزاة

(٦) ليّ: فتل وثنى.

وإنْ أنا خاطبتُ خاطبتُ حيْ   وهل يُمْتَرى في حياةِ الشفيعْ
وهذي الإشاراتُ تكفي الفطينْ   ومن لم تُفِدْه ففي فِيهِ طينْ
وشوطُ الأدلة عندي بَطِينْ   وحسبُكَ هذا لئلا تضيعْ[1]

* * *

(١) بطين: بعيد.



الباب الثاني

في الاجتماعيات والصوفيات
وما يناسبهما على ترتيب حروف المعجم

القصيدة الأولى

كُشِفَ الغطَا

كان إنشاؤها وقت ما قامت ضجة مُدَّعِي الولاية؛ لافتضاحهم بتدريسنا في الشمايل النبوية سنة ١٣٣٢هـ.

كُشِفَ الغطَا وانْزاحَت الأثوابُ ... فالحق أَبلَجُ ما عليه حِجابُ[١]

وَضَح الرشادُ بذكر هَدْي محمدٍ ... خيْرِ العبادِ فثابَتِ الألبابُ

والصِّدقُ تنتظم القلوبَ سِهامُه ... والغِشُّ من أنوارهِ يَنذَابُ[٢]

ما زِلتُ بالحججِ البوالِغ معلناً ... دون الحقيقة والورَى أحزاب[٣]

فمخالِفونَ إذا نطقتُ بسُنَّةٍ ... شَرِقُوا وزادوا في العِناد وعابُوا[٤]

وإذا حضرتُ يُبَصْبِصُون وإنما ... يَفْرُونني بشِفارِهم إن غابُوا[٥]

يتطلَّبون لي العيوبَ بِزَوْرِهم ... لكنَّهم في سَعْيهم قد خابُوا

شرفٌ تزِلُّ العُصْمُ عنه ومَفخَرٌ ... جادت به الأكسابُ والأنسابُ[٦]

وجميعُهم إما غليظٌ جاهلٌ ... أو مظلمُ التاريخ أو كذَّابُ

---

(١) أبلج: واضح ظاهر.

(٢) ينذاب: يذوب ويضمحل.

(٣) دون الحقيقة: أقل منها. ومع ذلك عابوا فما بالكم لو أعلنتها كلها.

(٤) شرقوا: غُصُّوا.

(٥) يبصبصون: يتملقون. يفرونني: يقطعونني. بشفارهم: بمداهم. يمزقون عرضي بحدة السنتهم.

(٦) العصم: الوعول.

أو ذو غُـرُورٍ مـن بـيـانـي لـلـورَى ... سِـيـرَ الـنـبـيِّ ضـلالـهُ يـنـجَـابُ[1]

والـفـرقـةُ الأُخـرَى تُـقِـرُّ بـأنَّ مـا ... أَشْـدُو بـهِ بـيـنَ الأنـام صـوابُ[2]

عـرَفَـتْـهُ مـعـرفَـة الـبـنـيـنِ فَـعِـنـدَهـا ... عِـلْـمٌ ولـكـنْ بِـالـدِّهـانِ يُـشَـابُ[3]

كـتَـمـتْـه مـن بـعـدِ الـيـقـيـن لأنـهـا ... مـن لَـوْم أُولَـى الـفِـرقـتـيـن تَـهـابُ

وصـغـارُ أَحـلامٍ إذا سـمـعـوا الـهُـدَى ... ودعَـاهُـمُ داعـي الـرشـاد أَجـابُـوا

لـكـنْ إذا سـمـعـوا الـخـرافـاتِ الـتـي ... يَـهـذِي بـهـا بـعـضُ الـلـئـام ارْتـابُـوا

مـن أيِّ بـابٍ ذا الـتَّـوَهُّـم جـاءَهـم ... وشـهـودُ قـولـي سـنـةٌ وكـتـابُ

مَـن قـال: قـال الـلّـهُ قـال رسـولـهُ ... سُـدَّت عَـلَـى أعـدائـه الأبـوابُ

فـلْـيـنـظـرِ الـعُـقـلاءُ فـيـمـا قـلـتـه ... ولـئـن غـلِـطـتُ فـإنَّـنـي أوَّابُ[4]

ولْـيـبـحَـثِ الـطـلابُ بـحـثـاً جـيّـداً ... ورَجـايَ أَن لا يُـدهِـنَ الـطـلابُ[5]

ولـقـد عـرَفـتُ نـبـوغَ بـعـضـهِـمُ بـمـا ... نـمَّـتْ بـه الأخـلاقُ والآدابُ[6]

مـن غَـيـرةٍ وشـجـاعـةٍ أدبـيـةٍ ... فـيـهـم وفـيـهـم يُـوجـدُ الـهـيّـابُ

بـدءٌ كـمـثـلـي يَـصْـدَعُـون ومـا ثَـنـى ... عـزمـاتِـهـم عـتـبٌ ولا كِـذَّابُ

بـيـتٌ رَكـزْتُ مـن الـجـهـاد عـمـودَه ... وهُـم إذا صَـلَـحـوا لـه الأطـنـابُ[7]

❋ ❋ ❋

(١) ينجاب: ينكشف ببياني.

(٢) أشدو به: أترنم به.

(٣) بالدهان يشاب: بالنفاق يخلط.

(٤) أواب: رجاع تواب.

(٥) يدهن: ينافق.

(٦) نمت به: أظهرته.

(٧) ركزت: أقمت.

القصيدة الثانية[١]

شُكراً أُقدِّمه

وهذه قدَّمتُها لقوم؛ نصَبوا أنفسَهم للاحتساب ونصر الحق؛ ولكنَّهم مع الأسف لم يَفوا بما تعهدوا به؛ لغلبة الدِّهان وضعف الإرادة؛ وأَخذتْهم العزة بالإثم؛ حتَّى عن الجواب بوصولها؛ وبلغني أن بعض متشاعريهم؛ أغار على معانيها وطائفةٍ من ألفاظها. وعَهْدُ إنشائها قديم يرجع إلى حوالي سنة ١٣٣٣هـ.

شُكراً أُقدِّمه أَمام خِطابي　　لجماعةِ الأدباء والكُتَّابِ

---

(١) علق بعض الباحثين الذين قرأوا هذه القصيدة بسطحية شديدة مثل الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (الشعر المعاصر في اليمن) وقد ظن أن ابن عبيد الله يتحدث في هذه القصيدة عن قضية المرأة البغي وأسهب في مدح البناء الشعري لمأساة البغي معتمداً على مفهومه السطحي الخاطىء وهو لا يعرف شيئاً عن المجتمع الحضرمي المحافظ الذي عاش فيه الإمام ابن عبيد الله والذي ينعدم فيه البغاء والسرقة وشرب الخمر، وعلق الدكتور أحمد هادي باحارثة فقال: لكن بالاطلاع على هذه القصيدة كاملة نجد أن ابن عبيد الله لا يتناول فيها قضية البغاء وليس في كلماتها ما يدل على أن الفتاة المتخيلة بغي فهو يستعمل تلك الفتاة الحسناء رمزاً للشريعة الإسلامية التي هجرها أهلها المسلمون كما تدل عليه أبيات لاحقة من القصيدة (انتهى من كتاب الانتصاف لابن عبيد الله للدكتور أحمد باحارثة ص٦٦ ـ ٦٨ باختصار) وأقول: إنني أستغرب هذا الأمر مع أن شارح الديوان أشار إلى أن الإمام يكنى بالغانية عن الشريعة الإسلامية وما تعرضت له من أهلها. بل إن الإمام حمل في القصيدة الخامسة والعشرين بهذا الباب على شاعر مصري معاصر نشر قصيدة يعطف فيها على بغي ويعتذر لفحشها ويعترض على توعدها بالجزاء. فغضب الإمام ابن عبيد الله ولم يصبر وقال: وأخذتني حدة تليق بمؤمن (أي من هذه الأبيات المشؤومة) ورد عليه بالقصيدة التي مطلعها: وضح الحق ولم يخف الطريق (القصيدة ٢٥).

المخلصينَ السائرينَ بهمَّةٍ وعزيمةٍ للفضْلِ والآدابِ

المصلحينَ المسرعينَ إلى العُلَى الراجحي الأحلام والألبابِ

الناهضينَ إلى المكارم بعدَما كَسَدَتْ وأضحت نَزْرَة الخُطَّابِ[1]

لَهْفي لغانيةٍ تَصِيحُ وما لَهَا من ناصرٍ حتى بِرَدِّ جوابِ[2]

تَبكي بقارعةِ الطريقِ ووجهُها كالبدرِ يستره رقيقُ سحابِ

عَثَر الزمانُ بها وأقعدَ حظَّها فتبذَّلت من بعد صَوْنِ حجابِ[3]

فكأنني لمَّا وقفتُ حِيالَها ورأيتُ هيئَتها شَرِقْتُ بصَابِ[4]

وطفِقتُ أسألُها دخيلةَ أمرِها ونَشِيجُها يعلُو فيُلهِبُ مَابِي[5]

فتلعثَمَتْ خجلاً ولم تَقِدرْ على ردِّ الجواب وأكبَرتْ إغْضَابِي[6]

وبقيتُ أُحْفِيها وبعدَ تجُلدٍ قالت إليكَ فلو علمتَ مُصابِي[7]

قلتُ اشْرحي لي ما لقِيتِ فليس في شكواكِ من بأسٍ ولا من عابِ[8]

قالت عقيلةُ سادةٍ أخنَى بِها صَرْفُ الزمانِ وصبَّ سَوْطَ عذابِ[9]

هَضْمٌ وإفلاسٌ ويأسٌ فوق ما مُنِيَتْ به من فَرقة الأحبابِ

تَرثِي أحبَّتَها وتندبُ أهلَها والكلُّ رهنُ جنادل وتُرابِ[10]

---

(١) كسدت: بارت.

(٢) لهفي: كلمة تحسر على فائت. غانية: يرمز بها إلى الشريعة الغراء.

(٣) فتبذلت: تركت التصون.

(٤) شرقت: غصّت. بصاب: بمرّ وأصله الشجر المر.

(٥) نشيجها: بكاؤها.

(٦) أكبرت: أعظمت.

(٧) أحفيها: أحملها على القول.

(٨) عاب: عيب.

(٩) العقيلة: الكريمة المخدَّرة. أخنى بها: أهلكها وفي اللغة أخنى عليهم: أهلكهم. فالباء بمعنى على. صرف الزمان: حادثه.

(١٠) جنادل: حجارة القبر.

مَرْأًى تذوبُ له القلوبُ وتنثني الأ ... جفانُ عنه بأدْمُعٍ أسْرَابِ[١]
مرأى نَفَى عنِّي الرُّقادَ ولم أجِدْ ... لعزائها سبباً من الأسباب
وقدحْتُ زند الرأي لاستنقاذِها ... من بُؤسِها وحسَبْتُ ألفَ حسابِ[٢]
وعَيِيتُ في شأني بها حتَّى انجلَى ... رأيٌ يلوحُ عليه نورُ صوابِ
فأقمتُها وحَمَلتُها في رَحْلِها ... وبها دفعتُ إلى شريفِ جَنابِ
حضراتِ عشَّاقِ المحامدِ والثَّنا ... والواضحي الأنسابِ والأحسابِ
والمُنْعِشِي الآمالِ من عثراتِها ... ومُرَمِّمِي الآثار إثرَ خَرابِ
مِن كلِّ شهمٍ ألمَعِيٍّ مخلصٍ ... لله لا وَكَلٍ ولا هيَّابِ[٣]
حُرٍّ يقول الحقَّ غيرَ مقصِّرٍ ... في نشر دعوتِه وغيرَ مُحَابِي
هذِي الشريعةُ لم نَجِدْ إلَّاكُمُ ... كهفاً لها يا طَاهرِي الأثوابِ[٤]
قد صرَّحت بَشكاتِها فاصْغَوا لها ... فلَطالما دُفِعتْ عن الأبوابِ
وخُذُوا لها بالثَّأر مِمن ساءَها ... وَعَدا عليها يا أُسودَ الغابِ
أَحيُوا الشريعةَ إنها قد أدْنَفَتْ ... من دائها وتهيَّأتْ لذَهابِ[٥]
والصدقُ فارقَ روُحَه والحقُّ قد ... غَطَّى الدهانُ جبينَه بِنِقَابِ[٦]
شُكري لكم وقْفٌ إذا أيَّدتُم ... الدينَ الحنيفَ بِسُنَّةٍ وكتابِ
ونصرتُم الأخلاقَ يضحكُ ثَغرُها ... والحقُّ ينصَعُ نابذَ الجِلْبَابِ[٧]

---

(١) أسراب: كثيرة وأصل السِّرْب القطيع من الظباء ونحوها.

(٢) زند الرأي: أصل الزند ما يُقدح به المنار.

(٣) وَكَلٍ: عاجز ضعيف.

(٤) هنا يوضح الإمام القضية لمن صعب عليه فهم الكناية وإدراك التورية.

(٥) أدنفت: ثقلت.

(٦) الدهان: النفاق.

(٧) ينصع: يتضح ويظهر. نابذ الجلباب: طارحاً ما يستره ويخفيه.

فلَكُم بذا الشكرُ الجزيلُ من الورَى ... وبه من المولَى أجلُّ ثوابِ
ولَكُم به الذكرُ الجميلُ مخَّلدٌ ... يُحيِي محاسِنَكم مدَى الأحقابِ
ولَكُم به البركاتُ في الأحوال والـ ... أموالِ والأعمارِ والأعقابِ
شرفٌ به الدنيا تدينُ مآلُهُ ... من بعدها طُوبَى وحسنُ مآبِ
رُدّوا لنا حِلْفَ الفضول ووضِّحُوا الْـ ... أَحسابَ وانْفُوا رِيبةَ المرتابِ[1]
ثم الصلاةُ على النبيِّ محمّدٍ ... وعلى الوصيِّ القانتِ الأوَّابِ
وعلى البَتولِ وأمِّها وفروعِها ... وعلى جميعِ الآلِ والأصحابِ

❋ ❋ ❋

(١) حلف الفضول: حلف عقدته قبائل من قريش على أن لا يتخاذلوا ويسمون المطيبين.

القصيدة الثالثة

غُرابانِ زارا

وسببها أنِّي لما فرغت من تسويد كتابي «صوب الرُّكام في تحقيق الأحكام» سنة ١٣٥٠هـ؛ وأنا مغترب لخدمة العلم بمسيلة آل شيخ؛ خرجت أرتاد مكاناً للنزهة؛ فسنَح لي غُرابان أَسَفَّا[١] إلى الأرض، ثم وقفا مني مَرْبَط المُهْر؛ وسارا قريباً باعتدال؛ ثم طارا إلى بيتٍ خراب وأخذا ينقُرَان فيه؛ وترنّما لي قبل ذلك بالنعيب؛ فكاد يدركني ما يقع في النفوس بحكم الطبيعة، غير أني صرفته إلى التَّيامُنْ، وجاءني رسول ساعتئذ من الفاضل الجليل السيد أحمد بن عمر بن يحيي؛ يستدعينا من الغد للحضور إلى سفح مولانا محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، وأَدَب بمناسبة الختم مأدُبة فاخرةً، وظللنا يوماً سعيداً ذهب نحسُه، وغامت شمسُه، وكفَّرَ ما صنع أمسُه، ووجدنا من انشراح الصدر وانتعاش الرُّوح في ذلك السفح المبارك؛ ما تنسمنا به رَيَّا القبول[٢] كما أشرنا إليه في القصيدة؛ وهي هذه:

هذا وزاد الإمام على ما سبق في ختام كتابه صوب الركام ما يلي: وذكرت قصة جرت لي من نحو ربع قرن بالتقريب؛ وهي أني رأيت كأنَّ غراباً عظيم الجثة وقع إلى الأرض؛ وكلَّمني بلسانٍ فصيح؛ والتمس صداقتي؛ وأرادني على الطيران؛ فاعتذرت بعدم الجناح، فطار بي هو إلى الجو؛ وأراني له ثمة جنوداً كثيرة من إخوانه، وعقد معي حلفاً وثيقاً، ثم هبط بي إلى الأرض؛ وخالطني في

---

(١) أسفَّا: دنيا في الطيران.

(٢) الريّا: الريح الطيبة.

تلك الأثناء من الأريحة والانبساط ما لا تدركه العبارة. فقصصت الرؤيا لمن حضرني بالعشيِّ من غد تلك الليلة، وجلّهم من شربة الشاهي فقط، كما هو الغالب عندنا على أبناء السادة، فلم يزيدوا على التضاحك والتعجب. . وكان الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد عباد؛ قاضي مرخه؛ حاضراً فلم يتكلم، وفي اليوم الثاني؛ أبرد لي من الغرفة بكتاب؛ عبَّر فيه رؤياي بما سرَّني وآنقني، وهي له؛ لأنه أول عابر، واعتذر عن الكلام في المجلس؛ بأنَّ الخطاب كان غير موجَّه إليه؛ ونعى على أولئك المتعجبين فعلهم، وأتى بما يثلج خاطري، وعنه أخذت مبدأ عيافتي في القصيدة الآتية.

وبعد مدة من الزمان وجدت خطه؛ وأظنه بتاريخ ١٣٢٦هـ؛ وهذا ما يتعلق بتعبير هذه الرؤيا ومنه:

وقد حضر الفقير مجلسكم أنتم والحبايب؛ وقصصت الرؤيا التي أنت رأيت؛ ولم يجب الحاضرون إلّا بالضحك، وقد فهمت في الحال تعبيرها؛ ولم أجزم أعبرها أدباً معكم؛ وحياءً من الحاضرين؛ لمَّا رأيت توجه الإخبار إليهم؛ وبقي ذلك في خاطري؛ حتى وصلت بيتي؛ فكتبت الرؤيا وما أدركه فهمي القاصر من تعبيرها؛ وقد عنَّ لي أن أكتب نقل ذلك لكم: فأعلم؛ وأنت أعلم: أنَّ الطائر المذكور وهو الغراب؛ طائر مبارك مذكور في كتاب الله؛ ولولا شرفه على الطيور؛ لما بعث الله غراباً يبحث في الأرض؛ تعليماً لابن آدم؛ ليريه كيف يواري سوأة أخيه، فكان تعليم الدفن للأموات بواسطة الغراب. وثانياً: لو قيل أنه ملك أرسله الله في صورة غراب؛ فلا يتصور في الذهن أن يصور الله الملك بصورة حيوان مشوم؛ فهذا دليل ثاني على شرفه، وثانياً: أنه أرسله لابن نبي الله نوح ولم يخصه برسالته إلّا وله شرف على غيره وخاصية لم تقع لسواه. وأما من جهة السواد فإنه يدل في الرؤيا على سؤدد الرأي؛ كما عبر به زين العابدين وابن سيرين، وأما طابع ارتفاعكم إلى السماء فتدل على علوِّكم وسموِّكم، وأما اعتذاركم عن ذلك بعدم الأجنحة؛ فدليل ظاهر على عدم المساعد لكم؛ لأن المساعد كالجناح؛ يعين لك على ما أنت بصدده، وأما عهده لكم؛ فهذا دليل

على طول عمرك سيدي، لأنه من أطول الحيوان عمراً، وجعل العهد تأنيساً لكم لمناسبة طبيعية بينكم وبينه؛ لأنه قليل المعاشرة لغيره من الطيور؛ حَسَنَ الجوار لمن جاوره؛ وعنده من العلم بصلاح الهواء وفساده؛ ما ليس عند غيره؛ حتى أنه لا يطير في جو الأرض التي فيها وباء، وهو كثير الحزم؛ حتى أنه لا يكاد يصطاد، بخلاف غيره من الطيره (انتهى).

غُرابانِ زارَا داعِياً يتغرَّبُ ... يقولانِ بُشرَى طالع النَّحْس يَغْرُبُ
وقد غَنَّيا لي بالنَّعيب على الهنَا ... ومثليَ مَنْ يدرِي اللحونَ وَيطرَبُ[1]
وطارا إلى بيت خرابٍ إشارةً ... إلى أن ما يُبنى على الظلم يَخرَبُ
وسارَا قريباً باعتدالٍ علامةً ... على قُرْبِ عدلٍ عنده الجَورُ ينضَبُ[2]
يُبشِّرُني صوتُ ابنِ دَايةَ مثلَما ... تَسُرُّ بنو لهبٍ إذا عَنَّ ثعلبُ[3]
لئن زجَرُوا الغِرْبانَ لِلشُّوم إنها ... على الضدِّ في زَجْري وزجْري مُجَرَّبُ
أليس صميمُ القلبِ والعينِ مثلَها ... وحسبُك برهاناً لرأي يُصَوَّبُ[4]
أما كان تاجَ المصطفى يوم فتحهِ ... لِأُمِّ القُرى ذاك السوادُ المحبَّبُ؟
أَلم تكُ طولَى الدولتين اكتست به ... ولم تكُ لولا فضلهُ فيه ترْغَبُ؟[5]
أليس مدادُ العِلم في مثل صِبْغِها ... أمَا تحتَه سرٌّ عظيم مُنَقَّبُ؟[6]
بلَى ولقد صادَفْنَ خَتمى مؤلَّفًا ... به كلُّ ذي صدرٍ سليمٍ سيُعجَبُ

---

(١) النعيب: الصوت.

(٢) ينضب: يذهب في الأرض.

(٣) ابن داية: أصله ابن دأية لقب للغراب. لوقوعه على دأية البعير الدَّبسر وهي فقار كاهله فيما بين الكتفين لينقرها. بنو لهب: قبيلة من العرب مشهورة بالعيافة وزجر الطير.

(٤) مثلها: مثل الغربان في السواد.

(٥) طولى الدولتين: الدولة العباسية حيث استمرت ستمئة سنة واستمرت الأموية ثمان وثمانين سنة.

(٦) منقب: محجب بالنقاب. يريد أسرار العلوم.

فبشَّرْنَ قلبي والتباشيرُ جمَّةٌ	وكلُّ سِوَاها وحدَة ليس يُكْذَبُ[١]
بأنَّ له صِيتاً يطيرُ وأنه	كأعمارها يبقَى وما ساءَ يذْهَبُ[٢]
وأكَّد ظنِّي في رجاءِ قبولِهِ	لدى الله عِيدٌ كان إذْ تمَّ طيِّبُ
دعانا مُحبُّ العِلم يومَ ختامِهِ	لسفْح به من وابل الفضل صيِّبُ[٣]
فجِينَا من الخيساف نشتَدُّ زُمْرةً	وجاء من الغَنَّاء في الصبح موكِب[٤]
فَظَلَلْنا به يوماً سعيداً سماؤُه	علينا بَهتَّانِ المسرَّات تَسكُبُ[٥]
كما شاءتِ الأَهْواء على أسبَغِ القِرى	وأَحلى حديثٍ والمشائيمُ غُيَّبُ[٦]
لدى سيِّدٍ داعي الإله بجاهِه	يُجابُ وراجي جُودِه ليس يُحْجَبُ
وهبَّ نسيمٌ عاطر كلما انبَرى	تجلّت لنا أمُّ المنازل يَثْرِبُ[٧]
كأنَّا عن الدنيا انفصلنا أو انطَوتْ	علينا مِنًى أو أنَّ ذاك المحصَّبُ[٨]
فيا رب حقِّقْ ما رَجَوْنا وأجْزِنا	على خير ما عوَّدتَ والعيشُ مُخْصِبُ[٩]
وقابِلْ بغُفرانٍ جزيلٍ ذنوبَنَا	فما زلتَ تعفو يا كريمُ ونُذْنِبُ
وعجِّلْ بنصرٍ للشريعةِ إنها	عَلَى الضَّيْم من أعدائِها تَتقَلَّبُ
تَعدَّوْا حِمَاها واستهانُوا بقدْرِها	وظلَّتْ مَعَدٌّ عَنْ هُداهَا وَيَعْرُبُ[١٠]

---

(١) فبشرْنَ قلبي: أي أن الأغربة بشرته بالخير وهنالك تباشير جمة أخرى به لا تكذب واحدة منها فما بالك مجتمعة.

(٢) ما ساءَ يذهب: ما قبح لا يبقى. (٣) صيب: غيث.

(٤) الخيساف والغناء: موضعان هناك (الغناء هي تريم). نشتد: نسرع. زمرة: جماعة.

(٥) الهتان: السحاب الماطر. تسكب: تصب.

(٦) أسبغ القرى: أوسع وأكرم الضيافة.

(٧) يثرب: من أسماء المدينة المنورة.

(٨) المحصب: الشعب الذي مخرمه إلى الأبطح بين مكة ومنى.

(٩) أجرنا: سيَّرنا. مخصب: رغيد طيب ناعم.

(١٠) ظلت: ضلت.

فسادٌ وعدوانٌ وجهلٌ وذِلّةٌ ... لها الدينُ يبكي والمروءةُ تندُبُ
وقد ألجَم الإدهانُ آلَ محمدٍ ... فما رَيْتُ مَنْ لِلّهِ يَرْضَى ويَغضَبُ[(١)]
كأنْ لم يكونوا مِنْ عليٍّ ولم يَمُتْ ... لهم في قِراعِ الجورْ جدٌّ ولا أَبُ[(٢)]
ويا ليتَهمْ كانوا كَفَافاً ولا جنَى ... على الدِّينِ منهم كاشِحونَ وأجْلَبُوا[(٣)]
ولولا افتِراقٌ بينهم عمَّ شرُّه ... لأوشكَ صدْعٌ كان بالجوْرِ يُرْأَبُ[(٤)]
أَلَّحوا ولَّجوا في بِعَادٍ وبِغْضَةٍ ... فقَدْ نَشَّبُوا في حَبْلِ غَيٍّ وأَنْشَبُوا[(٥)]
ويروَى عن الحدَّاد مصداقُ قولنا ... لهم إن تمارَى جاهِلٌ يتَحَزَّبُ
وإنْ خاضَ في الإصْلاح بَعْضٌ فإنها ... أمانيُّ آراءٍ بهم تتشَعَّبُ
يريدُونَهُ من غَيْرِ أبوابِهِ وهَلْ ... مع التَّركِ للأسْبَابِ يَأتِي المسَبَّبُ؟
يقولونَ مَا لا يَفْعَلُونَ وإنْ تَشِمْ ... ومِيضَ وُعُودٍ منهمُ فهي خُلَّبُ[(٦)]
سِراعٌ إلى ما فيهِ ضُرٌّ بقدرِ ما ... يَفرُّونَ عما فيهِ نَفْعٌ مُرَتَّبُ
فَهُمْ في اضطرابٍ من عُبَابٍ مَذَاقُه ... أُجَاجٌ ولكِنْ للسَّفَاهِينِ يَعذُبُ[(٧)]
عَلَى مَتْنِهِ تَطْفُو الخزايا وعكسُها ... كِرامُ السَّجايا فهي في الْقَعْرِ تَرْسُبُ
لِسُوقِ الملاهي والسَّفَاسِفِ بينَهُمْ ... رَواجٌ ولكنْ لَيْسَ لِلْحَقِّ مَشْرَبُ

---

(١) الإدهان: يريد نفاق قومه مع شرف نسبتهم، ريت: أصله رأيت.
(٢) قراع الجور: محاربة الظلم والبغي.
(٣) كفافاً: لا يعادون ولا يصافون. كاشحون: مضمرو العداوة. أجلبوا: تجمعوا وتألبوا على الدين.
(٤) يُرأب: يصلح. أي أن الصدع الذي أحدثه الجور كان وشيكاً أن يصلح لولا ذلك الافتراق الفاحش الذي عم شره.
(٥) نشَّبوا: ابتدؤوا في التعلق بجبل الضلال وأنشبوا تعلقوا به.
(٦) تشِمْ: تنظر. من شام البرق إذا نظر إليه أين يقصد وأين يقع المطر؟ وميض: لمعان. خُلَّب: مطمعة مُخلفة.
(٧) العباب: معظم السيل أو موجه. أجاج: شديد الملوحة والحرارة. للسَّفاهين: جمع سِفاهٍ الذي مفرده سفيهٌ وهو الجاهل.

ولـمـا رأَوني رافِعَ الـصَّوْتِ بـالـدعـا إلـيْـهِ تـحـامَـوْنـي كـأنّـي أجْـرَبُ
يُـقِـرُّونَ بـالإجـمـاعِ لـي بـتَـفَـرُّدِي وما لِيَ فـيـهـمْ قـطُّ سَـهْـلٌ وَمَـرْحَـبُ
جـزَاءُ قِـيَـامِـي بـالـنَّـصِـيـحـة أنـنِـي إذَا شِـدْتُ بُـنْـيَـانـاً مِـنَ الـمـجـدِ خَـرَّبُـوا
يـرِيـدُونَ أنْ يُـطْـفُـوا بِـظـغْـنِ نـفـوسِـهـم سـراجَ هُـدًى يُـذْكِـيه عـلـمٌ فَـخُـيِّـبُـوا[1]
ويَـهْـوَوْنَ مُـوتـي وهـو مـوتٌ لـعِـزِّهـم فَـلَـيْـسَ لـهـم إلَّايَ فـي الـلـيـل كـوكَـبُ
يُـوالـون أعـدائـي ويُـقْـصُـون شِـيـعَـتـي وما زِلْتُ أشْقَى في عُلاهُـم وأنْصَبُ[2]
يـقـولـون لـي وَارِبْ فَـتَـأْبـى أبُـوَّتـي وأَصْلِي وطَبعِي والطبيعةُ أغلبُ[3]
وعِـرْضٌ كـعـيـن الـديـكِ ما فـيـهِ نـقْـطَـةٌ وسَلْ هل لطعنٍ صادقٍ فيَّ مذْهبُ[4]
عفافٌ به في الـنـاس أعطِسُ شـامـخـاً كـأنِّي على حسْنِ اعتدالٍ مُشَذَّبُ[5]
عـلـى حـيـن لا عِـرضٌ بـلا مَـثْـنَـويَّـةٍ لأعْـدَائِـنـا إلّا بـعـارٍ مـخـضَّـبُ[6]
وغـايـتُـهـم أنْ يـكـذبُـوا ومـتـى افْـتـرَوْا أقـولُ تـعـالَـوْا قـابـلُـونـي فـيـهـرُبـوُا
يَـعـيـبـوُنَـنِـي غَـيْـبـا وفـي كـلِّ مـشـهـدٍ أقُـوم ولا أنـسَـى الـتـحـدِّي وأخـطُـبُ
ومـنْ يـكُ فـي شـكٍّ فـهـا أنـا ذا ومـا أخَـافُ ولـي مِـنْ نـاصِـع الـحـقِّ مـركَـبُ
وذلِـكَ تـاريـخِـي نـقـيٌّ وحُـجَّـتِـي يَـخِـرُّ صَـرِيـعـاً دونَـهـا الـمـتـعـصِّـبُ
إذا لـم أُجِـبْ عـن كـلِّ قـولٍ بـقـاطـعٍ فـلا عُـذْنَ بـي الأمـثـالُ لـلـنـاس تُـضْـرَبُ
وكـيـفَ أحَـابي في الـشـريـعـة والـمـدَى قـريـبٌ ولـلأيـام نـابٌ ومِـخْـلَـبُ[7]

---

(١) بظغْن: بِضغْن أي بحقد.
(٢) أنصب: أتعب.
(٣) فتأبى أبُوَّتي: في الأصل أمومتي وهو تصحيف.
(٤) نقطة: سوادٌ أي أنه نقي ناصع.
(٥) مشذب: مهذب مصلح.
(٦) مثنوية: ليس عرض لأعدائنا إلّا مخضَّب بعار بل إستثناء.
(٧) المدى: منتهى الأجل.

بِنُصرتها أبغي رضَا اللّهِ حينَ لا … يُرى في الوَرى إلَّا امرُاءٍ مُذَبذَبُ
أَرحتُ ضميرِي فاسْتَرَحْتُ من العنَا … وكلُّ امرئٍ يبغِي رضا الناس يَتْعَبُ
وإنْ مسَّنِي منهم أَذًى فَهُوَ هَيّنٌ … ولا شيءَ إلا العارُ والذنب يَصْعُبُ
بعدْتُ بفَضْلِي عنهمُ قدرَ ما دنَا … رِفاقُ الخَنا والشَّكلُ للشكلِ يُجْذَبُ
وقَدْ كُنْتُ في عهد المراجيح نافذَ الإ … رادة أَمَّا اليومَ فالدهر أشيبُ[1]
ومن عجبٍ أنَّ الأُسودَ تهابُني … ويعدُو على قدْرِي ابنُ آوى وأَرنَبُ
وما زال لي باللّه جلّ ثناؤُه … على هامةِ الشِّعْرَى خباءٌ مُطَنَّبُ[2]
علاءٌ بِلا جندٍ ولا ريحِ دَوْلةٍ … على قُلَلِ الشُّمِّ الذُّرَى يَتَوثَّبُ
سأمضِي بَرَاحاً لا ضَرَاءً إلى العُلَا … وفي نصرِ دينِ الله لا أتهيَّبُ[3]
ولي قلمٌ كالمَشْرَفِيّ ومِقْولٌ … يُذِيبُ الصَّفَا آناءَ أُمْلِي وأَكْتُبُ[4]
وما أَنا وَحْدي في شَكاتي فكلُّ مَنْ … تفرَّد بالعلياء يُوذَى ويُقْضَبُ[5]
على أنه والحمد لله قَدْ صَفَا … مِنَ الدَّهْرِ لي حرٌّ كريمٌ مهذَّبُ
لزيمُ المبرَّاتِ الذي أنجبَتْ به … سليلُة عبد اللّهِ والفَحْلُ مُنْجِبُ
نديمُ المعالي والمعارفِ بَيْنما … قُصَارى أُولي الأموال مَلهًى وملعَبُ
بعيدُ المدَى جمُّ النَّدى ذو عزيمةٍ … تزيدُ مَضَاءً كلما عَنَّ مطَلَبُ[6]
ربيبُ المغاييرِ الحسيبُ الذي انجلَى … بهمته من حَالك الجهْل غَيْهَبُ[7]

---

(١) المراجيح: العلماء يريد كبار السادة الذين يعرفون له قدره. يشكو من تغيير حاله بتغير العهد.
(٢) خباء: بناء من وبر أو صوف أو شعر. مطنب: مشدود بالحبال. قد أعلاه الله ورفعه عليهم.
(٣) براحاً: جهاراً أو ظاهراً. لا ضَراءً: لا استخفاء.
(٤) الصفا: الأحجار الصلدة الضخمة. آناء: وقت وحين.
(٥) يقصب: يُقطعُ.
(٦) مضاء: نفاذاً.
(٧) المغايير: الشديدي الغيرة على الحق. غيهب: ظلام.

نسيبَي في ودٍّ بعيدُ قرابةٍ على أننا لِلْخَمْسَةِ الغُرِّ نُنْسَبُ

وأزكى صَلَاةٍ بالسلامِ تمازَجَتْ يُخصُّ بها منا الحبيبُ المقرَّبُ[1]

وسِبْطَاهُ والزَّهْرَا وسَائرُ صَحْبِه وحيْدَرَةُ الشَّهْمُ الشجَاعُ المدَرَّبُ

* * *

(١) الحبيب: الرسول ﷺ. المقرب: من ربه عزَّ وجلَّ.

القصيدة الرابعة

تَفَتَّحَ لي

تَفَتَّحَ لي في النفْسِ سِرٌّ مُحجَّبُ ... به انحلَّ إشكالي وزال التعَجُّبُ
فمِنْ صُغْرِ نَفْسِ المرء يَرْتاحُ قَلْبُه ... ومن عُظْمِهَا يَلْقَى الأذايا ويَتْعَبُ
وذلِكَ أن الْجِسمَ ضِدٌّ لِلُطْفِها ... تِطيرُ بهِ نحو العُلى وَهو يَرْسُبُ
فإنْ لَمْ يَكُنْ لِلْجِسْمِ إلّا كقَدْرِه ... مِنَ النفْسِ أو أدنى انتَفَى ما يُعَذِّبُ
يعيشُ الصغِيرُ النفْسِ في الذلِّ وادِعاً ... رَخيّاً ويَشْقَى في النعيم المهَذَّبُ[1]
ولولا صغارُ النفسِ لم تصلحِ الْوَرى ... ولم تعمُر الدنيا ولم يَصْفُ مَشرَبُ
وقَدْ كان خَيْرُ الناس يُوعَك جسمُه ... كما يوعَكُ الإنْسَانُ مِنّا ويَنْصَبُ
وقال له اصْبِرْ ربُّه مِثْلَما مَضَى ... أُولو العَزْمِ في صبرٍ يَشُقُّ ويَصْعُبُ
ومَرَّ عَلَيْهِ العُمْرُ وهُوَ مقَسَّمٌ ... ينازِعُهُ قَوْمٌ وقومٌ يكَذِّبُ
ولا فَضلِ لِلإنْسَان إلّا برُوحِهِ ... وما كونُها في الْجِسم إلا تغَرُّبُ[2]
وفي اللّحْد بعد الناطِقِيَّةِ مَيِّتٌ ... فما الموتُ إلّا للكمال مُقَرِّبُ[3]

---

(١) وادعاً: ساكناً. رخياً: رخيّ البال لا يهتم بأمر. يشير إلى قول أبي الطيب:
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(٢) ما حلول الروح في الجسم إلّا تغرب منها عن عالمها الأعلى.

(٣) الإنسان «الذي تعريفه حيوان ناطق» هو في الواقع حيوان ميت وقد كرر الشاعر هذا المعنى إذ قال في قصيدة أخرى:
لا غرو فالإنسان في ... تعريفه الموت التمام =

لـذلـكَ كـان الـمـرتـضَـى مِـنْ يَـقِـيـنـهِ يَحِنُّ له كالطِّفْل فِي الثدْي يَرْغبُ[1]
فـيـا رَبَّـنـا بـالـمـصـطـفـى ووصـيِّـه أَعِـنَّـا عـلـى الْأيـامِ فـالـدهْـرُ قُـلَّـبُ
ومُـنَّ لـنَـا بـالِـحْـفْـظِ واشْـفِ مـن الْأذَى بَـنِـيـنَـا وهَـبْـنَـا مـا نُـحِـبُّ ونَـطْـلُـبُ

❊ ❊ ❊

= وبموته ترجع روحه إلى عالمها الأكمل ولذلك كان عليّ ﷺ يحسن إليه كما يحسن الطفل إلى ثدي أمه وذلك من يقينه بهذه الحقيقة.

(١) الإنسان «الذي تعريفه حيوان ناطق» هو في الواقع حيوان ميت وقد كرر الشاعر هذا المعنى إذ قال في قصيدة أخرى:

لا غـــرو فـــالإنـــســـان فـــي تـــعـــريـــفـــه الـــمـــوت الـــتـــمـــام

وبموته ترجع روحه إلى عالمها الأكمل ولذلك كان عليّ ﷺ يحِنُّ إلى الموت كما يحِن الطفل إلى ثدي أمه وذلك من يقينه بهذه الحقيقة.

القصيدة الخامسة

يلوحُ بَدْرُ الأَماني

أنشأها في سنة ١٣٥١هـ.

يَلوحُ بَدْرُ الأماني لي ويَحْتَجِبُ ... وما عليَّ سوى فِعلِ الذي يَجبُ
ولم تَزَلْ همتي لِلْعِزِّ طامِحَةً ... وطرفُهَا دائماً في شَوْطِهِ يَثِبُ
والعجزُ شَرٌّ ونَيْلُ المجدِ مُرْتَبِطٌ ... بالجِدِّ فالْفَوْزُ مرْهونٌ بِهِ التَّعَبُ
وَالعَزْمُ مَجْلَبَةُ التوْفِيقِ وهُوَ مَتى ... طالَتْ قَوَادِمُه لَمْ يَبْعُدِ الطلبُ[1]
وقلما اجْتَمَعَتْ هَذِي لذي شَمَمٍ ... إلا تَسَامَتْ بِهِ في الرفْعَةِ الرُّتَبُ
تِلكُمْ مَرَاقي العُلى مَنْ جَازَها كَمُلَتْ ... لَهُ وإنْ شَطَّ مطلوبٌ فلَا عَجَبُ
فما يُؤَخِّرُ أَهْلَ الْفَضْلِ إنْ حُرِمُوا ... ثمارَ أعْمَالهم أوْ فاتَهُمْ أَرَبُ
وهَلْ يَضرُّ المجَلَّى منعُه سَبَقاً ... يَوْمَ الرِّهَان وقَدْ دَانَتْ لَهُ القَصَبُ[2]
وهذِهِ سِيَرُ الأبطال يَمْلَؤُهَا ... منَ الزَّمانِ الأذى وَالْوَبْلُ وَالحَرْبُ[3]
لكنَّهمْ كالرَّواسي لا يُحَرِّكُهُمْ ... عَصْفُ الرِّياح ولا يَثْنِيهِمُ اللَّجَبُ[4]
ومنْ تَلِنْ في الخُطوبِ الهُوجِ نيَّتُهُ ... فما لَهُ بالعلَى أُنْسٌ وَلا نَسَبُ[5]

---

(١) القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح وضدها الخوافي. يريد متى اشتد وقوي.

(٢) المجلّى: السابق الأول في الحلبة. دانت له القصب: أحرز قصب السبق الذي به يظهر الغلب.

(٣) الحَرَب: السلب.

(٤) الرواسي: الجبال. عصف الرياح: هبوبها الشديد. اللجب: الصياح.

(٥) الهُوج: الشديدة العاتية. نيته: عزيمته.

وَقَدْ أَخَذْتُ على نَفْسي تَسَمُّتَهُمْ على المكارهِ جَاءَ الناس أوْ ذَهَبُوا[١]

وَقَدْ قطعتُ رَجَائي من بَنِي وَطَنِي لأن دِينَهُمُ التمويهُ والكَذِبُ

إنْ غِبْتُ عَابُوا بما لا يَعرِفونَ وإنْ حَضَرْتُ هابُوا وطاحَتْ تِلكُم الخُطَبُ

والخَطْبُ سَهْلٌ وما لِلْقَوْمِ مَنْزِلَةٌ عندِي فَسِيَّان إنْ أَثْنَوْا وإنْ قَصَبُوا[٢]

لم يعرفوا الَحقَّ كي يَمتَازَ عِنْدَهُمُ بِهِ الذِي صَحَّ ممن مَسَّهُ الْوَصَبُ[٣]

في عُرْفِهِمْ مبلُغ الدين الرسُومُ فما إلَّا عليها الرضا منْهُمْ أَو الغَضَبُ

والمنكَرَاتُ كثِيرٌ في البِلاد بلا ناهٍ ولا ناصرٍ للدّين يحتَسِبُ

يَشْتَدُّ واحدُهم للشّاةِ يُسْلَبُها غَيْظاً ويَكْثُرُ مِنْهُ الَهجْرُ والصَّخَبُ[٤]

وَإنْ تهجمَ سُورُ الشرْع ما حَبَقَتْ عَنزٌ كأنهم من غِرَّةٍ خُشُبُ[٥]

لا وزنَ عنْدَهُمُ لِلْمَكْرُماتِ وَلَا إجْلالَ إلّا لمن في جيبِهِ نَشَبُ[٦]

يُصَوِّبونَ وإنْ أَخْطا مقالَتَه حتَّى إذا قال عن شعبانَ ذا رجَبُ

فَهَلْ يُعَلَّقُ في أمثالِهِم أملٌ وَهُمْ لجلِّ البلَايا عِنْدَنا سَبَبُ؟

كلّا ولكنني بالنَّشْءِ أربِطُهُ فَهُوَ المناطُ إذا لم يُعْدِه الَجربُ

ولَنْ يَحُوزَ النَّجا إلّا إذا انْحَرَفَتْ له العوائدُ وانْشقَّتْ له الحُجُبُ

وكيفَ يخلُصُ مِنْ قيدِ الجمودِ ولم يألفْ سِوى رِممٍ والخُلْطَةُ العَطَبُ[٧]

---

(١) تسمتهم: الاقتداء بأولئك الأبطال الذين نالتهم الشدائد كما نالتني دون مبالاة برضا الناس أو غضبهم.

(٢) قصبوا: قطعوا الثناء والتودد.

(٣) الوصب: المرض.

(٤) الصخب: شدة الصياح.

(٥) ما حبقت عنز: الحبق. ضراط المعز وقد يستعمل في الناس. يريد أنهم لم يعملوا أدنى شيء من شدة غفلتهم.

(٦) نشب: مالٌ.

(٧) الخلطة العطب: خلطة من لا خير فيهم؛ هي المهلكة.

لـكـن أَحـادِيـث مـوسـى عِـبْـرَةٌ ومـتـى ... جَاءَ الأَوَانُ هَمَتْ بالرحْمَةِ السُّحُبُ[١]

وَقَـدْ تـأَثَّـرَ نَـهْـجَ الـحَـقِّ عَـنْ نـظـرٍ ... فـي الـجـاهـلـيـة آبـاءٌ لـهـم نُـجُـبُ[٢]

وآيـةٌ مـن كِـتَـابِ الـلّـهِ تـنْـشُـلُـهـم ... إن صادفتْ هِمَّة يهفو بها الطرب[٣]

ولـم أَزَلْ بـاذلَ الـنُّـصْـحِ الـثـمـيـنِ ومَـنْ ... لـديـه شـكٌّ فـهَـذِي بـيْـنَـنَـا الـكُـتُـبُ

والـخُـلْـفُ نـيـرانـهُ بـيـنِـي وَبـيـن أولِـي ... الـتـلـبـيـسِ مُـنْـذُ زمـانٍ وهـي تـلـتـهـبُ

حَـرْبٌ عـوَانٌ ولـكـنِّـي أُصـارحُـهُـم ... وما بـغـيـر اغـتِـيَـابٍ عِـنْـدَهـم سَـلَـبُ[٤]

وعِـنْـدَ وزنِ كـلامَـيْـنَـا بـمـعـدَلَـةٍ ... ولَـوْ بـدون تَـرَوٍّ تـنـتـفِـي الـرِّيَـبُ[٥]

فـالـحـقُّ أَبْـلَـجُ والـتـمـويـهُ مـنـكِـشـفٌ ... والصِّفْرُ يمتَاز عنْدَ الحَكِّ والذَّهبُ[٦]

والـمـتـرَفُـون عُـداةُ الـخـيـرُ إن بَـعـدُوا ... فَهُوَ الهدى وأَسِيئُوا الظن إن قَرُبُوا[٧]

تـيـقَّـظـوا أيُّـهـا الـنـشءُ الـجـديـدُ بـلا ... تـطـرُّفٍ وانـهـضُـوا لله واعْـتَـصِـبُـوا

وَامْـضُـوا بـغـيـر الـتـفـات لِـلْـوُشـاةِ ولا ... تستيْئِسُوا إن سَعَوْا بالكيد أو نَصَبُوا[٨]

والـديـنَ صُـونُـوا كـمـا كـانـتْ أوائـلُـكُـم ... فـإنـهـم فـيـه مـا لَانُـوا ولا هَـرَبُـوا

تـحـتَ الـقـسـاطِـل مـاتُـوا فـي حـمـايـتِـه ... ولَـمْ تـصـدَّهُـم الأمـوالُ تُـنْـتَـهـبُ[٩]

---

(١) أحاديث موسى فقد خالط فرعون وتربى في بيته ومع ذلك نجاه الله من كفره وخلصه من شره. همت: سالت.

(٢) تأثر نهج الحق: تتبع آثاره آباء لهم كرام في الجاهلية.

(٣) تنشلهم: تخرجهم عما كانوا فيه.

(٤) سلب: هو ما يؤخذ في الحرب من المقتول؛ أي أنهم لا يقدرون على شيء من أمره سوى اغتيابه وهو شأن العاجزين.

(٥) ولو بدون تروٍ: أي ولو كان بأول نظرة فما بالك إذا كان بعد التأمل.

(٦) أبلج: واضح ظاهر. الصفر: النحاس.

(٧) عداة الخير: جمع عاد وهو العدو أي هم أعداء الخير: إن بعدوا عنكم فهو الهدي لكم وإن قربوا منكم أسيئوا الظن بهم لأن دأبهم معاداة الحق وكراهة الخير.

(٨) نصبوا: أي الإشراك والحبائل.

(٩) القساطل: جمع قسطل وهو الغبار الساطع.

وَلا تُبالُوا بقُطَّاعِ الطريقِ وإن سُلَّتْ على هامِكم في نَصرِه القُضُبُ[1]
وفُّوا الكلامَ وكونُوا في الذِّمام وفي خوفِ الملامِ على ما كانت العربُ

* * *

(١) سلت القضب: السيوف القواطع.

القصيدة السادسة

عَذِيرِي

عَذِيرِي مِنَ الخمسينَ حلَّتْ بِعَقْوَتي ... وَمن موجِعَاتِ الدهرِ تَنْقَضُّ قوَّتِي[١]

وبِيض بمرأى العين سُودٍ لدى النهَى ... تحكَّمْنَ في رأسي ووجهي بِسَطْوَةٍ[٢]

وفضلٍ أديمٍ لاح لي من وَذِيلَةٍ ... ضُحًى فاسْتَحالت ظلْمةً منه ضَحْوَتي[٣]

فضولٌ بلا فضلٍ ونورٌ بِلَا بَها ... وركْضٌ على شهباءَ تجري لهوَّةٍ

على أنني لم أُعْطِ فضلٍ مَقَادَتي ... لضعفٍ ولم تَقْصرُ عن المجدِ خُطَوتِي

فلا يَشْمَتِ الأعْداءُ فالضَّرْعُ حَافلٌ ... وما فاتَ مما في الإنا غيرُ رِغْوةٍ

لقد طار عن فَوْدي الغُراب وإنما العـ ... ـرابُ تَرانِي واثباً كلَّ صهْوَةٍ[٤]

فما خانَني صنْعُ المشيبِ بِلِمَّتِي ... وَلَا فَلَّ من عزمي ولَا من فُتُوَّتي[٥]

وَلا غضَّ حتَّى من عِنَان صَبَابتِي ... وَلَا رَيتُ من بيض الدُّمى نوعَ جَفْوةٍ[٦]

---

(١) عذيري من الخمسين: هات للخمسين سنة عذراً فيما فعلت بي. حلت بعَقْوَتي: نزلت بساحتي..

(٢) وبيض: ومن شعرات بيض.

(٣) وذيلة: مرآة يريد ما رأى في المرآة من تجاعيد وجهه وشبيه.

(٤) طار عن فودي الغراب: ذهب عن فودي الشعر الأسود ـ العراب: الخيل التي ليس فيها عرق هجين.

(٥) بلمتي: هي الشعر يلم بالمنكب. فل: كسر.

(٦) الدمى: يريد النساء.

ولا ذلَّلَتْ هُوجُ الخطُوبِ مطامِحي ... وَلَا قَرَّعَتْ سودُ المصائبِ مَرْوَتي[١]
حُسامٌ يمانيٌّ يزيدُ مَضاؤه ... إذ رقَّ جِسْماً عادَ مأْمُونَ نَبْوَةِ[٢]
قُيُونُ امتحانٍ زِنَّ مرأى فِرِندِه ... وأعَدَدْته لِلْفتْكِ في كلِّ هَبْوَةِ[٣]
تَقلَّبْتُ في خِصْبِ الزَّمانِ وبُوسِهِ ... فما عَلِقَتْ مِنِّي الليالي بهَفْوَةِ
جليدٌ حميُّ الأنفِ لم تَرْقَ ريبةٌ ... لديني ولا عِرْضي ولا لمُرُوَّتي[٤]
قريبٌ لدى السراء ليِّنُ جانبٍ ... وفي حالةِ الضرَّاءِ تشتدُّ نَخوَتي
فلم ينتقِصْنِي الفقدُ حبَّةَ خردلٍ ... ولا زادَ فيَّ الوُجْدُ آثارَ نَشْوَةِ[٥]
وراجعتُ أعمالي فلمْ أرَ نُقْطَةً ... تمسُّ بتاريخي النَّقيِّ لِصَبْوَةِ[٦]
ولكنها فضلٌ ونُبلٌ وعِفَّةٌ ... صعِدْتُ بها في المجدِ أمنعَ ذِرْوةِ
وَقورٌ إذا خفَّ الحليم ورابطٌ ... لدى الهَوْل لا تنْحَلُّ للخَطْبِ حَبْوَتي
وَإن نالت الأيامُ منِّي بِحَرْبِها ... أذاةً ففي خيرِ النبيِّينَ أُسْوَتي
وفيما جَرى للمرتضَى ولزَوجِه ... وأولادِه في ساعَة الكرب سَلوَتي
فلا تضحكِ الأيامُ إلّا لِسفْلةٍ ... ولَا تلتقي الأبطالُ إلّا بِعنْوَةِ
فكم كابَدُوا في الحق من محنةٍ وكَمْ ... لَقُوا من بلايا كلّ مَمْسىً وغُدْوَةِ
ولولاهُم مَا قامَ لِلدّينِ قائمٌ ... ولا أَصْبَحَ الإسلام روْضاً بِرَبْوَةِ
ولكن جِهادٌ فِيهِ تَسْتِبِقُ الطُّلَى ... وأجسادُها بَعدَ احتِجاجٍ ودَعْوَةِ[٧]

---

(١) هوج الخطوب: الأحداث الشديدة. والهوج في الأصل الشديدة الهبوب من جميع الرياح - مروتي: صخرتي. والمرو في الأصل أصلب الحجارة وواحدته مروة.

(٢) مضاؤه: نفاذه وقطعه.

(٣) قيون: جمع قين وهو الحداد. فرنده: وَشْيه. هبوة: غَبرة. يريد الحرب.

(٤) مروَّتي: مروءَتي.

(٥) الوجد بالضم: ضد الفقد.

(٦) لصبوة أي: لأجل جَهْلة الفتوة. متعلق بقوله تمس.

(٧) تستبق الطلى: تتسابق الأعناق إسراعاً إلى العدوّ.

حُروبٌ إذا عَضَّتْ رحاها ثِفالَها ... فما ثَمَّ غيرُ الهامِ في كلِّ لَهْوَةِ[١]
أَذَلُّوا لها تحتَ القساطِل أوجُهاً ... يَشُقُّ الدُّجَى فيها ضِياءُ النُّبُوَّةِ[٢]
أُولئكَ آبائي وعِزِّي وسُؤْدُدِي ... وفخري وذُخري واعتِصامِي وقُدْوَتي
جَرَى في عُروقي حبُّهم وبجاهِهِمْ ... لِيَ الأمنُ في الدارَيْنِ من كلِّ شِقْوَةِ
إذا زارَنا مِنْهُمْ خَيالٌ تَضَوَّعَتْ ... رُبانا بأَزْكَى مِنْ أريجِ الأُلُوَّةِ[٣]
سَأَمضِي علَى آثارِهم جُهْدَ طاقَتي ... وَإن صدَّنِي شَعبي وقومي وإخوَتي
فَفينا خُلُوفٌ مِنْ بَنيهِمْ تنكَّبُوا ... طريقَتَهُمْ ظلماً لحقِّ الأُبُوَّةِ[٤]
مذاميمُ لا بَغياً أهانُوا وَلا هُدًى ... أعانُوا ولكنْ في رضا كلِّ شَهوَةِ
ويا لَيْتَهمْ كانوا كَفافاً ولا اعْتَدَوْا ... ولا فتَحُوا للشرِّ أَشْأَمَ كُوَّةِ[٥]
مناسبُ عن مَرقاتها الطعنُ يرتَمِي ... ولكنَّهما الأعمالُ ضدُّ البُنُوَّةِ[٦]
يعُدُّونَ إعلاني الصَّوَابَ جريمةً ... ويَفرونَني أن كنتُ عنهم بِنَجْوَةِ[٧]

---

(١) ثفالها: جمع ثفال ككتاب وهو جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق. وهو مثل لشدة الحرب. وفي حديث عليّ وتدُقهم دق الرحى بثفالها أي تدقهم دق الرحى للحب إذا كانت مثقَّلة ولا تثقَّل إلّا عند الطحن. اللهوة: بفتح اللام وضمها ما يلقى في فم الرحى من الحبوب للطحن.

(٢) أذالوا: أهانوا واسترخصوا في سبيلها أوجهاً إلخ: القساطل: غبار الحرب.

(٣) تضوعت: فاحت. رباناً: جمع ربوة يريد رياضنا. أريج: رائحة. الألوة: بفتح الهمزة وضمها العود يتبخر به.

(٤) خُلوفٌ: جمع خلْف وهو من لا خير فيه.

(٥) كفافاً: لم يحسنوا ولم يسيئوا. الكوة: الثقبة في الحائط وجمع المفتوح كوات والمضموم كوى.

(٦) مناسب: أنسابهم شريفة عالية تنقطع المطاعن دونها ولكن أعمالهم سيئة ضد من ينتسبون إليه.

(٧) يفرونني: يقطعونني. أن كنت: لأن كنت. بنجوة: بمكان بعيد رفيع.

تـغـرَّبـتُ عُـقْـرَ الـدار فـيـهـمْ فـجلُّـهـمْ يَـقـولُـونَ تَـعْـسـاً لا لَـعاً عـنـد كَـبْـوَتِي[1]

وكـم فَـتـلُـوا لِـي فـيَ الـغَـوارِبِ والـذُّرَى وكـم زَوَّجُـوا مَـيْـنـاً لِـكَـيْـدِي بِـرِشْـوةٍ[2]

فـلـم يجـدُوا بـالـعَـجْـم في الـعُـودِ مـغـمزاً ولا هِـمّـتـي كـانـت عـلـيْـهـم بِـرِخْـوَةٍ[3]

وكـم قَـدْ تـحـدَّيـتُ الـمـرائـيـنَ فـانـثَـنـوَا وهـابـوا كـفـاحـي فـي الـجـدالِ بـجِـلْـوَةِ

وكَـم بـدعـةٍ أحـيَـوْا وكـم سُـنَّـةٍ مَـحَـوْا فَـقـدْ لَـبِـسـوا الإسْـلامَ مـقـلـوبَ فـرْوَةِ

ومـا لِـي سِـوَى حُـسْـنِ انـتِـظـاري عِـنـايـةً مِـنَ الله لـي مِـن غَـيْـرِ حَـوْل وقُـوَّةِ

وَوَعْـدٍ مِـنَ الـمـوْلـى الإمـامِ بِـنَـجْـدةٍ غَـدًا نَـجْـزُهـا مـنّـي عـلـى قـابِ غَـلْـوةٍ[4]

وبِـالـخـمـسَـةِ الأرْوَاحِ أَسْـتَـجْـلِـبُ الـمـنَـى وَأَسْـتَـدْفِـع الـبَـلْـوَى فـهُـم خَـيْـرُ عُـرْوَةِ

* * *

(١) عقر الدار: وسطها وأصلها. تعساً: هلاكاً وعثاراً. لا لعاً: لا انتعاش لك من كبوتك: يقول العرب في الدعاءِ عليه: تعساً لا لعاً له.

(٢) فتلوا: يقال ما زال يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته؛ والفتل: اللي. والغارب: مقدم السنام؛ والذروة أعلاه؛ والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يؤنس بعيره الصعب ليزمه وينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه ويفتل وبره حتى يستأنس ويضع فيه الزمام. ميناً: كذباً وبهتاناً.

(٣) بالعَجْم في العود: يقال: عجم العود إذا لاكه للاختبار. برخوة: لينة سهلة.

(٤) قاب غلوة: قدر رمية سهم.

القصيدة السابعة

أَئِنُّ من الأيامِ

أَئِـنُّ مـن الأيـامِ يـقْـرَعْـنَ مَـرْوَتـي ولـم أُوتَ إلَّا مـن قـبِـيـل مُـرُوَّتِـي[١]

لدَى فُسْحةِ الإمكانِ يمنَعنِي الحيَا وتـأْخـذُ مـن حَـزْمِـي دواعـي أُبُـوَّتـي

فَكم سَنَحَتْ لي فُرصةٌ لو نَهَزْتُها سَدَدْت مَجالَ الضَّيْمِ من كل كُوَّةِ

وكَم نازعتْنِي رَغْبَتِي في اغْتِنامِها فيأبى وفائي لِلْعلى فَصْمَ عُرْوَتي

فإما ارتماضٌ في احتِفاظٍ بشيمَتِي وَإما انْتِصَافٌ شَرْطُه قلبُ فَرْوَتي[٢]

يُسيءُ عدُوّي ثم يَعْصِرُ عينَه فأُغْضِي له عن كلِّ جُرْمٍ وهَفْوَةِ[٣]

وَيقلِبُ لي ظهرَ المِجَنّ متَى رأَى سَبيلاً إلى هَضْمِي وَإعلانِ جَفْوَتي[٤]

أَهمُّ إذا لانَتْ قَناتي وأَنثني عنِ الثّارِ ما أَحْسَسْتُ يوْماً بِقُوَّةِ

فلا أنا حينَ العَجْزِ باردُ خاطرٍ ولا أَنا في الإمكانِ بالغُ شَهوَةِ[٥]

تحيَّرْتُ في نفسي فإنْ قُلتُ إنّها حَلُومٌ فقد أَدَّتْ لِضُرّي وشِقْوَتِي

وَإنْ قلتُ من ضَعْف الإرادَةِ قصَّرتْ عليَّ نصوصُ الحلمِ والعَفْوِ خُطْوَتِي

---

(١) مَرْوَتِي الأولى: حجارتي. مُروَّتي: مروءَتي.

(٢) ارتماض: احتراق: يقال رمضت قدمه احترقت من الرمضاء وهي الحجارة الحامية من حرّ الشمس.

(٣) يعصر عينه: كناية عن شدة البكاء اعتذاراً.

(٤) المجن: الترس وقلب ظهر المجن يضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مودة ثم حال عن ذلك.

(٥) الإمكان: القدرة.

نَعمْ لا يجوزُ العَفْوُ إلّا لِمَنْ به ... يفيءُ إلى ظِلِّ الهُدى والفُتوَّةِ[1]

كما باللِّئام الفتْكُ أَوْلَى لِأنهم ... إذا لُوينُوا جاؤُوا بظلمٍ ونخْوةِ

وفي الفَضْلِ يومِ الفَتحِ والعَدل في بنِي ... قُرَيْظَة من طه لنا خيرُ أُسْوَةِ

ولكنَّها تُبْقِي من اللبْسِ عُقدةً ... لأن الكرامَ اليومَ عنا بنَجْوَةِ

فَهل نتناسى الحِلمَ من بعْد فَقدِهم ... ونَرْمِي بفَضْل الصفْحِ في قَعْرِ هُوَّةِ

وكم جرَّ حِلْمُ المرتضَى عن خُصُومِهِ ... بَلاءً وأفضَى بالمساعي لِكَبْوَةِ

ولَيْسَ بخافٍ حالهُمْ عنه وهوَ مَنْ ... علِمْناه من صِدقِ الظُّنون بذِرْوةِ

فيا علماءَ النفْس هَذِي قَضِيَّتِي ... فجيئوا مِنْ التفصيلِ فيها بصَفْوَةِ

* * *

---

(١) يفيء: يرجع ويعود.

القصيدة الثامنة

مُنَى كلِّ امرئٍ

مُنَى كلِّ امرئٍ أَنْ يستريحا   وأنْ يَرِدَ الهنَا أَبداً صريحا

ولا يرضى عن الأيامِ إلّا   إذا ساقَت له حظّاً ربيحا

وأَسلسَتْ القيادَ له وأَجْرَت   غداةَ الزجرِ طائرَهُ سنيحا(١)

كأنَّ لهُ على الملكوتِ عهداً   وحَقّاً في تحكمهِ صحيحا

يُمَنِّي نفسَه ببلوغِ شأوٍ   على طولِ اللّيالي ما أُتيحا(٢)

هيَ الدنْيا يُفَدِّيها بَنُوها   وتأبَى أن تُنيلَ المستَميحا(٣)

كَعَنْزِ السُّوءِ يغذُوها بِقَتٍّ   مربّيها فتتركهُ نطِيحا(٤)

أَبَتْ أن يُفْلِتَ الإنسانُ إلّا   هَزيماً أوْ قَتِيلاً أوْ جَريحا

فَرُوكٌ ليسَ يُدرِكُ خاطِبوها   وَإن كَلِفُوا بها أملاً نجيحا(٥)

وغايتُها لناكِحِها الرَّزايا   وإن مدَّتْ لهُ أجلاً فَسِيحا

معَارِكُ ليسَ للعشّاقِ مِنها   نجاً إلّا إذا ورَدُوا الضَّريحا(٦)

---

(١) الطائر السنيح: هو الذي يجري عن يمينك إلى يسارك والعرب تتيامن به.

(٢) ما أتيح: ما تيسر وما سهل.

(٣) المستميح: طالب العطاء.

(٤) ألْفتُّ: نبات تعلف به الدواب.

(٥) الفروك: المرأة تكره الرجل.

(٦) نجاً: نجاءٌ. الضريح: القبر أو الشق في وسطه.

وقدْ نَشَرَتْ معَائِبها بِنطقٍ ... يَراهُ أُولُو النُّهَى عَذْباً فَصِيحا

وكم سَمِعوا وقيذاً في هَواها ... وكم شَهِدوا بأَعْيُنِهِمْ ذبِيحا[1]

ولكنَّ الهَوى خصمٌ مبينٌ ... يزّنُ للفتَى الشيءَ القَبيحا

ومَن لم يُغنِه فيها عِيانٌ ... فلا تَعجبْ إذا شَنِىءَ النّصِيحا

وكلٌّ يَشتُمُ الدنْيا مقالاً ... ويَطْوِي في سَرِيرَتِه المديحا

وأيُّ حِمًى حماه عزيزُ قومٍ ... بعُسلة العَوالي ما اسْتبيحا[2]

وكم متعزّزٍ بجلالِ مُلكٍ ... تلاشَى عزُّه في يومِ نيحا[3]

وما رَقَصَ الجَهولُ على غِناءٍ ... بها إلّا وأوْشَكَ أن يَصِيحا

وما نَيْلُ السعُود بمستَحيلٍ ... لمن يعُطِي بها رأياً رَجيحا

فمِن قِبَلِ الفَتى يُؤتَى وَإلّا ... فألطافُ الكريم تضوعُ ريحا[4]

لهُ مِننٌ تسيلُ بها الغَوادِي ... فَهلّا شامَ بارقَها المليحا[5]

على حَبْلِ الذراعِ الخيْرُ مِنهُ ... وَيحسَبُ دونهَ الفلواتِ فيحا[6]

وكم عِدٍ خَسِيفٍ ضلَّ عنه العـ ... ـطاشُ ويَمَّمُوا وِرْداً نَضِيحا[7]

وعيسٍ أُوقِرَتْ ماءً وحَبّاً ... تموتُ من الصَّدَى وتُسَام شِيحا

---

(١) الوقيذ: الميت بالوقذ وهو الضرب بخشب ونحوه أي سمعوا أخباره.

(٢) بعسلة العوالي: بالرماح التي تهتز بأيدي الحماة وتضطرب.

(٣) نيح: بكى عليه.

(٤) تضوع ريحا: تفوح رائحتها الزكية.

(٥) الغوادي: السحب. شام بارقها: تنظره أين يصوب مطرها.

(٦) على حبل الذراع: في المثل هو على حبل ذراعك أي ممكن لك وقريب منك يريد أن الخير قريب من الإنسان. فيحا: واسعة بعيدة.

(٧) العد: بكسر العين؛ الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين. الخسيف: البئر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة. نضيحاً: يرشح بالماء القليل.

وكم مُتَسَنِّم الهضباتِ شَمًّا ... وما بلغَ الذُّرَى إلّا طليحا[1]

وتحتَ نِعالِه ما قدْ تمنَّى ... ولكن أُعْوِزَ الحظَّ المُريحا[2]

وأعلامُ السَّعادةِ ظاهراتٌ ... لذي عَيْنينِ إلّا أن يُشيحا[3]

ففِي الإيمانِ والإسْلامِ طِبٌّ ... لكلِّ ضنًى وإن أعيَا المسِيحا[4]

متَى رسَخَ اليَقينُ بقلبِ شخصٍ ... فلن يُبْقِي لهُ جَفْناً قريحا

فمِن مَلِكٍ لقلته حبِيسٍ ... وصعْلوكٍ بهِ يُلْفَى سريحا[5]

هوَ الملِكُ العظيمُ وقَلَّ أَنَّا ... نرَى أحداً بدولته شحيحاً

* * *

(١) شمًّا: شماء أي عالية. طليحاً: بالغ الإعياء.

(٢) أعْوزَ: أحْوج إلى الحظ المريح.

(٣) يشيح: يعرض.

(٤) طبٌّ: علاج للجسم والروح.

(٥) سريحاً: طليقاً.

القصيدة التاسعة

رِيمٌ تحرَّشَ

رِيـمٌ تـحـرَّشَ بـالـنُّـفـوسِ فـقـادَهـا ... ورمَى القلوبَ بسهمِه فاصْطادَها[١]
ضـربـتَ عشائرُه الخيامَ عَلَى الذُّرى ... ورَمَـتْ بـمَـدْرَجة الـهـوَى أوتـادَهـا[٢]
سَـنَـح الـعـشـيَّـةَ بـيـنَ أَتـرابٍ لـه ... في جَوْلةٍ حوْلَ الغِيَاض اعتادَها[٣]
يـخـتـالُ بـيـنَ سُـهـولـهـا وحُـزُونـهـا ... فـيـكـادُ يُـنْـطِـقُ بـالـسَّـلامِ جَـمـادَهـا
مـلأَتْ مَـحـاسـنُـه الـجـوانـحَ لـوْعـةً ... وشـكـتْ إليْـه مـن الـغـرامِ فـزادَهـا[٤]
من نظْرةٍ عَجلَى تَبَيَّغَ بِي الَجْوَى ... لو كُنتُ أَعلُم ما قَدَحْتُ زِنادها[٥]
فـلـقـدْ فـقَـدتُ رَكـانـتِـي ورَصَـانـتـي ... وأَبـتْ عُـيـونـي مُـذْ رَأَتـهُ رُقـادَهـا[٦]
مـا لـلـغـرامِ ولـمـةٍ رحـلَ الـدُّجَـى ... عنها وشقَّ ضحى المشِيب سوادَها[٧]
لـكـنَّـه ذهـب الـخَـيـارُ بـدَوْلـةٍ ... فـيـهـا اسْتَبَتْ عُفْرُ الفَلا آسادَها[٨]

---

(١) ريم: ظبي.
(٢) بمدرجة الهوى: بمسلكه وطريقته.
(٣) الغياض: جمع غيضة وهي الأجمة.
(٤) لوع: حرقة.
(٥) تبيغ بي الجوى: غلبني الهوى. يقال تبيغ به الدم غلبة.
(٦) ركانتي: وقاري ورزانتي.
(٧) لمة: الشعر يلم بالمنكب.
(٨) استبت: استمالت واستهوت. عفر الفلا: نوع من الظباء وهو أضعفها عذواً. يريد أنها سادت فيها الألفة وعمّ الأمن.

حيث التقتْ شِيَمُ العروبةِ عفَّةً ... ونـدىً أذالَ طِرافَها وتِلادَها[1]

وملاحةً وصباحةً وفصاحةً ... وشجاعةً عرف الكماةُ جِلادَها

حيث انجلت كنُسُ الدُّمى وكأنما ... ربَطوا بأَجنحةِ الغمام عمادَها[2]

بين المآسِد لا تزَالُ قِباؤهم ... يَتتَبَّعون منَ السماءِ عِهَادَها[3]

بِشَبَا الأسِنَّة والضُّبَى بسَطُوا بها ... ظِلَّ الأمان وسوَّرُوا أعدادَها

هي فِطرةُ الله التِي بقيَتْ على ... سَوْق الطبيعة لا نجا من كادَها[4]

ولقدْ أقولُ لعِاذلينَ تعاظَموا ... هذِي الصّفاتِ وجوَّزوُا أضدادَها

هلْ تُنكروُن من البداوةِ عِزَّها ... أَو تجهلونَ ذِمارَها وعِنادَها[5]

أَوْ تجحدونَ من المكارم حَظَّها ... أَوْ تكتمونَ من الفصِيح عَتادَها[6]

أَنَّى وقد ملأَ الزمانُ بعلمها ... أُممَ البسِيطةِ غوْرَها ونجادَها

وتَضَمَّنَ التاريخُ بعضَ حديثها الـ ... ـسَّامِي ومثَّلها لكُم وأعادَها

أَوَلم تكن أُسَّ العروبةِ؟ فانظُرُوا ... لِنِتاجها وتأمَّلوا أولادَها

أَوَ ما بها انفَتحت عقولُ أُولي النهى ... أَوَ لم تكن أصلَ العلَى ومِهادَها؟

لكِن لِسوءِ الحظّ جاءَ جماعةٌ ... يتَطفّلونَ فأشمتُوا حسَّادَها

سلبُوا العروبةَ زِيَّها وحُلِيَّها ... أفَيَسْلُبونَ بِإثر ذلك ضادَها؟

---

(١) أذال: امتهن طريفها وتليدها فأضاعه في المكرمات.

(٢) عهادها: جمع عِهد وهو أول المطر الموسمي وهو كناية عن الرحمات الإلهية والكرامات الربانية.

(٣) الشبا: حدّ كل شيء. الأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح. الضبا: الظبّي جمع ظُبَة كثبة. وهي حدّ السيف أو السنان ونحوه. أعدادها: جمع عد وهو الماء الدائم الذي لا انقطاع له كماء العين. أي حموا مياهها.

(٤) هي: أي العروبة.

(٥) ذمارها. ما يلزم حفظه وحمايته. عنادها: إباءَها وذلك أثر قوتها.

(٦) عتادها: ما أعدته للتخاطب من الألفاظ.

فلَقدْ سَرَى شرّ التفرنجِ بَينَهم ... وبشُومهِ قَعَدُوا لها مِرصادَها
ونَحَوْا مناهجَ في الكتابةِ جُلُّها ... ضَلّتْ عَلَى رَغْمِ البَيَانِ رَشادَها
أَفْنَوْا نفائسَ وقتِهِمْ عَبثاً وقَدْ ... ظنُّوا بِأنهمُ ارْتَقوا أطوادَها
وَلكَمْ فَتى منهم أضَاعَ حياتَه ... قَدْ كان نافِذَ فكرةٍ وقَّادَها
مِثْل الغرابِ وقد تشبَّه بالقَطا ... وأتى مذبذَبَ سِيرةٍ مَيَّادَها[1]
لا مِشْيَةَ الغِربان أتقنَ حِفظَها ... كلّا ولا صِفَةَ القَطاةِ أَجَادَها
يَتأثرونَ هوَى النفوس ولا نجا ... إلّا إذا عَصَت النفوسُ مرادَها
وتمسَّكتْ برسومها وبدينِها ... واسْتعذَبت في حِفْظِه أنكادَها[2]
من قبلُ دانَ لهذهِ اللغةِ العِدا ... لمَّا رَأَوْا حسَناتِها ومُفَادَها
ولكم رَوَوْا لرِجالها فيما مضَى ... من حِكمةٍ لم ينكروا إسنادَها
واليَوم يَغزوُها البنونُ بكيْدِهم ... في عُقْرِهَا ويُضايقون بلادَها
أَخذوا عنِ العُجْم القشورَ فأَغْضَبُوا ... أُمَّ اللغات وهيَّجُوا أحقادَها
قالوا نكثِّر قُلّها أوَ لم تكن ... تُغْنِي على طولِ المدَى رُوَّادَها
ظنّوا بها من جَهلهم أو عذرِهم ... فقرَ الكلامِ فحاولوا إمدَادَها
أفيَحسَبون معَ المجاز بأَنْ ... ما اخْترَعَ الأجانبُ سوفُ يُفْنِي زادَها
عذراً لكم منها وعفْواً عنكمُ ... لا تُصلحوها واحْذَرُوا إفسادَها

* * *

---

(١) ميادها: مضطربها أو مائلاً فيها وكان الأصل منادها وهو تصحيف.

(٢) أنكادها: الأمور العسرة الصعبة.

القصيدة العاشرة

تعَاتِبني

ولما وصلتُ «فلينبمغ»[١] سنة ١٣٣٠هـ؛ وجدتُ في الأنوف حميّة، وفي النفوس أريحيّة، شجعتني بمسَاعدة السيد محمد بن عبد الرحمن المنوَّر؛ على الدعوة لتأليف حزب[٢] بالنشرة الآتية في حرف اللام من هذا الباب، وإثر ذلك حصل التوجه إلى «بتاوي» وعقدت المجالسَ للبحث في الموضوع؛ وأنشدت هذه

(١) فلينبمغ: إحدى مدن جاوة مهجر الحضارة وكذلك بتاوة. وبتاوة هو الاسم القديم لجاكرتا.

(٢) ليس معنى هذا الكلام أن الإمام ابن عبيد الله كان يسعى إلى تأليف حزب سياسي ولكنه كان ميالاً إلى تجميع الكلمة وتوحيد الجهود لإصلاح حضرموت وفي الدعوة إلى الله ونشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهداية الضال وإرشاد الغوي ورعاية المحتاج ومساعدة الفقراء والمساكين بحضرموت وقد سبق أن أسس مثل هذا الحزب ببلده سيؤون ولكن تقاصرت همم المؤسسين بحضرموت وتخاذلت قواهم مما أدى إلى فشل هذه الفكرة النبيلة؛ ولهذا لما قدم الإمام جاوة؛ ورأى في الأنوف حمية وفي النفوس أريحية؛ طمع في تجميع كلمة العرب بجاوة؛ للقيام بإصلاح أحوال وطنهم حضرموت؛ لكنه اكتشف أن أهل جاوة تصرفوا بأكثر مما فعله أهل حضرموت ودخلت فيهم السياسة وربما لم يعلم الإمام؛ بأن المستعمر الهولندي لن يسمح بشيء مما رغب فيه؛ حيث إنه كان يبذل الجهود لإضعاف العرب؛ وتفريق كلمتهم؛ والتحريش فيما بينهم؛ لهذا فشلت هذه الجمعية وانتهى أمرها. ونرى أن الإمام قد حذرهم في هذه القصيدة من فتنة تقع بينهم أن تخاذلوا وتراجعوا وبالفعل وقعت الفتنة بعد ذلك بين حزبي الإرشاد والرابطة العلوية؛ وحاول الإمام ابن عبيد الله في زيارة أخرى لجاوة التوسط بين العرب المختلفين وبذل في سبيل ذلك أقصى جهده وغاية استطاعته فلم يوفق لأسباب كثيرة شرحتها في كتابي الاستزادة من أخبار السادة بتفصيل؛ واستقيت كثيراً من معلوماتي في هذه القضية من الجزء الأول من مخطوطة الإمام ابن عبيد الله بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت. (محقق إعادة الطباعة).

القصيدة في بعضها؛ فاهتز القوم ودبَّت الغيرة فيهم؛ وحميت أنوفهم؛ واتفقَ الأعيان من عدنان ومن قحطان[١] على الانضمام لذلك الحزب؛ وفعلاً وضعوا إمضاءاتهم على وثيقته التحضيرية، ثم ما لبث النفّاثون في العُقَد؛ أن الصقوا بمؤسس الحزب التهم السياسيّة؛ وهو منها بَراءٌ، وعنها بعيدٌ؛ فإنه عُلنَة لا يضمر غير ما يظهر؛ من وجوب انضمام العقلاء لإصلاح وطنهم؛ على الخطة التي رسمها القرآن وفصَّلتها كتب الشافعيّة المعتمدة، وقد تأثر البعضُ من تلكَ الأراجيف؛ وترامت بهم الظنون في ميادين الأوهام؛ واتفَق الاستعجال بالرجوع إلى حضرموت، ولكنه لم يذهب أثَرُ هذه الهزَّة أدراجَ الرياح، بل اشتملت منه النفوس على القدر الكافي للإلقاح، فهو على الإطلاق؛ أول حجر في أساس النهضة الحضرميّة؛ إذ لم ينتجوا إلّا ما ألقحته؛ ولم يدخُلُوا إلا ما فتحته، وَسَائِلْ من حضر ومن غاب؛ ومن مدحَ ومن عاب؛ فإنها لم تعقد الجمعيات إلّا بعده؛ ولا أنشئت المدارس إلّا بعقبه، غير ما وقع من الجمعيّة الضئيلة التي عقدناها قبل ذلك بـ «سيؤون» في حدود سنة ١٣٢٥هـ تحت رئاستي، وكان من مستشاريها السادة محضار بن عبد الله الحبشي؛ ومحمد بن طه بن محسن؛ وأَحمد بن محضار بن علوي؛ وعبد الله بن حسين بن محسن؛ وعبد الله بن شيخ بن محمد؛ وحسين بن سقاف آل السقاف؛ وعلوي بن عبد الله المشهور، وكان ذلك في عهد الوالد علوي بن عبد الرحمن السقاف[٢]؛ فقرَّره وارتضاه؛ وأمرني بإحضار قانونها؛ ليمضي عليها بالانضمام إليها، غير أني أكبرته عن ذلك، ولكن تلك الجمعيات لم تَسْلَمْ من أولي الأغراض؛ الذين فرّقوا الحضرميين بعد أُلفتهم؛ وشقُّوا عصاهم بعد اجتماعهم؛ وملؤوا تلك الصدور السليمة بالأحساد؛ كي يصطادوا في الماءِ العَكر؛ ويسودوا بالتفريقِ بين الناس؛ وابتغوها عِوَجاً.

---

(١) من المهاجرين.

(٢) علوي بن عبد الرحمن السقاف (١٣٢٨ ـ ١٣٥٧هـ) كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً تولى القضاء اثني عشر عاماً إلى وفاته وعاش فقيراً وولد وتوفي ببلدة سيؤون من حضرموت.

وأكثرُ من فتل في الذَّروةِ والغَارب لفشلنا؛ هُمْ من أصحابنا العلويين؛ حسداً وبغياً وظلماً وتعدياً، ومن جملة من تعرض للحزب؛ وطعن في النشرة الآتية في حرف اللام؛ الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب[1] رَحِمَهُ اللهُ في جريدته الوطن؛ وما كان طعنه عن وِجدان؛ ولكن تزلفاً إلى بعض منتحلي الولاية الكاذبة؛ والجاه المنفوخ؛ القاعدين للإصلاح بكل مرصد؛ كما أخبرني هو بكل صراحة؛ إذ اقتفاني إلى «بتاوي»؛ وهناك قابلني وجاء يزورني؛ وابتدأني بالمصالحة وبَدَهَنِي بقول أبي الطيب:

ومرادُ النفوسِ أَصغرُ من أن … نتعَادَى فيه وأَن نَتَفَانَى

فأحمدت أخلاقه ولا أنساها، وقد تولى الرَّدَّ عني؛ رئيس العلماء؛ سيِّد العلويين وقاضي القضاء بالمهاجر؛ بقية السلف الداعي إلى الله؛ الوالد عثمان بن عبد الله بن يحيى رحمة الله عليه؛ في منشورين طبع أحدهما لخصوص الرد عما تكلموا به علينا. والثاني للذَّبِّ عنا وعن طريقنا والذب عن غيرنا أيضاً؛ ووزَّعهما على الناس. فجزاه الله عنَّا وعن الحقيقة أفضل الجزاء.

وهذه هي القصيدة؛ وكان إنشاؤها في أوائل ربيع الأول من سنة ١٣٣٠هـ ببتاوي؛ وقد نشرها بعضهم ناقصة محرَّفة؛ كما شاء غرضه؛ وزيَّنَ له هواهُ. وهذا هو الأصل بنصِّه وفصِّه ولا عبرة بما خالفه.

تعُاتِبني العَواطفُ والضَّميرُ … فأنهضُ للصَّلاحِ ولا نصيرُ
وأَرجُو العَوْن من كبرَاءِ قومي … فيقْتُل هِمتِي الرجُل الكبيرُ
إذا فاوضتُهم في الأمرِ يوماً … أَجابوا ذَا مُحلٌ ما يصيرُ

---

(١) حسن بن علوي بن شهاب (١٢٦٨ ـ ١٣٣٢هـ) ولد بتريم وتلقى فيها علومه ثم رحل إلى سنغفورا ليدير أملاك والده الواسعة وتنقل بينها وبين جاوة وكان له نشاط أدبي وصحفي ملموس أسس صحيفة الوطن وترأس صحيفة الإصلاح وصحيفة الإمام وكتب في الصحف المصرية كالمؤيد والمنار وله كتاب نحلة الوطن الذي حمل فيه حملة شديدة على الأوضاع بحضرموت وانتقد فيها العلماء والأعيان بشدة أثارت عليه غضب الجميع وتوفي بتريم.

وكلُّ القومِ لا تستثنِ فرداً ... على الأطماعِ همتُهم تدورُ
تقدّمتِ البلادِ فويحَ قومي ... متى يتقدمُ البلدُ الأخيرُ؟[1]
يعزُّ عليّ أنّا في جمودٍ ... يموتُ بهِ التَّيقُّظُ والشعُورُ
وَأنْ العالمينَ بكلِّ أرضٍ ... يسيرونَ الأمامَ ولا نسيرُ
أرَى الوطَنَ العَزيزَ يزيدُ نقصاً ... وبَاعِي عن تدَاركه قصيرُ
خَبَتْ نار العُلومِ به وكانت ... كما علمَ الأنامُ لها الظُّهورُ
وصوَّحَ فيهِ بستانُ المعَالي ... وأَذْوَى رَوْضُها الزاهي النَّضيرُ[2]
وكدَّر جوَّه الصافي ظلامٌ ... من الأوهامِ يُزْجيهِ الغُرُورُ[3]
وَأُشْرِبتِ القُلوبُ به دِهاناً ... فما ثَمَّ انتقَادٌ أو نكيرُ[4]
تَعَاظمني المصابُ فذَادَ نَوْمِي ... وأرَّقنِي وأعوَزني السَّميرُ[5]
ولي قلبٌ يذُوبُ أَسًى وفكرٌ ... إذَا ما دارَ في هذَا يَحِيرُ
ففَضّلْتُ الرحيلَ ومِنْ خِلافِي ... صدُورٌ ما يفَارِقُها الزّفيرُ
تكادُ قلوبُهم وكذاكَ قلبي ... تذُوبُ من الصبابة أو تطيرُ
تجشَّمتُ النوَى للقَاءِ قومٍ ... لوصفِ حفيظِهم صيتٌ كبيرُ
بهم شرُفَتْ عواصمُ أرض جَاوَا ... فَهم بِبرُوجِها زُهُرٌ تُنِيرُ
قدِمتُ عليهم بِشَكاة أُمٍّ ... عليها قد تنكَّرَت الأمورُ
بلادكمُ التي فِيها رُبِيتُمْ ... غَدَت والشَّرُّ فيها مستطِيرُ

---

(١) وَيحَ: كلمة رحمة.

(٢) صَوَّح: تمَّ يبسه. أذوى: في اللغة: ذَوَى البقل ذَبَل. وأذواه الحر أذبله. أما أذوى اللازم فلم نطلع عليه.

(٣) يزجيه: يسوقه ويدفعه.

(٤) دهاناً: نفاقاً.

(٥) فذاد: فمنع ودفع. أعوزني السمير: جعلني في حاجة إليه.

وكانت جَنةً تزهو رُباها يُزيحُ بها ظلامَ الليل نورُ
وكانت للوجوهِ الغُرِّ مهْداً بهم أبداً لها طرْفٌ قريرُ
وهَا هُم في ضَرائحها رُقودٌ تفوحُ بنشْرِهم فيها القبورُ
وللعلماء فيها كان سُوقٌ وشأنٌ بينَ أهليها خطيرُ
على جُلِّ البلاد لها شُفُوفٌ وتكريمٌ فليسَ لها نظيرُ[1]
أَلا ذُو غَيْرة يَبكى لما قد جَرى فيها ومَدمَعُه غزيرُ؟
جَديرٌ أن يموتَ الحرُّ غَبناً ولكنْ أَيْنَهُ ذاكَ الجديرُ؟
أَتَرْضَوْنَ الضياعَ لها وأنتمْ بَنوها ما لها مِنكمْ مُجِيرُ؟
أترضَوْنَ العقُوقَ وفيه عابٌ؟ وما في برِّها شيءٌ عسيرُ
أَلا يهتزُّ للإحسانِ عودٌ؟ وبَينَ يديكمُ المالُ الوفيرُ
لماذا تَجْمَعُون إذا تركْتُمْ بلَادكمُ فضائلُها تَبُورُ
عسَى بِسماحكم تحيا فَتضحَى لأنهارِ الحياةِ بها خَريرُ
وأَبنيَةُ المدارسِ شاهقَاتٍ تناوِحُها الحدَائقُ والزُّهورُ[2]
وحكم اللّهِ بالإنْصافِ ماضٍ فلا قاضٍ ولا والٍ يَجورُ
وحزبُ الحقِّ يغلبُ كل باغٍ لِصَيْحتِهِ إذا نادَى صَريرُ
وأعضاءُ اللجانِ علَى وِئامٍ بهِ اشتَمل المُعارِضُ والمشيرُ
يدورُ الرأيُ بينَهُمُ وكلٌّ يدورُ مع المصالح إذْ تَدُورُ
فلُمُّوا شملَ أرضِيكُمْ وإلّا فإني بالشَّتَاتِ لكم نذيرُ
وإن يحتَج إلى تعبٍ قليلٍ فإنَّ الخيرَ في العُقْبَى كثيرُ

---

(١) شفوف: زيادة فضل.

(٢) تناوحها: تقابلها.

وإنْ دامَ التَّخاذُل والتَّواني ... فإنّ أمامَكم فِتَناً تَمُورُ[1]
وَعَفْواً أيها الفُضلاءُ إمَّا ... جَرى منّي تجرٌّ أو قُصورُ
فلمْ أجهرْ بهذَا القَولِ إلّا ... وبَينَ جَوانحي قلبٌ غيورُ

وقد كثر في القصيدة تعاقب الواو المضموم ما قبلها؛ والياء المكسور ما قبلها؛ وهو جائز عند أهل القَوافي؛ لكني أكرهه وأتنزه عنه الآن.

❋ ❋ ❋

(١) تمور: تموج وتضطرب.

القصيدة الحادية عشرة

إلامَ وأنتمْ

والقَصيدة التالية على أثر حادثة هيَّجت الغَيرة؛ واستثارت الحِفاظ؛ ذلك أنه حصل الدفاع عن قضيَّة؛ بالحقِّ الصريح المؤيَّد بالمعْتمد من المذهب؛ فلما انقطعت بالخصم الحبال؛ لجأ إلى الاحتيال، وتذَرَّع ببذْل المال، وتغلَّب بذلك على الشريعة؛ حتى كسرها جهاراً. وبعد الاستعداء برجال الدين؛ لم يزد أولو شجاعتهم أن قالوا: اللهم إن هذا منكر فأزلْه، وأخلد الباقون إلى الحَيْدة والسكوت. ومنهم من ارتاح لذلك؛ حباً للانتقام من المدافع عن الحق[1].

وغِبَّها[2]؛ خرجَ جماعة من العلويين وطلبة العلم؛ وفيهم المساعدون على كسر الشريعة؛ فتعرضهم بعض القبائل بالإهانة والأذى؛ والسبَّ والشتم؛ والتخويف والتهديد؛ ولم ينتطح في ذلك عَنزان؛ وكان ذلك في حدود سنة ١٣٣٦هـ؛ فقلت:

إلامَ وأنتـمْ يا بَني المصطفَى الرأسُ ... تنامونَ حتَّى يَعظُم الخطبُ والبأسُ[3]

بمِن غيرِكم يا مظهرَ الحقِّ والهدَى ... إذا لم تذُبُّوا عنهُما يهتدِي الناسُ

لقدْ دَرَسَتْ سُبُل العُلى وتنكَّرتْ ... فآثارُها بعد العمارة أدْراسُ[4]

ولم يبقَ منْ شرعِ النبيِّ سوى اسمِه ... بَلَى ومدادٌ في الزّوايا وقرطاسُ

(١) يقصد الإمام نفسه.

(٢) أي بعدها بيوم.

(٣) البأس: البأس أي الشدة.

(٤) أدراس: جمع درس وهو الطريق الخفي. يريد آثارها اختفت بعد الظهور.

لقدْ هتكَ الجهَّالُ سِتْرَ حريمِه وأنتمْ لهُ «يَهديكم اللّهُ» حُرَّاسُ
وقدْ نجَمت في قُطركم حيثُ إنكم سكتُّم ضَلالاتٌ تزيدُ وأرجاسُ[1]
دُجى الجهلِ والطغيانِ ألقى رِواقَه فهلْ لظلامِ الجهلِ والبَغيِ نِبراسُ؟[2]
بِأجْدادِكم للدّين قَرَّتْ عيونهُ وشِيدَتْ لأركانِ الشريعةِ آساسُ
على عهدِهم كانت رجومُ نجومهِ تُذيبُ العِدَا نيرانُها كلما جاسُوا[3]
بِهم زانتِ الأيامُ حتَّى كأنَّها عليهم من الله التحيةُ أعْراسُ
تراهمْ إذا ما الليلُ أرخى سُدُولَه قياماً لهم باللّه سَلْوى وإيناسُ
خلائقُهم زُهْرٌ وما في جُيُوبهم كما قدْ أتى في مُحكم الذِّكر أدناسُ
مراجيحُ سبَّاقونَ في كلِّ غايةٍ غَطارفةٌ غُرٌّ ميامينُ أكياسُ[4]
ملائكةٌ في سَمْتِهم ولدَى الوغَى لُيُوثُ الشَّرَى والمشرَفِياتُ أَخياسُ[5]
عليهمْ من البارِي الوقارُ وكيفَ لَا وهمْ بالنُّهَى في حضرة القُدْس جُلَّاسُ
إلى الملإ الأعلى بِهم يصعدُ الهُدَى فيَشْمَلهمْ من ذلك النورِ مقْباسُ[6]
وثَمَّ شرابُ القربِ تُجْلَى كؤوسُه وطوبَى لمن وافاه من بينهم كأسُ
حُظُوا بالهنَا بعد المتاعب والعَنا وما بالمُنى يُستخرجُ التِّبرُ والماسُ
على مالِهم يبكي الغَيورُ بحسرةٍ تصعَّدُ منها بالحرارة أنفاسُ[7]

---

(١) أرجاس: مآثم جمع رجس.

(٢) رواقه: جوانبه.

(٣) جاسوا: طافوا خلال الدور في الغارة.

(٤) مراجيح: حلماء. غطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف أو السخي السري. أكياس: جمع كيس كجيد وهو الفطن المتوقد.

(٥) الشرى: جبل بتهامة كثير السباع. المشرفيات: سيوف معروفة. أخياس: ملتفة؛ جمع خيس وأصله الشجر الملتف.

(٦) الهدى: في الأصل الهوى وهو تصحيف. مقباس: قبس وهو شعلة نار تقتبس من معظمها.

(٧) مالِهم: مآلهم وآخر أمرهم.

هدمتمْ بناءً شيَّدوه وما بِكُم لَعمريَ إلَّا الحقدُ والخوفُ واليأسُ
وإلَّا افتراق بينكم عمَّ شرُّه بهِ الضُّرُّ أنواعٌ لديكم وأجناسُ
وجُرثومةُ الداءِ الدِّهانُ هو الذي تفرَّعَ منه الشرُّ وانتشرَ البأسُ[1]
فهلَّا حكيمٌ ثاقبُ الفكرِ مخلصٌ لَمَا مسَّ أهلَ البيتِ من عِلَّة يَاسُو[2]
بنِي المصطفَى هُبُّوا فقد طال نومكمُ وما قامَ فِيكم للشريعةِ قسطاسُ[3]
لهذا تجرَّى الأرذَلونَ عليكمُ وآسفكم قومٌ مشائيمُ أنكاسُ[4]
تعدَّى حِماكم واستهانَ بقدْركم أناسٌ هُم واللّه في الأصلِ نَسْناسُ
هلُمُّوا فإنَّ الشرَّ أضرمَ نارَه أليسَ لكم «أحياكم الله» إحساسُ؟
هلُمُّوا فإنَّ الليثَ يحمِي عرينَه وقُوموا كما قدْ قامَ عمرٌو وجَسَّاسُ
ألستمْ أُباةَ الضَّيم من آل هاشمٍ بأهلكمُ انجابَتْ من الكفر أغلاسُ؟[5]
عليٌّ وخيرُ المرسلينَ وجعفرٌ وحَمْزةُ والسِّبطانِ والقَرْمُ عباسُ[6]
عليهمْ صلاةُ اللّهِ ما افترَّ بارقٌ وما ابتَسمَ الريحانُ والوردُ والآسُ
وما رَنحت أخبارُهم من يَودُّهم وما اهتزَّ غصْنٌ في الخمائلِ ميَّاسُ[7]

* * *

(١) الدهان: النفاق.
(٢) ياسُو: يأسو أي يداوي.
(٣) قسطاس: ميزان.
(٤) آسفكم: أغضبكم. أنكاس: ضعفاء.
(٥) أغلاس: جمعه غلس وهو ظلمة آخر الليل.
(٦) القرم: السيد المعظم.
(٧) رنحت: هزت ومالت. الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف. مياس: مائل من التحرك.

القصيدة الثانية عشرة

لقدْ لاحَ[١]

لقدْ لاحَ لي برقٌ جَلَتْه الحنادسُ ... فهاجتْ بأحشائِي المُنَى والهواجِسُ[٢]

وطِرتُ إلى عُلْوٍ بأجْنحِة الهوى ... وإن ظنّ بي السمّارُ أنّيَ جالسُ

فُصِلْتُ عن المحسوسِ بالرُّوح فانتهَتْ ... إلى حيثُ تجلَى للمعَنَّى العرائسُ[٣]

هناك تلاقتْ بي على غايةِ الصَّفا ... كرامُ السجايا والغَواني الأوانسُ

وشُقَّ حجابُ البَيْن لي عن أَحِبَّةٍ ... تناءَتْ بهم عنِّي عُقابٌ شوامسُ[٤]

ولم يَطْوِ عنِّي أُنسَ من غيَّبَتهمُ ... علينا على رغم الأنوفِ الرَوامسُ[٥]

فقرَّتْ بهم والعيْنُ يقْظَى بلابلي ... وعاد إلى التأميل حزَّانُ آيسُ[٦]

وفاز على طولِ التنائِي بِبِلَّةٍ ... يدِبُّ الَحْيا منها ويخضَرّ يابسُ[٧]

---

(١) يصف الإمام في هذه الأبيات حالة حصلت له من الحالات التي يذكرها الصوفية بانطلاق الروح خارج الجسد ويقولون بكون الروح دائماً ميالة إلى خالقها بالملأ الأعلى وقد تكلم عن هذه الحالة ابن خلدون في مقدمته وتكلم الإمام ابن عبيد الله في كتابه بلابل التغريد عن مثل هذه الحالات التي تنطلق فيها الروح إلى ما وراء الغيب وقال: إنها تسبقها بوارق ولمعات وإنها نادرة الحدوث إلّا في من وصل للمراتب العالية من السلوك.

(٢) الحنادس: جمع حندس وهو الظلمة أو الليل المظلم.

(٣) المعنَّى: المتعب المضنى.

(٤) شوامس: جمع شموس وهو النفور أو الصعب.

(٥) الروامس: جمع رمس وهو القبر.

(٦) حزان: كثير الحزن للبعد. وفي الأصل حران بالراء وهو تصحيف.

(٧) الحيا: الخصب.

ولكنَّها حالٌ سريعٌ زَوالُها وعن زَوْرِها من ظلمةِ الطبع حارس
إذا سنحت في غَفْلةِ الدهرِ مرةً أَغارَ عليها صرفُهُ المتشاوسُ[(١)]
حُدَاءٌ رمَى في قلبِ صبٍ مهزَّةً على لطفِ ذوقٍ فاستَتَبَّ التجانسُ[(٢)]
ومَن ذا الذي لا ينْتَشِي من صوادحٍ تَبيتُ لأنواع اللحونِ تمارِسُ[(٣)]
وفي النفس سرٌّ إن تبدَّى تبسَّمَتْ ثُغوُرُ الأماني واللّيالي عوابسُ
هيَ الزَّندُ لا تعطي ضياءً لمُدْلِجٍ إذا لم تساعِدْه عليها القوابِسُ[(٤)]
إلى الملأ الأعلى تميلُ بطبعها وتهتَزُّ لولا أنهنَّ حبائسُ
إذا شِمْنَ من حيِّ السعادةِ لمعَةً تشوَّفها كرَّتْ عليها الوساوسُ
وحاشا جنابُ القدسِ تغشاه طامِثٌ أَجَلْ أو دَنِيءٌ للرَّذيلةِ لابِسُ[(٥)]
فدُونَ التهاني موحِشاتٌ تنائف ونيرانُ حربٍ تصطليها الفوارسُ[(٦)]
فمَن رامَها فليتركِ العجزَ نجوةً فكلٌّ بما تأتي يداهُ مقايسُ[(٧)]

---

(١) المتشاوس: المتغيظ الغاضب.

(٢) مَهزةً: تحركاً ونشاطاً يقال: هز الحادي الإبل هزيزاً نشطها بحدائه.

(٣) صوادح: جمع صادحة أي رافعة صوتها بالغناء.

(٤) المدلج: السائر من أول الليل. القوابس: جمع قابس بمعنى مقبوس وهو شعلة النار المقبوسة من معظمها.

(٥) طامث: حائض.

(٦) تنائف: واسعة بعيدة الأطراف.

(٧) بهامش الأصل ما نصه: في مقايس هذا والبيتين بعدهُ تغيير حركة الدخيل وهو الحرف الذي قبل الروي من الكسر إلى الفتح والضم وهو جائز عند الخليل مطلقاً أي سواء كان الروي متحركاً أو ساكناً ورخص القاضي أبو الفضل جوازه بالروي المتحرك وهو الأقوى فما هنا على قولهما جائز غير معيب كما يعرف ذلك من عمدة ابن رشيق. وما جاء في منهل الوراد من خلاف ذلك مبني على المرجوح الذي ذهب إليه الأخفش. واختار ابن القطاع كالخليل خلافه. وقد قال سيد الشعراء المتأخرين:

لعل خيال العامرية زائر فيسعد مهجور ويسعد هاجر =

وفي نَيْلِها يحلُو المريرُ ويسهلُ الـ ـعَسيرُ ويزهو بالكرام التنافسُ
ومِن عجبٍ أن المطامع في الذُّرَى وأن الخُطَا في سيرها تتقاعسُ[1]
فَفي الزاد قلٌّ والطريقُ بعيدةٌ ومَعْفاءُ المَوْماةُ والليلُ دامسُ[2]
تُعاتبني أُم العلى وتقول لي إلى كم تَلُطُّ المهرَ والبنتُ عانِسُ[3]
وقد ذُبْتُ وجْداً من نواها وشَفَّني هواها ولكنِّي عن الحق ناعِسُ[4]
وما بَي من خيرٍ سوى حُبِّ خمسةٍ كرامٍ لهمْ خيرُ النبيينِ خامسُ

* * *

= ثم قال:

إذا سل سيف الدولة السيف مصلتاً تحكم في الآجال ينهى ويأمر

(١) تتقاعس: تتأخر.

(٢) الموماة: الفلاة ومعفاء: هلكة من العفاء؛ وهو الدروس والهلاك وذهاب الأثر؛ يريد والفلاة مهلكة فوصف الطريق بالبعد وأنها صحراء مهلكة للسائر فيها، وفي الأصل معفي وهو تصحيف.

(٣) تلط المهر: تجحده وتمنعها حقها منه. عانس: طال مكثها في بيت أهلها بلا زوال حتى خرجت من عداد الأبكار.

(٤) شفني هواها: هزلني وتخلني.

القصيدة الثالثة عشرة

كلُّ ليلٍ

أنشأت هذه القصيدة في سنة ١٣٥٥هـ؛ وسببها ما بلغني عن جماعة من العلَويين؛ أنهم خاضوا في التاريخ؛ فتخبطوا وتهضموا جدِّي المحسن[١] ورفعوا من قدر من لم يسع بقدمه، عن جهلٍ بعضُهم، وعن حسدٍ آخرونَ، وعن خسة ومصانعة لأعداء الفضيلةِ؛ فريقٌ ثالثٌ. ولولا أنهم من المتحرشينَ بالعلم؛ لما نبست ببنت شَفَة في الردِّ عليهم؛ لما أخذته على نفسي من التلزُّم بالسُّنة في الإعراض عن الجاهلين. وقد عارضت بها قصيدة شوقي[٢]؛ نابغةِ مصر فيما عارض فيه البحتري فقلت:

كلُّ ليلٍ وكلُّ مطلَع شمس ... فيهِ للناظرينَ أَفْيَدُ دَرْسِ

عِبرةٌ للعقولِ تُتْلَى وآيا ... تٌ تُجَلَّى من أَوْجِ قهر وقُدْسِ

بين عزٍّ وبين هُونٍ مطايا الد ... هر تجري وبين سَعْدٍ ونحسِ

---

(١) محسن بن علوي بن سقاف بن محمد السقاف (١٢١١ ـ ١٢٩٠هـ) كان فقيهاً وقاضياً وزعيماً سياسياً تميّز بالحكمة وصواب الرأي وكان من المؤسسين للدولة الكثيرية التي أسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري وبذل الزعيم محسن لأجلها جميع الجهود لتثبيت أركان هذه الدولة واستمرارها ثم تولى نصح سلاطينها وإصلاحهم وكان محباً للفقراء والمساكين عطوفاً عليهم ساعياً لمصالحهم وولد وتوفي بسيؤون من حضرموت. وفي هذه القصيدة شرح الإمام تاريخ اليمن وحضرموت ومن تعاقب عليهما من الدول مع وصف حالها إلى أن انتهى إلى الدولة التي شارك جدّه المحسن في تأسيسها.

(٢) المعارضة في الشعر معناها أن تعجب الشاعر قصيدة لشاعر آخر فينشىء قصيدة على وزنها وقافيتها وغرضها.

إنـمـا الـمـلـكُ والـمـراتـبُ فـيـه ... فـلَـتـاتٌ تـوزَّعُـوهـا بِـخَـلْـسِ[(١)]

دولٌ هـكـذا تَـقَـلَّـبُ مـن نـجـدٍ ... ومـجـدٍ إلـى انـحـطـاط ونَـكْـس[(٢)]

وإلـى الـعـدلِ يـرجـع الأمـر نُـجْـحـاً ... وحُـبـوطـاً فـإنـه خـيـرُ تُـرس[(٣)]

سـائـلِ الـدارَ عـن بـنـيـهـا وعـمَّـنْ ... قـد طـوتْـهـم مـن الـقـرُوم بـرمْـسِ[(٤)]

فـعـسـى أن تُـجـيـبَ عـنـهـمْ فَـتـشْـفِـي ... بـصـحـيـحِ الـحـديـثِ نـملـةَ نـفـسـي[(٥)]

فـلـقـدْ كـادت الـحـقـائـقُ تـخـفَـى ... بـيـنَ غـالٍ وذِي ضـغـائـن رِجْـس[(٦)]

يـحـشُـر الأولُ الـمـديـحَ لـمـن يَـهـوَى ... كـمـا يـشـتَـهـي الـغـلـوّ بـحـدَسِ

والـبَـغـيـضُ الأخـيـرُ لا يَـتَـقَـصَّـى ... أثَـرَ الـمـكـرُمـاتِ إلّا بـطَـمْـسِ[(٧)]

وخَـسِـيـسٌ يـقـولُ مـنْ غـيـر عـلـم ... ويَـبـيـعُ الـذمـامَ حـتَّـى بِـفَـلْـسِ

وروايـاتُ هـولاءِ لـدى الـتـا ... ريـخ رَدٌّ بـالـنَّـصِّ فـي كـلِّ طِـرْسِ[(٨)]

إنـمـا تُـقـبَـلُ الـروايـةُ مـن عَـدْ ... لِ خـبـيـرٍ مُـهـذَّبِ الـرأي نَـدْسِ[(٩)]

غـيـرَ أن الـجـزافَ مـنـهُـم يـؤدِّي ... لارتـيـاب لـدَى الـبـعـيـدِ ولَـبْـسِ

فَـطـلـبـنـا مـنَ الـدّيـارِ حـديـثـاً ... يـقـطـعُ الـشـك عـنْ عِـيـانٍ وحـسِ

وعَـسـى أنْ يـقـومَ لـلـصِّـدْقِ قـومٌ ... مـنْ بـنـيـهـا أُولِـى الـنِّـجَـارِ الأمـسِ

---

(١) بخلْس: باختلاس ومخاتلة.

(٢) نكس: هو قلب الشيء على رأسه.

(٣) النجح: النجاح والظفر ـ الترس: ما يتوقى به من السلاح.

(٤) القروم: السادة العظماء. الرمس: القبر.

(٥) نملة نفسي: علتها وأصل النملة بثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق.

(٦) رجس: قذر أي ذي قذر.

(٧) بطمس: بمحو لآثارها.

(٨) طرس: صحيفة.

(٩) ندس: فيهم فطن.

حدّثينا عن التبابع إذْ كنتِ ... على عهدِهم بحُلَّةِ عُرْس[١]
ولمن تَخْبَئينَ ما ادَّخَرُوه ... من كنوزٍ غَطُّوا عليها بِكَبْسٍ؟[٢]
وَصِفِي كندةَ الملوكَ فيا رُبّ ... كريمٍ فيهم ويا رُبّ جِبْسٍ[٣]
قادةُ الحربِ والكلامِ ولكن ... لا يُبالونَ في الملام بغَمسٍ[٤]
واذكري من أشعة الدِّين ما ... شَقَّ دُجَى جاهلية كان يُغْشِي[٥]
وصِفي الأعور الذي ثارَ للحـ ... ـقّ على زعمهِ بشدَّةِ وَطْسٍ[٦]
واشرحي ما دهاكِ منْ باس مُعْنٍ ... فحلِ شيبان من إسارٍ وحَسٍ[٧]
وَيكادُ القيامُ بالثّار لولا ... خالدُ الذلّ للمصيبةِ يُنْسِي
وانظري مَا جَرى من ابنِ زِيادٍ ... ثمَّ من آلهِ بِنَسٍ وَرَسٍ[٨]
فبطبْعِ الظروفِ لابد أن يُحْيُـ ... ـوا الذي سنّه بنُو عبد شَمِس
واذكرِي هِجْرة ابنِ عيسى وما سَـ ... ـوّاه من نهضة ومن قصِر نجسٍ[٩]
شادَ مجداً فكادَ أن يتداعَى ... منْ أفاعيل كلِّ قُلٍ ونِكْسٍ[١٠]

---

(١) التبابع: التبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع. قيل: كان ملك اليمن لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير.

(٢) بكبس: بتراب.

(٣) كندة: أبو حي من اليمن. جبس: لئيم ويطلق على الرديء أو الجبان.

(٤) بغمس: بغمس أنفسهم فيما يلام عليه.

(٥) يغشي: يغطيهم ويسترهم. (٦) وطس: وطأة.

(٧) إسار: أسر. حس: قتل. معن: معن بن زائدة الشيباني وهو من أجواد العرب.

(٨) بنسٍّ ورس: بسعاية وكذب. والنس من النسيسة وهي السعاية. والرس: خبر لم يصح؛ وأهله هم الذين يبتدئون الكذب ويوقعونه في أفواه الناس ومنه قول الحجاج لآخر: أمن أهل الرس والنس أنت؟

(٩) هجرة: لعله يشير إلى هجرة الإمام أحمد بن عيسى الذي سيأتي له ذكر في قصده التوسل به. بقصر نجس: ربما يقصد إحلاله السنة ومحاربته العقائد الفاسدة في حضرموت.

(١٠) قل: خسيس الدين. نكس بالكسر: ضعيف.

والصُّلَيْحِيُّ سابقاً قد طواها بِلُهامٍ رَمى الحِرارَ بِدَعْسِ[(١)]
ثمّ جاءتْ من بعدهِ دولةُ الغ زِبِزَنْجِيلِها المَريد الأخس[(٢)]
وخلالَ الغيوم لعبد اللّـ ـهِ مُلكٌ من التُّقى فوق أس
زانه الأمنُ والرخاءُ فقلْ ما شئتَ في عاهلٍ من العلم مكسي
فلقدْ كان عهدهُ أكثرَ الأيامِ خيراً منْ غيرِ جَوْرٍ ومَكْسِ[(٣)]
وابن مهديّ استَوَى فوقَ عرش المُلكِ فيها من دونِ ضربٍ وحَبسِ
ثم جاءَت بنُو رسولٍ وكانوا بعيونٍ لولا الحبوظيُّ نُعْسِ[(٤)]
وإلى يومنا وأحوالُ نهدٍ في اضطرابٍ ما بين برءٍ ونُكْسِ[(٥)]
فبنو ظنَّةٍ يقومُ لهم كُرْ سيُّم جدٍ بها ويقعد كُرْسِي
وابن مسعودٍ العفِيفُ به الغَنَّاءُ طابت بفضل عدل وغَرْس
وغَدَت في حبَائك العشب تُزْهَى كالعَروس انجلَتْ بوشْيِ الدِّمَقْسِ[(٦)]
ولبدرٍ من المحاسن ما أدناه أَمْنُ السَّراة من غيرِ عَس[(٧)]
دوّخ الأرض بالقنا والمواضي وبِشُمٍ لدى الكريهة شُكْسِ[(٨)]

---

(١) اللهام: الجيش الكثير العدد. الحرار: الأراضي ذات الحجارة النخرة السود الدعس: الطعن. مبالغة في شدة القتال.

(٢) الزنجيل: الضعيف البدن. المريد: الخبيث المتمرد الشرير. الأخس: الأرذل.

(٣) مكس: جباية. يريد من غير مظالم.

(٤) عيون نعس: نائمات.

(٥) نكس: بالضم عود في المرض.

(٦) حبائك العشب: طرائقه الحسنة الجميلة. بوشي: نفش حسن: الدمقس: الحرير.

(٧) السراة: سراة الطريق أي متنه ومعظمه أو السراة المعروفة في اليمن كما ذكره في اللسان. عسَّ: طوف بالليل لتعقب أهل الريبة.

(٨) القتا: الرماح. المواضي: السيوف القواطع. بشم: سادة ذوو أنفة جمع أشم ـ الكريهة: الحرب. شكس: سيئ الخلق للأعادي.

والعَمُوديُّ نالَ عزّاً ومجداً ... سالفَ الأمر ثم باءَ بعكس

وأجابَ الإمامُ صوتَ صريخٍ ... بالمغاوير من بَكيلٍ وعَنْسٍ(١)

وأتت يافعٌ بأعقاب هذا ... في ليالٍ على الكثيريِّ عُمْسٍ(٢)

وجرتْ بينهم خطوبٌ أعادتْ ... حربَ ذُبْيانٍ في مدَاها وعَبْسٍ(٣)

واستقامتْ أُمورهُم حينَ كانوا ... من لِباسِ الوفا بسابغ لَبْسِ

ثمَّ حادوا عن الطريقِ وعادوا ... لاختلافٍ قضى عليهم بِتَعْسٍ(٤)

وفشَتْ بينهم خلائقُ سوءٍ ... نبَّهتْ من حِفَاظ شُوس وشُمسٍ(٥)

فانْقَضَوْا في روايةٍ مثَّلتها ... قادةُ العلمِ والهدى مثلَ أمسِ

وبأنْقَاضهم أقامَ القعيطـ ... ـيّ له قَلعةً طَلاهَا بِكِلسٍ(٦)

وأتى غالبٌ بتدبيرِ جَدّي ... للأباطيلِ والفسادِ بكَنْسٍ(٧)

فاسْتَتبّ الأمانُ حيناً من الدهر ... وطابَ الوُرودُ للمتحَسّي(٨)

في مَراح الدُّمَى ومَثْوى الغواني ... صانها الله منْ أذى كلِّ رِكْسٍ(٩)

---

(١) صريخ: مستغيث. بكيل: في القاموس حي من همدان. عنس: مخلاف باليمن يقال له مخلاف عنس.

(٢) عمس: شديدة الظلمة.

(٣) ذبيان: قبيلة منها النابغة الشاعر. عبس: قبيلة مشهورة وكانت بينهما حروب ووقائع مشهورة.

(٤) بتعس: انحطاط وعثور أو هلاك.

(٥) خلائق: خصال. حفاظ: حمية وغضب. شوس: ذوو غضب جمع أشوس. شمس: جمع شموس وهو صعب الخلق.

(٦) بكلس: ما تطلى به الحوائط كالجص.

(٧) بكنس هو كسح القمام عن وجه الأرض يريد أنه أزال الأباطيل والمفاسد.

(٨) للمتحسي: للشارب في مهلة.

(٩) الدمى: يريد النساء الغواني. ركس: جمع من الناس. ويقصد هنا بلدة سيؤون عاصمة الكثيري.

مــهــدُ ظَــرف ودارُ أُنْــسٍ وفــضــلٍ ... ومــراعــي هــوًى ومــلــعــبُ خُــنْــسٍ[١]

ثــمّ لــم يُــحــمَــدِ الــمــآلُ لــظــلــم ... ســاءَه إذ رمَــى ضــعــيــفــاً بِــنُــهْــسِ[٢]

ولــئــن شــوَّه الــحــقــيــقــةَ مــخــتــانٌ ... يــكــيــدُ الــعُــلــى بــغــمــط وبــخــسِ[٣]

فــاســألــوا الــدارَ عــن مــســاعــيــه فــيــهــا ... إنَّ لــلــدارِ أَلــسُــنــاً غــيــرَ خُــرْسِ

ذلــكَ الــســيــدُ الــذي مــن ســمــاء ... الــمَــجْــدِ يــأوي إلــى مــنــازل قُــعْــسِ[٤]

شــرفٌ بــاذخ الــفــروع عــلــى هــامِ ... الــســهــا يــكِــبــتُ الــشــنــاةَ ويُــخــســي[٥]

بــحــرُ عــلــمٍ وطــوْدُ حــلــمٍ ركــيــنٌ ... حيثُ أَرسى مقاطع الفخر يُرْسِي[٦]

حــكــمــةٌ كــلُّــه وخــيــرٌ وظَــرفٌ ... وصــلاحٌ مــن غــيــر دَلْــس ووَلْــس[٧]

مــا رأتْ مــثــلَــه الــبــلادُ بــعــيــنــيــهــا ... عــظــيــمــاً ولا حــكِــيــمــاً يــؤسّــي[٨]

كــابدَ الــضُّــرَّ والــمــشــقــاتِ رِخْــوَ الــبــالِ ... بــالــمــصــطــفــى جــمــيــلَ الــتَّــأَســي[٩]

جــانــبٌ مــنــه لا يُــرام وأمّــا ... لــلــمــســاكــيــن فــهْــو لَــيِّــنٌ لــلــمَــجّــس[١٠]

---

(١) خُنْس: ظباء أو بقر وحشي.

(٢) لم تستمر العلاقة الطيبة بين الزعيم محسن بن علوي السقاف وسلاطين آل كثير لظلمهم الناس ومنها حادثة التعدي على مسكين وقطع أذنه لأنه اشتكى منهم جهاراً في المسجد فغضب الزعيم محسن من هذه الحادثة وخطب في في الناس منفعلاً ومعترضاً وكانت هذه الحادثة سبباً لوفاته.

(٣) مختان: خائن.

(٤) قُعْس: ثابتة رفيعة.

(٥) السها: كوكب خفي من بنات نعش: يكبت الشناة يرد الأعداء بغيظهم. جمع شانئ - يخسي: أي يقول لهم أخسؤوا.

(٦) أرسى: أثبت يريد أراد إرساءها. يرسي: يثبتها. وفي الأصل ترسي بالتاء وهو تصحيف.

(٧) دلس: خديعة، وولس: خيانة سمع أعرابي يقول لامرئ قرف بسوء فيه مالي فيه ولسٌ ولا دَلسٌ أي ما لي فيه خيانة ولا خديعة.

(٨) يؤسي: يداوي.

(٩) رخو البال: ناعم البال.

(١٠) المجس: مكان الجس واللمس.

لـلأيـامـى ولـلـيـتـامـى حـنـوّ مـنـه يَـسْـتَـلُّ كـل بـثٍ ومَـسٍّ[١]

نَـيِّـرُ الـفـكـرِ سـالـمُ الـذوقِ يـهْـفُـو قـلـبُـه عـنـد كـل ذِكْـرٍ وجَـرْسٍ[٢]

فـي مـطـار الـعُـلَـى يـحـلِّـقُ بـالـفـكـرِ فـيـلْـتَـذُّ بـاتِّـصـالٍ وأُنْـس

مُـصـلـحُ الأمـة الـعـظـيـمُ وداعـيـهَـا إلـى الـرُّشْـدِ حـيـثُ تـغْـدو وتـمُـسِي

كـلـمـا قـام فـي الـمـحـافـل أَلْـوَى بـأخـي وائـل وأَذْرى بـقُـسٍّ[٣]

ولـهُ فـي الـقـريـض مـا يـفـضُـلُ الـمـاذيّ بـالـعـذبِ مـن مـراشـفِ لـعـسٍ[٤]

فـيـهِ ضَـعـفٌ وإنـمـا فـيـهِ لـطـفٌ وسـخـاءٌ يَـدُرُّ مـن غـيـر بَـسٍّ[٥]

ونـفـوذٌ إلـى الـضـمـائـر حـتَّـى مـن نـفـوسٍ تـعـوَّدتْ مـا يُـقَـسّـي

تَـتـلاقـى بـه الـفـنُـونُ فـحـقٌّ مـعَ هـذا عـلـيـهِ أعـقِـدُ خَـمْـسِـي

يـا حَـلـيـفَ الـجـهـادِ قـم تَـرَما شَـيَّـدْتَ لـلـحـقِّ فـي انـهـدامٍ ودَرْسٍ

خـانـه الـحـظُّ فـاسـتـبِـيـحَ حِـمَـاهُ ورمـاهُ الـبـلاءُ مـن كـلِّ جِـنـس

وتـذكَّـرْ مـا قـلـتَ فـيـمـن سَـيَـبْـغِـي عـلّـه أن يَـبَـرَّ مـن غـيـر وَكْـس[٦]

فـلـقـدْ شـاعَ وانـتـجَـى الـنـاسُ فـيـهِ لاقـتـضـاءِ الـزمـانِ لـكـن بِـهَـمـس[٧]

---

(١) بث: حزن. مسَّ: تعب يصيبهم.

(٢) جرس: صوت.

(٣) أخي وائل هو سحبان؛ وقس هو ابن ساعدة الأيادي. وهما أشهر الخطباء عند العرب ويقال إن الجد محسن إذا خطب أمسك الناس فلم يجعلهم يذهبون إلى دكاكينهم وإشغالهم لفرط استحسانهم لكلامه.

(٤) الماذي: خالص العسل الأبيض أو جيده. مراشف: مواضع الرشف وهو المص. لُعْس: جمع العس وهو الذي في شفتيه سواد وهو مما يستحسن.

(٥) بسَّ: هو التلطف بالناقة لأجل أن تدر بأن يقال لها بسْ بس تسكيناً لها.

(٦) وكس: نقصان.

(٧) انتجى الناس: تناجوا فيما بينهم في شأنه همساً. وهو هنا يشير إلى السلطان بحضرموت والذي بغى وبدأ الناس يتكلمون عليه ولكن بهمس وسرية.

وعليكَ السَّلام منْ نجلكَ الشَّاكِي | الذي مَسَّه الزمانُ بِضِرْس[1]
سارَ في نهجكَ القويم ولكنْ | خانهُ قومهُ بغِشٌّ وَدسٍّ
حارَبوا الله بالتَّعدِّي عليهِ | وهوَ منْ لطفِه على خيْرِ حِلْس[2]
كلما غابَ يفترُون عليهِ | وإذا جاءَ لم يَفوُهُوا بِنَبْس[3]
ردّهُم عنه طُهر قلبٍ وعرْضٍ | وخلالٌ كمْثل مندوفِ بُرْسِ[4]
وتوَلَّاه بالعناية مولاه | فذلَّت له معاطِسُ حُمْسِ[5]
فاسألِ الله أنْ يديمَ له النُّعْمَى | معافًى من شَرِّ جِنّ وإنسِ

❊ ❊ ❊

---

(١) بضرس: أحد الأضراس المعروفة.

(٢) وهو من لطفه: أي وهو من لطفه تعالى به على أفضل بساط لم يضره ذلك التعدي عليه. الحلس: بساط البيت.

(٣) بنبس: أقل كلام.

(٤) برس بالكسر والضم: القطن.

(٥) معاطس: أنوف. حمس: شجعان أشداء.

القصيدة الرابعة عشرة

سُوقُ الفضيلةِ

وهذه في وصف بعض حال المموّهين؛ ووجوب الاعتمادِ على الشريعة؛ والاطراحِ لما عداها.

سُوقُ الفضيلةِ في أيامنا رخُصا — كأنَّ ما فيه من دُرِّ الكمالِ حَصَى
لا حظَّ إلّا لأبناءِ السفاحِ ومَنْ — نمَتْهُ أُمٌّ حَصَانٌ كابَدَ الغُصَصَا[1]
ما زالتِ الناسُ قبلي يشتكون لما — يلقَوْن من قِلَّةِ الأحرار والخُلَصا
واليوم أطلب إنساناً فأعوَزَني — ولم أجدْ غيرَ وحش تلبسُ القُمُصَا
فَهلْ حقيقةُ هذا الجيلِ ثابتةٌ — أم لا فإشكالُ هذا الأمر قد عَوُصَا[2]
ما للزمان قد استشْرَى الفسادُ به — والخيرُ فيه عَلَى أَعقابه نكَصَا[3]
غنيمةُ المرء بُعْدُ الناس عنه فلا — تَفْرحْ بآتٍ ولا تحزَنْ لمن شَخَصا[4]
ولا يغرُّك زِيُّ النُّسْكِ من أحد — فكم تنَسَّكَ دجَّالٌ ليَقْتَنِصَا
يمشي الهُوَيْنا بَشيءٍ في عمامته — كأنه الرَّوْقُ لكن في امتدادِ عصَا[5]
كأنما هوَ حاوٍ لا تفارقه — رَقطاءُ يُغْوي بها مَن عقلُه نَقصَا

---

(١) حصانٌ: عفيفة.

(٢) عوصاً: صار عويصاً صعباً.

(٣) استشري: لجّ وكثر وجد بلا فتور. نكص: رجع أدراجه.

(٤) شخصاً: شخص ببصره عند الموت فلم يطرف.

(٥) الروق: القرن.

مُـمُـوِّهٌ يـذكُـر الأخـيـارَ مـنـتـهـزاً بذكرهم من صِغار الأنفس الفُرَصَا
يَـرْوي غـريـبَ كـرامـاتٍ بـلا سَـنَـد وربما اختلقَ الأخبارَ والقِصَصَا
خَلُّوا الخرافاتِ والأحْلامَ إنَّ لنا ديناً قويماً من الأوهامِ قد خلَصَا
ما في شريعتنا وهْمٌ ولا شُبَهٌ لكن عزائمُ صدقٍ مازجتْ رُخَصَا
وهذهِ سيرَةُ الهادي وسنَّتُه من حادَ عنها ولو قِيدَ البنانِ عَصَى[1]
خيرِ النبيينِ من شُبَّاكُه لنُهَي أَهل النُّهَى قَدْ غدا من حبِّهِ قَفَصَا
لهُ وللمرْتضى منَّا التحيَّةُ ما غَنَّى الحمامُ وما بانُ النَّقَا رَقَصَا[2]
وما هُدِي الركبُ بالرِّيحِ النسيمِ وما أَنضَى الدليلُ بأنواعِ الحُدا القُلُصَا[3]

* * *

(١) قيد البنان: قدر الإصبع.

(٢) بان النقا: البان شجر يسمو ويطول في استواء ينبت في الهضب. والنقا: كثيب الرمل. رقصا: تحرك وتمايل.

(٣) أنضى الدليل: أهزل الدليل النوق بأنواع الحداء لحملها به على الجدّ في السير.

القصيدة الخامسة عشرة

أسائلُهم سِرّاً[١]

أسائلُهم سِرّاً هل البرْقُ أَوْمَضَا ... وهلْ من شُعَاعٍ فوق كاظمةٍ أَضَا؟[٢]

إذا الليلُ أدجَى بات طرفي يَشِيمهُ ... إلى أنْ بدتْ لي لمعَةٌ من سنَا الرَّضَا[٣]

تجلَّى بها للقلبِ نورٌ قضى بهِ ... من الرَّوْح والرَّيحانِ والأُنسِ ما قضَى

كزورةِ طيْفٍ أو كَنَغْبَةِ طائرٍ ... أَلَمَّ ولما غابَ ضاقَ بيَ الفَضَا[٤]

بوِجْدانِه آنستُ للعينِ قُرَّةً ... وأَوْدَتْ بيَ الأحزَانُ من بعد ما مضَى

وأَقتلُ ما كان الجوَى لمتَيَّمٍ ... أَشارَ لهُ محبوبهُ ثمَّ أعرَضا[٥]

نزلتُ عَلَى حكم الغرامِ ولم أجدْ ... لجامحِ فكري في الصبَابةِ مَرْكَضَا[٦]

وأمرضَ أحشائِي النَّوى غيرَ أنَّني ... جَهلتُ الذي هاجَ الشجونَ وأمرَضَا[٧]

---

(١) في هذه القصيدة نوع من الفلسفة والتفكر في أمور الحياة ولكن صاحبها إمام تقي صاحب عقيدة راسخة وإيمان قوي لكنه يجول أحياناً في بعض الأماكن ويتحدث حديث الفلاسفة ولكن ذلك ليس عن حقيقة وإنما هو ترويض لأفكاره واستعراض لإمكاناته ولن يعرف الإمام إلّا من قرأ كل كتبه مثل صوب الركام في أدب القضاء وكتاب بلابل التغريد وكتاب السيف الحاد لقطع الإلحاد فهي شاهدة على علمه وورعه وإيمانه وتقواه.

(٢) أومض البرق: لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغيم: كاظمة: موضع. أضا: أضاء.

(٣) أدجى: أظلم. يشيمه: ينظره. سنا: ضوء.

(٤) طيف: خيال. نغبة طائر: جرعته من الماء.

(٥) الجوى: شدة الوجد من العشق.

(٦) الصبابة: رقة الهوى أو الشوق ـ مركضاً: موضعاً للركض.

(٧) النوى: البعد والفراق. الشجون: الأحزان.

وجِرْتُ فلا أدرِي الطريقَ إلى الهوَى   وبَين ضلوعي شَب نيرانَهَ الغَضَى(١)
أأجْرِي كذا طَلْقاً إلى غَيْرِ غايةٍ   وأُرسِل للمُهرِ الشكيمَةَ رَيَّضَا(٢)
أُجَنُّ إذا جَنَّ الدُّجَى وأَذوبُ إنْ   أشارَ إلى الأطلالِ حادٍ وعرَّضَا(٣)
وعن كثَبٍ مني الحبيبُ فدارهُ   فؤادِي ويأبي الطبعُ أن يتَقوَّضَا(٤)
قريبٌ ولكنْ دونَ سامِي جمالِه   حجابٌ من النفس الكثيفةِ أغْمضَا
فسُقْها بأَنواع اللُّحونِ فرَّبما   يُلاقِي مهَزّاً من أَجاد وحرَّضا
وهل لكَ في تلطيفِها بمُدامَةٍ   تخِفُ بها روُحاً وتزكو وتُرْتضَى(٥)؟
بنَشوتِها تهفُو إلى حضرةِ العُلَى   وتدرِكُ في أوْج السَّعادة مَنْهَضَا
وما النفسُ إلّا بَذْرةٌ بِقرارَةٍ   وبَذْرُ الرُّبى إن جاده الطلُّ روَّضا(٦)
وفي فطرةِ الإنسانِ عِدٌّ لربِّها   فإن شاء أرواها وإن شاء غَيَّضَا(٧)
حسامٌ يماني وإن ساء غِمْدُه   ولن تغُمَد الأسيافُ إلّا لِتُنْتَضَى(٨)
يقولونَ ما في الكوْنِ هذا سعادةٌ   وطوَّل بعضٌ في الدليل وعرَّضا

(١) الغضى: شجر معروف. مفرده غضاة.

(٢) الشكيمة: حديدة اللجام المعترضة في فم المهر، ريضاً. مذللاً يقال: راض المهر ذلله وناقة ريض أول ما ريضت وهي صعبة بعد.

(٣) أجن: يذهب عقلي. جن الدجى: أظلم الظلام.

(٤) كثب: قرب. يتقوضا: يزول يقال: تقوض البناء انهدم.

(٥) في اعتقادي أن الإمام يقول هذا الكلام لمقتضيات فن الشعر وقد يبدأ كثير من الشعراء قصائدهم بالتشبيب بالمدامة عن غير قصد لها ولكن على ما سار عليه فحول الشعراء السابقين. وبعضهم يعطي المدامة معنى صوفياً فيقول: إن المقصود نشوة الحب الصوفي.

(٦) الربى: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض. الطل: المطر الخفيف. رَوّضا: صار رياضاً.

(٧) عِدٌّ: أصله الماء الجاري الذي لا تنقطع مادته كماء العين. ريها: ارتواؤها. غيَّضا: نقصه أو أذهبه.

(٨) لِتُنْتَضَى: لِتُسل.

وأثبتَ قومٌ آخرون وجودَها ... وَأَلْفَوْا لتدليل الأوائل مَدْحَضَا
وزاد جدالُ القوم واحتدَم الوغَى ... وكَمْ من لسان في القضيةِ نَضْنَضَا[١]
ولم يكن الباري ليختار آدماً ... ويشُقْيه لكن مَنْ له الأمرُ فوَّضا[٢]
فمَن جدَّ جاءَته الأماني ومَن أَبَى ... تجهَّمه صرفُ الليالي وأرْمَضا[٣]
بِخيِرَتهِ في نفسه السخطُ والرضا ... فإن شاءَ وَالاهَا وإن شاء أَبغضَا
وما كان تكليفُ الإلهِ عبادَه ... بأحكامه إلّا جميلاً تَمحَّضَا
فرائضُه سُوقُ النجاحِ فمن رَعَى ... شرائِعها أَثْرى ومن حاد أَنْفَضا[٤]
ومن عرفَ المطلوبَ طابَ وإن جَنَتْ ... على عَظْمِه الأيامُ حتى تَهَيَّضَا[٥]
تَهونُ البلايا والرزايا عَلَى امرئٍ ... بشيء من الإيمانِ والصبرِ عُوِّضا
يلاقِي الزمانُ الناسَ أَسودَ باسِراً ... ومن جاءَ بالإيمان لاقاه أَبيَضا[٦]
وكلُّ بني الإسلام في الخُسْرِ غيرَ مَنْ ... تَلزَّم بالتقوَى وسلَّم للقَضا
حَرٍّ أَن يكون العذْبُ موردَه غداً ... وإن لم يصله اليوم نال تَبَرُّضا[٧]

* * *

(١) الوغى: الحرب. نضنضا: تحرك.

(٢) إشارة إلى أن الإنسان مختار في أفعاله وهو مذهب لبعض المتكلمين.

(٣) تجهمه: استقبله بوجه كريه: صرف الليالي: حوادث الدهر. أرمضا: أحرقته الرمضاء.

(٤) أثرى: كثر ماله. يريد حصل على خير كثير. أنفضا بالفاء: ذهب زاده أي لم يبق له خير.

(٥) تهيضا: انكسر بعد الجبور.

(٦) باسراً: كالحاً قاتماً.

(٧) تَبرُّضا: شيئاً قليلاً من الخير في الدنيا.

القصيدة السادسة عشرة

أثارتْ بناتُ الشَّوق

أثارتْ بناتُ الشَّوق لي صورةَ الماضي ... فهيَّجْنَ أحزاني وأَنْفَجْنِ أمراضي[١]
وباعدْنَ أَجفاني وأَذكَينَ لي الجَوَى ... وذكَّرنَنِي الأعيادَ ما بين أرْباضي[٢]
ليالِيَ لا ندري لها اسماً كأنّما ... ضَربْن على أُذْنِ الزمان بإغماضِ[٣]
ليالِيَ فيها الدهرُ طالِعُه لنا ... سعيدٌ تلقَّانا وخاطرهُ راضي
قضيتُ على رغم النَّوى ورِضى الهوَى ... بها معَ فَضْل الصَّون سائرَ أغراضي
ليالِيَ تزْدانُ النوادِي بسادةٍ ... فتُمسي بهم غَرّاً ضواحكَ إيماضِ[٤]
نجومُ الهُدى بيضُ الوجوه كأنما ... سوادُ الدجَى فيهم لجلبابِهِ ناضِي[٥]
رجالاتُ صدقٍ يغضبُون لدينهم ... ويقضي القَضا في الابتلا ما هو القاضِي
نَمَتْهم أُبُوَّات تأشَبِ عِيصُها ... على كل طُلَّاع الثَّنايا وَفضْفاضِ[٦]

---

(١) أنفجن: أثرن.

(٢) أذكين: أوقدن وأشعلن. الجوى: الشوق. أرباض: جمع ربض وهو ما يستراح لديه من أهل ومال وقريب وبيت ونحوه.

(٣) إغماض: نوم. والشاعر يشبه هنا دور الإغماض في استمرار النسيان كما أن الضرب على الأذن يؤدي لاستمرار النوم

(٤) غرا: غراء. إيماض: لمعان وإشراق.

(٥) ناضي: متجرد.

(٦) تأشب عيصها: التف شجرها الكثير. الثنايا: جمع ثنية وهي الجبل. فضفاض: ما استوى من الأرض.

بحورٌ بعيداتُ الغوارب لا ترى ... لدى الأزْم منهم غيرَ طَلْق وفيَّاضِ[١]
كما لا ترى فيهم إذا التهبَ الوغى ... بلمْع المواضي غيرَ أغضفَ ميفاضِ[٢]
تَكُرُّ بهم آلُ الوجيه ولاحقٌ ... على جثثٍ يومَ النَّزال ورَضراضِ[٣]
عليهم وقارٌ كالرواسي وإن عَدا ... على الدين عادٍ مثَّلوا زَحْفَ نَضاضِ[٤]
أولئك آبائي ولستُ لِغيلَةٍ ... ولا وَلدْتنِي المنجِباتُ لإجْهاضِ[٥]
وقد كان شَملِي بالبقيّة منهمُ ... جميعاً بوادِي الزحمة العامر الغاضي[٦]
شيوخي الأولى مِنْ بَينِهمْ قد تقرَّحت ... خُدودي لرشٍّ بالدموع وتَرْحَاضِ[٧]
لَبِسْنا بهم حيناً مِن الدهر نعمةً ... بعيشٍ رَخِيٍّ مُقبلِ الحظ فَضْفاضِ[٨]
ليالٍ مضتْ وثْباً خِفافاً وأُعقِبَتْ ... بأيام إدبارٍ طوالٍ وَإعراضِ
أَناخَتْ علينا بالكلاكلِ وانْبَرَتْ ... تَعَضُّ بنا أنيابُها أيَّ إعضاضِ[٩]
وتأخذُ منَّا الطيبينَ وإن سَخَتْ ... فما هو إلّا بابن لُومٍ وجوَّاضِ[١٠]

---

(١) الغوارب: غوارب الماء أعالي موجه. الأزم: الشدة والجدب. طلق: يريد طلق اليدين سمحهما وطلق الوجه مشرقه. فياض: كثير الفيض والندى.

(٢) المواضي: السيوف القوطع. أغضف: غضوب. والأغضف من الأسد المسترخي أجفانه العليا على عينيه غضباً أو كبراً ـ ميفاض: جوال في ساحة الوغى يقال أوفضت البعير أوجفته في الركض.

(٣) الوجيه: فرس من خيل العرب نجيب سمي بذلك وكذا لاحق. رضراض: الأرض المرضوضة بالحجارة.

(٤) نضناض: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها.

(٥) لست لغيلة: لم أرضع لبن أمي وهي حبلى. والوالد إذا شربه ضوى. لإجهاض: لغير تمام الأشهر.

(٦) الغاضي: ذو الغضى له هَدَبٌ ينبت بالبرية.

(٧) بينهم: أي فراقهم. ترحاض: غسل.

(٨) رخي: ناعم. فضفاض: واسع كثير.

(٩) أناخت: بركت. بالكلاكل: بالصدور.

(١٠) لوم: لؤم. جواض. مراوغ مائل عن الحق.

تُعَوِّضُنا بالحُلوِ مُرّاً وبالهُدَى ... ضلالاً قِياضاً لا يروقُ لمعتاضِ
خُلوفٌ وإن كانوا بنِيهم فقد عَدَوْا ... عَلَى هَدْيهم ظلماً بأطرافِ مِقْراضِ
مشائيمُ بعدَ العزِّ والمجد أُخذِمُوا ... فأقْبِحْ بهم مِنْ وارثينَ وأبعاضِ[1]
عن الخير مِيلٌ بينما كل واحدٍ ... لدى حفلات الأكل كالجمَل الغاضي[2]
يُضَحُّون بالناموسِ من أجلِ أكلَةٍ ... فما همُّهم إلّا عمارةُ مِرحَاضِ[3]
وما الدينُ بين القوم إلّا دَرِيئَةٌ ... كشَبْكَةِ صيدٍ للحُطام ومِعراضِ[4]
يصُدُّونَني كيما أَبوءُ بوصْفِهم ... ذليلاً خسيساً مثلَهم بين أحْرَاضِ[5]
وكمْ أَعَملوا كيداً لقطعي فلم يكن ... جناحي وإن كادُوا وعادُوا بمنُهْاضِ[6]
صليبُ حُصاة لا تلين شَكِيمَتي ... لهوْلٍ ولا أُعطي الزمامَ لرَوّاضِ[7]
سأسعَى على ضَعفِي بكلِّ وسيلةٍ ... لِترميم مجْدِ السابقين بأنْقاضِ
عَلَى ذاكَ دَابي يهدِمُون وابْتَنِي ... وما قصدهُم إلّا أذاتي وإمعاضي[8]
ولا ذنبَ لي إلّا التفردُ وحدَه ... طوَوْا منه كشحاً فوق حقدٍ وإمضاض[9]

---

(١) أخذِموا: ذُلّوا.

(٢) ميل: مائلون. الغاضي: آكل الغضى شجر معروف.

(٣) الناموس: وعاء العلم أو هو السر. مرحاض: موضع الخلاء. وعمارة مرحاض تشبيه لطيف للأكول.

(٤) دريئة: أمر اتخذوه للخداع وأصلها ما يستتر به الصائد من الوحش ليختله حتى إذا أمكن رميه رمي. الشبكة بالتحريك شركه الصائد وسكنت الباء للضرورة. معراض: سهم يرمي به بلا ريش ولا نصل فيصيب بعرضه لا بحده.

(٥) أحراض: سفلة من الناس لا خير فيه.

(٦) منهاض: منكسر بعد الجبور.

(٧) حصاة: مفردَ حصًى وهو صغار الحجارة يريد شدة عزمه. رواض: صيغة مبالغة والرائض هو الذي يروض الدواب ويذللها.

(٨) إمعاضي: إيجاعي.

(٩) طووا منه كشحاً: يقال طوى كشحه على الأمر أضعوه وستره. إمضاض: آلام وأوجاع.

وما زالَ أَهلُ الحق في كل أمّة كثيري عُداةٍ في الأداني وإبغْاضِ[١]

ويا ليتَهم كانوا كأعدائي الأُلى مضَوا يَجدُ الهاجي لهم فيحَ أعراضِ[٢]

ولكن رُذالاً ذمُّهمْ رفعةٌ لهمْ وأسماؤهم للمجد لفحةُ إرماضِ[٣]

تجيشُ غروبُ الشَّعر في كلِّ مقْصدٍ وفيهم أَرَى جيَّاشَه جِدَّ مِنفْاض[٤]

❊ ❊ ❊

(١) الأداني: الأقارب. إبغاض بكسر أوله: بِغْضة نقيض الحب.

(٢) فيح أعراض: أعراضاً تتسع للهجاء.

(٣) إرماض: إحراق.

(٤) غروب الشعر: الغروب الدلاء العظيمة أي نفيض دلاء الشعر بما فيها في كل غرض. جد منفاض أي كثير النفض جداً والنفض نفضت الثوب والشجر نفضاً إذا حركته لينتفض.

القصيدة السابعة عشرة

كتابُ اللّهِ

وكان سببها أن جماعة من الإخوان اقترحوا عليَّ التأليف في الرد على الإرشاديين[1]؛ فقلت لهم: أفيدُ من ذلك أن تصلحوا أنفسكم؛ فإن الخَطْب بينكم

---

(١) قال صلاح البكري وهو من أشد المتعصبين لجمعية الإرشاد؛ قال عن تأسيس جمعية الإرشاد: وأراد الله تعالى لكلمته أن تعلو وللحق أن يتألق فهدى عصبة من العرب لتأسيس (جمعية الإصلاح والإرشاد) وإقامة مدرسة كبرى لها قام بالنفقة عليها عدد من أغنيائهم وعلى رأسهم السيدان عمر منقوش وسعيد مشعبي (لاحظ لقب السيدين) وقد افتتحت المدرسة في أواخر سنة ١٣٣٣هـ في مدينة بتافيا؛ والأهداف التي من أجلها أنشئت الجمعية ومدرستها؛ يمكن حصرها في الآتي:

أولاً: تأسيس مدارس في أندونيسيا للغة العربية وعلوم الدين.

ثانياً: نشر المساواة بين المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقول رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى»).

ثالثاً: محاربة البدع والخرافات والتوسل بالقبور والأحجار والأشجار والأولياء الأحياء منهم والأموات.

وأول من تولى التدريس في مدرسة الإرشاد الشيخ أحمد محمد السوركتي بالتعاون مع الأستاذ الشيخ أحمد العاقب والأديب الشيخ محمد عبيد بن عبود (صلاح البكري؛ الجنوب العربي قديماً وحديثاً طبعة دار العلم للطباعة والنشر صفحة ١١٨ ـ ١١٩).

كما أسس العلويون بأندونيسيا في الفترة نفسها الرابطة العلوية؛ وكانت هولندا كما ذكر القادري في كتابه كفاح العرب المسلمين في أندونيسا تحاول وضع كافة العراقيل ضد الحضارمة بأندونيسيا بسب نشرهم للإسلام وتوعيتهم للجاويين بأخطار الاستعمار الهولندي فلما نزغ الشيطان بين الإرشاديين والعلويين؛ ونشبت بينهما الفتنة؛ انتهز الهولنديون هذه =

أَعظم منه بينكم وبين غيركم؛ وأعداؤكم من أنفسكم؛ أشد ممن سواهم، ولا سبيل إلَّا بحفظ الشريعة؛ التي لا يضيِّع الله من احتفظ بها؛ وأن تأخذوا على يد المخالف منكم؛ وتردوه إلى الطريق؛ فإذا قمتم بذلك فقد كُفِيتُم كل مؤونة؛ وحصلت لكم كل معَوُنة؛ وإلا فأنفسَكم لوموا؛ وعليها فارجعوا؛ وإنا لم نؤمر بالسَّباب ولا بتقطيع الأسباب؛ وقلت في ذلك:

كتابُ اللّهِ للإصلاح داعي فهل حُرٌّ لقول الحق واعي؟

= الفرصة الذهبية وعملوا على توسيع شقة الخلاف وحالوا دون الاتفاق بين العرب الحضارمة حتى يحققوا أهدافهم في إضعاف قوة العرب وتأثيرهم بأندونيسيا.

وسبب الفتنة فتوى لأحد العلويين بعدم كفاءة زواج شخص هندي تزوج بعلوية وقد استعان الإرشاديون بالصحافة المصرية للتشغيب وبالذات رشيد رضا صاحب المنار وأسس العلويون صحيفة الرابطة العلوية بأندونيسيا واستعرت نار الفتنة بين الطرفين ولم يلتفت أحد لفتوى واحد من أكبر علماء حضرموت في القضية وهو السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف الذي استفتي في المسألة في سنة ١٣٢٣هـ: فأجاب بما اتفق عليه متأخرو الشافعية من أنه لا اعتراض على من يزوجها الولي الأقرب برضاها من غير الكفؤ. وقد حاول عدد من الشخصيات الكبرى التوسط بين الطرفين منهم السيد إبراهيم السقاف بتكليف من الملك عبد العزيز آل سعود كما كلف الأمير سيف الدين ابن الإمام يحيى الإمام ابن عبيد الله بالتوسط لحل الفتنة فبذل أقصى جهده ولكنه لم يوفق في مهمته واستغرب تشبث الطرفين بآرائهما وقال الإمام ابن عبيد الله: وكلما هدأت الثورة وسكنت الفورة أذكاها عشاق الفتنة المتصيدون في الماء العكر بجريدة (يقصد منشور) أو مقالة أو خطبة فاضطربت الحبال وزادت الأنكاد وكثرت الأحقاد فسقط مقام الحضارمة من النفوس وانمحى احترامهم من الصدور وبعد أن كانت الأهالي تتشرف بالانتساب إليهم بالصهر والجوار عادت تتقززهم وتنفر منهم وتستهزىء بهم وتجعلهم مضرب المثل في فساد الطباع وخبث الأخلاق وكثرة الظلم وسوء المعاملة. ولم يرض الإمام ابن عبيد الله أن ينضم لأي جانب بل حاول جهده للتوفيق بين الطرفين ونجده في هذه القصيدة ينتقد أصحاب الرابطة العلوية الذين طلبوا منه إنشاء قصيدة في هجاء الإرشاديين. فأنشأ هذه القصيدة التي يتآسى فيها على ما حدث وينصح فيها أصحاب الرابطة العلوية بالالتفات إلى إصلاح أنفسهم وحماية الدين وصيانة الأخلاق. وقد كتب في الجزء الأول من كتابه المخطوط بضائع التابوت عن هذه المسألة الشيء الكثير.

فقد بُحَّ المنادي للمعالي ... وما يُغْني النداءُ بلا استماع[١]
أَلا هِمَمٌ تطير بريش شوقٍ ... إذا حُدِبَتْ بأصواتِ السَّماع[٢]
أَلَا شَمَمٌ يكون دليلَ صدْقٍ ... على كرَم الأرومة والطباع[٣]
أَلا مُهَجٌ تذوب أَسًى ووَجْداً ... على الشرَف المعرَّضِ للضَّياع
بني الزهراءِ ليس الأمرُ سهلاً ... فقد حَسَر الفسادُ عن القَناع
ومسَّ الدينَ ضيمٌ واضطهادٌ ... وآذَنَ شملُه بالانصِداع
وحاولَ هتكَ حرُمتِه عِناداً ... أُلو الشِّيَمَ الدنيَّةِ بالخِدَاع
أعيرُوني بني الزهراءِ سمعاً ... لموعظةٍ يحرِّرُها يرَاعِي
فلي شجَنٌ بحالتكم عظيمٌ ... وأحزانٌ يضيقُ بها ذِراعِي
فحتَّامَ السكوتُ على البلايا؟ ... وحتَّامَ القعودُ عن الدفاع؟
وحتَّامَ التخاذلُ والتواني؟ ... وأنتم آلُ حيدرةَ الشجاع
فقُوموا للشريعة وانْصُروها ... فقد بلغتْ ثنيَّاتِ الوَداع
وصُدُّوا عن حِماها كلَّ باغٍ ... يكيدُ لها بما في المستَطاع
ولا تُغْضُوا عيوناً عن مساوي ... بَنيكم فهْي في الخَبَر المذَاع
وذُودُوا نومَ غفلتِكم وهُبُّوا ... بإخلاص لإنجاح المساعِي
ولُمُّوا شملكم بصحيحِ وُدٍّ ... يصَون عن التحاسدِ والنزاع
وبالرُّحْمَى أملؤوا الأحْشاءَ حتى ... تَزينَ بكم عقودُ الاجتماع
علامَ تفَرِّقونَ لغير شيء ... سوى حبِّ الرئاسة والمتاع
وكيف تَنافسون على مِحال ... يعودُ إلى تَلاشٍ وانقشاع[٤]

---

(١) بح المنادي: أخذته خشونة وغلظ في صوته.

(٢) السَّماع: الغناء.

(٣) الأرومة: بالفتح ويضم الأصل.

(٤) محال: هو روم الأمر.

أيا من هازمُ اللذات حيٌّ ... وأرواحُ العباد له مَرَاعِي[1]
أَيغفلُ عنه مَنْ هو كلَّ حينٍ ... تقومُ على عشائرِه النواعي
هي الدنيا إذا رَفعتْ أهانت ... وآلَ علوُّها للاتّضاع
فسائلْ أين مَنْ ملكوا ذُراها؟ ... وأين أُولُو المعاقِل والقِلاع؟
تغذَّوْا بالذائذ ثم صاروُا ... غِذاءً للعقارب والأفاعي
إلى الترب الترابُ هَوَى وطارَتْ ... بِهمَّتها النفوسُ إلى ارتفاع[2]
إلى الملكوتِ عالِمِها تناهَتْ ... تراقبُ أمرَ ذي العرْش المطاع[3]
لأمر رُشِّح الإنسانُ يسمو ... به إن لم يقصِّرْ في الزَّماع
وإن ضَعُفتْ عزيمتُه تردَّي ... إلى دَرَكِ البهائم والسّباع
بني الزهراءِ جَدَّ الأمرُ فامْضُوا ... على سَنَن الهُدى والاتباع
وذُودُوا عن حَرِيم الدين وامْحوا ... بهمتكم ضَلالَ الابتداع
ولا تهِنُوا ولا تألُوا اجتهاداً ... لِيأخُذ مجدُكُم في الارتجاع
فقد عظُم البلاءُ وما نهضْتُم ... إلى طرق النجاةِ بطولِ باع
تمادَى نومُكم فوقَ الحشَايا ... على لَدْم كأمثال الضِّباع[4]
إذا نزلَتْ بساحتِكم خطُوبٌ ... لَقيتُوها بآراءٍ شَعَاع[5]
كأنكم لفرقتكم سَفِينٌ ... يدافعها العُبابُ بلا شِراع[6]

---

(١) أيا من: أي أيا من يفعل ذلك والجملة بعده مستأنفة للخطاب بها.

(٢) التراب هوى: الجسم الترابي سقط إلى الترب وتلاشى والروح طارت إلى الملكوت الأعلى.

(٣) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

(٤) اللدم: الضرب ومن شأن الضباع أنها تسمع ضرب الصائد بحجر ونحوه فتخرج لتصيده فيصيدها. وهي من أحمق الدواب.

(٥) لقيتموها: أصله لقيتموها بمعنى تلقيتموها وقد تصرف الشاعر فيها بما ترى. شعاع: متفرقة.

(٦) العباب: الموج. شراع: بالكسر قلوع.

أَلا فَدَعُوا التواكلَ فهو شُومٌ ... وجدُّوا في النضال وفي القِراع

ولا يأخُذكُم في اللّهِ لَومٌ ... وِكيلُوا للعِدَا فَرَقاً بصاع[1]

وشرُّ عِداتكم منكم عُلاكم ... بهم أَضْحتْ من الهْب المشاع

بَنَتْ آباؤكم من ألف عامِ ... مفاخرَ عرَّضُوها للتداعي

فنادُوا واصدَعُوا بالحق جهْراً ... لكي تَشفَى الرؤوسُ من الصُّداع

وخَلُّوا الفخر بالآباءِ واسْعَوْا ... فما انقادَ المُنَى إلّا لِساعِي

وقد سنَح الزمانُ ألم تَرَوْها ... لِنهضتكم ونفعٍ وانتفاع

ووَلُّوا أمرَكم زعماءَ صِدْقٍ ... فلن يرجي النجاحُ بغير رَاعِي

وجُودُوا بالنفيس ولا تضِنُّوا ... فإن البخلَ من شِيم الرّعاع

وصُونوا أرضَكم فلها انتسابٌ ... بِطَيْبةَ وهي سيدةُ البقاع

بفضل محمد شرُفَتْ وهذي ... بعترتهِ تطول على الرِّباع[2]

فيا لله من نسبٍ قريبٍ ... تأَشَّب لا لِصهرْ أو رَضاع[3]

على البلدين لا زِلنْ الغَوادِي ... يَجُدْن بصيِّب ملءَ التِّلاع[4]

ولا بَرِح الحَيا من غير عَيْثٍ ... لينعَم ذو ارتيادٍ وانتجاع[5]

بحرمة من تبلَّجت الليالي ... بشمس منه باهرة الشعاع

عليه وآله منا سلامٌ ... يضاعَف ما دعا لله داعي

❋ ❋ ❋

---

(١) الفرق بفتحتين: مكيال بالمدينة يسع ستة عشر رطلاً.

(٢) الرباع: الدور والمحلة.

(٣) تأشب: التف واجتمع.

(٤) الغوادي: السحب. الصيّب: المطر. التلاع: ما انهبط من الأرض.

(٥) الحيا: المطر. عيث: إفساد. انتجاع: طلب الكلأ ومساقط الماء.

القصيدة الثامنة عشرة

تعرَّض لي[١]

تعرَّض لي في الصُّبح ساقٌ على فَرع ... يُغنِّي بما يُشْجِي القلوبَ من السَّجْعِ[٢]

فقيَّدني عن حاجتي بهَدِيره ... فأرعيتهُ سمعي وَأذْرَيتُهُ دَمْعِي[٣]

وحرَّك منِّي ساكناً فتزاحَمت ... شُجُوني لأني طارفُ العهدِ بالفَجْعِ[٤]

وذكَّرني الدهرَ الذي استجمع المُنَى ... كما شاءَت الأهواءُ في جانب الجِزْع[٥]

ليالي فيها لا نُراعُ من النَّوى ... ورَوضُ الهوى داني الأزاهير واليَنْع[٦]

ليالي كان الحيُّ يزهُو بجيرةٍ ... لهم حِلْيةُ التقوى إلى رقَّةِ الطبْعِ

مراجيحُ سبَّاقون في المجد لم يُرِد ... بهم ربهُّم للعالَمين سوى النفعِ[٧]

بهم كانت الأيامُ تُشرِقُ بهجةً ... وكانت لنا عِزَّاتهم زينَة الرَّبْع[٨]

مناجيدُ بسَّامُون في قسَماتِهم ... شهودٌ على حسن السوابق عن قطْعِ[٩]

---

(١) يبدو أن الإمام أنشأ هذه القصيدة بعد فترة قريبة من وفاة والده فهو يذكر أيامه ويحن إلى ذكرياته.

(٢) ساق: هو ذكر الحمام.

(٣) بهديره: بصوته. أذريته دمعي: صببت دمعي من أجله.

(٤) شجوني: أحزاني وهمومي. طارف العهد: حديثه. الفجع: الفجيعة والوجيعة.

(٥) الجزع: الحلة.

(٦) لا نراع: لا نفزَعُ. الينع: الإدراك والنضوج

(٧) مراجيح: حلماء.

(٨) الربع: المنزل.

(٩) مناجيد: نصراء جمع منجاد. قسَماتهم: وجوههم. جمع قسمة.

وجوهٌ لوَ أنَّ المدْلجينَ سَرَوْا على ... سَناها لأغنتهُم عن النَّجم والشمْع[١]

قوادِمَنَا كانُوا نَطيرُ إلى العُلى ... بهم ثم صرْنا في عِثَارٍ على ظَلْع[٢]

فُرادَى بحكم الدَّهر في دار غُرْبةٍ ... وكنا من البيضِ اللهاميم في جَمْع[٣]

فهل من سَلام في بكاءٍ لفَقْدِهم ... وفي عَبرَات تُنضِجُ القلبَ باللَّذْع

على مثلهم فَلتلطِمُ العينُ خَدَّها ... بسبْع من الحمْر القواني على سبع[٤]

وغيرُ غريب أن يذوبَ امرؤٌ لِمَا ... يشاهِده غَبْناً فما الصبرُ في الوُسعِ[٥]

فما جاءني إلا أَسًى بعدَهم وما ... أرانــي إلا حائراً ضيّق الذَّرع[٦]

تناهَى الصَّفا في قُرْبهم فتنبَّهت ... عيونُ الرزايا فانتهى الشَّعب للصَّدِع

ويا بِئسها من صفْقةٍ قُدِّرت لَنا ... بُزاةٌ نؤدِّيها بأغْربةٍ بُقْع[٧]

ويأخذُ منا الدهرُ عِقدَ جواهرٍ ... يعوِّضُنا عنها قلائدَ من وَدْع[٨]

إذا ما قَرَنا الحاضرين بِمن مضى ... جميلُ ثناهم لا يبوؤون بالشِّسْع[٩]

وأكبرُ ما نشكُوه من أهل عصرنا ... تهجُّم أرباب النفوذِ على الشرع

ومجلبةُ الآفات للدِّين قادةٌ ... يَدينون بالتمويه والميْن والخَدِع[١٠]

---

(١) المدلجين: السائرين في الظلام.

(٢) قوادمنا كانوا: كانوا أجنحتنا القوادم. ظلع: عَرجَ.

(٣) البيض: نقي الأعراض من الدنس. اللهاميم: السابقين إلى الخير. جمع: تضام والتام.

(٤) بسبع: يريد بشطر البيت الكثرة والتتابع في اللطم وبالحمر القواني قطرات الدم بدل الدمع.

(٥) غبناً: نقصاً وهضماً من حقه.

(٦) ضيق الذرع: ضعيف الطاقة.

(٧) بُزاةٌ: صقور. بأغربة بقع: خالط سوادها بياض وهي أخبث الغربان ونضرب مثلاً لكل خبيث.

(٨) الودع: الوَدَع المعروف.

(٩) بالشسع: شسع النعل وهو قبالها الذي يشد إلى السبر.

(١٠) المين: الكذب.

يُسيء امرؤٌ منهم ويحسَب أنه ... بتدليسهِ للخلق أحسنَ في الصنع

فكم سُنةٍ شنُّوا عليها بغارةٍ ... وكم زَيَّنُوا للناس من فتنةٍ بِدْعِ

قد اتَّضع الإنصافُ والفضلُ بينهم ... ولكنَّ أصحابَ الرذيلة في رَفع

ويا طالما قَارَعْتهم في مواعظي ... فلم يُغْن شيئاً في تراذُلِهم قَرْعي

ولا مِنبرٌ إلّا ولي فيه خُطبةٌ ... تَرِن ولكن ليس للصوت من رَجْعِ

وفي الحقِّ ما بيني وبين بني أَبي ... حروبٌ تُشيبُ الطفل ثائرةُ النقعِ[1]

وكم مسَّني في نُصرة الدِّين منهُمُ ... أذايا تَتَالَى من فُرادَى ومن شَفع

فما صدَّني عن خُطَّتي لومُ لائم ... ولا فلَّ من عزْمي ولا خانَ من نَزعْيِ[2]

وبالخمسة الأرواح أسأل نفحةً ... من الله تأتي مالكِ الجُود والمنْعِ

فهم سَبَبي في الجلْب من فائضِ الندى ... وعن إذنه من كل ما سَاءَهُمْ دِرْعي[3]

* * *

(١) النقع: الغبار.

(٢) قل: كسر.

(٣) هم درعي: وقايتي بإذن الله من كل ما يسوء.

القصيدة التاسعة عشرة

طربٌ تهيَّج

طربٌ تهيَّج بي لغير سُلاف	جَلَبَ السرورَ وهِزَّةَ الأعطافِ[١]
فلبِسْتُ ضافية الصبابة سادراً	وسَحَبتُ في مَرَج الهوى أطرافِي[٢]
ونَسيتُ عاديةَ الزمان وصِرتُ في	حِرز الأمان من العدوّ الجافِي
وبدَتْ لأجفانِ الفؤادِ أَشعةٌ	طارت به في ظلمة الأسداف[٣]
وسرَتْ إليه من العنايةِ نَسْمةٌ	منها يَضُوع المسك للمسْتَافِ[٤]
وتماثلت أحوالُه من بِلةٍ	وقعتْ إليه من الغَديرِ الصافِي
لو أنها بَقيتْ لدام نعيمهُ	في فُسحِة العَيْشِ الرغيد الضافِي[٥]
لكنها انقشَعت فذابت نفسه	وجَرتْ أسًى في دمعه الذَّرَّافِ[٦]
فكأنما جعَل القطا أحشاءَه	إذ طار بين قوادمٍ وخوافي[٧]

(١) السلاف: الخمر. الهزة النشاط. الأعطاف: الجوانب.

(٢) الصبابة: الشوق أو حرارته. سادراً: لا أبالي ما صنعت. مرج الهوى: شدة الفرح بسببه.

(٣) الأسداف: الليالي أي في الليالي المظلمة.

(٤) يضوع المسك: تفوح رائحته. للمستاف: يقال استاف الشيء استيافاً: شمه.

(٥) الرغيد: الواسع الهنيء. الصافي: السابغ.

(٦) الذراف: كثير الذرف والسيلان.

(٧) أحشاءه: قلبه: فقلبه شديداً الخفقان والاضطراب كحركة القطافي في طيرانه بين قوادمه وخوافيه.

وكأنما أنفاسُه من ثُقْبَةٍ ... في مِخْيَطٍ عن صدرِه الرَّجافِ[١]

سَنَحَت له أيامُه ثم انْثَنَتْ ... لأذاتِهِ بالكرِّ والإيجافِ[٢]

في غفلةٍ منها تَرشَّفَ دَرَّها ... ومَرَى الروائمَ حُفَّلَ الأخلافِ[٣]

في صحبة الغُرِّ المراجح طاهري الْـ ... أحسابِ زينة سَاكِنِي الأحقافِ

شمُّ الذُّرى خيرُ الورى نُور القُرى ... أسَدُ الشَّرَى من آل عبد مناف

لم يَدْرِ أحيانَ الصفاءِ بقدْرها ... ودَرَى به إذْ لاتَ حينَ تصافي

فتضاعفت حسراتهُ وكأنما ... ألقاه حرُّ الوَجْد بَينَ أثافِي[٤]

وكأنما في جَفْنه رَمَدٌ وفي ... أضلاعه كَمدٌ ووخز أشافي[٥]

هل من سبيل للخلاص قريبةٍ ... أو من دواءٍ للصبابة شافي؟

قد ضِقتُ ذرْعاً بالحضيضِ وفي الذرى ... بُعدٌ عليّ لشَيْبتي وقِطافِي

عملِي وحظِّي بالتخوف وإن تكن ... هِمَمي عَلَى هامِ النجوم هوافي[٦]

ومن القيودِ أَتى الحجابُ ونالت الْـ ... أسبابُ رأسَ المال بالإتلاف[٧]

هي محنتي الكبرى وفيها نعمتي الْـ ... ـعُظْمى وما في النِّسبتين تنافي

---

(١) الثقبة: الخرق النافذ وجمعها ثُقَب. المخيط: الإبرة. الرجاف: شديد الاضطراب. أي أنفاسه في ضيق شديد كأنما تخرج من ثقب ضيق جداً في مخيط خيط به صدره المضطرب الخافق.

(٢) الإيجاف: إجراء الخيل والإبل.

(٣) ترشف درها: مص لبنها. مرى الروائم. مسح ضروع النوق العاطفات على أولادها لتدر. حفل الأخلاف: مالئو الضروع باللبن.

(٤) أثافي: الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ.

(٥) أشافي: جمع أشفى وهي آلة الخرز.

(٦) التخوم: حدود الأرض. هوافي: تخفق بأجنحتها. عمله وحظه بالأرض وهممه فوق النجوم.

(٧) القيود: العوائق.

أخذَتْ عن القدس العلّي بحُجْزَتي وهواي فيها قد أصاب شَغَافي[(١)]
فاللّه أسأل أن يَشِفَّ حجابُها وتدومَ نعمتُها مع الألطافِ
متوسلين بأحمدٍ وببنتِه وابنيهما والأجدل النقافِ[(٢)]
إذ ما لنا أملٌ ولا عملٌ سوى حبِّ الكرام الخمسةِ الأشرافِ
وأبي وشيخي والفقيه وآله وبنيه والمحضار والسقاف
أن يكشف الله الكروب وينصر الْـ ـمحروبَ بالتأْييد والإنصاف[(٣)]
ويُعيذَه وبنيه من كيد العِدَا وأذى الليالي المتعبِ الوَّكاف[(٤)]
ويديم رفعتهم ويُعلي شأنهم ويعوّض المذهوب بالأضعاف
ويَزينهم بتقًّى وعلمٍ نافعٍ ويصونَ ماء وجوههم بكفَافِ
ويُقِرَّ أعينَهم بدولةِ مخلصٍ عدلٍ لأفواج البَلَا كشَّافِ
ويجودَهم بعوارفٍ من فضله ويعمَّهُم بمحاسنِ الأوصافِ
من حكمةٍ وعدالةٍ وشجاعةٍ وعبادةٍ وزهادةٍ وعَفاف
ويُبيحَهم كَنَفَ الرضا ويُديمَهم منه بظل الروضة المئناف[(٥)]
يا ربِّ قد ضاقَ الخِناقُ وليس في الـ إلحاح فائدةٌ وعلمُك كافي
أنت العليم بما تُجِنّ صدورُنا ما في القلوب عليك شيءٌ خاف
ونَداك مبذولٌ وجودُك فائضٌ وحِماك لا يُحْمَى عن الأضياف

---

(١) بحجزتي: بموضع شد الإزار فتمكنت من الحيلولة بينه وبين القدس الأعلى. شغافي: سويداء قلبي.
(٢) الأجدل: الصقر. النقاف: الذي يكسر هامات الأعداء. يريد الإمام علياً كرم الله وجهه.
(٣) المحروب: المسلوب ماله.
(٤) الوكاف: كثير التتابع.
(٥) كنف الرضا: جانبه. المئناف: التي لم يرعها أحد. يقال روضة أُنُفٌ لم توطأ وكذا مئناف وهي أحفل الرياض بالثمر.

فارْدُدْ علينا من شُعاع الحقِّ ما ... نَجْري به في قِدَّة الأسلاف[1]
وافْتحْ بصائرَنا ونوّرها من الْـ ... إِيمان والتقوى بنورٍ وافي
فمع اليقين الشَّرْيُ أَرْيٌ والبَلا ... إن لم يصِلْ للدَّين كالإتحاف[2]
مِن فقدهِ عدِم الملوكُ صفاءَهم ... وصَفًا به عيشُ الفقير الحافي
وعوارفُ الوهابِ لا تُحصَى وقد ... تأتى بغيرِ توقُّع للعافي[3]
وعلى انقطاع الوحي نُدرِك نِبْرةً ... من شأنِ صاحبِ سورة الأعرافِ

* * *

---

(١) قدة الأسلاف: طريقتهم.
(٢) الشري أري: شجر الحنظل عسل حلو. البلا: البلاء والمحن فهي ما لم تصل للدين كالتحف التي تهدى.
(٣) للعافي: لطالب المعروف.

القصيدة العشرون

أرى الجهل

وقد اتفق لي في شَرْخ الشباب[١]؛ أن أفضتُ في درسي كجاري عادتي[٢]؛ في النعي على الخرَّافيين وتفنيد مزاعمهم؛ وأنكرتُ قولَ بعضهم: إنَّ أَتان الفقيه المقدَّم[٣] قدِّس سرُّه كانت تعرج إلى السماء؛ وَتأتي بخبرها طرفي النهار؛ مع أن البراق لا يقدر على ذلك؛ فلو أنها حضرت ليلة المعراج؛ لأغنت عنه؛ لأنَّ البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح. وقَوْلُ بعض آخر عن بعض العلَويين: إنه كانت له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أَشهر؛ فتزوّج فلاحة فنشَزت الشريفة؛ فخيّرها بين الرجوع؛ أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحة؛ ولما أصرَّت؛ فعَل ما تهدَّدَها به؛ وولدت الأخيرة لثلاثة أشهر من حين الدخول. وقولُ آخر: إنَّ أحد الأولياء مات عن زوجة صالحة من غير ولد؛ فاشتدَّ حزن تلك الصالحة وعظم وَجْدها عليه؛ فكان يتردد عليها من ضريحه؛ حتى أحبلها بعد موته؛ فجاءت بولد نسبوه إليه[٤].

---

(١) شرخ الشباب: أوله.

(٢) كان الإمام يعقد دروس مرتبة في مسجد طه في الفقه والتفسير والشمائل النبوية ويحضرها الكثير من الناس.

(٣) الفقيه المقدم (٥٧٤ ـ ٥٦٣هـ) هو جد العلويين بحضرموت واسمه محمد بن علي بن محمد باعلوي وكان متبحراً بالفقه ولهذا سمي بالفقيه المقدم وهو أول من انتهج الصوفية مع الشيخ سعيد العمودي بحضرموت وقد ولد ومات بتريم.

(٤) لم يذكر الإمام في أي زمن كان ذلك ولا في أي منطقة من مناطق حضرموت.

وطالما أنكرتُ مثل هذه الأضاليل التي لها يتذمَّر الإسلام، وتتنكس الأعلام، وتَكلُّ عن عدِّ شرِّها الأقلام، فما حصلت إلّا على الملام، وذلك هو الذي استغرق جهدهم في تشويه سمعتي؛ والتمضمض بعِرْضي؛ والتقوُّلِ عليَّ؛ والسَّعاية بي؛ لولا وقاية الله.

ومع هذا فلا يتظَنَّى امرؤٌ[1] أنِّي أحط من مراتب الأولياء السامية، أو أغمِض من فضائلهم النامية، كلا والله؛ فإنني أتبرك بمواطئ أقدامهم؛ وأتشرف بأن أُعدَّ في جملة خدَّامهم، وبحمد الله قد حصل لي الحظُّ الأوفى من اعتنائهم، والنصيبُ الأكبر من صدق وَلائهم، أولئك الذين لا اعتراض للشرع عليهم بحال؛ ولا للنقد في طريقهم أبداً مجال. ومن زعم أنَّ بين الشريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني[2]: سمعت المرصفي يقول: لا يكمل الرجل في مقام العلم والمعرفة؛ حتى يرى الحقيقة مؤيِّدة للشريعة. وإن التصوُّف ليس بأمر زائد على السنة المحمَّدية؛ وإنما هو عينها. وقال: سمعت الخواص يقول مراراً: من ظنَّ أنَّ الحقيقة تخالف الشريعة؛ أو عكسه؛ فقد جهل. انتهى.

وجاء عن غير واحد من العارفين: أن الطرق إلى الله تعالى مسدودة؛ إلَّا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء؛ وقد أخلَّ بحكمٍ واحد من الشريعة؛ فقولوا إنه زنديق، والأدلَّة في هذا عن الصوفية؛ فضلاً عمن سواهم من الفقهاء؛ لا يضبطها الحصر.

ولئن اشترط القشيري[3] الحفظ للأولياء؛ فالعصمة بالاتفاق لا تكون إلّا

---

(١) لا يتظنى امرؤ: لا يُعمِل ظنّه.

(٢) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري (٨٩٨ ـ ٩٧٣هـ) المشهور بالشعراني، العالم الزاهد الفقيه المصري الصوفي ويسميه الصوفية بالقطب الرباني.

(٣) أبو القاسم القشيري (٣٧٦ ـ ٤٦٥هـ) إمام الصوفية وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف كان من كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر ويسمونه (زين العلماء) وهو من مواليد نيسابور.

للأنبياء، وقد أُثِرَ عن إمام دار الهجرة[١]؛ أنه كان دائماً يقول: كلٌّ يؤخذ من كلامه ويترك؛ إلّا صاحب هذا القبر الأعطر.

ويعجبني من الآلوسي[٢] تأويله ما ذكره ابن عربي[٣] (الطائي) من حياة أربعة من الأنبياء؛ وأنهم لا يزالون في الأرض؛ وقولهُ بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نُأوِّل كلامه حتى يتفق مع كلام الله تعالى؛ وكلام رسوله ﷺ؛ وأما العكس فما لا سبيل اليه؛ إذ الدين يصير بذلك لعبة لعَّابْ. (انتهى بمعناه).

فمتى نُسب ما ينكره الشرع؛ إلى من تحقَّقت فضيلته؛ وصحَّت ولايته؛ فالتعليل[٤]؛ فإن صحَّ السند؛ فالتأويل؛ فإن لم يمكن إلَّا هو؛ أو الشريعة؛ فهي آثر؛ لأنَّ احترامها يجب أكثر، أوَلا ترى إلى ابن حجر الهيتمي؛ وهو من أنصار الخوارق؛ وأشدُّ الفقهاء تعصباً للصوفية[٥]؛ يقول في تحفته: قال القاضي أبو الطيب؛ وهذا يدل على انه لا يحكم بما يمكن من كرامات الأولياء؛ ولهذا قلنا: من تزوج امرأة بمكة وهو بمصر؛ فولدت لستة أشهر من العقد؛ لا يلحقه الولد. قال الزركشي: نعم؛ إذا ثبتت الولاية؛ وجب ترتُّب الحكم على الإمكان؛ عن طريق الكرامة. قاله في المطلب؛ وهو إنما يأتي فيما بين الولي وبين الله؛ في أمر موافق للشرع؛ مكنَّه منه خرقاً للعادة؛ وفعلَه؛ فيترتَّب عليه أحكامه باطناً؛ أما ظاهراً؛ بلا نظر لإمكان كرامة مطلقاً (انتهت عبارة التحفة). وأمثال هذه المسألة قد قتلتهُا بحثاً في رسالة مبسوطة سميتها «الكوكب الدُّرِّي في الرد على السيد سالم بن علوي الجفري».

---

(١) الإمام مالك.

(٢) هو محمود شهاب الدين الحسيني العراقي الآلوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ) مفسر ومحدث وفقيه وأديب وشاعر ومن أشهر مؤلفاته روح المعاني في تفسير القرآن الكريم.

(٣) محيي الدين ابن عربي الطائي الأندلسي يسميه الصوفية بالقطب الأكبر ولد بالأندلس وتوفي بدمشق وتنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية.

(٤) لعله فالتدليل أي إقامة الدليل على صحة النسبة والإسناد.

(٥) وعلى عكسه ابن المقري صاحب الإرشاد الذي كان حرباً على الصوفية.

وكثيراً ما سمعت والدي رحمه الله؛ يروي عن الأستاذ الأبر[1]؛ قدَّس الله روحه أنه يقول: يجب على الولي سترُ الكرامة؛ ولا يجوز له إظهارها، وأنه رضوان الله عليه؛ كان يستحي إذا نسبت إليه كرامة؛ كما لو نسبت إليه فاحشة؛ حتى أنه ليتمعَّر من ذلك وجهه؛ خلاف ما يفعله هؤلاء المدَّعون؛ من شرائها وتصيُّدها بكل حيلة.

ثم رأيت ما ذكره من وجوب إخفاء الكرامة موجوداً عند الفقهاء، ومنها فتاوى ابن حجر وغيرها؛ وذلك قضية قول بعضهم: لا فارق بينها وبين المعجزة سوى التحدِّي. ومما يستأنس به؛ وإن لم يكن شرع من قبلنا؛ شرعاً لنا؛ قول أصحاب الكهف، الآية: ١٩: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ فإنهم بالغوا في إخفاء الكرامة؛ لانتفاء النبوَّة؛ ولو وجدت لوجب عليهم إعلانها.

ولئن قيل: إنما كان ذلك خشية الرجم والصدَّ؛ فهي من بابة أخرى؟ **قلنا**: لا مانع من وجود السببين.

قلت لك: إنني أفضت في مثل هذا ليلةً؛ وكان عندنا بعض من يدَّعون الولاية؛ أو تُدَّعَى لهم بغير حق؛ ولما عرفوا التقصير من أنفسهم؛ وبان افتضاحهم عند أولي الرويَّة؛ بما نقرره من سيرة النبي ﷺ؛ أصَّلوا للعامة أصولاً فاسدة؛ تدور على وجوب التسليم الأعمى لهم في كل ما يفعلون. وتوكؤوا في ذلك على حكايات وهذيان، ولو قدروا أن يمحوا آيات النهي عن المنكر؛ وتصارح الصحابة؛ بماء عيونهم؛ لفعلوا؛ وفيما لفَّقوه من الأحلام؛ ملءُ رضاهم؛ وحفظ ناموسهم؛ عند صغار النهى؛ وضعفاء العقول.

فساء صاحبنا الفاضل الأديب؛ السيد سقاف بن عبد الله بن عمر السقاف؛

---

(١) يطلق الإمام ابن عبيد الله في مصنفاته لقب الأستاذ الأبر على شيخه وشيخ والده الإمام عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧ ـ ١٣١٤هـ) وهو أكثر الشيوخ الذين تأثر بهم الإمام ابن عبيد الله بعد والده وله عند ابن عبيد الله منزلة عظيمة كما كانت له عند والده.

أن يخالف مبدأه الذي شبَّ عليه؛ وأراد أن يرقص للقرد في دولته؛ وأن يتزلف إلى أولئك المدَّعين؛ وأن يصطنع الأيدي اليهم؛ بعد أن كان ضدَّهم؛ فعارضني في بعض القول:

ولم يُلْفِنِي فَهّاً ولم يُلْفِ حُجتي ملجلجة تبغي لها من يقُيمها

بل فلَجْت عليه بما كان من سيرة رسول الله ﷺ؛ وابتعاده عن مواضع التهم؛ وقوله لصاحبيه: ((إنها صفية . . .)) وعدم مسِّه يدَ امرأة لا يملكها قط؛ وما كان من تناصح السلف؛ ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من دون استثناء لأحد؛ حتى أنَّ المرأة لتردُّ كلام الخليفة الثاني في وجهه؛ وهو على المنبر، والناس في الأحكام سواء، وهل كان الأولياء أفضل عندهُ من أصحاب رسول الله؛ وبعضهم ينكر على بعض.

وأكبر من ذلك كله؛ أنَّه ﷺ؛ أقاد سواد بن غزية من نفسه يوم بدر؛ في لكزة لَكزه إياها؛ وأقاد عكاشة بن محْصَن في مثلها قبيل موته؛ وقولُ الخضر عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]؛ هو من أظهر الأدلة على نصاعتهم؛ وحريتهم؛ وعدم محاباتهم؛ وكون الحق عندهم فوق كل شيء. فلم يتوقَّف صاحبنا؛ لحجَّة من قرآن؛ ولا من حديث؛ ولا من كلام أحد من العلماء؛ إلّا أنه جاء بحكاية وهمية؛ ورؤيا منامية وتمثَّل بقول سيدنا الحداد:

وسلّم لأهل الله في كل مُشكلٍ لديك لديهم واضحٌ بالأدلّةِ

وسيأتي الكلام عليه. وبعد أيام وافاني بقصيدة؛ أوردها مَورد النصح لي؛ وَجَرَّد من وهمه؛ طائفة انحرفت عن الطريق، وخالفت خير فريق، وجّه إليها قَسِيَّ ملامه؛ وصبَّ عليها سوط انتقامه يحضُّني على معاداتهم؛ ويحذِّرني من موالاتهم؛ وكان ذلك بعقب ضجة أحدثتها «نحلة الوطن»[1] للسيد حسن بن

(١) نحلة الوطن كتيب من حوالي ستين صفحة ألفه السيد حسن بن علوي بن شهاب (١٢٦٨ - ١٣٣٢هـ) وهو شاعر وأديب ولد بحضرموت ثم هاجر إلى سنغفورا لإدارة أموال والده =

علوي بن شهاب؛ فقد اغتاظ منها المترسمون بالولاية؛ وأخذوا في التشنيع بمؤلفها ورفاقه؛ شأن المُدَّعَى عليه في استعجال الشاهد بالعداوة؛ كي لا تقبل شهادته، ومطلع القصيدة التي عرَّفنا بصاحبها؛ وعلمتَ القصد منها؛ قولُه:

دعتْك إلى العلياء آثارُ من سلفْ ونادتك أَخلاقُ الكرام أولو الشرفْ

فدونَك فاسلُك نحوَ مسلكهم وخذْ بمأخذِهم وأهجرْ طريقَةَ من صدَفْ

وسلّم لهم ما جاء عنهم فإنَّهم أئمةُ حقٍّ ما لهم عنه منصرَفْ

أنشدنيها ليلةً؛ ولم يمكّني من نقلها؛ ولا من تأملها؛ فلم تجئ كتابتي عليها مطابقة لها تماماً؛ وهذا ما كتبتُه بشأنها سابقاً في حدود سنة ١٣٢٧ هـ؛ ودفعت له نسخته؛ وهو:

أنشأ في الأخير أحدُ الطلبة على أثر المحاورة المشهورة التي عرف الناس انقطاعه فيها؛ قصيدةً أظهر بها التماس التسليم لصالحي السلف؛ وأدمج فيها تمهيد الأعذار لِمَانِةَ الخلف؛ ممن يَدَّعِي الولاية؛ أو تُدَّعَى له؛ فأخذتني عند ذلك حِدة؛ تليق بمؤمن لا يتهاون بأمر الدين؛ وبيّنت له:

أولاً: أنَّ طريقة السادة العلويين الذين لا يعني الطالب غيرهم؛ بقوله السلف؛ بيضاءَ نقية؛ ليس فيها إيهام؛ ولا إبهام؛ دائرةٌ على محور الكتاب والسنة؛ فأنَّى يخطو إليها الخطأ؛ المحتاج إلى التسليم؛ والحال أنها كما قال سيدنا الحداد:

وما في طريق القوم بَدءاً ولا انتِها مخالَفةٌ للشرع فاسمعْ وَانْصِتِ

ثانياً: أن ما يخالف الشريعة ردٌّ واجبُ الإنكار ممن كان، وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ؛ يتناصحون ويتصارحون؛ لم تكبح جواد صدقهم شكيمة مداهنة

= الواسعة وأسس في المهجر عدداً من الصحف كما كتب في صحيفتي المنار والمؤيد المصريتين وقد حمل في كتابه نحلة الوطن على الأوضاع العلمية في حضرموت ووضع لهم الأسس للإصلاح لكن حملته كانت عنيفة فأغضبت منه جميع العلماء والوجهاء بحضرموت. توفي السيد حسن بتريم.

ولا نفاق؛ حتى أنهم ليعترضون على العظيم الشأن منهم أمام الملأ؛ وعلى رؤوس الأشهاد. ولم تمنع المرأةَ ولا الصغيرَ؛ جلالةُ الكبير؛ أن يزنوا فعلَه وقولَه بميزان الاتِّباع؛ الذي تطيش به مثاقيل الذرات؛ بل رأيناهم أكثر من ذلك؛ يناقشون المسألة متبوعهم الأعظم ﷺ؛ فيما استبهم عليهم أمرهُ من أفعاله؛ ولا يقابلونها بالتسليم الأعمى الصرف؛ الذي يطلبه صاحبنا لمن هو دونهم بمراحل؛ كما يعرف ذلك من صوَّب نظرَه في سِيَرِهم، وهذا رسول الله ﷺ يقول: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

وأكبر منه أنَّ ربَّ العزة جل شأنه يقول في حق أشرف البشر: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]؛ وأمثالها في القرآن كثيرة؛ فما بين الله وبين أحد من خلقه؛ هوادة؛ في استباحة حمى حماه.

نعم إنَّ بني إسرائيل يتغاضون عن سيِّئات أشرافهم وكبرائهم؛ ولا يقيمون الحدَّ إلَّا على الوضيع منهم؛ فصبَّ الله اللعنة عليهم من جراء ذلك في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وصاحب القصيدة؛ لا يطالبنا إلّا بهذه الرتبة السافلة؛ كأنه لم يعلم؛ أنَّا لم نكن خير أمة أخرجت للناس؛ إلّا بصدق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والناس في التكاليف سواء؛ وهي لا تسقط عن العاقل بحال؛ وإنْ بلغ في الولاية الغايات، وجاوز في المراتب النهايات. ومن ادَّعى بلوغه إلى درجة ارتفع عنه فيها شيء من التكليف؛ فهو الفاجر المغرور؛ الذي صرَّح العلماء: بأنَّ قتل واحد من أمثاله؛ أفضل من قتل ألف كافر.

أما قول سيدنا الحداد:

وسَلِّمْ لأهل الله في كلّ مشْكلٍ لديك لديهم واضحٌ بالأدِلَّة

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه لم يطلب التسليم التام؛ ولا السكوت عن الواضح الفساد؛

وإنما نهى عن التسرُّع بإنكار المشكل؛ قبل تحقق فساده؛ وهو نفس ما قرره الفقهاء في هذا المقام؛ كما في التحفة[١] وغيرها.

ثانيها: أنه لم يطلب التسليم إلّا لأهل الله؛ وهم الأولياء المعلوم حدُّهم من كتب الأصول؛ وأبواب الوقف والوصايا من كتب الفقه؛ بمعنى أنه يجب تحسين الظن بهم؛ إذا صدر عنهم مشكل في عين الناظر؛ وإن لم يتضح له دليله؛ لأنه عندهم واضح، وكله إشارة إلى ما في عبائرهم من المشاكل الجارية على اصطلاحهم؛ فلا يعترض عليهم بمخالفتهم لاصطلاح غيرهم في الألفاظ، فالمراد بالمشكل إذن: ما قد يوهمه ظواهر عباراتهم من نحو الاتحاد والحلول؛ من غير أن يكون مُرَاداً لهم؛ أو بمعنى: أنه لا يكون الوليُّ وغيره سواء؛ فيما إذا صدرت هفوة عنهم؛ لاحتمال تأويل فعل الأول بخلاف الثاني، وهذا أيضاً له وجه ظاهر من الفقه؛ لا يلزمه عليه التمايز في الأحكام الشرعية؛ وإنما هو بمثابة من رأى شخصاً يأكل في رمضان؛ فإنه يجب زجره ونهيه إذا كان معروفاً بقلة المبالاة بالدين؛ ولا يجب؛ إذا كان معروفاً بقوة الدين لاحتمال عذره بخلاف الأول.

ثالثها: أنه لم يطلب التسليم إلّا لمن فنِيَ عن الوجود؛ واستغرق في الشهود؛ لارتفاع التكليف حينئذ بزوال الإحساس والشعور؛ وهي حالة شريفة مختلف في انتقاض الطهارة بها؛ والمنقول: عدم النقض. وقيل البيت في قصيدة الحداد ما يتضح به الحال؛ وينتفي به الإشكال؛ إذ قال نفع الله به:

وإن الذي أبدى من القوم ما سبيله الستر مغلوب بحالٍ قويّة
يفارقه التمييز عند ورودها عليه وإن أخطا فليس بمعنَتِ

قال في التحفة: فلا أثر لشطح ولِيِّ حال غيبته أو تأويله؛ بما هو مصطلح عليه بينهم؛ وإن جَهِلَهُ غيرهم؛ إذ اللفظ المصطلح عليه؛ حقيقة عند أهله؛ فلا يعترض عليهم بمخالفته لاصطلاح غيرهم؛ كما حققه أئمة الكلام وغيرهم، ومن

---

(١) تحفة المحتاج بشرح المنهاج في الفقه الشافعي للإمام ابن حجر الهيتمي.

ثم زَلَّ كثيرون؛ في التهويل على محققي الصوفية؛ بما هم بريئون منه، ويتردد النظر فيمن تكلم باصطلاحهم المقرر في كتبهم؛ قاصداً لهُ مَعَ جهله به، والذي ينبغي بل يتعيَّن وجوب منعه منه. بل لو قيل بمنع غير المشتهر بالتصوُّف الصادق؛ من التكلم بكلماتهم المشكلة؛ إلّا مع نسبتها إليهم؛ غير معتقد لظواهرها؛ لم يبعد؛ لأنَّ فيه مفاسد لا تخفى، وقولُ ابن عبدالسلام: يُعزَّرُ وليٌّ قال: أنا الله؛ ولا ينافي ذلك ولايته؛ لأنه غير معصوم؛ فيه نظر؛ لأنه إن كان غائباً؛ فهو غير مكلَّف لا يعُزَّر؛ كما لو أُوِّل بمقبول؛ وإلّا فهو كافر. ويمكن حمله على ما إذا شككنا في حاله؛ فيعَزَّر فطْماً له؛ ولا يُحْكَمْ عليه بالكفر لاحتمال عذره؛ ولا بعدم الولاية؛ لأنه غير معصوم، وقولُ القشيري: «من شرط الوليِّ الحفظ؛ كما أن من شرط النبيِّ العصمة؛ فكل من للشرع عليه اعتراض؛ فهو مغْرورٌ مخادع». مراده أنه إذا وقع منه مخالف؛ على الندرة؛ بادر للتنصُّل منه فوراً؛ لا أنه يستحيل وقوع شيء منه (انتهى).

وكتب ابن قاسم[١] على قوله: ويمكن حمله على ما إذا شككنا في حاله...؛ أقول: أو على ما إذا علمنا حضوره وتأويله. والتعزيز للفطم عن هذا اللفظ الخطر (انتهى) وهو لا يخالف كلام الحداد.

أما أنا؛ فقد كشفت في قصيدتي الآتية؛ عن غاية ذلك الطالب؛ التي يرمي إليها؛ وهي تمهيد الأعذار لأرباب الدعاوى والرسوم؛ المتاجرين بالولاية من المتأخرين؛ ليس غير، ولا أقول: إنَّ ذلك الطالب قَصَرَ موضوع أبياته على ما ذكر فقط؛ بل زعم أن هناك فرقة؛ استجدَّت مذهباً قبيحاً؛ وخالفت الحقَّ

(١) أحمد بن قاسم الصباغ، شهاب الدين العبادي، فقيه شافعي له عدة مصنفات معتمدة عند المتأخرين، طبع منها: الآيات البينات حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، وشرحان صغير وكبير على ورقات الجويني، وحاشية على تحفة المحتاج شرح المنهاج لابن حجر في فقه الشافعية، وحاشية على شرح البهجة الكبير لشيخ الإسلام زكريا، وله مما لم يطبع حاشية على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا.

صريحاً؛ وتكَسَّعتْ في الجهالة[١]؛ وتقلَّبت في الضلالة؛ ولا يعني بها إلّا صاحبَ «نحلة الوطن» ورفاقه؛ ولو كانوا كما وصف؛ لَلَزِمَتْهُ الدعوة إلى جهادهم؛ لما افتراه من إلحادهم؛ فمن ألحد في الدين؛ جرت عليه أحكام المرتدِّين؛ وحاشا لله أن يكونوا كذلك؛ فلا يوجد بقطرنا من تتجه تلك التهم إليه؛ أو تنطبق تلك الأوصاف عليه.

إلّا أن هذا الإفراط والتخبيط؛ مُفْضٍ بالطبع إلى إيجاد فرقة تقابله بالتفريط، كما أنه لا يوجد اليوم بيننا من يحاول إطفاء نور السلف؛ ولا من يحطُّ من كرامتهم؛ إلَّا ذلك الطالب نفسه؛ فإنه ذمَّهم بنية الثناء عليهم؛ كما ستعرفه من قصيدتي؛ وإلَّا فِرْقةٌ من الأغبياء الجامدين؛ امتلأت يآفيخهم[٢] من الجهل والغروب[٣] فغالَوا في الثناء على شيخهم؛ وأخذوا يَفْتَنُّون في الإغراق لمدحه؛ حتى كادوا أن يتخذوه ربًّا؛ فلا يحلفون إلّا به؛ ولا ينادون في المهمات غيره؛ ولا يستغيثون بسواه؛ وجعلوا التغنِّي بذكره من جملة أورادهم؛ وتزلفوا إلى الطعن بغيره من الأولياء والصالحين؛ لقَصْرِ فضيلة التفرُّد عليه؛ وهذا عندنا شائع بأكبر مما وصفت؛ ولكن الدِهَانْ يُعَفِّي آثارَه؛ والنفاقَ يكاتم أخبارَه، وزعيم هذه الطائفة هو الشيخ محمد باطويح الشحري[٤]، ويقول بعضهم: إنه أعقل من اعتقاد الخرافات التي تَهذِي بها أصحابه؛ غير أنه مستأجرٌ لذلك؛ والله أعلم بحقيقة

---

(١) تكَسَّعتْ في الجهلة: ذهبت فيها.

(٢) يآفيخهم: جمع يافوخ أي رؤوسهم.

(٣) الغروب: البعد عن الحق والنهج القويم.

(٤) ذكر صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين ابتلاء بعض الأولياء بحضرموت بغلو مريديهم وقال: إن كثيراً منهم تخطوا في معتقداتهم في الأولياء والصالحين الحدود المحمودة إلى الحدود المذمومة رغماً عن هؤلاء الأولياء وكان أبو عمران وهو من أهل القبلة أول الباذرين لهذه البدعة الشنيعة وفي أهل الشحر النحوي أحمد سالم باطويح (انتهى بتلخيص وتصرف بسيط عن تاريخ الشعراء الحضرميين للسيد عبد الله بن محمد السقاف الجزء الرابع صفحة ١٣٦ الناشر مكتبة المعارف بالطائف) قلت: وهو ما فعله بعض غلاة الشيعة مع الإمام علي كرم الله وجهه؛ برغم أنفه.

الحال، وذلك الطالب صاحب القصيدة؛ لا يعنيهم؛ بل يصانعهم ويداريهم؛ ويسعى فيما يرضيهم؛ ويتملق لهم؛ ويواليهم؛ ولو أنَّه عناهم؛ لشددنا أزره؛ وأخذنا بِضُبَعِهْ؛ وانضممنا إلى صوته؛ وقلنا حيَّاه الله وبيَّاه؛ وعلمنا أنه من الذين لا يخافون في الله لومة لائم. وهذه صورة ما كتبته لذلك العهد؛ وهذا نصُّ القصيدة:

أرى الجهْل قد مدَّ الرِّواقَ على الخلَفْ ... ولا داءَ مثلُ الجهل يُفْضِي إلى التَّلَفْ[١]

وأعجبُ شيءٍ أنهمْ في عيونِهم ... كبارٌ وقد باعوا السيادَة والشرفْ

وأكبرُ مِن ذَا أنها سوَّلَتْ لَهمْ ... سفاهَتُهم أن يدَّعُوا رُتبَة السلفْ

يرُيدون بالتمويه ستْرَ عَوَارِهم ... وشتَّانَ ما بين الجواهرِ والخزَفْ

مضى أهلُنا بالزهد والجِدِّ والتُّقَى ... ورحُنْا مع الإهمال واللهْوِ والترَفْ

وساروا على نهجْ القناعةِ سِيرةَ النَّـ ... ـبيِّ فبدَّلنا القناعةَ بالسرَفْ

بهم كان بدرُ الحقِّ في القطر بازغاً ... ولكنه مذْ فاتَ عصرُهمُ انخسَفْ[٢]

أنَلحقُهمُ يوماً وهم قد تبوَّؤوا ... من العزِّ والمجد المعاقلَ والغُرَفْ[٣]

مُحالاً أرى إدراكَ حتى غُبارِهم ... لقومٍ جوادُ المكرُماتِ بهم وَقَفْ

ففيمَ الدَّعاوَى؟ والحقيقةُ وجهُها ... يلوحُ وسِتر الزُّور للناقِدين شَفْ[٤]

عجبتُ لشخصٍ قام فينا مناضِلاً ... عن السلَف الماضين لكنَّه اعْتَسَفْ

فأنشأ يهجُوهُم بدعوى مديحهِم ... فقُبِّح من قولٍ تناكَر واختلفْ

يُحثُّ على التسليم للسادة الأُلى ... سلوكهُمُ عن مَهْيَع الرُّشدِ ما انحرَفْ[٥]

---

(١) مد الرِّواق: بكسر الراء بسط الستر.

(٢) بازغاً: طالعاً في الأفق.

(٣) الغرف: المنازل العالية الرفيعة.

(٤) شف: رق وظهر ما وراءه.

(٥) مهيع الرشد: طريقه البيِّن وجمعه مهايع.

وفـي ذاكَ تـصـريـحٌ بـأَنَّ فِـعـالَـهـم لِطعن أولي الإنكار قد أصبحت هَدَفْ
وهل يُطْلبُ التسليم إلّا لموهِم الْـ ـفَسَادِ فيا للضَّمّ والحزنِ والأسفْ
وحاشاهُم عما يقولُ فليس في طريقتهم واللّه زَيْغٌ ولا جَنَفْ[١]
وما هي إلّا الشرعَ ساروا بهَدْيه وما منهمُ مَنْ عَنْ مَحَجّتِه انصَرَفْ
وكيف وقد نادَوْا على كلّ مدَّعٍ عليه اعتراضٌ للشريعة بالخَرَف[٢]
فَمن حادَ عن نهج النبيِّ ولو غدا على الماءِ يمشِي فهْو في الغَيِّ قد رَسَف[٣]
إذا طَلَبَ التسليمَ هَذا فإنني أُخاصِمُ ذا الإنكار فيما به هَتَفْ[٤]
وانسِف بالحق الجليِّ شكوُكَه واظهِر بالبرهان إبطالَ ما هَرَفْ[٥]
ولم يقصد المسكين ذَبّاً وإنما يحاول تمهيدَ المعاذير للخلَف
وإبطالَ ركن النَّهْي عن كلِّ منكرٍ دِهاناً لأهل العصر ممن قد اقْتَرف[٦]
فقدْ ماتَ في أيامنا الصِّدْقُ واختفى الْـ ـصوابُ وزاد الحمقُ والمَيْنُ والصَّلَفْ[٧]
وأذوَتْ رياضُ الصالحين وإنما غِياضُ الدعاوي بيننا ظِلُّها وَرَفْ[٨]

* * *

---

(١) جنف: ميل عن الحق.
(٢) الخرف: فساد العقل.
(٣) رسف: مشى مقيداً بقيود الضلال.
(٤) أخاصم ذا الإنكار: أخاصم بالحق صاحب الإنكار له فيما ادعى من الضلال. هتف هتافاً: صاح.
(٥) هرف: هذى.
(٦) دهاناً: نفاقاً. اقترف: اكتسب.
(٧) المين: الكذب. الصلف: الكبر والادعاء.
(٨) أذوت: ذبلت. غياض جمع غيضة وهي الشجر الملتف. وَرَف: اتسع وامتد.

القصيدة الحادية والعشرون

منكمْ إليكمْ[١]

وهذه اللزوميَّة في واقعة حاليّة؛ يكفي عن تفصيلها ما اندمجت عليه من إجمالها؛ وكانت في سنة ١٣٥٠هـ.

منكمْ إليكمْ شكَى ما نابَه الشرفُ ... لمَّا ازْدَهتكم بما يُسْبِي النِّسَا الغُرَفُ

بَنِي المغايير من طه وحيدرةٍ ... جِدُّوا وشُدُّوا ولا يشغَلْكم التَّرَفُ[٢]

فقد تعدَّى على السُّور المنيع أُولو ... الجَورِ الفظيع لِلينٍ منكُم عَرَفُوا

والعلمُ والمالُ والعمالُ عندكمُ ... والحظُّ لولا عقولٌ مسَّها خَرَفُ[٣]

فلا تُسَرُّوا بريش لا مَفَرَّ به ... أيُّ افتخارٍ لكم والظلمُ يَجتَرِفُ؟[٤]

---

(١) في هذه القصيدة يستعرض الإمام ابن عبيد الله ما يعانيه العلويون من القبائل والسلاطين من اهتضام الحقوق والاستيلاء على أرباح تجارتهم ومشاركتهم في نتاج نخيلهم رغم ما عندهم من المال العلم وما يمكن أن يجندوه من الرجال وبيّن لهم أن أسباب ما حصل هو التفرق والاختلاف والتحاسد بين العلويين وقال لهم: إن المال والعلم إذا لم يوفر لهم الحماية والسؤدد فلا خير فيه فهو مثل ريش الطائر إذا لم يساعده على الطيران فلا خير فيه وبين لهم أن لا نهضة حقيقية ستكون بغير الدين كما طلب منهم الاستعانة بالإمام يحيى حميد الدين ليشد عضدهم فيما نزل بهم فهو الوحيد الذي يقوم بخدمة الدين.

(٢) المغايير: الشديدو الغيرة وهي الحمية والأنفة.

(٣) خرف: فساد.

(٤) فلا تسَرُّوا: لا تفرحوا. لا مفر به: لا فرار به لضعفه. يجترف. يأخذ بشدة. وقد أعجبني هذا المعنى بعدم السرور بريش لا يمكن الطيران به كناية عن عدم فائدة ما عندهم مما ذكره من المال والعلم إذا لم يفد في تحقيق المنعة والسؤدد.

لولا التفرُّقُ والأحسادُ ما اجْتَرأَ الْـ ... أعدا عليكم ولا جَارُوا ولا اقْتَرَفُوا[١]
هلْ من سبيلٍ لإدراك الذُّحولِ أم اسْـ ... تَوْلَى مَشومُ افتراقٍ جرَّه السَّرَفُ[٢]
كيفَ القَرارُ على لِين المِهاد ومِنْ ... حَرِّ الهضِيمةِ دمع الحُرِّ يَنْذَرِفُ[٣]
لا يَرْأَمُ الذلَّ إلّا مَنْ مَناسبُه ... من العُلَى ما لها أصلٌ ولا طرَفُ[٤]
فيمَ السكوتُ وأنتم للعِدَا خَوَلٌ؟ ... تيقَّظُوا فإلَامَ العزمُ مُنْصِرفُ[٥]
إذا اتجَّرْتمُ فجلُّ الربحِ منتَهَبٌ ... وإن غَرسْتم فحزْبُ البغْي يَخْتَرِفُ[٦]
ولا يغرَّنكُم من بعضِهم ملَقٌ ... فالويلُ لو أَيسُوا منكم إذا انحرَفُوا
ولا نهوضَ بغير الدّينِ يمكنُكم ... وإن تَشدَّقَ أَقوامٌ وإن هَرَفُوا[٧]
فاسترجِعُوا العزَّ أو زُولوا كما فعلت ... آباءُ صدقٍ لكم حتى العِدَا اعْتَرَفُوا[٨]
واستنجِدُوا بالإمام الحقّ ينجِدُكُمْ ... إذا صدقتم ومن تيَّارِه اغْتَرِفُوا
وهل سمعتم بِمَلكٍ في الزمان سوى ... يحْيَي بخدمةِ هذا الدين يحترفُ[٩]

* * *

(١) الأحساد: جمع حسد. اعتاد الشاعر هذا الجمع ولو قال هنا الأحقاد كان أولى.
(٢) الذحول: جمع ذحل وهو الثأر.
(٣) الهضيمة: الظلم والقهر. ينذرف: ينسكب.
(٤) لا يرأمُ الذل: لا يألفه ولا يحبه. مناسبه: جمع منسب بمعنى النسب أي لا يألف الذل إلّا من لا نسب له في العلى.
(٥) خول: عبيد.
(٦) يخترف: يجتني الثمار.
(٧) هرفوا: من الهرف وهو الهذيان.
(٨) لكم: في الأصل لهم.
(٩) يحيى: هو الإمام يحيى حميد الدين ﷺ.

القصيدة الثانية والعشرون

مقالٌ أتاني

في القصيدة الآتية خبر الجمعيَّة التي أسسّناها في حدود سنة ١٣٢٧هـ؛ وذلك أنه لما استشرى الفساد، ورُمِيَ الحق بالكساد، وضرب الجورُ جِرانَه[١]، وأطلق الظلُم عِنانَه، وفسدت الأحكام بالرشا، ورُمي للقضاء في الحشى[٢]، سعينا في تأليف جمعيّة؛ للحِسْبة والنظر في المظالم؛ فتألفت تحت إدارتي؛ وكان من مستشاريها السادة شيخ بن محمد الحبشي؛ ومحمد بن حامد بن عمر السقاف؛ وعبد الله بن حسين السقاف؛ وعبد الله بن أحمد السقاف؛ والشيخ محمد بن محمد باكثير؛ والشيخ عبدالقادر بن محمد بارجا.

وأمضى على قانونها الأمراء والتزموا بتنفيذه؛ وبها وقَفَ الظُّلم على حدِّه، وجَزَر العدوانُ عن مدِّه[٣]؛ وشَرِقَ البَغْيُ بصُبابِه[٤]، ورجع الحق إلى نصابِه، واستنامَ الناسُ في ظلِّ الإنصاف، وترشّفوا زلالهُ من الينبوع الصاف، وخُضِدَت[٥] شوكة المعتدين، وخسرت تجارة المفسدين، فافَتنّوا في السعاية بها إلى الأمير المنصور بن غالب[٦] ....

(١) جرانه: جرانُ البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.

(٢) الحشى: واحد الأحشاء المعروفة.

(٣) جزر العدوان: انقطع والجزر ضد المد.

(٤) شرق: غص. الصُّباب: جمع صبابة بالضم وهي بقية الماء واللبن في الإناء والسقاء.

(٥) خضدت: كسرت.

(٦) خلف السلطان منصور بن غالب والده مؤسس الدولة الكثيرية الثانية السلطان غالب بن محسن الكثيري والذي شارك العلويون في تأسيسها وقد تولى السلطان منصور الحكم في =

وأوجروه[١] بغضَها؛ فعاكسها في كلّ شيء بعد الموافقة، واتفق انحراف في صحتي؛ وبمجرَّد تأخرِّي؛ أقفل منزلها وكانت القاضية، فسكتنا على مضَض؛ إلى أن حصل اجتماع عظيم؛ حضره الأمراء وجمهور العلويين بمنزل السيد يوسف بن عبد الله المشهور في سنة ١٣٤٠هـ؛ للمفاوضة في قضية كبَّرتها أغراضُ السادة[٢]، وفي أثناء ذلك؛ انبرى يلومهم الأمير؛ على سكوتهم عن الشريعة وتخاذلهم عن السعي في الإصلاح، فحانت الفرصة التي طالما تحيَّنتُها، وانفتح لي بمصراعيه؛ الباب الذي طالما قرعته، وكنتُ لسان القوم؛ بإلحاحٍ منهم؛ وخاصة من السيد شيخ بن محمد الحبشي[٣]؛ فقلت للأمير: هذا كله عمل يدك، وجناة غرسك[٤]، وإلا فقد نظمنا تلك الجمعية؛ التي رجعت بها المياه إلى

= صغره وكان عادلاً خلوقاً يحب العلويين والعلماء وقد توفي بعرفات أثناء الحج سنة ١٣٤٧هـ.

(١) أوجروه: من الوجور وهو وضع الدواء في الفم.

(٢) ذكر العلامة ابن عبيد الله في كتابه بضائع التابوت أن الشيخ عبد الله باسعيد باسلامه سافر إلى جاوا وعمل بالتجارة وأثرى ثراءً كبيراً وكان جميل الاعتقاد في الجد محسن بن علوي السقاف وقد وصل حضرموت في أثناء العقد الأول من هذا القرن (الثالث عشر) فلم يدع أحداً إلّا أهدى إليه ولا مسجداً إلّا فرشه بالسجاد الهندي وأرسل ولديه سعيد وعمر ليتربيا بإشراف الحبيب علي بن محمد الحبشي إلّا أن سعيداً تشرب بالمبادىء الإرشادية وكان في حضرموت سنة ١٣٤٠هـ فاتفق أنه اجتمع بالسيد إبراهيم الحبشي في أحد المساجد وكان شاباً مثله وجرى بينهما كلام من جنس ما يجري بين العلويين والإرشاديين فلم يكن من إبراهيم إلّا أن لطم سعيد لطمة فاحشة فاستشاط إبراهيم غضباً ورفع الأمر للسلطان وهاج العلويون وماجوا لما بلغهم من القدح في أنسابهم وانتهى الأمر إلى أهل تريم فكانوا أكثر غضباً من أهل سيؤون (انتهى). هذا وقد كان هذا الاجتماع من أجل هذه القضية ومنه ترى عدم اهتمام الإمام ابن عبيد الله بمثل هذه الأمور التي لا يقيم لها أي وزن ولا يعطيها أي اهتمام بينما اعتبرها بقية العلويين من عظائم الأمور.

(٣) العلامة الشيخ ابن محمد الحبشي (١٢٦٥ ـ ١٣٤٨هـ) وهو أخ الإمام علي بن محمد الحبشي وكان على جانب من اللطافة وخفة الروح له رحلة مشهورة إلى الشام وتركيا ومصر قام بها في سنة ١٣٢٨هـ.

(٤) يتبين لنا هنا جرأة الإمام ابن عبيد الله في الحق وعدم خوفه من الأمراء والسلاطين في =

مجاريها؛ وانتصر بها المظلوم؛ وأُخذ على يد الظالم؛ فما كان منك إلّا أن عارضتها حتى انحلَّت، فقال: ما عارضتها حتى قال بعض الحاضرين بمجلسنا هذا: إن ابن عبيد الله يتصرف بها كيف شاء، وما بقي لأحد معه كلام، فقلت له:

أولاً: لا يكون هذا وقانونها يحظر الكلام بالهوى؛ ويوجب الاعتماد على الراجح من مذهب الشافعي؛ في جميع القضايا؛ فهل جئتُ بكلام من رأسي؛ أو نقل صحيح من كُرَّاسي؟ فإن كانت الثانية؛ فهي أبلغ الحجج؛ وإن كانت الأولى؛ ولم يعارضوها بالنصوص؛ فقد اعترفوا على أنفسهم بأنهم هَمَجٌ.

وثانياً: أن أعمال الجمعيّة. دِقَّها وجُلُّها؛ كُثْرها وقُلَّها؛ مسطَّرٌ في ديوان؛ لو تمَّ لأغنى عن أحسن قواميس الفقه[١]، وليست كسائر أحكام القضاة؛ التي يدفنونها كما تفعل الهِرَّة بأذاها، وأنا راضٍ بأن تكون العهدة في جميعها عليَّ وحدي؛ واعْرِضها على أي عالم تريد، ولو برفعها إلى مصر أو إلى زبيد[٢].

وثالثاً: لماذا تجعل كلام الواشين قضيَّة مسلّمة؛ وهم لا يتكلمون إلّا من وراء الدار، ولا يتنحنحون إلّا من خلف الجدار؟ وها بحمد الله قد انكشف الغبار، وظهرت الحقيقة للاعتبار؛ وإذْ كانوا حاضرين، وأنا أهزُّهم للجواب؛ وأتحدَّاهم للبحث عن الصواب، فَمُرْهم يتكلموا ملء أفواههم؛ حتَّى يتبيَّن الحق من الباطل، ويتميَّز الحالي من العاطل، فإنَّ الحقَّ لا يَتَلَثَّم؛ وصاحب الصدق لا يتلعثم.

= مجابهتهم بالحقائق ومشافهتهم بأخطائهم وفي محاولته إرشادهم للطرق السوية كما يتبيّن لنا أيضاً محاولة بعض العلويين الكيد للإمام ابن عبيد الله وتحريض الأمراء والسلاطين عليه.

(١) ما قام به الإمام ابن عبيد الله في تأصيل الأحكام الفقهية بشكل القانون الحديث هو مثل ما قامت به الحكومة العثمانية في هذا الجانب ولو احتفظ قانون هذه الجمعية الذي وضعه هذا الإمام الذي لم يبلغ أحد في الفقه مبلغه لكان رافداً عظيماً للقضاء الشرعي وبديلاً للقوانين الوضعية التي طبقت في بعض البلاد الإسلامية.

(٢) لأن السلطان يعرف أنه لا يوجد في حضرموت من يماثل ابن عبيد الله في العلم والفقه.

عند ذلك أمرهم السلطان بالكلام، فأُرِمَ القوم[(١)]، وأظلم عليهم اليوم، وشخَصَ البصرُ وبَرِق، واصفَرَّ وجه كل مريبٍ وعَرِق، ويبست الشفاه، واكفهرَّت الجباه، وسكنت الضجَّة، وأكبرُ التهم إلى أناسٍ مخصوصين توجَّه، ولما تبين الرشد من الغي؛ رجعنا عن النشر إلى الطي، وأدركتني لهم رِقَّة، وأشفقت عليهم من بعض المشقَّة[(٢)].

ومع هذا كله فلم يرجع عن قولهم السلطان[(٣)]؛ لاتِّباعهم هواه، ومسارعتهم إلى رضاه، والاستعانة عليه بجواسيس الليل، والجلْب على خواطره بالرِّجل والخيل، فقد قعَدُوا له مصعد النَّفَس، وهو بسيط؛ وأَصَّلوا في نفسه؛ أَن غَلَبتي بسحر البيان لا بقوة البرهان؛ وما أشبه ذلك[(٤)].

---

(١) قطعوا عن الكلام وعجزوا عنه.

(٢) مع أن الإمام ابن عبيد الله يحمل على معارضيه بشدة إلّا أنه إذا رأى ضعفهم وقلة حيلتهم أشفق عليهم وسامحهم ونسي ما كان منهم كما يقول الشاعر:

إذا احتَرَبَتْ يَوْماً، فَفَاضَتْ دِماؤها   تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُها

بل قد يتعرض لأذية كبيرة كما فعل معه السيد حسن بن علوي بن شهاب عندما هاجمه في صحيفة الوطن بجاوة وأفشل مشروعه لإصلاح حضرموت ثم زاره ابن شهاب بعد ذلك لمصالحته وابتدأ بقول المتنبي:

ومراد النفوس أصغر من   أن نتعادى فيه وأن نتفانى

قال ابن عبيد الله: فأحمدت أخلاقه ولا أنساها له. وحصلت قصص أخرى من مثلها ذكرها الإمام في كتبه وتحولت فيها العداوة إلى صداقة شديدة وهذا مما يدل على سلامة طبع الإمام ونبل أخلاقه وإنما تعتريه أحياناً حدة العلماء خصوصاً إذا اعتقد المخالفة لأمور الدين ويزيد تعقيد الأمور سعي الوشاة وناقلي الأخبار الكاذبة إليه والذين يعرفون حدة طبع الإمام وتسرعه في بعض الأحيان دون التثبت والتحقيق.

(٣) أي بخصوص إبطال الجمعية.

(٤) وأنا لا أرضى بهذا وإن قالت ليلى الأخيلية تمدح:

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره   إلّا مَلد يغلب الحقّ باطلُه

وقال أبو الطروق الضبي يمدح واصل بن عطاء:

عليم بإبدال الحروف وقامع   لكل خطيب يغلب الحقَّ باطلُه

لأنه غير الواقع ولأن لا فخر بالغلب إلّا إذا توكأ على الصواب.

هذه خلاصة ما جرى بتلطيف؛ لأنني بحمد الله من مبغضي المجازفة والتطفيف، وما يوم حليمة بسِر[١]؛ وإن له لخبر؛ وإن توفرت على كتمه الدواعي؛ لمنتشر، إذ وقع في يوم مشهود، ضرَعَت فيه من مبغضي الإصلاح الخدود، واتفق أن قمت خطيباً في حفل جنازة السلطان المحسن بن غالب؛ فأنهى إليَّ المنصب السيد عمر بن عبد الله الحبشي؛ عن بعض فاسدي الأغراض؛ ومظلمي الأغراض؛ أنه تكلم عليَّ بظهر الغيب؛ من حيث سمعه هو ومن حوله؛ فلم يكن منِّي إلّا أن قمت في الدرس العام؛ ليلة السبت؛ ورددت قوله على مسمعٍ منه؛ وتناولته بنحو ما يتناول به الحسن السبط؛ زياداً وأمثاله، وحدث بعد ذلك أن تكلم بعض المغفلين بكلام سخيف؛ في مجلس عام اعترضني به في خطابتي، وكان يسكن في بيت مغصوب، وبلغ من تهوره أن ادَّعى على بعض الأغبياء أنَّ النبيَّ ﷺ أحاله عليه بخمسمائة ريال فرانصه.

وغِب الإلحاح؛ طالبه المثري بصك الحوالة، وبعقب الممانعة والمراجعة وقلة الحياء؛ نقده المبلغ؛ فأخذتني من كلامه حدَّة، ورددت قوله بشدة، فبعث لي أحد الطلبة قصيدة يذكر فيها من سيرة السلف، شيئاً مما درجوا عليه من الزهد واجتناب الترف، وأرسل القول على عواهنه؛ مع أنه مستوفى بتفصيله في نظمي؛ وترى كما ترى في هذه القصائد؛ بوعظٍ بيِّن، وكلام يمتزج خشِنُه باللِّين، فهو إنما حفظ من قولنا وأضاعه، ورَدَّ إلينا بعض البضاعة، وكأنه اطَّلع على ما جرى بيننا وبين السيد سقاف بن عبد الله السقاف من المحاورة السابقة؛ فأحبَّ أن يكون له مثلها. وفي قصيدته؛ عرَّض بلومنا في الإغلاظ لذلك الغبيِّ، والشدة في الدفع؛ وما كانت إلّا عن مقام النبيِّ، فحرَّك منَّا القلم بهذه القصيدة الفاضحة؛ والحجَّة الراجحة؛ وهي من بحر قصيدته؛ وقافيتها وكانت في شوال من سنة ١٣٤٤هـ.

مـقـالٌ أتـانـي هـيَّـج الـهـمَّ والأسـف وذكَّرني مجْدَ الجُدود الذي انتسف[٢]

---

(١) ما يوم حليمة بسر: مثل يضرب في الذي اشتهر وأصبح معروفاً.

(٢) انتسف: اقتلع من أصله.

وإن شانَه الإجمالُ فالذرُ سائغٌ يمهِّدُه القصدُ الجميلُ فلا أنَفْ[١]
وواجبُهُ عَوني إذا كان صادقاً لإنقاذ جيلٍ في متائهه رَسَفْ
بتأليفِ حزبٍ لا تُحابِي رجالهُ ولا يقبَلونَ العضوَ إلّا إذا حَلَفْ
ولا خيرَ في الأقوال ما لم يكنْ لها وفاءٌ بأعمال تقوِّمُ ما انعَطَفْ
ولا يلزمُ الإنسانَ نيلُ العُلى إذا سَعى جُهدَه فيها وهامَ بها شَغَفْ
وكلُّ الذي في نظمه قدْ علَلْتُهُ بتفصيله للِقوم لكنَّهم جِيَفْ
متى اجتَمعوا في مَحْفِلٍ قمتُ بينهم بوعظٍ تَشَظَّى عن دَرَارِيّه الصدَفْ[٢]
فكم خطبةٍ حبرَّتُها ورسالةٍ بها سارتِ الأمثالُ والباطلُ انكشَفْ
بذلتُ لهم نُصحي بلُطفٍ ورأفةٍ وأوجَرْتهم كاسَ الصوابِ بلا جَلَفْ[٣]
وبيَّنتُ وجه الحقِّ حتى تركتُه يلوحُ كمثلِ الشمس ما فيهِ مختلَفْ[٤]
وَأعدَدتُ للإفصاح عن كلّ مُشكلٍ شَبَاة يَراعٍ لا يجُارى إذا رَعَفْ[٥]
ولكنهُ الإدبارُ أفسد رأيهَم فألقَوْا بأيديهم إلى باعة الشرَفْ
إلى مبُغِضي الإصلاح من كلّ حاسدٍ قُصارَى أمانيه افتراقُ من ائتلَفْ
وهلْ ينفعُ التذكيرُ إلّا لمنْ بهِ حياةٌ إذا ذكَّرتَه تابَ واعتَرَفْ؟
تولّاهُم الإعراضُ عن قِدَّة النَّجا وأردَتْهم الأغراضُ في هُوَّة التلَفْ[٦]
وبالثُّومِ باعُوا المَنَّ واستبدلوا على هوى القادة الأغمارِ بالجوهر الخزَفْ[٧]

---

(١) فلا أنف: فلا كراهة.
(٢) تَشَظّى: تفرق وتشقق وتطاير.
(٣) الوَجور: الدواء يصب في الحلق. بلا جلف: بلا غلاظة وجفاء.
(٤) ما فيه مختلف: اختلاف.
(٥) شَبَاة يراع: حد قلم. إذا رعف: إذا سال مداده.
(٦) قدة النجا: طريقة النجاة. الهوة: الوهدة الغامضة من الأرض.
(٧) وبالثوم: يريد أنه كاليهود اشتروا خبيثاً بطيب. الأغمار: جمع غُمْر وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور.

فكم من بروجٍ شِدْتهُا في صلاحِهم ... فضعْضَعها سيلُ الفسادِ الذي جَرَفْ
ولا غَرْوَ فالبَانِي وحيدٌ وهادِمُو الْـ ... ـمَباني كثيرٌ من أُولي البَغْي والصَّلَف
تبيَّنْ؛ فكم جمعيَّةٍ قد عقدتهُا ... بها كلُّ ذِي غَيٍّ على حدِّه وقَفْ[1]
وقام بها الإنصافُ والعدلُ ظلُّه ... على كلِّ مظلوم ومنكِسر ورَفْ[2]
وخِيطَ بها المفتُوقُ وارتأَبَ الثأي ... وعادَ إلى النهج السويِّ مَنْ انصرفْ[3]
وأوجس منها خِيفةً كلُّ باسطٍ ... على مال وقْفٍ كلّما أَثْمر اختَطَفْ
وديوانهُا لي شاهدٌ وأنا الذي ... تحمَّلتُ وحدي عمرَها سائرَ الكُلَفْ
وما استاءَ إلّا الخائنون لأنهم ... بها حُرِمُوا من ظلمِهم كلَّ مرتَشَفْ
وما برِحُوا عندَ الأميرِ بكيدِهم ... يَشُونَ بها حتى تنكَّر وانْحَرَفْ
فعرقلَ مسعاها ومذْ تمكَّنتْ ... وشاياتهُم من عقله جَارَ واعْتَسَفْ
ولكنني قرَّرتُه في حضورهم ... بهذا وألجمْتُ الذي نَمَّ واقْترفْ
فيا لكَ منْ يومٍ به الحقُّ جَهْرةً ... بمنزلِ مشهورٍ من الباطلِ انتَصَفْ
وما زلتُ مذ نِيطتْ برأسي عمامَتِي ... بلاءً على مَنْ سنَّ في قُطرِنا التَّرَفْ
وخالفَ ما كانتْ عليهِ شيوخُنَا ... علانيةً فالحقُّ من فعله انكَسَفْ
وهل ذبَّ عن أَسلافِنا وطريقِهم ... سِوايَ وما أدراكَ من خالَف السلَفْ؟
أَلم تر أَنِّي قمتُ لله ضدَّه ... وأصبحتُ في نصر الهدَى للأذى هَدَفْ
وضحَّيتُ في تأييدِهِ بمصالحي ... وقد حاوَلُوني بالهدايا وبالطُّرَفْ
فعوَّضَني عنها الكريمُ بجُوده ... حلالاً بمقدار الكفاية يُقْتَطَفْ
وسَلْ إن جَهلتَ الناس عما ذكرتهُ ... ولن تَخْلُ مهما كان أمركَ من طُرَفْ[4]

---

(١) تبين: أمر بالتبين والنظر.
(٢) ورف الظل: امتد وطال.
(٣) ارتأب الثأي: صَلَح الفساد.
(٤) لن تخل: جزم الفعل بلن فحذف حرف العلة وهو جائز كما نص عليه.

ولوْ أنني أُغضِي كغيرِي على القَذَى ... لدَرَّتْ لي الأموالُ وانثالَتِ التُّحَفْ
ولو كنتُ من أَهلِ التملُّق والرِّيا ... لقارَبني السلطانُ واشتدَّ بي كَلَفْ
ولو كنتُ من أهل الخرافات والرُّؤى ... لَرَأيتَ فِنائي بالمُداجِينَ مكتَنَفْ
أَبَتْ لِيَ إعطاءَ الدنيَّةِ هِمَّةٌ ... متى اندفعتْ في حَلْبَةِ المجدِ لم تُكَفْ[1]
وأمٌّ حَصَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وشيخٌ عن الدنيا وسَفْسَافها عَزَفْ[2]
فها أنا ذَا حرْبُ المضلّينَ صاغةِ الْـ ... أباطيلِ مَنْ ريحُ الغُرور بهم عَصَفْ
وما زلتُ غيظ الخائنينَ فدَعْوَتي ... علالِيُّهُمْ منها تزلْزَلْن والغُرَفْ
وفُزْتُ على الحزبين من غيرِ قوَّةٍ ... وهذا بحمدِ اللهِ من أغربِ الصُّدَفْ
ولستُ بِوانٍ عن مجاهدَتي ولو ... على جِدَتي حتى أرى الباطِلَ انْقَصَفْ

---

(١) الحلبة: خيل تجمع للسباق من كل أوب للنصرة. لم تكف: لم تمنع.

(٢) حصان: عفيفة. ما تزن بريبة: ما تهتم بسوء سفسافها: رديئها وحقيرها. عزف: زهد فيه وانصرف عنه. والإمام ابن عبيد الله يشير هنا إلى أمه وأبيه؛ أما أبوه فهو الإمام العابد الزاهد عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ) قال عنه ابن عبيد الله: كان آية في عزة النفس والصدع بالحق والشدة فيه والغيرة عليه إلى بسطة كف ورحمة وشفقة وسلامة صدر وورع حاجز واحتياط تام وقناعة بما يجد من حرثه. وقال ابن عبيد الله: وطيلة حياتي معه لم أسمع منه لغواً قط وكان أعيان زمانه يعرفون ذلك عنه وكانت ترتعد عنده فرائص الملوك لما يرون عليه من عزة الإيمان وشرف العلم وصولة الحق وسلطان الصدق وقوة اليقين فيأمرهم وينهاهم ولا يؤملون أن يقبل منهم شيء (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٣). أما والدته فهي الشريفة نور الجفري وهي شقيقة لزوجة الإمام علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩ - ١٣٣٣هـ) ولذا كان الإمام ابن عبيد الله دائم الزيارة للإمام الحبشي ومن خواصه قال ابن عبيد الله: مع حبي له وميل طبيعي إليه وشعوري بالأنس في مجالسه مما يوجه إليّ من الخطاب ويساجلني فيه من نوادر الأدب وإشعاره لأنه كان رقيق الطبع سليم الذوق يطرب لبدائع الأشعار ويتزيدني منها؛ وكنت أجد في مجلسه من ضوال شبان الأدب؛ وعشاق الممازح والفكاهات؛ ما لا أجده عند والدي ولا عند غيره (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٣٨٤).

وليسَ منَ الإسرافِ مَيلي عليهمُ بحقٍّ ولكنَّ الدِّهانَ هو السَّرف
وما قلتُ إلّا ما تقومُ بصدقهِ العُد ولُ فلا لومٌ عليَّ ولا وكَفْ[١]
وإن كان للتيسيرِ والرفقِ موضعٌ فللعُنف أيضاً موضعٌ عند من عرَفْ
لكلِّ مقامٍ حكمُهُ فانتبِهْ له ولا تُطلِق الأحكامَ فالنقدُ مُؤتنَفْ[٢]
وميِّزْ وقِفْ عندَ الحدودِ ولا تكنْ كخابطِ ليلٍ واحذرِ الزيْغَ والجَنَفْ[٣]
فمن لم يَزِنْ بالعِلم أقوالَه غَدا كمن يجمَع التَّطفِيفَ في الكيلِ والحَشَفْ
ولا يستوي قدراً عليمٌ وجاهلٌ ولا ذُو الحجا ميزَانهُ مثلُ ذي الخَرَفْ[٤]
ولا تَقْفُ ما لا علمَ عندَكَ راسخٌ به واتَّبِعْ مَنْ مِنْ منابِعهِ اغْتَرَفْ
وفي كتُبِ التعديل والجَرح مَقْنَعٌ فراجعْ تجِدْها سامحتْ فيهِ من قَذَفْ
وفعلُ رسولِ الله أبلغُ حجَّةٍ وفي نون؛ ذمٌّ للوليدِ بما اتَّصف[٥]
وهذا أميرُ المؤمنين كما أتى على مَن تعدَّى طورَه لعنُه وكَفْ[٦]
وقد جاءَ في بعض الرِّوايات ذكرُهُ زِنا أم عمرو وهو في جامع النَّجَفْ
وذلكَ برهاني الذي لم أزَلْ به أردُّ على من أخطأ الحق أو هَرَف[٧]
وكمْ من حكيمٍ قد حكمتُ بهديهم وكمْ من عليم ريقُه بالدَّليلِ جَفْ
وسِيرةُ أصحابِ الكِسا العصمةُ التي يفوزُ الأُلى يأْوُونَ منها إلى كَنَفْ
فأوصيكَ إن شئتَ النَّجاةَ بهديهم تمسَّكْ به في كلّ حالٍ ولا تَخَفْ

---

(١) لا وكَف: لا عيب ولا نقص.
(٢) مؤتنف: يريد مستأنفاً متجدداً.
(٣) الجنَفَ: الميل عن الحق.
(٤) الخرف: فساد العقل.
(٥) نون: يريد سورة ن والقلم: والوليد هو ابن المغيرة المخزومي وقد نزلت في وصفه بأوصاف ذميمة بضع آيات فيها.
(٦) أي تتابع لعنه على من تعدى طوره.
(٧) هرف: هذَى.

وفكِّرْ وقِفْ عند الحقيقةِ والتمِسْ — لدى اللّهِ لا عِندَ الدجاجِلة الزَّلَفْ[١]
وضَحِّ بِودِّ الأغبِيَاءِ فإنهم — لهم بِأُولي التمويهِ والافْترا شغَفْ
ومَن ظنَّ إقبَالَ الطَّغام على امرئٍ — دليلاً على الوُدِّ الإلهي فقد قَرَفْ[٢]
فإن لم تصانِعْهم ولم تحتفِلْ بهم — وإلّا فَدَاوِ النفسَ إنَّ بها دَنَفْ[٣]
ولا يعدَم الشُّبانُ منكَ دِعابةً — عسى أن يفيدَ النُّصْحُ ناشئةَ الخَلَفْ
وأَوْلَى مُهِمٍّ أن يصونوُا وجوهَهُم — بأن يستعِينُوا بالصَّنائع والحِرَفْ
فإنْ بقي الأشرافُ عنها بمعزلٍ — فقد شَقِيتَ حتى الأجِنَّةُ والنُّطَفْ
وأقْصى المُنَى تأليفُ حزبٍ كما مضى — يُصَانُ به الباقي لَدَينا من النُّتَفْ[٤]
فإنا على خوفٍ من الفتنةِ التي — أذاها على رَغْم الأنوف لكم دَلَفْ[٥]
غزا الدينَ شرُّ الغربِ في كل نقطةٍ — وكيفَ بكم يوماً إذا جَيشُه زَحَفْ[٦]
فإن بَقيتُ للخيرِ فيكم بقيَّةٌ — فهُبُّوا وإلّا فالدَّمارُ بكم هَتَفْ
وليسَ لنا إلّا النبيُّ وصهرُهُ — وسِبطاهُ والزهرا إذا جَنَّتِ السُّدَفْ[٧]
بحرمتهِمْ نستدفعُ البُوسَ إنهُ — متى سئِل الباري بحرمتهم لَطَفْ
من الملأ الأعلى عليهِمْ تحيّةٌ — مضاعفةٌ ما بارقٌ في الظَّلام رَفْ[٨]

---

(١) الدجاجلة: الكذابون الموهون. الزلف: المنزلة والقربة.

(٢) الطغَام: أوغاد الناس ـ قرف: كذب.

(٣) الدنف: المرض وجواب الشرط الأول محذوف لدلالة المقام عليه.

(٤) النتف: جمع نتفة وهي ما تنتفه بأصبعك من النبت وغيره.

(٥) دلف: مشى إليكم مشياً فوق الدبيب.

(٦) كأنما الإمام يستشف مستقبل العرب والمسلمين من خلال غشاء رقيق لأن ما ذكره هنا قبل سبعين سنة حصل في هذه السنين الأخيرة.

(٧) السدف: ظلمات الليل.

(٨) رَفَّ: تلألأ.

وما رقَصَتْ حمرُ المطايا لِسُوجِهمْ   وما جفْنُ مشتاقٍ إلى قربهم ذَرَفْ[1]
وما ناحَ غربي الضريحِ شَجٍ وما   شكى أو بكى أو قامَ يدعُو أَو اعتكفْ[2]

* * *

(١) ذَرَفَ: سال دمعه.

(٢) ناحَ: بكى. شجٍ: حزين.

القصيدة الثالثة والعشرون

رقّت

وقلت هذه في سنة ١٣٣٤هـ؛ وأرسلتها للسيد حسين بن حامد المحضار(١).

رقّتْ لمجرى الدمعِ من آماقِي ... وتوجّعَتْ لفؤاديَ الَخْفَّاقِ(٢)
وتأملتْ في لوعَتي وتأوُّهي ... فتوهَّمتْ أني من العُشَّاقِ
وتفرَّسَتْ أنَّ الذي قد حلَّ بي ... من فُرقةِ الأحبابِ والأشواقِ
ما أَخطأَت في حَدْسها مَرْحَى لها ... أَنا شيِّقٌ لمكارمِ الأخلاقِ(٣)
ما زِلتُ أبحث كَيْ أَرَى أثرًا لها ... غيرَ الذي نتلوهُ في الأوراقِ(٤)
فتَّشْتُ في العلماءِ والأمراءِ والـ ... ـوزراء وأهلِ الْجدِّ والإملاقِ(٥)

---

(١) الزعيم حسين بن حامد المحضار سياسي داهية تولى مقاليد الأمور في السلطنة القعيطية وفوض له سلاطينها جميع أمورها لانشغالهم بأموالهم في الهند وإقامتهم فيها معظم الوقت؛ وقد مد الزعيم المحضار رقعة الدولة القعيطية بالسياسة والدهاء والجاه وأحياناً بالحروب وكان ذا حكمة وعزيمة ودهاء كما كان على جانب كبير من الخلق والدين والورع وله أشعار جميلة ونوادر عجيبة وتوفي سنة ١٣٤٥هـ. وكانت بين الزعيم المحضار والإمام ابن عبيد الله كثير من الممازحات التي أوردت طائفة في كتاب والدي محسن بن علوي السقاف المسمى ذكرياتي ومختاراتي. وذكر الإمام أن الزعيم حسين بن حامد أرسل القصيدة إلى معانديه بسيؤون ليتسلى بإثارة الخصام بينهم. وليشغل رجال الدولة الكثيرية عن تحركاته في سبيل توسيع رقعة الدولة القعيطية المنافسة لها.

(٢) آماقي: جمع مآق وهو مقدم العين أو مؤخرتها.

(٣) مَرْحى لها: كلمة تقال عند إصابة المرمي.

(٤) في الأصل: لي أثراً وهو تحريف ونقص.

(٥) الجد: الحظ. الإملاق: الفقر.

مـا إن وجَـدتُ وجـودَهـا فـي واحـدٍ ... مِـن هـؤلاءِ فـعُـدتُ بـالإخـفـاقِ

وبـقـيـت فـي تـعَـبٍ وهـمٍّ نـاصـبٍ ... بيـن الرجا واليَأس ضاقَ خِناقِي[1]

أَمَضَتْ مع السلَفِ الفضائلُ كُلُّها ... أم فـي الـزّوايـا الـيـومَ شـيءٌ بـاقِـي؟

أيـنَ الـفـتـوَّةُ والـمـروءةُ؟ أيـنَـهـا؟ ... أيـن الـوفـا بـالـعـهـدِ والـمـيـثـاقِ؟

أَيـن الـفـضـيـلـةُ هـل لـهـا مـن حـامـلٍ ... نـسـعَـى لـرؤيـتـه عـلـى الأحْـداقِ[2]

كسَـدَتْ بـضـاعـتُـهـا وبـاءَ تِـجـارُتـهـا ... بـالـنقـص والـخسـرانِ فـي الأسواقِ[3]

مـا فـي الـمـكـارم راغـبٌ كـلَّا ولَا ... لـلـصِّـدْقِ والإنـصـافِ سُـوقُ نَـفـاقِ[4]

يـا رُبَّ شـخـصٍ ذي جـمـالٍ مـونـقٍ ... مـن تـحـت بِـزّتِـه مـثـالُ نِـفـاقِ[5]

ورئـيـسِ قـومٍ لـلـصّـلاح مُـرَشَّـحٍ ... أبـداً يـفـكِّـرُ فـي اخـتـلاقِ شِـقـاقِ[6]

ومـقَـصِّـرٍ مـن خَـطْـوه ذي سُـبْـحـةٍ ... يَـمْـشِـي بـتَـوْآدٍ مـع الإطـراقِ[7]

مـا هـمُّـه إلّا اخـتـراعُ مـكـائـدٍ ... يُـغْـوي بـهـنّ الـجـامـديـنَ دِقـاقِ[8]

هـذا لـعُـمْـرُكُـمُ الـشـقـاءُ بـعـيـنـهِ ... هـذا مـثـيـرُ الـوجْـدِ والإحْـراقِ

يـا لَـلْـعـشـيرةِ هـلْ لـنـا مـن هـذه الْـفِـ ... ـتَـنِ الـتـي نـزلـت بـنـا مـن وَاقِـي؟

عِـلَـلٌ تـحـكَّـمَ ضـرُّهـا وفـسـادُهـا ... هـلْ مـن طـبـيـب مـتـقِـنٍ أو راقِـي؟

مـتـوسـلـيـنَ بـحـبِّ خـيـر وسـيـلـةٍ ... وأَجـلِّ واسـطـةٍ عـلـى الإطـلاقِ

طـه وفـاطـمـةُ الـبـتـولُ وزوجـهُـا ... وابـنـاهـمـا الـقـمـران فـي الإشـراقِ

---

(١) هم ناصب: منصب متعب.

(٢) الأحداق: جمع حدقة وهي سواد العين.

(٣) كسدت: بارت. تجارها: جمع تاجر.

(٤) نفاق: رواج.

(٥) ونق: يعجبك حسنه وأصله مؤنق. البزة: الثياب.

(٦) شقاق: خصام. ويقصد هنا الزعيم حسين بن حامد المحضار.

(٧) بتوآد: في الأصل بتوءدة وهو لا يستقيم به الوزن.

(٨) دقات: غامضات جمع دقيق بمعنى غامض.

فَهُم إذا اشتدّ البلاءُ وسيلَتِي وهُم إذا أَعيا الدّوَا تِرْياقِي
أدعُو بهم ولذكرهم في خاطِرِي أثرٌ بمحو الخوفِ والإشفاقِ
أن يَكشفَ المولى البَلا ويُزيلَه ويُديلَ هذا الأسرَ بالإعتاقِ[1]
ويحرِّرَ الأرواحَ من رِقِّ الهَوَى ويَحُلَّ عنها عقد كلِّ وَثاقِ[2]
ويُثقِّفَ الأخلاقَ كيما يُجتَلَى بدرُ الهدى من بعد طولِ مَحاقِ[3]
وتعودَ للشرف الأثيلِ حياتهُ ويُلَمَّ شَملُ العزِّ بعد فِراقِ[4]
ويُرَدَّ كيدُ الحاسدينَ ومكْرُهم وتُغَلَّ أيديهم إلى الأعناقِ
ويزولَ ظلمُ الظالمينَ وجورُهم وتُضَاعَفُ البركاتُ في الأرزاقِ
وعلى النبيِّ وآلهِ أزكى الصلاة وأَشرفُ التسليم باستِحقاقِ
ما أطرب الغصنَ الحمامُ وأضحكَ الـ ـروض الغمامُ بدمعِه الدَّفاقِ

* * *

(١) يديل: يغير ويبدل.
(٢) وثاق: قيد يوثق به.
(٣) محاق: استسراء القمر فلا يرى.
(٤) الأثيل: الأصيل.

القصيدة الرابعة والعشرون[١]

لا يرأمُ العجزَ

لا يـرأمُ الـعـجـزَ إلَّا غـيـرُ مُـشـتـاقِ ... ولا يـنـالُ الـمـعـالـي غـيـرُ سبَّـاقِ[٢]

والـعزمُ والـحـزمُ معراجُ النجاح فـمـا ... عـلـى امرىءٍ جدَّ عـزماً خـوفُ إخفَـاقِ

ولَـن يـرومَ الـعُـلـى إلّا أخـو كَـرَمٍ ... والـلُّومُ علَّـتـهُ أَعْـيَـت عـلـى الـراقـي[٣]

ولَا يـسـوقُ لـنـيـلِ الـمـكُـرمـاتِ ولاَ ... لـلـسُّـؤْدُدِ الـضـخـمِ إلّا طِـيـبُ أَعْـرَاقِ[٤]

وأنـت يـا ابـنـي لِجِذْمٍ طابَ مَغْـرِسـهُ ... يُـسْـقَـى بـمـاءٍ مـن الـعـرفـانِ دفّـاقِ[٥]

أُرومـةٌ لـو تـجـلَّـى نـورُ عـنـصِـرهـا ... فـي جُـنـح داجـيـةٍ هـمَّـتْ بـإشـراقِ[٦]

ونـسـبـةٌ كـالـنـجـومِ الـزُّهْـر مـنـقـطـعٌ ... عـنـهـا الـنـظـيـرِ يـدُ الـمـولـى بـإطـلاقِ[٧]

مـفـاخـرٌ جَـمـعـت شَـتَّ الـكـمـالِ إلـى ... خـيـرِ الـورَى زلَّ عـن مَـرْقـاتِـهـا الـراقِـي

فـانـهـضْ لـتـقـريـبِ أقـصـاهـا فـإنـيَ مِـن ... خـوفِ انـقـطـاعِـك عـنـهـا فِـضْـنَ آمـاقِـي

---

(١) كان إنشاء هذه القصيدة في سنة ١٣٥١هـ وأظنه يوجه فيها النصائح لابنه حسن وهي نصائح مفيدة لكل الشباب

(٢) لا يرأم العجز: لا يحبه ويألفه.

(٣) اللوم: اللؤم ضد الكرم.

(٤) أعراق: أصول.

(٥) لجذم: أصل. مغرسه: منبته. دفاق: عظيم الدفق والاندفاع لكثرته.

(٦) أرومة: أصل. داجية: ليلة مظلمة.

(٧) نسبة: قرابة. بإطلاق: متعلق بمنقطع. يد المولى: أي هي يد المولى ونعمته علينا والجملة معترضة.

وشمِّرِ الذيلَ في تحصيل غايتها فأنتَ للفوزِ إن صحَّ الهوى لاقِي
واعصِ الهَوى في العُلى واحذر عوائقَه لا تَنْخدع بسَرَابٍ منه برَّاقِ
واستعمِل الصِّدق إنّ الصدقَ غايتهُ نيلُ الأماني وفي التجريبِ تصْدَاقِي
واصْبِرْ قليلاً على شَرْى الجهاد ففي أعقابه الأرْيُ ممزوجاً بدِرْياقِ[1]
وثِقْ بمولاكَ واقطَع عن سواه وإن وَالى رجاءَك في يُسْرٍ وإملاقِ[2]
واحْذرْ من الناسِ إنّي بعد خِبْرتهم لم أُلْفِهمْ غيرَ ختَّالٍ ومرَّاقِ[3]
والعلمُ أشرف ما ازْدانَ الرجالُ به إن كلّلُوه بآدابٍ وأخلاقِ
مَات الملوكُ وأهلُ المالِ قد دَرَسُوا والعلمُ أصحابهُ تذكارهُم باقِي

❋ ❋ ❋

(١) شَرْى الجهاد: مرّه والشرى الحنظل. الأري: العسل. الدرياق: الترياق وهو دواء نافع.
(٢) إملاق: فقر.
(٣) ختال: كثير الختل والخداع. مَرَّاقِ: كثير المروق والخروج من غير المدخل.

القصيدة الخامسة والعشرُون

الرد على الأبيات المشؤومة[١]

ورأيت في بعض المجلات سنة ١٣٥٤هـ؛ أبياتاً يعطف صاحبها على بَغِيّ؛ ويعتذرُ لفُحْشِها؛ ويعترض على توعدها بالجزاء؛ وقد علّق عليها صاحب المجلة بالاستحسان. والباقي بذكرى من تلك الأبيات المشؤومة؛ هذه الأربعة؛ بلفظها أو بمعناها؛ إن أخطأت بعض اللفظ[٢].

وقَـفَـتْ بـالـبـاب فـي ثـوبٍ رقـيـقْ تـفـتـحُ الـبـابَ لـقُـطَّـاعِ الـطـريـقْ
جـعـلَـتْ مـنـهـا الـلـيـالـي سِـلْـعـةً مـا الـلـيـالـي غـيـرُ تـنُّـورِ الـحـريـقْ

---

(١) استعملت هذه القصيدة للرد عل النقاد المعاصرين الذين نظروا إلى شعر وأدب وعلم الإمام ابن عبيد الله بسطحية شديدة حتى إنهم اعتقدوا أن قصيدة ابن عبيد الله التي مطلعها:
لـهـفـي لـغـانـيـة تـصـيـح ومـا لـهـا مـــن نـــاصـــر حـــتـــى بـــرد جـــواب
إنه يقف فيها للدفاع عن الغواني والبغايا مما أصابهن من ظلم المجتمع ولم يعرف أن الإمام إنما كنّى بالغانية في تلك القصيدة عن الشريعة الإسلامية التي أهملها أهلها وقد ظهرت هذه الكناية واضحة في آخر القصيدة بما يشي بأصحاب هذا الرأي بل إن الواقع على العكس من ذلك كما يتبيّن من هذه القصيدة التي استعملتها للرد على هؤلاء النقاد المعاصرين. ومن القصيدة يتوضح لنا انزعاج الإمام الشديد بهذه الكتابات التي أفسدت الصحف بعد أن كانت مناراً للعلم والمعرفة وهو يشير إلى أمثال مجلة المنار ومجلة المؤيد ومجلة الأزهر والتي سبق وأن كتب فيها؛ وأتساءل كيف لو كان الإمام بيننا اليوم؛ كيف يكون رده على ما يأتي من أمثال هذه الكتابات في الصحف والمجلات وما يأتي في الأفلام والمسلسلات مما لا يقارن بشيء من الماضي ومع ذلك لا يوجد له منتقدون ولا معارضون.

(٢) هذه الأبيات من قصيدة للشاعر والروائي المصري صالح جودت (١٣٣١ ـ ١٣٩٦هـ).

يـا إلـهـي كـيـف أعـددْتَ لـهـا ... بـعـد دنـيـاهـا عـذابـاً هـل تُـطـيـقْ
أَشَـقِـيُّ الـدهـرِ يـشْـقَـى بـعـدَه ... وهـو بـالـرحـمـةِ فـي الأخـرَى حقيقْ

فأخذتني من ذلك حِدَّة تليق بمؤمن وقلت بديهاً:

وضَـحَ الـحـق ولـم يَـخْـفَ الـطـريـقْ ... غـيـر أن الـذنـبَ لـلـعـقـل الـرَّقـيـقْ[1]
عـمَّـتِ الـفَـوضـى ومـن مـقـبـوحِـهـا ... شـاعـرٌ جـافٍ بـه الإثـمُ يَـحِـيـقْ[2]
نـازعَ الـجـبـارَ فـي تـهـديـدهِ ... لـلـبَـغـايـا زاعـمـاً أنْ لا يـلـيـقْ
قَـفَّ رأسـي وتـلـظَّـى خـاطـري ... والفضاءُ الرحبُ أضحى بي يَضِيقْ[3]
ومـحـالٌ عـذرُ مـن يـبـقـى لـه ... مـع هـذا الـغِـشّ والإلـحـادِ رِيـقْ[4]
أيُّ شـرٍّ وبـلاءٍ نـازلٍ ... بـعـبـادِ الله مـن هـذا الـفَـريـقْ
قـد تـعـدَّى طـورَه مـن جـهـلـهِ ... فـهْـو فـي الإسـرافِ والـبـغـيِ عـريـقْ
تـاهَ عـن فـهـم الـمـعـانـي سـالـكـاً ... من موَامِي الكفر في وادٍ سحيقْ[5]
حـاول الـطَّـفْـرةَ عـن أُحـمُـوقـةٍ ... أنـزلـتـه هُـوَّة الـخِـزْي الـعـمـيـقْ
ظـنَّ أن الـحـق مـا يـهَـذِي بـه ... دون مـيـثـاقٍ مـن الـعِـلـم وثـيـقْ
إنـمـا الـفـرقـانُ نـورُ الـعـلـم مِـنْ ... دونـهِ لا يـنـفـعُ الـقـولُ الـذَّلـيـقْ[6]
قـل لـهـم لـو صـحَّ مـا قـلـتـم لَـمَـا ... كـان عـاصٍ بـمـجـازاةٍ خَـلـيـقْ
حـيـث مـا مـن مُـجْـرِمٍ إلّا لَـهُ ... وهـو فـي الـغـيِّ أنـيـنٌ وشـهـيـقْ
مـا صـفـا عـيـشٌ لـفـتَّـاكٍ وإن ... كـان فـي قـصـرٍ وبـسـتـانٍ وَرِيـقْ[7]

---

(١) الرقيق: الذي استعبدته الشهوات. (٢) يحيق وينزل.
(٣) قف رأسي: قام شعري من الفزع. تلظى: احترق.
(٤) ريق: لعاب.
(٥) موامي الكفر: فلوته جمع موماة وهي الفلاة.
(٦) الذليق: الحديد.
(٧) ربق: قوة.

لكنْ المؤمنُ باللّهِ إذا أخلصَ الإيمانَ بالسعد حقيقْ
لا يرَى مسَّ الأذى من بعد ما يبذلُ المجهودَ إلَّا كالرَّحيقْ[1]
فطليقُ الدِّين في قيدِ الشقا وأسيرُ الدينِ مرُتاحٌ طليقْ
هو في الأولى وفيما بعدها رابطُ الجاشِ وفي عيشٍ أنيقْ[2]
إنما التكليفُ ألطافٌ أتتْ لبني الإنسان من ربٍّ شفِيقْ
عندهُ سبْحانه في طَيِّها حكمةٌ تعلو على الفهْم الدقيقْ
والذي يظهرُ منها سَوْقُهم لسبيل الفوزِ بالسوْقِ الرفيقِ
وسعتْ رحمتُه سائرَهم ومن الرحمةِ إعدادُ الحَرِيقِ[3]
لو تساوى الناس في العُقْبَى لما كان وجهُ العَدْل وضَّاحَ البريقْ
ما يضرُّ العدلَ وهو السرُّ في الْكـ ـوْن جافٍ من قضاياهُ حنِيقْ[4]
لم لا يقهَرُ مَرْءٌ نفسَه؟ إنَّما النفسُ عدوٌّ لا صديقْ
كلُّ إنسان رقيقٌ للهَوَى ومتى خالفَه فهْو العتيقْ
وبماذا يستحق العفوَ مَنْ يتمادَى وهو للتوْبِ مُطيقْ؟
إنما شأنُكُم الدعوى وما عندكم غيرُ التمنِّي والنعِيقْ[5]
تدَّعون الشاوَ في الفضل وما عندكم علمٌ من الصَّنو الشقيقْ[6]

---

(١) الرحيق: صفوة الخمر.
(٢) أنيق: حسن معجب.
(٣) أي نار جهنم
(٤) حنيق: كثير الحنق والغيظ.
(٥) النعيق: التصويت.
(٦) الصنو الشقيق: قال المؤلف بالهامش. المراد: الروح؛ فإن الحكماء؛ فضلاً عمن دونهم؛ ماتوا بحسرة عن اكتناهها حتى لقد اختلفوا فيها؛ لبعدهم عن إدراك الحقيقة؛ إلى ألف قول اهـ.

وعلى الغيب تَسَوَّرتُم ولم ... تعرفوا ماهيَّة الجار اللصيقْ(١)
ما نهتكم نُهْيَةٌ عن بَغْيِكم ... قبّح الرّحمنُ ذا الوجهَ الصفيقْ(٢)
نَشوةٌ من بِلّة تُهْتُم بها ... في المحارات فَهلّا مُسْتِفيقْ(٣)
وملأتُم صحُف السُّوء وما ... جئتُم إلّا بلغوٍ ونقيقْ(٤)
فبِكُم هانتْ وما عهدِي بها ... قبلُ إلّا جُونَةُ المسك الفتِيق(٥)
يشتكي الجورَ ويُرغي حزبُكم ... وهو في الجوْرِ وفي الجهلِ غريق(٦)

* * *

---

(١) الجار اللصيق قال المؤلف بالهامش. المراد النار فإن الحكماء لا يزالون فيها بحيرة إذ لم يقطعوا بأنها جسم أو عرض وبسيطة أو مركب اهـ.

(٢) نهية: آس لما به النهي عن الشيء. ذا الوجه: هذا الوجه.

(٣) البِلَّة. بالكسر النَدوَة. وبالضم ابتلاء الرُّطب. المحار: باطن الأذن يريد أنهم انتشوا من أحقر شيء وتاهوا فيما لايتاه فيه.

(٤) نقيق: صوت الضفادع.

(٥) جونة المسك: سُلَيْلة مغشاة أدما تكون مع العطارين. الفتيق: قوي الرائحة من قولهم: سيف فتيق إذا كان حاداً.

(٦) يرغي: يبكي ويصوِّت.

القصيدة السادسة والعشرون

المنشورُ الإصلاحيُّ الخطيرُ

وهذه هي النشرة التي سلفت الإشارة إليها في حرف الراء من هذا الباب من «فليمبغ» في ربيع الأول من سنة ١٣٣٠هـ:

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]؛ بما ركَّب الله بين جنبيّ من القلب الذي يتأججُ غيرةً لما حلَّ بوطننا من التأخُّر، ويتدفَّق حماساً لما مُنِينا به من الجمود والتقهقر؛ لم أَزل أهتِف وأقول، وأقصِر وأطول، وأدعو إلى التقدُّم بكل لسان، وأحث عليه في كل مكان، وأحارب أعدائي بكل سيف وسنان، وقد لقيت في عملي هذا؛ ما يلقاه الحق من الباطل، نُبِزتُ بالعيوب، واختُلِقت لي الذنوب، وما عليّ من ذلك ما دامت الصحيفة نقيَّة، والساحة بريَّة، غير أنِّي؛ ربما اختنق عزيمتي بعضَ الأحيان؛ اليأسُ والملل، وقبض بقوف[1] رقبة همَّتي العجزُ والكسل، لأنني أنهض ولا نصير، وأهمُّ بالطيران والجناح كسير، كلما بنيت قصراً؛ قوَّضه الجاحدون. وكلما سعيت في أمر؛ عرقله المعاندون، والله در أم القائل:

إذا أَلْفُ بـأن خـلـفَـهـم هـادمٌ كـفـي فـكـيـفَ بِـبـانٍ خـلـفْـهَ أَلْـفُ هـادمِ

ولم يكن مَرَّ في بالي وجودُ أنصار في أقطار الأرض، يرموُن إلى ذلك الغَرَض؛ ويحبون تشريحَ ذلك المرض؛ حتى وصلت إلى «سنغافورا وفليمبان» فوجدت في الناهضين كثرة، وفي أكباد الجاهلين منهم جمرة، وأخبروني بأنه يوجد من ورائهم في بلدان «جَاوَا» عدد كثير؛ إلّا أنهم لا ينضمون تحت راية حزب؛ ولا يرجعون إلى زعيم ولا كبير، ذلك الذي أحيى منّي ميِّتَ التأميل، ونبَّه

---

(١) أي استولى على العجز والكسل. وأصل قوف الرقبة: الشعر السائل في نقرتها.

عزيمتي وشجعها على المُضيِّ في ذلك السبيل، حينئذٍ اقترحت عليهم وعلى جميع الناهضين في بلاد «جاوا وحضرموت وغيرها» تأليفَ حزب نسميه «حزب النهوض والاعتدال»؛ تكون تكأَتُنا عليه؛ في نشر الأقوال؛ وبثِّ الأفكار، يدفع عنا اضطهاد المضطهدين، ويشجع قلوب الأفراد من إخواننا المصلحين، فإن المرء بأخيه كثير، وما جاءَ من مدح الاجتماع مسلَّمٌ عند الجميع فذكرهُ من التكرير.

ويكون مرمى ذلك الحزب التآخي والوِداد، وتأكيدَ روابط الاجتماع والاتحاد، واستردادَ المجد المضاع، وتجديدَ عز الوطن الذي انصاع، وإنكارَ المنكرات؛ ونشرَ التعليم، وبذلَ المجهود في إجراء مأمورات الشرع الكريم.

وبما أنني رأيت في سياحتي هذه؛ الفرقتين من الناس؛ إحداهما بسطاء العقول؛ وصغار النُّهَى الذين تنطلي عليهم التمويهات والتدليس، وتنفق في أسواقهم بضائع المخرِّفة؛ بالأباطيل والتلبيس، وِسمةُ هؤلاء تقديسُ العادات، والتهافت على عشاق الرسوم ومدَّعي الولايات.

والأخرى؛ هي التي أرادت النهوض؛ فلم تدخل عليه من بابه، ولم تتوسل إليه بأسبابه، فخلطت الحق بالباطل، ومزَجت الحابل بالنابل، وضلَّت عن الطريق، وغرَبَ عنها التحقيق، وتهوَّرَت في إنكار الكرامات على الإطلاق، ولم تفرِّق بين الأولياء الصادقين؛ وسماسرة المداهنة والنفاق.

فلْيبعُد حزبنا عن الفريقين، وليسلك طريقاً بين الطريقين، ويكون أساسه التقوى، ودِعامته إصلاح النيَّات في السرّ والنجوى، وليكن أولُ قدَم نرفعه في سبيل هذا التأليف؛ اجتماعَ لجنة تحضيرية، تفكِّر في برنامج الحزب وشؤونه، والنظر في مقاصده وقانونه، وهنا جاش مرِجل الفكر؛ فارتجلت هذا القصيد؛ لكنه جاء كما يريد؛ تَبَلبُل البال؛ لا كما أريد.

دبَّ الشعورُ دبيبَ البُرء في العِلَل   وسارَ في النَّشء سيرَ السكر في الثَّمِلِ[1]

(١) الثمل: السكران.

ما كنتُ أحسَب إخواني كذا انتبهوُا ... من نومهمْ فوقَ مهْد العجزِ والكَسلِ
ولا تصوَّرتُ إنساناً يساعِدُني ... في الرأي خشيةَ ما يلقى من السَّفلِ[١]
ومُذ وصلتُ إلى «جاوا» لقيتُ بها ... من الصناديد من يحيَا بهم أَملي
من كل ذي غَيْرَةٍ يسعَى بهمَّتِه ... في رفع أمتِه من هُوَّة الخَطَلِ
ثبْتِ الجنان على الإصلاحِ نيتُه ... مقصورةٌ غير هيَّاب ولا وَكَل[٢]
قرَّت بمرآهمُ عيني وثابَ بهمْ ... أُنسي وهزَّت فؤادي نشوةُ الجَذَلِ
مَنَّيْتُ نفسي بلقُيَا مثلهِم زمناً ... تعلُّلاً كيْ أذودَ الهمَّ بالحِيَلِ
واليومَ ألفيتهُم فلأُظْهِرَنَّ لهم ... ما في ضميري وأُمْلي ما تبيَّنَ لي
يا رادةَ الحق إنَّا من تأخُّرنا ... وجهلِ أَقوامِنا في غاية الخجَلِ
يا أَيها القوم هذا وقتُ نهضتكم ... فالصبرُ من بعدِ هذَا غيرُ محتَمَل
كلٌّ ينادِي ويَهذِي في مجالسه ... لكنَّ أقوالَهم خِلوٌ عن العمل
ولْنجتَمع قبلَ شيء في مبادِئنا ... فالاجتماعُ بإصلاح الأمورِ مَلي[٣]
إنَّا وإن كثرتْ في الأرضِ شِيعتُنا ... فالافتراقُ لدينا باعثُ الفَشَلِ
والشأنُ تأليفُ حزبٍ نستردُّ به ... ما ضاعَ من مجدِنا في الأَعصُرِ الأُولِ
يقوَي بهِ الفردُ منا في عزيمته ... فلا يبالي من التَّفنيدِ والعَذَل[٤]
يكون مرماه إنهاضَ البلادِ وإرْشادَ ... العباد إلى الهادي من السُّبل
ونشر رُوح الترقي بالعلوم على ... عِلَّاتِها طبقَ أمر الخاتم الرُّسل
وغسلَ ما شوَّه الدينَ القيومَ به ... أهلُ الضلال من الأوهام والدَّخَل[٥]

---

(١) السفل: جمع سِفلة وسفلة الناس أسافلهم وغوغاؤهم.
(٢) وكل: بالتحريك عاجز.
(٣) ملى: مليء.
(٤) التفنيد: التكذيب وتخطئه الرأي. العذل: اللوم.
(٥) الدخل: الفساد.

والشأنُ في ذلك التَّقوَى وحليتُها والأخْذُ عن جانب التقصير والزَّلَلِ
ونستمدُّ من الله الفلاحَ وأَنْ يمُنَّ بالحفظ في المَسْعَى من الفشَل
بجاهِ طَه وبالسِّبطينِ صفوتِه وبالبتولِ وبالمولَى الإمامِ علي

مسألة: في حكم الرياء[1]

ولِلْقوم في تحقيق مسألة الرِّيَا كلامٌ ولكنْ بعضه فيه إيغالُ[2]
فقد ذكروا إحباطه السعْيَ مطلقاً وعنديَ أن الحقَّ تفصيلُ ما قالُوا
فإن كان نزْراً أَو أَتى بعد ما انقضَى فلا يَلحقُ المسعَى به قطُّ إبطالُ[3]
وفي الظنِّ أن الحجّةَ الخبرَ الّذي ذكرتُ من التفصيلِ في الأمر ميّالُ
وشاهدُهُ في مُسْلِمٍ ودليلُه بكنز عَلاءِ الدين ما فيه إشكالُ[4]

---

(١) الرياء: هو أن يعمل عملاً ليراه الناس، ويقال مراءاة، ويدخل في ذلك من عمل العمل ليسمعه الناس ويقال له مسمع، وفي الحديث عنه ﷺ ـ أنه قال: «من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به» [البخاري: كتاب الرقاق/ باب الرياء والسمع]. والرياء خلق ذميم، وهو من صفات المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

(٢) إيغال: مبالغة.

(٣) ما انقضى: أي تم العمل ومفهومه أنه إذا لم يكن نزراً أو كان مقاوناً أو سابقاً على العمل يحبط العمل فلا يكون له ثواب ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن حجة الإسلام الغزالي فيما يتعلق بالثواب أنه إن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لم يكن فيه أجر أو الديني أجر بقدره وإن تساويا فتردد القصد بين الشيئين فلا أجر، وأما إذا نوى العبادة وخالطها شيء مما يغاير الإخلاص فقد نقل أبو جعفر ابن جرير الطبري عن جمهور السلف أن الاعتبار بالابتداء، فإن كان ابتداؤه لله خالصاً لم يضره ما عرض له بعد ذلك من إعجاب وغيره ومثله في عمدة القارئ للعيني.

(٤) علاء الدين يقصد علاء الدين المتقي الهندي (٨٨٥ ـ ٩٧٥هـ) فقيه وواعظ ومحدث ولد بالهند ثم جاور بمكة ومات فيها وهو جامع الكتاب المشهور في الحديث المعروف بكنز العمال جمع فيه بين الجامع الكبير وزوائده للسيوطي ورتبه على الأبواب الفقهية.

القصيدة السابعة والعشرون

رُدُّوا عَلَى لمَّتي (١)

رُدُّوا عَلَى لـمَّتي الحِبْرَ الذي نَصَلا ... حتَّى أُراجعَ ما في عهدِه حَصَلَا (٢)

فإنها ذِكرياتٌ كلّما ابتسَمَتْ ... للقلبِ آنسَ منها نشوةً فَسَلَا (٣)

خلَتْ عن العَيْن لكنْ في مُخيِّلتِي ... منها كتابٌ حوَى التفصيلَ والجُمَلَا

مَرْسومةٌ في ضميري وهي خاليةٌ ... من المحاسن يكسُوها الهوى حُلَلَا

مرَّ الزمانُ بها عَجْلى وعوَّضنِي ... عنها حُلوماً فلم أقنَع بها بَدلا (٤)

كأنَّ قادِمَتَيْ نَسْرٍ تعلقتا ... فيها فَوَلَّت سِراعاً بين لَا وبلَى (٥)

ألفيتُ كلَّ مصابٍ جلَّ موقعُه ... في جنْب ما فاتني من صَفوها جَلَلَا

فيها أرى البالَ رخْواً والزمانَ رِضيً ... والعيشَ غضّاً وأسبابَ المنى ذُللًا (٦)

والجوَّ طلقاً وشملَ الأنس مجتمعاً ... والحظَّ يبسُط في إقباله الأملَا

---

(١) أنشأ الإمام هذه القصيدة في سنة ١٣٥٥هـ.

(٢) اللَّمَّة: الشعر المجاور شحمة الأذن. الحبر: يريد سواد الشعر الذي ذهب وحل مكانه الشيب وبالهامش كتب المؤلف ربما يقال إن هذا نظر إلى قول البحتري:

ردي على الصبا إن كنت فاعلة ... إن الصبا ليس من شأني ولا أربى

لكنني؛ والله شاهد؛ لم أذكره إلّا بعد نظم هذه القصيدة؛ وهي في بيتي أمكن وأحسن اهـ.

(٣) فسلا: فنسي ما هو فيه.

(٤) حُلوما: مدارك وقوى.

(٥) قادمتي نسمر: ريشات في مقدم جناحيه.

(٦) ذُلُلا: سهلة.

في مَهْبِط النور وادي الحُورِ طاب لنا ... كاسُ السرورِ وراقت صحبةُ النُّبلَا
شمُّ الأنوف أراكينُ الشريعةِ ... أَعْداءُ الضلال الحماةُ الذادَةُ الفُضَلا[١]
واليتُهم وتولَّوْني ولي معَهم ... أخذٌ وعهدٌ وميثاقٌ وعقدُ وَلَا[٢]
فكلَّما جالَ في ذهني تصوُّرُهَا ... رأيتُ منهم على رغْم النوَى مَثَلا
أبكي عليهم بقلبي والجَلادَةُ من ... خوفِ الشماتةِ تُخْفِي جُهدَها البَلَلَا[٣]
وأحمدُ الله إذ ماتوا وما سَخِنَتْ ... عيونهُم بالذي في أرضهِمْ نَزَلا
ساروا على قِدَّة بيضاءَ صافيةٍ ... عن المضِلَّاتِ لا أَمْتاً ولا خَلَلَا[٤]
وبالتُّقَى والنَّقَى والعِلم كم رفعوا ... من المعالي بُروجاً طالت القُللَا[٥]
لكنَّ أعقابَهم من بعدِهم نكَصُوا ... وهدَّموا ما أشادُوا من هُدىً وعُلا
في «حضرموتَ» رجالٌ منهم انحرَفوا ... عن الطريق فجرُّوا للأنام بَلَا
للعلمِ والدين قد كان النُّفوذُ إلى ... أن صيرَّوهُ لأهل الثروة الجُهَلا
وكرَّموهم وإن ساءت صنائِعهُم ... فهان من أجل ذاك العلمُ وابتُذِلَا
وقد يمُوِّهُ داعيهم بمدْحتِه ... وما بغير رضاهم قدرهُ استَفَلا[٦]
وآخرُون على الشرعِ اعتدَوْا وبَغَوْا ... فحرَّفوه وأرْخَوْا للهدى الطِّيَلا[٧]
وآخرون تصَدَّوْا للعروبة فانْـ ... ـصاعَتْ وخانوا الوَفا والصدقَ فانْخذلا
ودسَّ قومٌ بـ «جاوَا» بدعةً فنَمَتْ ... لكنَّ مقصودَهم من بثِّها فَشِلا[٨]

---

(١) أراكين الشريعة: أركانها وقوتها. ويقصد العلماء الأعلام في ذلك الزمن.

(٢) ولا: ولاء.

(٣) الجلادة: التجلد. البللا: الدمع الخفيف.

(٤) قدة: طريقة. لا أمتاً: لا اختلافاً.

(٥) القللا: جمع قلة وهي أعلى الجبل.

(٦) استفلا: صار سافلاً.

(٧) الطيلا: حبل تَشد به الدابة وتمسك طرفه وترسلها ترعى.

(٨) يشير هنا إلى الفتنة بين العلويين والإرشاديين بجاوا والتي سبق أن تحدث عنها.

فخالفوها وعادوا من تأثُّرها ... وقام في نقضها الرهطُ الذي غَزَلا
ووسَّعوا الخلْفَ فامتدَّ مسافته ... وهيَّجوا الشرَّ حتى شبَّ واكتهلا
ولم يكن ضُرُّ هذي بالقضية مثْـ ... ـلَالأُولياتِ وإن أدجى وإن شَمِلا
فإنَّ تلكَ وإن دقَّتْ مداخلُها ... هي التي استهْوت الدهماءَ والدُّوَلا
وهي التي أرخصتْ سُوقَ الفضيلةِ من ... حيث الحطامُ ومَنْ نالَ الحطامَ غَلا
ولو أردتُ لسميتُ الرجالَ فما ... أخافُ في الحقِّ تفنيداً ولا عَذَلا[1]
واللحنُ في القولِ يكفي للفَطينِ ومَنْ ... لم يَشْفِه لا شفَى الباري له غَلَلا[2]
حقيقةٌ قد سَرَتْ عنها اللثام إذا ... ما سائلٌ عن دواعِي ضَعْفِنا سألا[3]
وكم فتى عارفٍ صِدْقَ المقال وَلَكِـ ... ـنَّ النفاقَ رمَى في الأمة الشَّللا
تلك الجرائيمُ أحْرَى أن تَجُرَّ إلى ... أُم الدُّهَيمْ التي تستنزِف الحِيَلا[4]
يرَى صغارُ النُّهَى فيها الصوابَ وهم ... أَهْلُ الكلام ولا سلطانَ للعُقَلا
سيعلمونَ على قَصْرِ الزمانِ مَدَى ... هذي الأماني إذا ما أَصبحُوا خَوَلا[5]
وكمْ نصحتُ وكمْ فَصَّلْتُ في خطَبِي ... لهذه المحْنةِ الأعراضَ والعِلَلا
لكنْ بِهِمْ صَمَمٌ عن كلِّ صالحةٍ ... لا يهتدونَ إلى نحو النَّجا سُبُلا
ميلٌ إلى الشرِّ حِيدٌ عن مَراشِدهم ... ويحسَبون بأنْ قد أَحسَنُوا العَمَلا
ولم يكن عندهم تلقاءَ منفَعتي ... إلّا أذاتي وإقطاعي جَنابَ قِلا
ولم أزلْ فوقَه مرمَى أفائكهم ... إن غبتُ عابُوا وأما إن حضرتُ فلا
وكم تحدَّيتهُم بينَ المَلا فلَوَوْا ... رؤوسَهم وانْثَنَوْا من هَيْبَتِي وَجَلا

---

(١) تفنيداً: تكذيباً. عذلاً: لوماً.

(٢) اللحن في القول: الإشارة البعيدة والتورية: غَلَلَا. شدة العطش وحرارته.

(٣) سرت عنها اللثام أزالته ونزعته.

(٤) أم الدهيم: كنية الدواهي.

(٥) خولاً: عبيداً.

والحقُّ مثلُ صديع الفجر مَقْطَعُه   وفي البراهين ما يكفي له جَدَلا
وهدْيُ خير الوَرى والذكرُ عصمتُنا   لا نبتغي عنهما طُولَ المدى حِوَلا
وربما سألوا عنّي وقدْ عرَفوا   وعِمَّتِي فوقَ رأْسي أنّني ابنُ جَلا[١]

* * *

(١) جلا اسم رجل سمي به لوضوح أمره. ويقال للرجل إذا كان على الشرف لا يخفى مكانه هو ابن جلا، والعمامة كانت تلبس في الحرب وتوضع في السلم كما قاله ثعلب: وبهامش الديوان كتب الإمام ما نصه.

في هذا البيت تلميح إلى جملة أبيات؛ أحدها: قول سُحَيْم بن وثيل الرياحي:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

ثانيها: قول جميل:

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيّة   يقولون مَن هذا؟ وقد عرفوني

ثالثها: قول عنترة بن عكبرة الطائي:

إذا أبصرتني أعرضت عني   كأن الشمس من حولي تدور

رابعها: قول يزيد بن الطثرية:

إذا ما رآني مقبلاً غض طرفه   كأن شعاع الشمس حولي يقابله

خامسها: قول الأعشى:

يزيد يغض الطرف عني كأنما   زوي بين عينيه عليّ الحاجم

ولئن خفي من بيتي التلميح إلى بيتيْ عنترة والأعشى؛ فإنهما من مآخذ بيت يزيد بن الطثرية؛ وتلميحي إليه ظاهر (انتهى تعليق الإمام) قلت: وكفى بهذا تدليلاً على استيعاب الإمام لشعر الأقدمين ومعرفته بأغراضه ومعانيه.

القصيدة الثامنة والعشرون

أَينَ الحمِيَّةُ؟

وهذه من قدامى القصائد أنشأها الإمام حوالي سنة ١٣٢٥هـ.

أَيـن الـحـمِـيَّـةُ والآمـال والـهِـمَـمُ؟ أيـن الـعزيـمـةُ أيـنَ الـمـجدَ والشَّمَمُ؟
أين الشعورُ الذي تحيا الشعوبُ به؟ أيـنَ الـحـياةُ الـتـي يُـدرَى بـهـا الألـمُ؟
مَـن لا يـغـارُ لـعـزٍّ نـابَـهُ وهَـنٌ فـلـن يـغـارَ إذا مـا نِـيـلـتَ الـحُـرَم
هـذا الـوجـود الـذي لا فـضل فِـيه لـنـا عـلـى بـهـائـمـنـا سِـيّـانِ والـعـدَمُ
أَيّـان نـعـمـل فـي إصـلاح أمـتـنـا؟ فـقـد تـرقَّـتْ إلـى أَوج الـعُـلـى الأُمَـمُ
أَيّـان نـبـحـث عـن تـشـريـح عِـلَّـتِـنـا؟ فـربـمـا طَـبَّ دَانـا حـاذِقٌ فَـهِـمُ[1]
جـهـلٌ ووهْـمٌ وآراءٌ مـفَـرَّقَـةٌ وهـمـةٌ لـم يـفـارِق جـيـدهـا الـسـأَمُ
هـذا لـعـمـركَ إن دام الـسـكـوتُ لـه تفاقمَ الصدعُ واستشْرى بنا السَّقَمُ[2]
يَـكـفـي مـن الـعـار أنـا لا نـقـيـبَ لـنـا بـه تَـزيـنُ نـوادِيـنـا وتـنـتـظِـمُ[3]

---

(١) طَبَّ دانا: عالج داءنا.
(٢) استشرى: لجَّ.
(٣) يتحدث الإمام هنا على عدم وجود نقابة للعلويين تجمعهم وتنظم أمورهم كما كان لهم ذلك في سابق الزمن. وكان نظام النقابة معروفاً بالمدينة المنورة أيام النبي ﷺ فقد كان يجعل لكل قبيلة نقيباً منهم؛ وكان أسعد بن زرارة نقيب بني النجار فلما مات سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم نقيباً فقال لهم ﷺ: «أنتم أخوالي وأنا نقيبكم» فكانت هذه فضيله لبني النجار.كما وجدت نقابة للأشراف الذين يسمون بالطالبيين أيام الدولة العباسية وكانت لها أهمية كبيرة وكان الخليفة العباسي هو الذي يعين بنفسه النقيب. =

....

= أما بالنسبة للعلويين بحضرموت فكان أول ظهور لنظام النقابة في زمن الشيخ عمر المحضار المتوفى سنة ٨٣٣هـ والذي انتخب رئيساً عاماً لمجلس من العلويين يتكوّن من عشرة أعضاء منتخبين يمثل كل واحد منهم قبيلة أو فرقة مخصوصة من العلويين ويقرر مجلس العشرة جميع ما يرون فيه المصلحة بمقتضى الشريعة الإسلامية ويحتكمون عند الاختلاف فيما بينهم إلى رأي النقيب والذي يعتبر قراره ملزماً للجميع. هذا ولم يعرف تسلسل النقباء بعد الشيخ عمر المحضار إلّا أنه يفهم من كتب التراجم العلوية أنه لما توفي الشيخ عمر المحضار رشح العلويين السيد محمد بن حسن بن أسد الله الملقب جمل الليل للنقابة ولكنه اعتذر عن نفسه؛ ورشح العيدروس الأكبر لها فقبلها بعد تمنع؛ ثم تولاها بعده السيد أحمد بن علوي باجحدب المتوفى سنة ٩٧٣هـ ثم تولاها من بعده السيد عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن ابي بكر العيدروس المتوفى سنة ١٠١٩هـ ثم ابنه زين العابدين المتوفى سنة ١٠٤١هـ. وتوقف بعد ذلك التاريخ الحديث عن النقابه إلّا أن العلويين قد يعترفون بعد ذلك بالزعامة الضمنية لأحدهم لعلمه وفضله وجاهه دون نظام ملزم أو وثيقة مكتوبة كما هو في نظام النقابة الذي كان قبله. ثم استبدل نظام النقابة فيما بعد بنظام المناصب المعروف المنتشر في كثير من القرى والأودية بحضرموت إلّا أن وظيفة المنصب تختلف عن وظيفة النقيب إذ إنه لا يختص بالعلويين وحدهم؛ بل إنَّ من صميم عمل المنصب الإصلاح بين القبائل المسلحة؛ ونشر العلم؛ واستقبال الضيوف؛ والدعوة إلى الله.

ثم شعر العلويون بحضرموت في بداية القرن الثالث عشر بالحاجة لنقيب فرشحوا لهذا المنصب السيد محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦هـ والذي برز على أقرانه العلويين في العلم والوجاهة والكرم غير أنه وقف في طريقه بعض العلويين وانتهى أمر نقابته إلى الفشل.

كما كان للسادة العلويين بالحجاز وكثير من الولايات العثمانية وضع اجتماعي خاص فيما يسمى مشيخة الساده؛ قال عنه العلامة ابن عبيد الله إنه كان أشبه بدولة داخل الدولة؛ فقد كانوا لا يتحاكمون إلّا إلى منصب السادة؛ كما أن العلويين؛ لم يضنوا على بقية إخوانهم الحضارمة بهذه الامتيازات؛ بل أشركوهم فيها؛ وقد استمرت هذه الامتيازات من أول فرمان أصدره بها السلطان العثماني عبد المجيد سنة ١٢٣٧هـ حتى دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز؛ والذي وافق على استمرار هذه الامتيازات. إلّا أن هبوب رياح الفتنة الإرشادية من نواحي الشرق الأقصى عصف بالعلاقات بين الحضارمة بالحجاز فلم يعد الحضارمة يكنون للسادة العلويين الاحترام السابق؛ بل أخذوا ينافسونهم في تولي المشيخة؛ مما أدى إلى فشل مشيخة السادة وانتهائها؛ وضياع الامتيازات التي كان =

ولا حكيمَ إذا ما قرحةٌ دمِيَتْ ... ياسُو بلطفٍ وتدبير فتنحسم[1]

(لا يصلُح الناس فوضى لا سَراة لهم) ... ولا سَراة إذا ما بيعتِ الذِّمم[2]

يَكفي من الشَّيْن أنا لا نفوذَ لنَا ... ولا لنا ذِمةٌ تُخْشى وتُحْتَرَم

يَكفي من القهر أن الأرذلين غَدَوْا ... مثلَ الذئاب وأَنَّا بينهمْ غَنَمُ

للعسف والجوْر ما تحوون من نَشَبٍ ... وحقُّكُم بين أهل الظلم مهتَضَمُ[3]

كم تصبرون على ذُلٍ ومَنقصةٍ ... ويكرهُ الله هذا الصبرَ والكرمُ

إن كان حبُّكُم للسِّلْم أَخّركم ... فالموت خير من العيش الذي يَصِمُ

أَنْتم فروع أُباةِ الضيْم من مُضَرٍ ... وعنكمُ أين غَبتْ تلكم الشَّمَمُ؟

يرْضَى الهزيمةَ من لانت عزيمتهُ ... والمستذلُّون خيرٌ منهم الرِّمَمُ

لو عاينت حالَكُم هذا أَوائِلُكُمْ ... لساءهم أنهم منكم لهم رحِمُ

هُبُّوا ولا ترقدوا واحمُوا حقيقَتكُم ... وناضلوا واجمَعُوا الآراءَ واعتَصِموا

والحزمُ في العزم والتوفيقُ يتبعهُ ... والجدُّ يصنَع مالاً يصنَع الخَدَمُ

فيم الجمودُ ونَوْءُ النحسِ يُمطِركُم ... سحابُهُ بِرَذاذٍ كلُّه نِقمُ[4]

إن لم يُحِسَّ بحرِّ النار واطِئُها ... فإن قلبي به من حرِّها ضَرَمُ

كذلك الحرُّ إن حلَّتْ بأُمَّتِه ... هضيمةٌ في حشاهُ الغيظُ يحتدِمِ

إني وإن كنت في حرز ليحفظني ... إن اللئامَ بهذا القطر تحتكُمِ

= الحضارمة بأجمعهم يتمتعون بها (انتهى بتلخيص عن إدام القوت لابن عبيد الله وتاريخ الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري والأحكام السلطانية للماوردي).

(١) ياسو: يأسو أي يداوي.

(٢) وضع الإمام الشطر بين قوسين (لا يصلح الناس فوضى. . .) ليبين أنه مأخوذ عن الشاعر الجاهلي الحكيم الأفوه الأودي.

(٣) نشب: مال.

(٤) الرذاذ: المطر الخفيف.

ضاق الخناق بأمرٍ ليس منشؤه إلّا التفرقَ رأسَ الشر لو عَلِمُوا

بيَّنتُ للقوم أنَّ الاتحادَ له نفعٌ كبيرٌ فلما استوضحوه عَمُوا

قد بَحَّ صوتيَ من طول النداء لهم لكنَّ قومي بهم عن دَعوتي صَمَمُ

لو ساعدُوني بتأليف اللجان لما كانوا كذا ولزالت عنهم الإزَمُ[1]

عليَّ ترديدُ قولي في نصيحتهم ما دام يسعدِني القرطاسُ والقلمُ

❊ ❊ ❊

(١) الأزم: بكسر أوله وفتح ثانيه جمع أزمة وهي الشدة.

القصيدة التاسعة والعشرون

أصيح

أنشأها الإمام في حدود سنة ١٣٥٢هـ.

أَصيح وشَغْبِي غارقٌ في منامِهِ ... لِأَيْدِي الشقا أَلقى بِثِنْيَيْ زِمامِه[١]

على جَهده يَجْتَرُّ في كل مَبْرَكٍ ... وقد سَنِقَتْ غربانُهُ من سَنامِهِ[٢]

ومدَّ على شوكِ القَتَاد جِرانَهُ ... وقِيدَ على جَمْر الغَضَى بِخزامِه[٣]

وأفقدَه طولُ الهوان شعورَه ... فلم ينزعج من ظلمِه واهتضامِهِ[٤]

يَلَذُّ له شُربُ الشَّهادِ وإن رأى ... مناهلَهُ مملوَّةً من سِمامِه[٥]

ويُعْجِبُه لِينُ المِهاد وعيشهُ ... لَعَمْرُ أبي شرٌّ له من حِمَامِه[٦]

سواسيةٌ أحرارُه وعبيدُه ... وأَحياؤه في الذُّل مثل رِمامِه

وكائنْ تَرَى من ذي وقارٍ وهيْبةٍ ... يروقك في تزيينه وكلامه

---

(١) بثني زمامه: طرفي مقوده. واحدهما ثنيٌ.

(٢) يجتر: يأكل ما في جوفه. سنقت غربانه: أكلت حتى بشمت.

(٣) جرانه: مقدم عنقه. قيد جُرَّ وسُحب: الغضى شجر يوقد. الخِزَام: حلقه من شعر تجعل في أحد جانبي مَنخر البعير.

(٤) كقول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ... ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

(٥) الشهاد: العسل ما لم يعصر من شمعه؛ واحده شهدة. سمامه: جمع سم بالفتح والضم وهو القاتل.

(٦) المهاد: الفراش. الحمام: الموت.

تـظَـنُّ بـه خـيـراً وتـحـسَـب أنـه ... لإصلاح حال الناس جُلُّ اهتمامِه
يَرَى مبلغَ التقوى الرسوم فكلُّ من ... يُقصِّرُ فيها واقعٌ في ملامِه
فيشتَدُّ غيظاً للعِمامة والرِّدا ... إذا لم تكن في الحجم طبقَ مَرَامِه
ويأبى امرؤٌ ما ليس للشرع معتَبٌ ... عليه فيرميه بسوْط انتقامِه
ويدعُو إلى هَذْي الخيار بعكس ما ... عليه جرى خيرُ الورى في نظامِه
وَتعْدُو على الدين العوادِي فلا نرى ... له غيرةً من سعيها لاخترامِه[1]
يَهيجُ لغِشْيان المباح وعندما ... يرى الإثم صِرْفاً ينثني في انهزامِه
وما لرسول الله زِيٌّ مخصَّصٌ ... يُكلَّفُ طلابُ النَّجا بالتزامِه
بغير انتصارٍ للتفرنج إنه ... دليل على من رَقَّ حبلُ اعتصامِه
ولكنَّ أصحابَ التصَّنع غيَّروا ... مَنار الهدى من خلفْهِ وأمامِه
وزادوا كما شاء الرياء وأَلصقوا ... به بِدَعاً كانت له شَرَّ ذَامِهِ[2]
أروني امرأً منهم تمعَّر عندما ... تمطَّى البَلَا في قُطرِنا بظلامهِ[3]
وقام احتساباً يوم حلَّت بعُقْرِنا ... طلائع كفرٍ همُّها في التهامِه[4]
ومَن ذا الذي جاشَتْ من البغيِ نَفسُه ... لدن ساق للغَنَّاءِ سُودَ غَمامِه[5]
وصبَّ عليها من قذائِفه الرَّدى ... وأَخفَرَ مَن يحمي الحِمَى في ذِمَامِه[6]

---

(١) لاخترامه: لاستئصاله.

(٢) ذامه: عيبه.

(٣) تمعر: تغير وجهه غيظاً. تمطى: امتد.

(٤) يشير الإمام هنا إلى دخول الإنجليز إلى حضرموت ومشاركتهم في حكمها وإن العلماء لم يعترضوا كثيراً على ذلك.

(٥) جاشت: ارتفعت من حزن أو فزع.

(٦) الردى: الموت. أخفر: نقض العهد وغدره. ذمامه: حقه وحرمته. والإمام يشير هنا إلى إلقاء الطائرات الإنجليزية قذائفها على قرية الغرفة الطينية بحضرموت.

وأضْحتْ دماءُ الأبرياء دَريئةً بعَقْوَتِها الغَرّ الِهَامِي سهامِهِ[(١)]
فلا حرمةٌ إلّا قد انتهكتْ بهِ ولا بقعةٌ إلّا ارتوتْ من سَجَامِه[(٢)]
وكم مُفْظِعَاتٍ لا يجوز لمؤمنٍ على مثلها إلّا امتشاقُ حُسَامِهِ[(٣)]
وكم واعظٍ منهم يقاربُ خَطوه ويَغْرُج يستهوِي عقولَ طَغامِه[(٤)]
يقول بلا علْم ويبكي وما لَهُ من العيش إلّا غُفَّةٌ من حَرامِه[(٥)]
ولا ساكتٍ والسيلُ قد بلغ الزُّبى يدُ اللّه إلّا الشركُ تحت لِثامِه[(٦)]
أيُغْضِي على هذا القَذَى جَفن مسلِم يؤَمِّل بالإسلام مَحْوَ أثامِهِ؟
ويرضَى بتحريف الشريعةِ طامعٌ من الله أن يحظَى بحسنِ خِتامه؟
ويُدْهِنُ في ذاتِ الإله ولو عَدَوْا على شَاتِهِ لم ينحجِزْ عن قيامِه؟

---

(١) دريئة: مرمى. وأصلها الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها. بعقوتها الغَّرا: بساعتها الغراء.

(٢) سجامه: دمعه يريد أنها ارتوت من دمه الذي جعل تقاطره من السهام كتقاطر الدمع من العين.

(٣) ومن الشواهد على ما كان يحدث بحضرموت مما استنكره الإمام هنا؛ ما ذكره السيد عمر بن علوي الكاف في كتاب تحفة الألباب أن السلطان جعفر بن منصور الكثيري الذي تولى السلطنة الكثيرية سنة ١٣٤٧هـ قدم إلى الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب سنة ١٣٦٦هـ وبكى بكاءً شديداً وقال: جاءت حكومة ياحبيب علوي ولم تبق لنا أمراً ولا نهياً ونرى المناكر بين أعيننا ولا نستطيع أن ننكرها وصرت الآن سلطان صورة فقط وأنا الآن أحببت عزل نفسي عن السلطنة وجماعتي بُضُرُهْم بأنفسهم (أي أمرهم لأنفسهم) فطلب منه الحبيب علوي أن يتريث سنة وإن لم تصلح الأمور فليعزل نفسه إلّا أن السلطان مات قبل انتهاء السنة (في سنة ١٣٦٧هـ) انتهى (عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٤) طَغامه: سفلة الناس وغوغاؤهم.

(٥) غفة: بضم أوله: بلغة ويطلق على ما يتناوله البعير بفمه على عجلة منه.

(٦) السيل قد بلغ الزبى: مثل في تفاقم الخطب جمع زبة وهي الرابية لا يعلوها الماء.
يريد ولا ساكت على هذه المفظعات الجسام وقد تفاقم أمرها إلّا الشرك بالله قريب منه أو مخالطه وقوله: يد الله أي يد الله فوقه أو تأخذه فهو دعاء عليه. والجملة معترضة.

يصانِع قطبَ القوم والحالُ أنَّه ... تشِبُّ لفوتِ الفَلْس نارُ اضطرامِه

ويغضبُ في شَرْوى نقير ويكثر الـ ... ضَّجيجَ إذا ما زادَ ملحُ طعامه[1]

ويخطِرُ مثل الفَحْل إن قصَّرَ امرؤٌ ... يُلاقيهِ في تقبيلِه واحترامِه

إذا كان لا يرجو وإلّا فإنه ... يُلَايِنُهُ من قبل ردِّ سلامِه

فهيهات ممن كان ذا وصفُه التُّقى ... وإن زاد في تسبيحه وصيامِهِ

فزِيُّ صلِاح القوم ما رَيتُ مثلَهُ ... من السُّحبِ إلَّا خاليات جَهامِه[2]

فهل من خلاصٍ أو مناصٍ فإننا ... على الرَّضْف من طول البَلَا واحتكامه[3]

يكاد لهضم الحق ينقطع الرَّجا ... فنيأسُ لولا موعدٌ من إمامِه

* * *

(١) شروَى نقير: مثل النكتة في النواة يضرب مثلاً في القلة والحقارة. الضجيج: الصياح والجلبة.

(٢) خاليات جهامه: جهامه الخاليات والجهام السحاب لا ماء فيه.

(٣) الرضف: الحجارة المحماة.

القصيدة الثلاثون[١]

أَنا في انتباهٍ أَو منامْ

أنشأ الإمام هذه القصيدة في عدن غرة شوال من سنة ١٣٤٠هـ.

أَنــا فـي انـتـبـاهٍ أَو مـنـامْ   مـا بـيـن أُنـسٍ واغـتـنـامْ
أنــا فـي هـنـاءٍ أو عَـزاءٍ   أَو ضـيـاءٍ أو ظـلامْ
فـرحٌ يـمـازِجُـه الـتَّـلـظِّـي   فـالـخـواطـرُ فـي انـقْـسـامْ[٢]
يـومٌ تـجـاذَبَـتِ الـعـوا   طِـفُ شـتّـاً والْـتـئـامْ[٣]
بـالـصـدر يـعـتَـلِـجُ الـجَـوَى   والـذكـريـاتُ لـهـا ازدِحـامْ[٤]
فـذكَـرْتُ أعـيـادَ الـنـبـ   ـيِّ لـه الـتـحـيـةُ والـسـلامْ
وخـروجَـه فـي يـومِـكـم   هـذا يُـظـلِّـلُـه الـغـمـامْ
وصـلاتَـه وقـيـامَـه   وكـلامَـه أحـلـى الـكـلامْ

(١) وقد أنشأ الإمام هذه القصيدة في عدن غرة شوال من سنة ١٣٤٠هـ وما كان الإمام ليغادر بلده سيؤون أيام العيد إلّا لأمر عظيم ونراه هنا عندما رأى بعدن مظاهر الحضارة الغربية التي أوجدها الإنجليز بها يتذكر أحوال الإسلام والمسلمين وحضارتهم السابقة وشعرائهم المجيدين ويتذكر أجداده الصالحين الذين عمروا أوقاتهم بالعبادة ولم ينظروا لشيء من أحوال الدنيا هذه التي يراها هو بعدن وقد ختم القصيدة بالدعاء لإمام اليمن وكأنما كان ذاهباً للقائه.

(٢) التلظي: التهلب.

(٣) شتاً: افتراقاً.

(٤) يعتلج: يصطرع.

ومهابةَ الوحْي المنزَّ ـل والملائكةَ الكرامْ
وذكرتُ سَيْرَ الرَّاشِـ ـدِينَ بهديه في ذا المقامْ
وذكرتُ آلَ مُحَمَّدٍ بجميلِ ذكرٍ واحْترامْ
وبكيْتُ ممَّا نالَهُمْ من سوء بغْيٍ واهتضامْ
وذكرتُ مجدَ المسلمـ ـين وصولَةَ الدوُّل العِظامْ
أيامَ في أيديهمُ الدُّ نيا تُقادُ بلا خِزَام[1]
وذكرت فيه البُحْترِ يَّ وشعرَه الجزلَ النظامْ
وذكرتُ عهد شيوخِنا الْماضين من عشرين عامْ
عهْدٍ تزَيَّنَ بالوفا ءِوبالصفاءِ وبالوئام
فتهيَّجَتْ عندي البلا بل واستحرَّ بيَ الأوامْ
وتخالج القلبَ الأسَى وجرَتْ دموعي بانسجامْ
ثم اقتحمتُ بفكرتي في معرِض الجيشِ اللُّهامْ[2]
جيشِ ابن داود الذي جمعَ الطوائف بانتظامْ
وخرجتُ منه لمشهدِ الإنـ ـسان في يوم القيامْ
يوم الجزاءِ الحقَّ يو مِ الهَوْل يومِ الانتقامْ
فكرْتُ في هذا لِقرب الأَ مْرِمن عيد الصّيامْ
وتشابهُ الأمرين يَلْـ ـزَم منه حسنُ الاهتمام
وأنَّى السرورُ لخاطري من حيثُ إنّ الأنسَ عام
واليومُ مظهرُ نعمةٍ من أنعم الله التُّؤامْ

---

(١) خزام: حلقة من شعر تجعل في أحد جانبيَ مُنخِرَي البعير.

(٢) اللهام: الكثير.

تــشَــدُو الــفــواخِــتُ فــيــه والأ زهــارُ تــرمــي بــالــكِــمــام[١]
والأمــرُ مــحــتــمــلٌ وتــبْــ ـكِــي أَمْ تُــغَــنَّــى لــي الــحــمَــامْ
والــبــرقُ إن أذكــى الــلــوا عــج بــلَّــهــا صــوبُ الــرَّكــامْ[٢]
وتــأَشُّــبُ الأغــصــانِ وُدْدٌ أو قــراع واخــتــصــامْ[٣]
والــعــيــدُ أَنْــسٌ بــالــبــقــا أم بــالــدُّنُــوِّ مــن الــحِــمَــامْ
لاغَــرْوَ فــالإنــســان فــي تــعــريــفــه الــمــوتُ الــتــمــامْ
عــام تَــمَــطّــى بــالــنــفــوس لِــغــابِــهــا فــي شُــرب جــام[٤]
ذهــبــت بــشــاشــتُــه ومــا أحــلــى الــصــفــا لــو كــان دَامْ
وهــل انــمــحَــى مــا قــد تَــسَــ طَــرَ فــيــه مــن زَلَــلٍ جِــســامْ
لَــلْــحُــزْنُ أولــى بــامــرئٍ فــي الــلــهــو والــتــقــصــيــر هَــامْ
مــا الــلــيــلُ وَالإصــبــاحُ إلــ لَا مــركــبٌ لــلاخْــتــرَامْ[٥]
والــعــمــرُ رأس الــمــال فــي تــدبــيــرِه نــيــل الــمــرَامْ
والــعــجــزُ شــرُّ الأمــر والــتّــفــ ـريــطُ مــجــمــوعُ الــمــذَامْ
والــنــاس مــيــمــونٌ ومــغْــبُــ ـونٌ ومــلــعــونُ الــعــظَــامْ
حِــكَــمٌ تــنــاقــلَــهــا الأئِــمَــ ـة عــن أَبــي مــوســى الــهــمــام
دررٌ مــثــقَّــبــةٌ مــعــانــيــهــا عــلــى طــرف الــثُّــمــامْ[٦]

---

(١) تشدو: تترنم وتغني. الفواخت: ضرب من الحمام المطوق. بالكمام: بأغطيتها.

(٢) الركام: السحاب.

(٣) تأشب الأغصان: تجمعها والتفافها.

(٤) تمطى: مشى متبختراً. لغابها: لغايتها. جام: كأس من فضة يريد كأس الموت.

(٥) للأخترام: للموت.

(٦) الثمام: نبت ضعيف لا يطول. تقول العرب للشيء الذي لا يعسر تناوله هو على طرف الثمام لأن الثمام لا يطول فيشق تناوله.

فالعيد ليس بصادق | إلا لِصَبٍّ مستهامْ
يمشي البَرَاح إلى العُلى | فيكون منها في السَّنام[1]
أما الطَّغامُ فإنما | أحوالهُمْ مِثلُ السَّوامْ
لكنّهم لا يشعرُو | نَ ولا شعورَ لدى الرِّمام
فلينظر الإنسان ما | يأتي بعين الاتهام
فالمجد ممتنعُ الذُّرى | إلا بصدق الاعتزام
والصبرِ والإخلاصِ والتَوْ | فيق والسعيِ اللَّزَامْ
وأرى كثيراً يَهْرِفُو | نَ ولا ثباتَ وَلا اعتصامْ
يتشدَّقون ويدَّعو | نَ بغيْرِ رَعْي للذِّمامْ
أنَّى نصدّقهم وقد | رَفَضُوا التُّقى والاحتشامْ؟
وقبولُ مَن طرحَ العدا | لةَ في روايتِه حَرَامْ
يا عِيدُ مَهْيَمْ قل لنا | هل من مَدَى للانهزام؟[2]
فالسيلُ قد بلغ الزبى | وقد التقت حلَق الحزامْ[3]
أفلا تُحَدِّثُ عن غدٍ | ماذا طَوى تحت اللِّثامْ
غيبٌ معمًّى إنما | عنوانهُ في الاغتنامْ
ما الحظ إلّا الجِدُّ أو | في الجد للحظ الزِّمامْ
وإلى الكرام أسوقُ تَهْنـ | ـئتي ووغْظي للئام

(١) البراح: المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر.

(٢) مَهيَمَ: كلمة يمانية معناها، ما حالك وما شأنك.

(٣) حلق الحزام: جمع حلقة وهي إنما تلتقي فوق الأطباء وهي حلمات الضرع التي فيها اللبن من ذوات الخف والظلف والحافر والسباع والبيت؛ اقتباس من قولهم قد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين؛ ويضرب للمبالغة وتجاوز حدّ الشر والأذى لأن الحزام إذا انتهى إلى الطبيين فقد انتهى إلى أبعد غاية فكيف إذا جاوزها؟

والمرءُ إن لا نَتْ مهزْ ... تُه تأثَّر بالملامْ[١]
واهتزَّ من طَربٍ كما ... يهتزُّ مشمولُ المُدام[٢]
وإن اضمحلَّ شُعورُهُ ... ساوَى الرمائم في الرّجام[٣]
وازْداد بالتحريك نوْ ... ما فوق مهد الانظلام[٤]
رُحماك للإسلام رَبْـ ... ـبِ فَشُورُهُ للانهدامْ
والافتراقُ بأهله ... يسْرى كما يسْرِي الجُذَامْ
أَخذوا القُشُورَ من الحضارةِ ... واستهانوا بالمهامْ
وتفرَّقوا أَيْدي سَبَا ... خلْف السفاسِف والحُطامْ[٥]
يا عيدُ عُدْ بمسرَّة ... للمسلمينَ وبابتسامْ
واللّه يحفظُ دينَهُ ... ببقاءِ مولانا الإمامْ
ثمَّ الصلاة لأحمدٍ ... ولآلِهِ مسكُ الختامْ

* * *

(١) لانت مهزته: خف للخير ونشط له.
(٢) مشمول المدام: هو الذي شرب الخمر الشمولة أي الباردة لتعريضها للشمال وهي الريح التي تهب من قبل عن يسار القبلة.
(٣) الرَّجام: القبور.
(٤) الانظلام: احتمال الظلم.
(٥) تفرقوا أيدي سبأ: فرقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتّى وقد ضرب العرب بهم المثل في الفرقة. واليد: الطريق.

القصيدة الحادية والثلاثون

عركْتُ بكفِّ الصبرِ

عـركْـتُ بـكـفِّ الـصـبـرِ أُذْنَ زمـانِـي   وزاحَـفْـتُ أيـامـي بـفـضـلِ بـيـانِـي[(١)]

وجـرَّبـتُ أبـنـاءَ الـزمـانِ فـكـلُّ مـا   أُحـرِّر عـن عـلـم وصـدقِ عِـيـانِ

فـإمـا عـدوٌّ يُـظـهـر الـودَّ حـيـلـةً   وإمـا صـديـقٌ فـي ثـيـاب دِهَـان

وإمـا غَـبِـيٌّ كـلُّ ريـحٍ تَـهـزُّه   يُـعـدُّ إذا فـكَّـرتَ فـي الـحـيـوانِ

أجـامِـلـهـم لا رغـبـةً فـي نـوالِـهِـم   ولا رهـبـةً إنَّ الإلـهَ كـفـانِـي

ولـكـن لِـيـنـقـادوا إلى الـرشـد سُـنْـنُـهُـمْ   وأسـمـعـتـهـم نُـصـحـي بـكـلِّ لـسـانِ

وهُـم عـن سـمـاع الـحـق صـمٌّ وإنـمـا   يَـمـيـلـون لـلأحـلام والـهَـذَيـانِ

فـلـم يُـرْضِـهِـمْ فِـعـلـي ولـم أرض عـنـهـمُ   فـهـل مـن خـلاص قـد بَـعِـلْـتُ بـشـأنـي[(٢)]

❊ ❊ ❊

---

(١) زاحفت أيامي: مشيت لقتالها وإرغامها.

(٢) قد بعلت: برمت فلا أدري كيف أصنع معهم؟

القصيدة الثانية والثلاثُون

أتزعم

وسببها أني وجدت مجموعة أماديح وتهانٍ من أهل مصر[١]؛ مع إنسان ظننتُ به خيراً؛ فإذا هو فَدْمٌ[٢] وكان ذلك في سنة ١٣٤٠هـ.

أتزعم أَنَّ العلْم غيرُ مهان؟ وأبناؤه التاتُوا بداءِ دِهَانِ[٣]

نعم إن للكُتابِ في الشام ضجةً وفي مصر للآدابِ خيلَ رِهانِ

ولكنهم لا وزنَ للفضل عندهم فكم من وضيع طَوَّفوهُ تهاني

وكم من غَبِيٍّ كرَّموهُ كأنَّه حبيبُ بن أوسٍ أو سُلالةُ هاني

ولِمَ لُا يجيبُوا الدين وهو بِضَيْمِهِ يقول: عدوّي في الصميم دَهَانِي[٤]

نصيحة في واقعة حال[٥]

على الهَونِ

على الهَونِ أو جِدُّوا الرحيلَ إلى عدَن وسيروُا بشكواكم لعاصمة اليَمَنْ[٦]

---

(١) كتب الإمام بعض المقالات بصحف مصر مثل صحيفة الأزهر وصحيفة المنار وكان يحب مصر ويتمنى زيارتها.

(٢) فَدْمٌ: عييٌّ عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٣) التاتوا: اختلطت عقولهم بداء النفاق.

(٤) لو قال يُجابُ لسلم البيت.

(٥) أنشأ الإمام هذه القصيدة في سنة ١٣٣٥هـ.

(٦) على الهون: امشُوا على تؤدة. جدوا: اجتهدوا في الرحيل.

ولا ترأمُوا للذُّل بل واصِلوا السُّرى   لِكْي تأْخُذُوا بالثَّأر في حادثِ الزمنْ[١]
ولا تستشيروا خائناً في شؤونكم   فكلُّ بلاءٍ في استشارته كَمَنْ[٢]

---

(١) لا ترأموا للذل: لا تستكينوا له وتلزموه ـ السّرى: السير ليلاً.

(٢) ذكر المؤلف بالهامش أنه يريد به السيد حسين بن حامد المحضار وكان جميل الرأي فيه حتى ألحَّ في إدخال حضرموت تحت الحماية الأجنبية (انتهى) وهذا يبين لنا نقطة مهمة وهي أن الإمام لا يراعي في الحق صداقة ولا قرابة فالزعيم حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية والسياسي الداهية كان من أعز أصدقاء الإمام وله عنده مكانة خاصة لكن الإمام لما رأى إلحاح السيد حسين بن حامد في إبرام معاهدة الحماية مع الإنجليز هاجمه بهذه الشدة بل رماه بالخيانة لأنَّ الإمام كان لا يتهاون مع من يخدم الأجانب ويحابيهم ولأجل هذا كره شريف مكة الشريف حسين الذي قام بالثورة العربية على الأتراك والتي اعتبرها الإمام دسيسة أجنبية كما أن الإمام هاجم وعارض قيام السلطنة الكثيرية بإبرام معاهدة الاستشارة مع بريطانيا وبيَّن ما فيها من خطر وألقى في ذلك عدة قصائد قوية مما أكسبه عداوة السلطان الكثيري وأعيان البلاد. وقد ذكرنا سابقاً أن السلطان الكثيري جعفر بن منصور جاء بعد مرور سنوات على المعاهدة؛ جاء إلى العلامة علوي بن شهاب بتريم وهو يبكي مما صارت إليه الحال بعد المعاهدة ويطلب عزل نفسه عن السلطنة. مما يؤكد بعد نظر الإمام ابن عبيد الله وثقوب فهمه؛ وحدة بصيرته.

ولكن الإمام ابن عبيد الله لا يعرف أمور السياسة التي يعيش فيها الوزير حسين بن حامد والذي كان يتلقى أوامر من السلطان القعيطي ولا يستطيع أن يخالفها حتى لو كان رأيه الشخصي يعاكسها تماماً واعتقد أن الزعيم حسين بن حامد كان ضد معاهدة الحماية ومن مؤيدي الدولة العثمانية بدليل أنه كان كما قال الإمام ابن عبيد الله في تاريخه؛ كان يعارض اتصالات الإمام ابن عبيد الله مع الأتراك في الظاهر؛ ويشجعه عليها في الباطن؛ بل كان هو الذي يدفع له أجرة البريد؛ بل إن الزعيم حسين بن حامد افتعل حرب قسبل الصورية ليتخلص من طلب الإنجليز من القعيطي المشاركة في حرب الأتراك الذين احتلوا لحجاً؛ ويغض الطرف عن إرسال المؤن والغذاء للأتراك من المكلا إلى لحج وهو ما لم يمكن أن يقبله الإنجليز. كما كان الإمام ابن عبيد الله يجمع للأتراك الأنصار بحضرموت بمعرفة الزعيم حسين بن حامد المحضار الذي لم يعترض عليه. لكن المحضار لا يمكن أن يطلع الإمام ابن عبيد الله على ما يعرفه من أمور السياسة.

كمن: اختفى واستتر.

إِلَام وفــي أيــديــكــم الأمــرُ كــلُّــه تَسُومُونَ ذا العِلْقَ النفيسَ بلا ثَمَنْ؟[١]

وأعـجـب شـيءٍ أنـكـم لا لـغـفـلـة ظننتم بمن بانت غَثاثَتُهُ السَّمَنْ[٢]

تُسِيئون بـالأخـيـار ظـنّـاً ومـا لَـكُـم وثِقتمُ على رغمٍ بمن ليس يؤتمَنْ[٣]

مضى الوقتُ في التمويه لا هي شدةٌ فقمتمُ ولا لِنْتمْ وقلتُمْ له تَمَنْ[٤]

ولـكـن لـعـلّ الـظـلـم شـتَّـتَ رأيـكـم فلا شيء مثلُ الظلم يقتلع الدِّمَن[٥]

* * *

(١) العلق: هو النفيس من كل شيء أو الثوب النفيس يكون للرجل. إنهم يريدون الغرة والمجد بدون تضحية وجهاد.

(٢) غثاثته: هزاله. إنهم ظنوا بهذا الخائن القوة وهو ضعيف.

(٣) الأخبار: جمع خبِّر.

(٤) تمنْ: ليكن ما تريد. من تمني الشيء أراده.

(٥) الدمن: الآثار.

القصيدة الثالثة والثلاثون[١]

تنكُّرُ دهرٍ

تـنـكُّـرُ دهـرٍ زادَ ضـوءَ يـقـيـنـي ... وهُـوج خُـطـوب والإلـهُ يَـقـيـنـي[٢]

وبـحـرٌ كـثـيـرُ الاضـطـراب ولـيس لـي ... سـوى ثـقـتـي بـالـلّـه فـيـه سَـفِـيـنـي

ومـا ضـرَّنـي حـظٌّ يـفـوت ومـطـلـبٌ ... عـلـيَّ تـلـوَّى إذ نـجـوتُ بـدِيـنـي

وعـزةُ نـفـسـي فـي رخـائـي وشـدَّتـي ... أعـزُّ وأغـلـى مـن جـبـال رَقِـيـن[٣]

وحـربٌ ضـروسٌ مـن زمـانـي لِـمَـسِّـهـا ... يـزيـدُ بِـطَـيَّـاتِ الـقـريـض أنـيـنـي[٤]

غَـمزْتُ قـنـا شَـعْـبي بـهـا فـتـكـشَّـفَـتْ ... سـرائـرهُـم عـن خَـائـنٍ وظـنِـيـن[٥]

مـشـائـيـمُ مـا فـيـهـم مـن الـخـيـرِ ذَرَّةٌ ... وإن مَـزَجُـوا حُـلـوَ الـكـلام بِـلـيـنِ

فـمـا لامْـرِئٍ فـضـلٌ عـلـيَّ بِـكـلـمـةٍ ... ولا أحـدٌ جـرَّبـتـهُ بـأَمـيـنِ

فـأكـرِم بـهـا حُـرِّيـةً مـن فـسـادهـم ... أفـدتُ ومـا قـد فـات غـيـرُ ثـمـيـنِ

وكـم صـاحـبٍ قـلَّـدتـهُ بـصَـنِـيـعـةٍ ... تـفـتَّـح عـن داء يُـريـه دفـيـنِ

وكـم فـالَ ظـنِّـي مـن صـديـق أَعـدُّه ... لـصَرْف الـلـيـالـي ملجئي وعَـرِيـنـي[٦]

---

(١) أنشأها مع سفره في ربيع الأول من سنة ١٣٦٧هـ.

(٢) يقيني الأول بمعنى ثقتي والثاني بمعنى يحفظني.

(٣) جبال رقين: جبال من الدراهم. والرقين: الدرهم.

(٤) الحرب الضروس: الأكول العضوض. طيات القريض: نواحيه جمع طية أي يزيد أنيني بما أذهب به في شعري من البث والشكوى من أجل مس هذه الحرب.

(٥) ظنين: متهم.

(٦) فال ظني: أخطأ. العرين: العز ومأوى الأسد.

فلم يبق إلّا اللّهُ في كل حالةٍ ... يَجيشُ لنا إحسانهُ بمَعِينِ[(١)]
عوارِفهُ في كل مُمْسي ومُصْبحٍ ... تَصُوبُ فتَشْفِي قلبَ كلِّ حزينِ[(٢)]
وإن كانت الأيامُ إلباً وأهلُها ... وها أنا ذا وحْدي بغيرِ معُينِ[(٣)]
فلم يَخوِ لي نجمٌ ولا لانَ جانبٌ ... وما زلتُ بالإيمانِ طلْقِ جبينِ[(٤)]
وقد لاحَ في ليلِ امتحاني أشِعَّةٌ ... تُؤدَّى لِفَجْرٍ لا يغيبُ مبينِ
وعما قريبٌ يملأ الفائضُ النَّدي ... شِمالي بغايات المنَى ويَميني
ويجمع شمْلِي في سوابغ نعمةٍ ... بأهلٍ لهم خلفي شجاً وبنينِ
بأكبادهم وخْزُ الصعَّاد من الجَوَى ... وأحشاؤهم في زَفْرةٍ وحَنينِ[(٥)]
وما عندهم بعضُ الذي بي وإنما ... لجأت لركنٍ في الوقارِ ركينِ
أُوَدِّعُهم إياه وهو مُصَاحِبي ... وحبلُ رجائي فيه جدُّ متينِ
وحسبي به ذُخراً فلا بأس إن بَغى ... عدُوّي وإن خانَ الذِّمامَ خَدِيني[(٦)]
على ثقتي بالله يبرُدُ خاطري ... وأُصْبِح مسروراً رَخِيَّ وضينِ[(٧)]
ولي من رسول الله والمرتضَى ومِن ... خديجةَ والزهراء خيرُ ضمينِ
أولئك ساداتي وفخري بحبهم ... ألوذُ لحِصنٍ لا يرُام حصينِ
عليهِمْ صلاةُ الله ما حنَّ شَيِّقٌ ... وما شنَّف الأسماعَ صوت أذينِ[(٨)]

---

(١) يجيش: يفيض.

(٢) تصوب: تمطر.

(٣) إلبًا: مجتمعة عليّ بالظلم والعداوة.

(٤) لم يخو نجم: يقال: خوت النجوم أمحلت فلم تمطر يريد أنه لم ينله سوء.

(٥) الصعاد: جمع صعدة وهي آلة أصغر من الحربة.

(٦) خديني: صاحبي.

(٧) يبرد خاطري: يطمئن ويسكن. رخي وضين: الوضين حزام عريض منسوج من سيور يشد به الرحل والقتب بمنزلة الحزام للسرج ورخي بمعنى مسترخ. يريد أنه لا يشعر بما يضايقه.

(٨) أذين: مؤذن.

القصيدة الرابعة والثلاثون(١)

نصيحة لابنه حسن

كَمْ لي أنَّبهُ منك طَرْفاً يا حَسَنْ ... وأَبَيْتَ إلّا أن تمادَى في الوَسَنْ(٢)
فكِّرْ لنفسك في العواقب وادَّكِرْ ... إني أخاف عليك عاديةَ الزمنْ
إني أخاف عليك قولَك في غدٍ ... يا ليتني والصَّيفَ ضيعْتِ اللبن
وأعلم بأنَّ الدهرَ حربٌ فاعتصِمْ ... بوسيلةٍ تُنجيك من شرِّ الفِتن
ولئن بقيتَ مع البطالةِ سادِراً ... والعجزِ أَخْلِقْ أن تُذَال وتمتَهنْ(٣)

---

(١) انشأ الإمام ابن عبيد الله هذه القصيدة في سنة ١٣٥١هـ ينصح فيها ابنه حسن وهو الذي أشرف على طباعة الطبعة الأولى من هذا الديوان. والإمام ابن عبيد الله يشبه هنا جدُّه زعيم وادي الأحقاف محسن بن علوي السقاف (١٢١١ ـ ١٢٩٠هـ) والذي أنشأ قصيدة طويلة ينصح فيها بنته سعود ولخَّص في قصيدته طريقة العلويين في تربية البنات التربية الإسلامية السليمة؛ كما أن هناك قصائد أخرى مثل قصيدة الإمام علي بن محمد الحبشي ينصح فيها ابنته خديجة؛ وقصائد أخرى مشابهة في دواوين العلويين. ولو جمعت هذه القصائد في كتيب لكانت دستوراً لتربية النشء الجديد من الأولاد والبنات. ويقول الإمام محسن بن علوي في قصيدته:

سعود إن شئتي الخير ... جدي إلى ربش السير
ولا تشوفين للغير ... إلّا إلى عالي الشأن
دومي على طاعته دوب ... للفرض صلي ومندوب
تحصلي كل مطلوب ... من ذي العطايا والإحسان
حجي وزكي وصومي ... لله بالحق قومي
على مراضيه دومي ... بصدق وإخلاص وإتقان

(٢) الوسن: قلة النوم.

(٣) تذال: تهان.

لهْفِي عليك وكلما فكرتُ في مستقبَل الحال امتلأتُ من الحَزَنْ
ولربما صوَّرتُ طبعَك في الدُّجى فأبيتُ مضطربَ الفؤادِ من الشَّجَنْ[1]
تزوَرُّ عن نصحي وتُلْقى للهوى ولفاسِد الرأي الذي يُردِي الرَّسَنْ[2]
متخاذلاً في النَّوء عما ترتجي ثمراتِه ومع التواني في قَرَنْ[3]
وإذا زجرتُكَ ذاتَ شَهْرٍ مرّةً لم تنبعث إلّا وأدركَكَ الحَرَنْ[4]
والحُرُّ تكفيهِ الملامةُ والعَصَا للعبدِ والتلميحُ يُغْنِي ذَا الفِطَنْ
خالِفْ هواكَ وزُمَّ نفسَكَ بالتُّقَى ودَعِ التمكُّثَ إنهُ سببُ الوَهَنْ
واحرِصْ على ساعاتِ دَهرِك إنها العِلْـ ـقُ الذي ما في الوجودِ له ثَمَنْ[5]
والدينُ أولُ خُطْوة فاعْتَن بهِ وبهِمَّةٍ أدِّ الفرائضَ والسُّنَنْ
والعِرضُ أشرفُ خَصْلةٍ ومتى ارْتَقَى لِلْعرض رَيْبٌ لم يفارقْه الدَّرَنْ
والمرء متَّهَمٌ بفعلِ قرينهِ فالحزْمُ بالإنسانِ هجرُ أولِي الظَّنَنْ[6]
واحذرْ معاشرَةَ اللئام فقلّما تُفضي إلى غيرِ العداوةِ والإحَنْ
والناسُ غالبُهم على اللُّوم انْطوَوْا لا يبذُلون الودَّ إلّا عن دَخَنْ[7]
فلطالما أحسنتُ ظنِّي بأمرئٍ ومنحتُه صدقَ المودةِ فاضْطَغَنْ
فالإختلاطُ بهم من البلْوَى ولا سِيَما لمتَّفِقِ السريرة والعَلَنْ
والعلمُ مُلكٌ لا يزولُ وجُنَّةٌ للمرء في الدارَين من أوقى الجُنَنْ[8]

---

(١) الشجن: الحزن.
(٢) الرسن: المقود.
(٣) النوء: البعد. قرن: بفتحتين حبل واحد.
(٤) الحرن: بفتحتين الوقوف بعد شدة الجري ومنه دابة حرون.
(٥) العلق: النفيس.
(٦) الظنن: التهم.
(٧) دخن: محركة حقد وسوء خلق.
(٨) جنة: وقاية والجمع جنن.

مالُ الغريب وأُنْسُه من حيثما ... يأتي تكون له المنازلُ كالوَطنْ

خذ بالوصيّة يا بُنَيَّ فإنها ... سببٌ به ترقى إلى أعلى القُنَنْ(١)

وتكبَّدِ الأتعابَ في تنفيذِها ... وعلى زمانِكَ إن عمِلْتَ بها تَمَنْ(٢)

والعَجْزُ غايتهُ الندامةُ والهنا ... بالكَدِّ في نيل المعالي مرْتَهَنْ

وأرِحْ فؤادي إنني من صدِّك الْـ ... ـمَشؤومِ عن طلب المعارف ممتَحنْ(٣)

ويحقُّ بي أنْ أستريح لأنني ... فوَّضتُ أمرك للإله بحسن ظن(٤)

ويَسُرُّني منك العفافُ ولم تَزَل ... عندي على هذي الرُّعونة مُؤْتَمَنْ

ولديك أخلاقٌ تليقُ بعنصرٍ ... من سِنْخِ عدنانٍ وظئرٍ من يَمَنْ(٥)

فاجمعْ إليها العلمَ واعرِف أنهُ ... وقْفٌ على تعب القريحة والبَدَنْ

وبحبِّ أَصحاب الكساءِ يضاعِفُ الْـ ... ـوَهّابُ لي ولك اللطائفَ والمِنَنْ

وعليهم الصلواتُ والبركاتُ والرَّ ... حماتُ والرضوانُ ماغيثٌ هَتَنْ

❊ ❊ ❊

(١) القنن: الجبال.

(٢) تمن: اطلب من زمانك ما تشاء إن عملت بهذه الوصية.

(٣) ممتحن: مبتلى بالمحن.

(٤) ذكر الإمام ابن عبيد الله في المعجم في معرض كلامه عن تربية الأولاد قول الإمام مالك: الأدب أدب الله؛ لا أدب الآباء والأمهات وقول الشعراني لقد كنت في عناء من تأديب ولدي عبد الرحمن؛ حتى وكلت أمره إلى الله؛ فصلح؛ أو ما يقرب من هذا (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٥).

(٥) سنخ عدنان: أصله.

القصيدة الخامسة والثلاثون

بجاهِ ابن عيسى

وهذه قلتها مرة؛ إزاء ضريح المهاجر إلى الله؛ الإمام أحمد بن عيسى[(١)]؛ وما في التوسل من الأخذ والرد؛ قد بينته مع رأيي فيه؛ في رسالة شافية؛ ولئن أغلظت القول في الفتوى؛ وخضعت لبعضه في العمل بشأنه؛ فذلك أنه لا يجوز الإفتاء إلّا بالراجح؛ بخلاف العمل في حق النفس؛ فإنه يجوز ولو بالواهي والضعيف؛ كما هو مقرر في الفقه.

---

(١) المهاجر أحمد بن عيسى هو جدّ العلويين بحضرموت وهو أول من وصل منهم إلى حضرموت واستقر بها وقد هاجر من البصرة في سنة ١٣١٧هـ بعد اشتداد فتن الزنج والقرامطة بها وقصد المدينة المنورة؛ ثم حج في سنة ١٣١٨هـ واتجه بعدها نحو اليمن حتى استقر به المقام بحضرموت وتوفي بها سنة ٣٤٥هـ وقبره الحالي موجود بشعب الحسيسة قرب مدينة سيؤون. ومع إن الإمام ابن عبيد الله يحمل على الصوفية رغم كونه نشأ في بيئة صوفية إلّا أن التزامه الفقه أبعده عن العمل بالتصوف؛ رغم أن كثيراً من كبار الفقهاء كانوا من أهل التصوف مثل العز بن عبد السلام والسيوطي وابن حجر الهيتمي لكن ابن عبيد الله يقول عن نفسه أنه صوفي بالكلام وليس بالفعال. وكان الفقيه اليمني ابن المقري صاحب الإرشاد يهاجم الصوفية؛ كما أن من بين العلويين أنفسهم من يعارض أعمال الصوفية وذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في تاريخه إن الشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ كان متشدداً في تطبيق فقهه فاعترض على حضرة السقاف بمسجد جدّه لما يحدث فيها من ضرب الطيران والدفوف ونفخ اليراع وهو يتبع في ذلك صاحب الإرشاد الشيخ إسماعيل بن المقري. كما نفهم من مقدمة الإمام لهذه القصيدة معارضته للتوسل بدليل الرسالة التي قال إنه أنشأها ولم أَطَّلِع عليها رغم شغفي بذلك؛ لكننا نرى الإمام ابن عبيد الله مع ذلك يشابه قومه في مسألة التوسل؛ وقد علل تصرفه هذا كما ترى أعلاه تعليلاً لطيفاً.

بجاهِ ابن عيسى صاحبِ الرتبة الكُبْرَى نؤَمِّلُ في الدَّارين من ربِّنا البُشْرَى
أتينا بأحمالٍ ثقالٍ تجرُّها نجائبُ آمالٍ إلى الساحة الغَرَّا
وقمنا على الأعتابِ نستمطرُ النَّدَى ونشكُو إلى من يعلم الجهرَ والسَّرَّا[1]
يلَذُّ لنا في حَضرةِ الجُودِ بثُّ مَا يكادُ يَقُدُّ الجوفَ وهو بنا أدْرَى[2]
إليكَ رفَعنا بالرجاءِ أكُفَّنا وحاشاك يا مولاي من ردِّها صِفْرا[3]
وإن ألجَمَتْنا بالسكوتِ ذنوبُنا فرحمتك العظمى بغفرانها أحْرى
وشفِّعْ وليَّ الله فينا وهَبْ لنا من اليُمْن والإقبالِ ما يطرُدُ العُسْرَا
توجَّهْ شهابَ الدين في كشفِ كُرْبة بها أصبح الوادي وسكانهُ أسْرى[4]
فأنت الذي أسكَنْتَنا في رُبُوعهِ لتحفظَنا من فتنةِ البَصْرة الخَضرا[5]
تنقَّلتَ في البُلدانِ تَبغِي سلامةً من الشرِّ حتى اختَرْت هذا لنا وَكْرَا
وها قد تفشَّى الجَوْرُ فيه فَسَلْ له من الله تحويلاً إلى حالةٍ أُخْرَى
بحرمةِ خيرِ المرسلين وصهرِه ونجليه والكبرى وفاطمةَ الزَّهراء
أتيناكَ ضِيفاناً وإن تك مُحْنَقاً علينا فإن الضيف حتى أسا يُقْرَى[6]
بمن غيرِ من في المدلَهماتِ نحتمِي وممن سواكم نطلبُ الغوْثَ والنصْرَا

---

(١) من يعلم الجهر والسر: أي هو الله وحده عز وجل.

(٢) حضرة الحود: المقام الذي تهبط فيه الرحمات ويفيض الإله سبحانه بالفيوضات على من يشاء من عباده المخلصين - يقد: يقطع ويشق: الجوف: الصدر.

(٣) صفراً: خالية.

(٤) توجه: توجه بدعائك إلى الله عز وجل الذي لا يكشف الكروب سواه.

(٥) يشبه في أبياته هنا قول الإمام الحداد:

تحامى عن الدنيا وهاجر فارًا إلى الله ولأحداث ذات ضرام
من البصرة الخضراء يخترق القرى ويلحق أغواراً لها بآكام
إلى أن أتى الوادي المبارك فارتضى ومد به أطنابه لخيام

(٦) مُحْنقاً: مغيظاً حاقداً. أسا: يريد أساء. يُقْرى: يعطي القرى ضيافة وتكرماً.

قصارَى أمانيّ العِدَا هدمُ قُلَّةٍ بَنَيْتَ لنا نافتْ على هامة الشّعْرى

سلوا الله يرمي كيدَهم في نحورِهم ويشغَلُهم عنا بداهيةٍ كُبْرَى

وينجزنا وعدَ الإمامِ بقُرْبه سريعاً لأنا لم نَعُدْ نستطعْ صبْرَا

وليس لنا إلّا كُمُ فتفَقَّدُوا شؤونَ بنيكُم واجبُرُوا لهمُ الكَسْرَا

وأدنى التفاتٍ منك يُصلِحُ حالَهم فتنقلبُ الضرَّاءُ عندهمْ سَرَّا

ويسترشدُ الأعمَى ويندفع الشَّقا ويرجعُ للنهج القويمِ مَن أزْوَرَّا

وجاهُك عند الله في الظنّ واسعٌ وقولُكَ مسموعٌ وإحسانُهُ تَتْرى[1]

عليك صلاةُ الله بعد محمَّدٍ وأصحابِه ما أومضَ البرقُ وافْتَرَّا

❊ ❊ ❊

(١) تترى: متتابع.

القصيدة السادسة والثلاثون

تَوَجَّهْ إلى الباري[١]

تَوَجَّهْ إلى الباري لِيستَمع الدُّعا ... وينعشَ آمالاً منَ الدهرِ ضلّعا[٢]

نَئِنُّ من الأيام إذ عَثرتْ بنا ... ونشكُو فقُلْ يابن الكرام لنا لَعا[٣]

فأنتَ لنا جارٌ ومَن تك جارَه ... له الأمنُ حاشا أن يكون مُضَيَّعا

أتيناكَ والأشجانُ ملءُ قلوبِنا ... تكادُ لما قد نابنا أن تصدَّعا

وعلمُك بالإجمالِ يُغْنِي فإنَّنا ... على البثِّ لا نقْوَى فقد مُلِئ الوِعا

وأنت الذي أَسكنتَنا هذه الرُّبا ... فصارتْ لنا بعد المدينةِ مرْبعَا

ونورتَها بالدين حتى تَنَوَّرَتْ ... وكنتَ بها للهَدْيِ والعلم مَطْلَعا

حياً سال من عينِ الحياة مَعينهُ ... به اهتزَّ ذا الوادِي الجديبِ وأَمْرعا[٤]

بنُوكَ وإن عقُّوكَ أَدْلَوْا بذمَّةٍ ... ومثلُكَ من وفَّى الذِّمام ومَنْ رَعَى

* * *

---

(١) هذه القصيدة موجهة أيضاً إلى الإمام المهاجر أحمد بن عيسى وسلسلة نسبه كالتالي: أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي ابن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) ضلعا: عظيمة.

(٣) لعا: لا عثرتم دعاء لهم.

(٤) حيا: مطرا. أمرع: أخصب.

القصيدة السابعة والثلاثون

تطاولَ ليلُ الهمِّ

وهذه قلتها على البديهة؛ في حضرة جبل الشرف، والبحر الذي لا يُنْقِصُه من اغترفْ، ولا يُدْرَك له قعرٌ ولا طرَف، والبحر الذي لا يكثرُ بمن جاء؛ ولا يَقِلُّ بمن انصرف، (هو) ذو الخير الهامي، والفضل الطامي، والنور الساطع، والسيف القاطع؛ الإمام حسن بن صالح البحر المتوفى في ٢٠ ذي القعدة من سنة ١٢٧٣هـ؛ أبو الأيتام، وكهف الإسلام؛ بلغ من حبِّه المساكين؛ أنَّ جدِّي محسناً اقترن بإحدى بناته؛ فعمل وليمة لجدِّي ولركبه؛ ذبح فيها من الشاه أكثر من عشرين؛ ولما أطلَّ من النافذة؛ ووجد المساكين حافِّين بداره؛ أمر بإدخالهم وتقديم ذلك الطعام إليهم؛ واستيناف طعام آخر لجدِّي وقومه؛ فما كان أحقَّه بقول طرفه:

نحن في المشتاة ندعو الجَفلَى لا نرى الأدبَ فينا يَنْتَقِرْ

وقدم مرة إلى تريم؛ ونزل بدار السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل؛ كجاري عادته، ولما قُدِّم الطعام؛ جعل يلقي يديه على حاجبيه ينظر أين أتباعه؛ وما هم إلّا كأتباع الأنبياء؛ ضعفاءُ الخلق وفقراؤُهم، وقد دعا السيد حسين أعيان «تريم» ليتشرفوا بمؤاكلته؛ فاستأثروا بالمنزل الذي فيه الحبيب حسن؛ فلم يطب له طعامه؛ ولكن الحبيب حسين عرف ذلك؛ فأشار على الحبيب حسن بالقيلولة في دار الحبيب أحمد بن علي الجنيد؛ واستدعى العمال؛ ورفع حاجزاً بين المنزلين؛ حتى لا يتعشى إلّا وأصحابه بمرأى منه؛ من دون أن يُحرَم مجلسَه أعيانُ «تريم»؛ وخاصةُ الناس؛ فتعجب الناس من صنيع الاثنين. وفي رواية بعضهم؛ أنَّ بطل

القصة؛ المنزول عليه؛ هو السيد أحمد الجنيد؛ وإنما كانت القيلولة في بيت السيد حسين.

وبلغ به الحفاظ؛ أنْ حَمَلَ السلاح؛ فصدَّ بنفسه عادية قوم؛ لا يحصى عددهم؛ أغاروا على حضرموت من جهة شِبَام؛ فكسرهم شرَّ كسرة، وأوقع بهم أكبر هزيمة؛ وبويع له بالإمارة.

وبلغ به النصحُ للدّين إلى أبعد غاية، حتى بلغ به ضفاف البوسفور؛ فأشبع السلطان العثماني عتباً ووعْظاً؛ على إبداله زي العساكر العثمانية بالزِّيِّ الإفرنجي؛ ما عدا القُبَّعَة.

وكان قريباً من الفقراء والمساكين، يتمنى الأغنياءُ أن لو كانوا فقراء في مجلسه؛ لما يروْن من تقديمه لهم؛ كما كان كذلك سفيان الثَّوْرِي. دمثَ الأخلاق، ليِّنَ الجانب، شديداً على الظلمة، ترعدُ منه فرائص الأمراء، مكرِماً لرؤساء العرب ومشايخ القبائل؛ وخاصة منهم؛ أهل الوفاء، بعيداً عن التصنُّع؛ رأينا بقلمه وثيقة في اللجمة؛ لو كتبها غيرُه لعابه المتحذلقون؛ الذين يتحرجون عن دم البعوض؛ ولا يسألون عن دم الحسين، ويهربون من كراهة العزْل؛ ولا يبالون بحرمة الزنا.

يقبل عطايا الملوك وهداياهم؛ ولا يبيت عنده دينار ولا درهم، ولم يتأَثَّلْ مالاً؛ ولم يَضَع لبِنةً على لَبِنَة. غزير الدمعة؛ يطرَبُ بقراءة القرآن؛ ويغيبُ عن كُلِّ شيء حتى لو زلزلت الأرض زلزالها؛ عند قراءته؛ لم يَشْعُرْ بذلك.

ولقد تزوَّج سرًّا؛ فلما كان وقت ورده من الليل؛ انكشف الأمر، وظهر الخبر، وكذلك كان ابن الزبير؛ حتى لقد اتهموه في خشوعه[1]؛ فصبوا على رأسه ماءً حارًّا؛ وهو ساجد؛ فلم يشعر به؛ ثم مرض منه أياماً.

كلُّه نفع عام؛ وقُرَّة لعين الإسلام؛ وليس هذا مكان ترجمته حتى نفيض فيه،

---

(١) أي ابن الزبير.

وفي قسم المراثي قصيدة تتعلق به؛ وهي السابعة من مراثي ولدنا المرحوم بَصْرِي[١]. وهذه هي القصيدة:

تطاولَ ليلُ الهمِّ واسودَّ جُنْحُه ... ولكنَّ بحرَ العلمِ والجودِ صُبْحُهُ
أتيناهُ والآمالُ ملءُ قلوبِنا ... وما صدَّنا عنه الهجيرُ ولفْحُه
صبرْنا على الرَّمْضاءِ في سيرنا إلى ... زيارةِ من طال السماكين صَرْحهُ
أَبو صالح ذو السودَدِ الضخمِ والعُلى ... وربُّ السماحِ القاتلُ المحْلِ نَفْحهُ[٢]
ورَدناه والأكبادُ حَرَّى وفي الحشَا ... من البَثِّ ما يُفضِي إلى الطولِ شرحُهُ
ولُذْنا إلى الباري تجَاهَ ضريحهِ ... لِياذَ كسيرٍ لا يؤَخَّر مَنْحُهُ
وخِبرتهُ بالحالِ تُغْنِي وجاهُهُ ... كفيلٌ بأن يُذْوَى من الصَّبِّ جُرْحهُ
توجَّهْ إلى الباري ليُطْلَقَ مُوثَقٌ ... ويُقبَلَ مطرودٌ ويُستَر قُبْحُهُ
ويرتاحَ محزونٌ ويظفرَ طامعٌ ... ويَسعدَ محرومٌ ويُجزَلَ رِبحُهُ

* * *

(١) بصري: هو أحد أبناء الإمام ابن عبيد الله وقد توفي في حياة أبيه وهو في ريعان الشباب.

(٢) القاتل بالمحل: المعدم الجدب. نفحه: عطاؤه.

القصيدة الثامنة والثلاثون

يا من بنورِ جبينِه

يـا مـن بـنـورِ جـبـيـنِـه الـوادي أضـا   وبـجـاهِـهِ مـن ربِّـنـا نـرجـو الـرضَّـا[١]

يـا مـن يـعـودُ بـغـايـة الآمـالِ مَـنْ   بـالـصـدقِ جـاءَ لـفـضـلـه مـتـعـرضًّـا

يـا مـن مـراتـبـهُ الـثـريَّـا دونَـهـا   يـا مـن مـنـاقـبُـه بـهـا امـتـلأ الـفَـضـا

يـا فـائضَ الـمـعـروف يـا بـحرَ الـنَّـدى   بكَ نـسـتـجـيـرُ الـلـهَ من سوءِ الـقَـضـا

ونـعـوذ مِـن درْكِ الـشـقـاءِ ومِـن أَذَى   دهـرٍ بـنـا مِـن صَـرْفـهِ نـارُ الـغَـضَـى

لـو أن رَضْـوَى نـابَـهُ بـعـضُ الـذي   قـاسـيـتُـهُ من حـربـه لـتَـقَـوضـا[٢]

زاحـفـتـهُ حِـجـجـاً طِـوالاً مـا رأى   فـيـهـنَّ مـنِّـي غـيـرَ عـزمٍ فـي مَـضـا[٣]

والآن قـد حـمِـيَ الـوغَـى فـسـيـوفـهُ   من كل وجهٍ لاضطهادِي تُنتضَى[٤]

أفـتـتـركُـونـي لـلـسـبـاعِ ومـنـكُـم   لـي ذمـةٌ يـأبَـى الـتُّـقَـى أن تُـنْـقَـضـا

مِـنْ دارِكـم خـرَجَ الـوَفـا حـاشـاكُـمُ   أن تـشـمِـتُـوا بـسكـوتِـكـم من أبْـغَـضـا

لا تـهـمـلـوا فـالـطـيـرُ يـحـمِـي وكـرَهُ   ويـذودُ عـنـه الـشـرَّ حـتـى يَـنْـهـضـا

وبـجـاهـكـم ريـشَ الـجـنـاحُ فـحـصَّـهُ   دهـرٌ رمـانـا بـالأذَى وتـعـرَّضـا[٥]

---

(١) أضا: أضاء.

(٢) رضوى: جبل بالمدينة.

(٣) مضا: مضاء ونفاد.

(٤) تنتضي: تسل من أغمادها.

(٥) ريش الجناح: كسي بالريش. يريد أنه استغنى. فحصه الدهر: فأذهبه: والحصى ذهاب الشعر وانجراده وتناثره.

صابرتهُ وحْدِي وهانذا لِمَا ... يأتي احتميتُ بكم ويكفي ما مَضَى
بكُم أَلوذُ وبالنبِّيِّ وبنتِه ... وابنيهما الحسنينِ ثم المرتضَى
منا عليكم أفضلُ الصلواتِ ما ... أَبكي الغمامَ البرقُ مَهْما أَوْمَضا

* * *



قصائد
في مناقب العيدروس

قصائد في مناقب العيدروس

والقصائد الآتية؛ قدَّمتها بين يدي نجواي لمنجد الغريق، ومنقذ الحريق، ومُوَضِّح الطريق، ومُمَثِّل خير فريق، الأستاذ الأبر، والشيخ الأكبر عيدروس بن عمر الحبشي «قدس سرُّه» فقد اعترف له المعاصر، وعُقِدَتْ عليه الخناصر، ونوَّه به المشايخ في الصغر، وبادره الفتوح وما اثَّغَر[(١)].

يحكى عن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر؛ أنَّه أمر أولاده مرة بزيارة «دوعن»؛ ولما عادوا سألهم عن المترجَم؛ فقالوا: لم نتمكن من زيارته؛ فقطع عنهم كلامه؛ وصبَّ عليهم ملامه؛ وألزمهم العود في الحال؛ قبل حط الرحال؛ مع تباعد المحالّ.

تمامُ الحج أن تقفَ المطايا على خرقاءَ واضعةِ اللثامِ

ولما كانت ليلة المحائل؛ وهي التي أغار في صبيحتها السلطان عوض بن عمر القعيطي[(٢)]؛ على حضرموت؛ بثمانية آلاف مقاتل؛ جاء الأمير غالب بن محسن الكثيري[(٣)]؛ يستشير جدِّي المحسن في المهرب إلى تاربه[(٤)]؛ فأحاله على

(١) اثَّغر: نبتت أسنانه.

(٢) مؤسس الدولة القعيطية التي شملت سيادتها أغلب حضرموت كان عسكرياً بجيش حيدرآباد وجمع ثروة أقام بها دولة بحضرموت وكان رجلاً شجاعاً وحكيماً وكانت وقعة المحائل في سنة ١٢٨٥هـ.

(٣) مؤسس الدولة الكثيرية وكان جنرالاً في جيش حيدرآباد الدكن بالهند وكوّن ثروة أعانته على تأسيس دولته.

(٤) قرية على الطريق بين سيؤون عاصمة الدولة الكثيرية ومدينة تريم.

تلميذه صاحب الترجمة؛ فذهب من فَوْرِه؛ هَدْأَةٍ من الليل؛ إلى الغرفة[١]؛ فأشار عليه سيدنا الأبر بأن يصلح نيته مع الله؛ ووعظه؛ حتى إذا تحقق منه القبول؛ قَوَّى أمله في الانتصار؛ فكان كذلك[٢]، في خوارق عادات كبرى، أخذ التوفيق هواه، وشغل التحقيق قواهى، وملأت الأنوار جَنانه، وملك الاتّباعُ عِنانَه، فما حادَ عن سيرة النبيِّ بنانَه، متمَسِّك بالشريعة؛ لا يَعُدُّ غيرها للنجاة ذريعة، يستحضر دقائق الفقه حتى في آخر عمره، ويلتزم به في كل أموره، أخبرني الفاضل الثقة السيد حسن بن أحمد الحداد؛ أنَّ أخاً له توفي وأوصى بأن يصلي المترجَم عليه؛ فامتنع أولاً وثانياً؛ حتى سئل عن السبب؛ بعد تشعُّب الظنون! فقال: إن الحق في الصلاة عليه؛ إنما هو للولي؛ فلا تعتبر وصيَّتُه. وحين أَذِنَ له تقدَّم.

وأغرب من ذلك ؛ أنه لما هزَّه الشوق، وحضره السَّوْق، بلغت به الألطاف؛ أن أذن لقوم أرادوا مصافحته؛ وقد بردت منه الأطراف، فاستدعى جمراً للتسخين، كيلا يعلم الزائرون قرب الحين، ولما خرجوا عزم على صلاة العصر؛ وعجز عن استيفاء آداب الطهارة؛ فأمر بمراجعة بيان العمراني[٣]؛

(١) قرية بقرب سيؤون على الطريق بينها وبين وشبام يسكنها الإمام عيدروس بن عمر الحبشي وبها قبره.

(٢) قال ابن عبيد الله في تاريخ حضرموت: إن السلطان غالب بن محسن بكر على حصانه يستشير زعيم البلاد الإمام محسن بن علوي السقاف (١٢١١ ـ ١٢٩٠هـ) بعد أن قرر الهرب لأن ليس له طاقه بالجيش الزاحف كما استأجر الإمام محسن هو الآخر حماراً ليهرب عليه لأن يافعاً يطلبون رأسه قبل رأس أي إنسان آخر إلّا أن الإمام محسن بن علوي لما طلب السلطان استشارته أحاله إلى تلميذه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧ ـ ١٣١٤هـ) بالغرفة فقصده السلطان غالب فوجده يتعبد الله في بستانه المعروف بالهداهد فاستشاره السلطان في الهرب فأطرق الحبيب عيدروس ثم أمر السلطان بالثبات على أن لا يرهق الرعية في هذه الحرب فلم يأخذ السلطان من الناس في دفاعه إلّا طعام الجنود ثم جاءت بشائر النصر وانتهى الجيش الغازي بالهزيمة.

(٣) كتاب البيان في شرح المهذب للعلامة اليمني أبي الخير يحيى العمراني المتوفى سنة ٥٥٨هـ.

لرخصة يحفظها عنه؛ ولما أدركوها كما قال؛ أضرب عن الترخيص؛ وقال: هذه آخر صلاتي في الدنيا؛ فكيف أتجوّز فيها مع قوله ﷺ: «**صلِّ صلاة مودِّع**» وبه ذكرت؛ أنَّ بعض العلماء؛ وهو أحمد بن المعدل؛ أخو عبد الصمد؛ حج في نحو التسعين من عمره؛ فأراد أن يتعرض للشمس في عَرَفات مع مزيد ضعفه؛ فقال له أصحابه: لو أخذت بالتوسعة؟ فأبى؛ وقال:

ضحَيتُ له كي أستظلَّ بظلِّه إذا الظلُ أضحى في القيامةِ قالِصا[1]
فوا أسفاً إن كان سعيك باطلاً وواحسرَتا إن كان حجك ناقِصا

ولما سلَّم الأستاذ الأبر من آخر صلاته في الدنيا؛ استدعى سائر أهله؛ وشرب من ماءٍ سقاهم فضله؛ فعزم الله لهم بالثبات والصبر؛ حتى أوصاهم بتقوى الله؛ وأخبرهم بأنه آخر العهد؛ وحثَّهم على الرضا والتسليم؛ وودَّعهم وصافحهم واستودعهم الله؛ ثم أمر النساء بالخروج من المنزل؛ وهم (جميعاً) واجمون؛ واضطجع على جنبه الأيمن؛ وأخذ يكرّر الجلالة؛ وأمر الحاضرين بقراء يس؛ فما ختموها حتى فاضت روحُه الشريفة سنة ١٣١٤هـ؛ عن سبعة وسبعين عاماً. وهذا أغرب مما ذكروه عن وفاة الحافظين أبي زَرْعَة والذهبي رحمهم الله.

جمع إلى الكمال النجابة، وإلى الجمال المهابة، لا نراه إلّا ذكَرنا به الصحابة، يسري في مجلسه الوقار، إلى جميع الحضَّار؛ فتراني في العاشرة من عمري؛ أحضر مجلسه الطويل؛ فلا أغيِّر جلستي، بلا كلفة في اتحاد قِعدْتَي؛ مع انطباع الصبيان على الحركة؛ وهو شيء لم أخصَّ به وحدي؛ بل يشترك فيه كل من يحضر مجلسه مثلِي.

حضرت معه وأنا في نحو تلك السن من عمري؛ زيارة هود عليه السلام[2]؛

---

(١) ضحيت: برزت للشمس. قالصاً: ناقصاً أو منزوياً.

(٢) يقام في حضرموت اثنان من أسواق العرب في الجاهلية أحدها سوق الرابية وقد انقرض منذ زمن بعيد والسوق الثاني الأشهر هو سوق المهرة ويسمى أيضاً سوق الشحر ويقام تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام في النصف من شعبان ولا زال هذا السوق يقام في =

فحصلت أمور يطول شرحها، منها أنه لا يزال يظن في أدنى قوله: آنسَ القلبَ ريحُ القبول. فذكرتها للشيخ محمد بن أحمد الخطيب؛ بعد أمَّةٍ من الزمان؛ فقال: نعم. وكان من خبرها أنه طلع إلى القبة ليستحضر عنده نبينا؛ لأنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم؛ أبناءُ علَّات[1]؛ فما صعد في الدرج؛ إلّا ونازله حال عظيم؛ امتدت به قامته، ثم ما شرع في التسليم حتى أخذته عَبرة؛ سرت إلى الناس كلهم؛ ولقد خشينا على والدك؛ إذا لم ترفأْ له عَبْرة؛ إلّا بعد مدة طويلة؛ وبعد أن فرغوا من الزيارة؛ وعادوا إلى المنزل؛ سأله أحدهم؛ فقال في أثناء جوابه: كلمته التي بقيت بحفظك لنصوصها، هذا ما قاله العلامة الشيخ محمد بن أحمد الخطيب؛ وأنا وإن حضرت الواقعة؛ فإنه لم يبق بذهني منها إلّا تلك الكلمة الغالية، وكثيراً ما سمعت من والدي ﷺ: أنَّ الأستاذ الأبَّر؛ قلَّما يغلبه البكاء إلّا قهره بالتبسم؛ كما صنع في مقابلة المعزِّين يوم مات شاب الجنَّة؛ المنغَّص الشباب؛ حفيده؛ أحمد بن محمد بن عيدروس؛ فهو إذن كما قال الأمير؛ تميم بن المعز:

وبي كل ما يُبكي العيونَ أَقَلُّهُ وإن كنت منه دائماً أتبسم

لا أقول كما فعل الفُضيل يوم مات ولده علي[2]؛ فإن حال شيخنا؛ أكمل وأجل؛ والله أعلم.

جُلُّ تربيته بالملاحظة؛ وردَه شيخ من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم؛ معه ولده فدخلا بجفاء وغلظة؛ وسلَّما تسليماً منكراً؛ ولمَّا استقرَّ به المجلس؛ أخرج النشوق[3]؛ وأخذ منها حصة وافرة، وقال: خذ يا عيدروس! فألطف له

= نفس هذا الموعد تقريباً إلى اليوم إلّا أن العلويين استغلوا فرصة اجتماع الناس من كل أرجاء حضرموت فأقاموا خلاله جلسات الوعظ والإرشاد؛ كما استغله العلماء القادمون من جهات متفرقة من حضرموت في عقد المباحثات العلمية والمدارسات الفقهية.

(١) أولاد العلات: هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى.

(٢) علق الإمام على تصرف الفضيل بن عياض هذا في كتابه بلابل التغريد فلينظر.

(٣) تبغ غير محروق تخلط به مواد كثيرة ويسمى النشوق أو الشمَّة.

القول؛ وألان الجانبَ؛ وقال: لا نحبُّه؛ ثم قال: يا عيدروس؛ ما جئنا إلّا لنسألك عن الرِّبا؛ ونطلب منك رخصةً فيه؛ فما لنا سببٌ سواه[١]؟ فالتفت إليه بهمة؛ تغلَّبت حتَّى على جثمانه؛ فامتلأت جثته وامتدت قامته؛ ولم يزل يعاتبه بكلام ألين من الدُّهن بالليل؛ حتى انماع الشيخ؛ كما ينماعُ الملح في الماء؛ فجدَّدَ التوبة؛ وبَدَّل الهيئة؛ ودخل بهيئة البدويّ الجافْ؛ وما خرج إلّا بطهارة العذب الصافْ.

تعرض لأذيَّته شيخ آل كثير؛ عائض بن سالمين؛ حتى لقد تهدَّدَه بأخذ فرسه؛ فما هي إلّا أيام قليلة؛ حتى اشتبك في حرب مع آل كده، فقُضِيَ عليه؛ في ثلاثة عشر قتيلاً وأربعين جريحاً من عشيرته؛ فدخل ولده محمد بن عيدروس؛ وعليه شيء من بشاشة التشفِّي؛ وبمجرد ما قام بالباب؛ أخبره الخبر؛ بصوت تظهر فيه نغمة الفَرَح.

قال والدي: فلم ينزعج؛ ولم يحل حَبْوتَه؛ ولم يتحرك؛ ولم يستفزَّهُ شيء؛ بل لم يتأثَّر أصلاً؛ ولم يزد على قوله: سامحهم الله، ثم عاد إلى ما كان من حديثه؛ في الجواب عن سؤال صُوفي؛ كان والدي ألقاه بين يديه؛ كأن لم يكن شيء، هذا مع أنها الحادثة؛ التي لم يكن لها نظيرٌ من نوعها؛ بين الشنافر[٢].

ذلك الوقار؛ الذي ذكَّرني بما رواه غير واحد؛ أنَّ ابن أبي مُليكةَ؛ سُئِلَ عن عبد الله بن الزبير؛ فقال: ما رأيت أثبت من نفْسه؛ مرَّ حجرُ المنجنيق بين جنبه وصدره؛ وهو قائم يصلي؛ فما اضطربَ له؛ ولا خشع بصرهُ؛ ولا قطع قراءته؛ ولا ركع دون الركوع؛ رضوان الله عليهم أجمعين.

وذكرت بهذا أيضاً؛ قول ابن العبكي: جئت لأبشِّر والدي بمقتل عدوِّه؛ أرغوك شاه؛ فلم يكن منه؛ إلّا أن استقبلني قبل أن أتكلم؛ بقوله: لا تظهر

---

(١) أي ما لنا وسيلة رزق سواه.

(٢) الشنافر: من مسميات قبائل آل كثير.

الشماتة بأخيك؛ فيعافيه الله؛ ويبتليك؛ وكان ذلك من آخر الليل؛ فلم أدر أكان حاضر الذهن؛ أم أجرى الله ذلك على لسانه؟

ولنعد إلى خبر المترجَم؛ رضي الله عنه؛ فنقول: إنه لا يمكّن أحداً من تقبيل يده إلّا من زاد اختصاصه جداً؛ وإذا دُعِيَ إلى وليمة أو نحوها؛ بادرَ قبل اجتماعِ الناس؛ كراهَية أن يقوموا له إذا دخل؛ وإن تكلّف طول الانتظار من أجل ذلك، يكره المدح وَيؤُلُّه[1]؛ ويغضب من نسبة الكرامة إليه؛ فكأنما نظرهَ أبو العلا بلحظ الغيب؛ إذ يقول:

تبوحُ بفضلك الدنيا لِتحظَى ... بذاك وأنت تكرهُ أَن تَبوُحَا
وما للمسكِ في أنْ فاحَ حَظٌّ ... ولكن حظُّنا في أنْ يَفُوحَا

واختصم مرةً بعض جيرانه؛ من قبائل بلاده؛ في دَيْن؛ فلمَّا حَمِي الجدال؛ وأزِفَ القتال؛ قصدَ الدائنَ؛ وكان به مرض؛ فاستنزله عن بعضه؛ وكان كثيراً؛ فقال: أنزل لك عن جميعه؛ بشرط أن تضمن لي على الله الجنة؛ فاربدَّ وجههُ؛ وقال: لا أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بك؛ ولا أملك لنفسي ولا غيري؛ وزجره عن مثل ذلك؛ وعرَّفَهُ بأنه لا يسوغ؛ فألحَّ الحاضرون على الحبيب؛ لِيواربَ بعبارة موهمةٍ؛ لحسم الفتنة؛ فلم يرضَ؛ لأنَّه رأى الجراءَة في مثل ذلك؛ أعظم خطراً من شرِّ الفتنة، وبعد طول المراجعة؛ اقتنع الدائن منه بالدعاء؛ وأبرأ المدين.

وكان قليل التدَخُّل فيما بين القبائل؛ إيثاراً للمهمِّ من أمره؛ ومراعاةً لخواطر بعض المناصب؛ الذين لم يسلم من شرّهم؛ إذ لم يكن سوء أدب عائض بن سالمين السابق؛ إلّا عن أَيدٍ محرِّكَةٍ منهم؛ كما قد استأجروا حميداً؛ ليعمل له سحراً؛ حسبما اعترف بذلك أمام الناس؛ في حديث طويل نطويه على عُرِّه[2]، وكان من أصعب الأمور على قلوبهم؛ أن يتوسط في الإصلاح؛ فتَجَنّبَهُ لدرءِ المفسدة؛ إلّا عند مسيس الحاجة.

---

(١) وَيؤُلُّهُ: يرفضه ويدفعه.

(٢) على عرِّه: على ما فيه من سوء وقبح.

فقد اشتدت الحرب بين جيرانه آل خالد بن عمر؛ وآل الفاس[١]؛ وعمل كُلٌّ سرداباً إلى كوت[٢] الآخر ليحرقه عليه؛ فلما تقارب الانتهاء؛ جاءه شيخ العمال؛ فأطلعه طلع الحال؛ وقال: غداً في أثناء النهار أو آخره؛ تحصل الداهية؛ وفيهم أولادنا الأبرياء؛ فغلَّس بصلاة الصبح؛ ثم خرج وعليه الجلال؛ ومعه خادمه عمر بن شيبان؛ فجلس على منتصف ما بين الكوتين؛ وأمره أن يدعو هؤلاء؛ فأسرعوا مهطعين؛ كأنما يقادون بالبُرَى[٣]؛ والحال أنهم كما قال أبو عبادة:

يتفاذقون بأعينٍ محمرّةٍ في لحظها جمرُ الغَضَى المتسَعِّرُ

ولم يزد على أن قال: ليرجع كل منكم إلى قومه؛ ونادى بصلحٍ إلى سنة؛ وأمر بهدم الكُوتَيْن؛ فشرع العمال للحين في الهدم؛ وانصرف كُلٌّ إلى قومه صاغراً؛ وقومهم ينظرون إليهم؛ وإلى العمال يهدمون بيوتهم؛ لا يدرون ماذا صار؛ ولا يقدرون على تغيير شيء قط؛ وهو جاثم لا يقدر أن يراجعه أحد ببنت شفة.

وفي ربيع الثاني من سنة ١٣٠٣هـ؛ تمكن كما في تاريخ ابن حميد؛ من إقناع آل خالد بن عمر؛ بالوعظ الصادق؛ حتى رفعوا أيديهم عما استولوا عليه من أموال الناس؛ في الغرفة وضواحيها؛ بدون حق؛ وأخذ عهودهم على ذلك؛ في صكٍّ خاص، وأوذِيَ مرة؛ من قبل أحد المناصب؛ أذيَّة بالغة؛ فجاء إلى «سيؤون» واجتمع بمحبيه؛ أمثال الوالد؛ والسيد علي بن محمد الحبشي؛ وأخبرهم؛ فأشاروا عليه بالانتقال إلى «سيؤون»؛ فاعتذر بالحاجة إلى دار كبيرة؛ ولن توجد؛ وكان الشيخ أحمد بن محمد بارجا حاضراً؛ وقد فرغ من عمارة دار؛ هي أكبر ما يكون في سيؤون لذلك الوقت؛ فانتبذ عنهم قليلاً؛ ثم جاء بوثيقة؛ تتضمن النذر بالدار المذكورة؛ للأستاذ الأبر؛ فأكبروا عمله؛ وشكروا سعيه؛

---

(١) أسماء قبائل حضرمية.

(٢) كوت: يريد مكان سكناه.

(٣) بالبرى: جمع بُرة وهي حلقة توضع في أنف البعير.

وقالوا للإمام: أما الآن فقد توجه الانتقال؛ فعاد إلى الغرفة ليتحمَّل بأهله؛ حتى إذا بلغ منتصف الطريق؛ قال لخادمه: قد بدا لي أن لا ننتقل لأسباب، منها: أن لنا قرابة وجيراناً يشقُّ عليهم انتقالنا؛ ونواسيهم بما لن نقدر على إرساله إليهم، ومنها: أنّنا نتعلم الصبر في الغُرفة؛ وقد قال أَحد أصحاب رسول الله ﷺ: ما أحب أنَّ لي بنصيبي من الذل حمر النعم، ومنها: أننا نخشى أن تختمر في رؤوسنا عجينة الرئاسة؛ من تعظيم آل سيؤون لنا؛ وهي الداء العضال، ومنها: هب أنَّ أحمد بارجا طابت نفسه بالدار؛ فما حسرة أهله وأولاده عليها؛ ثم أمر خادمه أن يكتب انتقالاً في الدار من ملكه إلى ملك الناذر.

وهو في صبره على الأذى كما يقول ابن عنقا:

إذا قيلت العوراء أغضَى كأنه ذليل بلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانتصر

وكانت له حاضنة؛ قذِرَة الثياب؛ كريهةُ المنظر؛ بذيئة اللسان؛ تعمَّرت طويلاً؛ فكان يزورها بالرغم من أولاده؛ وهي تتجنَّى عليه؛ وتستطيل بلسانها؛ وتضرب على ظهره؛ أكثر مما كانت تفعل أم أيمن؛ معه ﷺ؛ وإذا عاتبه أولاده في ذلك؛ قال: إنَّ حسن العهد من الإيمان.

لا يجزم الأمر حتى لغلامه وخادمه؛ وإنما يأمرهم بصيغة العرْض والتخيير. وسمعته ذات المرات في تلك الزيارة؛ التي سلفت إليها الإشارة؛ يعرض العُقْبة[١] على غلامه فرج؛ ويقول له: لا تستحِ؛ إذا تعبت فأنا أنزل لك بفرح.

ذلك الأمر الذي ذكرني بما كان من رسول الله ﷺ في غزوة بدر؛ فقد كان يعتقب؛ هو وعلى وأبو لبابة؛ على جملٍ واحد[٢]؛ وإذا جاءت عُقْبَة أحدهما؛ قال لرسول الله: أركب؛ فيقول رسول الله ﷺ: «**ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما**» أو ما هذا معناه. وما كان من عمرَ في قدمته الأخيرة إلى

---

(١) العقبة بضم فسكون: نوبة الركوب.

(٢) يتناوبون الركوب عليه.

الشام؛ فقد كان يتعاقب هو وفتاه على الجمل؛ وكانت العُقْبة ساعة القدوم إلى الشام للخادم؛ وأمير المؤمنين يقود الجمل؛ وخُفَّاه بيديه؛ لما اعترضه من المخاضة؛ رضوان الله عليهم أجمعين.

يعطي كل واحد من جلسائه؛ نصيبه من الالتفات والحديث؛ حتَّى يحسب كلُّ واحد أنه أكرم الخلق عليه، وبالجملة فهو أشبه الناس بالنبيِّ سِيَراً، وأكثر من لقيناه على الإطلاق خيراً؛ لا ينفُذُ إليه نقد؛ ولا يُنقَضُ لديه عقد؛ ولا يضبط مدحه سور، ولا تقطع فضاءَه نسور، إذا ذكر فالمناقب لها ازدحام، والقلم يُعيبه الاقتحام.

تَـفَـرَّقَـتِ الـظِّـبـاءُ عـلـى خِـداشٍ   فـمـا يَـدْري خِـداشٌ مـا يَـصِـيـدُ

وما عسى أن يقال في نور الظلام، وكهف الإسلام، وعلم الأعلام؛ فلْنوجز الكلام، وليس هذا موضعَ التعريف به؛ فلا ملام، وقد أفردت مناقبه بالتأليف، وهو الذي أحْيَا أسانيد السنة والطريقة بحضرموت، **وغالب ظني أنه مجدد القرن الثالث عشر**، قرأت عليه؛ وسمعت منه؛ وأجازني وألبسني[١] مراراً عديدة، وفي يوم واحد؛ قرأت عليه بإشارة والدي؛ عدّةِ كتب في فنونٍ شتى، وتولاني بلطفه، وشملني بعطفه، فهو أبو رُوحي، وشيخ فتوحي؛ وقد مرضت في سنة ١٣١٣هـ؛ حتى صرت بهيئة الاحتضار؛ ثم شفاني الله بدعوة منه؛ خرَقت الطباق، وبعدما بلغت بي الرُّوح التَّراق[٢].

فـي قـصـةٍ طـولَـى خـوارقُ عـادةٍ   ظـهَـرتْ ومـا كـانـتْ حـديـثـاً يُـفْـتَـرَى

وهذه هي القصائد التي امتدحته بها، وجلها في أيام الحداثة؛ وقد تكرر إنشاد الأولى والأخيرتين منها بحضرة والدي[٣] وسيدي علوي بن عبد الرحمن[٤]

---

(١) ألبسني مراراً: إلباسه الرداء. تقليد صوفي؛ وقد يكون الإلباس لعمامة أو كوفية أو قميص.

(٢) الترقوة: مقدم الحلق في أعلى الصدر.

(٣) الإمام عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢ ـ ١٣٢٤هـ) كان عابداً زاهداً منقطعاً إلى العلم والعبادة وتوفي بسيؤون بحضرموت.

(٤) الإمام علوي بن عبد الرحمن السقاف (١٢٥٦ ـ ١٣٢٨هـ) من كبار العلماء تولى قضاء =

في جموع مشهودة يحضرها مراجيح الرجال[١] لذلك العهد ومنهم السيد علي بن محمد الحبشي[٢].



= سيؤون اثنتي عشرة سنة ومات فقيراً واشتهر بالزهد والقناعة والنزاهة وتولى التدريس والقضاء وكان دمث الأخلاق طيب العشرة وتوفي بسيؤون.

(١) مراجيح: علماء.

(٢) الإمام علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩ ـ ١٣٣٣هـ) من كبار الأولياء والصالحين كان ضليعاً في النحو وله أشعار لطيفة لا تزال تُنشد بالمجالس إلى اليوم وهي مجموعة بديوانه وله رسالة المولد الشهيرة؛ وقبره بسيؤون.

القصيدة الأولى

بِجِدِّ الفتى القاصي

بِجِدِّ الفتى القاصي من المجد يَقْرُب ... ويسهُلُ بالتَّشمِير ما كان يَصْعُبُ[1]
ومَن رامَ إدراكَ المُنَى وهو عاجزٌ ... من السعي في تحصيلها فهو أشعَبُ[2]
ومنْ ظنَّ أن يرقَى إلى قُلَّة العُلَى ... بلا سُلَّم فهْو البليدُ المخَيَّبُ
على الجِدِّ والتشميرِ والهجرِ للكَرَى ... وطولِ السُّرَى نيلُ التهاني مرَتَّبُ[3]
تُؤَمِّل يا مغرورُ أن تبلغَ المُنَى ... وأنتَ بميدانِ البَطَالة تَلْعَبُ
وتنُفِقُ ريعانَ الشبيبَة في الهوى ... وتزعُم في العلياء أنكَ تَرْغَبُ
تقولُ إلى غايِّ المكارم وِجْهتي ... ولكنما الأعمال منك تكذِّبُ[4]
ترى منهَج الإحسانِ والرشدِ واضحاً ... فتزْوَرُّ عنه جانباً وتُنكِّبُ[5]
وتعدل عن قَصدِ الطريق وقد بَدا ... بفَوْدَيك سَحْبَانُ المشيبِ يؤَنِّبُ[6]
أتحَسب أنَّ المجدَ لهْوٌ وملبَسٌ ... وأكلٌ وشربٌ ساءَ ما أنت تحسَبُ
أغرَّك قيلُ الناس إنك فاضلٌ ... وعنهم مساويك القبيحةُ غُيَّبُ

---

(١) البعيد من المجد: يقرب بالجد. التشمير: التهيؤ للأمر.

(٢) أشعب: رجل اشتهر بالطمع.

(٣) السرى: السير ليلاً. التهاني: ما يهنأ عليه.

(٤) غاي المكارم: غاياتها.

(٥) تزْوَرُّ عنه: تعدل وتنحرف عنه.

(٦) الفود: ناحية الرأس؛ جعل الشاعر الشيب وهو يعظه ويؤنبه كسحبان وائل الذي يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة.

إلامَ وحتَّامَ التَّوانِي؟ وللبلى المـ ـخاد وذي الأرواحُ لابد تُنهَبُ[١]
وحتَّى متى في مسرح اللهو والهوى نَسِيمُ ومن ماء السفاهة نشربُ؟[٢]
نُبارِزُ مولانا بِسَيِّىءِ فِعْلِنا ونحن على آلائه نتقَلَّبُ[٣]
ونرجوُ مع الذنبِ النجاةَ كأننا إليهِ بما لا يَرْتضِي نتقَرَّبُ
لهَوْنا عن الأخرى وما في طريقِها بما هو مِثلُ الزهرِ يُزْهَى ويَذهَبُ[٤]
أضعْنا نفيسَ العُمرِ في غيرِ طائلٍ إلى أينَ مما قد جَنَيْناه نَهْربُ
وَحِدْنا عن الطاعات لمَّا استفَزَّنا وَميضٌ من الدنيا الدنيّةِ خُلَّبُ[٥]
عسى عَطْفَةٌ يُمْحَى بها طِرْسُ ذَلَّتِي ويُجلَى بها عنِّي من الرَّانِ غَيْهَبُ[٦]
فقد أثقلَتْ ظهري ذنوبٌ جنيتها يكادُ لها قلبي من اليأس يَعطَبُ
ولكنْ يسُلِّيني نسيمٌ من الرَّجا بأني إلى ابن الطاهرِينَ محبَّبُ
وأنَّى يخاف البُوسَ من كان شيخهُ كشيخي ولو أني مسيءٌ ومُذنِبُ؟
فحاشاه أن يرضَى لصادقِ ودّه بخِذلانه وهو الشفيعُ المقرَّبُ
أيرضَى بحرماني وشيمتهُ الوَفا ولي وُدُّه دِين قويمٌ ومذهبُ؟
هو الماجدُ المفضالُ ذُو الجو والندَى إلى ذاتِه الإحسانُ والفضلُ يُنسَبُ
متى جاءه العَافُون أحيا مواتَهم بلا مِنّةٍ من فضلِه الجمَّ صيِّبُ[٧]

---

(١) للبلى المخاد: إسراع الإنسان للبلى، وهو مصيره. وفي الأصل المحاد بالحاء المهملة وهو تصحيف. تنهب: تنزع من الأجساد.

(٢) نسيم: نرعى.

(٣) نبارز: نحارب.

(٤) بما هو مثل الزهر: بما هو في زواله وسرعة تقضيه بعد روائه كالزهر بعد نضارته وجماله.

(٥) وميض خلب: برق كاذب بعد إطماعه.

(٦) الطرس: الصحيفة. الران: الرين وهو اسوداد القلب من الذنوب وأصله الصدأ الذي يعلو المرآة والسيف. الغيهب: شدة السواد.

(٧) العافون: طلاب المعروف. أحيا مواتهم: أنالهم ما طلبوا كما يحيي المطر موات الأرض.

عطوفٌ رؤوفٌ واسعٌ راجحُ الحِجَى ... به في التقى الأمثالُ للناسِ تُضرَبُ
جميلُ المحيَّا طلقُهُ غيرَ أنه ... مهابٌ بأنوارِ الجلالِ مُنَقَّبُ
بغُرَّتِهِ الغراءِ نَشري كأنها ... إذا ما سَجا ليلُ الضلالة كوكبُ[١]
على خدِّه الورديِّ نقطةُ عَنبرٍ ... لها أَرَجٌ من نفحةِ المسكِ أطيبُ[٢]
إليه إذا باهَى به صدرُ مجلسٍ ... يُشَارُ وهاماتُ الرجالِ تُصَوِّبُ[٣]
وتعترف الصِّيدُ العظامُ بفضلِه ... ويعنو بمرآه الحسودُ المكذِّبُ[٤]
يُحقِّقُ من علم اللطيفِ عَويصَه ... بلفظٍ كصَفْوِ الأَرْيِ بل هو أعذبُ[٥]
ويوضِحُ بالتقرير ما كان غامِضاً ... فيظهَرُ من سرِّ الكتاب المحجَّبُ
يَموج من العلم اللَّدُنيِّ درسُه ... فيمتاحُ منه اليَلْمعيُّ المهذَّبُ[٦]
بهيكلِهِ في عالم المُلكِ جاثمٌ ... وأفكارهُ في عالم القُدْس قُلَّبُ[٧]
ورِكْبَتهُ طُورُ التجلي متى احْتَبَى ... تناولَ بالإلهام ما كان يَطلبُ[٨]
هو السيد البرُّ الذي باعتنائِه ... على الناس أذيالُ العنايات تُسْحَبُ[٩]
لديه بمحمودِ الفِعالِ توفَّرتْ ... مواريثُ مَن باهتْ به العرشَ يثربُ
وما نالَ هذا الشأنَ بالعجز والمُنَى ... ولكنه ما انفكَّ يَسعَى وينصَبُ

---

(١) سجا الليل: أظلم أو سكن.

(٢) أرج: رائحته قوية. نفحة المسك: فيحانه وانتشار رائحته.

(٣) تصوب: تنخفض من الإصابة خلاف الإصعاد.

(٤) الصيد: جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً. يعنو: يخضع.

(٥) الأري: العسل وصفوه: خالصه.

(٦) يمتاح اليلمعي: يستقي الألمعي وهو الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب.

(٧) جاثم: لازم مكانه.

(٨) ركبته طُورُ التجلي: ما يستعلي به كجبل الطور الذي ناجى الله فيه الكليم والركبة ضرب من الركوب.

(٩) باعتنائه تسحب أذيال العنايات لقرب منزلته وعلو درجته عند الله تعالى.

على عينهِ في الله يَجنِي وروحِهِ ... لعرفانه مقدارَ ما كان يخطُب[١]

يواصل في المجْدِ الجهادَ بهمَّةٍ ... تجيء على الرأي السديد وتذهبُ

لغاياتهِ يَجْرِي بِعزْمةٍ صادقٍ ... ويهفو لذكراه ارتياحاً ويطرَبُ

تخلَّى عن الدنيا وما راقَ عينَه ... سرابٌ يَغُرُّ الواردين مكذِّبُ

وأعرضَ عنها جانباً فإذا جَرَى ... لها صُدْفةً ذكرٌ يناديه يَغْضَبُ

وهذا مَحكٌّ يُعرَف الحق عنده ... ويمتاز غشُّ النقد عنه فيذهبُ

وإن تعْجَبُوا من هذه فوجودهُ ... على حين هامَ الناسُ بالجمْعِ أعجبُ[٢]

قد اقتنص الناسَ اللعينُ ألا تَرَى ... حبائلَه في زَهرَة القانِ تُنْصَبُ[٣]

تعاظمتِ الأطماعُ والحرصُ واستَبَتْ ... قلوبَ الورى الدنيا وفيها تَغرَّبُوا

فأَشأَمَ قومٌ في البلاد وأَتْهَمُوا ... وشرَّقَ قومٌ آخرون وغرَّبُوا

وما جرَّ هذا غيرَ أنَّ جماعةً ... على علمهم للأغنياء تحَبَّبُوا

وأغضَوْا على ما خالف الحقَّ منهُ ... ففاضَ البَلَا والخَيرُ أصبح يَنضَبُ

ولو أنهم سارُوا بمصباحِ نورِه ... على إثْرِه في سَيْره لتهذَّبُوا

دعا الناسَ للهَدْي الصحيح بقولهِ ... وأَفعالِه والفعلُ أهدَى وأصوبُ

فكان له وقعٌ عظيمٌ مؤثِّرٌ ... بأفئِدةٍ من جَلْمد الصخْر أصلبُ[٤]

هو الشمسُ غطّاها الترابُ وإنما ... سنَاها على طولِ المَدَى ليس يَغْرُبُ

حبيبي أبا الشِّبْلَين إني بِحبكُم ... وَلُوعٌ بكم يَسلو فؤادي المعذّبُ

علوْتم عن الأمداح لكن صِفاتكُم ... على الكفّ يملِيها العِيانُ فيكُتبُ[٥]

---

(١) يجني على عينه وروحه في ذات الله وطاعته لمعرفته قدر ما يسعى إليه من النعيم.

(٢) يا لجمع: يجمع الحطام.

(٣) اللعين: الشيطان. القان: شجر ينبت في جبال تهامة.

(٤) جلمد: هو الصخر.

(٥) الكف يريد أصابع اليد.

فكلُّ مديح في سِواكم مضيَّعٌ ... وكلُّ رجاءٍ من سواكم مُخيَّبُ
بِقُرْبكُم أسمُو ولي بولائكم ... علاءٌ على رغم الأعادي ومنصِبُ[1]
وقد صحَّ لي عَقدُ الودادِ وليس لي ... سوى ذلك المجدِ المسلّم مطلَبُ
عليكم صلاة الله بعدَ محمدٍ ... وأصحابه والآلِ ما لاحَ كوكبُ

وهذهِ أبياتٌ قلتها تجاههُ على البديهةِ

ذَهب العنا

ذَهب العنا وانْجابَ عنا كلُّ بُوسْ ... وصفَتْ لنا راحُ التهاني في الكُؤوسْ[2]
وهَمتْ لنا سُحُبُ الرضا بُوروُدِنا ... لزيارة القُطب المربّي للنفوسْ[3]
ذي الغُرَّةِ الغراءِ والوجهِ الذي ... مِن نوره اقتبسَت أشعتَها الشموسْ
جئناكَ يا بحرَ المكارِمِ والنَّدى ... نبغي القِرَى فاعتَنْ بنا يا عيدرُوسْ[4]
أكرِم ضيوفَك إنهمْ جأَرُوا إلى البـ ... ـاري وقد خَضَعُوا بحضرتك الرؤوسْ[5]
وأشفَعْ ليُكشَفَ ما بهم فلقد لقَوْا ... من دهرهم وصُروفِه حربَ البسوسْ

❊ ❊ ❊

---

(١) منصِب: رتبة ورفعة.
(٢) العا: التعب. انجاب: انقشع. بوس: بؤس وشدة. الراح: الخمر.
(٣) همت: سحّت وأمطرت مطراً غزيراً.
(٤) فاعتن بنا: فاعتنِ: أو انظر إلينا.
(٥) جأر: رفع رأسه بالدعاء.

القصيدة الثانية

لِمَنْ غيرِكم[١]

لِمَنْ غيرِكم نشكو إذا أرهق الضغطُ ... وحارَبَنا دهرٌ بأيامه يَسْطُو

تغايَرتِ الأحوالُ عندي فهِمَّتي ... تُحلّق بي والحظُّ يَنْحَط

ومن عُظْم ما عاينتُ شابَتْ ذُؤابتي ... فَفوْدَايَ ريعانُ الشبابِ بها وَخْطُ[٢]

وحاشاكُم أن تهمِلُونا ومنكمُ ... لنا ذِمةٌ من عقدها استوثق الرَّبطُ

وأنتم لنا عند الملمَّاتِ مَعْقِلٌ ... حصينٌ تسامَى فالسماكُ له قُرْطُ[٣]

نعوذُ بكم من كلّ بوسٍ ومن يَعُذْ ... بكم تَتَحاماه البلايا فلا تخطُو

فكم همةٍ منكم بها ارتفع البَلا ... بإذنٍ من الرحمن وانكشف القحْطُ

فيا مَن لهُ عند المهَيْمِنِ رتبةٌ ... تجِلُّ عن التعبير ما ارتُقِيَتْ قطُّ

كمالُكَ معروفٌ وجاهكَ واسعٌ ... وبحرُكَ عَذْبٌ فائضٌ ما لَه شَطُّ

كأنَّ به عينَ الحياةِ فماؤه ... شِفاءٌ لمن سَمَّتهُ من نَهْشِها الرُّقْطُ

فيا عيدروسُ أينَ الشجاع الذي متى ... جرَى ذكرهُ فاح الألَنْجُوجُ والقُسْطُ[٤]

---

(١) هذه القصائد العيدروسية؛ قالها الإمام ابن عبيد الله وهو دون الرابعة عشرة؛ لأن الإمام عيدروس بن عمر الحبشي توفي سنة ١٣١٤هـ وولد الإمام ابن عبيد الله سنة ١٣٠٠هـ.

(٢) ريعان الشباب: أوله وأفضله. بها: أي بالذؤابة والفودين. وخط: مسرع في الزوال لما حل بها من المشيب.

(٣) السماك: أحد السماكين وهما نجمان نيّران يسميان الأعزل والرامح. قرط: ما يعلق في أسفل الأذن.

(٤) الألنجوج والقسط: عودان طيبا الرائحة يتبخر بهما.

مـحـلـكَ فـي قـلـبـي وفـيـهِ سـرائـرِي ... ووُدِّي كـمـا تَـدْرِيـه مـا شـابـهُ خَـلْـطُ
ومـا لـي إلّا أنـتَ يـا مـنـبـعَ الـوَفـا ... مُـجـيـرٌ بـهِ أقـوى إذا خـانَـنِـي الـرَّهْـطُ
وأدنَى التفاتٍ منك يكْفِي لحاجَتي ... هو السبب الأدنى لها وَهُوَ الشَّرْطُ
وحـاشـا رجـاءٌ قـد ربَـطـنـا حِـبـالَـه ... بـعُـروتـك الـوثـقَـى يـكـونُ لـه حَـبْـطُ
فـعـجِّـلْ فـإن الـسـيـلَ قـد جـاوز الـزبـى ... فحتى متَى من قطرِنا ينْجلي الخبْطُ؟
ومُـرْ طـيـفَـك الـسـارِي يـبـشِّـرنـي بـمـا ... تَقَرُّ به عيْني ويحصلْ ليَ البَسْطُ؟
وأفـضـلُ مـرغـوبٍ رِضـاكَ فـإنـه ... إذا صحَّ لم أحفِل بمن عنده سُخْطُ
وأقصَى المُنَى نصرُ الشريعة إنها ... على رَمَقٍ أخنى على حقِّها الغَمْطُ
سـلِ الـلّـهَ لـلـوادي أمـيـراً مـوَفَّـقـاً ... بـه لأمـور الـديـن يـسَـتَـحْـكِـمُ الـضـبـطُ
ولـيـسَ لـه إلّا الإمـامُ لأنـه ... بأجداده من قبل فيه استوى القِسْطُ[1]
وصـلـى عـلـيـك الـلّـهُ بـعـد مـحـمَّـدٍ ... وآل الـكِـسَـا مـا زيَّـن الأحـرفَ الـنَّـقْـطُ

وهذه أبياتٌ من عَفْو الخاطر

أقـدِّم كـلـمـا نـاجـيـتُ جـاهَـكْ ... وأدعـو الـلّـهَ مـنـكـسِـراً تـجـاهَـك
وفـيـك عـقـدتُ آمـالـي وأرجُـو ... مـتـى اشـتـدَّ الـزمـان بـيّ انـتـبـاهَـكْ
وهـا أنـا مـنـه فـي حـرْبٍ ضَـروسٍ ... فـقـمْ واسـأل بـإلـحـاحٍ إلـهَـكْ
أتـسـكـتُ والـسـبـاعُ بـكـل وجـهٍ ... تُـرَوِّعُ مـن تَـوَثُّـبِـهـا شِـيَـاهَـكْ؟
ويـقـتـلُـنـا الأُوامُ وأنـت بـحـرٌ ... فـلا يَـسْـقِـي الـحـيَـا إلّا مـيـاهَـكْ[2]
وأذكُـر يـومَ تـرأفُ بـي وتـحـنُـو ... وتُـرْشِـفـنِـي عـلـى ظـمـأٍ شِـفـاهَـكْ

❋ ❋ ❋

---

(١) القسط: العدل

(٢) الأوام: العطش أو حره. الحيا: المطر.

القصيدة الثالثة

أرَى الحبَّ

أرَى الحبَّ لا يخفى على الناس كاتِمُهْ وكيف وسرُّ الحُبِّ جمٌّ نَمائِمُهْ
وأولُ شيءٍ يفقِد الصَّبُّ قلبُه فكلُّ مُحبٍّ وإلهُ القلب هائمهْ[1]
متى خامر القلبَ الغَرام هَفَتْ به ملاوِمُه فليتَّقِ الله لائِمُهْ[2]
ولِله أحوَى من رآه أصابه الجُـ ـنُونُ فلا تَشْفِيهِ إلّا سبَاسِمُهْ[3]
من الإنسِ إلّا أن كُحْلَ جفونِه من السّحْرِ لا تَرقيه إلّا تمائمُهْ
تغازِله الغِزلانُ في كل جانبٍ وتهربُ من نور الجمال ضَرَاغمُهْ[4]
وتَثْنيهِ أنفاسُ النسيمِ إذا انْبَرَى وتَثْنِي كُماةَ العاشقين صوارِمُهْ[5]
مُنَى كلُّ نفس قربهُ غيرَ أنه تجشُّمُه صعبٌ إذ المَوْتُ خادِمُهْ
إذا اشتَعلَتْ نارُ الأسنَّةِ دونهَ وثارَ غبارُ النَّقْعِ مَنْ ذا يقاوِمُهْ؟
طريقُ الهوى جمُّ المتالف لو جَرَى بها الطيرُ لم تنفعْه فيها قوادمُهْ[6]
وما الجدُ إلّا الجِدُّ في طلب العُلَى فخُضْ كلَّ بحر يَحصُدِ الدرَّ عائِمُهْ

---

(١) الواله: الذاهب القلب أو حائره.

(٢) خامر القلب: خالطه. هفت به: ذهبت به. ملاوم: جمع ملامة بمعنى اللوم والعدل.

(٣) أحوى: جميل في لونه سواد.

(٤) ضراغمه: أسوده.

(٥) الكماة: الشجعان. الصَّوارم: السيوف القواطع.

(٦) القوادم: مقدم الريش في جناح الطائر.

فبعدَ العنا من أجله يحصلُ الهَنا ... ومن بعد شُرْبِ المرِّ تحلو علاقِمُهْ[١]
ألم تر جِدَّ ابن الشجاع سَما به ... لِأَنْ صار يُحيِي ميّتَ القلب ساجِمُهْ[٢]
بِأَجنحةِ التوفيق طارّ ولم تَقِفْ ... به دون غاياتِ الكمالِ عزائمُهْ
إمامٌ كأنَّ الكائناتِ جميعَها ... صوامتَها والناطقاتِ تَرَاجمُهْ
تعُبِّر عن أحواله وصفاتِه ... وهيهاتَ أن تُحصَى بعدٍّ مكارِمُهْ
تعرَّض للفضل الإلهيّ جاهداً ... فأجزلَ في إعطائه الفضلَ قاسِمُهْ
وما انفكَّ في قطع الطريق مشمِّراً ... إلى الله في صدقٍ بشوقٍ يلازِمُهْ
فنيط بمسعاهُ النجاحُ وأمطرت ... عليه من الفتح المبينِ غمائمُهْ[٣]
يحققُ ما الإلهامُ يملِي لروحهِ ... كما يُنْسِقُ الدرَّ المثقَّبَ ناظِمُهْ
يخوض بحاراً لا يَرَى عَبْرَها امرؤ ... فَتُكْبُره النِّينانُ مما يلاطِمُهْ[٤]
على هامةِ الشِّعرَى يُطِلُّ بناؤه ... وقد رسخَت تحتَ التخوم قوائمُهْ
مراتبُ من فوق العبادةِ نالها ... وليسَ له فيها قرينٌ يزاحِمُهْ
هو الغوثُ إن أخنَى الزمان بِصَرْفِه ... تُقسَّمُ بين العالَمين غنائِمُهْ
هو الغيثُ لكن نائلَ الغيث للثَّرَى ... وهذا لأراضِ القلوبِ خَضارِمُه[٥]
أشَبِّهُهُ بالدهرِ والبحرِ والحيَا ... وتلك استعاراتٌ بها أنا ظالِمُهْ
تَفيض عطاياه الجِسامُ على الورى ... فيشركُ في معروفه الجمّ لائمُهْ[٦]
تجاوزَ مدحَ المادحين فما ترى ... يقولُ علامَ جامدُ الفكر رازِمُهْ؟[٧]

---

(١) علاقم: جمع علقم وهو شجر الحنظل.
(٢) ساجمه: مطره. (٣) غمائمه: سحبه.
(٤) تكبره النينان: تعظمه الحيتان.
(٥) أراض جمع أرض: الخضارم. العطايا الكثيرة جمع خضرم.
(٦) لائمه على الجود حظ من معروفه الجم كغيره من الورى.
(٧) علامَ: أي على أي شيء يمدحه. الرازم: الساقط الذي لا يستطيع النهوض.

فما خُرَّدُ العلياءِ إلّا إماؤه ولا غانياتُ القُرْب إلّا محارمُهْ[١]
تمَنَّى بدورُ التَّم تقبيلَ نعلِه إذا بعُدَت عنها ارتفاعاً بَرَاجِمُهْ[٢]
فيا أيُّها المولى الذي كُنْهُ شأنِه بعيدٌ وما غيرُ المهيمِن عَالِمُهْ
يحدِّثُ عن أحوالك الدهرُ راوياً عن الله مرفوعاً بأنك حاكِمُهْ
وأنت جديرٌ بالخلافَة إذ بك اسْـ ـتنارَ مُحيّا الدِّين واشتدَّ قائمُهْ
ودونك أبياتاً زَهَتْ بك مثلْما تفتَّحُ عن زهر الرياض كمائِمُهْ[٣]
تمُهِّدُ للنجوى فلا تنسَنِي فلي مطالبُ سَلْ مولاك تهْمِي مكارِمُهْ[٤]
وحاشاكَ من إهمال جارِ أمضّه الزمانُ وبالبثِّ امتلأنَ حيَازِمُهْ[٥]
ولا زال مثواك المقدَّسُ روضةً تَسِحُّ من البارِي عليها غمائمُهْ

* * *

(١) الخرد جمع خريدة: الفتاة الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة.
(٢) البراجم: مفاصل الأصابع. جمعه برجمة.
(٣) الكمائم: الأوعية.
(٤) النجوى: الحديث مسارة. تهمي: تمطر مطراً غزيراً.
(٥) أمضه الزمان: أحزن قلبه. البث: أشدّ الحزن. حيازمه: حيازيمه جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه.

القصيدة الرابعة

حسَدَ الدهرُ

وهي أولاهن رتبةً، ولعلها أول ما قرَّت به عين والدي منِّي؛ واستعادها مرات؛ على كُرْه بعضهم؛ لما فيها من التعريض بالمرائين.

حسَدَ الدهرُ حيَّ سَلْمَى وعانَهْ ... ومَحَا حسنَه وأشجى حِسَانَهْ[(١)]

ومَنَى أهلَه بِبَيْنٍ مُشِتٍّ ... وذوَى أُنسَهُ وأَبكى قِيَانَهْ[(٢)]

ورماه بموجِعَاتٍ وأرخَى ... لجواد الخرابِ فيه عِنَانَهْ

زُرتُ دار الحبيبِ إِثْر افتراقٍ ... فوجدتُ النَّوى به تَرجمانَهْ

غاضَ صبْري وفاضَ دمعيَ حتى ... كاد يمحُو من ناظري إنسانَهْ

أيها البرق مرْ سحابَك يَسْقِـ ... ـيهِ ويَذْرِي عَلَى ثَراه جُمانَه[(٣)]

عَلَّه يُنعشُ النباتَ الذي صوَّحَ ... في سُوحِهِ ويطربُ بَانَهْ[(٤)]

فلَعَهْدي به مَقَرُّ غَوانٍ ... ليِّناتِ الأعطافِ كالخيزَرانَهْ

موريَاتٍ زَنْدَ الهَوى بقُدُودٍ ... ناعماتٍ وأَعْيُنٍ فتَّانَهْ[(٥)]

وخدودٍ كأنَّها زَهْرُ وَرْدٍ ... ورُضَابٍ كأنه بنتُ حَانَهْ[(٦)]

---

(١) عانه: أصابه بالعين. أشجى: أحزن.

(٢) منى أهله ببين: أصابهم بفرقة. مشت: مفرق. زوى أنسه: قبضه. قيانه: مغنياته.

(٣) يذري: يسقط. ثراه: ترابه الندي؛ يريد أرضه. الجمان: حبات من الفضة كالدر

(٤) صوح النبت: يبس. سوحه: نواحيه. البان: ضرب من الشجر.

(٥) موريات: قادحات. القدود: جمع قد وهو القامة والاعتدال.

(٦) الرضاب: الريق المرشوف. بنت الحانة: الخمر والحانة اسم لموضع بيعها.

علِقت بي منهنّ عذراءُ فاستهـ ـوتْ فؤادي جفونهُا الوسْنَانَهْ[١]

بَضَّةٌ رَأْدَةٌ رَدَاحٌ لها عَرْ فٌ يَضُوعُ كأنها رَيحانَهْ[٢]

عَبْلةُ الساعدَين والساقِ خمصَا ءُ الوشاح بِدلِّها نَشْوَانَهْ[٣]

ذات غُنْج تشوبهُ بعِتابٍ وتِياهٍ كأنها غَضْبَانَهْ[٤]

أسعفْتني بوصْلِها وسقَتْني من هواها بكأسه الملآنَهْ

وشَفَتْ خاطري بخالص وُدٍّ وقضتْ للفؤاد كلَّ لُبانَهْ[٥]

ونضت ثوبها فأبصرتُ منها حِقْفَ رمل من فوقه خُوطُ بانه[٦]

وجعلتُ العفافَ ثوباً عليها فهي مكسوَّةٌ به عُرْيانَهْ[٧]

شرفٌ نِلتهُ بهمَّة مولانا إمامِ الوجود عالي المكانَهْ

مَنْ عَلَا غاربَ الكمال فلو جَـ ـدَّ امرُؤٌ لم يَشُقَّ يوماً دُخَانَهْ

لم يزل جاهداً لنيل المعالي ساعياً مُسرِجاً إليها حِصَانَهْ

أتَخال القطَا أعارتْه رِيشا؟ لَا؛ فلَنْ يَلحق القطا طَيَرانَهْ

لا يجُارَى ولا تَرى الصَّيدَ إلّا تتحامَى دخولَها ميدانَهْ[٨]

وإذا استعظم الجَحُودُ كلامي فليجرّبْهُ من يريدُ امتحانَهْ

---

(١) الوسنانة: الفاترة.

(٢) البضة: الممتلئة الرَّخصة الجسد الرقيقة الجلد. الرأدة: بالفتح والضم الشابة الحسنة. الرداح: المحظية عند الرجال. العرف: الرائحة. يضوع: يفوح.

(٣) عبلة: ضخمة. حمضاء الوشاح: ضامرة الخصر وهو موضع الوشاح. بدِّلها نشوانه: طربة بدلالها.

(٤) ذات غنج: تدلل وتكسر.

(٥) لبانة: حاجة.

(٦) نضت ثوبها: ألقته. حِقف رمل: يريد عجيزتها وأصله المعوج من الرمل. خوط بانه: الغصن الناعم من شجر البان.

(٧) وجعلتُ العفاف: كما جاء في القرآن عن لباس التقوى وهو خير الألبسة.

(٨) الصيد: الشجعان.

طالما شدَّ ساعدَ العزم في الطاعات والبرّ مُنْضِياً جِمْانَهْ[١]

لم يَنَمْ والخَلِيُّ فوق الحشايا بل تجافي معانِقاً قرآنَهْ

بخشوعٍ ورقَّةٍ وخضوعٍ وزفيرٍ ودمعةٍ هتَّانَهْ

فكأنَّ الوعيد كان بمرآه وأنَّ العذابَ كان عِيَانَهْ

رحمةً بالوَرَى وخوفاً عليهم أن يحَيدُوا ويغضِبُوا ديَّانَهْ

صعِد الرتبةَ العلِيَّةَ بالتشميرِ في اللّهِ فاستحقَّ أَمانَهْ

جلّ قصداً وأتعَبَ النفسَ جُهداً فيه لا بالمنى اشْتَهى لُقيْانَهْ

فهو إكليلُ هامةِ الشرفِ العلياءِ والفضلِ والندى والصيانَهْ

زينةُ العصر غُرةُ الدهر يجلو بسنِّي من جبينه غَيْهَبَانَهْ[٢]

تزدهي بالسرور والأُنس كتْبُ العلم والصحْفِ عنده عِرفانَه[٣]

أدرك الفخرَ يافِعاً قبل أن يبلغ شَرْحَ الشباب أو عنفوَانَهْ

عشِقْته خرائد المجد لمّا جدَّ وافتضَّ بِكرَه وعَوَانَهْ[٤]

لو رأى الناصِيُّ أخلاقَه الغُرَّ لعادي أو اسْتَبَى أَقْرَانَه[٥]

وبما حاز من كمالٍ وحالٍ وجلالٍ وحكمةٍ وفَطانَهْ

أَيَّدَ الدينَ فاستبانت نفوسٌ غَرِقَتْ في شكوكها بُرْهانَهْ[٦]

فهو من قرْنِه إلى الرِّجْل هَدْيٌ صالحٌ لا يحيدَ قِيدَ بنانَهْ[٧]

---

(١) منضياً: مهزلاً.

(٢) غَيْهَبَانَهْ: ظلمته.

(٣) عرفانه: حال كونها معروفة له.

(٤) الخرائد: الأبكار اللاتي لم يمسسن قط؛ جمع خريدة. افتض: اقترع. عوانه: الثيب من النساء.

(٥) الناصبي: من يبغض علياً كرّم الله وجهه. عادى أقرانه وخالفهم استبى: استمالهم إليه في حبه.

(٦) برهانه: مفعول استبانت.

(٧) قيد بنانه: قدر بنانه أي أصبع وجمعه بنان.

منهجٌ قيِّمٌ يتابع فيه مَنْ به فضَّل الإلهُ كِنَانَهْ
يستوي المترَف الغنِيُّ لديه وأخُو الفقرِ والضَّنَا والزَّمَانَهْ
وبذا يُعْرَفُ الَولِيُّ من الخِبْـ ـبِ اللئيم الذي يُغَطِّي دِهانَهْ[١]
وكثيرٌ مِن الذين تراهمُ في ثيابِ الصلاحِ والنُّسْك مانهْ[٢]
رُبَّ شخصٍ تراه مُطرِقَ طَرْفٍ لم يكن منه ذاك إلَّا خِيانَهْ
فإذا خالفَ الشريعة إنسانٌ ولو صاد في الهوى عِقْبَانَهْ[٣]
فاطْرِحْهُ وظُنَّ فيه قبيحاً فهو رِجْسٌ موافقٌ شيْطانَهْ
ليس إلّا اقتضاءَ أحمدَ رشدٌ ذاك رأسُ التُّقَى وأَصلُ الدِيَّانَهْ
كل من جدَّ مخلِصاً أدركَ النُّجْـ ـح وأعطاه ربهُ رِضوَانَهْ
أيها الماجدُ السَّرِيُّ قرينُ الجـ ـودِ والمجدِ والهُدَى والأمَانَهْ
أنتَ قطب الوجودِ من غير ريبٍ لك هذا الوجودُ أَلْقَى عِنانَهْ[٤]
كنتَ حِصْناً من كلِّ بُوسٍ وعَذْباً مُرْوِياً كلَّ مُهجةٍ ضَمآنَهْ[٥]
ومُجير الطريدِ إن جاءَ يوماً عائذاً شاكياً إليك زَمانَهْ
كنت باباً ما بَينْنَا والرزايا مانعاً سَطوة البَلَا واضْطِغانَهْ[٦]
لعِبَتْ بعدك الليالي علينا وسَقانا زمانُنا حَدَثانَهْ
ودهى الأمّةَ الزمانُ بسوء فهْي مما أصابها حَيْرَانَهْ
فاستغثْ ربَّنا لَنا فنفوسُ الخـ ـلقِ في حومة الشقا غَرْقانَهْ

---

(١) يغطي دهانه: يستر نفاقه وفي الأصل يعطي. وهو تصحيف.
(٢) مانة: كذبة من المين وهو الكذب.
(٣) عقبانه: عتاق الطير.
(٤) ألقى عنانه: طرح زمامه.
(٥) ضمآنه: ظمآنة.
(٦) البلا: البلاء.

وادْعُـه يـسـتَـجـبْ دعـاءَك إنَّـا ... لا نُـطيـقِ الـرَّدَى ولا صَـلَـيَانَهْ[١]

يـا إمامـاً إذا تـبَّـسـمَ خِـلْـنَـا الْـمِـ ... ـسْـك مـن فِـيـهِ نـابـذاً أَرْدَانـهْ[٢]

وإذا فـاه بـالـكـلام حـسِـبْـنَـا ... رائـعـاتِ الـجـمـال تَـنْـثُـرْ جُـمانهْ[٣]

مـنـك لـي ذمـةٌ أحـيـلُ عـلـيـهـا ... غُـرْمَ مـا قـد جـنـيـتُـه وضَـمـانَـهْ

أيـهـا الـسـيـدُ الـعـطـوفُ الـذي حـا ... ز مـن الله فـضـلَـه وامـتـنـانَـهْ

رامَ ربُّ الـقـريـضِ نَـسْـجَ مـديـحٍ ... لـكـن الـنَّـزْرَ مـنـه أَعـيـا لـسَـانَـهْ

وهـو فـي ذا كَـمُـوردِ الـمـسـكِ دا ... رِيـنَ ومُـهْـدٍ إلـى عُـمـانٍ جُـمَـانـه

شـفَّـهُ الـوجـدُ فـي هـواك وأضْـنَـى ... جـسـمَـه الـحـبُّ واسـتَـرَقَّ جـنـانَـهْ

وامِـقٌ ديـنُـه الـودادُ يـرى الـتـقـ ... ـصـيـر فـي حـقّـه يَـهـيـي إيـمـانـه

فـاكـسُـهُ حُـلَّـةَ الـفـخـار وشـنِّـف ... مـن مُـدَام الـعـلا لـه أذْنَـانَـهْ

فـهـو مـن نـشـئِـه بـفـضـلـك يـصـطـا ... فُ ربـيـعَ الـهـدى ويـمـري لِـبَـانَـهْ

هَـمَّ حُـسّـادُه بـإطـفـاء نـورٍ ... شـعَّ مـنـهُ فـعـوقـبـوا بـالإهـانـهْ

وافـتـقِـدْ سـرَّه فـقـد ضـمَّ حـاجـاً ... لـم يـصـرِّح بـهـا وفـيـك فـطـانَـهْ

وعـلـى روحـك الـشـريـف سـلام ... مـا بـكـى مـوثـق الـنـوى أوطـانـه

ورنـت جـدهـا الـحـمـام ونـاحـت ... فـوق سـاقٍ فـرنَّـحـت أغـصـانـه

❁ ❁ ❁

---

(١) الصليان كالصلِّيَان: الاحتراق.

(٢) نابذاً أردانه: طارحاً أرديته فهو مسك خالص.

(٣) تنثر جمانه: لم تجد لكلمة جمان هنا معنى يليق بالنثر.

القصيدة الخامسة

إلى جِماكم

انتهت مدائح العيدروس؛ وهذه القصيدة أنشأتها بديهة تجاه ضرائح الآباء بزنبل[١] سنة ١٣٣٢هـ؛ وهي مناسبة للقصائد السابقة؛ فأضفتها إليها.

إلى جِماكم بني خيرِ الورَى جِينَا ... مما لقِينَا من الأيام شَاكينَا

غَدْرَ الأخلّاء إخوان النفاقِ إلى ... ما دبَّرتْ من مكيدات أعادِينَا

تقوَّلوا وأرادوا يلصِقونَ بنا ... عيباً به يستخِفُّون المجانينَا

قُمنا لنصرة دين الله فانتبهوا ... لِضُرِّنا ولهذا الشأنِ أُوذِينا

وما لَنا عندهم ذنب نلامُ به ... إلّا لِأنَّا نصرْنا الحقَّ والدينَا

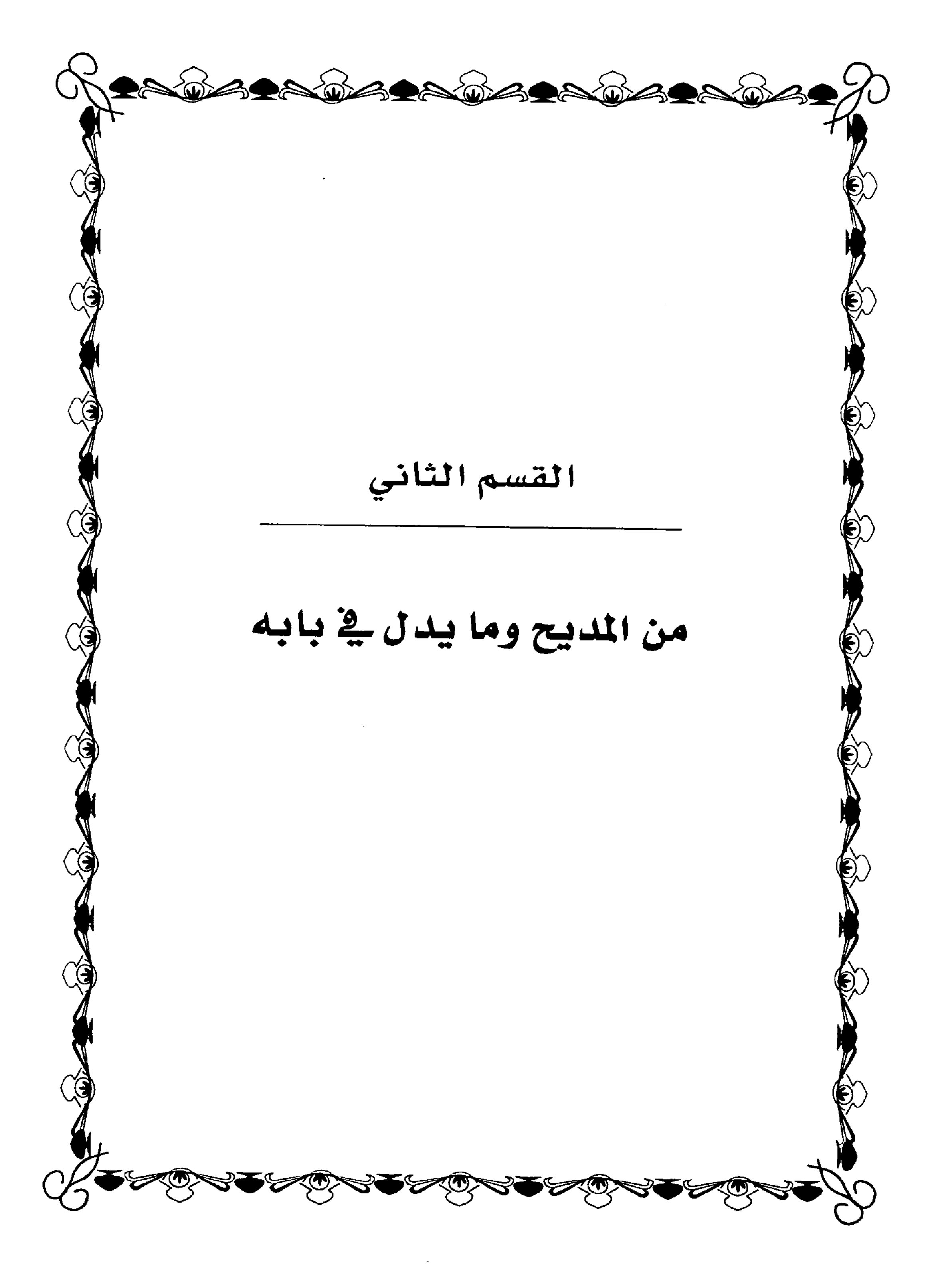
وما وَهَنَّا على مسِّ الخطوبِ ولا ... لِنّا وذلك من تأييد بَارِينا

وقد أتينا بصدق الالتجاءِ لكم ... مستنجدين خذُوا فضلاً بأيدينا

وادْعُوا الإله يَرُد الحاسدين على ... أعقابهم ويزيدُ الحقَّ تمكينا

❋ ❋ ❋

(١) زنبل هي مقبرة بمدينة تريم.



القسم الثاني

من المديح وما يدل في بابه

الفصل الثالث

[illegible]

القصيدة الأولى

للسيد أحمد بن أبي بكر بن سميط

وهذه من أثناء تقريظ لي على شرح بعض قصائد الحداد[١]؛ بطلب من مؤلفه؛ العلامة السيد أحمد بن أبي بكر بن سُمَيْط.

لِيحيَ أَهلُ العُلا والفضل والأدبِ ... ولْيَسْقطِ المدَّعُو العلياءِ بالكذبِ
ولْيكْشِف البحثُ عن سرِّ الحقيقة ما ... غطَّى به وجهَها الوضَّاحَ كلُّ غَبي
ولْيَحْرُق الحقُّ ما اكتظَّ الزمانُ به ... من الأضاليل والأوهام والرِّيَبِ[٢]
ولْيَفْضَحِ الصدق أربابَ الرسوم فقد ... تبيَّن الفرقُ بين الغِشِّ والذهبِ
ولْيَنْفُخ العلم روحاً في مشاعِرنا ... ولْيُنْسَخِ العزمُ في لهوٍ وفي لعبِ
ولْيُزْه روضُ العلا ولْيَنْتَعِشْ فَرحاً ... ولْيضطرِب دَوْحُه من خِفَّة الطربِ[٣]
ولْتحيى أَغْصَانُه من بعد ما ذَوِيَت ... ولْيَصْحُ جثمانُه من عِلَّةِ الوَصَبِ[٤]
ولْيفرحِ الطالبُو الحقِّ الصريحِ به ... وليدْعُ بالويل أهلُ المَيْن والَحرَب[٥]
وليشكر السالكُو نهج الهداية ما ... أسْدَى إلينا الشهاب الطاهِرُ النسبِ

(١) هو الإمام عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤ ـ ١١٣٢هـ) علامة وفقيه ومصلح اجتماعي له عدة مؤلفات مشهورة وأدعية متداولة وديوان شعر جيد ومراسلات مهمة ولد وتوفي بتريم.

(٢) ولْيَحرق: وليسحق. يقال: حرق نابه يحرُقُه ويحرِقُه سحقه حتى سمع له صرير.

(٣) ولينتعش: لِينهض ولْيَنْتَشِ. الدَّوح: جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة.

(٤) ذويت: ذبلت. الوصب: لزوم الوجع.

(٥) المين: الكذب. الحرب: سلب المال.

فَرْعُ السَّراةِ السُّمَيطيُّ المهذّبُ مَنْ قد بَوَّأَتْه المعالي أَشرفَ الرتبِ[١]
الماجدُ الفاضلُ الراوي المكارم عن آبائه المتَّقين السادةِ النجُبِ
أسدى لنا فكرةُ ما لا نطيقُ له شكراً بشيء من الأشعار والخطبِ
صنيعةٌ لا يكافِيها المديحُ فقدْ أقامني الشكرُ بين العِيِّ والعَجَبِ
فلو نظمت بتقريظي النجومَ له لم تقْضِ بعضَ الذي عندي من الأربِ
جَلَى بتحفته هَذْي الكرامِ من الأ جدادِ أهل التقى والمجد والحسبِ
وزفَّ للناس من سامي طريقتهم فرائداً سَخِرَت بالخُرَّد العُرُبِ[٢]
أحيَا بهمته ما كان مستتراً من سيْرِهم بين أهل الجهلِ في حجُبِ
هذي طريقة آبائي يفصِّلُها تبيانُ أستاذِنا في نافع الكتبِ
فقلْ لمن يدَّعي من غير بَيِّنةٍ عليك يشهَدُ هذا السِّفْرُ بالعطبِ
من حاد عن نهج طه قَيْد أُنملةٍ لم ينجُ مهما ادَّعى من حُفْرة الغضبِ[٣]
ومن يُرِد من بني الزهراء تكرمةً وما انتحَى ذلك المنهاجَ لم يُصِبِ
لا يحصل الفوزُ إلّا بالجهادِ ولا يأتي الهناءُ بغير الكَدِّ والنَّصَبِ
يلَذُّ كلَّ امرئٍ نيلُ الكمال وما يلقاه إلّا مع التوفيقِ ذو التعبِ
للّه دَرُّ شهاب الدين من بَطَلٍ يُبدي الحقائقَ لم يُدْهِنْ ولم يُشِبِ[٤]
في سِفْره ضاءَ نورُ الحق واحترقت منه الدعاوي وهذي عادَةُ الشهُبِ
سِفْرٌ به كلُّ معنى يستحق بأن يُخَطَّ فوق نحور الحُورِ بالذهبِ
حوى من العلم والتحقيق جوهرَهُ فجاءَ قُرَّةَ عينِ الفَضلِ والأدبِ

---

(١) فرع السراة: سليل الشرفاء.

(٢) الخرد: جمع خريدة وهي التي لم تمس. العرب: جمع عَروب وهي المرأة المتحببة إلى زوجها.

(٣) قيد أنملة: قدر أنملة أصبع. حفرة الغضب: جهنم.

(٤) لم يدهن: لم ينافق. لم يشب: لم يخلط الباطل بالحق.

القصيدة الثانية

للسيد العلامة أبي بكر بن شهاب عند وصوله الشحر

وأرسلتُ هذه القصيدة لشيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب[١] مَقْدَمه إلى الشَّحر[٢] من الهند.

تلومُ ولكن ليتَها فتَّشَتْ قلبِي ... لِتَعْذِرَني قبلَ الملامة والعتْبِ
فلو علمتْ بعض الذي بي لما لَحَتْ ... إذا لحظَتْنِي في الدُّجى قَلق الجنْبِ[٣]
فلو كان قلبي من حديدٍ لَلَانَ من ... معاكسة الدهر الذي جدَّ في حَرْبي
يعاكسني في كل شيءٍ وهمتي ... على ما أُلاقِي منه أَمضى من العَضْبِ[٤]
وذلك لا يخفى عليها لأنه ... أقام غرابَ الهمِّ في موضع الحُبِّ[٥]
بحيث الهَوى حلَّ العَنا فأَذَاله ... ولا لومَ هذا خارجٌ عن قوى الصَّبِ[٦]

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢ ـ ١٣٤١هـ) باني نهضة الأدب بحضرموت وأكبر شاعر في عصره ولد بتريم ثم اضطرته ظروف سياسية إلى الهجرة إلى الهند وتوفي بحيدرآباد الدكن.

(٢) الشَّحر: مدينة ساحلية على مقربة من المكلا وكانت هي الميناء الرئيسي لحضرموت.

(٣) لحت: لامت. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٤) العضب: السيف.

(٥) غراب الهم: الهم الشبيه بالغراب في سواده وشؤمه. موضع الحبّ: القلب.

(٦) العنا: التعب. فأذاله: فأستخف بصاحبه وامتهنه يقال: أذال الخيل إذا امتهنها بالعمل والحمل عليها. الصب: العاشق.

تخالَفْن أهوائي فرأيٌ مشرِّقٌ ... يقابلُه رأيٌ تعلَّقَ بالغرْبِ
تجاذبْنَني من كل صوب كأنني ... فريسةُ ليث لا تراحُ من الجَذْبِ
حَمَيْنَ الكَرَى عنّي كأني مُوكَّل ... بحفظِ الثريا عن مخاتلةِ الشُّهْبِ[1]
فليلي نهارٌ كلما مرَّ خاطرٌ ... من النوم ذَادَتْه اللواعجُ عن هُدْبي[2]
على أنني أمسِي وأُصبحُ آمناً ... بذاتيَ في نفسي وديني وفي سِرْبِي
ولكنَّ قلبي ذابَ من غيرةٍ لمَا ... أراه بعيني في بلادي وفي شَعْبِي
وأيُّ غيورٍ لم يسُؤْه الذي جرى ... من الجوْر في وادي الهُدى الطاهر التُّرْبِ؟
مواطن أبناءِ البتولِ وعترة الـ ... ـرَّسولِ الأُولى سادُوا على العُجْم والْعربِ
مساحِب أذيال المها ومصائد النـ ... ـهى فكناسُ الحسن في هذه الكُثْبِ[3]
تهدَّم سُورُ الدين فيها وأصبحَتْ ... شريعةُ طه عرْضةَ الهتك والسلْبِ
وأنَّى لمثلي بالدفاع وكلّما ... نهضْتُ بصدقٍ خانني حسداً حِزْبي
ولي همةٌ لا تنثَنِي غيرَ أنني ... وحيدٌ لهذا صِرتُ أحْيرَ من ضَبِّ
عدِمتُ على رَغم الأماني مساعِداً ... على كشْفِ هذا المشكل الهائل الصعْبِ
نَعَمْ من أبي بكرٍ تُرَجَّى معونةٌ ... فإن شدَّ من أزري وقام معي حَسْبي[4]
بعودتِه الآمالُ عاد انتعاشُها ... وفرَّج عنا عَودهُ عُقدةَ الكرْبِ
نؤمِّل من أفكاره رَأبَ صدْعِنا ... ولا غرو فهو الماهر الحاذقُ الطِّبُّ[5]
قريعُ صَفَاة الدهر شهمٌ مُحنَّكٌ ... وقورٌ إذا صار الحليمُ بلا لُبِّ[6]

---

(١) حَمينْ الكرى: منعن النوم. المخاتلة: المخادعة.

(٢) ذادته: دفعته. اللواعج: جمع لاعج وهو الهوى المحرق.

(٣) مساحب أذيال المها: مواضع سحب أذيالها والمها: بقر الوحش: يريد مواضع مشيها. المكناس: مستتر الظباء في الشجر. الكثيب: التلال من الرمال.

(٤) حسبي: كافي.

(٥) راب: رأب أي إصلاح.

(٦) الصّفاة: الحجر الصلب الضخم وصفاة الدهر: شدائده وقريعها مُغالبها.

وإن طاشت الآراءُ كان محلُّه لكشف الخطوبِ السودِ في موضع القُطْبِ
كأنَّ الجبالَ الراسياتِ تَمُدُّه رباطةَ جأشٍ عندَ عاديةِ الخطبِ
أَشدُّ من الفولاذ عند عُدَاتِه وأليَنُ أخلاقاً من الزُّبْد للصحْبِ
عزائمهُ لم تنفسِخْ من وقائعٍ جرتْ معه للدهر مشهورةِ الحرْبِ
جليلٌ جميلُ العهد قد عُجِنَ الوَفا بطينَتِه صافي النحيزة والقلبِ[1]
سليلُ الكرام الصاعدي الرتبةِ التي تماطُ عن الراقي لها سائرُ الحُجْبِ
ملائكةُ الأرضِ الأُولى في جباههم مشارقُ أنوارٍ تذكِّرُ بالرَّبِ
على اليُمْن مثلَ الغيث وافَى ونحن من رجال الصلاح اليوم في غاية الجدْبِ[2]
تفانَوْا وقلنا هل لهم من بَقيةٍ؟ فلم تُلفَ إلّا في المقابر والكُتْبِ
لذلك زاد الشوقُ فيك فكلُّنا من البَيْن مرهونٌ بقاصمة الصُّلْبِ
ونفسي إلى لُقْياك أشوقُ مهجةً وأَصدى من الظمآن للباردِ العذْبِ
أَميلُ إذا عَرْضاً حديثُك جاءَني كما مالَت الأرواحُ بالغُصْنِ الرَّطْبِ[3]
فَدَاوِ بطيبِ الوَصْل روحاً مريضةً وسُرَّ فؤاداً ساءَه البينُ بالقُرْبِ
وقل لي لعاً إن الأمانيَّ أصبحت ظوالعَ من فَرْط العِثار على الدَّرْبِ[4]
ودبِّرْ لإصلاح الفسادِ طريقةً فلا بدَّ للحال الذي حَلَّ من قَلْبِ
برأيكَ خلَّصنا من الَجوْرِ مثلَما بعلمِكَ قد خلَّصت خلقاً من النَّصْبِ[5]
ولا تَرْجُ من أهل البلاد معونةً فقد كِدتُ أَقضِي من سياستهم نَحْبِي

---

(١) النحيزة: الطبيعة.
(٢) اليمن: الخير والبركة.
(٣) الأرواح: الرياح. الرطب: اللين.
(٤) لعاً: لا عثرت. دعاء له بالسلامة. ظوالع: جمع ظالعة بمعنى المائلة في مشيتها. الدرب: الطريق غير النافذ.
(٥) النصب: بغض الإمام عليّ كرم الله وجهه.

قد امْتلَؤوا لُوماً وفي خلطتي بهم عجائبُ إذ لم تُغْذِني علةُ الجرْبِ
ودمْ في سرور لا انتهاءَ لمدِّهِ سعيداً بإذن البارئِ الفالقِ الحبِّ
وأزكى صلاةٍ بالسلام تمازجت على مَنْ بهم يُرجى الخلاصُ من الذنبِ
نبيَّ الهُدى والمرتضَى وبنيهما وفاطمةَ الزَّهرا أُولي السُّؤدد الرَّحْبِ[1]
صلاةً وتسليماً يدُومان ما انْبرَى نسيمٌ وما انهَلَّ السماءُ من السُّحْبِ[2]
وما نَعِمَت عينٌ بقُربِ حبيبِها وما سجَعَت وُرْق الحمام على القُضْبِ[3]

❊ ❊ ❊

(١) الرحب: الواسع.
(٢) السماء: المطر.
(٣) القضب: الأغصان.

القصيدة الثالثة

جواب للسيد محمد بن شيخ المساوى

وهذه القصيدة جواب عن مديحة قدمها السيد محمد بن شيخ المُسَاوَى[١] يخطب المودَّة ويدَّعي المحبَّة ولعلها في سنة ١٣٤٢هـ.

لا تـنـكـري إن رَأيْـتِ فَـوْدِي أشـيـبَـا ... أَوَ لَـيـس أوقَـر فـي الـنـفـوسِ وأَهْـيَـبَـا

مـا شِـبْـتُ عـن كـبـرَ ولـكـن هـمـةٌ ... مـن شـأنِ حـامِـل مـثـلـهـا أن يـتـعَـبَـا

وسَلِي الـزمـانَ يُـفِـدْك عـن صبري لـه ... وسـتـعـذُرِيـنـي إن سـألـتِ عـن الـنـبَـا

مـا زِلـتُ أعـرُك أُذنـه وغـنِـمْـتُ إذ ... أخـذ الـغـرابُ عَـلَـيَّ بـازاً أَشـهـبَـا[٢]

يـجـلُـو دُجَـى شـعْـري صـبـاحُ تـجَـارِبـي ... وكذاك ضوء الصبح يجلو الغَيْهَبَا[٣]

ما فلَّ من غَرْبـي المشيبُ ولم يكن ... لِـيـزيـدَنـي إلّا مَـضـاءً فـي إبـا[٤]

فـلأُجْـرِيَـن الـعـزمَ مِـلءَ عِـنـانِـه ... حـتـى يـبـلّـغـنـي سُـراهُ الـمـطـلَـبَـا

ولأنـفُـضـنَّ الـعـجـزَ فـي نـصـرِ الـهُـدَى ... عـنّـي فـإنَّ الـسـيـلَ قـد بـلـغ الـزُّبَـى

لا يأس يَقْربُني وإن عثرَت بي الآمالُ ... أو ذهـبَـت مـسـاعـيـنـا هَـبَـآ

---

(١) من أدباء وفقهاء سيؤون تميّز بلطافته مارس التجارة بسيؤون وكان له بها شأن وعمل بالتدريس بمدرسة النهضة بسيؤون وبالقضاء وله شعر جيد وصوت إنشادي جميل وتوفي بسيؤون حضرموت سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) الغرابُ: عنى به السواد كما عنى بباز الأشهب بياض الشعر. وأخذ على أوقع على.

(٣) الغيهب: الظلمة.

(٤) فلَّ من غربه: ثلم من حدّه. المضاء: النفاذ. إبا: إباء.

مِحَنٌ وإن عظُمت ففيها نِعمةٌ ... ظهرَ الصوابُ بها وكان مُحَجَّبَا
ما كنتُ أَحسَب أُسرتي اندمَجت على ... حَسَدي فكنتُ أَشِيمُ منها خُلّبَا[1]
ضَيَّعت في إرشادها وقتي ولم ... أجِدِ ابنَ عَمّي اللّحَّ إلّا عقرَبا[2]
أهوى الصلاح وأَيْنَه من معشرٍ؟ ... تَبِعُوا الهوى وتفرَّقُوا أيدي سَبَا[3]
لا ضيرَ قد لقِيَ الأذى من قومه ... جدّي فعاش محسَّداً ومكذَّبا
وكذلكَ الداعي الصدوقُ يُحِبّه البُعَدَا ... ويَبْغُضُه لِئامُ الأقرِبَا
أوَما رأيت ابنَ المُسَاوى صاغَ لي ... من شعره عِقداً ثميناً مُذْهبَا؟
خلَبَ الفؤادَ فقلت أغربُ شادنٍ ... بغِنائه أو ساقُ حُرٍّ أطربَا[4]
وافَى كما تهوَى البلاغةُ فائقاً ... كلِماً منقَّحة ونظماً مُعرَبا
ولئن أشرتُ لبعده عن نسبتي ... فلكونه وصفاً إليّ محبَّبَا
أنهَى مودَّته وأعلنها وما ... قد كان يُضْمِرُه لنا لن يَعْزُبَا
فعلى النفوسِ شواهدٌ منها كما ... ورد الحديث عن النبيِّ وجُرّبا
وسؤالُه التقريب قد أطلبتُه ... أوَليس مَن قَبِلَ السؤالَ مُقرَّبا[5]
ما عنده عندي ولست كمن تمنـ ... ـنَّى ابن المقَفَّع وُده فتمَنَّعا
فلقد براني الله لا متنَطِّعاً ... كلَا ولا صَلِفاً ولا متعصِّبَا
وُدّي لمن يهواه مبذولٌ ولا ... يَلقَى نزيلَ فنايَ إلّا مَرْحبَا
وبحبِّ خير المرسلين وبنتِه ... وأخيه والحسنين أصحاب العَبَا

(١) أشيم منها خلباً: انظر منها برقاً مطمعاً مخلفاً.

(٢) اللح: القريب النسب.

(٣) أيدي سبأ: في طرق شتى. وهو مثل في التشتت.

(٤) الشادن من أولاد الظباء الذي قوي واستغنى عن أمه. ساق حر: ذكر الحمام. وهو يشير هنا إلى تمكنه من الشعر والإنشاد.

(٥) أطلبته: أعنته على طلبه.

نستمنح الجدوى من الباري لنا ولناسجِ المدحِ الذي قد أوجَبَا
فهم الوسيلة قلَّ من أدلى بهم إلّا انثنى في الحال موفور الحِبَا[1]
وعلى ضرائحهم سلام عاطر ما رنَّحت ريحُ الصّبا شيحَ الرُّبا

* * *

(١) الحباء: أي العطاء.

القصيدة الرابعة

مهداة للسيد عمر بن محمد السقاف

وهذه القصيدة أنشئت سنة ١٣٢٧هـ شكراً للوجيه السيد عمر بن محمد السقاف[1]؛ على ما أسدى لطلبة العلم؛ واستزادة له؛ وحثاً على عمارة مدرسة؛ وتوسلا به إلى الدولة العليَّة:

أرَبَّ النـدَى والـبِـرَّ والـحسـنـاتِ ... علـيك السـلامُ العـاطرُ النفحاتِ

علـيك تحـايا الله يابنَ محـمـدٍ ... سُـحَـيـراً وفـي الآصال والـغُـدُوات

أسـائِلُ عن علـيـاك كـلَّ مُخبِّـرٍ ... وغـادٍ إلـى ذاك الـجـنـابِ وآتـي

وأستـودع الـريـحَ الـرُّخَاء تحيـةً ... فـهل جاءَ ما استودعتم النسماتِ؟

متـى يُجْتَلَى في نعمةٍ ورفاهةٍ ... مُحَيَّاك بين البشرِ والبَسماتِ؟

فأقضي للشوق المبرِّح حاجةً ... وأرغم بالوصل الهَنِيِّ عُداتِي

هنالكَ أتقى الناسِ في ذات واحد ... جوادٍ كثيرِ الخير والصدقات

سخيٌّ أبيٌّ ذائعُ الصيت ماجدٌ ... حليمٌ حكيمٌ ذو حجىً وأناةِ

---

(١) ولد السيد عمر بن بن محمد السقاف في مكة عام ١٨٥٠ ميلادية وهو ابن أخت أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف وخلف خاله في إدارة شركة السقاف وشركائهم بسنغفورا كما أسس بسنغفورا ومدينة جدة شركة السقاف للعقارات والتجارة العامة والحج وله مكاتب بسنغفورا وجدة. وقد قضى السيد عمر بن محمد السقاف وقتاً طويلاً مقيماً بجدة وله فيها قصر عظيم وصفه اللواء إبراهيم رفعت باشا في كتابه مرآة الحرمين عند قدومه للحج عام ١٣١٨هـ ثم انتقل إلى سنغفورا وكان له بها شأن كبير وخلف ثلاثة أولاد أشهرهم إبراهيم السقاف الذي كان من كبار الشخصيات وسفيراً للسعودية بسنغفورا.

حميدُ المساعي طاهرُ الجيْب سالمٌ ... من العيب والأهواء والنزَعات
كريمُ السجايا أريحيٌّ مهذَّبٌ ... عظيمُ المزايا صادقُ العزَمات
مَلاذُ عيايِيلٍ وملجأُ راغبٍ ... وكعبةُ قُصَّاد وكنزُ عُفاةِ[1]
إذا جاءه العافُون يرجُون نيلَه ... نَسُوا ما بهم من غُربةٍ وشَتاتِ
روَى عن أبيه المكرُماتِ وخالِهِ ... وأكرِمْ بهِمْ من سيِّدين ثِقاتِ
له الهمةُ العلياءُ في نفع قومه ... وإخراجِهم من حِندسِ الشُّبهات[2]
وإنقاذِهم من هُوَّة الجهل والعمى ... وإيقاظِهمْ من نومة الحسرات[3]
وإنا لنرجُو من إحاطة هِمَّة ... بنا أن ننالَ العزَّ والرغباتِ
كما أننا نرجو به أن يعمَّنا ... من التُّرْكِ لطفٌ يانعُ الثمرات[4]
بتدبيره الأقصى يجيء وينجَلِي ... بآرائه مُحْلَوْلِكُ الظلمات[5]
فيا أيُّها الشهمُ الشجاعُ الذي ابتنى ... من المجد قصراً شامخَ الشُّرُفات[6]
وسار على نهج السعادة والهدى ... بحزم وعزم صادقٍ وثباتِ
وسارَعَ في نيْل العُلَا غيرَ حافل ... بما في طريق النُّجْحِ من عقبات
بلادُك هذه قد أحاط بها العَنا ... أترضَى بأن تبقَى بغير حُماةٍ؟
رمَتْها يدُ الأيام عن قوس نحْسِها ... بكل سهامٍ نافذِ الرميَات
ومَدَّ عليها الجهلُ ذيلَ ظلامِه ... وأنذرَها بالسوء والنَّقماتِ
تحنَّنْ عليها والتِفتْ نحوها وقلْ ... لعاً فلقد ناءَتْ من العثراتِ[7]

---

(١) عيايِيل: جمع عَل وهو الملتمس الباحث. عفاة: طلاب المعروف.
(٢) الحندس: الظلام.
(٣) إيقاضهم: إيقاظهم.
(٤) الترك: دولة الخلافة العثمانية.
(٥) محلولك الظلمات: شديدها.
(٦) شامخ: عالي.
(٧) لعاً: لا عثرت؛ دعاء لها بالسلامة.

وإنك لو جَسَّيْتَ يوماً حشاءَها لأدركت ما ضمَّتْ من الزفراتِ[1]

شجاني ما عانيتهُ من شُجونها وما عندَها من حاجةٍ وشَكاةِ

وإذْ لم يكن عندي غَناءٌ أحَلْتُها على سُدّة الإحسان والرحمات

وها هي ذي ألقت حبالَ رَجائها وحاشاك أن يَرْجعْن منقطعات

ولم يكفِ ما أسديَتْه من مواهب وأجزلْته من أنعم وصِلاتِ

فأنت الذي تُرجَى لكلِّ عظيمةٍ وللرِّفدِ والإنعامِ والبَركاتِ

فلا زلتَ في أمن ويُمْن ممتَّعاً بآلٍ وأموالٍ وطيبِ حياةِ

❋ ❋ ❋

---

(١) جسيت: جست بيدك.

القصيدة الخامسة

في مأدبة رئيس وزراء حيدر آباد

ولما كنت في حيْدرَ آباد الدكن سنة ١٣٤٩هـ؛ عمل لي رئيس الوزراء مأدُبة فاخرة؛ حضرها سائر الأمراء والأعيان؛ واقترح علي تاريخ وقت الاجتماع والتعارف[١]؛ لولعهم بذلك؛ فقلت من غير طول تلَبُّث:

نسخَ الكمالُ من العُلى ديباجَا ... وكساه من أجرَى الحيا الثَّجَّاجا[٢]

صدْرَ الصدورِ يمينَ سلْطَنة الهُدى ... وسراجَ ليلِ ظلامِها الوهَّاجا

كشافُ وجهِ الحق مِن سَدَف الدجَى ... نقَّافُ هامةِ كلِّ شيءٍ هَابَا[٣]

رجلُ العظيمة ذُو العزيمة لا يَرى ... غيرَ الجهاد إلى الذُّرى معراجَا

نقَّادُ أحوالِ الورَى لا تنطلي ... خُدَعُ المُرَائي عنده إن داجَى[٤]

رأت الحكومةُ منه خيرَ موفَّقٍ ... ومحَنّكٍ قتلَ الزمانَ التَّاجَا

سِيَرٌ بها اتخذَ الثناءَ لِنفسه ... أَسنَى ذخائره وأرْضَى التَّاجَا

ملأ القلوبَ محبّةً ومهابةً ... وشأى وشاد على السُّها أبراجا[٥]

شرفٌ تسامَى للّنجوم فأصبحَتْ ... تغْشَى الملوكُ بساطَهُ أفواجَا

---

(١) وهي طريقة تختار فيها عبارة أو شطر بيت فيكون مجموع قيمة حروفه هي تاريخ لهذه السنة أو تاريخ لمناسبة معينة حيث إن لكل حرف من حروف اللغة العربية قيمة رقمية معروفة.

(٢) الحيا الثجاجا: المطر الكثير الانصباب.

(٣) سدف الدجى: ظلمته. نفاق الهام: كثير الكسر لرؤوس الأشرار.

(٤) داجى: دارى من المداجاة وهي المداواة.

(٥) شأى: سبق.

ووفودُ شرقِ الأرض مع غربيِّها يَرِدُون بحرَ سماحِه العجّاجَا

ولِعهدِه من يُمنِه وصلاحه سُوقُ المعارف بعد رُخْصٍ راجَا

وكفاه من شَرف النَّحِيزة أنه ما زال يقضي للكرام الحاجَا[1]

ما جاءَه ذو نكبةٍ أو كُربةٍ إلّا وصادف عندهُ الإفراجَا

ولهُ بحبِّ أبي البتولِ سفينةٌ تُنْجِي إذا اضطربَ البَلَا أمواجا

ولذاك أوحَى الفألُ بيتاً مُدْمِجاً تاريخَ معرفتي به إدماجَا

يا فاتحَ الأبوابِ يا جَزْلَ العَطَا وَفِّقْ أمينَ الدولةِ المِهْرَاجَا

* * *

(١) النحيزة: الطبيعة.

القصيدة السادسة

اعتذار للشيخ محمد بن محمد باكثير

اعتذار عن التأخر للشيخ محمد بن محمد با كثير[١]؛ وهي في أيام الصبا حين القراءة في النحو في حدود سنة ١٣١٧هـ:

عـلامَ أَطلْتَ اللومَ والعَتْبَ والصَّدَّا؟ ... ولـم آتِ ذنـبـاً فـي هـواكَ ولا حَـدَّا

خَـفِ الله إنّـي مـن جَـفـاكَ عـلـى شَـفـا ... فيا هلْ ترى في الحبِّ تقتلني عمْدَا؟[٢]

أتُـمرِضُـني بـالـبـعـد عـنـك؟ ولـو يـكـن ... بك الوَجْد من هجريك ما سِمتك البُعدا

عـسـى أنَّ بَـرْقَ الـصـدِّ يُـصـبـح خُـلّـبـاً ... وأن لا نـرى إلّا فـقـاقِـعَ ذا الـرعـدا[٣]

رعـى الله أزمـانـاً تـقـضَّـت عـلـى الـهـنَـا ... فـيـا لـيـتَ أنّـا نـسـتـطـيـعُ لـهـا رَدَّا

لـيـالٍ كـظـلِّ الـرُّمـح قـصَّـرهـا الـصـفـا ... نَـعِـمْـنـا بـهـا إذ كـان طـالـعـهـا سَـعْـدَا

تـصـورَّتُـهـا حـتـى كـأنَّ عـشـيـقـتـي ... إلى جانبي من ريقها أَرشُفُ الشّهدا[٤]

بِـروْضِ سـرورٍ غِـبَّ قـطـرٍ أريـجُـهُ ... يـفـوحُ إذا هـزَّ الـنـسـيـمُ بـه الـوَرْدَا[٥]

---

(١) قال عنه ابن عبيد الله في المعجم: كان دائرة معارف وعنه أخذت علم النحو والصرف وكان متخصصاً في هذين العلمين كثير الولوع بهما والانكباب عليهما والبحث فيهما وكان يؤثرني ويقدمني على الناس؛ وله مؤلفات عديدة وأشعار عديدة؛ وكان شديد التعلق بوالدي جم القراءة عليه ثم كان يحضر دروسي في التفسير والفقه والحديث توفي أوائل سنة ١٣٥٥هـ.

(٢) شفا: حرف أي حافة الهلاك.

(٣) خلباً: مطمعاً مخلفاً.

(٤) الشهد: العسل.

(٥) غب: بعد. أريجه: توهج رائحة الطيبة. تفوح: تنتشر وتهب.

وأعطافُنا مشمولةٌ من مُدامةٍ تدارُ علينا وهي مملوءةٌ وُدًّا[١]

ترصّدها الدهرُ الخؤون فشتَّها ومن قبلُ كان الدهرُ في طوعنا عَبْدَا

تغاضَى فلما أمكنتْ فرصةٌ له تجاوزَ في التفريق ما بيننا الحدَّا

إلى الله شكوى الدهرِ وهي طويلةٌ لإفراطه في سعيه ضدَّنا جِدًّا

لقد رضيت سلمى فأصبح واشيا عليّ لديْها فاستحالَ الرضا حِقْدَا

بكيتُ دماءً كالعقيق وليتَني تمكنتُ من نِظميه في نحرها عِقْدا[٢]

إذا انحرفَتْ عنِّي وشيخي محمّدٌ فلا غَرْوَ إن ذابتْ إذن مهجتي وجْدا[٣]

حكيمٌ يحُل المشكِلات بفهمِه ويجلُو بأنوارِ المعارف ما اسوَدَّا

له همٌّ نحوَ المعالي سريعةٌ تسابِقُ في مِيطانِها النجُبَ الجُرُدَا[٤]

على أُفُقِ العلياءِ لما امتطى صِها الـ ـجِلادِ وفي تشميره أفرغ الجهدا[٥]

نَضَا من صميم العزْم سيف مهنَّدا على كلّ صفَحْ منه سنّ له حدًّا[٦]

من الكُتْبِ سَلْواه ومنها غذاؤه متى حضرتهْ لا يجوعُ ولا يَصْدَى

فيا أيُّها الشهم الأريب الذي انثنت عيونُ أولي الأحساد من فضله رُمْدا

ويا أيُّها الندبُ الذي نجمُ سعدِه عَلَا وغدا يستخدمُ اليمُنَ والجَدّا[٧]

أرابَكَ مني ظنٌّ صَدٌّ فإنني على الوُدِّ لم أنقُضْ له أبداً عَهْدَا

---

(١) الأعطاف: جمع عطف بالكسر وهو الجانب. المدامة: الخمر يقال خمر مشمولة: أصابتها ريح الشمال فبردت أو شملت برائحتها الناس. يريد أنهم ثملون من هذه الخمر.

(٢) نظميه: نظمي إياه.

(٣) فلا غرو: فلا عجب.

(٤) الميطان: الموضع المهيأ لإرسال خيل السباق منه. النجب: جمع نجيب هو الكريم النفيس من الخيل. الجرد: جمع أجرد وهو القصير الشعر وهو من علامات العتق والكرم.

(٥) صها: صهاء أي صهوات وهي مقاعد الفرسان من الخيل.

(٦) نضا: جرد.

(٧) الندب: النجيب الظريف الخفيف في الحاجة. الجد: الحظ.

ولـم أتـأخـرْ عـنـك زهـداً وإنـمـا لِعُـذرٍ ولـكـنِّي أرى كـتْـمَـه أَهْـدَى
فـطـمـتُ ولائي يـا عـزيـزي ولـم يـجُـل بـنـفـسـيَ يـومـاً أن أحـلَّ لـه عَـقْـدَا
فدعْ عنك غيري غيرَ من كان مخلصَ الـ ـوِداد فـإنـي رَيْـتُ أكـثـرَهـم أَغْـدَا[1]
ومـا الـحـرُّ إلّا مـثـلَ عـنْـقـاءَ مُـغْـربٍ وجـرِّبْ تَـجِـدْ مَـن زانَ منظَـرُه وَغْـدا[2]
وإنـي أنـا الـحـرُّ الـذي لا أمـيـلُ عـن صـديـق إذا رَيْـبُ الـزمـان بـه اشـتَـدّا
ومـا حـسَـدُ الأتـرابِ إلّا لأنـنـي وعـلـمـك يـكـفـيـني شـأوتـهُـم مـجْـدَا[3]
ولـسـت أُبـالـي بـالـلـئـام فـإنـنـي أرى مـدحـهَـم ذمّاً وتـنـقـيـصَـهـم حَـمْـدَا
وأعـرف مـن قـومٍ كـرامٍ مـودَّةً فـأمـنـحُـهـم حـتـى إذا أعْـوروُا وُدَّا[4]
وإنـك إن تـرضـى فـلـسـت مـعـوِّلاً عـلـى مُـغْـورٍ يـومـاً ولا مُـنْـتَـجٍ نَـجْـدَا
فـيـابـن كـثـيـر دونـك الـعـتـبَ واغـتـفرْ لـمـخـلـص وُدّ لـم يـشِـبْ ودَّهُ ضِـدَّا[5]
ودُمـتَ تـهـنـا بـارتـقـائـك أرفـع الـ ـمَـرَاتِـبِ تـبـدو فـوق أوج الـعـلـى فـردا

* * *

(١) ريت: رأيت.

(٢) عنقاء مغرب: ضرب من الطير أغربت في البلاد فنأت وهو مبالغة في القلة والندرة.

(٣) شأوتهم: سبقتهم.

(٤) أعوروا: أتوا بالعوراة وهي الكلمة القبيحة.

(٥) ضدا: أي بالضد وهو البغض.

القصيدة السابعة

قصيدة للزواوي قيلت بمسقط

وكنت موجوداً بمَسْقَط سنة ١٣٢٩هـ؛ وقتما أرسل السيد يوسف بن أحمد الزواوي أولاده؛ ومعهم ابن الشيخ سالم شيبان إلى بيروت لطلب العلم؛ فطلب مني كلمة؛ فقلت:

لئن ساءَ في اليوم الفراقُ وأكمدَا	فإن الهَنا والفوزَ في طيِّه غدا
هو المجد لا يُرْخِي العِنانَ لعاجِز	إذا ثبَّطته الغانياتُ تقيدَا
ولولا المشقَّاتُ التي في سبيله	لكان جميعُ الناس بالطبْعِ سيِّدَا
إذا اجتهد الإنسانُ عاشَ مكرَّماً	وإن مات بالذكر الجميل تخلَّدَا
ولا يُكسِبُ المرءَ العُلَى غيرُ جِدِّه	وإن طابَ أعراقاً وأصلا ومَحْتِدَا
على الطائرِ الميمونِ سيروُا تحوطكم	عنايةُ مولاكم من الكيدِ والردَى
فجدُّوا وسُرُّوا قلب شيخكم الذي	لنفعِكُم اختارَ التفرُّقَ مَوْرِدا
عزيزٌ على سَوْدائه البُعدُ والنوى	ولكن على كسب المعالي تعوَّدَا
فكونوا كما يرجوه قُرَّةَ عينه	ولا تُذْهِبُوا آماله فيكم سُدَى
توجَّهْ شهابَ الدين للعلم راشدا	ولا تألُ جهْداً في الطلابِ لِتُحْمَدا
وحُطْ أخويك الناشئين وحُفَّهمْ	بلطفٍ وارشدْهم إلى منهج الهُدَى[1]
ونسأله سبحانهَ أن يردَّكم	سريعاً كما شِئتُم برغم هَوى العِدَا
ويغمرَكم من فضلهِ ونوالِه	علوماً وأخلاقاً ومجداً وسؤدُدَا

(١) في الأصل وحبكم والمناسب ما أثبتناه.

القصيدة الثامنة

للشيخ حسن بن عوض مخدم

وهذه أرسلتها لشيخنا الجليل العارف بالله؛ الشيخ حسن بن عوض مخدم، وكان أرسل لوالدي كتاباً؛ خصَّني فيه بخطاب طويل؛ يحثني به على الزهد والانتظام في سلك طريق الصوفية، وكانت القصيدة في أيام الحداثة؛ ثم نقَّحتها قليلاً مع التبييض. وهذا الشيخ من عظماء الرجال، له قلم على لسان الصوفية سيَّال، ومن مؤلفاته شرح على الرشفات في خمسة أسفار كبار؛ جزل الكلام؛ متين العبارة؛ ولو لم يكن من مناقبه إلّا ما تعالم به الثقات؛ وتواترت به الرواية؛ أنه اغتسل لما حضره الموت؛ وقال لأهله وأولاده ومن حضره: هلموا نصلِّي على النفس المؤمنة؛ وصلّى بهم صلاة الجنازة؛ واضطجع لشقِّه الأيمن؛ يستهل بالشهادة حتى فاضت روحه. وهذه الصلاة؛ وإن لم يسوِّغها الفقه؛ فهي دالّة على قوة الثبات؛ وشريف المقام؛ وحسن الختام؛ نسأل الله التوفيق؛ وكانت وفاته ليلة الاثنين ١٩ المحرم سنة ١٣٢٨هـ.

أَثخنَ الروحَ جُرحُها بالبِعادِ ... حين أَضرمتُم الجوَى في فؤادِي

واعتقلْتُم من القدُودِ رماحاً ... مزَّقَتْ مهجتي بطعن الصِّعادِ[1]

وانتكَبْتُم من العيون قِسِيّاً ... شَرَّدَت بالنَّبال طيْفَ الرُّقادِ[2]

---

(١) الصعاد: جمع صعدة وهي قناة أصغر من الحرية.

(٢) انتكبتم: يقال انتكب القوس إذا علقها في منكبه.

وكـحَـلْـتـم بـمِـرْوَدِ الـهـجـر عـيـنِـي ... فَـطـفـا مـاؤهـا سـراجَ الـسـوادِ[1]

كـلَّ يـوم أرى عـقـابِـيـل ضُـرِّي ... وغـرامـي بـحُـسـنِـكـم فـي ازديـادِ[2]

بـجـفـاكُـم أُحـاول الـزهـدَ فِـيـكـم ... والـهـوى لا يـزيـد غـيـرَ اتِّـقـادِ

فـكـأنّ الـعـذابَ مـنـكـم نـعـيـمٌ ... وكـأنّ الـصـدودَ صَـفْـوُ الـودادِ

وكـأنَّ الـعـتـابَ مـنـكـم رُضَـابٌ ... وكـأن الـمَـلامَ نـغْـمـةُ شـادِي[3]

شـنِّـفُـوا مـسـمَـعِـي ولـو بـمـلَامِـي ... فـاسـتـمـاعُ الـخـطـابِ أقـصَـى مـرادِي

وعِـدُوا بـالـوصـولِ رُوحَ مـحِـبٍّ ... أصـبـحـتْ بـالـبِـعـاد نُـصـبَ الـنَّـفـادِ

وإذا لـم تـبـادِرُوهـا بـوعـدٍ ... فـاسـتِـعِـدُّوا لـفـقـدِهـا بـالـحِـدَادِ

يـنـقـلُ الـمـرجـفـون عـنـي سُـلُـوّاً ... دونَ مـا يـنـقُـلـون خـرْطُ الـقَـتـادِ[4]

كُـفّ يـا لائـمـي فـإنّـي مُـعَـنّـى ... لا أرى فـي الـسُّـلُـوّ وجـهَ رشـادِ

في هَوى مَن عشِقتُ جُبْتُ الموامِي ... راكـبَ الـجـامـح الأبِـيَّ الـقِـيَـادِ[5]

لـيـت جِـدِّي لـوصـلِـه كـان فـي الـعـلـمِ ... كـجِـدِّ الإمـام نـجـم الـدآدِي

صاحبِ الفضل والندى حسَن الأخـ ... ـلاق ربِّ الـسـمـاحِ مُـرْوِي الـصـوادِي

واصَلَ السعْيَ وامتطَى غاربَ اللّيـ ... ـلِ وجُـلُّ الأنـام رَهْـنُ الـرُّقـادِ[6]

لـم تَـزَل مـنـه نـفـسُـه فـي امـتـحـانٍ ... فـهْـيَ كـالـتِّـبـرِ فـي يـدِ الـنُّـقـادِ

دمْـعُـه قـرَّح الـخـدودَ مـن الـهـيْـبـ ... ـةِ لـلّـهِ لا لـهـولِ الـمـعـادِ

---

(١) فطفا ماؤها: فطفأ ماؤها وفي اللغة أطفأ النار إذا أذهب لهبها. سراج السواد: السواد الذي به نور العين.

(٢) عقابيل: آثار؛ جمع عقبولة وهي بقية العلة.

(٣) رضاب: ريق مرشوف. شاد: مغنّ.

(٤) خرط القتاد: الخرط القطع. والقتاد: شجر ذو شوك صلب.

(٥) الموامي: جمع مَوْمَاة وهي الفلاة.

(٦) غارب الليل: أعلاه ومنتصفه.

زاهـدٌ عـابـدٌ حـكـيـمٌ عـلـيـمٌ واعـظٌ مُـفْـلِـقٌ إلـى الـحـق هـادي
زيـنـةٌ فـي الـدروس يَـنـثُـر فـيـهـا لـؤلـؤَ الـعـلـم لا جُـمـان الـخِـرَادِ[1]
ولـه فـي الـطـروس آيـاتَ مـجـدٍ شِـذْنَ لـلـمـلَّـةِ الـرفـيـعَ الـعـمـادِ
دائـمـاً يَـرْعُـفُ الـيَـراعُ بـسـحـرٍ مـن كـلامٍ وعـنـبـرٍ مـن مِـدادِ[2]
هـذه كـتْـبُـه لـديـنـا فـهـل فـيـهـا مـقـالٌ لـقـائـلٍ أو مُـضـادِي
شـهِـدَتْ بـالـعُـلَـى لَـهُ بـيِّـنـاتٌ والـدعـاوَى مـن دونـهـا فـي فـسـادِ
دُمـتَ لـلـعـلـم يـابـن زيْـنٍ مـجـيـراً ونـصـيـراً ودمـتَ غَـيـظَ الأعـادِي
أنـعـش الـروحَ والـفـؤادَ خـطـابٌ منك في النفع مثلَ صوب العِهَادِ[3]
فـيـه طِـبُّ الـنـفـوس مـن كـل بُـوسٍ وجـلاءُ الـقـلـوب وهـي صـوادِي[4]
غـيـر أنـي عـمـا أشـرتَ نَـفـورٌ دَاوِنـي بـالـدعـاء والافـتـقـادِ
يـا جـمـالَ الـمـحـراب يـا غُـرَّة الـدرْ سِ ويـا مَـن بـه تَـزيـنُ الـنـوادي
صـاغ فـكـري عـقـودَ شـعـرٍ بـديـعٍ تـخـلـبُ الـقـلـبَ سـاعـةَ الإنـشـادِ
لـو رآهـا الـنـعـمـان لـم يُـصْـغِ يـومـاً بـارتـيـاح إلـى قـريـض زيـادِ[5]
صُـنْـتُـه عـن سـواكَ فـادعُ الـلَّـهَ بـإنـجـاح مـقـصـدي ومـرادِي
وعـلـيـك الـسـلام مـا نـاح بـاكٍ فـي الـديـاجـي ومـا تـرنّـم شـادِي

* * *

(١) الجمانُ: اللؤلؤ أو حبة من الفضة كالدرة. الخراد: الخرائد مع خريدة وهي الفتاة البكر.
(٢) اليراع: أي يَراعُ الممدوح.
(٣) العهاد: جمع عِهد وهو أول المطر.
(٤) صوادي: عطاش.
(٥) النعمان: هو ابن المنذر؛ وكانت العرب تسمي ملوك الحيرة النعمان؛ لأنه كان آخرهم؛ وإليه ينسب الشقيق وهو نبات أحمر يشبه الدم لأنه حماه. زياد: النابغة الذبياني مادح النعمان.

القصيدة التاسعة

جواب لأصدقاء بجاوه

وهذا جواب عن منظوم ومنثور؛ أرسله إليَّ بعض الإخوان من جاوة؛ بعد ما تقوَّلَ عليَّ المتاجرون بالولاية؛ لأنِّي كنت قَذَى عيونهم؛ وشَجَا حلوقهم، وما أدراك ما غاية ما وصموني به إذ ذاك، زعموا أنني خالفت طريقة السلف؛ وأوهموا الأغبياء؛ أنها ما هم عليه؛ من التدليس والتلبيس؛ وجعلوا آية ذلك؛ أنَّ صاحب المنار نشر لي كلمة[1]؛ قلتُها بإشارة والدي رحمه الله؛ في رسالة للعلامة المرحوم؛ السيد حسن بن علوي بن شهاب[2]؛ في حدود سنة ١٣٢٣هـ.

نصحٌ أتاني وتنبيهٌ وإرشادُ ... رَدَّدْتُه فحلَى للسمع تَرْدَادُ

من ماجدٍ أريَحِيٍّ فاضل فطِن ... نَمَتْه للعِزِّ آباءٌ وأجدادُ

(١) قال ابن عبيد الله في مخطوطة بضائع التابوت ج٣ ص٢٧٦: وصادف أن بعث السيد حسن بن علوي بن شهاب لوالدي بنسخة من رسالته التي وسمها بنحلة الوطن مشفوعة منه له بكتاب خاص فنُبْتَ عن والدي بأمره؛ للجواب؛ وأثنيت على رسالته بما رأيت؛ فنشر كتابي في مجلة المنار؛ ولما ورد عدد المنار الذي به جوابي؛ حدثان وفاة والدي؛ أوسعوا القول في قولي وكبروه وزعما أنني فهمت مغزى تعريض ابن شهاب بأشخاص معينين واعتبروا ذلك التقريض عليّ من كبائر الذنوب وفواحش الجرائم على أن السيد حسن تغير بعد عن رأيه في نحلته ولما سألته عن ذلك أفاد أنَّ تغيره لم يكن عن وجدان وإنما كان سياسة فقط (انتهى بتلخيص).

(٢) سبقت ترجمته وذكر ما كان بينه وبين الإمام ابن عبيد الله في جاوة وهو صاحب كتاب نحلة الوطن الذي حمل فيه على كل الأولياء والعلماء في حضرموت واتهمهم فيه بالتقصير والجمود وأمور أخرى كثيرة أثارت عليه غضب كل علماء وأولياء حضرموت.

يَروِي الفضائل عن آبائه الفضلا وحبَّذا لك مرويٌّ وإسنادُ
هَشٌّ ظريفٌ كأنَّا من نوادره بانٌ تَفَيّؤُهُ الأرواح ميَّادُ[١]
للّه دهرٌ تقضّى لي بصحبته كأنَّ آناءَه الغراءَ أعيادُ
ولم يزَل ظنُّنا يقوَى بعودته عسى لآمالِنا بالفوز إسعادُ
لتِنطفي بمياه القرب نارُ جوًى يشبُّها لعميدِ القلب إبعادُ[٢]
قد هوّن البينَ خَطٌّ منه أطربني وراقني فيه تسجيعٌ وإنشاد
كأن ما فيه من نظمٍ قضيبُ نقاً عليه من سُندس الإبداع أبْرادُ[٣]
نقدٌ مصفّى عن الإغشاش أفرغَه في قالَب الحسن والإحسان نقّادُ
مبناهُ جزْلٌ إلى معنىً يناسقه وقدرُه بجميل النُّصح يزدادُ
وذاكَ خيرُ الهدايا حيث أنبأ عن حفظِ الوداد وأنَّ الصّحبَ أمجادُ
لكنَّ كلَّ الذي قد كان يبلغكم عني تنمّقه بالزُّور حُسّادُ
رام انتقاصِيَ قوم فعلُهم سَفَهٌ ودينُهُم كلُّهُ نَصْبٌ وإلحادُ
بنقض سنَّةِ خير المرسلين يَشيـ ـدون الدّنايا ويَمْحُو اللّه ما شادُوا
وما على الحرِّ مثلي قطْ منقَصَةٌ إذا رمتْه بسوء الظن أوْغادُ[٤]
فقرَّ عيناً فإني لا أزيغ ولَا أحيدُ قط إذا أهلُ الهوى حادُوا
جارٍ على منهجٍ قد كان سلَّكنِي عليه شيخٌ له التوفيقُ ينقادُ

---

(١) بان: شجر ليس لخشبه صلابة؛ له ثمر يربَّبُ بأفاويه الطيب ثم يعتصر دهنه طيباً. مفرده بانة. تفيؤه الأرواح: تتفيؤه وتستظل به. مياد: كثير المياد والحركة من الهواء.

(٢) عميد القلب: هو الذي هدَّه الشوق وأضناه.

(٣) قضيب نقا: النقا بالقصر كثيب الرمل. وقضيب بمعنى مقضوب أي مقطوع. كان ما فيه من النظم قطعة من كثيب الرمل كساها النبت الأخضر فأكسبها حسناً ورواء.

(٤) أوغاد: حمقى أدنياء.

يَرْب المعالي سَنام الفضل من ضُرِبَت لـعـزِّهِ فـوقَ هـامِ الـشُّـهْـب أوتـادُ[١]

ربـيـعُ جـودٍ إلـى أفـيـاء دوحـتِـه مـا زال يـلـجـأُ رُوّاد ووُرّاد

وَالـيـتُـه فـتـولّانـي ولاحـظـنـي ولـيـس قـاطـعَ مـا قـد كـنـت أعـتـادُ

إنـي إلى الـمجد لـم أبـرحْ أخـا سفَرٍ ولا أُبـالـي ومـنـهُ الـمـاء والـزادُ

هـيـهـاتَ إضـلالُ من يـهـديـه مَـسْـلَـكَـهُ نـورٌ يـمـزِّق سُـحْـبَ الـجـهـل وقَّـادُ

لا مـغـمـزاً فـي سـهـامـي لـلـعـيـون ولا قـنـاةُ ديـنـي لـدى الـحـالـيـن تـنـآدُ[٢]

❋ ❋ ❋

(١) ترب المعالي: الترب. المساوي في الشيء.

(٢) تنآد: تعوج. يقال: انآد العود ينآد انئياداً إذا انثنى واعوج.

القصيدة العاشرة

تهنئة بقدوم العلامة أبي بكر بن شهاب

وهذه تهنئة بقدوم شيخنا الفاضل أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب إلى تريم، وقد قامت ضجة؛ من بعض الطلبة؛ حول الأبيات التي عرّضنا فيها بأهل الدعاوى الكاذبة، وعُقِدَ مجلس حضره جماعة من العلماء والأعيان بتريم؛ انتهى بفوزنا بالحجة والدليل، واقتنعوا بما جلونا لهم من حال أولئك، وهم المشار إليهم في قصيدة شيخنا المستهلَّة بقوله: «هل للغرائب من حكيم عاقل؟». وقوله: «العلم والمجد رضيعا لبان» وقد بقي ممن حضر المجلس؛ من أهل سيؤون جماعة؛ أخصُّ منهم بالذكر؛ السيد سقاف بن محسن السقاف؛ والسيد يوسف بن عبد الله المشهور.

بِعَوْدِكَ بدرُ الحق أشرقَ نورُه ... وعاد بوادي حضرموت ظهورُه

وضاءتْ رُبا الوادي وضاعَتْ رياضُه ... وغنَّت بألحان التهاني طيورُه[1]

ودبَّ به روحُ الحياة كأنَّما ... بَشيرُك إسرافيلُ وافَى وَصُورُه

على اليمْن والإقبالِ يا خيرَ قادمٍ ... بمأتاه مات الجهل واندكّ طُورُه[2]

ثلاثون عاماً قد طواها بنأيِه ... وفي نحوها الأفلاكَ يطوي نظيرُه[3]

فقدناه فقدَ الضَّوْءِ فيها ولم نجدْ ... له عوضاً يُغْنِي غَناهُ حضُورُه

---

(١) ضاعت رياضه: فاحت وانتشرت.

(٢) طوره: جبله.

(٣) بنأيه: ببعده.

لدى كلِّ خَطبٍ يستطيرُ شَرارُه ... ويَشْتَبُّ من بين الأثافي سعيرُه[١]

فكم مشكلاتٍ حلّها ومصاعبٍ ... برأي على عين الصواب عثورُه

ولكنَّه في الحالتين محسَّدٌ ... قليلٌ كمثلي في الأنام شَكُورُه

لِيَحْيَ به الوادي ويخضرَّ نبتُه ... وتغْنَ مغانِي العِلم فيه ودُورُه

ويَجْلُ دجى الأوهام من جوِّه الهدى ... ويفتكَّ من قيد الضلال أسيرُه

صفَا الوقتُ حيناً للثعالب فاعتلَتْ ... أسافلُه لمَّا تناءَت صدُورُه

وباح بدَعوى الكشفِ والسرِّ كلُّ من ... ينادِي عليه بالثُّبور فُجورُه

وما شأنَ هذا القطرَ إلّا عصابةٌ ... بكل امرئٍ منهم تناهى غُرُورُه[٢]

فكم بدعةٍ أحيَوْا وكم سنَّةٍ مَحَوْا ... فهم منبعُ الداء العَيَا وجذُورُه[٣]

وكم قمتُ فيهم معلِناً بنصيحتي ... كأنيَ داودٌ ونصحي زَبُورُه

وما زال أمرُ الحقِّ يعلُو وإنما ... بعَوْدِ أبي بكر يتمُّ ظهورُه

تمنَّى زماناً ألمعِيًّا مهذّباً ... يشايعه والآن حقَّتْ نُذُورُه

ألم تره يفتَرُّ ضَحْكاً لأنه ... بعودة هذا الحبر تَمَّ سرُورُهُ

يحاول أهلُ الجاه تشويهَ وجهه ... وهيهاتَ والمولى الإمامُ نصيرُهُ

له همةٌ في خدمةِ المجد والعُلَى ... وفكرٌ لتحقيقِ العلومِ يُديرُهُ

وعزمٌ يوازِي الهنْدُواني مَضاؤه ... إذا شانَ عزمَ العاجزين فتورُهُ

له قلمٌ أمضى من السهم نَفْثُه ... وأهيبُ من وقع السلاح صريرُه[٤]

وأغيظ من خُضْر الكتائب حِبْرُهُ ... وأشوى من البيض المواضي سطورُه[٥]

---

(١) يشتب: يتقد. الأثافي: الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ.

(٢) شان: عاب.

(٣) العيا: العياء وهو الذي لا برء منه.

(٤) نفثه: تفله. يريد ما يخطه. الصرير: الصوت.

(٥) خضر الكَتائب: الكتيبة الخضراء هي التي يعلوها سواد الحديد والعرب تطلق الخضرة على السواد. البيض المواضي: السيوف القواطع.

به حقَّ للعلياء نفضُ الثَّرى الذي ... عليه تسنَّى للّئام ذُرُورُه[1]
به نهجُها أضحى يلوحُ وعِطرُها ... يفوحُ ووجهُ الرُّشْدِ بادٍ سفوره
على الرُّحْب يا مِنْ للكمال نزوعُه ... بمقدار ما عن كل نقص نُفورُه
تنصَّلتَ عن صِبغ المداهنِة التي ... عليها زمانُ السوءِ دارت أُمورُه
وأرغمتَ أهلَ الرِّيب بالحجج التي ... بها انكشفت عن كل عَيبٍ سُتورُه
وجاهرتَ بالصِّدقِ الصريحِ وقلَّ من ... يبوحُ بما يُملي عليه ضميرُه
وكلُّ امرىءٍ يَفْرِي لحومَك غائباً ... يعود مُواءً في الحضور زئيرُه[2]
لكَ الله من شَهمٍ على القِدَّة التي ... عليها مضى أهلُ الِكساء مسيرُهُ[3]
وأُوذِي في ذات الإله وما لَهُ ... وما للأذى والمصلحون نصِيرُه
تراه إلى أهل الدعاوى مُبَغَّضاً ... ولكنَّها بغضاءُ ليست تَضيرُه
نمَتْهُ إلى المجد الجحاجحةُ الأُولى ... يَهُون بهم من كل خَطبٍ عسيرُه[4]
مغاييرُ من كلِّ امْرىءٍ تقلِقُ العِدَا ... عزائمه ثبتُ الجنان وقورُه[5]
هم السادة الأبرارُ هم مطلعُ الهدَى ... هم الناسُ هم حِصنُ الطريد وسُورُه
مَضَوْا وأبو بكرٍ على إثرهم جَرَى ... وعن وِردِهم في كل حال صدُوره
من الله نرجو أن يطيل حياتَهَ ... فأيامه روحُ الوُجود ونورُه

* * *

(١) الثرى: التراب الندي. تسنى: تيسر وتأتى. ذروره: تفريقه ونشره فوقها.

(٢) يفرى: يقطع. المواء: صوت الهرة. الزئير: صوت الأسد.

(٣) القدة: الطريقة.

(٤) الجحاجحة: السادة الكرام.

(٥) مغايير: ذوو غيرة وحمية شديدة.

القصيدة الحادية عشرة

في مدح الإدريسي

وهذه بعثت بها للأمير الكبير؛ جمال الدين محمد بن علي الإدريسي؛ بعقب تعزيةٍ منه جاءتنا في والدنا، وكان سبب التعارف بيننا؛ هو العلامة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي؛ فقد كان شيخاً له؛ وتلميذاً لوالدنا؛ وما زال يحدثنا عن كبر همَّته؛ وغيرته للدين؛ ويذكر عنه غرائب وعجائب وخوارق؛ في جميل طرائق؛ وبأثر تلك التعزية؛ تحرك القلم بهذه القصيدة؛ عن إشارة الشيخ المذكور؛ وذلك سنة ١٣٢٤هـ.

وأَرخصْتَ فيها الروحَ لما طلبتَها ... وأَدركت بَعْد الجِدِّ رُتْبَتها الكُبرى

زرعتَ بذورَ الاجتهادِ فأثمرَتْ ... لك الحمدَ والمجدَ المؤثَّل والشكْرَا[1]

ومن لم يَهَبْ لُجَّ الحتُوفِ وَعامَها ... وشيكٌ بأن يلقَى الجواهرَ والدُّرَّا

هنيئاً لك المجدُ الذي قد حَويْتَهُ ... بهمتكَ العلياء والدولةُ الغَرَّا

خطبتَ عَذارَى العِزِّ ثم نكحتَها ... وسقْتَ إليها كلَّ غاليةٍ مَهْرَا

وقابلتَ بالرُّحْبِ الإمارةَ فانبرتْ ... تَتيهُ دلَالاً وهْي من طَرَبٍ سَكْرَى

جلستَ على كرسيِّها متَربِّعاً ... وأنتَ به من بينِ طلابه الأحْرَى

بك ابنَ عليٍّ أصبح الدينُ ضاحِكاً ... ولِمَ لا؛ وقد أخدمْتَه الفتحَ والنصْرَا

بفضلِك «صبيا» تزدهي مذْ جعلْتَهَا ... بعدلِك يا صَبَّ العُلَى روضةً خضْرَا[2]

---

(١) المؤثل: الأصيل.

(٢) يا صب العلى: يا ذا الشوق للمعالي.

ورقَّيتَها بالعلم حتى تمدَّنَتْ ... ومن قبلُ كانت قريةً فَغدَتْ مِصْرَا

وألبستَها ثوبَ العمارةِ ضافياً ... فلو عاينَتَها الفُرْسُ لاحتقرت كِسْرَى

وسوَّرْتها بالبأسِ عن كل ماردٍ ... وحصَّنْتَها بالسيف والصَّمْدة السّمَرا[1]

وروَّجتَ سوقَ الفضل فيها وزِنْتَها ... وأجرَيْتَ من ماءِ الحياةِ بها نَهْرَا

بها أيْنَعتْ دُوحُ المعارِفِ فاجْتَنَى ... بنُوها على العَلّاتِ من يَنْعِها الزَّهْرَا[2]

وقد دوَّنَ التاريخُ باذِخَ مجدكُم ... وَخَطَّ على طِرْسِ الفخارِ لكم سَطْرَا

لك اللّهُ يا فَرْعَ الأداريسِ من فتىً ... حَوى بعد أهليه المكارمَ والفَخْرَا

له العزمُ والعقلُ الرجيحُ ورأيُهُ ... إذا اعتكرَ الداجي يَشُقُّ به الفجْرَا[3]

له الجدُّ حتى ما يفوتُ يمينَه ... من المجد يوماً لا يفوتُ اليدَ اليُسرَا

له حالتَا بأس وجُودٍ كلاهما ... يضُوعَان إمَّا شِيتَ ذكرَهما عِطْرا[4]

إذا شبَّت الحربُ العَوانُ رأيتَه ... بكلّ ثباتٍ يبطِشُ البطشةَ الكبرى[5]

يفَلِّقُ هاماتِ الرجالِ وما تَرَى ... على حالةٍ جُبْناً يعَيبُ ولا ذُعْرَا

وإن جاءه العافِي يؤَمِّل نيلَه ... ويشكو من الأيامِ صادَفَه بَحرا

يعيبُ الألى يأتُوه حاتمَ طَيِّءٍ ... إذا امتلؤوا من فيضِ معروفة بِرًّا[6]

فيا أيُّها الشهمُ الذي شاد للعُلى ... على حين قد أقْوتَ مرابعُها قصرًا[7]

---

(١) الصعدة السمراء: القناة المستوية السمراء. والجمع صعاد يريد الرمح.

(٢) أينعت: حان قطافها. الدوح: جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة. العلات جمع علة وهم الأبناء لأب واحد من أمهات شتى. الينع: الإدراك والنضج.

(٣) اعتكر الداجي: اشتد ظلام الليل.

(٤) يضوعان عطراً: يفوحان عطراً طيباً. إما شيت ذكرهما: إن شئته.

(٥) الحرب العوان: التي كانت قبلها حرب وتكون أشد من التي قبلها.

(٦) يأتوه: لو قال جاؤوه لسلم.

(٧) أقوت مرابعها: خلت من المرعى أي خلت منازلها.

وأظهرَ عِزَّ الدين وارتاح للنَّدى … وأطلع في جُنْح الدُّجى للهدى بَدرًا

لأنْتَ إذا عُدَّ المراجيحُ خيرُهُم … وأفضلُهم شأناً وأعلاهُمُ قدْرًا[١]

وأنفذُهُم رأياً وأوفرهُمْ حِجَىً … وأطولُهم باعاً وأوسعُهم صَدْرًا

لقد حدَّث الراوون عنك وأبدعُوا … غداةَ سألنا عن شمائلكَ الذكْرَا

فأطرَبني ذاك الحديثُ وشاقَني … فبِتُّ وعَبي فيك من مِقَةٍ سَهرْى[٢]

وأرسلتُ عني بالنيابة مِدْحَةً … تَتيه من الإعجاب كالغادة العَذْرا

تحيَّرتُ أهديها لمن؟ ثمَّ لمْ أجِدْ … سواكَ لها كفؤاً فدونكَها بِكْرَا

* * *

(١) المراجيح: الحلماء.

(٢) مقه: حب يقال ومقه كورثه ومقاً ومقة أحبه.

القصيدة الثانية عشرة

وهذه تهنئة للسيد حسن بن عبد الله[1] مرجعَه من حَجِّه، لعله سنة ١٣٣١هـ

العيدُ ما ملأَ القلوبَ سُروراً وكَسَا الوجوهَ بشاشةً وحُبورَا

(١) حسن بن عبد الله الكاف (١٢٩٧ ـ ١٣٤٧هـ) أديب وشاعر وله رحلة حج غريبة سببها وصول القطار إلى المدينة المنورة ووصفها بقوله: تحركنا من تريم في ٤ شوال من عام ١٣٣١هـ متوجهين إلى المكلا وتصادف وصول البابور الخاص بوكيل حاكم عدن فتوسط لهم الحبيب حسين بن حامد المحضار فحملهم هذا البابور هم ومجموعة من الحجاج إلى عدن ثم ركب في الخامس والعشرين من شوال البابور النمساوي المتجه إلى السويس ووجد فيه كثيراً من حجاج الهند والبصرة فوصل السويس بنهاية شهر شوال؛ وبعد جولة في مصر؛ ركب بابور الخديوي المتجه إلى حيفا؛ مع مجموعة من الحجاج الذين وصلوا من حضرموت؛ منهم أحمد بن محمد بلفقيه؛ ومنهم عوض بن حميد بامصري من سكان تريم. وتحرك بهم المركب عشية يوم الأحد لتسع في شهر ذي القعدة فوصل إلى مرسى يافا ضحى يوم الاثنين؛ ونزل من المركب بعض الركاب؛ ثم مشى المركب حتى وصل حيفا مغرب ليلة الثلاثاء ١١ من ذي القعدة؛ فنزلوا بها مع جملة من الحجاج. قال السيد حسن بن عبد الله الكاف: ولما أصبحنا سألنا عن سفر البابور البري (القطار) إلى المدينة المنورة؛ فقيل لنا يوم الأربعاء؛ فأخذنا أوراق النول من أربع جنيهات إلّا ربع؛ وأقمنا بحيفا يوم الثلاثاء؛ ونقلنا إليه متاعنا يوم الأربعاء؛ فلما كانت الساعة الثامنة من الليل؛ تحرك القطار مقلاً المسافرين؛ إلى حبيب الزائرين؛ ومنتهى آمال القاصدين؛ وله في طي الوعور والسهول؛ عَدْوَ الخيول؛ بل جري السيول؛ بل فوق ما تتخيل العقول؛ فأول محطة حط فيها؛ تل الشمام؛ ثم عفوته؛ ثم شطة؛ ثم بيسان؛ ثم جسر المجامع؛ ثم سمخ؛ ثم الحجة؛ ثم زيزون؛ ثم تل شهاب؛ ثم مزيريب؛ ثم درعا؛ وهي بلدة واسعة؛ ويستقر فيها البابور؛ ريثما يأخذ المسافر زاده وماؤه ويقضي حاجته. وبعد التقاء خط حيفا =

وتشاركَتْ فيه النفوسُ وأشرَقَتْ ببهاءِ رَوْنقه المنازِلُ نورَا

العيدُ عوْدُ أبي المراجِم بعدما حجَّ المناسكَ حَجَّه المبرورَا

وشفى الفؤادَ برؤيةِ البلدِ التي يحوي ثراها اللؤلُوءَ المنثورا(١)

جاب الممالكَ والبلادَ ولم يُطِلْ سَفراً ولم يتركْ حِمىً مأثورَا(٢)

كم من مَهامِةَ لفَّها بمهَامَةٍ وطوَى سهُولاً بالسُّرى ووُعُورَا

= الفرعي؛ بالخط الرئيسي المتجه إلى المدينة المنورة؛ ذهبت بنا العربات صاعدة منحدرة؛ تخترق مسالق منقورة في جبال شاهقة؛ ومنها ما تجوزه مشياً في ثلاث دقائق؛ باعتبار سيرها؛ وذلك دليل على حذاقة مهندسها؛ ونفوذ همته؛ ومررنا أثناء سيرنا على أنهار غزيرة؛ ينبع بعضها من أعالي الجبال؛ ممدودة عليها جسور من الحجارة والحديد؛ في المواضع التي يكون عليها مرور السكة الحديد؛ ومن المحطات الكبرى أيضاً؛ معان؛ وهي بلد عامر بالسكان؛ ولما انتصف الليل وقفت بنا السكة في تبوك. وحين أصبحنا يوم الجمعة أمرنا بالنزول إلى محل الكورنتينة؛ فسلمنا الأمر لله تعالى؛ وبعد تبخير الثياب؛ وتسليم اللوازم؛ أدخلنا إلى فضاء متسع مضروب عليه من الأسلاك الحديدية المشبكة؛ وفيه خيام منصوبة معدة للحجاج؛ وحواليها مضخات الماء؛ وهي الآلة المسماة بالبور؛ ويؤتى بكل ما يحتاجون إليه من طعام وادام وحطب؛ وأقمنا بها ثلاثة أيام على بسط تام؛ ولما كان يوم الاثنين ١٧ من شهر ذي القعدة أذن لنا في الخروج من الكرنتينة فسافرنا؛ ولم تزل القاطرة تجري بنا في شعاب وهضاب؛ وقد جزنا محطات كثيرة؛ وأكبرها مدائن صالح؛ وهي التي سماها الله بالحِجْر في كتابه العزيز؛ وهي بلدة كبيرة عامرة؛ وحواليها بالجانب الشمالي ديار ثمود؛ وهي مد النظر؛ وبيوتهم منحوتة من الحجارة؛ وامتد وقوفنا بها إلى أن مضت ساعة ونصف الساعة؛ وما زال ذلك الفلك البري يجري بنا؛ وقلوبنا مستبشرة باقترابنا من الرحاب المقدسة الطاهرة. ولما كانت الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء لثمان عشر من شهر ذي القعدة؛ لاحت من طيبة أعلامها؛ ودنت ربوعها وخيامها (انتهى باختصار عن كتاب حسن بن عبد الله الكاف رحلة وديوان ٩٩ ـ ١٠١) هذا وكانت العودة بعد الحج بالسفينة إلى المكلا.

(١) البلد: الدار بلغة أهل اليمن ولذا يؤنثونها فيقولون: هذه الدار نعمت البلد. وغيرهم يريد المكان فيذكره وبه جاء القرآن.

(٢) حمى مأثور: ورد الأثر والخبر بشأنه.

أنضَى بهمتِه المَطِيَّ وخطَّ في ... طِرْس الفلَاةِ بوخْدِهِنَّ سُطورَا[1]

وكم ارْتقَى ظهرَ السَّفِينِ تظنُّه ... فيها المليكَ الغازيَ المنصورَا

وكم امتطَى رَتلاً يُخيَّل أنهُ ... جَبَلٌ يفوتُ الناظِرين مُرُورَا[2]

نفَضَ الفتورَ على الكسالَى وانبرى ... يَسْعَى وصادف سعيَه مشكورَا

وكذاك خُطّاب المعالي أعوَزُوا ... إلّا الجهادَ لوصلِهنَّ مُهورَا[3]

بهُدَاكَ يا حَسنَ الشمائل يقتدِي ... من شاء يبلغُ فضلكَ الموفورَا

جئت العلَى من بابها ولنَيْلها ... جُزْتَ الطريقَ اللاحِبَ المشهورَا[4]

بك سُرَّتْ الغراءُ والغنَّاءُ من ... ألم الفِراق ترى الشهورَ دُهُورَا[5]

لم تخْوِ منذ نَأَيْتَ إلا مُقلةٌ ... شَكْرَى وإلّا مَحْجِراً مَغْزُورَا[6]

وبعَوْدِك الميمونِ عاد بهاؤُها ... وتضاحكت دُوحُ الرياضِ زهورَا

وزهتْ مساجِدُها وثاب سُرورها ... وكذا مدارسُها ابتسَمْنَ ثغورَا

ورمالُها انتعشَتْ لأنك غيثُها ... وكذا أرامِلُها انشرحْنَ صُدُورَا

حتى الجمادُ أصابَ حظّاً فانتَشَى ... يوم القُدُوم كأنَّ فيه شعُورَا

فأنعَمْ بما أُوتيتَه عيناً ودُمْ ... بِعنايةٍ مِنْ ربِّنا منظُورَا

❊ ❊ ❊

---

(١) أنضى المطى: أهزلها من شدة السير ومتابعته. الطرس: الصحيفة. الوخد: الإسراع وتوسيع الخطى في المشي.

(٢) امتطى رَتَلا: اعتلى صهوات خيل جياد. والرتل: الطيب من كل شيء.

(٣) أعوزوا: لم يجدوا لوصلهن مهوراً سوى الجهاد.

(٤) الطريق اللاحب. الواضح.

(٥) الغرّاء: اسم من أسماء المدينة المنورة. الغناء: بلد تريم.

(٦) مقلة شكري: عيناً مليئة بالدموع. محجراً مَغْزوراً. أصابه دمع غزير.

القصيدة الثالثة عشرة

بعوْدِكَ

وهذه القصيدة تهنئة لشاب؛ علّق طلاق زوجه بمضيٍّ مدة طويلة؛ فقدم فجأة قبل انقضائها بيومين؛ وهي من شعر الصِّبَا.

بـعـوْدِكَ لِـهْـبِـيُّ الـعـيـافـةِ بـشَّـرَا ... وجرَّب ما كانت دعاوية تُفتَرى[(١)]

فأصبحَ روضُ الأُنس يفترُّ ضاحكاً ... وعادَ جمادُ اللهْو والظرْفِ أخضرا[(٢)]

وقد أخنت الأيامُ تُذوِي نَباتَه ... وتَهصِرُه والعهدَ تنبِذُ بالعَرَا[(٣)]

فأنعشْتَ ذَاويه وأضحيْتَ مَيْتَه ... وأجرَيْتَ بالعَوْد المفاجىءِ جَعْفرا[(٤)]

على اليُمْن فأقدُم ظافراً بالغَ المنَى ... فحظُّك بعد النحس بالسعد أسْفَرا

لك اللّهُ من شهمٍ تَغَشْمَرْت آيِباً ... سوادَ الليالي تَرْزِمُ النوقَ بالسُّرَى[(٥)]

طوَيتَ الفيافِي كالسِّجِلِّ بضُمَّرٍ ... لتكتبَ في البيداءِ بالنَّصِّ أسطُرَا[(٦)]

---

(١) لهبي: من قبيلة لهب المشهورة عند العرب بالعيافة.

(٢) يفتر: يبتسم.

(٣) أخنت الأيام: طالت عليه. تذوي نباته: تذبله. تهصره: تكسره.

(٤) جعفرا: نهراً كبيراً واسعاً.

(٥) تغشمرت سواد الليالي: أخذت سوادها قاهراً لها وسرت فيها دون مبالاة. آيباً: راجعاً إلى أهلك. ترزم النوق: تهز لها من شدة السير ليلاً.

(٦) بضمر: بخيل مضمرة. وتضميرها أن تعلف حتى تسمن ثم ترد إلى القوت. النص: الحمل على أقصى السير.

يَحِقُّ لها إذ بلَّغتْكَ مُعرَّفا وما كدتَ أنْ تُجزَى فتُحمَى وتُوثَرَا[١]
أعذناك من ضَيْم الفرزدقِ إذ جنَى على عِرْسه ثم اقتفاها تحسُّرَا
وصلت إلى سيُّونَ دارِ الهوى التي تُباع النُّهى بالحسْن فيها وتُشترى[٢]
فألقِ عصا الترحالِ فيها وضَعْ بها جبينك للرحمن شكراً على الثَّرَى
لِيهنِك هذا العوْدُ فأنعَمْ بروْقِهِ وقِرَّ بمن تهواه قلباً ومنظَرَا[٣]
وكن لي معيناً نطلبُ المجدَ والعُلَى بعزم يَرَى ما يُعْظِم الناسُ أصغرَا
ونقطِفُ في مستقبل العمر زهرَه ونضربُ لِلذَّات واللهوِ مِزْهَرا[٤]
نميلُ كما شاء الصِّبَا في رِضَى الهَوَى علانيةً والعفوُ قد كان أجدرَا
ونعرضُ عمن لفَّق النصحَ جانباً ونُلجِمُ بالشرْع المقرَّرِ منكرَا
بُليتُ بأخلافٍ من الناسِ دأبُهم مَلامي وليسَ اللّوْمُ فيَّ مؤثّرَا
ولا ذنب لي إلّا ذكاءٌ وحكمةٌ ومجدٌ وإقدامٌ وناهيك مظهرَا
نمتْنِي إلى العلياء أمٌّ نجيبةٌ حَصَانٌ وشيخٌ طاب أصلاً وعنصرا[٥]
فإن أَعوروُا في جانبي لا أَلومهُم فقد ينكِرُ الأنوارَ من كان أعورَا[٦]
وما بالُ أبناء الزّواني بطعنِهم يُسِرُّون هلَّا كافَحُوني في المِرَا[٧]
إذاً لَرَأَوْا قوساً شديداً مفرِّقاً سهام صواب لن تطاقَ فتكْسَرَا
ودونكَ من ربِّ القريض قصيدةً إذا تليَتْ أنستك طَيْباً وبُحْتُرَا[٨]

---

(١) معرفاً: يريد الموضع المعروف.
(٢) سيون: بلدته.
(٣) بروقه: بصافيه وخالصه.
(٤) مزهراً: هو العود.
(٥) حصان: عفيفة.
(٦) أعوروا: أتوا بالعوراء وهي الكلمة القبيحة. أعور: ذو عين واحدة.
(٧) المرا: المراء والجدل.
(٨) طيباً وبحتراً: يريد أبا الطيب المتنبي والشاعر البحتري. وفي الأصل طبا وهو تصحيف.

القصيدة الرابعة عشرة

ردّ على مدائح السادة آل السقاف

وهذه القصيدة جواب عن أماديح تكررت من السادة عمر بن سقاف بن عبد الله القاضي السابق وعيدروس بن سالم وأحمد بن حسن وسقاف بن محمد آل السقاف في وقت واحد.

نعم دبَّ في ليل الجمود سنَا الفجر ... فصدّق حظّي ما تنبَّأَهُ زَجْرِي

وقد ساءَني أَن لا أَديبَ أَبُثُّهُ ... أحاديثَ أَشْهَى للنديم من الخمرْ

أُطارِحُه حُرَّ الكلام وأَشتَفِي ... بآدابِهِ في حالَي النظم والنثر

وتَحيَا به روُحي ويسلُو بقُربه ... فؤادِي وأُفشِيه الذي صُنْت من سِرِّي

وأَنْسَى به همّ الحياةِ لأنني ... ومَنْ كان مثلي عُرضةٌ لِأذَى الدهرِ

عدِمتُ كما شاءَ الأعادِي وجودَ مَنْ ... يُخفِّف من عِبءِ الزمان على ظهري

فها أنا في المعنَى فريدٌ وإن أكُن ... بمرأى غَبِيِّ القوم في عَدَدٍ مَجْرِ[1]

تكَنَّفَنِي قومٌ إذا قلتُ بينهم ... عجيباً تَرى أَسماعَهم عنه في وَقْر[2]

ينامُون للمعنَى الغريب وإنمَا ... تراهُمْ نشاءَى للملاهي وللزَّمْر[3]

وذو الفهم يُخفي الحقَّ ظلماً لِضَعْفِه ... ويجفُو ويُلقي الجحْد في موضع الشكر

---

(١) مجر: كثير جداً.

(٢) وقر: صمم.

(٣) نشاءى: ناهضين. من تنشأ للأمر نهض إليه.

إلى الله أشكو ما أُلاقي فإنَّني وحيدٌ غريبٌ بين أهلي وفي وَكْرِي[١]
نجيِّي كتابي وحده وبحمدهِ تعالى فما بي من همومٍ به تَسْرِي[٢]
وَيُؤلمني أن البلادَ التي بها نشأْتُ من الآدابِ أخلَى من القَفْر
على حينِ مدَّ العلمُ فيضَ براعةٍ على ما سواها وهْي في غاية الَجزْر[٣]
أُعَلِّل نفسي بالأماني وهل أرى ليالي آمالي تَفَتُّح عن بَذْر
نعم كوكبُ الإقبال قد لاحَ في الدجَى وروضُ المنى ألقى الكِمَام عن الزَّهْرِ[٤]
وثغرُ الحمَى يبدي ابتساماً لما رأى من البشْر في وجه الرسائل والشِّعْر
لينتعِش الإنشاءُ ولْيهْدَ بالُه بقُرْبِ أُولي الأحساب والمحتدِ الحرِّ
تجارَوْا إلى ميطانِه بين سابقٍ وبين مُصَلٍّ يقتضيه على الإثر[٥]
ومن بعدهم في السبق تالٍ وعاطفٌ ومهما يكن فالنظم منشرحُ الصدْرِ
يؤمِّل منهم أن يريشُوا جناحَه فما زال مهجورَ الفِنا عاطلَ النحر[٦]
فلو كان إنساناً لقبَّل هامَهُم من الشوقِ فعلَ الأُم بالولد البَرِّ
طرِبتُ لِما قَد جاءني من قريضكم ونمَّتْ مبادِيكم بعاقبةِ الأمرِ

---

(١) إن من يقرأ كتب الإمام ابن عبيد الله وخطبه ليتعجب من ذلك العلم وتلك الفصاحة والبلاغة والبيان وكنت أرثي له لأنه من غير الممكن أن يوجد من يماثله خارج حضرموت فكيف بحضرموت الفقيرة بالعلم والأدب والغنية بالدين والأخلاق والعبادة فلا بدَّ أنه كان يحس بالوحدة العلمية؛ بل كنت أستغرب أن يفهم الحضور ما يلقيه عليهم من الخطب البليغة والتي حوت الأفكار المبدعة والتحليل الدقيق والعلم الواسع بما يصعب حتى على الأدباء المعاصرين بالبلاد العربية فهمه واستيعابه.

(٢) به تسري: تسير وتذهب.

(٣) الجزر: ضد المدّ.

(٤) الكمام: وعاء الزهر.

(٥) ميطانه: موضع السباق. سابق هو المجلي والتالي له هو المصلي والرابع التالي والسادس العاطف. يقتضيه: يطلبه.

(٦) يريشوا جناحه: يقووه ويعينوه.

فدونكُمُ درسَ العلومِ لتُفلِحُوا ففي العلمِ مجموع الفضائل والفخرِ
ولا زلتمُ للشعر صَاغةَ عَسْجَدٍ وغاصةَ لجٍّ حاصلين على الدُّرِّ
بعيدينَ عن داءِ التَّكلُّف إنه إلى البغض والخذلان أدنى من الفِتْرِ[1]
مُزانين في مطبوعه بعوارضٍ وفهمٍ إذا لاقته مشكلة يفري[2]
وما كان تأخيرُ الجواب تهاوناً ولا عن مَلالٍ كان رَيْثي ولا هَجْرِ
ولكنَّ أهوائي كثيرٌ لأجلها أبيتُ وآرائي تَزاحَمُ في فكري
وإني وإن قابلتُ بالشكر فعلكُم أُعاتِبكُم نوعاً مع البَسْط للعُذْر
ففي قولكم بعضُ الغلُوِّ وليتكم وقَفتُم بما قلتوه عنِّي على قَدْرِي[3]
فإني لأدرَى بالحقيقةِ عارفٌ بأني أسيرُ العَيْبِ والريْبِ والوِزْر
ولكنني أرجو من الله جُودَه وغفرانَه للذنْب والجبرَ للكسْرِ
فلي من رسول الله عهدٌ موثَّقٌ ومن زوجه الكبرى ومن بنته الطهرْ
ومن بَعلْها وابنيهما سادةِ الورى ومن أُنزلتْ في مدحهم سُوَرُ الذكرِ
ولي من شيوخ العلم لحظٌ ولم أزَلْ إلى نَضَدٍ آوى من القادةِ الغُرِّ[4]
أُولئك أحبابي وحِصْني ومؤئلي وكنزي لدى البأساء والضُّر والعُسْرِ
بهم دام لي عزُّ الحياةِ وبعدَها أُؤمِّل من ربي السعادَة في قبري
وأدعُو بهم أن يصلح الله شأنكُم ويغمركم بالفضل في السرِّ والجهرِ
بحبي لهم يا ربِّ إلّا شمِلْتَنا برُحْمَي علينا فيضُها دائماً يَجْري
وأزكى صلاة بالسلام تمازَجَتْ على من بهم ترُجَى الشفاعةُ في الحشْر
نبيَّ الهدى والمرتضى وخديجةٍ وفاطمةٍ وابنيهم الطاهري النَّجْر[5]

---

(١) الفتر: ما بين طرفي السبابة والإبهام إذا فتحتهما.
(٢) يفري: يقطع.
(٣) يتبين هنا كره الإمام للإطراء خصوصاً إذا جاوز الحد
(٤) نضد: هو هنا الشرف.
(٥) النجر: الأصل.

القصيدة الخامسة عشرة

في مدح الإمام علي بن محمد الحبشي[(١)]

والثلاثة الأبيات من القصيدة التالية هي للفاضل الشهير السيد علي بن محمد الحبشي؛ وقد اقترح عليّ التذييل عليها مع السرعة؛ وألّا أعيد قافية؛ ففعلت وهي من شعر الحداثة.

ثم إن الواو الساكنة قبل الروِيِّ في «حوزه» و«فوزه» من الرِّدف الواجب التزامه في القصيدة كلها عند بعضهم، وقال آخرون بخلاف ذلك؛ لأن الواو والياء إذا سكنا وانفتح ما قبلهما؛ جريا جري الصحيح؛ قالوا: ومنه قول الكُسَعي:

يا رب وفقني لنحت قوسي ... فإنها من أربي لنفسي

ومثله بكثرة عند المولدين، وكان الأولى بنا الاحتراز عنه؛ ولكن العذر مبسوط بما سبق.

---

(١) الإمام علي بن محمد الحبشي من كبار الأولياء والصالحين بحضرموت تحصل علومه بحضرموت ثم ذهب إلى مكان إقامة أبيه بمكة وأكمل علومه فيها بإشراف أبيه الذي كان يتقلد منصب مفتي الشافعية بمكة؛ ثم عاد إلى حضرموت وتصدر للتدريس والتعليم وأنشأ الرباط العلمي بتريم حيث يأوي طلبة العلم من أنحاء حضرموت وخارجها فيقيموا بالرباط للتعلم ويتولى الرباط أمور معيشتهم كما أسس مسجد الرياض بسيؤون وله أشعار لطيفة لا زالت تنشد في الكثير من المجالس إلى اليوم كما ألّف رسالة المولد الشهير الذي تقام له الاحتفالات بحضرموت وغيرها من البلاد كما برع الإمام علي الحبشي في النحو ويعتبر هو من أعاد إحياءه بعد اندراسه وإهماله بحضرموت. وكان الإمام علي حبشي آية في الكرم وإطعام الطعام وتوفي بسيؤون سنة ١٣٣٣هـ.

بِعِزَّةِ مَن تعنُو الوجوهُ لِعزِّهِ ... ملاذي فإني في عناية حرزِه
وأشكو إلى مولاي قلةَ حيلتي ... شكايةَ ذي عجز مُقِرٌّ بعجزِه
هززْتُ بصدق الالتجا شَجَر الرّجَا ... لَعلِّيَ ألقى مقصدِي عند هَزِّهِ
وأمّلتُ من إحسانه فيضَ فضله ... وحاشاه من قطع الرجاء وحَزِّه
وعلَّقتُ آمالي به وبلطفه ... تعَوذْتُ من ضُرِّ الزمان ولَزِّه(١)
أُلِح على أبوابه في طِلابه ... وقلبيَ ملآنٌ بأدرانِ رِجْزِهِ(٢)
تعاظَمني ذنبي ولكنَّ جودَه ... كفيلٌ بغفران القبيح وجَنزِه(٣)
وإن تك نفسي قادَها بزمامِها ... هواها وأرداها بإزعاج حفْزِه(٤)
وأوقعها في الموبقاتِ وأزَّها ... إلى الإثم والبلْوَى بفاتنِ أزِّه(٥)
فما مُنقذِي إلّا ملاذي بجود مَنْ ... يُصيخُ إلى جَهر المنادي وركْزِهِ(٦)
وليسَ على أبوابه حاجب لها ... فيصرف عنها الطالبين بوَكْزِه(٧)
أما آن لي أن أعصِيَ النفسَ والهوى ... وأحذَرَ من كيد اللعينِ وغَمْزِه
وأدخلَ من باب الرجوع مبادِراً ... لَخرْقِيَ قبل الاتساع بخَرْزِه(٨)
وأقفوَ في سَيْري إلى الله مرشداً ... تمسك من يَبْغي النجاةَ بغَرْزِه(٩)

---

(١) لزه: شده.
(٢) رجزه: قذره. والضمير للقلب.
(٣) جنزه: ستره.
(٤) حَفْزه: حثه وسوقه.
(٥) أزَّها: هيجها وأغراها.
(٦) يُصيخ: يستمع. ركزه: صوته الخفي.
(٧) وكزه: دفعه وطعنه.
(٨) خرزه: خياطته.
(٩) غرزه: إدخاله وكل ما سمَر في شيء فقد غرز.

دعانا إلى نهجْ السعادة والهُدى بوعظ بدَتْ في الغَيِّ آثارُ وخْزه[١]
يَكاد يُذيب الصخرَ قارِعُ وعظه ويستلفتُ الأبصار حتى بضَمْزه[٢]
برُودُ العلى بالجِدِّ ألحمَ نسْجَها وزان سَداها من مغازلِ قَزِّه[٣]
فألبسه الإقبالُ بالعلم رونقاً يروعُ عيونَ الناظرين بطِرْزِه[٤]
وسارت به الأخبارُ في الشرق كلِّه ففي وهْدِه الصيتُ الشهيرُ ونشْزِه[٥]
ولم يَرْق أوجَ المجد إلّا بسعيهِ ومسْرَاه في تلك السبيل وجَمْزِه[٦]
وكان له التوفيقُ أفضلَ صاحب أعان على جمع الفخَار وحَوْزِه
ونيط بمسعاه النجاحُ فهذه بغُرته الغراء آثارُ فوزِه
سقى زرعَه نَهْلُ الجهاد وعَلُّه فهاجَ وطابت نفسُه يوم جَزِّه[٧]
فَمنْ مِثلُ إنسانِ الكمال وعينِه؟ عليُّ العلى مالِ المُسِيفِ وكَنْزِه[٨]
مُبيِّن آثار النبي محمَّدٍ وموضِع أسرار الكتاب ورَمزِه
بحكمته يجلُو عن المشكل الصَّدَا ويطلقُ بالتحقيق عُقدة لُغْزِه
مَرَى لقحةَ العرفان وامتصّ خِلْفَها وفاز بإدراك المنى بعد مَزِّه[٩]
وجلَّت عن الإحصاء أوصافُه التي تزين فكُثْر القولِ فيها كوَجْزِه[١٠]

---

(١) وخزه: طعنه.

(٢) بضَمْزه: بسكوته.

(٣) قزه: حريره.

(٤) الروع: المسحة من الجمال. بطرزه: ببزته وهيئته أو بشكله.

(٥) وهده: هو المكان المنخفض وضده النشر.

(٦) جمزه: إسراعه فيها.

(٧) النهل: أول الشرب وسكن وسطه للضرورة. والعلل: الشرب بعد الشرب تباعاً. جزه: قطعه وحصاده.

(٨) المسيف: من عليه السيف أو الشجاع معه السيف.

(٩) مرى اللقحة: مسح ضرع الناقة لتدر اللبن اتص خلفها: ضَرعَها. مَزَّه: مصه.

(١٠) كوجزه: كقليله.

تشرَّفتُ إذ أوْمَى بتعجيزِ شِعْرِه إليَّ وما قُطْنِي بجانب خَزِّه؟[١]
وقد سرّني من قبلُ سالفُ وعده ولكنه أبطا عليَّ بنَجْزِه[٢]

وكان وعدني أن يكتب لي إجازته؛ التي تكررت شفاهاً؛ فراث[٣]؛ لأنني لم أنزل على ما يهوى أصحابه من التسليم الأعمى له؛ فلم أعاود الطلب؛ اكتفاء بما أكثر لي والدي رحمه الله من الأخذ عن الجم الغفير من رجالات العلوم؛ وقد كان أكبرهم في نفسي؛ هو وسيدي الأستاذ الأبر؛ ولله در أبي الطيب في قوله: ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا.



(١) خزه: حريره.
(٢) بنجزه: بالوفاء به.
(٣) أي تريث وقد قرأت في كلام الإمام علي بن محمد الحبشي أنه اعتبر الإجازة التي أعطاها تلميذه عمر بن حامد شاملة لمريديه ومحبيه حتى إن العلامة أحمد بن عبد الرحمن السقاف مع قرب اتصاله به وشديد اختصاصه به لم يحظ منه على إجازة خاصة.

القصيدة السادسة عشرة

ما بين وَجْدٍ

وما زالت الرسائل في جيئة وذهاب بيننا وبين الأمير الإدريسي[(١)]؛ حتى استدعاني بواسطة أستاذة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي[(٢)]، لعله سنة

(١) ولد السيد أحمد الإدريسي بالمغرب سنة ١١٧١هـ؛ وهو شريف حسنى من الأدارسة؛ ثم سافر إلى مصر وأقام بها قليلاً؛ ثم سافر بعدها إلى مكة؛ فأقام بها ثلاثين سنة؛ واجتمع فيها بمفتي زبيد السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وقام الأهدل بنشر صيت الإدريسي في بلاد اليمن. ثم قام السيد أحمد الإدريسي بزيارة اليمن وتجوّل في أرجائها واختار مدينة صبيا القريبة من جيزان لإقامته واستقراره؛ وقد توفي السيد أحمد الإدريسي سنة ١٢٥٢هـ؛ ودفن بصبيا وأصبح ضريحه مزاراً؛ ولما كثر الزوار لمقام الإدريسي بصبيا؛ وجد ابنه السيد محمد بن أحمد أن الفرصة مؤاتية لتحويل مقام والده إلى دولة فبدأ يستخدم العشائر الموالية له لتحقيق هذا الغرض ونجح في ذلك. أما السيد محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي والممدوح في هذه القصيدة فقد ولد في صبيا سنة ١٢٩٢هـ؛ وانتقل إلى مصر والتحق بالأزهر وتخرّج منه ثم سافر إلى المغرب؛ ومنها انتقل إلى دنقلة بالسودان وتزوج هناك بابنة شيخ الطريقة الأحمدية ثم عاد إلى صبيا بأمر والده وتوفي والده بعد وصوله بنحو ثلاث أو أربع سنين. وكان الحكم التركي بعسير غير مستقر في تلك الفترة فاستغل السيد محمد بن علي الإدريسي هذه الفرصة وتمكّن بدهائه وحسن سياسته أن يؤسس حكماً قوياً وقد سطع نجمه أثناء الحرب العالمية الثانية والتي ساعدت على مد نفوذه إلى الحديدة ومعها اللحية والصليف وباجل وتوفي السيد محمد بن علي في سنة ١٣٤٥هـ. قال الإمام ابن عبيد الله في كتابه بضائع التابوت: ثم استدعاني السيد محمد بن علي الإدريسي في سنة ١٣٣٥هـ فحالت الموانع حتى تمكّنت من تلبية دعوته في سنة ١٣٤٠هـ فبالغ في التحفي بي إلى ما لا نهاية واستجاز مني وأجازني بإجازة مطوّلة.

(٢) سالم بن عبد الرحمن باصهي (١٢٨٠ ـ ١٣٣٦هـ) علامة وفقيه ولد ونشأ ببلدة شبام بحضرموت وله كثير من التلاميذ أشهرهم الأمير محمد بن علي الإدريسي وله مصنفات =

١٣٣٥هـ، فأوثقني الدهر بأَخِيَّة[1]، وما كانت الليالي سخيَّة، فجهزت له هذه القصيدة؛ فأعجب بها؛ وأقسم أنه لم يسمع مثلها؛ على كثرة اطلاعه وازدحام الشعراء والعلماء ببابه.

ما بين وَجْدٍ بالعُلى ورسيسِ ... أبداً أُكابدُ ظلمةَ الحِنْدِيسِ[2]

فِكَرٌ إذا اعتكر الظلامُ تألَّبَتْ ... لتذودَ عن جَفْني الكَرَى بخميس[3]

قلِقُ الوَضين أبيتُ رهنَ خواطرٍ ... منهن أرسُف في العذاب البئيسِ[4]

أرْعى النجومَ كأنني متَرصِّدٌ ... لمنازل المرّيخ والبِرْجِيسِ[5]

لولا الهوى ما شاقني ذكرُ اللّوى ... وبكيتُ من طلَلٍ هناك دَرِيسِ[6]

وبقيتُ بين إحالةٍ وإذالةٍ ... لمصُونِ دمعٍ في الخطوب شَرِيسِ[7]

جَلَدي وَهيَ من نظرة لم أُثْنِها ... إلّا وقد ملك الغرامُ نسيسي[8]

والمجد يَحظُرُ لي متابعةَ الهوى ... للّه من مِحَنٍ ومن تعكيس

للّه من كبدٍ تذوب أسىً ومن ... قلبٍ لعاديِّ الهموم فريسِ

يا ليتَ شعري هل لكرْبي فُرْجةٌ ... أم هل لهذا الضِّيق من تنفيسِ؟

= منها التيسير في حل ألفاظ المختصر الكبير وتوفي بشبام. (عن كتاب جهود فقهاء حضرموت للدكتور محمد أبو بكر باذيب).

(١) أخية: بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه المكسور. عروة تشد بها الدابة مثنية في الأرض.

(٢) الوجد: الحب. الرسيس أثره. الحنديس. الليل الشديد الظلمة.

(٣) اعتكر الظلام: اشتد. الخميس: الجيش.

(٤) الوضين بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير. كالحزام إذا كان رخواً. البئيس أي الشديد.

(٥) البرجيس: نجم قيل هو المشتري.

(٦) اللوى: ما التوى من الرمل. الطلل: الشاخص من آثار الديار. دريس: عاف.

(٧) إحالة: صب للدمع. إذالة: امتهان. شريس: ذي عُسْر.

(٨) لم أثنها: لم أعدها. نسيسي: بقية الروح الذي به الحياة.

هممٌ تُنيفُ على النجوم وَإنما الْـ ... أعمالُ والآمالُ في تنكيس[1]
حَتَّامَ أشرحُ ما لقيت من العنا ... وأُضيعُ في عتب الزمان نفيس؟
وعلامَ أنكر فِعلَه وطباعُه ... خَفضُ الكرام ورفع كل خسيس؟[2]
مَعْ أنَّ لي عن فادِحَات صروُفه ... شُغلاً بنشر العلم والتدريس
وعلى الحقيقةِ لي مكانٌ آمنٌ ... من بُؤسه أحمى من العرِّيس[3]
أيخافُ مِنْ أيامِهِ مُسْتَذْمِمٌ ... بمحمدِ بن عليِّ الإدريسيِ؟
رجلُ العظائم كلما قِسْنا به ... أهل المكارم فاق كلَّ مقيسِ
ذو الشَّيمَةِ الغرَّاء والوجهِ الذي ... ما شِينَ يوم البَأسِ بالتعبيسِ
ذو الجُود والمعروف والكفِّ الذي ... أبداً يجِيشُ من الندى بِبَجيسِ[4]
باني المفاخرِ بالعساكر والدسا ... كر والمذاكي والقنا والعِيسِ[5]
والعدلِ والإنصافِ والتوفيق والْـ ... إخلاصِ والطاعاتِ والتقديسِ
والعزمِ والسعدِ المحاط بهيبةٍ ... ذلت لها أُسْدُ الشرَى في الخيِس[6]
والحزمِ والتدبير والإيغالِ والْـ ... إيجافِ والإدلاج والتغليسِ[7]
شادَ العُلى وبنَى بمحكَم صُنْعه ... صرحاً على التقوى من التأسيسِ

(١) تنكيس: قلب.
(٢) خفظ: خفض.
(٣) العريس: مأوى الأسد.
(٤) ببجيس: بما يتفجر كالنبع.
(٥) الدساكر: القوى جمع دسكرة. المذاكي: من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. القنا: الرماح. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة جمع أعيس.
(٦) أسد الشرى: الشرى جبيل بتهامة كثير السباع. الخيس: سكن الأسد.
(٧) الإيغال: الذهاب في التدبير إلى أقصى حدوده. الإيجاف: تيسير الخيل وللركاب للأعداء. الإدلاج: السير ليلاً في الحروب. التغليس: السير في ظلمة آخر الليل.

بعزائمٍ كبرى ورأيٍ نافذ وحجىً لإصلاح الفساد حبيسِ
دحرَ الرَّدى وأذلَّ من مسَّ الهُدى بالكيدِ والتمويهِ والتدليسِ
كَفَلَ الشريعةَ في تِهامة فازدهَتْ بعد الضيَاع ووحشةِ التعنيسِ[١]
وأعاد للإسلام عصرَ شَبابه وكساه ثوبَ العزِّ غيرَ لبيسِ
وحَمى الحدودَ بهمَّةٍ وثَباتُها عَلويّةٌ في حرِّ كل وطِيسِ[٢]
وضَحَ الطريقُ بفاطميٍّ ماجدٍ من آل حَيْدرةَ الكرامِ الليسِ[٣]
غيثٌ يفيض نوالهُ وسيوفهُ تُروى غَداةَ الرَّوْع كل يَبيسِ[٤]
نورُ النبوّة ظاهر في وجهه السّـ ـامي عن الأرجاس والتدنيسِ
نسبٌ يقوم بذاته وفضيلةٌ جلَّت عن التشبيه والتَّقْييسِ
هذا هو الشرفُ الصريحُ لِذكره يعنُو خضوعاً رأسُ كل رئيسِ
شرفٌ نجومُ الأفْقِ تأخذُ نورَها من ضوئه فتنيرُ كل غميسِ[٥]
يا مَنْ بعارفِ فضله الأدبُ اكتسى شَرفاً وكان حِمَاهُ غيرَ أنيسِ
لعِبَ الزمانُ بآله حسداً كما أوْدَى بطسْمٍ سابقاً وجديسِ[٦]
أسعدْتَ طالعَه وكان ينوءُ في حظٍ بمَدْرجَةِ الشقاءِ تَعيسِ
وأَقمتَ للعرفان سُوقَ رواجهِ بعد الكسادِ ومحنةِ التفليسِ

(١) التعنيس: الترك والإعراض. وأصله مكث الجارية في بيت أهلها بعد إدراكها حتى تخرج من عداد الأبكار.
(٢) وطيس: معركة حربية وأصله حجارة مدورة إذا حميت لم يمكن الوطء عليها يقال في الحرب إذا اشتدت قد حمي الوطيس.
(٣) الليس: الشجعان واحده أليس.
(٤) يبيس: يابس.
(٥) كل غميس: كل ليل أو كل خفي.
(٦) بطسم: قبيلة من عاد؛ كانوا وانقرضوا. جديس: حي من العرب كانوا يناسبون عاداً الأولى وكانت منازلهم باليمامة ثم انقرضوا.

وفـتَـحْـتَ بـالإفـضـال كـل مُـقَـفَّـل ... ونَـعَـشْـتَ بـالآمـال كـل رمـيـس[1]
ومـن الـتـصـوفِ كـان جـدك بـازلاً ... ألـقـى حـمـولـتـه لـخـيـر سـديـس[2]
يـا مـن يـسـرُّ لـذكـرهِ أهـل الـتـقـى ... ويـضـام كـل مـنـافـق إبـلـيـسـي
وافـى كـتـابـكَ لـي فـأثـلـج خـاطِـري ... وخـبـأتـهُ فـي الـقـلـب لا فـي الـكـيـس
وودتُ لـو كـنـتُ الـجـواب فـصـدَّنـي ... عـذرٌ وطـيـفـك لا يـزال جَـلِـيـسـي
فـأقـبـل تـحـيـةَ مـخـلـصٍ لـك نـصـحَـه ... مـا فـيـه مـن دَخَـنٍ ولا تـلـبـيـس

❊ ❊ ❊

(١) رميس: مروس. مدفون وكل شيء نثر عليه التراب فهو مرموس ورميس.
(٢) بازلاً: يقال: جمل بازل إذا طلع نابه يريد القوة والعظم. لخير سديس: لخير وارث وأصل السديس الملقي من الإبل والغنم السن التي بعد الرباعية وذلك في السنة الثامنة.

القصيدة السابعة عشرة

في السيد الجليل أحمد بن حسن العطاس

وهذه قدمتها للسيد الجليل أحمد بن حسن العطاس[١]؛ وأنشدت بين يديه في جمع مشهور؛ وذلك بمكاننا؛ في إحدى قَدَمَاته إلى سيؤون لعله سنة ١٣٢٧هـ.

عنِّي إليك فإني للهوَى ناسي ... لا تزعجيني بذكرى بعد إيناس

قد شفَّ جسميَ فيما مرَّ منك جَوىً ... ولم يَرِقَّ لضعفي قلبُك القاسِي

ومذْ تَبَيّنتُ أنَّ الحبَّ مَهْلكة ... طفِقْت آسي فؤادي عنه باليأسِ[٢]

عنّي إليك فإن المجد يَخْطُرُ لي ... في اللهو تضييعَ ساعاتي وأنفاسي

شُغْلي بِلَمِّ شَتِيتِ العزِّ يشغَلُني ... عن عشق كلِّ دقيق الخَصْر ميَّاسِ[٣]

ودفتري ويَراعِي روضةٌ أُنُفٌ ... لِلطَّرْف تغني عن النِّسْرين والآسِ[٤]

هما نديمايَ لا أخشى عَوَارَهما ... هما جليسايَ إن أعوزتُ جلاسِي[٥]

---

(١) من علماء حضرموت الكبار ولد بحريضة بحضرموت سنة ١٢٥٧هـ وأصيب في رضاعه برمد شديد أفقده بصره إلّا أن ذلك لم يمنعه من التبحر في العلوم والسفر سنة ١٢٩٨هـ إلى مكة لدراسة علوم القرآن وحفظه ثم عاد إلى حضرموت وتوفي سنة ١٣٣٤هـ.

(٢) آسي: أداوي.

(٣) مياس: مائل يتبختر في مشيته.

(٤) روضةٌ أُنُفٌ: لم تُسرْعَ. النسرين: الورد. الآس: شجرة ورقها عطر.

(٥) عوارهما: عيبهما. أي ليس فيهما عيب حتى يخشى. وهما جليساه إن أحوجته الحاجة إلى الجلاس.

لـي غُـنـيـةٌ بـمـنـاجـاة الـدفـاتـر عـن ... مَنْ لا يُناسِبُني من جملة الناس

قد قلت ناساً ولكن ربما مُسِخُوا ... في عينِ كلِّ بصيرٍ؛ جِيلَ نَسْناسِ[١]

عمُوا عن الحقِّ تقليداً لعادَتهم ... ألا تَراهم كذا خوَّاضِ أرجاس[٢]

لا يهتدُون سبيلاً نحوَ مكرُمةٍ ... بل يَخْبِطُون على جَهْل بِدبماس[٣]

اللهُ لي من زمانٍ كلُّه عجَبٌ ... أذنابُه ظَهرتْ في موضع الرأسِ

إني غريبٌ لعُمر الله في فئةٍ ... ألقَتْ أعِنَّتها في كفِّ وَسْواسِ[٤]

هم يعذِلُوني لتفنيدِي عوائدَهم ... وما عليَّ بذاك العذْلِ من باسِ

سأُظهرُ الحقَّ رغماً عن جهالتِهم ... ولا أُبالي بدجَّالٍ وخَنَّاسِ

وأقْتَفِي إثْر آباءٍ غطارفةٍ ... بيض الوجوه غيارَى غَير أنكاس[٥]

وهل أخاف انصياعاً عن محجَّتهم ... ولي شهابُ الهُدَى من آلِ عَطّاسِ[٦]

شيخٌ تبوَّأ كرسيَّ الجمال ومِنْ ... رَاحِ الجلال تحسَّى صفوةَ الكاس

العالمُ العاملَ الغاني بعزَّته الغـ ... ـرَّاءِ مَنْ أمَّهُ عن كلِّ نبراسِ[٧]

جمُّ المناقب موفورُ المواهب مِنْ ... بَارِيه طَوْدُ المعالي الشامخُ الراسِ

غوثُ الطريد ومأوَى للنزيلِ بلا ... مَنٍّ وكنزُ أولي عُدْمٍ وإفلاسِ

---

(١) يشير إلى ما قيل أن حياً من قوم عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناساً ينقزون كما ينقز الطائر ويرعَوْن كما ترعى البهائم.

(٢) كذا: كذلك. خواض: أصله خواضين. حذفت النون للإضافة والياء لضرورة الشعر. أرجاس: أقذار.

(٣) ديماس: هو السربُ المظلم.

(٤) وسواس: شيطان وهو الخناس.

(٥) غطارفة: سادة شرفاء جمع غطريف. غيارى: جمع غيران. أنكاس: جمع نكس. وهو المقصر عن غاية النجدة والكرم أو الرجل الضعيف.

(٦) انصياعاً: رجوعاً؛ يقال: انصاع انفتل راجعاً مسرعاً.

(٧) الغاني: الذي يغني غيره.

الكاسبُ الحمدِ بالسعي الجميلِ له ... مهما تقاعَدَ عنه الطاعمُ الكاسي
حاوي الثناءَ الذي يبقَى تضوُّعُه ... عمْرَ الليالي وربُّ الفضلِ والبأسِ[١]
بحرُ المعارف زاكي الفهم مفتَرِعٌ ... خُودَ العلوم بتمكين وإعراس[٢]
حال الفقيهِ وأسرار ابن عائشة ... في همة الفخر في علم ابن عباس[٣]
ماضي العزيمة لا تُحصى فضائله ... فيه الحضارمُ سادتْ سائر الناس
حرُّ الضمير منيرُ الفكر مطلَقُه ... كشافُ غمرةِ أهوالٍ وإغلاس[٤]
منوَّر القلب ذو نفسٍ مقدَّسةٍ ... مطهَّرُ الجيبِ عن عيْبٍ وأدناس
مطهَّر الشرعِ حيث الجاهلُون به ... قد لطَّخوه بعاداتٍ وأنجاسِ
الوارث السرَّ عن آبائه النُّجبا ... عن النبيِّ بأنواعٍ وأجناسِ
المقتدِي بهُدَى أهل الكساء وهم ... حِصْنُ الشريد من اللَّأوَاءِ والباس[٥]
ذريةٌ بصريح الذكرِ قد حفِظت ... عن الدنايا برغم الجاحِدِ الناسِي
حازُوا العلاء فلَا حيٌّ يفاخرهم ... وهل يقاسُ الحصَى بالدرِّ والماسِ
يا أيُّها العارف الباني بحكمته ... صَرْحاً من النور مرفوعاً بأساس
وجدتُني في جمود قبل صحبتكم ... واليوم أنكرتُ إدراكي وإحساسي
ألفَيتُ ما سرَّني مذ جئتُ مقتبساً ... من ضوئك السافِر السامي بمقباسي[٦]
فلاحِظُوني وكوني إن عَرَى فَزَعٌ ... أنتم حُماتي من الأهوا وحُرَّاسِي

---

(١) تضوعه: فيحان رائحته وانتشارها.
(٢) افترع الخود: فض بكارة الحسان الناعمات. الإعراس: الدخول بالزوجية.
(٣) الفقيه ربما هو الفقيه المقدم والفخر هو الفخر الرازي.
(٤) الأغلاس: الدخول في الغلس وهو ظلمة آخر الليل.
(٥) اللأواء: الشدة.
(٦) مقباس: آلة القبس.

وواصلوا سقيَ غرسٍ كان واضعُه شيخَ الطريق الإمامَ المصلحَ الآسِي[1]
وارْغَبْ إلى الله يعطيني مآربَ لي من عُظْم همّي بها صعَّدتُ أنفاسِي
واقبل خريدةَ مدحٍ من أخي مِقَةٍ يحارُ فيها زيادٌ وابن مِرداس[2]
واسْلَم ودُمْ وصدورُ الحاسدين لكم في حَشْرةٍ وتباريحٍ وَوَسْوَاس

* * *

(١) ربما يشير هنا إلى الإمام عبد الله بن علوي الحداد.

(٢) مقة: محبة. زياد: النابغة الذبياني. ابن مرداس: هو العباس السُّلمِي الذي قال له الرسول ﷺ: لا فضَّ فوك عندما أنشده البيت الآتي من قصيدته:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

القصيدة الثامنة عشرة

مهداة للسيد عبد الله بن علوي العطاس

وهذه القصيدة كان إنشاؤها بمنزل السيد عبد الله بن علوي العطاس(١) في «حريضة»(٢) بعد ما بالغ في الاحتفاء بنا وأخجلنا بلطفه ودماثة أخلاقه وتواضعه وذلك أواخر سنة ١٣٢٩هـ، وكنا اعتدْنا ذلك الوقت؛ لزيارة ذلك الطرف؛ مع الأخ حسن بن عبد الله الكاف(٣)؛ ثم عزم معه من لا يناسبُنا؛ فخار الله لنا في ذلك؛ فإن الذين ساروا معه اندمجوا فيه؛ فلم يعد يذكرهم ذاكر؛ ولا يسأل عنهم سائل؛ وكان لنا ثَمَّ شأنٌ عظيمٌ؛ وسُرَّ بنا أهل تلك النواحي.

---

(١) قال الإمام ابن عبيد الله في رحلته الدوعنية والتي قام بها في شوال من سنة ١٣٢٩هـ: وجاء السيد العلامة عبد الله بن علوي العطاس وكنا نحسب لما نسمع ويسمع الناس من صيته الذي ملأ سمع الأرض وبصرها أن يأتي في موكب عظيم وبزة فاخرة وخدم وحشم فإذا هو مثال التواضع وإذا حاله بمكان سحيق عما عليه عشاق الشهرة الكاذبة والرسوم الموهومة والجاهات المنفوخة وأما ظهوره ذلك الظهور الذي لا غبار عليه فإنما هو سرُّ الحديث: «إذا أحب الله عبداً نادى في أهل السماء أن أحبوه ثم يوضع له القبول في أهل الأرض» ورأينا منه سعة صدر ودماثة أخلاق ولين جانب وعلماً كثيراً وفضلاً غزيراً ثم تحدث الإمام عن أحداث اليوم الثاني فقال: وهناك طاب الحديث واستولى على القلوب الجذل وفي هذه الأثناء أنشدت سمو السيد عبد الله قصيدتي الآتية ممتدحاً بها حضرته وهي هذه: خل الغرام وداوه بالياس إلخ؛ وجنابه حال الإنشاد يتأثر تواضعاً من المديح (انتهى بتلخيص).

(٢) حريضة بلدة من أعمال وادي عمد بحضرموت قال الإمام ابن عبيد الله في المعجم: إنها سميت باسم قبيلة من حمير وقيل: إن أصل تسميتها قريضة وكان يسكنها اليهود ثم أسلموا ثم ارتدوا إلى اليهودية وبقوا عليها إلى زمن المهاجر أحمد بن عيسى (انتهى بتلخيص).

(٣) سبقت ترجمته.

خَلِّ الغرامَ ودَاوِه باليَاس   وتناسَ عهدَ الفاتنِ الميَّاس[1]
ماذا لقيتَ مِنْ الصَّبابةِ والهَوَى   غيرَ الضَّنا من شدَّةِ الوَسْوَاس
تشكو البِعاد إلى الخِراد كأنما   تشكو إلى الحَجَرِ الأصَمِّ القاسِي[2]
كم ذَا تكابدُ من جَوَىً وكآبةٍ   وأذيةٍ وبَليَّةٍ وتقاسِي
أتلفْتَ وقتكَ في الهوى وأذَلْتَ في   حُبِّ الملاح جواهرَ الأنفاسِ[3]
والعمْر رأس المال إن لم تُفْنِه   في البِرِّ رُحْتَ ضحيَّة الإفلاسِ
فدَعِ الغَوايةَ والبَطالَة جانباً   واحْذَر من التسويفِ والإبلاسِ[4]
وانهَضْ على قدمٍ لإدراك العُلى   واقْتَدْ بعالي الهمَّة العَطَّاسِ
علَمُ الهدَى غيظُ العِدَا جمُّ الجَدَا   ربُّ المكارم والنَّدَى والباسِ[5]
فَلَقُ الهدايةِ والسعادةِ نورُه   كافٍ عن القمرَيْنِ والنِّبراسِ
بحرُ المعارفِ والعوارفِ والنقَى   جبَلُ العلومِ المشْمَخِرُّ الراسِي
زاكِي النِّجارِ وطاهرُ الأثوابِ والْـ   آدابِ والأغصانِ والأغراسِ[6]
كنزُ العديم وذخرُ كلِّ مؤَمِّلٍ   كشَّافُ ليل الجدبِ والإغلاس[7]
ربُّ العزايم ذو المراحِم همُّهُ   تشتيتُ شملَ المالِ بينَ الناسِ
يَعْرَى من الأموال لكن يكْتَسِي   حُللَ الثناءِ وهنَّ خيْرُ لِباسِ

---

(١) بالياس: باليأس والإعراض. المياس المائل تبختراً.
(٢) الخراد: جمع خريد والخريدة البكر التي لم تمس قط.
(٣) أذلت: أهنت
(٤) الإبلاس: القنوط وقطع الرجاء.
(٥) الجدا: العطية.
(٦) النجار: الأصل.
(٧) الإغلاس: الإظلام.

ملأ البسيطةَ صيتهُ وتذلّلتْ لسموِّه الكبراءُ بعد شِماسِ[١]

خطبَتْه للعزِّ العنايةُ مثلَ ما خُطِبَ المناجي ليلة المقْباسِ[٢]

وسقَتْه سابقةُ الفلاح مُدامةً خَفِيتْ لرقَّتها عن الجُلّاسِ

تلك المدامُ هي اليقينُ وحقُّه وافاهُ دَائرُها بملءِ الكاسِ

فسمَتْ إلى الملكوتِ منها روحهُ وغَدَا بِها مستغرَق الإحْساسِ

كُشِفَ الغطاءُ لعينِه لمَّا صَفا من غَيْنِه ونأى عن الأرجاسِ[٣]

وكذاك من جَعل العبادةَ قوتهَ والسرَّ طهَّرهُ من الأدناسِ

ومشى على سَنن الهدى متسمِّتاً بالسيرِ إثر السادةِ الأكياسِ[٤]

سبحان من قَسم الحظوظ لحكمةٍ بتفاوت في الناس بالقسطاسِ

يا أيُّها العلَم الذي لم ينحَصِرْ لي مدحُه بالعَدِّ والمقْيَاسِ

وافاك ذُو خجل لأن مسيرَه بالرجل لا بالعين أو بالرأس

جَلَبَ الجمانَ إلى عمانَ وما على ذي القلِّ في مجهوده من باس[٥]

واقبلْ «فِدًى لك حاسدوك» قصيدة من صادقٍ فضَحَتْ فروعَ الآس

واسْلم ودُمْ للمجد قرَّةَ عينه ونفوسُ من عادَى عُلاك خواسِ[٦]

* * *

---

(١) شماس: شرود وجموح.

(٢) يشير إلى اصطفاء الله تعالى لنبيه موسى ﷺ حين ناجاه بالطور وآنس موسى من جانبه ناراً وأمل أن يأتي لأهله منها بقبس لعلهم يصطلون.

(٣) غينه: غيمه يريد به ما يغشى القلب من الشواغل. الأرجاس: الأقذار. يريد بها الأغيار.

(٤) الأكياس: الفطنين الحاذقين.

(٥) يريد أن عمان مشهورة بالجمان فلا يجلب إليها.

(٦) خواس: منتقصة.

القصيدة التاسعة عشرة

لصديق من يافع

وهذه القصيدة قدمتها لصديق من يافع[١]؛ جواباً عن كتاب يستشير فيه؛ عما يُعْرَفُ منها؛ وأنشأتها في سنة ١٣٢٧هـ.

لغاياتِ المكارمِ والمساعي ... توجَّهْ مُسرعاً يابن الضباعِي
وصُنْ شرعَ النبيِّ بكلِّ حُرٍّ ... كميٍّ باسلٍ بَطلٍ شُجاعِ
ودافِعْ عن حريم الدِّينِ مهما ... عَدَا عادٍ وبالِغْ في الدفاعِ
ولا تخْشَى وأنت له نصيرٌ ... بحولِ الله من شرِّ الضِّياعِ
لقد حَصَّنْتَهُ بشديدِ باسٍ ... وأردَيْتَ العِدَا يومَ القِراعِ
بجأشٍ رابطٍ ونفوذِ رأيٍ ... بلغْتَ إلى العُلَى وبطولِ باعِ
وشيَّدتَ المفاخرَ والمعالِي ... بنفسٍ لا تميلُ إلى المتاعِ
وكم غَمَزَتْ جواسيسُ الأعادي ... قَناتَك واستمالُوا بالخِداع
فما ظفِرُوا بشيء منك إلّا ... بإعراضٍ وسَمْعٍ غيرِ وَاعي
حفظتَ لدولةِ الأتراكِ حقّاً ... وكنتَ لعهدها نِعْمَ المُراعِي

---

(١) كأنَّ هذا الصديق من سلاطين يافع وأنه استشار الإمام ابن عبيد الله في مسألة تأييد الأتراك والانضمام إلى جيش علي سعيد باشا الذي احتل لحجاً أو الإبقاء على موالاة الإنجليز فنرى الإمام يحرضه على مساندة الأتراك الذين احتل جيشهم الصغير لحج ثم قرر الزحف على عدن وأعد الإنجليز العدة لمغادرتها لولا انهزام الأتراك في الحرب العالمية وإصدارهم الأوامر للجنرال علي سعيد باشا بتسليم لحج للإنجليز حسب شروط الصلح في الحرب.

فـمدَّ لـهـا يـمـيـنَـك عـلَّ تـحَـظَـى بـنـفْـع مـن عُـلَاهـا وانْـتِـفَـاعِ
وَبـايِـعْـهـا وشُـدَّ عُـرَى الـتـآخِـي ودِنْ لـسُـمُـوِّهـا بـالاتِّـبـاع
فـقـد نَـهَـضَـتْ بـهـمَّـتـهـا وكـانـت بـمـنـخـفِـضٍ فـعـادَتْ فـي ارتـفـاعِ
وصـارتْ بـعـد أن خُـسِـفَـتْ زمـانـاً لـعـهـد الـجَـوْرِ سـاطـعَـة الـشـعـاعِ

نشيد لطلاب مدرسة الشحر[1]

مـنـا لـكـم أسـنـى سـلامْ أزكـى مـن الـمـسـك الـخـتـامْ
مـا نـاحَ فـي الـروض الـحـمـامْ ومـا بـكـت عـيـنُ الـغـمـامْ[2]
دمـتُـم وطـالِـعـكُـم سـعـيـدْ ولـكـم جـمـيـعُ الـدهـر عـيـدْ
والـخـيـرُ يـأخـذُ فـي الـمـزيـدْ والـسـعـيُ يـجـري لـلأمـامْ
جِـدُّوا فـإنَّ الـيُـمـنَ لاحْ ونـتـيـجـةُ الـجِـدِّ الـفـلاحْ
هـذي تـبـاشـيـرُ الـنـجـاحْ وعـلـى إلـهِـكُـم الـتـمـامْ
صـبـراً لـيُـثْـمِـرَ مـا انـغَـرَسْ والـلّـه يُـحـيـي مـا انْـدَرَسْ
وارْمُـوا الـعـواذِلَ بـالـخـرَسْ بـثـبـوتـكُـم فـي ذا الـمـقـامْ
هـذا الـمـقـامُ هـو الـشـرفْ لـيـس الـتـقـلـبَ فـي الـتَّـرَفْ
والـنـومَ فـي ظِـلِّ الـغُـرَفْ فـحـذارِ مـن كَـسَـلِ الـلـئـامْ
واسـتـشـعِـرُوا أنَّ الـبـلادْ مـن قـبـلُ فـيـهـا الـعـلُـم سـادْ
ولـذاك سـمُّـوهـا سُـعـادْ قـد أنـجـبـتـكُـم مـن هُـمـامْ[3]
مـنـا لـمِـنْ فـي ذا سَـعَـى ولـمـنْ أعـانَ تَـطَـوُّعـا

---

(١) قيلت هذه الأبيات في مدرسة الشحر سنة ١٣٤٠هـ.
(٢) الغمام: السحاب.
(٣) سعاد من أسماء الشحر ولهذا يقول الشاعر المحضار: بانلتقي في سعاد.

شـــكـــرٌ يـــمـــازجــه الـــدُّعـــا بـــبـــلـــوغ أقـــصـــى مـــا يُـــرامْ
مـــتـــوســـلـــيـــن إلـــى الـــقـــبـــولْ بـــأبـــي الـــمـــطـــهَّـــرة الـــبـــتـــولْ
وبـــهـــا وبـــابـــنـــيـــهـــا الـــعُـــدولْ وبـــزوجـــهـــا الـــقـــرْم الإمـــامْ[1]

❊ ❊ ❊

(١) القرم: السيد.

القصيدة العشرون

تهنئة بقدوم صديق[(١)]

قدومٌ له في طالع السَّعْد أنجمُ   ووصْلٌ به ثغرُ الحِمَى يَتَبَسَّمُ
وعيدٌ به عادَ السرورُ فيومُه   يُقِرُّ لَهُ باليُمْنِ من لا يُنَجِّمُ
به انتعشَتْ دُوحُ الرياض كأنَّما   سَقاها وحيَّاها من الغيث مُثْجِمُ[(٢)]
ربيعٌ به تنموُ وتَزْهُو زهورُها   ففي كلّ باعٍ منه ثوبٌ مُنَمْنَمُ[(٣)]
وتلك الحمامُ الوُرقُ فوق غصُونها   تغنِّي بطيبِ الملتَقى وتُزَمْزِمُ[(٤)]

---

(١) وهي تهنئة بقدوم صديق سنة ١٣٢٤هـ ويعتقد المحقق أن هذا الصديق هو السيد حسين بن محمد الحبشي الذي زار حضرموت في هذه الفترة ويعزز هذا الاعتقاد ذكر الحطيم والبيت العتيق في القصيدة وفيه إشارة إلى محل إقامة الممدوح في مكة؛ وكان الإمام ابن عبيد الله يحبه ويقول: إن قدومه لحضرموت يجعل الأيام أعياداً. وقد ولد السيد حسين بن محمد الحبشي في حضرموت ثم انتقل مع والده إلى مكة وأقام بها إلى وفاته سنة ١٣٣٠هـ وتولى إفتاء الشافعية بمكة وهو أخو الإمام علي بن محمد الحبشي. وربما كان السبب في عدم ذكر اسمه كون الديوان طبع بعد وفاة الإمام ولم يعد أحد يتذكر أسباب إنشاء قصائد هذا الديوان.

(٢) دوح الرياض: أشجارها الكثيرة العظيمة. مثجم من الغيث: دائم لا يقلع.

(٣) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما. ثوب منمنم: مرقوم موشًى. شبه به الزهور المزدهرة.

(٤) تزمزم: الزمزمة الصوت البعيد تسمع له دوياً. هديل الحمام: صوته. أي تصويته. الترنيم: تطريب الصوت والتغني به. غنت الحمائم بطيب الملتقى ثم سلت عن تصويتها بالتلاقي. وأصبحت بعده تغني بالتهاني باللقاء.

سلتْ عن هديلٍ بالتلاقي وأصبحت عقيبَ المراثي بالتهاني تُرَنِّمُ[١]
وألقَتْ رياحينُ الغِياضِ كمامَها فضاءتْ بها الغاباتُ والليل مظلمُ[٢]
وضاع الحمى نشراً وما ثَم عَنبرٌ ولكنَّ رَيَّا الملتقَى تتنَسَّمُ[٣]
نُهنِّيك بالمأتي السعيدِ الذي به تبشرُنا من قبل لِهْبٌ وتُقْسِمُ[٤]
قدِمتَ قدومَ الغيث فاهتزَّت الرُّبى وأثَّتْ وأضحت فيك تَثْرَى وتنعَمُ[٥]
وفيك التقى لطفٌ وروحٌ خفيفةٌ وظَرْف بلا قيدٍ وفضلٌ مسلَّمُ
وجِدٌّ لإدراك المكارم والعُلَى ولا شك أن الجِدَّ للفوز سُلَّمُ
فيا أيُّها الشهم المليح الذي على مُحيَّاه للإقبال واليمن ميسَمُ[٦]
لقد طال تسآلِي الرفاقَ لِلَوْعتِي إليك وقلبي ناره تتضَرَّمُ
ومنذ افترقنا والفؤادُ متيَّمٌ مُعَنًّى ودمعي في المحاجر عَنْدمُ[٧]
أخاف الردَى من حُرقة البيْنِ والنوى ولكن خيالٌ منك عندي مخيِّمُ

---

(١) تزمزم: الزمزمة الصوت البعيد تسمع له دوياً. هديل الحمام: صوته. أي تصويته. الترنيم: تطريب الصوت والتغني به. غنت الحمائم بطيب الملتقى ثم سلت عن تصويتها بالتلاقي وأصبحت بعده تغني بالتهاني باللقاء.

(٢) الغياض جمع غيضة وهي البقعة الكثيرة الأشجار والكمام أوعية الثمر. الغابات جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر المكثف لأنها تغيِّب ما فيها. وضاع نشر الحمى: فاحت وانتشرت رائحته الطيبة. الريَّا: الريح الطيبة.

(٣) الغياض جمع غيضة وهي البقعة الكثيرة الأشجار والكمام أوعية الثمر. الغابات جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر المكثف لأنها تغيِّب ما فيها. وضاع نشر الحمى: فاحت وانتشرت رائحته الطيبة. الريا: الريح الطيبة.

(٤) لِهْبٌ: قبيلة زعموا أنها أعنف العرب وأعرفهم بزجر الطير ومن ينسب اليها يسمى اللهبِي.

(٥) الربى: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض وزرعها أجمل الزرع وأشرفه. أثّت: كبرت والتفت أشجارها. تثرى: تفرح وتُسَرْ يريد أصبحت في قدومك إليها تفرح وتنعم.

(٦) ميسَم: أثر الوسم أي علامة.

(٧) عندم: هو المعروف بدم الأخوين.

يهُوِّنُ من وجْدِي وأشكو له الجوى ... ونحن سكوتٌ والهوى يتكلمُ

لئن ساءني دهري بوحشة فُرْقةٍ ... فتكفيرهُا هذا القدومُ المكرَّمُ

قدوم كأن الزُّهْرَ كنّ نِثارَه ... تساقَطَ منها فيه مَذٌّ وتوأمُ[1]

ليهنكِ يا سيّونُ أروعُ ماجدٌ ... نجيبٌ له من قِمةَ الفْهم أسهم

تَبَوَّأَ من حِجْر الحطِيم مقاعداً ... وشرَّفهُ البيتُ العتيقُ المعظَّمُ

وحلَّ من البطحاءِ أوسطَ منزلٍ ... ودرَّت له بالفضل والنُّبل زَمزمُ

فلا زال في أمنٍ وخفضٍ ونِعمة ... تخفُّ به الألطاف والسعد يخدمُ

* * *

(١) الزهر: النجوم الزهراء. فذ: واحد. توأم: اثنان وأكثر.

القصيدة الحادية والعشرون

تهنئة بقدوم شاب نشيط إلى سيؤون سنة ١٣٣٢هـ

مـلأ الـوجـوهَ نِـدَا الـبـشـيـر مـن الـسَّـنـا ... وشفَى النفوسَ من الصَّبابة والضَّنَى[١]

وحـشَـى صـدورَ الـوامِـقـيـنَ مـسـرَّةً ... وشجَى قلوبَ الحاسدين وأحْزنا[٢]

وأسـرَّ طـلاب الـعـلـوم لأنـهـم ... ذَاقُوا اللذيذَ الحلو من ذاك الجَنَى[٣]

طـارت قـلـوبُـهـمُ ابـتـهـاجـاً وانـثَـنَـوْا ... يَـتْـلُـون آيـات الـتـهـانـي والـثـنـا

يـا طـالـمـا اقـتـرحُـوا عـلـى أيـامِـهـم ... حُـرًّا ومَـدُّوا لاجْـتِـلاهُ الأعـيـنـا

وأبـى الـزمـان وِفـاقَـهـم لـكـنَّـه ... قـد جاء معـتذراً لـيَـمْـحـوَ مـا جـنَـى

فـلْـتـنـتَـعِـشْ بـمـحـمَّـدٍ آمـالُـهـم ... ولْـيـبـلـغُـوا بـقـدومِـه أقـصـى الـمُـنَـى

أهـلاً بـحـامـل رايـة الـشـرف الـتـي ... مـن أجـلـهـا بـاع الـتَّـرَفُّـهَ بـالـعَـفـا

عـشِـق الـفـخـارَ وجـدَّ حـتـى حـازه ... وسعَى لـه سعْـي الـمـجـدِّ بـلَا وَنـا[٤]

جـوَّابُ أرضِ الله لا يـنـفـك مـن ... سَـفَـر لإدراك الـعُـلـى إلّا انْـثَـنَـى

بـعـزيـمـةٍ كُـبـرى وعـالـي هـمَّـةٍ ... أِلف الـوَجَـا وعـلـى الـجـهـاد تـمَـرَّنـا[٥]

---

(١) ندا البشير: نداؤه. السنا. الضياء. الصبابة: رقة الشوق. الضنى: المرض الشديد.

(٢) الوامقين: المحبين. شجى: أحزن.

(٣) أسرَّ: لم نقف على استعمال أسر بمعنى سر.

(٤) بلا ونا: بلا توان.

(٥) الوجا: شدة الحفا.

والمجدُ معتاصٌ على من شاءَه ... إلّا إذا ضَحَّى الأماني والهَنا[١]
ونفي الرُّقادَ وحاد عن طيبِ الكرىَ ... ورأى القَتادَ من النمارقِ أليَنا[٢]
أهلاً بمن جعل المصَوِّرُ ذاتَه ... للحسْنِ والحسنى مثالاً بَيِّنا
كرماً وإحساناً وظَرْفاً وافراً ... وحجىً وآداباً وخُلقاً لَيِّنا
ولطافةً وصباحةً وفصاحةً ... وبراعةً ويراعةً وتفَنُّنا
ومعارفاً دَرَّتْ له أخلافُها ... والعلُم للإنسانِ أفضل ما اقتنى[٣]
ربَّاهُ والدهُ وثقَّفَ خُلقَه ... وبحُسْنِ نِيِّته أَقَرَّ الأعْيُنَا
أهلاً بمن يروِي الندَى عن أهله ... وهم الأولى للفضل كانوا مَعْدِنا
مَلَؤُوا القلوب من الجلال وأعجزُوا ... عن شكرهم أقلامَنا والألسُنَا
وافيتَنَا يابنَ الشجاع وحزْبُنا ... في حاجةٍ لفتىً يقوّي ما بَنَى
بطل غيورٍ يَلمعِيّ نافذٍ ... يقظٍ إذا اشتبَه الصوابُ تفَطَّنَا[٤]
حرَّ الضَّميرِ مجاهرٍ بالصدقِ إن ... كتَم الحقيقةَ ذُو نفاق أعلَنا
وافٍ على الحالين يضمنُ خيمهُ ... أن لا يلينَ لغامز أو يَجْبُنا[٥]
ولرُبَّ خِلٍ في الرخاء نعُدُّه ... عضداً إذا نزل البلاءُ تلوَّنا
بينا نفتِّشُ عن خليلٍ جامع ... تلك الفضائلَ إذ قدِمتْ فقلْ أنا
وأَعِنْ على نصرِ الهدى فَلنَصْرُه ... قد صار لي حَسْبَ اقتدارِي دَيْدَنا
بالبيناتِ كشَفْتَ رَبَّ ضلالة ... وأتيتَ بالحقّ الصريح مبَيَّنَا
وعُنِيتُ بالتحقيق حتى دبَّ في النَّـ ... ـشْء الشعورُ بفضل هذا الاعتنَا

---

(١) معتاص: شديد شاق.
(٢) القتاد: شجر ذو شوك ضخم. النمارق: الوسائد.
(٣) أخلافها: ضروعها جمع خلف.
(٤) يلمعي: ألمعي.
(٥) خيمه: شيمته وطبيعته.

فاستاءَ حسادُ الصلاحِ وفَوَّقُوا نحوى السهامَ وحاولوا أن أُذهِنَا[1]

وتفنَّنُوا في الاختلاق وأعْوَزُوا عيباً به يجدون فينا مطعَنَا[2]

حسد توكّن في هشيم صدورِهم والحرُّ مثلي حربُ أبناءِ الزنا[3]

لا عارَ يلحقُني فعِرضِيَ طاهرٌ ما مسَّه دنسُ الدناءةِ والخنَا

فلأصبرَنَّ على الأذى صبرَ الألى عدُّوا العَنَا في المجد أمراً هيِّنا

واللهَ أسأل أن يوفقنا لما يرُضي ويرحَمُ كلَّ عبد أمَّنا

وعلى النبيِّ وبنته ووصيِّه وابنيهما التسليمُ ما اهتزَّ القَنا[4]

وبكى الغمامُ وفاح بالمسك الختا مُ وطارح الساقُ الحمائمَ بالغِنا[5]

❊ ❊ ❊

---

(١) أدهن: أنافق.

(٢) أعوزوا: احتاجوا.

(٣) توكن: تمكن في صدورهم الهشيمة التي يبس ما فيها وبَلِيَ.

(٤) القنا: الرماح.

(٥) الساق: هنا الغصن ولاهتزازه حفيف يشبه غناء الحمائم.

القصيدة الثانية والعشرون

في جماعة من أهل سيؤون

وهذه بمناسبة عود جماعة من أهل سيؤون[١]؛ كانوا على رأينا في إنكار الخرافات؛ والشدَّة على أهل الدعاوى الكاذبة؛ غير أنهم لما جدَّ الجِدُّ؛ خضعوا لبعض القول؛ والتحَفُوا بثوب الدهان؛ وأخذموا[٢] على العار؛ فكأنما نصبونا للعداوة؛ ثم انهزموا. فأكرمناها عنهم؛ ولم نقدِّمها لهم؛ وبقينا نَجِدُّ في شوطنا الطويل، غير مبالين بانحرافهم؛ مع الاعتماد على الدليل.

بِعَوْدِكُمُ كلُّ ذي ودٍّ يُهَنِّينَا ... إذ قربُكم عندنا أقصَى أمانِينَا

سُرَّتْ قلوبُ مُحبِّينا بعودتِكم ... وغُصَّ بالريقِ شانِيكُم وشَانِينَا

ليتَ الأُلى هنؤونا بالقدوم مَضَوْا ... من فوزهم لأعادِينا معَزِّينَا

نسائلُ اللّهَ في أيام غيبتكم ... طيَّ البِعاد فقال اليُمْنُ آمينا

فالحمد للّه رَوْضُ الأنس يانعةٌ ... أثمارُه ثِقْلُها أدنى الأفانِينا[٣]

ما كان أحوجَنا في خفضِ عيشِتنا ... لِوَصْمة من سهام العينِ تَكفِينَا[٤]

لكن وقايةُ مولانا وقوّتُه ... من شرِّها ومن الأسحار تَحْمينَا

---

(١) سيؤون مدينة كبيرة بحضرموت وكانت عاصمة للدولة الكثيرية وقد ذكر الإمام في الجزء الثالث من مخطوطة بضائع التابوت أسماء بعض هؤلاء القوم.

(٢) أخذموا: سكنوا إليه.

(٣) ثِقلها: حملها الثقيل لكثرته؛ أدنى أغصانها من الأرض. الأفانين جمع أفنان وهو جمع فنن وهو الغصن.

(٤) لوصمة: لِعيْبَةٍ فينا تكفينا شر حسدهم.

أعاذَ نعمتَنا الباري بحيطَتِهِ ... وتلك عن عُوَذِ الرَّاقِينِ تُغْنينا[١]
قدومكم كالحيَا لكنْ صواعقُه ... عند العِدَا والنَّدَى يغشَى المسَاكينَا[٢]
أذْوَتْ غصونُ المعالي بعد بينِكُم ... فَجِيتُم لعروق الجود مُحْيينَا[٣]
وقد عرفتُ الأخِلّا واختبرتُهُم ... فلم أجد مثلَكم فيهم وَفِيِّنَا
ألفَيتُكم لا يحولُ العهد عندكُم ... مهما رأينا من الأصحابِ تلوِينَا
ولم يَغِضْ عندكم ماءُ الوفاء إذا ... ما غاضَ عند الأخلّاء المُدَاجِينَا
أعيا طِلابي خليلاً لا دِهانَ لهُ ... فساق حظّي لِيَ الغُرَّ الميامينَا
أحلافُ صدقٍ لِغايِ المكرمات جَرَوْا ... وفي ميادينها جاؤوا مُجَلِّينا[٤]
وأرْخَصُوا في سبيل المجد ما بَخِلَتْ ... به الوَرَى وسَعَوْا سعيَ المجدِّينَا
أهلُ الوفاء وإخوان الصفاء ومَنْ ... إذا دُعُوا للعلى جاؤوا مُلبِّينا
وافيتُم وقُصارَى ما نؤَمِّلُ أنْ ... تُعاونونا على إصلاح وَادينَا
وتُسعِدُوا حزبنَا هذا المناطَ بكم ... ألستمُ لمبَانيهِ الأسَاطِينَا؟
حزبٌ مشى خُطواتٍ في مدارجِه ... وزادهُ الله تأييداً وتمكينَا
ها قد وقَفْنا لنصر الحق أنفسَنا ... وبالبراهين بيّنّاه تبيينَا
ندعُو العبادَ إلى هَذْي الرشاد وما ... بغير سنَّة طه نخْدُمُ الدِّينا
وقد كشفنا بأنواع الأدلة ما ... غطَّت به الحقَّ أوهامُ المرائينا
فقوَّض النصُّ ما شادوُه من كذبٍ ... وبانَ تمويهُهُم عند المريدِينَا

---

(١) عوذ: جمع عوذة وهي ما يتعوذ به من العين ونحوها.

(٢) صواعقه عند العدا تصيبهم بمرماها.

(٣) أذوت: ذبلت.

(٤) لِغاي المكرمات: لغاياتها مجلينا: أسبق من سواهم وفي الأصل مصلينا ولعله تصحيف والأنسب ما أثبتناه.

وكم أَرادوا انثِنانا عن طريقتنا ... لكنهم ما رأوا في عُودنا لِينا[1]

فهاجرونا وراموا ضُرَّنا وبَغَوْا ... وافتَنَّ أذنابُهم في طعنهم فينا

قالوا ابتداعٌ وسحْرٌ فعلُنا وكذا ... مَنْ قبلهم قيلَ هذا للنَّبِيِّينا

سيَّانِ إن رَضِيُوا عنا وإن سَخِطُوا ... إذ كان عنَّا كرام الخلق راضِينا[2]

* * *

---

(١) انثنانا: انثناءنا.

(٢) رضيوا: الصحيح لغةً رضوا.

القصيدة الثالثة والعشرون

في ابنه الأديب الشاعر حسن[1]

دُمْتَ في نعمةٍ وحِرْزِ أَمانِ	قد أعذناك من عيونِ الزمانِ
بِعَلِيٍّ وزوجِهِ وبنيها	وأبيها وسَبع أو ثمان
لا تخف شرَّ حاسدٍ مع هذا	فعلَى الطيبينَ غُرْمُ الضمانِ
سرَّنا منك ما يبشِّر بالعُقْبى	قريضٌ أتى كعِقد الجُمَانِ[2]
فالمعاني كأنهنّ الغواني	والمباني كدرٍّ بحر عُمَان
والمعالي تزهو بقربك إذ كا	نت يمانيَّة وأنت يماني
نتمنى على الزمان أدِيباً	فتجلّى لنا بصيصُ الأمانِي[3]
خوَّلتنا بك الليالي جميلاً	فلها الشكرُ واجبٌ رغم مَانِي[4]
شِرْن أرْياً من بعد شَرْيٍ فهذا	غِبُّ جَذْبِ العِجافِ خِصْبُ السِّمانِ[5]
فعسى أن يكون فيك عزاءٌ	عن رفاق فُقدانهم قد رَمانِي

(١) لم يذكر في الأصل اسم الممدوح لكنني توقعت من معنى القصيدة؛ أن يكون خطاب الإمام موجهاً لابن الإمام الشاعر الأديب حسن وقد سبقت ترجمته ومما يعيب الطبعة الأولى للديوان هو خلوّها من التعريف بسبب إنشاء الكثير من قصائد الديوان.

(٢) الجمان: اللؤلؤ أو قطع من الفضة كالدرر.

(٣) بصيص الأماني: بريقها ولمعانها.

(٤) ماني: كاذب.

(٥) شرن أرياً: اشترين عسلاً من بعد شرى: شجر الحنظل. غِبُّ: عاقبة.

فأنا اليوم سيئ الحال في النا س كلامي يحتاج من ترجُمانٍ[1]

بين قوم نفعتُهم فابتَغوْا لِيَ الضرَّ والـلّـهُ من أذاهم حمانِي

* * *

(١) الإمام في كلامه وشعره وخطبه يشابه فحول الأدباء والخطباء والشعراء والعلماء والمفكرين من أمثال الأصمعي والبحتري والجاحظ والمفكرين والمتكلمين مثل الفخر الرازي والغزالي والمفكرين الاجتماعيين مثل ابن خلدون ومن يقرأ اليوم كتب الإمام وخطبه يعرف أنه لم يوجد في عصره من يماثله في كلامه وكتابته وفكره لا في مصر ولا العراق والشام ولا أي بلد آخر فكيف بحضرموت التي ينعدم فيها الأدباء والشعراء والخطباء والمفكرين فلا بدّ لهذه الفجوة أن تجعل الإمام يعيش وحيداً في بلده إضافة إلى ما يتعرض له في بلده من عداوة وأذية وبشكل متواصل.

القصيدة الرابعة والعشرون

لمنقطع الوصول[(١)]

وهذه في حدود سنة ١٣٤٣هـ؛ بشأن أحد الفضلاء توجَّه إلى الحجاز فما استطاع الوصول.

أقبلَتْ تجذِبُ الحُداةُ بُرَاهَا بنجيبٍ من هاشمٍ في ذُراهَا[(٢)]
طالبٌ واصلَ الجهادَ فما مِنْ لَقْحة للعلوم إلّا مَرَاهَا[(٣)]
ما قلَى زَوْرَة البطاحِ ولكن لم يُطِقْ في استيائها أن يراهَا[(٤)]
رحمةٌ مازَجَتْ صريحَ يقينٍ فتراءتْ له حياةُ ثَرَاها
ليس يقوَى مَنْ فيه أدنى حنانٍ أن يراها على الذي قد عَرَاهَا
منظرٌ منه أيُّ جَفنٍ محبٌّ بقيت فيه دمعةٌ ما ذَرَاها
رحلة تشهدُ اللوائح أنّ الـ ـفوز فيها فلَا يُذَامُ سُراها[(٥)]
مثلُها فيه أنزلتْ سورة الـ ـفتح على إثرها النبيُّ قَرَاهَا
ولموسى وللخليل شؤونٌ يتسلَّى بذكرها من دَرَاها

---

(١) تسمية القصيدة لي وليست للإمام ابن عبيد الله (المحقق الثاني).

(٢) تجذِب الحداة: تشد. بُراها: السُّرَى والبراة جمع بُرة وهي الحلقة في أنف البعير.

(٣) اللقحة: الناقة الحلوب. مراها: مسح على ضرعها لتدر.

(٤) البطاح: بطاح مكة جمع بطحاء.

(٥) فلَا يذام: فلا يعاب السير فيها.

هكذا تُترك العروس إلى الو قت الذي ناسب الزفافَ كَرَاهَا[١]

ما لَنا قط خِيرةٌ فلْنُسَلِّمْ في القضايا لحاكم قد بَرَاها

كلنا من تِهامة في غَرامٍ فمتى تجتلي العيونُ قُرَاها[٢]

وقفةٌ لو تُسامُ فيها لصبٌّ مستهامٍ بروحهِ لاشْتَراهَا

ومن الخمسة الكرام على البعـ ـدِ لنا ذمةٌ شدَدْنا عُراها

عندهم تسرَحُ النفوسُ فتحظَى من شآبيب فضلهم بِقِرَاهَا[٣]

فعليهم تَتْرَى التحياتُ مهما رفَّ برقٌ بمزنةٍ فَفرَاهَا[٤]

* * *

(١) كَرَاها: كَراؤُها أي تأخيرها إليه؛ يقال: أكرى العشاء: أي أخَّره والاسم الكراء.

(٢) تهامة: أرض الحجاز.

(٣) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من الطر وغيره. القِرى: الضيافة.

(٤) تترى التحيات: أي فعليهم التحيات متتابعة. رفُّ البرق وميضه. المزنة السحابة وفريها قطعها أجزاءً.



قسم التركيَّات

قسم التركيَّات

وهذا قسم التركيات؛ على ترتيب الزمان؛ وما زلت من نشأتي رابط الأمل بالدولة العليَّة؛ واطئاً عَقِبَ فخر وادي الأحقاف؛ جدي محسن بن علوي بن سقاف؛ فإنه لما اكتظَّ الوادي بالجور؛ لم يدع باباً إلّا قرع، ووقف نفسه للصلاح، حتى تكلّل عمله في النهاية بالنجاح، فقد أقعد دولة؛ وأقام أخرى؛ مع فقره وضعفه، ولما قدم أحمد مختار باشا إلى صنعاء؛ اختلفت بينهما البُردُ وتبودلت الكتب؛ وغرضه من الباشا؛ التوسُّل لاستيلاء الدولة العلية على حضرموت؛ لإصلاحها وتأمينها وإقامة العدل في ربوعها، ولهذا الغرض نفسه انعقدت الصداقة بينه وبين السيد اسحق بن عقيل بن عمر بن يحيي[1]؛ وامتدحه بالقصائد؛ وتجشَّم السفر في لقُيِّه إلى الشحر؛ لعله سنة ١٢٦٧هـ[2]؛ وهي الغزوة المعروفة بغزوة مرير؛ وذلك أن السيد إسحق؛ جاء مع أربعمائة من الأتراك؛ من جِدَّة؛ وفي معيتهم الأمير عبود بن سالم[3]؛ ونزلوا بخور شرمه؛ لاضطراب

---

(١) تولى السيد إسحاق مشيخة السادة بمكة سنة ١٢٤٣هـ وكان شخصاً مهاباً وشجاعاً وحظي بثقة ومحبة السلاطين العثمانيين والاحترام الشديد من قبل الولاة العثمانيين بالحجاز مما أثار عليه حفيظة أمير مكة الشريف عبد المطلب الذي كان مغتاظاً منه أيضاً لأنه كان يؤيد تعيين الشريف منصور بن يحيى للإمارة بدلاً منه فقبض عليه وأحضره إلى الطائف وحبسه بالقلعة وأخرج منها ميتاً وكان ذلك سنة ١٢٧١هـ.

(٢) من مصادر أخرى كانت الحملة التركية سنة ١٢٦٦هـ.

(٣) الأمير عبود بن سالم هو خال السلطان غالب بن محسن الكثيري مؤسس الدولة الكثيرية الثانية وكان مقيماً مع السلطان في الهند ثم بعثه إلى حضرموت لتأسيس الدولة فكان له دور أبي مسلم الخراساني في تأسيس الدولة العباسية فقد قام بعقد المعاهدات والتحالفات مع القبائل واتصل بالأتراك عن طريق السيد إسحاق بن يحيى وخاض الحروب حتى قامت =

الموج بساحل الشحر؛ وكان الوقت خريفاً؛ ولما نزلت العساكر هزمهم آل بريك؛ فعادوا إلى المراكب؛ وذهبوا إلى «قصعر»؛ وغرقت إحدى سفنهم؛ وجاءت أمداد آل كثير من حضرموت؛ ونزلوا «دفيقة»؛ قريباً من الشحر؛ في جمعٍ منهم ومن آل العمودي؛ والصيعر؛ ونهد؛ والعوابثة؛ والحموم؛ وحصل على الشحر حصر شديد من الأتراك بحراً؛ ومن أمداد آل كثير براً.

ولما سكن هيجان البحر؛ اقتربت مراكب الأتراك؛ واتصلت بآل كثير في «دفيقة»، وفي تلك الأثناء انعقدت معاهدة؛ بين الأمير صلاح بن محمد الكسادي؛ وآل بريك؛ فجاء الكسادي بعسكره؛ ولاقاهم آل كثير بموضع يقال له مرير؛ فانتهت المعركة بهزيمة آل كثير؛ وذهبوا عباديد[1] إلى حضرموت على وجههم؛ ولم يرجعوا إلى المعسكر؛ وما بقي به إلّا الترك والحموم.

وفي الليل ذهب الأتراك والسيد إسحق إلى جدة؛ وعاد من بقي معهم من القبائل إلى حضرموت، ثم إنَّ الكسادي خرج مهاجماً إلى «دفيقة»؛ هو وآل بريك؛ فوجدوا المعسكر خالياً، ومن النوادر أن قوماً من جهة الكسادي؛ حاكم المكلا؛ عرضوا لجدّي ورفاقه؛ مخرجهم من الشحر بالفشل؛ في تلك الغزوة. فأمر جدّي بصك الإبل؛ حتى سبقوهم إلى الماء؛ ثم شاء إرهابهم؛ فأمر منادياً معه جهير الصوت؛ يقال له «حسن فضل»؛ أن يقول: أيها القوم إنكم عشانا؛ فقال: أيها القوم إننا عشاكم؛ ثم تحاجز الفريقان واصطلحوا على المتاركة.

وقد صدرت أوامر الباب العالي؛ إثر ذلك؛ بتجريد حملة إلى البندرين وحضرموت؛ فاستاء الإنكليز من ذلك؛ وكان قد احتل عدن؛ فرشى شريف مكة لذلك العهد؛ حتى صرف نيَّة الدولة؛ وأشار بإرسال العساكر أولاً لحرب اليمن؛ فوافقته؛ وأنزلت الذخائر المعدة لحضرموت بالحديدة؛ على نيَّة استئناف الغارة

= الدولة الكثيرية لكنه لم يكن سياسياً محنكاً وكان شديد الوطأة على العلويين والعلماء ثم قتل بخديعة دبرها القعيطي.

(١) هي الفرق من الناس والخيل الذاهبون في كل وجه.

بعد إخضاع اليمن؛ وما زالت هنالك حتى أفسدها كر الجديدين؛ وذهبت أدراج الرياح.

ومع تردُّدُ الأشراف علينا من «مأرب»؛ اتصلت المكاتبات بواسطتهم؛ بيننا وبين الوزير محمود نديم باشا؛ ولم تزل في جيئة وذهاب؛ حتى فتحت «لحج»؛ فأشار علينا أن تكون المخاطبات؛ عن طريق القائد المنصور بها علي سعيد باشا.

ثم إن جدِّي لا يقدح في إمارة أئمة اليمن؛ ولم يتجّه نحو الأتراك؛ إلّا بعد أن كاتب الحضرة الأماميّة؛ هو ورفاقه؛ سيدنا الحسن بن صالح؛ وسيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر؛ وغيرهم؛ فحالت الظروف دون المساعدة[١].

ومن المعلوم عندنا في الفقه؛ جواز التعدُّدْ؛ إذا انقطع نصر الإمام وغوثه عن البلد؛ فهو مع ارتباطه بأهداب الخلافة العثمانية؛ يعترف بصحة الإمامة اليمانية الزيدية؛ وقد تأثرنا ما قاله الفقهاء عن ذلك؛ في جوابنا على مؤتمر الخلافة بمصر[٢]؛ لما استدعانا للحضور سنة ١٣٤٤هـ. وقد سرَّنا عقده؛ لأنه الأول من نوعه؛ في المهم الذي لا يخرج كل مسلم عن الحرج؛ إلّا بالقيام به؛ ولكننا نلومه على تكتُّمه بأخباره؛ ولَيِّه بمواعيده. فقد اقتطع على نفسه مواصلة

---

(١) كان بعض كبار العلويين السابقين يعتبرون أئمة اليمن الزيدية من المبتدعة خصوصاً وأن المذهب الزيدي يعادي الصوفية رغم أن الزيدية عند احتلالهم حضرموت وقضائهم على الدولة الكثيرية الأولى لم يحدثوا أي تغييرات سوى منع قراءة راتب الحداد في المساجد وزيادة حي على خير العمل في الأذان؛ ولما اضطربت الأمور بعد ذلك في حضرموت اضطراباً شديداً لم يجد زعماء حضرموت مثل السيد محسن بن علوي السقاف وغيره بدأ من طلب العون من أئمة اليمن ومن محمد علي باشا لكن لم يبد أحد منهم أي اهتمام بتولي أمور حضرموت.

(٢) بعد أن أسقط كمال أتاتورك الخلافة العثمانية دعا الأزهر في سنة ١٩٢٦ إلى مؤتمر بالقاهرة لاختيار خليفة من بين الملوك المسلمين ودعا لحضور المؤتمر العلماء والأعيان واجتمع المؤتمر لكنه لم يتوصل إلى نتيجة ولا شك أن الإنجليز الذين كانوا يتحكمون في أمور مصر لم يكونوا راغبين في إعادة الخلافة الإسلامية.

العمل؛ ومعاودة النظر؛ ولو صحَّ منه الهوى؛ لأرشد للحِيَلْ؛ وعثر على وجه الصواب في هذا الأمر الجلل.

أما تقلُّب الأحوال بحضرموت؛ فإنه بالغالب راجع إلى أحوال العلويين؛ صلاحاً وفساداً، اجتماعاً وانقساماً؛ فمتى صلحوا استتبَّ النظام، وعاش الناس بسلام، ومتى انحرفوا وجاء الانقسام، تبعه الشر العام، وجاءت البلايا والآلام، ألا ترى إلى الدولة الكثيريّة؛ كيف انحلَّت مراتٍ؛ ثم انتعشت كذلك، ومعيار ارتفاعها واتضاعها ليس إلّا ما ذكرناه.

وكذلك دخول الوادي في قبضة اليافعيين؛ لم ينشأ إلّا عن افتراق الأمراء؛ المُتَسَبِّبْ عن تخاصم العلويين، ثم إن اضطراب أحوال يافع؛ وانشقاق عصاهم؛ وانقسامهم إلى طوائف؛ لم يكن إلّا عن جنس ذلك، فأصله اختلاف مشارب العلويين؛ وعمل كل فريق على اضطهاد الآخر والتَشَفّي منه.

ثم إن خروج الوهابيين؛ لم يتسبب إلّا عن هضيمة أحد المناصب؛ لحقٍّ من حقوق بعض السادة بحضرموت؛ وسكوت الباقين؛ حتى اضطر المهضومَ؛ الضغطُ؛ إلى الذهاب إلى نجد[1]، وكان حال الدول السعودية معه؛ كما قال سلامة بن جندل:

إنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ   كان الجوابُ له قَرْع الظنابيبِ

ثم الشر؛ الذي تمطَّى الآن ليلُه، واكتسح قصورَ المجد سيلهُ؛ إنَّما نجم عن مداهنتهم؛ وانحرافهم وتخاذلهم؛ وانقسامهم؛ وتَتَبُّعِ الأحساد بهم؛ وبغضهم للصدق وأهله؛ ومعاكستهم لفضلائهم والصادعين بالحق منهم؛ وتطلبهم لهم العيوب. فكل واحد يرمي الآخر بالمدر والحجر؛ ويختلق له العجر والبجر؛ ولا سيما قالة الحق منهم؛ فإنهم مبغوضون بينهم؛ بخلاف أهل التصنُّع والدجَل؛

(١) هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها على هذه المعلومة المهمة رغم متابعتي لكثير من كتب التاريخ حتى ابن عبيد الله نفسه لم يشر إليها بتفصيل في تاريخه.

وأهل الثراء؛ فإنهم مقربَّون عندهم؛ ومحبوبون لديهم؛ إلى حدِّ العبادة؛ ومن جرَّاءِ هذا؛ تكونت الأحزاب؛ وجاش بالشرِّ كلُّ مِيزاب؛ وإلى الله المشتكى وعليه المعوَّل.



القصيدة الأولى

أنشئت في سنة ١٣٢٧ هـ؛ وقد نشرت في إحدى كبريات الصحف[١]؛ مشفوعة بتقريظ جزل من بعض فطاحل الكتَّاب.

أغرى النعاسَ بعيني سالِفُ الأرقِ ... من فكرة بتُّ فيها شاخِصَ الحَدَقِ

توزَّعتنَي آراءٌ مفَرَّقةٌ ... أمسيتُ منها كغُصْن البانةِ القَلِقِ[٢]

وكلما رُمْت قَنْصَ النوم في شَرَكٍ ... من الأمانيّ أعياني من الحَرَقِ[٣]

لا شيءَ أفزعُ للصبر الجميل من الأحزان تعرِضُ للإنسان في الغَسَقِ[٤]

أين السلُوُّ لنفسي بعد ما شهدت ... عيني المليحةَ قد أشْفَتْ على الغَرَقِ؟

أم كيف يَفرُخُ لي رَوْعٌ وقد سمعت ... أُذْنايَ أنَّاتِها في آخر الرَّمقِ؟[٥]

مسكينةٌ مُنِيَتْ بالبؤس وانتبهت ... ضرَّاؤُها بعد ذاك المنظر الأنقِ

---

(١) من عيوب الطبعة الأولى للديوان إخفاء أسماء الأعلام التي أنشئت بسببهم هذه القصائد كما لم نعرف هنا اسم الصحيفة الكبرى التي نشرت هذه القصيدة وهل هي في مصر أو في أندونيسيا؟ ولا عرفنا من هم الأدباء المشهورين الذين علقوا على القصيدة؟ وقد حرمتنا هذه الطريقة المتخفية من كثير من المعلومات المفيدة.

(٢) القلق: المضطرب.

(٣) الحرَق: اضطرام النار وتحرقها.

(٤) الغسق: ظلمة الليل. أفزع للصبر: أشد إفزاعاً وأكثر تخويفاً.

(٥) يفرخُ لي روع: يذهب مني فزع وتسكن نفسي. الرَّمق: بقية الحياة.

أَلفَتْ يدي عندما جَسَّتْ ترائبهَا دقاتِ قلبٍ من اللأواء محترقِ[١]
قدَّتْ فؤادي بصوت كالسَّرارِ له وخزُ الأسنَّة بالأشجانِ مختنقِ[٢]
قد أعوَزَتْ من بنيها من يعالجُها من دائها بعد أن نادتْ على الطُّرقِ
ولم تَطِبْ نفسها بالأجنبي وإن صافى تخافُ امتزاجَ السُّم بالمَرَقِ
واحَرَّ قلباه من فقدي أخا ثقةٍ يُعين في رفعها من ذلك النفَقِ
يا ليت شعريَ هل تُنْمَى شكايَتُنا إلى أمينِ الإلهِ الطاهِر الخلُقِ؟
إلى خليفة خير المرسلين أميـ ـر المؤمنينَ سراج الرشد لِلْفِرَقِ
فرع الملوك اللهَامِيم الأولى سَلَفُوا وذكرُهم بصنوف المكرمات بَقِي[٣]
ماتوا وأحياهم التاريخُ ثم أتى من بعدهم غُرةُ الدنيا على نَسَقِ
تقاسموا خُطَطَ العليَاء بينهمُ وفيه جُمَّعَ منها كلُّ مفتَرِقِ
زانَ الخلافَة فاهتزَّت به وَرَبَتْ واغدوْدَقت وزَهَت بالثَّمْر والورَقِ
للمُلك أصبح توريداً بوجنته وللحنيفة مثلُ العقدِ للعُنُقِ[٤]
جمُّ العطاءِ طويلُ الباع أنملُه يَهمْي كَنَهْوَرُها بالتِّبْر والوَرِقِ[٥]
كهفُ العُفاة وغيثُ المجْدِبينَ فلا يهمُّهُم قطُّ بخلُ العارضِ الغَدِقِ[٦]
حاوِي المكارِمِ يَلقَى الوافدينَ على عَلَّاتِهم بمُحيّاً ضاحكٍ طَلِقِ
ربُّ المهابةِ مَنْ لولا بشاشَتُه ما اسْطاعَ رُؤْياهُ مخلوقٌ ولم يُطقِ

---

(١) ترائبها: عظام صدرها. اللأواء: الشدة.

(٢) قدت فؤادي: شقت قلبي. كالسرار يريد أنه خافت جداً. وخز الأسنة: طعنها. بالأشجان مختنق: مختنق بالأحزان.

(٣) اللهاميم: جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل.

(٤) بوجنته: بوجنة الملك.

(٥) كنهورها: الكنهور من السحاب قطع كالجبال.

(٦) كهف العفاة: ملجأ الطالبين. العارض الغدق: السحاب الكثير الصَّب للمطر.

وصاحبُ الباسِ من كادَتْ لِسطوتهِ تَنْماعُ صمُّ الصَّفا من شدة الفَرَقِ[١]

تُغنِيه هيبتُه عن قَوْدِ جَحْفَلِهِ يومَ الوغَى وعن الإرْقالِ والعَنَقِ[٢]

فالرغبُ يخدُمُهُ والنصرُ يَقْدُمُه والرأيُ يهْدِمُ ما يَبنيهِ كلُّ شَقِي

تخشى جميعُ ملوكِ الأرض صولتَهُ وتستكينُ له بالذلِّ والمَلَقِ

ماجَتْ عليه من الحُمْقِ الغُواةُ فما ألفَى سوى السيفِ يَشْفِي علةَ الحَمقِ

قِرَى وحوشِ الفيافِي من أجَالِدِهم والتُّربُ روَّاه منهم سافحُ العَلَقِ[٣]

للحِلْم فيه مكانٌ لا يُضيِّعُه والفتكُ منه لأهل الطيش والخرَقِ

في عهده اتَّزرَتْ بالحق دولتُنا من بعد ما جُرِّدَت من ثوبها الخلَقِ[٤]

وافَترَّ ليلُ الشقا والجورِ عن فَلَقٍ من الهدايةِ والإنصافِ مُنْبَعِقِ[٥]

والصدقُ قامت على ساق حدائِقهُ يعطِّرُ الكونَ ريًّا زهرِها العَبِقِ[٦]

والدينُ يضحكُ إذ طابتْ مواردُه طوبَى لمصْطَبحٍ منها ومُغْتَبِقِ[٧]

وكيف لا يزدَهِي والبرلمانُ غدَا في عهد سلطاننا مستحِكم الحَلَقِ[٨]

للّه دستورٌ به رضي الْـ إسلام وارتاح إثر الضيم والحَنَقِ

يزدان بالغُرِّ من كل امرىءٍ بَطلٍ حرَّ الضميرِ له الرأي السديدُ نَقي

صوَّرتهُم نُصْبَ عيني في محافلِهم مثلَ الثريا وقد لاحت على الأفقِ

---

(١) تنماع: تذوب. الصفا: الحجارة. الفرق: الخوف والفزع.

(٢) قود جحفله: تسيير جيشه الكثير العدد. الأرقال والعنق مشيتان سريعتان.

(٣) أجالدهم: أجسامهم وأبدانهم. وفي الأصل تجالدهم وهو تصحيف والذي في اللغة أجالد وتجاليد. سافح العلق: سافح الدم.

(٤) الخلق: البالي.

(٥) الفلق: الصبح. وافترار الليل عن انكشافه. المنبعق: المنكشف الواضح.

(٦) العبق: الذي لا تذهب رائحته الطيبة.

(٧) العبوق: شرب آخر النهار مقابل الصبوح.

(٨) يشير إلى افتتاح البرلمان العثماني بعد إعلان الدستور.

متى أراهم فأشكُو في مجالسهم ... ما مسّنا من ضروب البَخْسِ والرَّهقِ
كلُّ البلاد إلى شأوِ العُلَى نهضَتْ ... وقطرُنا من رُقادِ الجهل لم يُفِقِ
يا آل عثمان هيَّا أنقذوه وقد ... أضحى يناجيكُم بالمنطق الذّلَقِ[1]
يَمُتُّ بالحبِّ والودِّ الصحيحِ لكم ... ويستغيثُ بكم من شدة العلقِ[2]
باسم الخليفة يدعُو في تضرُّعهِ ... ما ناحت الوُرْق في الداجي على الوَرَقِ[3]
ها قد ربَطنا بك الآمالَ فاعْنَ بها ... يا كعبَة القَصْد أطلقنْا من الوَهَقِ[4]
واسْلَم ودُمْ ووليَّ العهد في نِعَمٍ ... معوَّذَيْن بربِّ الناس والفلَقِ

* * *

(١) هيَّا أنقذوه: في الأصل هلا تنقذوه وفيه حذف النون بدون ناصب أو جازم فغيرناه إلى ما ترى. الذلق: الحاد.

(٢) من شدة العلق: من شدة تعلقه بكم.

(٣) الورق: الحمائم والورق: الأغصان. الداجي: الليل.

(٤) فاعن بنا: اهتم بأمرنا. الوهق حبل كالطَّوَل تشد به الإبل والخيل لئلا تنِد.

القصيدة الثانية من التركيات

في الحرب الإيطاليّة [(١)]

في الحرب الإيطاليّة سنة ١٣٣٠هـ؛ وقد نشرتها بعض الصحف السورية[(٢)].

ما بالُ عينيكَ قد عاداهما الوسَنُ   يوماً لقبك قد أودَى به الحزَنُ
لا يضمرُ القلبُ شيئاً من لوَاعجِه   يوماً من الدهر إلّا أظهر البدَنُ[(٣)]
فيم التجُّلدُ والغربُ العزيزُ به   دماؤنا ما لها قدرٌ ولا ثمَنُ
إني وكلُّ امرىء مثقالُ خردلة   في قلبه من حنانٍ بالأسَى قَمِنُ[(٤)]
عَدَا على الغرب عادِي الظلم فاشتعلتْ   بعامل الغشّ في أكنافِه الفِتنُ
قد أوهمتنا أروبا إذ تُلايِنُنا   لينَ الأفاعي بودٍ ملؤه دَخَنُ[(٥)]
وأوقعتْنا أنْكِلْتِرَا من دسائسها   في هُوَّةٍ إذ حَشَتْ أحشاءَها الإحَنُ[(٦)]
أضاع سَاسَتُنا وجه الصواب وما   تنبَّهُوا لنواياها ولا فَطِنُوا

---

(١) هي الحرب التي شنتها إيطاليا على الولاية العثمانية في طرابلس ليبيا واستخدمت لأول مرة فيها الطائرات لإلقاء القنابل وقام الإيطاليون فيها بفظائع ضد السكان الليبيين. وقد استمر احتلال إيطاليا لليبيا ٣٥ عاماً قامت فيها بحملات فظيعة ضد السكان وقتلت الزعيم عمر المختار.

(٢) نعود للشكوى هنا من إغفال ذكر أسامي الأعلام والصحف المعنية بهذه القصائد.

(٣) لواعجه: جمع لاعج وهو الألم.

(٤) قمن: جدير.

(٥) دخن: حقد وخبث.

(٦) الإحن: الأحقاد جمع إحنة وهي الحقد في الصدر.

بما أكنَّتْ من الداء الدفين لنا ساقَتْ إلينا سحاباً قَطْرُه المِحَنُ
يَدْعُون هَذا زمانَ العدلِ ما فَعَلتْ إيطاليا من فسادٍ فيك يا زَمنُ؟
ذبحُ الصغار الذي لم يُرْجَ من أحدٍ وإن غلَى في حشاه الغيظُ والضَّغَن[١]
فَظائعٌ في عصورِ الجوْر ما اكتحلَتْ بهنَّ عينٌ ولم تسمع بها أُذُنُ
قولوا لإيطاليا والبغيُ شيمتُها كلٌّ بما كسَبَتْ كفَّاه مرتَهَنُ
إن كان أسطولها في البحر جرَّأها وأعْجَبَتها بمرسى أرضها السُّفُنُ
وقادها للبلى الخصم اللدود لها بكيدهِ إذ تَولَّى رأيها الوَهَنُ[٢]
فقد أحسَّتْ بشرٍّ حين صادَمَها قومٌ غيارَى مفدَّى فيهم الوطن[٣]
واللّهِ لن يرأموا للذل ما بقيت تكفُّ عنهم مُغاراتِ العِدَا القُنَنُ[٤]
يمشون مشَى المعنَّى للوصالِ إلى سُوح الوغَى ما بهم ضَعْفٌ ولا جُبُنُ[٥]
في القتل للكافرين الحتْفُ وهو لَهم شهادَةٌ طيُّها الخيراتُ والمِننُ
سلْ عنهم الطيرَ تصدُقْك الحديثَ ولا تَسمعْ أحاديثَ قوم صدقُهم زِمنُ[٦]
قد رابنا منهُمُ دعوى الحيادِ وهُمْ إن سيِّئاً ذكروا أو صالحاً دَفَنُوا
لم يُنجِهم من سيوف المسلمين إذا شَدُّوا مَعاذٌ ولم تنْفعْهم الجُنَنُ[٧]
إيهٍ بني العُرْب جدُّوا في دفاعكم ولا تكِلُّوا ولا تأسَوْا ولا تَهِنُوا[٨]

---

(١) الضَّغَن: حرك وسطه للضرورة.
(٢) للبلى: للفناء. الوهن: الضعف.
(٣) غيارى: جمع غيران.
(٤) لن يرأموا للذل: لن يستكِينوا له ويخضعوا. مغارات العدا. إغاراتهم. القنن: الجبال.
(٥) ولا جُبنُ: حركت الباء بالضم للضرورة.
(٦) صدقهم زمن: مبتلى بالزمانة أي بآفة وعلة وهم أعداء الإسلام. ولعلّ الأصل: زنن بالتحريك أي قليل.
(٧) معاذ: ملجأ يعوذون به الجنن: جمع جنة بالضم وهي ما يستتر به المحارب اتقاء الطعن.
(٨) إيه كلمة استزادة من حديث أو عمل.

ولا تميلوا إلى سِلْمٍ وقد شهدتْ أبصارُكم تلكم الغاراتِ تَمْتَهِنُ

أبعدَ هَتكِ حريم المحصَناتِ رضىً كلَّا ولو قُوِّضت من أصلها الدِّمَنُ[1]

جدُّوا ونادوُا إذا ما شئتمُ مدَداً يأتي العراق ويأتي الهندُ واليمَنُ

فثَم إخوانُكم لو جاءَ صارِخُكم لم يَثْنِهم عنكمُ أهلٌ ولا سَكَنُ

فصابروا واصبروا واحموا الذمارَ ولا تَفَرَّقوا وعلى مولاكم ارتكِنُوا

والنصرُ إن دام هذا الاتحادُ لكم حليفُكُم غيرَ أن الحرَّ يُفْتَتَنُ

والناسُ كالتِّبر لا تعلو مراتبهُم إلَّا إذا اختُبِروا بالبأس وامتُحِنُوا

وإن تسؤ هذه الحربُ الضروس فيا كمْ من مصالحَ ساقَت هذه الفِتَنُ

من قبلُ في المسلمين الافتراقُ بَدَا وما هم اليومَ إلّا الماءُ واللبنُ

* * *

(١) الدمن: الآثار.

القصيدة الثالثة

بمناسبة معاهدة (أوشي) لوزان الأولى[١]

وكان إنشاؤها عندما رضيت الدولة العلَّية بالصلح الغابن في تلك الحرب؛ وقد استولى على أكثرها الضياع[٢]، وغالب الظن أن قد نشرت في بعض الصحف؛ مع الثناء عليها؛ فإن وجدت فليلحَقْ باقيها؛ وإلّا فهذا هو الميسور منها؛ وعلى بعُدِنا عن السياسة فقد أصاب المحَزَّ ما فيها من الفِراسة.

مُلِمّةٌ ملأتْ جُلَّ القلوب أسًى ... ما بِتُّ وخدي بها في الناس مُبْتَئِسَا

ضاقت بنا الأرضُ حتى ليسَ نعرفها ... والصبحُ من تلكم الأخبارِ عاد مَسَا

يا لَلْوجيعة قَالُوا لي خليفتُنا ... أهدى لأعدائه صلحاً طرابُلُسا

كانت لنا فيه آمالٌ معلَّقَةٌ ... لكنَّ أكبرهَا من هذه انعكَسَا

حتى الجماداتُ لا ترضى بذا أبداً ... لو أنّ رَضْوَى دَرَى لارفضَّ وانبجَسَا

لئن تركتم لكانِيفا طَرَابُلُساً ... فسلِّموا لِفَرنسا بعدَها القُدُسَا

* * *

(١) وبموجب هذه المعاهدة التي عقدت في ٢٢ شوال من سنة ١٣٣٠هـ بقلعة أوشي بلوزان سويسرا انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا وتركت الأهالي الليبيين وجهاً لوجه مع الإيطاليين.

(٢) أي القصيدة.

القصيدة الثالثة

الى محمود نديم باشا (١)

سفينةُ الصدق قد أرسَتْ على الجُودِي ... وطالبُ الحقِّ بالألطافِ قد نُودِي
وطالعُ السعدِ قد لاحَت مظاهرهُ ... وطائرُ اليمْن قد غنَّى على العُودِ
بُشراكَ تلك تباشيرُ الفلاحِ وذِي ... موائدُ الفضلِ والإحسانِ والجُودِ
فاشربْ هنيئاً على الفتح المبين وثِقْ ... باللّه وأظفر بنصر غيرِ محدودِ
وقرَّ عيناً وطِبْ نفساً ومِلْ طرَباً ... فإنَّنَا قد بلغْنا كلَّ مقصودِ
بابُ الرشاد إليه اللطْفُ أرشدَنا ... وليس مصراعُه عنَّا بمردودِ
خيرٌ غزيرٌ وجاهٌ ما انْثنَى أملٌ ... أتاه إلّا بفضل منه معهودِ
ها قد عمَدْنا إلى بيت العناية مِن ... بابِ الهداية ربِّ الجود محمودِ
حلوُ الحقيقيةِ مشكورُ الطريقةِ ... وضَّاحُ الخليفةِ مَأْوَى كلِّ مطرودِ
سرُّ النسيمِ إلى الوجه الوسيم إلى ... بِرٌّ ألذّ من التسنيم موروِدِ(٢)
دَماثةٌ من رآها ينثني ثملاً ... من فضلهِ الجمِّ لا من ماءِ عُنْقودِ(٣)
إليك نَرفعُ شكوانا ونعُلِنُها ... فاسمَعْ ربيبَ العلَى أنّاتِ مَفْؤودِ(٤)

---

(١) مبعوثة إلى حضرة الباشا محمود نديم في حدود سنة ١٣٣٢هـ.
(٢) التسنيم: عين ماء في الجنة.
(٣) الدماثة: سهولة الخلق. ثملاً سكرانَ. ماء العنقود: الخمر.
(٤) مفؤود: محترق القلب.

صَبٌّ يحاوِل مُذْ مِيطَتْ تميمتَهُ ... بالتركِ حبلَ اتصال غيرَ مجدُودِ[١]
يدعو إليكم ويسعى كي ينَوطَ بكم ... بلادَه غيرَ هيَّابٍ وإن عُودِي[٢]
ضحَّى مصالحَه حبّاً بأُمتِه ... مستغرِقاً في عُلَاهم كلَّ مجهودِ
يسعى لإنقاذهم مما ألَمَّ بهِم ... وما أتاه لديهم غيرُ معدودِ
كم خاصموه وكم آذَوْه عن حَسَدٍ ... وهل رأيتم كريماً غيرَ محسودِ؟
يا منبَع الفضلِ يا من سَيْبُ همَّتِه ... يُحيي المكانَ الجَديبَ الغامرَ المُودِي[٣]
يا مظهرَ العدل والإنصافِ مَرحمةً ... للمسلمين وللصبيان والخُودِ[٤]
فالجوْرُ في قُطرنا طالت إقامتُه ... والبغي نَغْمَهُ في أيامه السُّودِ[٥]
يا للَشريعة بالأغراض قد صُبِغت ... والعدلُ أصبح فينا جِدَّ مَوْءُودِ
يا للَعلوم انمَحَت فينا معالمهُا ... يا للَصواب كمثل الغُولِ مفقودِ[٦]
عارٌ عليكم وفيكم نجدةٌ ولنا ... بكم لعمرى اتصالٌ غيرُ مجحودِ
نبِيتُ ندعو لكم من فَرْط رغبتِنا ... في كل ليلٍ لدى السّالينَ مَرْقودِ[٧]
وللخليفة أنَّ اللهَ ينصرُهُ ... على أعاديه من روُمٍ ومَوْهُودِ[٨]
لا زال للملَّةِ العوجاء يكلؤُها ... بالخيل والليل والمَهْرِيةِ القُودِ[٩]

---

(١) ميطت تميمته: نحيت عنه: كناية عن تجاوزه عهد الطفولة. مجدود: مقطوع.

(٢) ينوط: يعلق ويربط. وفي الأصل يُنيط من أناط وهو غير وارد لغة.

(٣) سيب: همته: عطاؤه. الغامر: الخراب. المؤدي: المهلك.

(٤) الخود: جمع خُود وهي الشابة الحسنة الخلق أو الناعمة.

(٥) نَغْمَهُ: نضل ونتحير.

(٦) كمثل الغول: يريد أنه من المستحيلات.

(٧) السالين: الناسين جمع سال. مرقود فيه أي أنهم نيام.

(٨) موهود: متهود وهم اليهود أعداء الإسلام.

(٩) للملة العوجاء: يريد ملة الإسلام التي غيرها الملحدون والخرافيون وفي الحديث حتى يقيم به الملة العوجاء يعني ملة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام التي غيرتها العرب عن =

وبالمدافع تَغْلُو من مَناخِرَها ... نارُ الجحيم فتَصْلِي كلَّ مطرودِ
في كل جيشٍ كأن الرملَ عِدَّتهُ ... بالرُّعبِ والنَّصرِ مخدومٍ ومعقودِ[1]
يا ربَّنا شُدَّ أَزْرَ المسلمين به ... حتى ينامُوا بظلٍّ منه ممدودِ
وانشُر علينا سريعاً غيثَ رأفتِه ... كي يستريحَ لدينا كلُّ مجهودِ[2]
بجاه أفضل موجودٍ وأشرفِ مَوْ ... لُودٍ وأسرع من لبَّى إذا نودِي
عليه منا صلاةٌ فاح عَنبرُها ... على الوجود بنشر النَّدِّ والعُودِ

رد محمود نديم باشا على القصيدة

وقد عاد منه جوابٌ سديد، وقولٌ مفيد، ووعدٌ يشهد عليه قوله من قصيد:

فيا وجيه الهُدَى لله دَرُّكُمُ ... في ضمن نظمك من أوصاف تشييدِ
لقد رأينا مقالاً بالصواب غدا ... مضمَّخاً وعليه نسْمَةُ العُود
وسوف يلقَى مجالاً للقبول وما ... يليه من فوز تنفيذٍ وتعميدِ

* * *

= استقامتها فاقتبس الشاعر منه هذا الوصف. يكلؤها: يحفظها ويحرسها. المهرية: إبل من حي مهرة بن حَيْدان. القُود: المنقادة.

(١) يريد في كل جيش مخدوم بالرعب ومعقود بالنصر كأن الرمل عدته.

(٢) مجهود: مكدود شقت عليه الأمور.

القصيدة الخامسة

إلى قائد الجيوش العثمانية
بلحج علي سعيد باشا[(١)]

هذه القصيدة؛ موجهة كتالياتها الخمس؛ إلى عزّ الملّة، وكريم الجلّة، مَنْ به اللهُ نصرَ دينَه، والزمانُ حنِثَ يمينَهَ، مثال الحميَّة والغيرة، ومرشد الضّلال من الحَيْرَة، ومن لو تجَّسم المجدُ لما كان غيرَه، الصَادقِ الذي أكذب الشاعرَ بمحاله؛ والقائد المؤيَّد بالتوفيق في حِلّه وارتحاله؛ علي سعيد باشا بوّأه الله من الخير مَا شاء؛ وجعل اليمُن له غِطاءً؛ والسعدَ فِراشاً، وأهل اليمن وحضرموت؛ لا يسمونه إلّا سعيد باشا؛ ونحن نتأثَّرهُم وكان إرسالها في غرة ربيع الأول من سنة ١٣٣٤هـ.

بَلَى آنَ لِلْهمِّ المبرِّح أن يهْفُو ... ولِلْعيش من بعدِ الكدورة أن يصفُو[(٢)]

صبرَنا على حُلو القضاء ومُرِّهِ ... وما زال أمر الصبر يتبعُه اللطفُ

إلى أن أتى الإقبالُ عفواً فهذه ... تباشيرُهُ من نشرها ينفَحُ العَرْفُ[(٣)]

---

(١) القائد التركي علي سعيد باشا؛ هزم بريطانيا وحلفاءها العرب واحتل لحجاً ثم تقدم بمن معه من الأتراك والمجاهدين العرب نحو عدن وأعد الإنجليز العدة لإخلاء عدن لولا تغير ظروف الحرب وبقي سعيد باشا يحتل لحج وما جاورها من جنوب اليمن حتى نهاية الحرب وانهزام تركيا وإصدار الأوامر له بتسليم لحجاً للإنجليز ومغادرة اليمن. وتظهر خطاباته وأعماله على حنكة سياسية وشجاعة ودهاء كما هو على ذلك أغلب القادة الأتراك.

(٢) آن: حان. المبرِّح: من برَّح به إذا شق عليه وأصل التبريح المشقة والشدة. يهفو: يذهب.

(٣) نشرها: رائحتها. ينفح: يهب أو يفوح. العرف: الريح الطيبة.

أتـانـا بـأن الـتُّـرك أبْـدَوْا تـحـنُّـنـاً عليـنـا ومنـهـم يـرُتجى الوُدُّ والعَطفُ
وما زلتُ مذ نِيطت برأسي عِمامَتِي وَوُدِّي لهم حبْسٌ وشكْري لهم وَقْفُ
تـآلـفـتِ الأرواحُ غـيـبـاً لـحـكـمـةٍ وإن لم يكن في الحسِّ ما بيننا إلفُ
إخـاءٌ جـرَتْ قـبـلَ الـوجـودِ عـقـودُهُ تـؤكِّـدُه الآن الـصـداقـةُ والـحِـلْـفُ
فـيـا لـيـت شِعـري هـل أتـاهـم بـأنـني أُخالفُ فيهم من يلوم ومن يجْفُو؟
وهل سمِعوا ما قلت فيهم؟ وهل رأوا مديحي؟ فقد قامت بإعلانه الصحْفُ
وهـل جـاءَهـم أنـي بـكـلِّ وسـيـلـةٍ لِبيعتِهم أدعو؟ وإن مسَّني العَسفُ
وأنِّـي مـذْ دهـرٍ أحـاولُ أمـتـي عليها فلم تقبلْ بصائرُها الغُلْفُ[1]
وبـرهـنـتُ أن الـخـيـر طـيٌّ ارتـبـاطـهـم بهم فجرى في الأمر ما بيننا خُلْفُ
ووافـقـنـي مـن أوَّل الأمـر عُـصـبـةٌ على الرأي لكن خَانها العجزُ والضعفُ
إلـى أن زَهـى روْضُ الأمـانـي بـثـمْـرِه وحان لعَمْرِي من حدائقه القَطْفُ[2]
فـحـيـنـئـذ بـانَ الـصـوابُ وصـحَّ مـا أقـولُ ومـا زال الـتـعـصـبُ والـعـنْـفُ
وإلَّا فـإنَّ الـشـك لـم يَـبـقَ مـنـفَـذٌ لهُ في فؤادٍ بعد ما انتهُكَ السِّجْفُ[3]
أَني الوقتُ للإسلام يستجمعُ القُوَى وسَرْعانَ من قواته الغَيُّ ما يعفُو[4]
تـبـشِّـرنـا الأحـوالُ والـطـالـعُ الـذي له اسم أمير الجيش في أبْيَنٍ وصْفُ[5]
سـعـيـدٌ لـنـا والـمـسـلـمـيـن مِـنَ اسـمِـه نصيبٌ ونِعمَ القائدُ المخلصُ العَفُّ
وقـورٌ غَـداةَ الـرَّوع تـلـقـاه رابـطـاً على جُثَثِ القتلى يَخُبُّ به الطِّرْفُ[6]

---

(١) الغلف: المغطاة المغشاة بالغلاف.
(٢) زها الروض: حُسن أو نبت ثمره. بثمره: جمع ثمرة وسكنت الميم للضرورة.
(٣) السجف بكسر أوله وفتحه: الستر.
(٤) أنى الوقت: حان. الغي: ضد الرشد. يعفو: يزول ويندرس. و«ما» زائدة.
(٥) أبين: اسم موضع باليمن.
(٦) يخب: يسرع. الطِّرف من الخيل الكريم العتيق.

إذا شَبَّ نيران المعارك فالدَّما — على الأرض سيلٌ والغبارُ لها سقْفُ
كأنَّ الضحى ليلٌ تهاوَى نجومُه — وما هي إلّا البيضُ والعُسَّلُ الرُّعفُ[1]
حروبٌ بشيب الطفلُ منها كأنما — هي الحشرُ من أهوالها الخَسْفُ والرَّجْفُ[2]
تَميدُ جبالُ الأرض خوفاً إذا دَوَتْ — مدافعُ منها يُذْهِشُ القصفُ والقذفُ[3]
مُدبِّرُها ذو الحزم من يَسهرُ الدُّجَى — لإصلاح شأن المسلمين ولا يغْفُو[4]
مناقبُ للباشا السعيدِ حميدةٌ — تقلَّدها في أُذْن تاريخه شَنْفُ[5]
أغاظ صدور الكافرين فكم هَمَتْ — عليهم عقوباتٍ سحائبُه الوُطْفُ[6]
وكم شنَّ غاراتٍ ولفَّ كتائباً — إلى مثلها والزحفُ يتبعُه الزحفُ
وساعدَه المولى الإمامُ بقومِه — فلبُّوا سِراعاً دعوة الحق والتفُّوا
بنُو الترك والعربانُ في حومة الوغَى — يُخالون مشمولين أطْرَبهمُ عَزْفُ[7]
إذا صادَمُوا الأعداءَ يوماً بمأزقٍ — يَحسُّونَهم قتلاً كأنهم العَصْفُ[8]
تراهم حصيداً خامدين كأنهم — لكثرتهم كُثْبٌ من الرسل أو قُفُّ[9]
وقد طبَّق الدنيا حديثُ انكسارهم — وإن حاولوا أن يكتموه وأن يخْفُوا[10]

---

(١) البيض: السيوف. العُسَّل: الرماح. الرعف: تقطر دماً.
(٢) الرجف: الاضطراب.
(٣) تميد: تضطرب.
(٤) يغفو: ينام نوماً خفيفاً.
(٥) الشنف: ما يعلَّق في أعلى الأذن.
(٦) همت: صبت. الوطف: التي في جوانبها استرخاء لكثرة الماء.
(٧) مشمولين: نشاوى أطربهم صوت المعازف فهم في غاية الفرح.
(٨) يحسونهم قتلاً: يستأصلونهم قتلاً. العصف: التبن وورق الشجر اليابس.
(٩) كثب: جمع كثيب وهو الرمل المستطيل المحدود. والقف ما ارتفع من الأرض وغلظ.
(١٠) يقول الإمام هنا: إن خبر انهزام الإنجليز أمام جيش علي سعيد باشا ومن معه من المجاهدين العرب في لحج وما حولها فقد طبق الدنيا في زمن الإمام لأنه كان من حوادث التاريخ النادرة التي هزمت فيه قوة صغيرة جيشاً عظيماً وما أشبهه بهزيمة العرب الضعفاء =

أَرادوا اضطهادَ الدين كم دبروا له الغوائلَ عُدواناً يريدون أن يُطْفُوا
ولكنَّ مولانا الرشادَ انبرى لهم فلم ينُجِهم من هوْلِ سطوته كَهْفُ
هو النعمةُ العظمى هو الروحُ للهدى هو الغيظُ للأعدا هو الذَّهبُ الصَّرفُ
به قام سوقُ الدِّينِ واشتَدَّ أَزرُه ولولاه للإسلام لم يُوجَدِ النَّصفُ[1]
فلا زال ذُخراً للأنام وموئلاً يَفيض عليهم من أنامله العُرْفُ[2]
ويشملنا من ظله فيءُ رحمةٍ به تُكشَفُ الغماءُ والبوسُ واللهْفُ[3]
ويملأ نورُ الحق والعدل قطرَنا ويرتفع العدوانُ والجوْرُ والخَسْفُ
فإنا بأرض لم يَجُدْنا نوالهُ ولم يأتِنا إلّا الأحاديثُ والوصفُ[4]
لنا الشوقُ والودُّ الصحيحُ وغيرُنا له من مجاري جوده الرَّشْف والغَرْفُ
فكن يا سفيرَ الخيرِ واسطةً لنا فمثلك للخَرْق الذي عندنا يَرْفُو[5]
وإن لم يَعُقْنِي عائقٌ جئت وافداً وإن قام بي عذرٌ فأرجوك أن تغفُو

= لجيش الفرس بموقعة ذي قار. إلّا أن كتب التاريخ الحالية قلما تشير إلى هذا النصر المبين والذي لولا معاكسة الظروف العالمية وانهزام تركيا في الحرب العالمية لكان على وشك أن يطرد الإنجليز من عدن ومن جنوب اليمن كله كما يطمح ويتمنى الإمام ابن عبيد الله وقد أشار الإمام إلى حقيقة مهمة تفطن لها الأجانب ولم يتفطن لها المسلمون وهو أنه إذا اجتمع الأتراك والعرب كانوا قوة تكتسح كل ما أمامها ولهذا ذكر الإمام في مقدمته لقصيدة سابقة أن هزائم الأتراك بدأت بعد النهضة المشؤومة؛ وهو يشير بذلك إلى الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين بن علي من مكة سنة ١٣٣٤هـ بتدبير من الإنجليز وأدت إلى انفصام العلاقة بين الأتراك والعرب.

(١) النصف: بالكسر الإنصاف.
(٢) العرف: المعروف.
(٣) اللهف: الأسى والحزن والغيظ.
(٤) لم يجدنا نواله: لم ينلنا برّه.
(٥) يرفو: يصلح.

تجاوب القائد العثماني علي سعيد باشا مع القصيدة

وما كادت تصله؛ حتى عاد جوابه ينطوي على وثيقة؛ تقتضي اعتراف من يوقع عليها للدولة العليَّة؛ ودخوله تحت طاعتها؛ وتؤكِّد ملكية البلاد لدولتها، وألحّ عليَّ في بذل المجهود لإقناع الأمراء والأعيان بالإمضاء عليها؛ وأذن لي في تلطيفها إن إقتضى الحال، فلم أزل أحاولهم بالترغيب والترهيب[1]؛ حتى وقَّعوا على عدة نسخ منها؛ وهي بحالها لم يحذف منها شيء؛ وأرسلتُ بعض نسخها إليه؛ مع القصيدة الآتية؛ وأبقيت بعضاً لأخذ إمضاء الباقيين، ومما يستحق الإعجاب ويستلفت النظر؛ ما فعله الشيخ عبد الله بن عوض بن عبدات؛ فإني لما اجتمعت به؛ ونسخةٌ منها في جَيْبي؛ أطلعته عليها؛ وقد تهيجَتْ منها السياسة الإنكليزية وتنُوقِلت أخبارها؛ ولحقني الأذى بسببها من أعداء أنفسهم ودينهم، وبمجرد ما عرضتها عليه؛ استدعى بالمداوة والقلم؛ فقلت له: لا تعجل حتى تعلم أنك بالتوقيع عليها؛ تُعرِّض مالك وآلك للخطر؛ بسنغافورة والمكلّا وعَدَن؛ وربما يعاتبك أصحابك؛ ويلومك رفاقك؛ فلا تقل أنّي غششتك، فأخذته حميّة؛ واقشعرَّ من الغيرة؛ وأخذ ينتفض من الزمَّع[2] وقال: أليس هذا واجب الدِّين؟ أليس هذا سلطان المسلمين؟ فقلت له: بلى. قال: والله لو أنَّ الشِّفار على رقاب أولادي؛ أمام عيني؛ ما انثنيت من التوقيع عليها، وليس في دعوة الإسلام مزاحمة.

---

(١) تتبين شجاعة الإمام ابن عبيد الله الفائقة هنا فهو رغم كونه من رعايا الدولة الكثيرية الخاضعة للإنجليز والواقعة تحت سيطرته إلّا أنه يقوم بجمع توقيعات السلاطين والأعيان على وثيقة تعترف بوقوعهم تحت رعاية الدولة العثمانية أعدى أعداء الإنجليز؛ برغم علم السلطات الإنجليزية بهذه الوثيقة الخطيرة وكتب الإمام في مخطوطة بضائع التابوت: فغضبت من ذلك حكومة عدن وبذلت الأموال الطائلة لمن يغتالني؛ وكلفت السلطان غالب القعيطي بحرب آل حضرموت الكثيريين بسبب توقيعهم على تلك الوثيقة وتهددت الموجودين منهم بسنغفورا بالحجز على أموالهم (انتهى ص١١٥ ج٢ ق٢)؛ إلّا أن حميَّة الدين ورغبته في خدمة دولة المسلمين لم تجعله يلتفت لأي خطر ولا يهتم بأي ضرر.

(٢) الزمع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

القصيدة السادسة

إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا مع وثيقة الولاء

وكان إنشاؤها على عجَل؛ لهذا لا تخلو عن الضعف؛ والمعاقبة بين الياء والواو؛ المكروه عندي؛ وإن جوَّزه أهل القوافي.

يا ليتَ شعريَ هل أنال السُّؤلَا ... وأحصِّلُ المطلوبَ والمأمولَا

أم تُرْتِجُ الأيامُ وجْهَ مطالبي ... أبوابها وتردُّني مخذولا[1]

لا كان هذا في القضاء فإنَّ لي ... ظنّاً بربِّ العالمينَ جميلا

حاشاه مِن ردِّي وكيفَ يردُّني ... من لا يزال نوالهُ مبذولا؟

فاليمن بشَّرني بإدراك المُنَى ... والدهرُ يمطُلُني وكان مَطُولا

فَلأصبرنَّ إلى حلول كتابةٍ ... فمن الحماقة أن أكون عَجُولا

وسأعملنَّ لرفع قومي إنهم ... بلغوا القرار من الشقاء نُزُولا

وصَلُوا لِسوء الحظِّ أسوأ حالةٍ ... ومن الجمود استمحلُوا التحويلا[2]

أَسعى بإخلاصٍ لأرأبَ صدعَهُم ... فأرى صنيعي عندهم مجهولا[3]

بلَغ الإياسُ بهم لغاية أنهم ... لم يحسَبُوا إنقاذَهم معقولا

(١) ترتج: تغلق. وجه: في وجه.

(٢) استمحلوا التحويلا: حسبوه محالاً.

(٣) لأرأب صدعه: لأصلح أمرَهم.

إن يَسْخَروا منِّي فُنوحُ سابقاً ... من قومه قد صادَف التضليلا
جَهِلوا الصلاحَ وشأنَه وطريقَه ... لكنْ عليه وجدتُني مجبُولا
فلأُفرِغَنَّ الجُهدَ في تخليصهم ... مما به قد نكَّلُوا تنكيلا[1]
ولأسْمُوَنَّ بِهِمَّتي حتى أرى ... بالترك حبلَ ودادِهم موصولا
ولأنهضَنَّ ولا نصيرَ سوى الذي ... فاضت قناه من النجيع سُيولا[2]
ربَّ الهدى غيظَ العدا تِرْبَ الندا ... الأريحيَّ الماجدَ البهلُولا[3]
الصادقَ الهممِ الذي عَزَماتهُ ... تذَرُ الحديدَ مكسَّراً مفْلولا
والخائضَ الغمراتِ لا متهيِّباً ... يذرُ الحُزونَ من الجهادِ سُهولا[4]
جمَّ المناقِب والعلَى فكأَنه ... لعناصرِ الشَّرف الأثيلِ هَيُولى[5]
بابَ النجاح فمن أتى من غيره ... يرجو السعادةَ لا يرومَ وُصُولاً
«لَحجٌ» على اليمنِ الأغر سَمَتْ به ... لما بدَا في أَوجها إكليلا[6]
وزهَتْ بحسن صنيعهِ وتمدَّنت ... لمَّا أضاء بجوِّها قِنْدِيلا
ما ضرَّني من فَاتني إن كان لي ... فيما أؤمِّل أن أنال دليلا
إني وإن لم ألقَهُ فثناؤه ... ملأ البسيطة غُرَّةً وحُجُولا
شاق الفؤادَ كتابهُ فحبَوْتُه ... مدحاً يؤُمُّ جنابَه المأهُولا
أرسلته عني ينوب وليتني ... كنت اتخذتُ مع الرسول سبيلا

---

(١) فلأفرغن الجهد: أبذلنَّه.

(٢) النجيع: الدم.

(٣) رب الهدى: أقصد رب الهدى. ترب الندى: الترب هو المساوي في السن. الأريحي: الواسع الخُلق المنبسط إلى المعروف. البهلول: الحي الكريم.

(٤) الحزون: جمع حزن وهو ضد السهل.

(٥) الأثيل: الأصيل. هيولى: هي أصل المادة باصطلاح الفلاسفة حيث ذهبوا إلى أن الأجسام مركبة من الهيولى والصورة.

(٦) لحج بلدة بعدن أبين سميت باسم لحج بن وائل بن قسطن.

ردّ الجنرال علي سعيد باشا على القصيدة الثانية

فما كان بأسرع عودة جواب منه؛ قرأناه على الملأ؛ فهزَّ الشعور؛ وأزعج النفوس، وملأ القلوب، وأثار الحفاظ بما ذكر عن رجاله؛ من التدفق على نيران المدافع؛ والتقدُّم إذا استعرَّت الحربُ؛ وحمِيَ الوطيس؛ وزلَّت الأقدام؛ وتقاصرت الخُطى؛ وأصفرَّت الألوان. وكنت استأمرته في السفر للجهاد؛ واستأذنت فيه الوالدة؛ فأذنت؛ مع أني واحدُها؛ ولا تصبر عنِّي لحظةً؛ ولكنها قالت: أمَّا سبيل الله فلا أقدر على منعك عنه؛ ولا عن حرمانك الشهادة؛ فعاد جوابه؛ بالكفّ وقال: إن الأصلح للإسلام بقاؤك حيث أنت(١)؛ فبعثت إليه بهذه القصيدة؛ وهي القصيدة السابعة التالية:



(١) يحتوي هذا الكلام على حكم فريدة وفوائد عظيمة وهي أن الحمية الدينية قد بلغت بالإمام ابن عبيد الله هنا أقصاها والرغبة لنصرة جيش الإسلام وصلت به لمداها فهو لم يحدث نفسه فقط بالذهاب إلى الجهاد ضد الإنجليز في جيش علي سعيد باشا بل طلب إذن القائد التركي في مرافقته لهم في الحرب رغم أن الإمام ابن عبيد الله يعيش بعيداً في حضرموت في جو صوفي بعيد عن حمل السلاح والمشاركة في الحروب ولكنها حمية الدين. ثم الأمر العظيم الثاني هو تصرف والدته التي مات زوجها وبقي معها ابنها الوحيد الذي يعولها ويؤانسها فكان ردّها عليه شبيهاً بما كانت تقوله الصحابيات لأبنائهن وأزواجهن الذاهبين إلى الجهاد مع النبي ﷺ؛ ولم يخالف الإمام ابن عبيد الله الشرع هنا؛ فقد طلب الإذن بالجهاد؛ من وليّه الذي وقع له بالتبعية؛ ثم طلب الإذن بالجهاد من والدته. كما نتبيّن هنا حكمة هذا القائد التركي؛ الذي عرف أن قلم ابن عبيد الله ولسانه؛ أكثر نفعاً للمسلمين من سيفه وحسامه.

القصيدة السابعة

إلى قائد الجيوش العثمانية
بلحج علي سعيد باشا

هذا لعمركَ ريحُ النصر ننشَقُهُ ... وطالعُ اليمن والإقبالِ نَرمُقُهُ
يا لشكر كلٌ لسان جدَّ صَادِحُهُ ... حتى الجماد يكاد الفَالُ يُنِطقهُ[1]
تجري السوانحُ بالبُشْرى ومن طرَبٍ ... يتلُو على البانِ آياتٍ مطوَّقُهُ[2]
تنبهَ الحقُّ للأوهام يَدْمَغها ... وقام للشرك والطغيان يُزْهِقهُ
ولاح في ظلمات الشك بدرُ هدًى ... أنواره عَمَدت للكفر تَحرقه
هذا الذي ابتهج الدين الحنيف به ... هذا الذي كانت الأرواح تعشَقُه
هذا الذي وعد الرحمنُ ملّته ... قد انبرى واحدُ الدنيا يصدِّقهُ
قام الرشاد أميرُ المؤمنين على ... رغم العُداة بإخلاص يحققهُ
تألَّبت دولُ الإفرنج واجتمعت ... وقام قائمهُا للدين يَخنقُهُ
ودبَّروا حيلةً في حضد نَبتَتِهِ ... ومَخوِه وتولَّوْا من يمزقُهُ[3]
واستأجروا بعض إخوان النفاق على ... بَذر الشقاق ومرماهم تَفَرُّقهُ
وكم سَبَى ذُو خداع منهُم زُمَراً ... من الطَّغام فأرداهُم تملُّقهُ[4]

---

(١) صادحه: ناطقه.

(٢) السوانح: الطير السانحات وهي التي يتفاءل بها الخير. المطوق: الحمام ذو الطوق.

(٣) تولوا من يمزقه: اتخذوه ولياً لهم ونصيراً.

(٤) سب: أسر. زُمراً: جماعات. الطغام: الأوغاد والسفلة.

وغـرَّهـم مـنـه لِـيـنٌ فـي مـلامِـسِـه … مـثـلَ الأسـاود فـي قـولٍ يُـنـمِّـقـهُ
فـي كـلّ عـام تـنـوب الـديـنَ نـائـبـةٌ … شعـواءُ منـهـم بقـوس الشر تـرشـقُهُ
لم ننس في حادث البَلْقان ما صنعوا … فيـنـا فـكـلٌّ مغـيـظُ القـلـب مُحـنَقُهُ
يبكي الغيور دماً من سوء ما فعلوا … حـتـى تـكـاد شـؤون الـدمـع تُـغْـرِقـهُ
فـكـان عـاقـبـةُ الـطـغـيـان فـتـنـتَـهـم … والـلّـه يـمـكـرُ بـالـطـاغـي ويُـوبِـقـهُ(١)
تـسـعَّـرت بـيـنـهـم حـربٌ يـشـيـبُ لـهـا … مـن الـولـيـدِ لـعُـظْـم الـهـول مَـفـرِقَـهُ
وأيَّـد الـلّـه أدنـى الـفـرقـتـيـن إلـى … خـلـيـفـة الـديـن مـن لا نِـدَّ يـلـحـقَـهُ
فرعُ الملوك الأولى شادوا الفخار له … زاكي النجار كريمُ الأصل معْرِقهُ(٢)
مـهـذّبُ الـرأي مـيـمـونُ الـنـقـيـبـة لا … يُـخـطِـي الـرميّـة فـي سـهـمٍ يـفـوِّقـهُ(٣)
مـنـوَّر الـقـلـب لا تـنـبـو فـراسـتـه … مـسـدَّد الـفـكـر لـلآتـي مـوفـقَّـهُ
رَأى مـن الـحـزم إعـلانَ الـجـهـاد عـلـى … حزبِ الفساد فأمسى الرعْبُ يُقلِقه
فـي كـلّ وجـه لـه جـيـشٌ يـوجِّـهـه … إلـى فـريـق مـن الـعـاديـن يَـسْـحَـقـهُ
كـأنَّ كـل خـمـيـسٍ فـي تـمـوُّجـه … سـيـلٌ يـدحـرجُ أجـبـالاً تـدفـقـهُ
فـلا تـرى غـيـر أوصـال مـقـطَّـعـةٍ … يـومَ الـكـريـهـة أوهـامـاً يُـفَـلِّـقـهُ
نـارٌ مـن الـجـوّ تـصـلاهـم وثـانـيـةٌ … فـي الـمـاء تـلـتَـهـم الـبـاغـي وتُـشْـرِقـهُ
قـولُ الألـى حَـرَمُـوا الأسـمـاك يـومـئـذ … قـولٌ عـلـيـه مـن الـتـحـقـيـق رونـقـهُ
مـا سـار إلّا وَريـحُ الـنـصـر تَـقْـدمـهُ … أنَّـى انـتـحَـى فـي أمـان الله فَـيْـلَـقَـهُ
ولـم يَـسـر بـمـكـان قـطُّ عـسـكـرُه … إلا كـأنَّ فـتـيـتَ الـمـسـك يَـعْـبَـقـهُ
بـنـعـمـة الله لـم يُـعـقَـدْ لـه عـلَـمٌ … إلّا تـقـدَّم حـسـنُ الـحـظ يـسـبِـقُـه

---

(١) فتنتهم: ابتلاءهم. يوبقه: يهلكه.

(٢) النجار: الأصل. المعرق عريق النسب الأصيل في الكرم والحسب.

(٣) ميمون النقيبة: مبارك النفس مظفّر بما يحاول.

يا ليت شعريَ هل تسعى بذي مِقَةٍ يرجو الشهادة للهيجاء أَينُقُهُ؟[١]
إذا دَجَا الليل لم تسكن بلابلُه بل يرقُب النجم من همٍّ يُؤَرِّقُهُ
أم هل يكون له أجرٌ لأنَّ له عذراً به نُوَبُ الأيام تُوثِقُهُ؟
والشاهد الله أن الموت مُنْيَتُهُ يَبيتُ وهو معنًّى القلب شيِّقهُ
في ظلمة الليل يدعو الله مبتهلاً ويرسِل الدمعَ من شجْو ويُطْلِقهُ
مقدَّماً جاهَ طهَ في تَوسُّلِهِ وكلُّ صعبٍ به ينحلُّ مُغلَقهُ
أن ينصرَ الدينَ بالفتح المبين على حزب اللعين بِلَا شيء يعوقُّهُ
وأن يعُجِّلَ للمولى الرشادِ بما يشفي بلابلَه فيهم ويوُنقُهُ[٢]
وأن يظفِّره والتابعين له بحراً وبرّاً ولا مكروه يلحقه
وأن يُفيض علينا سَيْبَ رحمته فهو الذي ينعش الآمال مَغْدقَهُ[٣]
ولحظةٌ منه للوادي بنشوتِها يَحيْا المواتُ ويُؤتِي الثَّمْرَ مورقهُ
كم نستغيث ونشكو ما أَلَمَّ به فالظلم فيه انبرى بالجور يرهقهُ
وذاك عارٌ على الأتراك إنهُم لِقُطرنا سورهُ الضافي وخَندقه
ولو درى بالذي نشكو خليفتنُا لبادَرَتْنا مع الأبطال سُبَّقهُ[٤]
لكننا اليوم أَلفَيْنا السبيل إلى باب النجاح فجيئا الآن نطرقُهُ
علَّقت حبل رجاءٍ بالسعيد ولن يخيب ذو أملٍ فيه يعلِّقهُ

* * *

(١) مقة: محبة.
(٢) يونقه: يعجبه. من آنقه الشيء أعجبه.
(٣) سيب رحمته: الرحمة التي هي كالمطر.
(٤) سبقة: المبكرون من القواد.

القصيدة الثامنة

إلى قائد الجيوش العثمانية
بلحج علي سعيد باشا

بشّرْ فؤادَك جاءك التمكينُ ... واستَفْتِ قلبك فالإله ضمِينُ

ثِقْ بالذي وعدَ الكريمُ عبادَه ... فجميعُ ما وعد الكريمُ يَقِينُ

ستنالُ ما تهوى لأنك مؤمِنٌ ... والمصطفى فيما يقول أَمينُ

للّه درُّك يا سعيدُ بك انطوت ... نارُ الرَّدى واعتزَّ هذا الدينُ

أهديتَ للمختار قُرَّةَ أعين ... في قبره فأضاء منه جَبِينُ[1]

ودعا بنصرك والملائكُ حوله ... زُمَرٌ عليه جوابُها التأمينُ

سِرْ حيث شئتَ فإنَّ سعدك طالعٌ ... واليمنَ عبدكُ والنجاحَ قرينُ

ومن النبي وصهره وبنيهما ... مددٌ لجيشك في الحروب يُعِينُ

هيهاتَ يُهزَم عسكرٌ قدامَهُمْ ... روحُ النبي وفيهمُ جبرينُ

والرعبُ خادِمك المطيعُ تزلزلتَ ... عدَنٌ به والهندُ ثم الصينُ

كُبِتَ العدوّ فكل ذِمْرٍ طرفهُ ... منهم لقاصمة الظهور سَخِينُ[2]

ضاقَ الفضاء بهم كأنّ بلادهم ... بعدَ النضارةِ والبها سِجِّينُ[3]

---

(١) أهديت للمختار: يريد النبي ﷺ.

(٢) ذِمْر: شجاع يقال: رجل ذمر أي شجاع من قوم أذمار. سخين: باك.

(٣) سجين: وادٍ في جهنم.

كم وقعةٍ لك يا سعيدُ تدهدأت منها الجبال كأنهنَّ الطّينُ[١]
تطفو بها جثثُ العِدَا فكأنها تحت الغُبارِ على النجيع سفينُ[٢]
تطأ المذاكي في حدودِ غرَّها شحمُ الكُلَى حتى أتاها الحِينُ[٣]
وإذا صَهلْنَ بناتُ أعوجَ فوقَهم فجوابهُم من تحتهِنَّ أنينْ[٤]
أشجَيتَهُم ونقضتَ مُبرَم فتلِهم وهَدمْت ركنَ الكفر وهو رَكينُ
أنت القَذَى لعيونهم وكأنما ذكراكَ في أكبادهم سِكّينُ
أشِرُوا وماجُوا واستبانوا أنَّ من تَبِعوُه في هذي الحروب أفِينُ[٥]
وتوهموا أن الملاحم سَهلة والطعنُ تمرٌّ في اللَّهَا أوتِينُ[٦]
كم قائدٍ منهم زُهِي بجيوشه واختالَ جهلاً ذلك المسكينُ
لمْ تمهلوه غداةَ يَشْتَجِرُ القَنا إلّا وطوَّقَ جِيدَه تِنّينُ[٧]
أرغمت آنُفَهُم بقومٍ ما لهَمُ إلّا إلى دار الخلودِ حَنِينُ
يتمثلون كأنّهم فيها تُنا دمهم على سُررِ النُّضار العِينُ[٨]
فتهونُ أنفسهم وأيُّ موحِّدٍ مع ذا بعيشٍ لا يَسُرُّ ضنينُ؟

---

(١) تدهدأت الجبال: قلب بعضها على بعض.
(٢) النجيع: الدم. جعل الجثث على الدماء كالسفينة على الماء.
(٣) المذاكي: الخيل أتى عليها بعد قروحها سنة. الحين: وقت الموت يقال: حان حينه أي دنا وقته. قال مدرك بن حصن: «وليس ابن أنثى مائتاً دون يومه ـ ولا مفلتاً من ميتة حان حينها».
(٤) بنات أعوج: الخيل. وأعوج فحل كريم تنسب الخيل الكرام إليه فيقال: خيل أعوجية. وهذا الحصان من بنات أعوج. فوقهم: فوق العدا.
(٥) أشروا: بطروا. ماجوا: تحركوا واضطربوا. أفين: مأفون الرأي فاسده.
(٦) اللها: اللهاء جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق.
(٧) يشتجر القنا: يشتبك. جيده: عنقه. التنين: الثعبان العظيم.
(٨) النضار: الذهب. العين: الحور العين.

أُسدٌ براثِنُهَا الحرابُ وما لها ... إلا المَوَازِرُ والجيادُ عَرِينُ[١]

شُوسٌ إذا سمعوا النفيرَ إلى الوغَى ... يزْهَوْن من طرَبٍ لهم تَلحِينُ[٢]

نغمُ المدافِع في المعامِع عِندهم ... من دونها السنطير والقِنِّينُ[٣]

يتحنَّطون إذا أصاخوا قَصْفَهَا ... يا حبَّذا التحنيطُ والتكفينُ[٤]

يا ليتنا كنا حضَرْنا بينهم ... حيث استيامُ الأجر والتثمينُ

حيث الجنانُ تَضُوعُ طوبَى لامرئٍ ... منه استفادَ بشمِّها العِرْنِينُ[٥]

يا قائدَ الخيراتِ يا مَن بأسُه ... صعبٌ وشيمتُه الحيَا واللِّينُ

يا مَن به اليَمَنُ استراح وأهلُه ... يَردُونَ ماءَ الأمن وهو مَعِينُ

بك سُرَّ وجهُ محمدٍ ومحمدٍ ... وكلاهما مما ألَمَّ حزينُ

وخدمتَ دولتكَ العليَّة خدمةً ... كبرَى بها اليَمَنُ الأغَرُّ يَدِينُ

نظمتْ سياستُك البلادَ سوى التي ... فيها صدِيقُكم الحميمُ قَطِينُ[٦]

فانهَضْ لها فالظلْم فاض بأرضها ... والحقُّ فيها يا سعيدُ دَفينُ

مع أنها كانت قراراً للهُدى ... في جوِّها نورُ النبيِّ مبينُ

وهي التي اشتهرتْ بسابق فضلِها ... حسناءُ لكن بعَلْها عنِّينُ

والإنكليزُ بجُدَّةٍ يرنُو لها ... في صدره الطمعُ الشديدُ كنِينُ[٧]

---

(١) براثنها: جمع برثن وهو مخلب الأسد. الموازر: المآزر جمع مئزر وهو الإزار الذي يستر ويواري. العرين: مأوى الأسد. يريد أن عرينهم الدروع ومتون الخيل.

(٢) شوس: ينظرون نظر ذي نخوة وكبر؛ جمع أشوس.

(٣) السنطير: لعله آلة طرب معروفة عندهم. القنين: الطنبور من آلات اللهو والطرب.

(٤) أصاخوا: استمعوا. يقال: أصاخ له استمع.

(٥) تضوع: تفوح روائحها الطيبة. العرنين: الأنف.

(٦) قطين: مقيم.

(٧) كنين: مستكن مستتر.

والـلّـهُ يـدفـعُ كـيـده ويـردُّ مـن ... نـشـرَ الـدسـائـس عـنـه وهْـوَ مَـهِـيـنُ
فـاسـتـصـدرِ الأمـرَ الـشـريـفَ بـضـمِّـهـا ... فِـعْـلاً فـأنـتَ لـدى الـمـلـيـكِ مِـكـيـنُ
عـجّـل فـإن الـصـبـرَ ضـاق نـطـاقُـه ... والـقـلـبُ فـيـه مـن الـهـمـومِ كِـمَـيـنُ
وانـصـرْ حـلـيـفَـك إنـه بـولائـه ... لـك فـي الأذى مـن مـبـغِـضِـيـه رَهِـيـنُ
كَـلِـبَ الـزمـانُ عـلـيـه والأعـداءُ قـد ... حَـرِبُـوا ومـا حَـفِـظ الـذمـام خَـدِيـنُ[1]
وأُنـاسُـنـا يـتـلـوَّنـون كـأنـهـم ... مـاءٌ ويـسـتـهـويـهُـم الـتَّـزيـيـنُ
ولـنـا الـوفـاءُ سـجـيّـةً والـلّـهِ لا ... نـلـوِي عـزيـمـةُ صـادقٍ ويـمـيـنُ[2]
واسـأل فـقـد شـهِـد الـزمـانُ بـصـدقـنـا ... مـا نـحـن مِـمَّـنْ فـي الـعـهـود يـمـيـنُ[3]
فـي الله مـا قـد مـسَّـنـا ورضـاه غـا ... يـةُ قـصـدِنـا والـظـنُّ فـيـه مـتـيـنُ
والـمـجـد صـعـبٌ والـمـعـالـي نـيـلُـهـا ... تـعَـبٌ بـه راجـي الـنـجـاح قَـمِـيـنُ
فـاعـزِم وجـهِّـز بَـعـثـةً يـا مَـنْ لـه ... رأيٌ إذا خـفَّ الـوقـودُ رَزِيـنُ[4]
وأخـافُ أن الـرَّيْـثَ يَـعـقِـب حَـسـرةً ... إنْ صـحَّ مـا يَـقْـضِـي بـه الـتـخْـمِـيـنُ[5]
هـذي الإشـارة قـد بـعـثـت بـهـا عـلـى ... وَجَـلٍ وأنـت لـمـا نـشـيـر فـطـيـنُ
واسْـلـم ودُم وعـلـيـك يـا غـيـظ الـعِـدَا ... سـورٌ مـن الـلـطـفِ الـخـفـيِّ حَـصِـيـنُ

* * *

(١) كَلِبَ الزمان عليه: اشتد عليه. حرب العدو: اشتد غضبه. خدين: من يصاحبك في كل أمر ظاهر وباطن.
(٢) والله لا نلوى: قسم وجوابه ثم قال: تلك عزيمة صادق ويمين بالله لا حنث فيها.
(٣) يمين: يكذب.
(٤) بعثة: جيشاً.
(٥) الريث: البطء والتأخير.

القصيدة التاسعة

يصف ما يحدث له ببلده وشوقه لمشاركة المجاهدين بلحج

ثم إن الإنكليز استاؤوا من تلك الوثيقة؛ وجعل الأموال الطائلة لمن يغتالني؛ أو يأتيه بي؛ وكلَّف القعيطي بحصار حضرموت[١]؛ وتهدَّد الموجودين (بسنغفورة)؛ من أهلها بالحجز على أموالهم، وبعد لأيٍ ما؛ سمح لهم بالذهاب إلى عَدَن؛ ليتفاوضوا مع وزير القعيطي في المسألة الحضرمية؛ وكان فيهم ممثل الدولة الكثيريّة؛ وانتهى أمرهم بالمعاهدة المعروفة؛ المشتملة على الإحدى عشرَة مادةً، وكان وزير القعيطي السيد حسين المحضار؛ صحيحَ الإسلام؛ يسعى لصالحه؛ وما انتفعت لَحج إذ ذاك؛ إلّا بالبضائع التي تردها من المكلا؛ عن علمه؛ إلّا أن وظيفته اقتضت بعض ما هناك؛ ووَدَّ لو تشدَّد أهل حضرموت؛ ولكنهم سقطوا بمجيء الهَزِّ وفي ذلك قلت:

بِـقـلْـبـي لا يـزال جـوًى مـقـيـمُ ... كـأنـيَ مـنـه فـي الـداجـي سـلـيمُ[٢]

تـعُـاتـبـنـي الـمِـلاح عـلـى سُـهـادِي ... لأنـــي لا أنـــام ولا أُنِـــيـــمُ[٣]

وكـيـفَ يـنـامُ حـرٌّ لـم يـشـاهِـدْ ... مـن الأحـوال إلّا مـا يَـضِـيـمُ

مـع الأغـراض جُـلُّ الـنـاسِ مـالُـوا ... فـكـلٌّ فـي مـفَـاوزِهـا يـهِـيـمُ

(١) أي حضرموت الداخل؛ وهي الدولة الكثيرية التي يعيش فيها الإمام ابن عبيد الله.
(٢) الداجي: الليل المظلم. سليم: ملسوع.
(٣) سهادي: أرقي.

جفاني الأصدقاءُ وصدَّ عني ... أُولو القُرْبَى وباعَدَني الحميمُ
دِهاناً بعضُهم مالُوا وبعضٌ ... توكَّنَ صدرَه الداءُ القديمُ[(١)]
وما لي عندهم واللّهِ ذنبٌ ... سوى أني على عهدِي مقيمُ
وكم غُمِزَتْ قناتي غيرَ أني ... أَبِي لي أن أَلِينَ تُقى وخِيمُ[(٢)]
وقد كنَّا وإياهُم جميعاً ... على رأي ففرَّقنا الرَّجيمُ
وما وَهَنُوا بلا سبب ولكن ... أحاط بمالِهم خطَرٌ عظيمُ
وأودَى بالبلاد الحضْرُ حتى ... تضرَّرت الأراملُ واليتيمُ[(٣)]
فسوَّلت النفوسُ لهم وشحُّوا ... بدُنيا عَيْشُها كَدِرٌ وَخِيمُ
وما يخْشَوْنه سقَطوا عليه ... لو اعتَبرُوا إذا نصحَ الحليمُ[(٤)]
ولو صبروا لنالُوا كلَّ خير ... كما قد صرَّح الذكرُ الحكيمُ
ففي الصبر النجاةُ وإن أضرَّت ... أوائلُه فعُقباهُ النعيمُ
يظنون التهاني بالأمانِي ... وما مَرْعى المُنَى إلّا هَشِيمُ[(٥)]
ومِنْ دونِ الجنانِ لِطالبيها ... مواقفُ يَنْثَنِي عنها اللئيمُ
فلا يَستافُ ريَّاها جَبانٌ ... بمهجته يَضِنّ فلا يُسيمُ[(٦)]
ومَن لي أن أبيعَ بها حياةً ... فؤادي من حوادثها كَلِيمُ
فلي شوق إلى الأحباب ينمُو ... إذا ما هبَّ من «لَحْجٍ» نسيمُ

---

(١) دهاناً: نفاقاً. توكن الداء القديم صدره: تمكَّن فيه.
(٢) غمزت قناتي: الغمز العصر باليد. القناة: الرمح والمراد أنهم حاولوا فتنته بالقوة. خيم: أصل عريق أو خلق متين.
(٣) يشير الإمام إلى ما حدث بحضرموت من المجاعة بسبب الحرب.
(٤) الحليم: ذو العقل.
(٥) هشيم: يابس متفتت لا جدوى له.
(٦) يستاف رياها: يشم ريحها الطيب. فلا يُسيم: فلا يخليها تجاهد من أسمت الإبل أسيمها إذا خليتها ترعى.

هـنـالـك جـنـةُ الـفـردوسِ تُـجْـلَـى ويُـنْـصَـعُ طيـبـهُـا الـزاكـي الـشـمـيـمُ[1]
هـنـاك عـسـاكـرُ الإسـلام تَـزْهـو مـواكـبـهُـا فـيـنـدَحِـرُ الـخَـصِـيـمُ
يـدُبِّـر أمـرَهـا الـغـازي سـعـيـدٌ ويـخـفُـقُ فـوقـهـا الـروحُ الـكـريـمُ
وأنَّـى يـهـزِم الـطـاغـوتُ جـيـشـاً لـه ذو الـهـمـة الـعـلـيـا زعـيـمُ
وقـد عـرفـوا وقـائـعَـه الـلـواتـي يَـشِـيـبُ لـهـولـهـا الـلـيـلُ الـبـهِـيـمُ[2]
تُـسِـيـلُ سـيـوفـهُ مـنـهـم نـجـيـعـاً وتُـمْـطَـر مـن مـدافـعـه الـجـحـيـمُ[3]
تـدُوسُـهُـم عـلـى الأرض الـمـذَاكـي كـأنـهُـم بـهـا الـنـخـلُ الـصـريـمُ[4]
يـلَـذ لـخـيـلـه ضـربُ الـهـوادِي كـمـا يـلـتـذ بـالـطـرب الـنـديـمُ[5]
إذا اشـتَـجَـر الـقَـنـا جـاءت سـكـارى تـعَـادَى مـثـلَ مـا يـعـدُو الـظَّـلِـيـمُ[6]
تـلاحِـظـه الـعـنـايـة كـلَّ حِـيـن ويـصُـلِـح شـأنَـه الـبَـرُّ الـرحـيـمُ
وتـنـصـرهُ الـصَّـبـا ولـديـه جُـنـدٌ سـمـاويٌّ لِـرَايَـتِـهِ لَـزِيـمُ[7]
أتـانـي مـن سـمـاحـتـه رقـيـمٌ فـأثـلـج خـاطـري ذاك الـرقـيـمُ
كـأن حـروفَـه خُـطَّـت بـنـورٍ وأَنَّ خـطـابـه الـدُّرُّ الـنـظِـيـمُ
فـخـفَّـفَ مِـحْـنَـتـي لـكـنَّ شـوقـي ألَـحَّ كـمـا يـطـالـبـنـي الـغَـرِيـمُ[8]

---

(١) ينصع طيبها: يخلص. وفي الحديث: المدنية كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها أي تخلّصه.
(٢) الليل البهيم: الأسود.
(٣) نجيعاً: دماً.
(٤) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة. الصريم: المقطوع.
(٥) الهوادي: الرؤوس وأصل الهودة مجتمع السنام من البعير وجمعها هَوَد.
(٦) اشتجر القنا: استحر القتال. واشتجر أي اشتبك والقنا: الرماح. سكارى: فرحة مسرورة. الظليم: ذكر النعام.
(٧) الصبا: الريح المعروفة ضد الدبور وفيه اقتباس من حديث: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. لزيم: ملازم.
(٨) الغريم: الدائن الملح.

متى تطوي الفلاةَ بيَ المطايا ... وتَفْريها كما يفْرَى الأديمُ[١]

فأنشَقُ من شذا «لحجٍ» خُزَامَى ... ويبدو ذلك الوجهُ الوسيمُ[٢]

وتبرد غُلَّتي ويثوب أنسي ... فإن الروح من كَلَفي سقيمُ[٣]

ودُمْ ولك المناقبُ والمزايا ... وحسنُ الحظ والخيرُ العميمُ

سحاباً منه يُخصِبُ دينُ طه ... ويشقَى من صواعقه الأثيمُ

* * *

(١) تفريها: تطعميها.

(٢) فانشق: أشم. الشذى: الرائحة. الخزامى: نبت زهرة أطيب الأزهار رائحة.

(٣) العلة: هي شدة العطش. الكلف: الولع.

القصيدة العاشرة

بعد هزيمة تركيا في الحرب ومغادرة سعيد باشا للحج[١]

وبعقبها؛ كان خروج السيد حسين بن حامد المحضار لإعلان الصلح المنعقد في عدن، وقد علمت مما سبق في المحضاريات؛ أننا أنشدناه في تلك القَدْمة؛ القصيدة اللامية السالفة، وفي تلك الأثناء؛ كان تسليم لحج؛ وإبحارُ القائد المنصور، وفي سنة ١٣٣٧هـ توجَّه الأمير علي بن المنصور؛ بمعية السيد حسين بن حامد؛ ومندوب الأمير محسن بن غالب؛ إلى عدن؛ لإمضاء المعاهدة بدار الاعتماد هناك؛ وبمناسبة إيابه قلت هذه القصيدة.

يقولون حَبْرٌ في الأمير مديحاً ... وعَدُّوا سكوتي يومَ عاد قبيحا

وأهلٌ له؛ لكنني بعدَ ما نأى ... سعيدٌ غدا ذوقي السليمُ جريحا[٢]

صديقي الذي خالفتُ قومي بحِلْفِه ... وإن كان قيسٌ قد أطاع ذريحا[٣]

عصاني لساني بعده فهو أخرسٌ ... وإن كان فيما تبصرون فصيحا

وإني لجزلُ القولِ وقت ثَوائِه ... ولستُ بشِعري للأمير شَحِيحا

---

(١) وفيها يبين الإمام أنه بعد ما حصل من انتهاء الحرب بهزيمة تركيا ومغادرة صديقه العزيز علي سعيد باشا لحجاً بأمر الدولة التركية له ولهذا السبب صعب عليه قول الشعر حتى إنهم لما طالبوه بمدح الأمير علي بن منصور ولي عهد الدولة الكثيرية بعد عودته من عدن وإبرام المعاهدة مع الإنجليز لم يعد قادراً على الشعر.

(٢) وأهل له: وهو أهل للمديح.

(٣) ذريحاً: في اللسان بنو ذريح من أحياء العرب.

وإن كان لي عتبٌ عليه ففهمُهُ ... كفانِيَ عن ذكر العِتابِ صريحا
دعُوني فإن الدهر غيَّضَ فِكْرتي ... وغادَرني نِضْوَ الهموم طريحا[١]
على أنه لم يملِكْ اليأسُ خاطري ... وما زال وَزْني كيف كنتُ رجيحا
إذا لم أَبِعْ ديني وعِرْضي فَمتْجَري ... وإن فاتَ حظٌّ لا يزالُ ربيحا
ألا إن طيَر اليُمن تنعَبُ باللِّقَا ... ومنها بشيرٌ لا يزال سَنِيحا[٢]
وقد حدثتني بالنجاح فِرَاستي ... وجرَّبْت ما تَروِي فكان صحيحا
ولي ذمةٌ من طيبِ طَيِّبةٍ به ... تطيبُ وتَزْهو قُبَّةً وضريحا[٣]
ومن صنوه زوج البتول الأولى طوى ... خيالُهُم الثاوي مهامِه فِيحا[٤]
أتعثُر آمالُ امرئٍ بولائِهم ... تبوَّأَ جاهاً لا يُرام فسيحا
بهم يحتمي في كل حالٍ وينتمي ... ومن أَجلهم يهوي التَّهائم والشيحا[٥]
عليهم من الرحمن أزكى تحيّةٍ ... تعمُّ بريَّاها المنازلَ ريحا[٦]

* * *

---

(١) نضو الهموم: مهزولاً بسببها.
(٢) ينعب: يصوت. سنيحاً: طيراً سانحاً مباركاً.
(٣) طيبة: من أسماء المدينة المنورة.
(٤) الثاوي: المقيم. مهامه: فلوات. فيحا: واسعة.
(٥) التهائم: جمع تهامة. يريد أماكنهم. الشيحا: النبات المعروف.
(٦) برياها برائحتها.



القصائد الإِماميات

سبب وقصة الاتصال بالإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمداً لله على آلائه، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه، وعلى آله وأحبابه وأوليائه؛ فقد ملأ الله كتابه بذكر الأمم الخالية، وقصص القرون الماضية، ولَفَتَ الأنظار بإلحاح إلى الاعتبار بتقلُّب أمورها، وانتكاث غرورها، فمن غَزُرَ فهمه؛ وكثُر من العقل سهمهُ؛ جعل مرمى فكره؛ الأسباب التي نجم بها الصعودُ والهبوط، ونتج عنها الارتفاعُ والسقوط؛ لأنَّ حكم الله في عباده واحد، وسنتَه في خليقته لا تتبدَّل، والقرآن كما أنه ديوان أخبار السابقين؛ كذلك هو ميزان أحوال اللاحقين، والدهر يكرر درسَه؛ والتاريخ يعيد نفسَه.

ألا إنـمـا الأيـام أبـنـاء واحـد وهـذي الـلـيـالـي كـلـهـا أخـواتُ

ومَن تدبَّر آيات القرآن المجيد؛ وأكثر في قراءة التاريخ وهو مرآتها[1]؛ من التصويب والتصعيد؛ ظهر له أن مجد الأمم لا تنشَقُّ سماؤه، ولا يتداعى بناؤه، إلّا إذا انغمسوا في التَّرَف، وألفوا ظلَّ الغُرَف، وفاض فيهم الزخرف وجَرَف، ذلك وإن لم يكن لِذَاتِهِ محظوراً في الدين؛ لكنه كما نطق البرهان؛ وشهد العيان؛ باكورة ثمار المفسدين، فهو للوفاق منعاة، وللافتراق مدعاة، لهذا كانت حضرموت أيام القناعة والزهادة؛ معمورةً بالمحاسن، وماء الفضائل بها غير آسِن، وأهلها بغاية الوئام، على أحسن ما يرام؛ من بياض السرائر؛ وصفاء

---

(١) أي مرآة الأيام.

الضمائر، أما رجال الدين؛ فأقومُ طريق طريقهم، وأفضل فريق فريقهم؛ ليس لهم في الحظوظ العاجلة مشاركة؛ بل لهم تألُّهٌ يكاد يلحقهم بالملائكة؛ ويخرجهم من ظلمات البشرية الحالكة، وأما الأمراء؛ ومن دونهم من القبائل؛ فديارهم للجود مهد، ودينهم الوفاء بالعهد، إلى همم عالية؛ وكلمِ غالية، وصدق في النيَّات، وسلامة في الطويَّات، وجميعهم للدين ألب، ولمن يريد هتك حريمةَ حرْب؛ هذه حالهم كانت قبل اليوم بستين سنة[١]؛ بقطع النظر عن التاريخ القديم؛ وتلوُّن أطواره وتقلُّب أدواره؛ ثم انقضَتْ تلك السنون وأهلُها.... فكأنها وكأَنهم أَحلامُ؛ كأنْ لم يكن بين الحَجون إلى الصَّفَا .....

أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكةَ سامرُ.

ثم عَمِدَ بعضٌ إلى الطريقة؛ فكسر سورَها، ومسح نورَها، وهدم دورَها؛ وغيَّر أمورَها، بعد أن بدأ الخير يغيض، والمال بأيدي اللئام يفيض، والحسد على الباطل يُفَرِّخ ويَبيض.

وانثنى آخر؛ لعود القبائل؛ فلحاه، وحسن الاجتماع؛ فمحاه، وصادف انغماساً في النعمة؛ فانحلَّت عُرَاهم، ونبذُوا الحفَاظ وراهم، وانشقَّت عصاهم، وعمَّهم التفرُّق إلى أقصاهم؛ فأين هم من إصلاح أنفسهم؟ أين هم؟ وقد اندق عطر مَنْشمَ بينهم[٢]؟.

وانتحى الفريق الثالث على الشريعة؛ فشنق زمامها، وحرَّف أحكامها، وغمط حقوقها، وأظهر عقوقها؛ وتفصيل القضية يفضي بها إلى العول، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾[٣].

---

(١) أي في حدود سنة ١٢٧٠هـ وما قبلها؛ وهو يقصد هنا أيام الأئمة حسن بن صالح البحر ومحسن بن علوي السقاف وعبد الله بن حسين بن طاهر وعبد الله بن عمر بن يحيى وأمثالهم.

(٢) منشم: امرأة عطارة بمكة وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت القتلى فقالوا أشأم من عطر مَنْشمَ.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٠.

تسنَّى ذلك؛ بموافقة هوى من الأولياء؛ روَّجَ غِشَّ أُولِي الأغراض، وأقطع الناصحين جانب الإعراض، بعدما رثَّت الحبال، وأجدب الرجال، وانقلب السير إلى الوراء؛ وانعقدت الآمال بأهل الثراء؛ فانتشر الجذام، وكثرت المذام، وعظمت الخطوب؛ واختلفت القلوب.

واليوم؛ الأمر أدهى، والمنكر لا ينهى، والطغيان يقطُرْ، والشيطان يخطُرْ، والحُرَمُ منهوكة، والدماء مسفوكة، أما الحلف[1]؛ الذي تمنى الضعفاء أن يظفروا منه بكنز؛ فأضْيَعْ من صيحة في فلاة؛ وأهون من عفطة عنز[2].

وأنا بحمد الله؛ من شرخ الشباب؛ لا أسكت على ما يستمرىءُ اللئام هضمه، ويستلذُّ باعة الذمم قضمَه، رافعُ العقيرة[3] بدعوة القوم إلى الحق؛ إلّا أنها لم تزدْهُمْ إلّا نفاراً منه؛ وإدباراً عنه؛ حتى تمزَّقت أوصاله، وبُؤتُ بالحسد؛ فتكسَّرَت فِيَّ نصاله.

واتفق أن خُسِفَ هلال أزعجني محاقه، ومسخ قلبي طائراً فراقه؛ فشخصت أواخر عام ١٣٢٩هـ عن الوطن؛ وأنا في التاسعة والعشرين من عمري؛ تتقاذفني الهواجس؛ وتتجاذبني الوساوس، تعدمني الحمية وتوجد، وتُتْهِمُ بي العزيمة وتنجِدْ، في تطلُّب فرجٍ يندفع به الضَّير، وتشمُّ منه البلاد عَرف الخير؛ لأنني لما ضعف بأهلها الأمل، أجمعت على مداومة العمل، إلى أن يستنوق الجمل.

وذهبت كالهائم مع قِلَّة الاطلَّاع على الأخبار، وعدم الإلمام بما يقع في الأقطار، فالمعمور حتى القريب منَّا، بحكم البعيد عنا؛ إذا حاله غريب عندنا[4]، ولو بقينا على العزلة لأحرزتنا السلامة من الباقي، ولكن غزتنا طلائع التمدن

---

(١) يقصد معاهدة الحماية مع بريطانيا.

(٢) عفطة عنز: ضرطتها.

(٣) العقيرة: الصوت.

(٤) يوضح هذا الكلام عزلة حضرموت الهائلة عن بقية العالم مما يثير استغراب القارىء لما كان عليه الإمام من المتابعة لأخبار الدولة العلية وما يحصل في العالم من حروب ونكبات.

المشؤوم؛ فزادت الطين بِلَّة، والمريض علَّة، فالشر تُذكى نارُه، والشرف يُبكى منارُه.

وأول ما استلفت نظري في رحلتي؛ كتاب دفعه لي الأستاذ العلامة الوالد أحمد بن حسن العطاس بحريضه؛ وقال: اقرأ عليَّ من أول ما تقع عليه عينك؛ ففعلت؛ حتى جاء ذكر بعض العلويين بما لا يعجبه؛ فأخذ الكتاب؛ ولكن بعد ما نعَّش أملاً عَثَر، وجدَّد لي رجاءً دَثر؛ وعيَّن جهة قصدي؛ وأراني مكان ضالَّة طال لها نَشدي.

ذلك الكتاب؛ هو الرحلة المتوكلية لابن جرموز؛ الذي ملك عواطفي؛ خصوصاً بما ذكره عن الإمام المتوكل على الله؛ إسماعيل؛ من استنقاذه حضرموت؛ لمَّا استنجده الأمير بدر بن عمر الكثيري؛ وبعد أن رواها بالدماء؛ وأنفق عليها من الذهب ما يوازي قطر السماء؛ دفعها برمَّتها له؛ لقمة هنيَّة؛ وهدية سنيَّة؛ قانعاً منه بالدعوة المنبرية؛ ومشترطاً عليه الاعتصام بسنَّة خير البرية.

هكذا هكذا وإلا فلا لا　　طرقُ الجدِّ غير طرق المزاح

عند ذاك؛ صرَّح المخض عن الزبدة، وانعقد العزم بلا تردُّدْ إلى شهارة أو صَعدة؛ وعليه كان الذهاب إلى عدن؛ وثمَّ أنشأت القصيدة الأولى من الإماميات؛ ولكن لم أجد من يساعد، بل فتَّ المشير في الساعد، والأمور مرهونة بأوقاتها، وإذا لم تُواتِك الأيام فواتِها، وتلك القصيدة مع البلاغة؛ قليلة النضرة، لأنها فيما أظن؛ لم تسعد بالإرسال إلى تلك الحضرة، هذا هو السبب الأول؛ الذي وصل بذلك الجناب حبالنا؛ وعلَّق به؛ أيَّده الله؛ آمالنا.

* * *

القصيدة الأولى

إلى الإمام يحيى حميد الدين(١)

ماذا على الطَّيف لو حيًّا فأحيانا وزارنا في سوادِ الليل أحيانا
وسرَّ روحَ محبٍّ لا يزال به مستغرِقَ الفكر والإحساس حَيرانا
لقاً من الوَجْد قد غابت مشاعرهُ إن قيل كيف يزور الطيفُ يقظانا(٢)
حاولتُ كتمَ الهوى يوم الوَداع فلم أَقدِر عليه لأن الصبرَ قد خانا
فكيف أسترُه والضعفُ يظهِرهُ والدمع يَجري على الخدَّين هَتَّانا(٣)
يكفي بِلَوْثي وبالجسم الضئيل على ما في الحشا من أُوار البَين برهانا(٤)
بانُوا فبانتْ مسرَّاتي وعوَّضني فراقهُم بعد طول الأُنس أَحزانا
تقول لي النفس همْ في القلب ما برِحوا وإن نأَوْا عنك أشباحاً وأعيانا

---

(١) الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين هو مؤسس المملكة المتوكلية اليمنية وقد كانت من قبل تابعة للدولة العثمانية وقد خاض الإمام حروباً كثيرة مع الأتراك ثم مع جيرانه العرب حتى استقل بدولته في حدودها المعروفة. وقد استقل بجميع اليمن بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية وأسس مملكته التي حكمها من عام ١٣٢٢هـ إلى عام ١٣٦٧هـ. قتل الإمام يحيى سنة ١٣٦٧هـ في انقلاب هدف إلى تغيير الدولة لكن الانقلاب فشل فيما بعد واستقل ولي عهده الإمام أحمد بحكم المملكة اليمنية. وقال عنه أمين الريحاني: لا تجد في ملوك العرب من هو أعلم من الإمام يحيى في الدين والفقه واللغة العربية وله ذوق في الشعر والأدب وهو الشاعر الوحيد في حكام العرب جميعاً.

(٢) لقي: مطروحاً متروكاً.

(٣) هتانا: كثير الهتن والصب.

(٤) بلوثي: بجراحاتي. الأوار العطش. البين: الفرقة.

فقلت والبثُّ جمٌّ والنوَى قُذُف ... ما رَيتُ قلبيَ إلّا مُذْ نأَوْا بَانا[1]

ما كنت أحسَب أن الدهر يَفْطِمُني ... عمَّن أحبُّ ولم أحسَبْه خوّانا

وما تصورتُ أن النأيَ يُورثني ... من الصبابة معشارَ الذي كانا

وكم تطلَّبتُ أسبابَ السلُوِّ لكيْ ... يهوُنَ بعضُ الذي عندي فما هانا

ولم أدَعْ حيلةً آسو بها عِلَلِي ... غيرَ القُدوم على من فاض إحسانا

على الإمام الذي شادتْ عزائمه ... للبذل والعدل والإنصاف أركانا

القائلُ الفصلَ إذ تَعيا الرجالُ به ... والناطِقُ الحقَّ إلهاماً ووِجْدَانا

والحاكم العدلُ من صارت رعيته ... بعد التعادِي بفضل الله إخوانا

خيرُ الملوك وأسناهم وأبعدُهم ... صِيتاً وأرجحهُم في الفضلِ ميزانا

جمُّ العطاء إلى أعتاب رحمته ... تسعى العُفاة زَرافاتٍ ووُحدانا[2]

حلوُ الشمائل يلقي الضيفَ مبتسماً ... عن الجمانِ رحيبَ الصدر جذلانا[3]

حاوِي الصباحةِ مَنْ تغنيك طلعتهُ ... أن لا ترى بعدَها ما عِشتَ بستانا

وصاحبُ البأس خواضُ الحتوف إذا ... شبَّت يدُ الحرب بين الناس نيرانا

تلقاه عند احتدام الطعن منتشِئاً ... من المسرات ثبتَ الجأش نَشوانا

ينقَضُّ بالسيف بين الجحفلين على ... حِزب الردى فترى الأجيادَ أجفانا[4]

والقائدُ الخيل يوم الرَّوع يخضِبُهَا ... من النجيع مكان الحليِ ألوانا[5]

خيلٌ من الغيظ قد ذابت شكائمها ... بُذِلْنَ بالجرْي هاماتٍ وتيجانا[6]

---

(١) البث: الحزن والغم الذي تفضي به إلى صاحبك. جم: كثير. قذف: بعيد الموضع. بان: انفصل.

(٢) العفاة: طالبو المعروف. (٣) الجمان: أسنان كاللؤلؤ.

(٤) أجفاناً: أغماداً لسيفه.

(٥) يوم الروع: يوم الحرب. النجيع: الدم.

(٦) الشكائِم: جمع شكيمة وهي حديدة في اللجام معترضة في فم الفرس. وقد ذابت من العلك لشدة الغيظ. يذلنَ: يهنَّ.

هـنـالـك الـتِّـبـرُ فـوق الـتُّـرْبِ مـنـتَـثِـرٌ والـدرُّ يُـقـسـم بـيـن الـنـاسِ مـجـانـا
والأرضُ من جثث القتلى قد امتلأت من بعد ما صارت الحصباءُ مَرجانا
مـديـر هـذهِ الـمـغـازِي حـازمٌ يـقِـظٌ فـي عـزمـه مـا رأيـنـا قـطُّ إنـسـانـا
مـن سـادةٍ كـرُمـت أفـعـالـهُـم وزكـى نِجارُهم وعلَوْا بين الورى شانا[1]
وأنـفـقـوا فـي بـنـاء الـعـزِّ طـاقـتـهـم وشيَّـدوا بـالـقَـنـا لـلـمـجـد بـنـيـانـا
شابُوا على الجِدِّ والتشمير واكتهلوا وأتـقـنـوا الـحـربَ والـهـيـجـاءَ وُلـدانـا
شُـمُّ الأنـوف طـوالُ الـبـاع تـحـسـبـهُـم يـومَ الـكـريـهـة حـالَ الـكـرِّ عـقْـبـانـا[2]
أكـرم بـهـم مـن سَـراة كـلُّـهُـم نُـجُـبٌ وبـالـهـمـام الإمـام الـحـق سـلـطـانـا
«صَنْعَا» بهم أصبحت أرضاً حدائقها تـهـذَّلـت ونـمَـتْ أصـلاً وأفـنـانـا
وزانـهـا الـعـلـمُ والـتـهـذيـبُ فـامـتـلأتْ أمـنـاً ويـمـنـاً وإصـلاحـاً وعـمـرانـا
يـلـقـى بـهـا مـن يـريـد الـفـوزَ حـاجـتَـه دِيـنـاً ودنُـيـا وعِـرفـانـاً وإيـمـانـا
يـابـنَ الـكـرام ويـا بـدرَ الـتـمـام ويـا بـحـرَ الـسـمـاح الـذي مـا زال مـلآنـا
إلـيـك جُـبْـتُ حُـزون الأرض مـذ رُوِيـتْ أخبارُك الغُرُّ تحشو السمع عِقْيَانا[3]
فـحـلَّـق الـشـوقُ بـي حـتـى وصـلـتـكـمُ «والأذن تـعـشَـقُ قـبـل الـعـيـن أحـيـانـا»
ولـم أجـد تـحـفَـةً قَـبْـلِـي أُقـدِّمـهـا غـيـرَ الـمـديـح الـذي أشـدُو بـه الآنـا
فـاسـمـع غـرَائـب مـدح لا يـسـاهـمـهـا نظمُ الكمُيْتِ ولا منثور سحبانا[4]
واقـبـل تـحـيـات ذي ودٍّ يـكـررهـا مـا رنَّـحـت نـسـماتُ الـصـبـح أغـصـانـا

---

(١) النجار: الأصل.
(٢) العقبان: جمع عقاب طائر معروف.
(٣) حزون الأرض: ما قابل سهولها. العقيان: الذهب الخالص.
(٤) الكميت: هو ابن زيد الأسدي شاعر آل البيت. سحبان هو سحبان وائل من أشهر خطباء العرب في عصر بني أمية.

القصيدة الثانية

الى الإمام يحيى من سنغافورا

ولما كثرت إثر ذلك الإشارة بذكر مولانا الإمام أيَّده الله وأنا بسنغافورا سنة ١٣٣٠هـ؛ ارتأى الفاضل الجليل؛ السيد محمد بن عقيل[1]؛ أن يبعث له رسالة

(١) ولد السيد محمد عقيل بن يحيى في المسيلة بحضرموت سنة ١٢٧٩هـ واحتاج للرحلة عن وطنه وهو صغير بعد وفاة والده المبكرة فوصل سنغفورا سنة ١٢٩٦هـ ثم دخل جزيرة جاوى واشتغل في بعض نواحيها وفيما جاورها بالتجارة والزراعة والتصدير فكانت له صلاة تجارية واسعة الأطراف ببلاد متعددة في الصين واليابان وجزر الفليبين وسومطرة وغينيا الجديدة والهند والسند وبورما وسيلان واليمن والحجاز ومصر والشام والعراق والآستانة والأناضول وبعض أوروبا وله معارف ببعض تلك البلاد. وقد بلغت تجارته ٤٠٠،٠٠٠ روبية وهو مبلغ خيالي في ذلك الوقت وكان يتاجر في الماس والكتب وغير ذلك وكان دقيقاً في توثيقه لحساباته بشهادة بعض المتخصصين الذين وقفوا على دفاتره المخصصة لذلك. ويقول عنه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا بأن ابن عقيل كان يرى المال وسيلة فقط فليس له عنده منزلة إلّا بمقدار الحاجة الحاضرة وكان سخياً متلافاً ولذلك كان اشتغاله بالتجارة كعادة من سبقه من أجداده وأسلافه الذين حملوا هم الدعوة الإسلامية على ظهورهم أن يستعين بالمال على نشر الدعوة والعلم. ومن أعماله في سنغفورا تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي الأعلى الذي كان أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف أول رئيس له كما أنشأ بسنغفورا سنة ١٣٢٦هـ جريدة الإصلاح ومجلة تدعى الإمام بلغة الملايوا وبحروف عربية كما أسس رحمه الله في سنة ١٣٢٥هـ مدرسة سماها مدرسة الإقبال وأتى لها في سنة ١٣٢٦هـ بمعلمين من مصر. كما ساهم السيد محمد بن عقيل بن يحيى مع السيد شيخ الهادي في جمع التبرعات لمشروع خط سكة حديد الحجاز وكذا لمشروع عين زبيدة بمكة كما اهتم بدعم جمعيات دعم منكوبي طرابلس الغرب لما حل بها من الإيطاليين وغيرها من بلاد الإسلام. وصفه ابن عبيد الله فقال =

بإمضائه؛ وإمضاء العارف بالله؛ الوالد محمد بن أحمد المختار؛ وإمضاء الأديب السيد محمد الحيد؛ والتمس مني المشاركة؛ فشفعتها بهذه القصيدة.

شرفاً سمَوْتَ على الملوك ومفخراً ... وعَلوتَ يا «يحيى» على هام الورى
وبلغتَ من رتُب المعالي رتبةً ... تركتْ جميع مراتب العَليا وَرَا
لو طاوَلتك أولو المناصب للعُلَى ... لم يبلغوا من أخمَصيك الخِنصَرا[1]
ملأت مفاخرُك الزمانَ ولم تدَعْ ... في سِفْره لِسواك إلّا أسطُرَا
أمُجندِلَ البطل الشجاع وتاركَ ... المَلِك المطاع على التراب مُعَفَّرَا

= كانت له حافظة قوية واطلاع تام وانكباب على المطالعة (انتهى) وكانت داره أشبه بمكتبة عظيمة تحوي كتباً ومجلات وجرائد كثيرة في مختلف المجالات. وقال عنه الحبيب علوي بن طاهر الحداد: إنه لم يكن ينام أيام اعتدال صحته حتى يقرأ مائة وخمسين صفحة غالباً وكان يقيد في مطالعته كل ما يحتاج إلى التقييد ويصحح الأغلاط ويعلق الملاحظات بصبر وعناء قلما يوجد. وبعد هجرة طويلة قرر السيد محمد بن عقيل العودة إلى البلاد العربية فاختار أولاً الإقامة بمكة المكرمة وأرسل في سنة ١٣٣٨هـ عائلته وحاشيته إلى مكة ثم تبعهم بعد ذلك وأقام بمكة ستة أشهر وعلى ما يبدو فإنه ترك عائلته بمكة وواصل أسفاره ثم عاد إلى حضرموت فوصل المكلا سنة ١٣٤٠هـ واستقر بها.وكانت بريطانيا تنظر إلى ابن عقيل بنظر الريبة ولم ترتح لوجوده في أي مكان بمستعمراتها ومحمياتها ذلك إن أعماله كانت متصادمة مع مصالحها. وكان السيد محمد بن عقيل في المكلا صريحاً في انتقاد أوضاع البلاد الحضرمية والمطالبة بإصلاح القطر الحضرمي فاتهمته الحكومة القعيطية بالاتصال بأئمة اليمن وأمروه بمغادرة المكلا والانتقال إلى عدن فأرسل عائلته إلى حضرموت وسافر إلى عدن حيث لقي فيها استقبالاً حاشداً وتحوّلت داره في عدن إلى مكتب استفتاء ومعهد وناد أدبي يدرس عنده الطالب ويأتيه السائل والمستفهم وتنعقد مجالس الأدب والظرف ومنضدته تتكدس عليها الأوراق فيلازمها في وقت معين من كل يوم للإجابة على الرسائل الواردة إليه من مختلف الأنحاء إضافة إلى ما تعوده من القراءة اليومية وتقييد الفوائد.وقد مكث العلامة ابن عقيل فترة بعدن ولا أدري هل لقي مضايقة من الإنجليز أم أنه قبل دعوة الإمام يحيى للإقامة باليمن بمحض إرادته فتوجه إلى اليمن سنة ١٣٤٩هـ وتوفي فيها بعد سنة من وصوله سنة ١٣٥٠هـ.

(١) أخمصيك: الأخمص من باطن القدم ما لم يصب الأرض.

وَمُرَوَّى البيضِ الرقاقَ وقائد الخـــ ـــيل العِتاق إلى الوغى متبخترًا
من كل سابحةٍ تمتُّ بنسبة لِلوُرْد غُنْجُوجٍ تُقِلُّ غضنفرا[١]
في السِّلم تُنْعِلُها اللُّجَينَ وإنما في الحرب تَحذِيَها العقيقَ الأحمرا[٢]
أنت الذي يجد العِدَا تمثالَه ملءَ الصدور من الجلال مصوَّرَا
كم وقفةٍ لك تنطفي شمس الضحى منها إذا ثارَتْ عَجاجاً أكدرَا[٣]
فيها تطايرت الرؤوسُ وشبَّت الْحَـ ـرب الضَّروسُ وأمطر العلَقُ الثرى[٤]
وأحاط بالأعدا الهلاكُ وأعوزُوا عن مورد الموت الزؤامِ المصدَرَا
أذكرتَنا يابن النبيِّ بفعلك السّـ ـامي حُنَيناً والنَّضِير وخَيْبَرَا
وَوَرِثتَ في النصر المبين المصطفى خيرَ الأنام وفي البسالة حَيْدَرا[٥]
وأريتَنا ما غابَ من أخلاقهم ورَدَدْت فينا اليومَ تلك الأعصرا
وبقيت تمشي للأمام ونُصرةِ الْـ ـإسلام إذ رجع الكثيرُ القهقرى
وتصون حوزتَه وتنشر ظِلَّهُ بمثقَّف لَدْنٍ وأبيضَ أبتَرَا[٦]
وجحافلٍ عددُ النجوم رجالُهَا تجدُ المرائرَ في المعامع سُكَّرا[٧]
نغماتُ زمجَرة المدافع في الوَغَى خيرٌ لهم من أن تُحرِّك مِزْهرَا[٨]
أَنْت الملاذُ من الرَّدى وأذى العِدا لولاك أضحى الدين يُنبذُ بالعَرَا

---

(١) سابحة: خيل سريعة الجري. الورد من الخيل: ما بين الكميت والأشقر وجمعه وُرْد. غنجوج واحد الغناجيج وهي جياد الخيل.

(٢) تنعلها اللجين: تجعل نعالها الفضة. تحذيها العقيق: تجعل حذاءها الدم.

(٣) عجاجاً: غباراً. أكدر: غير صاف.

(٤) حرب ضروس: ألوك غضوض. العلق: الدم. الثرى: التراب الندي.

(٥) حيدر: هو الإمام عليٌّ كرم الله وجهه.

(٦) بمثقف لدن: برمح لين. أبيض ابتر: سيف قاطع.

(٧) جحافل: جيوش كثيرة.

(٨) المزهر: العود.

لولاك للدين الحنيفي ناصراً   لتقوّضت أركانُه وتدهوَرَا
يا أيُّها الوهابُ في يوم الندى الجُـ   ـرْدَ المذاكِي والُّلهَى والجوهرا[١]
ربُّ العلوم مشنِّفُ الآذان بالوعظِ   البليغ إذا تعالى المنبرَا
يا صاحِبَ العزماتِ والهممِ التي   تذرُ المناصلَ والوشيجَ مكسَّرَا[٢]
قسَماً تألَّى زائروك لقد رَأوْا   في بردك الطائيَّ والإسكندرا[٣]
يابن الأئمة من بني الزُّهرا الألى   بمديحهم نزل الكتابُ مقرِّرا
لهم السيادة في الحياة وعندما   يُسقونَ في يوم النشور الكوثرا
بولائهم كلُّ امرىءٍ في قلبه   دينٌ يدينُ مصرِّحاً بين الورَى
جمعوا الفضائل كلّها وورثتَهُمْ   فالصَّيدُ كلُّ الصيد في جوف الفَرَا[٤]
إنَّا ندينُ بحبكم ونذوبُ من   طرَبٍ إذا عرَضاً حديثُكُمُ جرى
وإذا ذكرنا ما مَضَى في حقِّكم   كِدنا من الحسراتِ أن نتسَعَّرَا
عَلَنا نَسُبُّ عِداكُمُ فعليهمُ   لعنُ الإله على الدوام مكرَّرَا
لا ينطوي قلبٌ على بغضائكم   إلّا وقد شنِيءَ النبيَّ الأطهرا[٥]
كيف النجاة لخصمكم إن جِيتُمُ   يومَ الحساب مع البتول المحشرَا؟
إن جادل السفهاءُ عنهم ها هنا   فَمنَ المجادلُ يوم تنفصِمُ العُرَى؟
فلي الهناءُ بنسبتي لِنِجَارِكم   نسباً يَبُذُّ ظهوره نار القِرَى[٦]

---

(١) الجرد المذاكي: الخيل الجرداء وهي حسان الخيل. اللهى: العطايا الكثيرة.
(٢) المناصل: السيوف. الوشيج من الرماح أصليها.
(٣) تألى: حلف. الطائي: حاتم الطائي أكرم العرب. الإسكندر: البطل المقدوني المعروف.
(٤) الفرى: حمار الوحش. وهو مثل مشهور أي أن كلّ الصيد دونه.
(٥) شنيء: أبغض.
(٦) نجاركم: أصلكم. القرى: الضيافة.

رد الإمام يحيى على قصيدة ابن عبيد الله

فعاد جوابه بكلام جزل، وجِدٍّ لا يشوبه هزل، موَشًّى بعبارات رائعة، ومعززاً بقصيدة فائقة.

قصيدة الإمام يحيي

وهذه القصيدة من نظم أمير المؤمنين؛ المتوكل على الله الإمام يحيى بن حميد الدين جواباً عن قصيدة صاحب الديوان.

أَلِفَ السُّهادَ وحَادَ عن طيب الكَرَى ... مَنْ لم يَزَلْ في الحادثات مفكِّرَا

وتوسَّد الأحجارَ وادَّرع الأسى ... وتفرَّش الطينَ الرَّغامَ وعَفَّرَا

وعلَا على الأقتاب مفتخراً بها ... وسَرَى إلى أعدائه نِعمَ السُّرَى

رجلٌ له في نصر شِرعة أحمدٍ ... هِممٌ تطيرُ به إلى أعلا الذُّرَى

يدعُو إلى نهج الصواب ونصِّ آ ... ياتِ الكتاب بلا جدالٍ أو مِرَا

والسنَّةُ الغراءُ يقفُو إثْرَها ... أكرِمْ بسنَّةِ خير من وطئَ الثَّرى

لا يرتضي نِحلَ الروافض مذهباً ... وكذاك لم يك مثلَ جَهْمٍ مُجَبِّرَا[(١)]

قادَ الجحافلَ وامتطى من عَزْمه ... متْنَ القساطِل ليس يدري ما الْورَى؟

حَبَّ اللقا لعدوه متشَهِّراً ... متحسِّراً ما قطُّ أوصَدَ مِغْفَرَا[(٢)]

قد ضرَّسته الحربُ فهو إلى الوغَى ... يعدو على شَوْها كبرقٍ قد سَرَى[(٣)]

والطيرُ تعدو بعدَه والوحش تقفو ... إثْرَه ثقةً بمضمون القِرَى[(٤)]

---

(١) الروافض: طائفة من الشيعة رفضوا زيد بن علي وانفضوا عنه على حين أبى عليهم التبرؤ من الشيخين. جهم: هو ابن صفوان رأس الجبرية الخالصة.

(٢) حب اللقا: لغة في أحب قال سيبويه: هما بمعنى واحد. أوصد: أطبق. المغفر: ما يلبسه الدارع على رأسه من الزود ونحوه في الحرب.

(٣) ضرسته الحرب: جربته وأحكمته. شوها: يقال: فرس شوهاء إذا كانت حديدة الفؤاد.

(٤) القرى: الضيافة.

لله خاض من المكاره بحرها اللُّـ ـجِّي وراض من الصعاب الأشقَرا[١]
لا طالباً مالاً ولا مُلْكاً يخلـ ـفه ولا يبغي بذلك مفخرا
لكن حداه إلى القيام قواطع الْـ ـآي الكرام ونصُّ من سادَ الورى
يدعو إلى سنَنِ الشريعة كلَّ ذي عقل يُحَجُّ به على وجه الثَّرَى
يدعوهُمُ باللَّين دعوةَ ناصح ويريهمُ نهج الصواب مُبَصَّرَا
يُملي لهم آيَ الكتاب وسنةَ المـ ـختار بالقولِ الفصيح مكرَّرَا
فيفوز منتصِحٌ ويَعصِمُ نفسَه مع مالِه وله الثوابُ موَفَّرا
ومن استمرّ معانِداً منهم ولم تُجْدِ المواعظُ عاد فيهم منذِرا
يتلو لهم ما خطَّه الخَطَّى وما رَقمته هاتيك البواترُ أسطُرا[٢]
وبذاك أَسمعَ كل أخرسَ واغتدي الأ عمى لما يلقاه منه مُبَصِرَا[٣]
هذى مواعظنا التى أوصى بها أسلافنُا الأخلافَ ما برقٌ سَرى
ونجاً له لو شايعَتْه كتائبٌ شُوسٌ إذا زحَفت فعِشيَرُها يُرى[٤]
في جبهة من آل لاحقٍ ضُمَّرٍ شُعْثِ النواصي تترك البازِي وَرَا[٥]
فرسانُها الأبطالُ كم خاضوا بحو ر الموت من نجلي شَبِيرَ وشَبَّرا[٦]
لَغَدَا بهم رَتَقَ الضلالَ وحلّ معـ ـقودَ الفساد وهدَّ ركنَ الافترَا[٧]

---

(١) اللجي: الواسع. الأشقر: الفرس الأشقر يضرب به المثل في سرعة العدو.

(٢) الخطى: الرمح نسبة إلى خط عمان. البواتر: السيوف القواطع.

(٣) اعتدى: غدا.

(٤) نجاً له: نجاءً له أي خلاصاً له وهو دعاء له. ولعل الأصل «وبَخٍ له» وهي كلمة تقال عند الرضا بالشيء أو المدح. شوس: خيل تنظر بحقد وتغيظ. العثير: التراب والعجاج.

(٥) لاحق فرس معروف من خيل العرب. يقال: فرس من بنات لاحق. ضر: مضمرة. شعث النواصي: لم ينفض عنها التراب.

(٦) شبير وشبّرا: الحسن والحسين عليهما السلام. وأصلهما اسمان لولدي هارون عليه السلام فسماهما علي باسمهما.

(٧) الرتق: ضد الفتق.

وأشادَ رُكنَ الحقِّ بعد دُرُوسه وأَياس أهلَ الزيغ من أن يُغْمَرَا
وبنى مناراتِ الفلاح وشبَّ في عليائها نارَ الرشاد وسعَّرَا
حتى يُرى دينُ الإله معظَّماً حقّاً ودينُ الكافرين محَقَّرَا
فُلَّت سيوفي عند حوَمات الوغى وكبَتْ جِيَادِي عندَ أن جَدَّ السُّرَى[١]
وعَدِمْتُ أرماحي بمشتَجِر القَنا وَجبُنْتُ عن غَزْوي عدوِّي مبُكِرَا
وخلعتُ ثوبَ الحزم خِلْعَةَ عاجزٍ ولبِستُ للتسويف ثوباً منكَرَا
إن لم أكن للظالمينَ مقارِعاً أو لم أكن للكافرين مصغِّرَا
وعليَّ فعلُ المستطاع منادياً للناس «إن الله» يا قومُ «اشترى»[٢]
قوموا لخوف عواقب الأمر الذي في «ولتكن» ولتنهوُنَّ المنكرَا
قوموا معي نَنْفي الضلالَ ونثْبت الإيمانَ والشرعَ الشريفَ الأنورَا
قوموا معي نَبني حصوناً للهدَى والعدلِ والإحسانِ شامخَة الذُّرى
إلّا تقوموا بالنفوس أخذتُمُ من واجب الإنفاق شيئاً أيسَرا
ولقد سررْت كمن أضلّ بعيره في سَبْسَبٍ قفْرٍ فليس له قِرَى[٣]
وعليه حاجتُه فلما كادَ أن يَفْنَى لغَيبتِها رآه فكبَّرا
لما عرفتُ بأن لي في الهند إخْوَ اناً يرون من الديانة ما أرى
وبأنَّ هاأتيك الزوايا كمْ لنا فيها خَبَايا من بَنِي خيرِ الورى
كم هزَّ من عِطْفي وحرَّك من نشا طي وانطفَى شجْوِي وشجوي قد بَرى[٤]
نظمٌ أتى من مصدر الآداب مَنْ أضحت قريحته تصُوغُ الجوْهَرَا

---

(١) فلت سيوفي: ثلمت. السرى: السير للحرب ليلاً.
(٢) يشير إلى آية إن الله اشترى في التوبة وفي البيت التالي إشارة إلى آية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾.
(٣) سبب: فلاة. قرى: طعام.
(٤) برا: براني وأضناني وفاعل «هز» قوله: «نظم».

السيِّد المفضال والجالي صَدَا الْأَ ... هوالِ والباني العلى والمفخرا
مِنْ نظمِه سَحبانُ أضحى باقِلا ... وبها زُهَير ليس معْه مِزْهرا(١)
أزرى بنظم ابن الحسين وفاق معنـ ... ـىً وانتهى سبكاً وأبدع منظرا
وأبان عن ودٍّ صحيح ثابت ... في الله وهو الودُّ لن يتغيرا
لله ذاك النظم ما أحوى الذي ... أنشاه بالمدح الفخيم وأجدرا(٢)
فعليه تسليم السلام ورحمة الْـ ... ـرَحمن ما نجمٌ أضاء وأزهرا
يا واحد الأيام يَا مَن طأطأت ... لرفيع رتبة شأوه شُمُّ الذرى
بل دون رتبتك السماكُ وأين مِن ... تلك النجوم مقامُ مجدِك في الورى
إنا لخشية ما أتى في الذكر مِن ... آي الجهاد وما أبان وأنذرا
ولما نراه يَدِبُّ في جسم الديانة ... من سمومٍ بالرفاهة تُشتَرى
لم نستطع صبراً وكيفَ لعاقلٍ ... يجدُ الحياةَ بذِلَّة أن يَصْبِرَا
وأحقُّ من أدعوهُ إخواني بني الحـ ... ـسنين ابْنَيْ من تحنَّثَ في حِرَا(٣)
أَبَنِي أَبَي؛ المرءُ يطلبُ قومَه ... للانتصار بهم إذا أَمْرٌ عَرَا(٤)
أَبني أَبي؛ هل منجدٌ؟ هل ثائرٌ؟ ... تاهَ الكفورُ فدينُ أحمد يُزدَرى(٥)
والقومُ قد حَفَرُوا حفائرَ مكرهم ... للمسلمين وفيكمُ أُسْد الشَّرَى(٦)
فيكم جحاجحةٌ ليوثٌ فانصرُوا ... دينَ النبيِّ محمد خير الورى(٧)
واستعصموا باللّه فهْو وليُّنا ... نعم الوكيل ووعدُه أَنْ ينْصُرَا

---

(١) مزهراً: عود من آلات الطرب.

(٢) ما أحوى: ما أحق من الحو بمعنى الحق. ولعل الأصل ما أحرى.

(٣) تحنث: تعبد. يريد النبي ﷺ وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما. حرا: غار حراء.

(٤) أبني أي: نداء. عرا: نزل.

(٥) تاه الكفور تكبر وتعاظم. جملة مستأنفة.

(٦) أسد الشرى: الشرى: جبل بتهامة كثير السباع.

(٧) جحاجحة: سادة.

القصيدة الثالثة

الى الإمام يحيى قيلت سنة ١٣٣٢هـ

أَبـى الـحـرُّ إلّا أن يـذوبَ فـؤادُه ... إذا مُـنـيَـتْ بـالانـحـطـاط بـلادُه

وكيف يلَذُّ العيشُ والوطنُ الذي ... به عزَّنا استَشرى عليه فسادُه[1]

تقلّص ظلُّ العلم منه وأقفرَتْ ... رُباهُ وكانت جنةً ووِهادُه[2]

ولم تبق إلّا فضلةٌ من رسومه ... لدى أنفسٍ فيها يروج كَسَادُهُ

تمطّى به ليلُ الغواية وانطفى ... سراجُ الهدى لما اكفَهَرَّ سوادُه[3]

وغاضتْ مياهُ الحق وانتَبه العَنا ... وسحَّت من العُدوان فيه عِمادُه[4]

تبلَّد فيه الفكر وانفصمت به ... عُرَى الرأي والشأنُ الكبير اتحادُه

وأعيا به داءُ الدِّهان وعزّ من ... يبوحُ بما يُملي عليه اعتقادُه

وكلُّ امرىء مهما تعاظم شأنهُ ... على الذات مقصور لِدُنيا اجتهادُه

تفاقم هذا الداءُ والجهلُ شاملُ ... وهل يُرتجَى إن دام إلّا ازديادُه

نعم ساءَني هذا الجمودُ وغاظني ... سكوتُ الأولى منهم يُرام انتقادُه

وكم فُهْتُ فيهم بالنصيحة إنما ... كلامي لموت القوم نَزْرٌ مُفادُه

لقد بَحَّ صوتي من هُتافي ولم أَجِدْ ... مُعِيناً على الصدق الصريح اعتمادُه

---

(١) استشرى فساده: لج وقوي.

(٢) الربى: ما ارتفع من الأرض وضدها الوهاد.

(٣) تمطى: سار به سيراً طويلاً ممدوداً. اكفهر: اشتد.

(٤) غاضت: غارت. العهاد: جمع عِهد وهو أول المطر الموسمي.

وَأَحْنَى على قلبي الإياسُ وإنما رجوْنا بيحيى أن يتمَّ مرادُه(١)
أتاني بوادي حضرموتَ كتابهُ فهشَّت رُبا الوادي له ووِهادُه
وكاد لما يرجوه في غِبِّ وُدِّه من النفع يشدوُ بالفصيحِ جمادُه
وسُرَّت قلوب المصلحين لأنه تمكن من حبَّاتهِنَّ ودادُه
وأهلٌ لذا فرعُ النبي ووارثُ الـ ـوصِيِّ ومَنْ بالحق يورَى زنادُه(٢)
سنَامُ المعالي أنفُ كلِّ فضيلة إمامُ الهدى الشهمُ الرفيعُ عمادُه
مغيظُ العِدَا الكهفُ الحصين من الردى بعيدُ المدى القَرمُ الطويلُ نجادُه
مجيبُ النِّدا الوضاحُ نوراً إذا بدأ حليفُ النَّدَى السَّمحُ الكثيرُ رمادُه(٣)
مذيلُ اللُّهى لا يعرف الخزْنَ مالهُ ولكنما الجُرْدُ المذاكي عَتادُه(٤)
ذكيٌّ يَرى ما غاب عنه بفكرِه ويكشِفُ غَيم المشكلات اتقادُه
ويستسهل الصعبَ الأبِيَّ بهمة ورأي كفيل بالنجاح اتِّئادُه
يبيت لإصلاح العباد مفكراً إذا اعتكر الداجي أُقِضَّ مهادُه(٥)
فتى لا يُحب الانفراد بنعمة ومن ثَم بالعلياء كان انفرادُه
ترعرَع في حجر السيادة وانبرى يَخُبُّ به نحو الفخار جَوادُه(٦)
إلى أن علَا عرشَ الخلافة فازدَهتْ بتتويجه أيامُه وبلادُه
وجاءت ملوكُ الأرض تخطُب وُدَّه لإدراكها أَن لا يطاقَ عِنادُه

---

(١) أحنى على قلبي: أتى عليه اليأس وأهلكه. وفي الأصل أفني وهو تصحيف.
(٢) الوصي: يريد علياً كرم الله وجهه. يُورَى: يُقدَح.
(٣) الكثير رماده: كناية عن الكرم.
(٤) مذيل اللهى: يستقل عطاياه الكثيرة. الجرد المذاكي: الخيل الجياد. عتاده: عداته التي يحتفظ بها.
(٥) اعتكر الداجي أظلم الليل. أقضى: صار خشناً.
(٦) يخب: يمشي سريعاً.

شجاعٌ تهزُّ الأرضَ سطوةُ بأسه وضربٌ يهُد الشامخاتِ جلادُه
مليك إلى اللَّبات أهدى من القَطا مناصِلهُ يوم الوغى وصِعَادُه[١]
أَبنَّ مِراسَ الغزو حتى تآلفَتْ مع الوحشِ في فيح الفيافي جيادُه[٢]
مواقفه مشهورة في عُداتِه وأيامُه معروفةٌ وطِرَادُه
تعوَّدَ صيدَ الطير بالبازِ غيرهُ وما كان إلّا للكماةِ اصطيادُه
لخدمة شرع الله يبذل جُهدَه ويوقظ من في الغَيِّ دام رُقادُه
ويهَدِي إلى نهج الهدى وبفضله أضاء لمن يبغِي النجاةَ رشادُه
أَعاد بنصر الدين أيام جدِّه فما غابَ عنا منه إلّا سوادُه
تخُطُّ يدُ التاريخ سِفْرا لمدحه مكارِمُه الغرُّ الجسامُ مِدادُه
أبا الفضل قد أضحى عليك استِنادُنا وما خاب إنسانٌ عليكَ استنادُه
تَكاثَفَ ليل الجور في جوِّ أرضنا ومنك يُرَجّى كشفهُ وافتقادُه[٣]
حنانَيك أصلحْ ما عراه فإنه عليك لعمرُ الله مَهْلٌ قيادُه[٤]
بإخوانك الأيامُ عاثَتْ فكنْ لهم فأنت الذي فعلُ الجميل اعتيادُه[٥]
ودونك من رب القريض قصيدةٌ معبِّرةٌ عما يُجِنُّ فؤادُه
تخلِّد في الدنيا ثناءَك عاطرا كما خلد النعمانَ فيها زيادُه

ففاح من جوابه الأرَج، وظهرت تباشير الفَرَج، وجاء مصحوباً بقصيدة تزيد عن سبعين بيتاً؛ كلها دُرٌّ؛ وهي من الملوك؛ وحسبك أن ملوك الكلام؛ كلام

(١) اللبات: جمع لبة وهي المنحر: مناصله: سيوفه. صعاده: رماحه.
(٢) ابن مراس الغزو: لزم ممارسته. فيح الفيافي: واسع الصحاري.
(٣) تكاثف: امتد. وفي الأصل تكائف وهو تصحيف.
(٤) حنانيك: ارحمني رحمة بعد رحمة.
(٥) عاثت: أفسدت.

الملوك؛ وقد استعارها بعض الأدباء ولم يردَّها؛ وما بقي حال تحريره بذاكرتي منها؛ إلّا المطلع؛ وهو هذا:

سَلِ الربْعَ هل عادت إليه سعادهُ ... وحَيٌّ نأى عنه وطال بِعادُه[1]

* * *

(١) وحي: وهل عاد إليه حيٌّ.

القصيدة الرابعة

إلى الإمام يحيى بتجديد العزم على الزيارة

تعاتِبني إذا جنَّ الظلامُ ... وتعذِلني لأني لا أَنامُ
زوَى عنِّي التجلُّدَ كنهُ شأني ... فساغ لها التعرضُ والملامُ
وما شَعَرت بوِتري واهتضامي ... وهل نامت على الوِتر الكرامُ؟[1]
إذا لم أنتصِفْ وأبُلَّ غُلّي ... فإن النومَ يا جَفْني حَرامُ[2]
أَيُكحَلُ بالكَرى طرْفي وقلبي ... لما مُنِيَ العبادُ به مُضَامُ
أضاليلٌ وأحلامٌ وبَغيٌ ... وعدوانٌ يَسُحُّ به الغمامُ[3]
وأوهامٌ سَرَتْ في الناس سَيْراً ... كما يسري من العَدْوَى الجُذَامُ
أَمورٌ لو تعاظَمَها فؤادٌ ... ومات أسَىً عليها ما يُلامُ
سأُرشِدُ أُمتي وأَدُلَّ قومي ... فهم عما يُرام بهم نِيامُ
إلى من يسكتون على اضطهادٍ ... فإن سكُوتَهُم واللّه ذَامُ[4]
وقد دَلَفَتْ بأنواع الأذايا ... إليهم عُصبةُ السوء الطَّغامُ[5]
وليس بِوازِعِ الطغيان عنها ... ودافع بَغْيها إلّا الحُسامُ

(١) الوتر: الظلم في الثأر.
(٢) غُلّي: شدة العطش.
(٣) يسح: يصب صباً متتابعاً.
(٤) ذام: عيب.
(٥) دلفت: مشت. الطغام: السفلة الأوغاد.

ثقوا بالله واعتصموا وجِدّوا — وقودُوا الخيلَ يغشاها القَتامُ[١]

وجُودوُا بالضَّنائِن وابذلُوها — فما بالبخل يدُرَكُ ما يُرامُ

وإن عظُمت حوادثكم وجَلّت — فليس لكشفها إلّا الإمامُ

سينصرنُا ويدركُنا بِغوْث — أليس لنا بعُروْته اعتصامُ؟

فنصرتُنا عليه اليومَ فرضٌ — لأنَّا آلُهُ ولنا ذِمامُ

أميرُ المؤمنين أخو المغازي — بِجُرْدٍ خيولِهِ ائتلف النَّعَامُ

مرابطُها الفدافدُ والفيافِي — تجُيبُ صهيلَها في البِيدِ هَامُ[٢]

ألُوف للمفاوز قد تربَّى — عليها ما يُحَلُّ له لِجَامُ

قريعُ الحرب يهتزُّ ارتياحاً — إذا اشتعلت وشبَّ لها ضِرامُ

إذا اشتدَّ القِراعُ له ثباتٌ — وإن حَمِيَ الوطيسُ له اقتحامُ

وقائعُه تُقِرُّ بها الليالي — وسطوتهُ يَشِيبُ لها الغُلَامُ

إذا بَصُرَت مقانِبُه بجيشٍ — تأخرَ للوَرَا الجيشُ اللُّهامُ[٣]

وإن قاد الجيوشَ إلى الأعادي — فقد وافاهمُ الموتُ الزؤامُ

تطامَنَتِ الرقابُ له وذَلّت — ودانت خوفَه ولها عُرَامُ[٤]

يُحيط الدينَ عُسّلُه العوالي — وبيضُ الهند والضربُ التُّؤَامُ[٥]

أجلُّ المقسِطين بدونِ شك — وسيِّدُهم إذا اشتدَّ الزحامُ

وأضربهُم وأطولهُم قَناةً — وأصبرهُم إذا احتدم اللُّطامُ[٦]

---

(١) القتام: الغبار.

(٢) هام: جمع هامة يريد رؤوس القوم المجاهدين يلبون دعوتها.

(٣) مقانبه: جمع مقنب وهو جماعة الفرسان. الجيش اللهام: الكثير العدد.

(٤) تطامنت: انحنت. عرام: شدة وقوة.

(٥) عسله: رماحه. بيض الهند: سيوفه. الضرب التوائم: المتكرر جمع توأم.

(٦) اللطِام: القتال.

وأفضلُهم وأعلاهُم مقاماً ... وأتقاهُم كما اتفق الأنامُ
تَجارَوْا للمفاخر والمعالي ... فجاوزَ غايةَ العَليا وقامُوا[1]
إذا قال الملوكُ نريدُ أمراً ... وقال أريدُ ذا انفصل الخِصامُ
له فصلُ الخطاب وكلُّ أمرٍ ... به يعُنَى ينُاطُ به التمامُ
بيحيى سيد السادات يحيَا ... مواتُ الجُود والهممُ الجسامُ
وَيَسْمُو الحقُّ والإسلامُ تعلُو ... معالمُه ويتّسِقُ النِّظامُ
سليلُ الأكرمينَ يَقِلُّ وَصْفاً ... له السلطانُ والملكُ الهمامُ
جميلُ الذكر لم نذكره إلّا ... وَفاحَ من اسمه المسكُ الخِتَامُ
تولته العنايةُ وهو طِفلٌ ... ودَرَّ له الرشادُ ولا فطامُ
تمثلَتِ المكارمُ فيه شخصاً ... فهيكلُه لسائرها قِوَامُ[2]
رَقَى بعزيمةٍ كبرَى وجِدٌّ ... مراتِبَ لا تنالُ ولا تُرامُ
أميرَ المؤمنين لنا اتصالٌ ... بكم رحِماً وللرَّحم احترامُ
وكم قد مسَّنا في الله ضُرٌّ ... ولم نجزعْ وظلمٌ واهتضامُ
وأظهرت الوِئامَ لنا نفوسٌ ... تخادِعِ همُّهُنّ الالتهامُ
خَشِينَا أن يكون السمُّ فيها ... ولا ندرِي بما يَحْوِي اللّئامُ
أتتركُنا كذا غَرضَ الرزايا ... وفينا قد تكسّرت السهامُ
وترضَى أن نكونَ بلا حُماةٍ ... ولا سُورٍ وفي يدك الزِّمامُ
فليس لنا سواك اليومَ حِصْنٌ ... نلوذُ به وجارك لا يضُامُ
وكنتُ شخَصتُ نحو حماك أرجُو ... لِقاك وبي من الشوق الغرامُ
فأخرني القضاءُ فعُدْت كُرْهاً ... على عَقِبي وللدّهر احتكامُ

---

(١) قاموا: ثبتوا في أماكنهم.
(٢) قوام: عماد.

ولـمَّـا أنْ تـحـكـمَّ فـي فـؤادي ... وِدَادُك زال عـنـي الاحـتـشـامُ

فـبُـحْـتُ بـمـا يـكـاتِـمـه ضـمـيـرِي ... وأرجـو الـعـفـوَ إن كـثُـر الـكـلامُ[1]

❋ ❋ ❋

(١) يفهم منها تجديد العزم ثانية إليه وهو كذلك ولعله كان سنة ١٣٤٤هـ.

القصيدة الخامسة

إلى الإمام يحيى حميد الدين

ثم أحيط الخَصْر بالنطاق، وقبَض الحصُر بالخناق، فبعثَتها؛ وعاد الجواب؛ بإشارات بيض، وبشارات؛ انتعش منها الأمل بوميض، ووعود؛ اشتفى الغليل بالصريح منها والتعريض، وفيها أرسلت هذه اللزومية أستنجز وعده، وأستمطر رَعده، وظنّي أنه أخذها كالسابقة الضياعُ، أو افترستها في الطريق أيدي الضباع؛ وهي هذه:

على البعْد وافاني النسيمُ بِريَّاها ... وأدنى لعينيَّ الخيالُ مُحَيَّاهَا[1]

ولما تَناءَيْنا وشطَّت ديارُنا ... تمنيتُهُا حتى كأنّي وإيَّاها[2]

وحدَّثتُ نفسي خالياً عن جمالها ... فروحَّها روحُ التمني وحيَّاها

وخامَرَني خمرُ الغرام كأنني ... ترشَّفْتُ من بين الثنايا حُمَيَّاهَا[3]

تَمَنٍ به يَسْلُو فؤادي من العَنا ... قليلاً إذا ضنَّ الزمانُ بلُقْياهَا

ولم أَنسَ ما قاسيتهُ ساعةَ النوى ... غداةَ استقلَّتْ بالحُمُولِ مطاياهَا

تسارِقُني خوفُ الوُشاة بلحْظِها ... وهيهاتَ أن تخفَى عليهم نواياها

ألا قاتل اللّهُ الهوَى إنّ داءَه ... من الخوف أعياني شِفَاهُ وأَعياها

أفاض دماً منا العيون كأنها ... يمينُ الإمام الحق فاضت عطاياها

(١) رياها: رائحتها الطيبة. المحيا: الوجه كله.

(٢) شطت: بعدت.

(٣) الترشف: الشرب قليلاً قليلاً. حمياها: الحميا من الكأس شدتها.

شقيقُ الحَيَا إن أخلفَ المُزْنُ جودَه فهِمَّته تُحْيي الجديبَ بسُقْيَاهَا[1]

رفيعُ البِنا الشهمُ الشريفُ نجارهُ تبوَّأَ من قهرٍ ذؤابةَ عليـاهـا[2]

سليلُ النبيِّ المصطفى ووصيِّه وفرعُ التي تُفْنِي العدادَ مزاياها

فللّه من عِقدٍ تألّقَ نورُهُ وقلّتْ له بين النجوم ثُريّاها

نَمَتْه إلى المجدِ الجحاجحةُ الأُلى بهم ملةُ الإسلامِ قامت حناياها[3]

فأضحتْ به تَزهُو ابتهاجاً لِأنه على العدل والإنصاف أَجرى قضاياها

وسوّرها بالبأس عن كلِّ ماردٍ وشيَّد مبناها وأعلا زَوَايَاها

وطهَّرها بالعلم من كلِّ بدعةٍ وأظهر بالفهم الغزير خَبَاياها

يَخِفُّ لبذل المال في خدمةِ العُلَى إذا بَخِلَت أهل الحظوظ بدُنياهَا

ويَعرِض في نصر الشريعة رُوحَه ويُدْحِض ما يغلُو اجتهاداً لبُنْيَاها

عساكره موقوفة تحت حكمها تُبَثُّ لإثخانِ الأعادِي سَرايَاها

هو الغيثُ من حيث انتحَى فبُروقهُ يُرجَّى المنى منها وتُخشَى منايَاها

غَذَا الوحشَ من لحم الأعزة في الفَلَا وغادَرها تزهو بشحمٍ حَوَايَاها[4]

تَرُجُّ الجبالَ الراسياتِ حروبهُ فترفَضُّ من قَصْف الرعود شظاياها

بحزمٍ يرى ما غابَ عنه وفكرةٍ لدى المشكلات السودِ تجلو خفاياها

يحاول من كلِّ الأمور عَليَّها ويرغب عن سَفْسافها وَدنايَاهَا

موطَّأةٌ أكنافهُ وطباعهُ مهذَّبةٌ والنفسُ طابتْ سجاياها

وأوقاتهُ في طاعة الله كلُّها موزَّعةٌ حتى لياليه أحياهَا

---

(١) الحيا المطر. المزن: السحب.

(٢) نجاره: أصله.

(٣) نمته: نسبته. الجحاجحة: السادة. قامت: استقلت. حناياها: أضلاعها.

(٤) حواياها: أمعاؤها يريد بطونها.

لـهـذا أَحـبـتـه الـرعـايـا وأخـلـصـت   على حين تشكو بالملوك رعاياهَا

فـمـا هـو إلّا مـن لـفـيـفِ فـضـائـلٍ   تـجـسَّـمَ حيَّـاهـا الإلـهُ وبَـيَّـاهَـا[١]

تـحـيِّـيـه عـنـي بـالـنـيـابـة مـدحـةٌ   مـقـصِّـرةٌ تـرجـو اغـتـفـارَ خـطـايـاهَـا

وتـسـتـنـجـز الـوعـد الـشـريـفَ بـسـرعـةٍ   فـإن راثَ صِرْنـا لـلـعُـداة ضـحـايـاهَـا[٢]

ولا زال مـلـحـوظـاً بـعـيـن عـنـايـة   تـقـيـه مـن الأيـام شـرَّ بـلايـاهـا

❊ ❊ ❊

(١) بيَّاها: إتباع.

(٢) راث: تريث وتمهل.

القصيدة السادسة

من الإماميات ومنها يعرف الغرض[١]

أَليس لهذا الليل في سَيْره فجرُ ... أم اسْوَدَّ وجهُ الصبح أم خانني الصبرُ
بَلَى نابَني أَمرٌ فباتت خواطري ... كأَرْشَيةِ البئر التي ما لَها قعْرُ[٢]
تباعدْنَ أجفاني وفرشي كأنما ... عليه قَتادٌ أو به اشتعَل الجمْرُ[٣]
وبتُّ أُنادِي بالقوافي لعله ... يخفُّ بنَفْثٍ من لواعجه الصدرُ[٤]
وللقول في قلبي وَجيبٌ يهزُّني ... ولكن عصاني وقتَ حاجته الشِّعرُ[٥]
تَبَلَّدْنَ أفكاري وغاضت قريحتي ... وشاهدُ أحوالي يقومُ به العذْرُ
تساورني الأيامُ في وَثَباتِها ... وعندي ثباتٌ لا يَهْنِهُه الذُّعْرُ[٦]
وأَنَّى لعيشي بالهناء وهمَّتِي ... يعاكسُها فيما تحاولُه الدَّهرُ
ولي وطنٌ مذ ألفِ عام وأرْضُه ... لزُهْر الهُدَى أوجٌ وللأوليا وكْرُ
أترتاحُ نفسي بعد ما أُوثِقَتْ له ... حبائلُ في طَيَّاتها الغدرُ والمكرُ

---

(١) يستنصر الإمام ابن عبيد الله في هذه القصيدة الإمام يحيى في إنقاذ حضرموت من براثن الاستعمار البريطاني ويستنجده بأخذ زمام المبادرة ويطلب منه المبادرة بإنقاذ وطنه حضرموت من شرهم ومفاسدهم ويتنكر من الطغمة الموالية لهم والصابرة عليهم.

(٢) أرشية: جمع رشاء وهو الحبل.

(٣) قتاد: شوك.

(٤) يخف الصدر بنفث من لواعجه أي مما يبثه من آلامه.

(٥) وجيب: خفقان.

(٦) لا ينهه الذعر: لا يكفه عنه الخوف.

نَـغـارُ مـن الأمـر الـيـسـيـر يـنـالُـه فكيف وفي استعماره استشرَفَ الكفرُ
وبـي فَـرَق مـن أن تـلـيـنَ حُـمـاتـهُ إذا رقَصَتْ ما بين أيديهم الصُّفْرُ
فهل من خلاص؟ هل لنا من وسيلةٍ يذادُ بها عن قطرنا الطاهر الشرُّ؟
عـلـى مَـوْتِـه أشـفـى ولـكـنَّـهُ لـه من ابن حميد الدين سامي الذري إِصْرُ[1]
دَعوْنا بيحيى في الخطوب ومن دَعَا بيحيى لخطْبٍ جاءه الفْتح والنصرُ
نُـناديـه عـن بُـعـدٍ ولـكـنَّ سـمـعَـه كـسـمـع أَبـي إسـحـق لـيـس بـه وَقْـرُ
عـلـى أن مـمـدوحـي أجـلُّ سـمَـتْ بـه علـى نجل هارون المعارفُ والنَّجْرُ
نـمـاه الـنـبـي الـمـصـطـفـى ووصـيُّـه وسبطاه نجما السعد والحرةُ الطهْرُ
هو المرهَمُ الشافي هو المنهلُ الذي عـلـى كـثـرة الـوُرَّاد لـيـس لـه جَـزْرُ[2]
هـو الـكـنـز لـلـعـافـي الـذي بـوجـوده علـى سالف الأزمان يفتخِر العصرُ
إمامُ الهدى غيظُ العدا فائضُ الندى غزيرُ الجَدَا عن جوده يعجزُ الحصرُ[3]
وثيقُ العُرَى كهفُ الورَى صادقُ السرَى يذودُ الكَرى عن جَفنه لِلْعُلَى الفِكْرُ
شـهـدنـا لأيـام أَتَـتْـنـا بـه وإن أسـاءت إلـيـنـا أنـهـا مـا لـهـا وِزْرُ
تَذِلُّ الملوك الشمُّ من خوف بأسه وتـعـنـو أُنـوفٌ عـنـده شَـأنُـهـا الـكِـبْـرُ
وتـأتـي لـه غُـلْـبُ الـرقـاب مـطـيـعـةً وتـعـرفـه الـجُـلَّـى وتـألـفُـه الـعُـفْـرُ[4]
مـنـاصِـلُـه مـذكـورة ونِـضـالُـه وأيـامـه مـشـهـورةٌ كـلـهـا غُـرُّ[5]
إذا صالَ غطى نقعُه الشمسَ فالضحى ظـلامٌ تـهـاوى فـيـه أنـجـمُـه الـزُّهْـرُ[6]

---

(١) على موته أشفى: أشرف قطرنا على الموت. إصر: عهد.
(٢) الجزر: ضد المد.
(٣) الجد: المطر العام: أي أن عطاءه كثير عظيم.
(٤) غلب الرقاب: غلاظها والسادة توصف بغلظ الرقاب وطولها جمع أغلب. العفر: ظباء الفلاة.
(٥) مناصله: سيوفه. نضاله: حربه.
(٦) نقعه: غبار جيشه.

خليفةُ خير المرسلين تسلسلت وقائعُه الغَرَّا فأوَّلها بَدرُ
وأنصاره باعوا النفوسَ وما انثَنَوْا إذا مسَّهم في الله قرْحٌ ولا اغْتَرُّوا[1]
أُسودٌ على الجُرد المذاكي نُيُوبهم قواضي المواضي والمثقَّفةُ السّمْرُ[2]
يطيرون من شوق إلى كل هيْعةٍ كما طرب النشوانُ مالت به الخمرُ[3]
ولا غرو أن ذابوا اشتياقاً لأنهم من الرَّوْحِ والريحانِ نمَّ لهم عِطْرُ
هنالك رُحمى الله يَهْمِي سَحابُها وثَمَّ يُوفَّى للأُولى صبروُا الأجرُ[4]
إلى واحد الدنيا وتوريدها الذي بغُرَّتِه في الجذب يُستمطَر القطرُ[5]
إلى مجمع البحرين ذي السؤدد الذي إليه تناهى المجدُ والعزُّ والفخرُ
إلى ناصر الإسلام أُنمِي شكايتي ولي منه عهدٌ صادقٌ وهو لي ذُخرُ
تعاظَمَنِي يابن الأئمة ما عَرَا وما ليَ إلّا أنت في كل ما يَعْرُو[6]
إلى وَكْننا العَادِي يصوِّب طرفه وأقصى مراميه التغلُّبُ والقهرُ[7]
وقد غَرَّه لينٌ جرى من زعانف لئامٍ بهم عن كلِّ مكرمة فَقْرُ[8]
صبرْتُ لهم نفسي وعرقلْت سعيهم ولكنني وحدي وهم عسكرٌ مَجْرُ[9]
ولما رأيت الأمر جِدّاً وليس لي معينٌ به يشتدُّ من جانبي الأَزْرُ

---

(١) قرح: جراح.
(٢) الجرد المذاكي: الخيل الجياد. قواضي المواضي: السيوف القواطع. المثقفة السمر: الرماح المهذبة.
(٣) هيعة: صوت الصارخ للفزع.
(٤) يهمي: يصب ويسكب.
(٥) توريدها: نورها.
(٦) عرا: أصاب.
(٧) وكننا: مأوانا يريد قطرنا. يصوب طرفه: يوجه المعتدي قصده.
(٨) زعانف: أراذل جمع زعنفة ومن معانيها الرذل.
(٩) عسكر مجر: كثير.

زجرتُ بك الهم الذي بلبَل الحشى ... ففرَّج عني كُربتي ذلك الزجرُ[(١)]

وحرَّرت هذا فاسترحتُ من العَنا ... وخفَّ بإنهائي لك القصةَ الظهرُ

وأرسلته والصبرُ قد غاض ماؤهُ ... فيومُ انتظاري عودَ أخبارِكم شهرُ

وأنشأته في غفلةٍ من عواذِلي ... ولو علموا سِرِّي لمسَّنَي الضرُّ

فعجِّلْ بوَفدٍ منك يحيا به الرجَا ... وتورِق أشجارُ الأماني وتخْضَرُّ

وتشرَق بالريق الأعادِي فإنه ... إذا جاء موسى بالعصا يبطل السحرُ

ويذهبُ أدراجَ الرياح مرادُهم ... وينتعشُ الوادي وينجَبرُ الكسرُ

ويُحمَي حمى الإسلام عن كل ماردٍ ... وتندفع البلوى ويُستدرك الأمرُ

مجيبَ النَّدا هذي شؤوني شرحْتُها ... وغالبُ ظني أنه يُسرع اليُسْرُ

فقابلْ بألطاف القبولِ قصيدتي ... فليس سوى حسن القبولِ لها مهرُ

ودُم في سعادات وعزٍّ ورفعةٍ ... تزيد لك الأموالُ والآل والعمْرُ

ومنَّا على طول الليالي لك الدعا ... وذكرُ سجاياك الشريفةِ والشكرُ

جواب الإمام يحيى
على قصيدة ابن عبيد الله السابقة

وهذا جوابهُ بعد البسملة والمهر:

من المقام الشريف بصنعاء؛ دار العدل والأمان، ومنازل الأئمة من أنجال سيِّد الخلائق؛ وطراز نظام الأكوان. إلى محبنا الصادق، وابن العم بالنسب الملاصق، ذي القول العضب، واللسان الآخذ بمجامع القلب، الأجل العلامة وجيه الإسلام، والنخبة في آل باعلوي الكرام؛ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ لا بَرِحَتْ أيدي الرعاية الأزلية؛ مُسْبِلة عليه برودَ الألطاف، ومهدية إليه صنوف مِنَنِ الأتحاف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

(١) بلبل الحشى: هيج القلب وأزعجه.

فإنها وصلت البطاقة، المحتوية على محاسن الرشاقة، وفي طيِّها القصيدة الفريدة، والمديحة الخريدة، ولقد وقفنا منها على القول الحر، والمنطق الجزل، وأرتنا كيف يدار كلام الحكم، وحكمة الكلام، وبأيٍّ عبارة تساق ركائب الحِفَاظْ؛ وتثار نيران الغيرة والعزيمة؛ المصونة عن آفة التردد، فللّه دركم من ناظم ثائر، تقف دون مداه أفكار البلغاء حواسر، ولله الحمد؛ فقد أخبرتنا عما تسكنه الأفئدة؛ من لزوم بذل الهمم في صدِّ عادية الأعداء، والتبصُّر في شؤون وسائلهم؛ التي من وراء زخرفها كل داء، وإنا بعناية الله كما تعلمون؛ لم نزل مجدِّين في شوطنا الطويل، ولا غاية لنا في ذلك؛ إلّا حفظ شوكة الدين؛ وإعلاء كلمة الجليل؛ وجمع القلوب وصيانة جماعة مَنْ في هذه الجزيرة؛ من التفرق المذموم، أمام جشع الأعداء المعلوم، وقد تمَّ لنا بحمد الله من ذلك؛ ما نرجو مضاعفة ثوابه، ودوام نموّه على مدى الأعصر؛ وبلوغه قوة شبابه، وتواترت لنا من الطاغين معارك؛ ظهرت بها صولة الحق، وتمَّ لحزب الدين نصر الله؛ والعاقبة للمتقين؛ فلا يقال كيف اتفق، وأملنا أن تعمَّم الدعوة، وتزول الفرقة؛ ولنا بجهاتكم نيَّات، وسوف تظهر بعون الله على صفحة الثبوت والثبات، ويزكو من بذرها النبات، ولو تمَّ لنا وجود الأسباب، لما وسعنا التأخير عن إجابة النداء؛ إلّا ريثما توضع الرِّجل على الركاب، ولكنا الآن مشتغلون؛ بتقرير قواعد البلاد الدانية؛ حتى يتم التمكن من الالتفات إلى القاصية، وعلى سبيل المطارحة نقول في نظام المقول القصيدة التالية:



القصيدة الثانية

للإمام يحيى بن حميد الدين

سَرَت وهي مثلُ الشمس يحسُدها البدرُ وجلبابهُا جِبْرٌ بَرَى نسجَه الحِبْرُ[1]
أتتنا على قُرب الديار وبُعْدِها مزاراً وفي الأفكار من شأنها ذكرُ
إلى النسب العالي نمَتْها قريحةٌ لها اللهجة العلياء والمنطق الحرُّ
حوتْ من حُلَى الأوصاف كلَّ يتيمةٍ فأين يتامى الدُّر منها وما الدُّرُّ؟
ومركزُها المنسوبُ منها محيطُها مَقامٌ عن الدِّين الحنيفيّ يفتَرُّ
إلى العلويين الكرام ذوي النُّهى ومَنْ شعْبُهُم شَعْبي وذخرُهُمُ الذُّخْرُ
هم القوم حازوا في العناية خُطَّة تضاءَلَ منها البدرُ وانحطَّت الزُّهرُ
فلا غرو أن كان الوجيهُ سليلُهُمْ همـاماً؛ له في كل منقبةٍ سِرُّ
هو الألمعيُّ الفذُّ طاب مساعياً وطال كمالاً؛ دون رتبته النَّسْرُ
وأوتِيَ من عزم الكُفَاةِ صرامةً لها في دياجي الخطب ما تفعل السُّمرُ[2]
ألم ترَهُ أهدى إلينا نظامَه كما افترَّ زهر الروض بلَّلَه القطرُ
يقول ألا جِدُّوا؛ فأسمَعَ صوتُه قلوباً بأسلاك العزيمة تنجَرُّ
فَلبَّيك يابن الأكرمين إجابةً يَبيدُ بها العَاتِي وينفلِقُ الصخرُ

---

(١) الحِبر بالكسر الأولى بمعنى الجمال والحسن والثاني بمعنى العالم المتقن. برى نسجه: أصلحه.

(٢) السمر: الرماح.

سـيـأتـيـك إن شـاء الإلـه بـعـونـه فـيزدان جيدُ الفضل والصدرُ والنحرُ
ولا سـيَّـمـا إن قـام أبـنـاء عـمِّـنـا بنصرةِ داعي الحقِّ واستحكم الأمرُ
هـنـالـك تـبـيَـضُّ الـوجـوه وتـنـطـفـي حرارةُ أجوافٍ بها اشتعل الجمرُ
وربِّـي بـمـا رُمـنَـا مُـعـيـنٌ لأنـه لمرضاته والسعيُ حُفَّ به الأجرُ
ولا زلـتَ يـا بـدرَ الـمـعـالـي مـمـجَّـداً ومن دونك الشِّعرَى إذا تُلِيَ الشعرُ



القصيدة السابعة[(١)]

من الإماميات[(٢)]

أَرى ظبيَ الفَلاةِ عَدَا نِفارًا ... فأضرَم حبُّهُ في القلبِ نارًا

رمَى بسهام مقْلتِه مُحيّا ... فأثبتَهُ بِرَمْيتِه وسارًا[(٣)]

فيا قمر الخِبَا عُودِي جريحاً ... بجانب خِدْركم ضيْفاً وجارًا

أقيدِيه الغزالَ فقد تعدَّى ... عليه في رمايته وجارًا[(٤)]

وأثخنَهُ وجرَّعه سَقاماً ... وسنَّ لأخذ مهجته غِرارًا[(٥)]

فقالتْ لا قِصاص عليهِ شرعاً ... ألست ترى جنايتَه جُبَارًا؟[(٦)]

---

(١) وفيها يمدح الإمام يحيى ويسأله الوفاء بوعده والإسراع بالخروج بجيشه لاستنقاذ حضرموت من براثن المستعمر الأجنبي.

(٢) قال الإمام ابن عبيد الله بحاشية الديوان: نظمت هذه القصيدة في العقد الرابع من هذا القرن؛ وفي ٩ ذي القعدة من سنة ١٣٦٥ اطلعت على قول بديع الزمان:

يأبى المقام بدار الذل لي كرمٌ ... وهمةٌ تصل التخويدَ والخبَبَا

وعزمةٌ لا تزال الدهرَ ضاربةً ... دون الأمير وفوق المشتري طنبا

وقد نظر البديع إلى قول الإمام علي كرّم الله وجهه: «أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول» لمن تملقه بالإطراء من مبغضيه.

(٣) أثبته: جرحه جراحة لا يقوم معها.

(٤) أقيديه الغزال: اقتصّ له منه.

(٥) غراراً: طريقة.

(٦) جباراً: هدراً. يشير إلى حديث «العجماء جبار».

كـأنـكَ بـالـهـوى وجَـواه غِـرٌّ　　نـكـرْتَ صنيعَ أجفانِ العذَارَى(١)

فـكـم من عـاشـقٍ مـنـهـا قـتـيـل　　وكـم مـتـحـرشِـيـنَ بـه أسـارَى

نـهـارُهُـم بـكـاءٌ وانـتـحـابٌ　　ولـيـلـهُـمُ يـمـرُّ وهـم سَـهـارَى

تـمـاطِـلُـهـم إذا وعَـدَتْ بـوصـل　　فـتـقـتـلُـهـم وتـحـيـيـهـم مِـرارا

فـصـدَّقـتُ الـحـمـيـمَ وعـاد رَفـضِـي　　لـمـا أولَـى مـن الـنـصـح اعـتـذارَا

وأزمـعـتُ الـرحـيـلَ إلـى الـمـعـالـي　　بـعـزم لا يَـنِـيءُ ولا يُـجـارَى(٢)

فـأسـرج طِـرْفَـه وعـلاه حـتـى　　أثـار عـلـى مـدى زُحـلٍ غُـبـارَا(٣)

تـراءى فـوقـه فَـلَـكـاً مـنـيـعـاً　　فـقـالـو ذا الإمـامُ بـنَـاه دارَا

مـغـذي خـيـلِـهِ لـحـم الأعـادي　　ومـورِدُهَـا دَمـاً مـنـهـم مُـمـارَا(٤)

وقـد غَـنِـيَـتْ عـن الإبـراد لـمّـا　　رأت فـي الـبـيـض غُـدْرانـاً غِـزَارَا

ممـرِّنُـهـا عـلـى جَـوْبِ الـفـيـافِـي　　تـخـامِـرهُـا ومـن سـكـن الـقِـفـارَا(٥)

إذا سـمِـعَ الـهِـزَبْـرُ لـهـا صـهـيـلاً　　يـعـودُ زئـيـرهُ فَـرَقـاً خُـوارَا(٦)

مـصـائـدُهـا الـفـوارسُ كـلَّ يـوم　　تـقـدِّمُـهـم إلـى الـمـوتِ اضـطـرارا

فـلا يـنُـجـيـهـمُ مـنـهـا مَـعَـاذٌ　　ولا يـجـدون حِـصْـنـاً أو فِـرارا

تـذيـبُ شـكـيـمـهَـا بـزفـيـرِ غَـيـظٍ　　إذا شـنَّـتْ عـلـى جـيـش مَـغـارَا(٧)

---

(١) نكرت: أنكرت.

(٢) أزمعت: أجمعت وصممت على الرحيل. لا ينئ: لا يضعف من الوناء وحقه لا يني.

(٣) طرفه الطرف بالكسر الفرس الكريم الأطراف والضمير لذي المعالي الذي ارتحل إليه الشاعر.

(٤) مماراً: سائلاً مصبوباً.

(٥) تخامرها: تخالطها وتخالط من سكنها.

(٦) الهزبر: الأسد. الزئير: صوته. الفرق: الخوف. الخوار: صوت البقر.

(٧) مغارا: غارة.

فتسقى القَرْم راحَ الموت صِرفاً ... وتسقى اليُتْمَ صَبيتَهُ الصِّغارَا[1]
مُزِيلُ الهامِ في يوم التلاقي ... يبدِّدها كما يرمي الجِمَارَا
ضَروبٌ للكُماة ولا يبالي ... يرُوِّي البيضَ والأسلَ الحِرارَا[2]
فكم شهمٍ كساه قميصَ حتفٍ ... غداة الرَّوع كالشفقِ احمرارَا
وراكبِ جامحٍ أرداه عنه ... وجرّعه من الظُّبَيَاتِ قارَا[3]
بنَى فوق الشوامخ في المعالي ... ونضَّد من مفاخره ديارَا
بمكتهلين إن ساروا بِقِطْعٍ ... من الظلماء تحسَبهُا نهارَا
وفتيان يرونَ الموت عِزًّا ... إذا لاقَوْا عِداً والعودَ عارَا
إذا سمعوا سيوفَ الهند صلَّتْ ... على الهامات خِلتَهُم سَكارَى
وإن شدُّوا فشهبٌ محرِقاتٌ ... تَرى أعطافَهم ترمي شَرارَا
عمَدْتُ لخيرهم خلُقاً وخلْقا ... وأصبرِهم وأكثرِهم فخارَا
إمامٌ في النفوس له مكانٌ ... إذا ذكرْتُه تنقبِضُ انكسارَا
حقيقٌ بالخلافة يومَ جاءت ... تجرُّ إليه من خَجلٍ إزارَا
له ذهنٌ يَرى ما غاب عنه ... ورأيٌ لن يُدَارَ ولن يَحارَا[4]
حمَى اليمنَ الأعزَّ بمرهَفاتٍ ... فأضحكه وأوسعه افترارَا
وأنعشه وأحياه سروراً ... ونوَّر وجهَه حتى استنارَا
وأطرب بانَه فزهي دَلالاً ... وأعشبَ دَوْحُه فَدَنا ثمارَا[5]

---

(١) القرم: السيد المقدم أي من الأعداء.
(٢) الكماة: الشجعان. البيض: السيوف. الأسل: الرماح. الحرار: العطش.
(٣) الظبيات: جمع ظبة وهي طرف السيف وحده. وحقه ظبات. قارا: يريد دماً أسود.
(٤) لن يدار: لن يضاف به للبحث لكونه واضحاً قاطعاً. لن يحار. لن يتحير يقال: حار بصره يحار إذا نظر إلى الشيء فعشى بصره.
(٥) الدوح. جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة؛ والعشب في الأصل الكلأ الرطب؛ يريد أثمر دوحه فدنا ثمره من الاجتناء.

وقد نهضتْ عزيمتهُ بصدق ... ليهدِم حوله جُنَنَ النَّصارَى[1]
كسى الدينَ الحنيفَ ثيابَ عِزٍّ ... وأرغم مَعِطس العادِي صغَارَا
جوادُ الكفِّ لا يَثْنيه لَومٌ ... إمامٌ في السماحة لا يُمارَى
مكارمُ لو أصاخ لهنَّ يوماً ... أخو طيٍ أو الأوسي تَوارَى[2]
مواهبه تعالت عن عِدادٍ ... جسامٌ لو حكاها البحرُ غارَا
فقلْ للمُزْن إن وكَفَتْ بوَيلٍ ... شقيقك أمطرَ الناسَ النُّضَارَا[3]
له هممٌ يحَار الدهرُ فيها ... فلو كانت على جبل لطارَا
أذَال الصُّفرَ في طلب المعالي ... وشتَّتها ولم يخشَ افتقارَا[4]
وكيف يخافُ من محذُورِ فقرٍ ... وقد تَخِذَ الأسِنَّةَ والشِّفارَا[5]
رَسَا في الحلم طوداً باقتدار ... وخيرُ الحِلم ما كان اقتدارَا
إلى تقوَى المليكِ له سباقٌ ... إذا اشَدَّ المآزر لا يبارَى
على سننِ الهدى يمشِي بصدقٍ ... وإخلاصٍ تقمَّصَهُ شِعارَا
تواضعَ في علوٍّ لا يُسامَى ... وأسدل فوقَ منصبه الوَقارَا
ولو أن البدورَ به تحلّتْ ... لما خُسِفَتْ ولا عَرفتْ سَرارَا[6]
فيا خيرَ الملوك بلا نزاعٍ ... وأشرفَهم وأزكاهم نِجارَا[7]
وأشجعَهم وأثبتَهم جَناباً ... وأفتكَهم وأحماهم ذِمارَا[8]

---

(١) جنن النصارى: جمع جنة وهي ما يتَّقي به المحارب من عدوّه والمراد ما بنوه من المعاقل.

(٢) أخو طيّ: حاتم الطائي. الأوسي: عرابة الأوسي. ويضرب بهما المثل في الجود.

(٣) وكفت: سالت وقطرت: الوبل: المطر الشديد. النضار: الذهب.

(٤) أذال الصفر استخف الدنانير وأهانها في طلب المعالي.

(٥) الشفار: جمع شفرة وهي من الحديد ما عرض وحدد.

(٦) سراراً: اختفاء آخر الشهر.

(٧) النجار: الأصل.

(٨) الذمار: الحوزة.

وأمضاهُمْ وأطولهمْ قناةً ... وأكرمهمْ وأعلاهمْ منارَا

أدامَ الله جَدَّك في صُعودٍ ... تحفُّ به السعادةُ حيثُ دارَا[1]

قصدتكَ عائذاً من دهرِ سوءٍ ... على مثلي من الأحرارِ جارَا

تجَهَّم لي وجرَّعَني البلايا ... وما لي في الأنامِ سواك جارَا[2]

وقد عُظمت وعودك لي فعجِّلْ ... بذي لَحَبٍ تزور به الديارَا[3]

ودونَك بنتَ فكر لو رآها ... زيادُ أضرمتْ بحشاه نارَا

ولو ألقَتْ لها الخنساءُ سمعاً ... رأيتَ بقلبها منها انفطارَا

عروسٌ لم تجد إلّاكَ كفؤاً ... تَرَصَّع تاجُها دُرراً كبارَا

ومثلك من يقابلهُا بلُطفٍ ... وسَتْر إن رأى منها عَوارَا

ودُمْ في نعمةٍ عمرَ الليالي ... تزيدُ غصونَ علياك اخضرارَا

يمتعكَ الإلهُ بعمر نوح ... وأنعم عِيشةٍ في مُلك دَارَا

* * *

(١) جدك: حظك.

(٢) تجهم لي: استقبلني بوجه كريه.

(٣) بذي لحب: بحيش ذي صياح وكثرة.

القصيدة الثامنة من الإماميات

ولم ترسل إلى تلك الحضرة(١)

خلِّ النسيبَ وذكرَ الخُرَّدِ العُرُب ... وانشُدْ فضائلَ ضاعَتْ من يدِ العَرَبِ(٢)

فإن همِّي لهذا الشأنِ غادرني ... ما في فؤادي لغُنْج الخُودِ من أَرَبِ(٣)

من بعد ما كنتُ أعتَدُّ الوفاةَ على ... حكم الوفا في الهوى من أفضل القُرَبِ

ولم تَحُلْ شيمتي لكن أرى فِتَناً ... من أجلها قام يدعو الدينُ بالحَرَبِ(٤)

تفرُّقٌ دَسَّهُ أهل المطامع في ... شبه الجزيرة أعدى القومَ كالجرَبِ

وفي افتراق رجالِ الضَّادِ ذلتهُم ... وذلُّهم آخذٌ بالدين في الهَرَبِ

في نص هذا حديث من طريق أبي ... يَعْلَى فكيف النجا من هذه الكُرَبِ

---

(١) وفي هذه القصيده التي لم يرسلها إلى الإمام يحيى يتألم الإمام ابن عبيد الله مما حصل بين زعماء العرب من التفرق والاختلاف ويوضح أن هذا التفرق سببه دسائس الأجانب الطامعين في السيطرة على العرب. وينصح الحكام العرب بمبايعة الإمام يحيى ليجتمع به شمل العرب فهو نزيه ووفي، وذكر أن العثمانيين يعرفون وفاءه بتصرفه أثناء الحرب حينما تقاسم ما عنده من مؤن مع جيش الأتراك الذي انقطع به الاتصال بموارد تموينه في نهاية الحرب العظمى.

(٢) النسيب: التشبيب بالنساء في الشعر والتغزل فيهن. الخرد: جمع خريده؛ والعرب جمع عروب وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها.

(٣) الغنج: التكسر والتدلل. الخود جمع خود بفتح أوله وهي الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً. الأرب: الحاجة.

(٤) بالحرب: باستئصال أموال أعدائه.

مُلِمَّةٌ ما لها إلّا مبايعةُ الْـ ـقَرْم الذي للعُلَى يهتزُّ من طَربِ[١]

يحيي إمامُ الهدى من لا تزالُ به تحيا المحاسنُ إثر الدفن في التربِ

حاز الشروط ولم يستحِل قط رُشاً إذ ذاقها غيرهُ كالشُّهد والضَّرَبِ[٢]

سل آل عثمان من وفَّى إذ اضطربت بالخائنين الأماني كلَّ مضطَرَبِ[٣]

فضائلٌ لم تكن إلّا لتوجد في إمام حقٍّ على مَهْدِ الكمال رُبِي

إن بايعوه وللأتراك سلطنةٌ تجددت للمعالي سائر الخِرَبِ[٤]

ركنان للدين إن تمَّ اتحادهُما تمَّ الخلاص له من وحشة الغُرُبِ[٥]

أبدَيتُ رأيي لطلاب الحقيقة عن إمعان بحث وتحقيقٍ وعن دَرَبِ[٦]

* * *

(١) القرم: السيد العظيم.

(٢) الضرب: بفتحتين العسل الأبيض الغليظ.

(٣) يشير هنا إلى إخلاص الإمام يحيى للعثمانيين رغم ما سبق بينهم من حرب وإنه لم يتعاهد مع أحد لحربهم كما فعل غيره كالشريف حسين وإنه لما انقطعت مؤونة الأتراك في نهاية الحرب العالمية تقاسم معهم ما معه من مؤونة وغذاء مما أكبره الأتراك منه وذكر ذلك الإمام ابن عبيد الله في كتابه بضائع التابوت.

(٤) الخرب: بكسر ففتح. جمع خربة كنعمة ونعم الموضع الخرب.

(٥) الغرب: بضمتين الغريب.

(٦) درب: اعتياد وتمرّن.

القصيدة التاسعة

من الإماميات

وهذا ما اتفق لنا بصنعاء؛ دار العدل والأمان؛ بعد وفادتنا إليها أوائل سنة ١٣٤٩هـ؛ وقد تلقانا خارَجها حاكمُ البلاد؛ في جماعة من الأعيان والعلماء والقواد وأهل الفضل؛ وأعدَّ لنا المنزل الفخم بالأثاث الفاخر؛ وأنزلونا على الرحب والسعة، وفي اليوم الثالث من وصولنا دُعينا إلى «الروض» على بعد ساعة في الجوالة[١] من صنعاء؛ وكان الأمر كما قال أبو عبادة:

ولــمــا وردنــا سُــدَّةَ الإذن أُخِّــرَتْ رجالٌ عـن الـبـاب الـذي أَنـا داخـلُـه

فـأفـضـيـتُ عـن قـرب إلى ذي جـلالـةٍ تـقـابـلُ بـدرَ الـتـمِّ حـيـن تـقـابـلُـه

فـسـلـمـتُ واعـتـاقـت جـنـانـي هـيـبـةٌ تـنـازعـنـي الـقـول الـذي أنـا قـائـلـه[٢]

إلى أن تـجـلـت لـي الـطـلاقـةُ وانـتـحـى عـلـيٍّ بـبـشـر آنـسَـتْـنِـي مـخـائـلُـه[٣]

عند ذلك استأذنته في الإنشاد؛ وتقدَّمت بهذه القصيدة، والدموع تقاطرُ من الحمِيَّة، وهو يكاد يخرج عن إهابه من الأريَحيَّة.

بـمـعـذرةٍ أُدلِـي إذا خـانَـنـي الـنـظـمُ فـشـاهـدُ حـالِـي مـنـه يـنـدفـعُ الـذَّمُّ

كـأنـيَ تـمـثـالٌ أظـلُّ مُـدَلَّـهـا وإن عسْعَسَ الداجي توزَّعني الهمُّ[٤]

---

(١) الجوالة يقصد بها السيارة والروض هي مكان على مقربة من صنعاء يقع فيه قصر الإمام يحيى.

(٢) اعتاقت جناني: لزمت قلبي.

(٣) مخايله: جمع مخيلة وهي ما ينتظر أن يكون عليه من الحسن والإشراف.

(٤) مدلَّها: ذاهب العقل. عسعس الداجي: أقبل الليل المظلم.

كأن نسورَ الأفق حُصَّتْ رياشهُا ... أسامرهُا كي لا يساوِرَها الغمُّ[(١)]
وأنَّى لحُرٍّ أن يطيبَ بعيشةٍ ... وإن رَقَّ مَجناها إذا مسَّه الظلمُ
صَبَرْنا على ما يملأُ القلبَ حسرة ... وقلنا عسى أن ينفع الصبرُ والحلُمُ
فلم يُجْدِنا نفعاً تحمُّلُنا الأذى ... ولكن تمادى في تهوُّره الخَصْمُ
على الدين يعدُو الجورُ في قطرنا الذي ... ترعرَع فيه الحقُّ واكتملَ العلمُ
لقد كان للأجداد عزمٌ وغَيرةٌ ... على الدين لكن أينَ ذلكم العزمُ؟
مَضَوا بسلام والشريعةُ حِصْنُها ... منيعٌ ولكن بعدَهم مسَّها الهضمُ
يقول صحابي اليوم نحن فروُعهُم ... وما عندهم من إرث آبائهم قِسْمُ[(٢)]
وقد بَحّ صوتي بالنصيحةِ بينهم ... ولكنهم عن كل فائدةٍ صُمُّ
ومن كان منهم فيه نُسْكٌ فإنه ... تولَّى عليه الضعفُ واشتمل الوهْمُ
يريدون من أهل القبور معونةً ... وأنَّى يعينُ الناسَ من ضمَّه رَدْمُ؟
وقد عمَّهم داءُ الدّهان بأسرِهم ... وإن حملوا رُقطَ المكائد واغْتَمُّوا[(٣)]
لذلك فضّلتُ النَّوى وتركتُ مِنْ ... خلافي نفوساً شوْقهُا دائماً ينمُوا
صغاراً كزُغْبِ الطير يشتدُّ وجدُهم ... إذا نوَّهَتْ باسمي حيالهَم أُمُّ
متى يذكروني يَشْرَقوا بدموعهم ... وما للذيذ الغَمْض عندهم طعْمُ[(٤)]
تذوب حشاهم من فراقي كأنما ... بها الجمرُ يذكَى أو يقطِّعُها السُّمُّ
وما عندهم بعضُ الذي بي وإنما ... أَجبتُ العُلى لمَّا دَعاني لها الحَزْمُ
وإن أشمتَ الحسَّادَ يوم انتوائِنا ... فعمَّا قليل عندهم يحصل الرَّغْم
وكل عسيرٍ هيِّنٌ في لقاء من ... ودادِي له سَعْد وقصدي له غُنْمُ

---

(١) حصت رياشها: أزيلت.
(٢) قسم: خط ونصيب.
(٣) الدهان: النفاق: رُقط: جمع أرقط وهو الثعبان كناية عن شدة أذاهم وكيدهم.
(٤) يشرقوا: يغصوا.

مناطُ الرجا جَمُّ الحِجَا نيّر الدُّجَا　　سفينُ النَّجا في ملكه تأنس العُصْمُ(١)

سَنامُ العلى كهفُ المَلَا كاشف البَلَا　　سليلُ الألى يُدْوَى بجاههم السُّقمُ

إمامُ الورى عالي الذُّرَى صادِقُ السُّرَى　　إذا ما انبَرى ترتَجُّ من بأسِه الشُّمُّ(٢)

يخوض الوغَى بالخيل شُهباً ويَنْثَنِي　　وهنّ وما فيهنّ من شِبَةٍ دُهْمُ(٣)

غيورٌ وقورٌ قانتٌ متواضعٌ　　عطوفٌ رؤوفٌ ناظمٌ ناثرٌ قَرْمُ(٤)

عفوٌّ شديدُ البأس أشوسُ ليِّنٌ　　إذا لم يكن في أيّما حالةٍ إثمُ(٥)

حكيمٌ فلا يعدوُ بأمرٍ مكانه　　يخِفُّ إلى الجُلَّى ويعجبه السلمُ

لأهل الهدى والدين من فضله الرِّضا　　وللمفسدين العدلُ والمقتُ والرجْمُ

إليه من الهادي الأمين وصِنوِه　　عليٌّ تناهى المجدُ والسؤددُ الضخمُ

وما كان من ميراثهم متفرّقاً　　ففيه وفي أبنائه اليوم مُنْضَمُّ

كُفاةٌ حماةٌ طائرون إلى العُلَى　　ولا غَرْوَ فالأشبالُ بالليث تأتَمُّ(٦)

تشابَه يومَ الجمعِ والرَّوْع فعلهُم　　فمن خطبةٍ تسموُ إلى طعنةٍ تنموُ

إذا اضطرمت نارُ الكفاح تسابَقوا　　إليها كأن الصَّيدَ عندهم بَهْمُ(٧)

تمسك بالتقوى أبوهم فوفقوا　　ومظهرُ فعل الأصل في فرعه حَتْمُ

ومن كأبيهم عفةً وشجاعةً　　وعدلاً إلى علم يزيّنهُ الفَهْمُ

وفي عالم القدْس العليّ بروحه　　يطوف فللإلهام من قلبه سَهْمُ

---

(١) العصم: الوعول في الجبال.

(٢) الشم: الجبال الشاهقة.

(٣) شبة: ألوان شتى. دهم: لا لون فيها سوى الدهمة.

(٤) قرم: سيّد معظم.

(٥) أشوس: يعرف في نظره الغضب إذا انتهكت حرمته.

(٦) لا غرو: لا عجب.

(٧) الصيد: جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً. بهم: صغار المعز.

مكارمهُ فوق الكلام وإنّما يسوغُ لمن يدري تصورَهُ الحكمُ
وما هو مثلَ الناس إلّا كما استوى من النحل والزُّنبور في النظر الحجمُ
قريبٌ وفي معناه بعدٌ كما يُرى صغيراً على كُبْرٍ بجُثتِه النجمُ
عصامِيٌّ نفس جاء من فوق بَحْره بفخر له دانت به العُرْبُ والعُجْمُ[1]
وذَلَّتْ له غُلْبُ الرقاب وأذْعَنَتْ له الشُّوسُ وانماعَتْ لهيبته الصُّمُّ[2]
وجاءَت محابيه الملوكُ وتتَّقِي رَدَى منصَلٍ ما شانَ قرضا به ثَلْمُ[3]
أذاق الزرانيقَ الرّدى بعنابسٍ تكادُ بسامي مجدِه تنطقُ البُكْمُ[4]
شهابُ الهدى حتفُ العِدا نجله الذي له من وصيِّ المصطفى جدِّه وَسْمُ
وقلَّده من بعده الأمرَ فانثَنى وفي جيده عِقدان زانَهُما النظمُ
إليكَ أميرَ المؤمنين يَعوذُ مِنْ صنوفِ الأذى حَرّانُ أنتَ له عُمُّ[5]
ومنك له عهدٌ أكيدٌ وذمةٌ وحاشاك أن ترضَى وقد ناله الغَشْمُ[6]
أما قلتَ لي لبيكَ في شعريَ الذي تعلَّلنِي منه التلاوةُ واللَّثمُ
أغثني فإن الحاسدين قد اعتدَوا وما عندهم إلّا ودادُك لي جُرْمُ
وبادِر بنصر يركُس الظلمَ في الزُّبا ويَسْنَقُ وحشَ القَفْر من حربه اللحمُ[7]

---

(١) نجره: أصله.

(٢) غلب الرقاب: العظماء. الشوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر كبراً انماعت: ذابت.

(٣) نصل: نصل. قرضابه: سيفه القاطع. ثلم: كسر.

(٤) الزرانيق: قبيلة. عنابس: موضع.

(٥) حران: محترق الكبد من شدة الأذى والكيد.

(٦) الغشم: الظلم.

(٧) الركس: رد الشيء مقلوباً. الظلم: هنا من ظلم الوادي إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن بلغه من قبل فهو بلوغ الماء من الوادي ذلك الموضع. وأطلقه على نفس الماء البالغ هذا الموضع. الزبى: جمع زبية وهي الرابية لا يعلوها الماء. يريد نصراً يرد الحق إلى الذروة ويبلغ فيه الأمر إلى غايته كما يرد الماء إلى أعلى مكان لم يبلغه من قبل في هذا العهد. يسنَق: يبشَم ويتخم. يريد بشَم الوحوش من لحوم الأعداء.

فقد يُطمعُ الريثُ النصارى وقومنا بتقريبهم للأرض من جهلهم همُّوا
وأخشَى من التبشير ينجَح عندنا ويظهر بين الناس ما تنْسِل الكرْم[(١)]
ومهما يكن حال السياسةِ غامضاً علينا فلا يُعْييكَ للفتنة الحَسْمُ
أردتُ لقومي من موالاتك النَّجا فكان جزائي منهم البُغْضُ والصَّرْمُ
سَعَوْا جهدَهم في محنتي وتقوّلوا عليَّ وبالبرهان أبطلت ما نَمُّوا
يريدون كتمَ الحق لكنني بما بذلتُ من الإرشاد أعياهم الكتمُ
فما زال تذكيري شجاً في حلوقهم إذا قلت يوماً خطبةً فيهمُ احتَمُّوا[(٢)]
وما برِحوا حتى اشتروا ذمم الأولى لأهل الهدى والعلم ما بينهم رَسْمُ
ومن صولة الأغمار في أرضنا البَلَا وأنَّى لنا نبني وقد كثُر الهدْمُ
بَعِلْتُ بنصْرِ الدين والقومُ ضِدُّه وجئتك إذ أشفَى ولم يبق إلَّا اسمُ[(٣)]
وكابدتُ في سَيري إليكِ مصاعباً بها قبلَ وقت الشيب مني وَهَى العظمُ[(٤)]
وإن قمتُ في وجه الوذِيلةِ لاح لي بياضٌ به اعتاضت غدائريَ السُّحمُ[(٥)]
وما كانَ هذا القولُ لولا محمَّدٌ يجيء ولكن عنده ضُمِّد الكَلْمُ[(٦)]
سليلك بدرُ الدين باللطف عمَّني فثابت إليَّ الروحُ وانتعش الجسمُ
رأى فكرتي غاضت فبشَّرَني بما أُحبُّ ففاضَتْ حين لاطفني الشهمُ
وهذا مقامي طالبٌ منك نجدةً فخذ لي بثأري إنّ جِذْمك لي جِذْمُ[(٧)]

---

(١) ما تنسل الكرم: يريد الخمر.
(٢) احتموا: أصابتهم الحمى.
(٣) بعلت: برمت فلم أدر ما أصنع. أشفى الدن: أشرف على الضياع.
(٤) وهي العظم: وهن ورق.
(٥) الوذيلة: المرآة. السحم: السود.
(٦) ضمد الكلم: شدت العصابة على الجرح. يريد سيف الإسلام حمداً ابن الإمام وولي عهده إذ ذاك.
(٧) جذمك: بكسر أوله وقد يفتح أصلك. لي جذم: أصل فأنت حقيق بالأخذ بثأري.

وقبلي بعيد جاء جدك فانثنى ... وفي يده منه المراسِنُ واللُّجْمُ
وهزَّ رسولُ الله عمرَو ابن سالم ... فقام ينادي في الصحابة أنْ زُمُّوا[١]
وأنت لها يابن النبيِّ وكفؤُها ... ورأيك رُشْدٌ ليس يلحقه ذَمُّ
وعجِّل أميرَ المؤمنين بنُصرتي ... فإني بأطفالي هنالك مُهْتَمُّ[٢]
إذا سرَّني قرب الإمام يسوءني ... تصورُ ما هم فيه لَانابَهُم يُتْمُ
رحَلتُ وهم ما بين قوم كأنما ... جوانحهم مما تُجِنُّ لنا فحمُ
وقد خاض في بحر الأماني بيَ الرجا ... وأنت بحول الله للأمل الخَتْمُ

ولا تسَل عما جرى ساعة إنشادها؛ من التأثر والانفعال؛ وكانت عرضة ذلك؛ فقد أثارت الحِفَاظ من كل ناحية؛ وهي من حُرِّ القول وخالصه؛ وجزْل للشعر ومختاره، وما ظنك بملك؛ يعرف مقادير الكلام؛ من صميم كعب بن لؤي؛ كيف لايهتز عودُه؛ ولا تتأكّد مواثيقه وعهوده. وعدت بعقبها إلى صنعاء؛ ومكث هو بالروض؛ وأمهلته أياماً؛ ثمَّ حركته بالأبيات التي تلي:



(١) زموا: يقال: زممت البعير إذا علقت عليه الزمام.

(٢) مهتم: محزون يقال: أهمه الأمر أحزنه فأهتم.

القصيدة العاشرة

من الإماميات

تبلَّجَ نورُ الدين من مطلع الصَّرحِ ... بعزَّة يحيى قائد النصر والفتحِ[١]

خليفةُ خير المرسلين وسادةِ الـ ... ـمُنِيبين والهادين بالرفق والنصحِ

أئمةُ صدقٍ أعلن الذكرُ فضلَهُم ... فأغْنَى عن الإطنابِ في الوصفِ والمدحِ

به وبأبناء النبيِّ رجاله ... وأولادِه جُنحُ الدُّجى عاد كالصبْحِ

غصونٌ زكتْ من نبْعةٍ في رُبَى الهدى ... سقاها أمينُ الوحي بالوابلِ السَّحِّ[٢]

تدل على تطهيرهم قسماتُهُم ... كما يُعرف المسكُ الفَتِيقُ من النَّفْحِ[٣]

وردتُ عليهم طالباً فضلَ نجدةٍ ... فما رَيثُ إلّا ما يُبشِّرُ بالنُّجْحِ

سيندم قومٌ خالفوني وأشأموا ... إذا ما تعلَّى فوق أقداحهم قِدْحِي

وإني وإن لاقيت منكم كرامةً ... وحسنَ التفاتٍ لا يقومُ بهِ شَرْحِي

فلي بين أعدائي بأرضي وديعةٌ ... فؤادي لها بالليل كالماء والملحِ[٤]

فعجِّل بعَودِي والمهمةُ قد كفى ... بها علمُكم والحرُّ يُنجِدُ باللّمْحِ

وما لي وللإلحاح بعد قصيدةٍ ... بها اهتزَّ عودُ العاهلِ الفاتِك السَّمْحِ

أتيناك والأكبادُ حرَّى فأثلجت ... طلاقَتكم من لاعج الضَّيم واللفْحِ

---

(١) الصرح: قصر الإمام يحيى.

(٢) السح: المنسكب.

(٣) المسك الفتيق: نوع من المسك أضيف له العنبر. النفح: الرائحة.

(٤) كالماء والملح يريد أنه ذائب القلب.

وحاشاكُم أن تهملوا آثارَ جارِكم ... ومحسوبِكم بل وابنِ عمكم اللّحِّ[١]

فعارٌ عليكم أن يعودَ ومالَهُ ... نفوذٌ على الطاغين بالسيفِ والرمحِ[٢]

وما زال مذ عشرين عاماً يعدُّكم ... لشدته أسنَى الذخائر والرِّبحِ

وقد علمت حتى العذارى انتماءَه ... إليكم وما أبلاه في الحقِّ من كَدْحِ

ودُم يا أمير المؤمنين بغِبطةٍ ... مدى الدهر كالمأمونِ عهدَ فَمِ الصلحِ[٣]

فما هي إلّا أيام؛ حتى جاءتني هذه البطاقة[٤]؛ وعليها إمضاؤه بخطه هكذا:

من عبد الله وفقه الله؛ إلى السيد السند الأديب؛ والعلامة الألمعي الأريب؛ وجيه الإسلام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف حفظه الله؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. صدر الجواب على أبياتكم الأبيَّة الراقية؛ مقرراً للفضل حقَّه؛ ومعطياً لذي السبق سَبَقَه، ودمتم في دعة وسعة، والسلام عليكم. في ٩ صفر سنة ١٣٤٩هـ.

---

(١) اللح: القريب.

(٢) يستعجل الإمام إنقاذ حضرموت ونصرة مناصريه بها مما ألم بهم من طغيان وأذى.

(٣) فم الصلح: اسم قرية قرب واسط انتقل إليها الخليفة المأمون بعروسه بوارن بنت وزيره الحسن بن سهل وقد أنفق الوزير في ذلك اليوم ما يفوق حد الكثرة.

(٤) يبدو أن الإمام يحيى استغرق هذه الأيام لكتابة الرد على القصيدة وكان الإمام ابن عبيد الله يستعجل نصرة الإمام وإرسال جيش إلى حضرموت بينما كان الإمام يحيى يواجه ظروف سياسية دقيقة فالإمام يحيى كان يعادي الإنجليز معاداة شديدة ويتمنى طردهم من جنوب اليمن؛ لكنه يعرف مدى قوتهم ويعرف بتحركاتهم بين الحكام العرب والإمام يحيى كما ذكر في قصيدته التي أرسلها لابن عبيد الله كان مشغولاً أيضاً بترتيب الأمور الداخلية لمملكته اليمنية فلم يستطع تنفيذ ما تمناه منه ابن عبيد الله ولنفس الأسباب لم يستطع من سبق الإمام يحيى من أئمة اليمن تقديم العون لحضرموت؛ ولم يستطع كذلك الأتراك ولا محمد علي باشا من الاستجابة لوجهاء العلويين مثل السيد محسن بن علوي السقاف (١٢١١ - ١٢٩٠هـ) والذين أرسلوا لهم الرسائل تلو الرسائل يتمنون عليهم القدوم على حضرموت وتخليصها مما كانت تعيش فيه من الفوضى والاضطراب أيام حكم الطوائف اليافعية والقبائل الحضرمية.

القصيدة الثالثة

من الإمام يحيى بن حميد الدين لابن عبيد الله

أَعِدْهَا أَعِدْهَا يا خليلِيَ بالصَّدْحِ ... ودَاوِ بها ما قد جَنَتْه من الجرْحِ[1]
فقد هيَّجتْ منا البلابلَ وانْثنتْ ... تُثيرُ شجوناً لم يُطِقْ حصرهَا شرحِي[2]
ووافقتْ أَخا شوقٍ إليها مبرَّحٍ ... يَرى في تدانيها الدنوَّ من المَنْحِ
ومنَّتْ بما أدناه قربُ مؤَمِّلٍ ... وزوْرةُ مشتاق وعطفةُ ذي صفحِ
إذا قلتُ هزَّت أريحيةَ سامعٍ ... وتالٍ فصدقي كان أسفَر من صبْحِ
وإن قلتُ جاءت بالأماني فإنها ... وحقِّ الوفا تلك الحريَّةُ بالشّطْحِ[3]
عقيلةُ فكرٍ هاشمِيٍّ مبَجَّلٍ ... محاسنُه جلّت عن الجمْعِ والطرحِ
أخُو العلم يُجرِي أبحراً من لسانِه ... كما انهلّ وَكّافٌ بمنهمِر السّحِّ[4]
وذو الهمة الشمَّاء ما حال دونَه ... ودون مساعيه الصعابُ من الكدْحِ
ومَن كوجيه الدين فضلاً وشيمةً ... وخَلْقاً وأخلاقاً لها طالع الفَتْحِ؟
شمائلُ فيه من أبيه وجدِّه ... وأسلافِه الغرِّ الكرام أولي المدْحِ
لئن زاد إعجابي بها وبشخصِه ... فقد أدركتْ منه الحواسُّ قِرَى النُّجْحِ

---

(١) الصدح: رفع الصوت بالغناء.

(٢) البلابل: شدة الهم. الشجون: الأحزان.

(٣) الشطح: كلمة صوفية معناها الإفضاء بالغرائب والإبعاد في القول.

(٤) انهلّ: سال؛ وكاف. كثير السيلان. منهمر السح: غزير الهطول.

إلـيـك وجـيـهَ الـديـن نـفـثـةَ فـكـرةٍ أجابت ولكن ما النجائبُ من سَرْحِي

أتــتــك تــحــيــي مــنــك أكــرمَ نــازلٍ وتدعوكَ بالضيفِ الكريم أخي النصحِ

وتُـنـبـيـك عـنـا أنَّ رَجْـوَاك لـم تـكـن سوى عين ما نرجُو كلانا بها يوحي[1]

فـلا تـحـسـب الآمـالَ شـتَّـى فـإنـهـا بـكـل اتـحـادٍ تـمَّ عـاطـرةُ الـنـفْـحِ

ودم ســالــمــاً فــي رفـعـة وكـرامـة لـك الـفـوزُ عـنـوانٌ بـمـا رُمْـتَ مـن ربحِ

❋ ❋ ❋

(١) يوحي: يومىء ويشير من وحى إليه ويحيي وأصله يوحي.

القصيدة الحادية عشرة

ردّ بن عبيد الله على قصيدة الإمام يحيى

أرِقتُ من الأشواق للأهل والسَّفْحِ ... وبتُّ من التذكار والغمّ في سَبْحِ
وأَرسلتُ في حكم الهوى من محاجِري ... سوابقَ دمع لا تَهابُ سوى النَّزْحِ
وليلٍ كإبهام القطاةِ حسبتهُ ... ظلالَ العوالي ما تناهَى إلى صُبْح
يزيد غرامي ساقُ حرٍّ سمعتهُ ... يُرَجِّعُ رنَّات المثاني على طَلْحِ[1]
وأَسرابُ آرامٍ تَثَنّيْنَ فانْثَنَتْ ... قلوبُ الورَى حسْرَى من اللمْح والنفْحِ[2]
وقد صانَ قلبي عن هواهُنَّ حبُّه ... سواهنَّ لكن يُنكأ القَرْح بالقَرحِ[3]
أَلَا سَلوةٌ من لاعجِ الحبِّ فالنوى ... يُشِبُّ الجوى بين الترائب والكشحِ[4]
وما هي إلّا نَفثةٌ فاطِميَّةٌ ... أُتيحت فكانت مَرْهَم الهمِّ والجُرْح
من العاهل الميمون يَحيى أَبي الأُلى ... لهم يوم تقسيم العلى خالصُ المُحِّ[5]
ولا غَرْوَ أن داوى بأنفاسه الضَّنَى ... فقد كان عيسى ينشر الميْت بالمَسْحِ[6]
وهذا أميرُ المؤمنين ووارثُ المـ ... ـنبيين والمخصوصُ في العصرِ بالمدْح

(١) ساق حر: ذكر الحمام. يرجع: يردد. طلح: شجر الموز.
(٢) أسراب آرام: جماعات الظباء.
(٣) ينكأ القرح: يقال: نكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنديت. القرح: الجراح.
(٤) لاعج الحب: ألمه. الجوى: شدة الوجد.
(٥) المح: خالص كل شيء.
(٦) لا غرو: لا عجب.

إمامُ الهدى أتقى من اعتَمَّ وارتَدى وَسم العدا الممزوجُ بالعفو والصفح
عليه من القُدس العليِّ جلالة تفيضُ لها صمُّ الحجارة بالرشحِ
ولكنه مثلُ النبيِّ وصنوِه يغطى عليها بالطلاقةِ والَمزْحِ
يقودُ المذاكي رابطَ الجأش للوغى إذا اصْفَرَّت الألوان من زَجَل الضَّبْحِ[1]
أتتْني أبا الأشبال منك فريدةٌ تبيَّنتُ من عنوانها لائحَ الفتحِ
وإن لم تصرِّح بالمراد جميعه فمثليَ بالتعريض يفهمُ واللمْحِ
ومَن ذا الذي يرَضى بخذِلانِ جاره؟ وهمته شمَّا من العَربِ القحِّ[2]
فكيف بأبناء المغايير قادةِ المـ ـساعيرأعداءِ المذلة والشُّحِّ[3]
لقد أكَّدوا حقَّ الصريخ وإن دُعُوا أجابوا ولو في ظلمة الليل للذِّبحِ[4]
وهذا مقامي طالبُ الإذن منك يا إمامي لأن البَيْنَ أزْعجَ بالبرْحِ[5]
وما عهدُ صَنْعا بالذَّميم وإنما ترادَف شوقي للبنين وللسَّرْحِ[6]
بثَثْتُك ما عندي وفي الظن أنني أعود كما يقضي الوفا فائزَ القِدْحِ
ودمتَ مبيداً للأضاليل والعِدَا مفيداً لأهل الحقِّ بالنُّصْح والمَنحِ

هذا وقد طال المقام، وزاد السَّقام، وَوُدَّى للدين الانتقام[7]، فمنُّوا بجواب يطلق العقال، ويقصِرُ المقال؛ ويسوِّغ الانتقال؛ ولا أقالَ الله من أقال[8]؛ وها

(١) المذاكي: الخيل الجياد. الزجل: رفع الصوت والجلبة. الضبح: صوت الفرس في الجري وليس بصهيل ولا حمحمة.
(٢) القح: الخالص من الشوائب.
(٣) المغايير: شديدي الغيرة. المساعير: مسعري الحرب الذين يوقدونها.
(٤) الصريخ: المستغيث.
(٥) حيث لا يستطيع أحد مغادرة اليمن إلّا بموافقة خطية من الإمام يحيى.
(٦) السرح: المال السائم وفناء الدار.
(٧) وما أحبه للدين هو الانتقام له من أعدائه.
(٨) ولا أقال الله من أقال نفسه من البيعة للإمام.

أنذا بلطفكم محفوف، ولكنني ممن خلفي مشغوف، وأنتم خير من امتلأت بأريحيتهم الأنوف، وقد أطفأت قصيدتكم جمرة، وأثملتني كالخمرة، وعما قليل تنكشف بهمتكم الغمرة؛ إن شاء الله تعالى والسلام.

عبد الرحمن بن عبيد الله
في ٩ صفر

ردّ الإمام يحيى على ابن عبيد الله

وبعقب أيام وردني منه كتاب هذا مضمونه:

حضرة العلامة المفضال؛ والسيد الحسيب النسيب؛ مولى الكمال والإجلال؛ عبد الرحمن بن عبيد الله؛ حفظه الله.

رُويداً فقد أسعرت قلبي باللّفْح حنانيكَ فاطفئه بِمَجِّكَ والنَّضْحِ[(١)]

ورفقاً بزَنْد الشوق لا تَدَعَنَّهُ كما شاءت النيرانُ متصلَ القَدْح

فصبراً على حكم النَّوى فأَخُو الهوى يقودُ إليه الصبرُ مستبْعَدَ النُّجْحِ

لئن هاجك البرقُ اليمانيُّ سُحْرةً وأعلم من بُرْد الدُّجَى قاتمُ الجُنحِ[(٢)]

وعاينتَ في الآرام معنىً عرفَته بمن لهُم بين الحشا محكمُ الصَّرْحِ[(٣)]

لقد أبرزتْ تلك الفريدةُ كامناً من الحب لا يستطيعُ تعريفَه شرْحِي

دعوتَ لها قلبي فلبى وناظري فمالَ وأولاها المئين من اللمْح

وطارحتهُا حُلوَ الحديث فأمتَعتْ بياناً وفي الإمتاع ما لَذَّ من ربْح

وقلتُ لها إن الشَّجا يبعثُ الشَّجا ذريه فما أشجاكِ دانٍ من الطرحِ

ألم يكُ مولاكِ الجليلُ شرافةً وفضلاً؟ به ازدان الجميلُ من المدحِ

ومن علمه بحرٌ يَفيضُ وصوتهُ يَرِنُّ بمكنونِ الإفادةِ والنُّصْحِ

---

(١) رُويداً: تمهل. اللفح: الحر المحرق. حنانيك. ارحمني رحمة بعد رحمة. المجّ: الرمي بالماء. النضح: الرش.

(٢) السحرة أعلى السحر. الدجى. الليل وبُروده: ظلامه. وجنحه: جانبه أو قطعة منه نحو النصف والقاتم: الأسد، وأعلم. جعل لنفسه علامة.

(٣) الآرام: الظباء الأبيض. الصرح: البناء المرتفع.

إذا ما ارتقى فوق المنابر خاطباً رأيتَ الهدى من فضل ربِّيَ في سَحِّ[١]
وإن أخذتْ يُمناهُ قَضْبَ يراعةٍ شهدْتَ له بالسبق في حلبةِ الفَضْحِ[٢]
وجيهَ الهدى إن البدائع جملةً أراك بها تَروِي الفضائلَ عن سَمْحِ
وتخلُب ألباباً يعِزُّ انقيادهُا لغير الذي أبديتَ في الجِدِّ والمزْحِ
وكل بلاد قد حللتَ بسفحِها ترى أنها مقصودةُ السُّوحِ والسَّفْحِ[٣]
يعز علينا أن تُرَى متذمِّراً بحال مُقام بين أهلك والسَّرْحِ[٤]
وأنت الذي يُرجي تدانيه دائماً إذا عُدَّ قربُ المرء من فُرَصِ المَنْحِ
وغيرُ قبيح إن تأجّلَ مطلبٌ لِما أنت تدري من جهادٍ ومن كَدْحِ
وطولُ مُقامِ المرء في الحيِّ مخلِقٌ لديباجَتيه فالتَزِم خطَّةَ النّزْحِ[٥]
وخَيِّمْ لدينا في «أزال» مخلِّفاً مقاماً تناهى في الأذيَّة والقُبْحِ[٦]
إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكِرْتهُا خرجتُ مع البازي قُبيل سَنا الصُّبْحِ
وعجَّلتُ إيباءً لضيم رِجالها بنقلة ذي حزم رأى الغَيَّ في طَفْحِ[٧]
إلى أن أرى الأيام دانية الجَنَى بما رمتُ من فوزٍ تكلّلَ بالنُّجْحِ
فهذَا الذي ما خِلتهُ عنك عازباً تناولتهُ بالشرح والشرحُ من سَجْحي[٨]

---

(١) سَحَّ: انصباب.
(٢) قضب يراعة: ما قطع من الأغصان ليتخذ قلماً للكتابة.
(٣) السوح: جمع ساحة وهي الفضاء بين الدور.
(٤) السرح: الأموال السائمة.
(٥) النزح: الهجرة من الديار.
(٦) أزال: البلد الذي فيه قصر الإمام. والإمام يحيى يدعو هنا ابن عبيد الله للإقامة عنده باليمن ليبتعد عما يلاقيه في بلده من العداوة والكراهية لكن ابن عبيد الله لا يرتضي ببلدته سيؤون بديلاً مهما بلغ فيها ما يلاقيه من الأذية والنكد.
(٧) إيباء: يريد إباءً. طفح: ازدياد.
(٨) سجحى: يقال سجحت له بشيء من الكلام إذا كان فيه تعريض بمعنى من المعاني.

ودم نـائـلاً مـا تـرتـجـيـه مـبـجَّـلاً   وفضلك عالي الصَّرح قام على صَح[1]

هذا وقد جارينا جوادكم في شوط نظامه، فلم نحظ إلّا بما تأخر في ميادين إقدامه، والمؤمل أن تكون زيارتكم غاية في الإمتاع، وقد عرفتم أن من الإسعاد؛ ما هو دال على علوّ الحظ من كرم الطباع، ودمتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله
وفقه الله

هكذا إمضاؤه بخطه في ١٤ من صفر سنة ١٣٤٩.

والاجتماعات جارية خلال ذلك بكثرة؛ ولكن المحاورات الشعرية لها سيْرهُا، وفي يومئذٍ أبرق إليّ ولي العهد؛ يشير عليّ بالتزوُّج؛ وعرض عليَّ أمين القصر جارية للتَّسرِّي؛ فأبيت خشيَةَ نسيان الأهل والوطن؛ وما برحت أن كتبت من رأس القلم القصيدة التالية:



(١) صح: نحته من الصحصح وهو كل ما استوى من الأرض.

القصيدةُ الثانيةَ عشرةَ

من الإماميات

بغير اختيارٍ مدمَعي بات في سَفْح وأفسدَ ما بين الجفونِ من الصُّلْحِ
وما أنا ممن يُرْخِص الخَطبُ دمعَه ولكنه قد فاضَ في الحب عن طَفْحِ(١)
وإني لصلب يحملُ الهمَّ خاطِري ولا سيما إن لم يكن عنه من نُدْحِ(٢)
عَلَى أن ذلِّي في الهَوى عينُ عِزَّتي فما زلت فيه من بني عُذرة الكُحِّ(٣)
ويانسُ قلبي والقنا يقرَعُ القنا وإن كان قد يُمسي من البين في ضَرْحِ(٤)
يقولون لي بردْ بنفْثِك حَرَّما أهجْتَ وما في النفثِ عندي سوى اللفْحِ(٥)
وهاتوا إذا ارتَبْتُم بقولي أكُفكمُ على كبدِي الحَرَّى ضَعُوها أو الكشْحِ
ولو أن ما بي عندكم منهُ ذرَّةٌ لضاقت بكم هذى التلاعُ مع الفَسْحِ(٦)
وأيُّ محبٌّ غاب عمن يودُّه فلم تُشجِه وُرْق الحمائم بالسّجْحِ(٧)
يشير أميرُ المؤمنين على ابنه ليسلم من حَرِّ الهضيمة بالنزْحِ

---

(١) طفح: امتلاء.

(٢) ندح: سعة وفسحة.

(٣) بني عذرة: قبيلة مشهورة بالحب العفيف: الكح: الخالص أي الأصلين.

(٤) ضرح: شق والمراد القبر.

(٥) اللفح: الإحراق.

(٦) التلاع: ما انهبط من الوادي. الفسح: السعة.

(٧) السجح: السجع وهو الهدير وترديد الصوت.

وبـالـغ فـي ألـطـافـه واعـتـنـائـه ووَفَّر أسبابَ الكرامة في الصَّرْحِ[١]
ومـن يـك ذا أَنـفٍ حَـمـيٍّ كـضـيـفـه فلن ينسَ بالنعمى مواصلة المَتْحِ[٢]
ولـيـس لـمـهـضـوم الـحـقـوق تَـعِلّةٌ بجدٍّ سوى لف الزّحوف ولا مزحِ[٣]
وإنـي إذا سـاعـدتـمـونـي لَـثـائـرٌ ببيضِ المواضي والمطمهة القُرْحِ[٤]
ومـا شـأنُ أعـدائـي بـصـعـبٍ وردُّهـم عن الغيّ لا يحتاج كُثْراً من الكَبْحِ
وفي شِعر مروان بنِ حفصَة وصفهُم وما هـمْ سِوى أكّالة التَّمر والقَمْحِ
مـشـائـمُ مـذمـومـون لا شـيءَ عـنـدهـم سوى الأبيضِ الرنان غطَّي على القُبْحِ
وأقـصـى أمـانـيـهـم غـيـابـي لأنـهـم بغيظٍ شديدٍ من مقامي ومن نُصْحِي
وكـمْ فَتلُوا لـي فـي الـغـوارب والـذُّرى لكي يبعدوني عن بلادي وعن سَرْحي[٥]
وهـل يـأذن الـمـولـى بـهـجـري مَـواطِـنـاً متى غبتُ عنها أصبح الحقُّ في دَحِّ؟[٦]
ومـا عـن حـمـى الـديـن الـحـنـيـفـي ذائـدٌ سواه فهل يرضى له اليوم بالكَفْحِ[٧]
وأدنـى الـتـفـاتٍ مـنـكَ يـابـن مـحـمـدٍ يصون مُحَيّا الشرع من وَهَج الضَّحِّ[٨]
وفـي فـكـركَ الـوقّـادِ مـا يَـكـشِـفُ الـبَـلَا ويُطلِعُ فجرَ الرُّشد في سُدْفة الجُنْحِ[٩]
فـإن قـمـتَ فـالـمـأمـول أوْلَا فـإنـنـي صبورٌ ولا أنفكُّ قطُّ عن الكَدْحِ[١٠]

---

(١) الصرح: القصر.
(٢) المتح: جذب رشاء الدلو. يريد العمل والسعي.
(٣) الزحوف: جمع زحف وهو الجيش ولفها: اختلاطها.
(٤) بيض المواضي: السيوف القواطع. المطهة: الخيل الحسان. القرح من الخيل ما دخل في الخامسة.
(٥) فتلوا: حاولوا خداعه وتضليله وتقدم شرحه. سرحي: مالي.
(٦) دح: دسٍ في الأرض.
(٧) الكَفح: الضرب مواجهة.
(٨) الضح: الشمس أو ضوؤها.
(٩) الجنح: جانب الليل والسدفة ظلمته.
(١٠) الكدح: التعب.

سأسعى على ضعفي بكل وسيلةٍ إلى الموتِ أو أن يأذنَ الله بالفتحِ
وأنتَ بنا أَولى وأَحرى لنسبة تلاقت بنا في خير ماشٍ على السطحِ[1]

عبد الرحمن بن عبيد الله
في ١٤ صفر سنة ١٣٤٩هـ

فكان الجواب على هذه إرسال الصفي القاضي عبد الله بن حسين العمري؛ للمفاوضة في المهمة؛ وكان ولي العهد هو الذي وعدني بالمراجعة في ذلك؛ فتأخَّر لانحراف في صحته؛ وصار الاعتماد على الوزير المذكور بدلاً عنه؛ وكانت النتيجة تأكيد المواعيد؛ وبسط العذر للريث؛ بما في جو السياسة من الظلام.

وقبل علمي بانحراف مزاج ولي العهد؛ بعثت إليه بالأبيات التالية:



(١) السطح: سطح الأرض يريد الرسول ﷺ.

القصيدة الثالثة عشرة

من الإماميات إلى ولي عهد الإمام

تركنَ الحُلَى واجتزْنَ والليلُ جانحُ ... فنَمّتْ بما تحت الستورِ الروائحُ
نواعمُ لولا الخُمْرُ لانكشفَ الدُّجَى ... مَرَرْنَ حوالَينا وهنَّ سَوانحُ[(١)]
سلبْنَ النُّهَى لما تمايَلْن وانثنَى ... بحسرته منهن غادٍ ورائحُ
وما صَانَنا عن سِحْرهنَّ سوى هَوىً ... به مُلِئَت من قبلهن الجوانحُ
فهيَّجْن ذكرانا وما أثقلَ الجَوَى ... على من تهاداه الرُّبا والصَّحاصِحُ[(٢)]
وتضربه الأمواجُ باليمِّ تارةً ... وتَشْوِيهِ في البرِّ السَّمُومُ اللوافِح[(٣)]
وتحفِزه الآمالُ للبلدة التي ... حَبَتْها بأنوار الجلالِ الأباطحُ
هنالك في الروض الأريضِ بدا لنا ... محيّاً به نورُ النبوَّة واضحُ[(٤)]
محيّاً بمرآه امتلأنا مهابةً ... فلاطفنا حتى انفتحْنَ القرائحُ
وأَنشدتهُ والدمعُ بيني وبينه ... وقد أخذتْه الأريحيّةُ سافحُ
وقالَ وليُّ العهد لي وهوَ خارجٌ ... يوَدِّعُني بُشراك فالحالُ صالحُ
ولي رحِمٌ منه وعهدٌ وذِمّةٌ ... وقد مهَّدتْ قبلي السبيلَ المدائحُ

---

(١) الخمر: جمع خمار. ما تغطي به المرأة رأسها. الدجى: الليل.

(٢) الربا: الأمكنة المرتفعة. الصّحاصِح: الأرض المستوية ليس بها شيء ولا شجر ولا قرار للماء، التهادي: مشي في تمايل.

(٣) يصف هنا ما تعرّض له في سفره في البحر والبر من المصاعب.

(٤) الروض الأريض أي الذكي الكريم يريد به قصر الإمام.

وخـالـفـتُ فـيـهـم عـاذلي وقـصـدتـهُـم ... وأيـقـنـتُ أنـي لا مـحـالـةَ رابـحُ
وهـم عـارفـو قـدرِ الـكـلام وجـزلُـهُ ... يـعـيـش وإن ضمَّتْ ذويه الضـرائحُ(١)
ومِن دَورِهـم فـاض الـنـدَى ووجـوهُـهـم ... بـدورُ الـهـدى مـنـهـا وفـا الـوعـدِ لائـحُ
ولـم تـتـخـالَـجْـنـي الـظـنـونُ ولا انـثـنَـى ... رجـائـي ولـكـنَّ الـتَّـريُّـثَ فـادِحُ
ومـرَّت لـيـالـي لا أراه كـأنـهـا ... ظـلالُ الـعـوالـي طُـلْـنَ مـمـا أكـافـحُ
فـلا تـتـركـونـي لـلأسَـى هـكـذا لَـقـىً ... فـطـولُ انـتـظـار الـحـرِّ لـلـقـلـب جـارحُ
وكـم سـقْـتُ فـي آثـاركـم مـن إشـارةٍ ... أؤمِّـل مـن حسْـن الـقِـرَى أن تُـفَـاتِـحُـوا
وتـدروُا بـمـا فـي خـاطـري ثـم رأيُـكُـم ... عـلـى كـل حـال فـي الـقـضـيـة راجـحُ
ومـا حـلُّـهـا صـعـبٌ وعـنـدي بـيـانـهُ ... إذا شِـئـتُـم فـاصْـغَـوْا لـمـا أنـا شـارحُ
وروضُـوا جـمـاحَ الـشـرِّ جَـذْعـاً فـقـلـمـا ... يُـراضُ جـمـاحُ الـمُـهْـر إذْ هـو قـارحُ(٢)
ولا هـمّ لـي إلّا الـشـريـعـةُ إنـهـا ... تـكـاد عـلـيـهـا أن تـقـوم الـنـوائـحُ
إلـيـك ولـيَّ الـعـهـد عَـتْـبِـي وإنـنـي ... كـمـا لـيـس يـخـفـاكـم أمـيـنٌ ونـاصـحُ
وأنـت لـنـا سـعـدُ الـسـعـود ولـلـعِـدَا ... كـذلـك سَـعْـدٌ إنـمـا هـو ذَابـحُ(٣)
فـراجـع أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن وقـلْ لـه ... متى تشمل الضيفَ الكريمَ الفواتحُ؟
ويـرجـعُ مـنـصـوراً رجـوعـاً بـيُـمـنـه ... تُـغَـنِّـى عـلـى رغـم الأعـادي الـصَّـوادحُ

* * *

---

(١) الضرائح: القبور.

(٢) جذعاً: صغيراً وأصله بالتحريك وسكن للضرورة وهو من الخيل ما أتم الستين ودخل في الثالثة فإذا بلغ الخامسة فهو قارح.

(٣) سعد ذابح: سعود النجوم عشرة أنجم أربعة منها ينزل بها القمر منها أسعد السعود وسعد الذابح.

القصيدة الرابعة عشرة ملحقة بالإماميات

في مسألة القات[١]

وفي تلك الأثناء تعرضت بالذم للقات؛ فرفع بعض العلماء عليَّ الدعوى؛ بطريق المطايبة؛ والمبالغة في التفتح والاسترسال؛ وفي المقام الشريف اقتُرح عليّ مدحه؛ تكفيراً عن سالف ذمّه؛ فلم يُطاوعني اللسان؛ على أكثر مما ترى في الأبيات؛ التي كتبتها على هيئة الارتجال؛ مع الالتزام.

طابتْ لنا بأبي الأشبال أوقاتُ يُكَمِّلُ الأنسَ في أثنائها القاتُ

في روضِ مجدٍ أكاليلُ الفخار به وفيهِ للزهرِ كالزهراء باقاتُ

عِطرٌ يفوحُ وأنوارٌ تلوح وأموا هُ تسيح وأغصانٌ وَرِيقاتُ

بُرْجٌ تنزَّلَ من عُلْوٍ به انفتحت للعدل والبذل أبوابٌ وَرِيقاتُ[٢]

لاقيتُ فيه أميرَ المؤمنينَ وفي نفسي كروبٌ أزالَتْها الملاقاةُ

رأيتُ في وجهه نورَ النبي فلم أملكِ دموعاً أسالَتْها العلاقاتُ

---

(١) القات هو أحد النباتات المزهرة وتكثر زراعتها في اليمن وشرق أفريقيا وتحتوي نبتة القات على مينوامين شبه قلوي يسمى الكاتينون يسبب لمتعاطيه ضعفاً لشهية الأكل وحالة من النشاط الزائد وصنفته منضمة الصحة العالمية كعقار ضار وهو ممنوع في أغلب بلاد العالم ويستسبب في في حالة خفيفة من الإدمان أقل من التبغ والكحوليات وتستنزف زراعته الموارد المائية باليمن ويؤدي ذلك إلى أخطار على الزراعة ويستهلك القات بكثرة في اليمن وتعقد له مجالس خاصة.

(٢) وريقات: ذات أوراق.

وأَخْرَسَتْنِي بَداءً هيبةٌ ملأتْ صدري ولكن أزاحتها الطَّلَاقاتُ[١]
ما أطيبَ العيش في أكنافه وبها للعلم والجود والمجد اتفاقاتُ
لولا علائقُ شَبَّتْ في الفؤادِ جَوىً وما لأسر الصباباتِ انطلاقاتُ[٢]
وكلما آنسَ النأساءَ مرّ به إِجْلٌ من الريم تزهوه اللّباقاتُ[٣]
هيف الخُصُور يُغَطِّينَ الأصابع من فضل المقانع غاداتٌ رشيقاتُ[٤]
وكدتُ بالأمس أقضِي لوعةً وأسًى لما أتتنِي من الوكْر البطاقاتُ
قرأتهُا فاستَحرَّ الوجدُ واضطربَتْ في القلب من مَضَضِ الأشواق دَقَّاتُ[٥]
ولن ينامَ على الضَّيمْ الأبيُّ ومِنْ قومي على الحق نالَتْني مَشقّاتُ
لا بدَّ مِنْ دَرْكِ ثاراتي وإن كثُرت من النّجيع على الأرض الإرَاقاتُ[٦]
وفي وُعودكَ آمالي معلَّقةٌ وبالوفاءِ سجاياكم خَلِيقَاتُ[٧]
وما استعنتُ بكم إلّا لملتكم ما بي لشيء سواها قطُّ فاقاتُ[٨]

---

(١) الطلاقات: طلق ورجل طلق الوجه ضاحكه مشرقه.

(٢) انطلاقات: انفكاكات.

(٣) النأساء: التعزي من التأسية أي التعزية. إجل من الريم: قطع من الظباء اللباقات: جمع لباقة وهي الظرف والرفق.

(٤) هيف: جمع هيفاء وهي الضامرة البطن. الحضور: جمع حضر وهو وسط الإنسان. ومن محاسن النساء دقة الخصور. المقانع. جمع مقنعة وهي ما تغطي به المرأة رأسها. غادات: جمع غادة وهي الفتاة اللينة الناعمة. رشيقات جمع رشيقة وهي الخفيفة اللطيفة الحسنة القد.

(٥) استحر: اشتد وقوي.

(٦) المضض: الألم والوجع: النجيع: الدم.

(٧) لم ينس الإمام ابن عبيد الله حتى في هذه المداعبة تذكير الإمام بالأمر المهم الذي جاء من أجله وأخذ الوعد من الإمام بتنفيذه وهو المساعدة على ضبط أمور حضرموت وإعداد العدة لطرد المستعمرين الأجانب عنها.

(٨) فاقات: حاجات.

حاشاك يابنَ النجوم الزُّهْر تخذلُنِي وقد ترامَت بي البيدُ السحِيقَاتُ[1]

واسمَحْ بعَوْدي أميَر المؤمنين ودُمْ في سُؤدُد لك في العلياءِ نِيقاتُ[2]

* * *

(١) البيد السحيقات: الفلوات البعيدات.

(٢) نيقات: جمع نيق. أرفع موضع في الجبل. ونرى ابن عبيد الله يطلب من الإمام السماح له بالسفر لأي الواحد لا يستطيع مغادرة اليمن إلّا بعد أخذ موافقة الإمام والذي قد يستبقيه فترة إمعاناً في الإكرام.

القصيدة الخامسة عشرة من الإماميات

مرسلة للسيد عبد الله بن أحمد الوزير

وفي خلال مراجعتي مع حضرة الإمام في القضية؛ بعثت بالأبيات التالية؛ إلى مناخة؛ لحضرة السيد الجليل عبد الله بن أحمد بن الوزير؛ أطلب منه المساعدة على المهمَّة؛ وأخبره بما صار يومَ الاتفاق الأول؛ وكان وعدني ببذل المستطاع في خدمة المسألة؛ وهو من خِيرة رجال الإمام؛ وأوفرهم بسطة في العلم والجسم؛ والسيف والقلم.

حماني السعيُ للشرفِ الخطيرِ ... عن البيضِ الأوانس في الحريرِ

يَجُلْنَ بظلمةٍ متلفِّعَاتٍ ... فنعرفُ سيرَهُنَّ من العَبيرِ[1]

وما بي عابُ عِزْهَاةٍ ولكنْ ... على نفسي رقيبٌ من ضميرِي[2]

وبين جَوانحي هِمَمٌ أصارت ... نجومَ الليل من أرقٍ سَميرِي

وقد جُبْتُ المَوامِيَ والفيافِي ... وكابدتُ المصاعبَ في مَسِيرِي[3]

وفارقتُ البنينَ وفي فؤادِي ... من الأشجان نيرانُ السَّعيرِ

بكتْ يومَ الوداع لنا المطايا ... وغُصَّتْ بالنَّحيبِ وبالزّفيرِ

إلى تاج الملوك سَعيتُ حتى ... وصلتُ إليهِ في الروض النضيرِ

(١) العبير: أخلاط من الطيب.

(٢) عاب: عيب. عزهاة: هو الذي لا يحدث النساء ولا يريدهن ولا يلهو معهن أي ليس به عيب هذا الرجل.

(٣) الموامي: الفلوات

وقدَّمتُ الشكايةَ وهو يُذْرِي ... كمثلي الأرضَ بالدمع الغزيرِ[1]
تسحُّ عيونه وكذاك عيني ... كما نطفَ العهاد منَ الصبيرِ[2]
وما أمسيتُ يومي ذاكَ إلّا ... بطَرْفٍ من شذا فوزي قريرِ
ولِمْ أخشى الحبوطَ؟ وما اقتراحي ... على تلك العزيمة بالعسيرِ
ولي رحمٌ وحقُّ قِرىً ووعدٌ ... أثارَ عزيمتي فَرَحلت عِيرِي
وما استنصرْتهُ إلّا لدِينٍ ... خشيتُ عليه غاراتِ المغيرِ
ولن يأتِيه مثلي مستجيرٌ ... وعندي أنه أوفى مُجيرِ[3]
وحظِّي في النجاح أقلُّ منه ... وقد بيَّنتُ فائدةَ المصيرِ
وصرَّح لي بتحقيق الأماني ... وليُّ العهد في بِشْرٍ كثيرِ
ولن ترضَى مروءتهُم رجوعي ... على عَقِبي بلا مدَدٍ كبيرِ
وقد أخلصتهم في الودِّ حتى ... تغيرَ صِبغُ رأسي بالقَتِيرِ[4]
ولكن بالتمهل ضاقَ ذَرْعي ... ولم أرقدُ على الفرْشِ الوثِيرِ[5]
وهأنذا أُفوض في أموري ... إلى فخر البلاد ابنِ الوزيرِ
عفيفُ الدين ذُو الهمم اللواتي ... تضِيق بحملهن قُوَى ثَبيرِ[6]
قرين الميْن طلاعُ الثنايا ... قريعُ الحرب معدومُ النظير
غزيرُ الفضل مشكورُ المزايا ... لدى الطبقاتِ عالٍ أو حقير
رأينا وجْههُ يوماً عِطاشا ... فأغنانا عن الماء النميرِ[7]

---

(١) يذري: يذري الأرض بالدمع: يسقيها به بصبه عليها.
(٢) نطف العهاد: قطر المطر وسال جمع عهد وهو المطر الأول. الصبير: السحاب الأبيض.
(٣) لن يأتيه: سكن الياء للضرورة.
(٤) القتير: المشيب.
(٥) الوثير: الوطيء.
(٦) ثبير: جبل معروف عند مكة.
(٧) الماء النمير: الناجع في الرِّي.

كـأن الـمـصـطـفَـى وأَبـا تـراب | عـلـى قـسـماتِ مَـفْـرَقـه الـمـنـيـرِ
فـمـا كـسـرى أنـو شَـروان مـنـه؟ | ومـا ربُّ الـخَـوَرْنَـق والـسَّـديـرِ؟[1]
فـسـل عـنـه الـظـواهـرَ وأرْعَ سـمـعـاً | فـمـا يُـنـبـيـكَ عـنـه سـوى خـبـيـر
وأن تـسـألْ تِـهـامَـة تـلْـقَ مـجـداً | يُـقـرُّ بِـه الـكـبـيـرُ مـع الـصـغـيـر
وإمَّـا قـلـتَ مَـنْـفـرد الـمـعـالـي؟ | فـلا تـعـدوه قـطُّ يـدُ الـمـشـيـرِ
وهـل أخـشـى مـن الـخِـذلان فـيـمـا | أحـاولـه؟ وقـد أضـحَـى نـصـيـري
ولـم يـبـعُـد ولـو عـنـدَ الـثُّـريَّـا | مـرامٌ وهـو عـن كَـثَـبٍ ظَـهـيـري
غَـزَتْـنـي لـيـلـةٌ بـجـيـوشِ وهـمٍ | فـقـالَ خـيـالـك الـسـاري أَنِـيـرِي
فـدُمْ يـا ابـن الـشـهـاب سـرورَ قـلـبٍ | لـنـا والـمـسـلـمـيـنَ ولـلأمـيـرِ
وقِـبـلـةَ آمِـلٍ ومَـعَـاذَ لاجٍ | وغـيـظَ عِـداً وكـنـزاً لـلـفـقـيـرِ
ودونـكَـهَـا بـرُوداً مـن صـديـق | تـنـوءُ بـنـسْـجـهِـنَّ يَـدا جَـرِيـرِ

* * *

(١) كسرى: ملك الفرس. الخورنق: قصر بالعراق بناه النعمان الأكبر الذي لبس السوح وساح في الأرض. السدير: قصر آخر فيه قبة في ثلاث قباب متداخلة هناك.

القصيدة السادسة عشرة من الإماميات

إلى سيف الإسلام
محمد ابن الإمام يحيى بن حميد الدين

وهذه من أثناء مكاتبة سيرتها لبدر الدين؛ زين الشباب المأسوف عليه؛ سيف الإسلام محمد ابن أمير المؤمنين[1] بعقب رجوعي من «جاوا» في شوال من سنة ١٣٤٩هـ.

أما وأَسامي مَنْ يعيد ويبتَدي ... أليّةُ صدقٍ لستُ فيها بمعتدِي[2]

لقد ذقتُ حُلْوَ الأصدقاء ومرهم ... فلم ترَ عيني كابن يحيي محمدِ

سراجُ الهدى سَيْري إلى غيره سُدَى ... وهل للنَّدَى كفؤٌ سوى زينة النَّدِي[3]

جميلُ الثَّنا حلوُ الجَنَى شامخُ البِنا ... بديع السنَا الراقي لأشرف مَقْعَدِ

شَأَى فلسانُ الدهر إن شاء أو أبى ... يقر له جهراً بفضل التفرُّدِ[4]

وردتُ عليه الأمس والظَّهرُ مُوقَرٌ ... فخفَّفَ أثقالي وأرغم حُسَّدِي[5]

وإني لأرجو منه نصراً مؤزّراً ... يعيش بذكر في الزمانِ مخلّدِ

ولي من أمير المؤمنين وثيقةٌ ... مقدَّسةٌ عندي بوعدٍ مؤكّد

(١) سبقت ترجمته وقد مات في بحر الحديدة وهو يحاول استنقاذ غريق.

(٢) ألية صدقٍ: ملف صدق بأسماء الله تعالى.

(٣) النَّدَى الأول بالفتح: الكرم. والثاني بالكسر «المجلس الذي ينتدي فيه القوم».

(٤) شأى: سبق الناس وانفرد عنهم.

(٥) موقر: محمل بالأثقال.

وما لي إلّا أنتَ بِي وقَفَ الرَّجا ... عليكَ فإصدارِي إلى حيثُ مَورْدي
وقد دُرْتُ في قومي وقصدي صلاحهُم ... فألفيتهم غرْقَى افتراقٍ منُكَّدِ
على غير شيء بَيْدَ أنَّ جماعةً ... يصيدون بالتفريق كل مُبَلَّدِ[1]
وأسَّسْتُ للإصلاح بعضَ مبادئٍ ... أباها بنُو جَدِّي لكي ينكروُا يَدِي
بذلتُ لهم نصحي بمنعرج اللوى ... ولن يستبينوُا النصحَ إلّا ضُحَى الغدِ[2]
وإني لَمنهُم غيرَ أنّي إذا غَوَوْا ... أبَيْتُ وإن تَرْشُد غزِيَّةُ أرشُدِ
ووافى كتابٌ منك أعلاه مثمِرٌ ... وأسفلُه المنظومُ من رِيِّه نَدِي
تساءل عن حالي وما حالِ واحد ... يروم العلى لولا مواعيدُ أوحدِ؟
وبينت في كتْبي مراتِبَ نجدَتي ... فهل أنتَ عند الوعد يا سيفُ مُسْعِدي؟
وإن تكُ في كبرى المراتبِ كُلفةً ... فبُلَّ بوسطاهُنَّ من غُلَّة الصَّدِي[3]
وما لأمير المؤمنين بظلمة السـ ... ـياسة من عذْرٍ لدينا مُمَهَّدِ
ويا طالما أَقلَقتُ خصمي بذكركُم ... فجرَّ له الإمهالُ بعضَ الترددُّدِ
وإن طال هذا الرَّيثُ فالأمر مشكِلٌ ... وماذا له إن أشكل الأمر أهتدي
وما بي على ضيم الشريعة طاقةٌ ... أَذَى الضيم أَشْوَى من شَباةِ المهَنَّدِ[4]
كتبتُ بهذا والرجا ملءُ خاطري ... ولن يَهُنَ إلّا من جوابِك مَرْقَدِي
فكن عند ظني فيك واشفع صنيعة ... تطوّقُ منها كالحمام مُقَلَّدِي
ومنّي لكم ما عِشت أفضلُ ناصح ... وداعٍ بإخلاصٍ وشادٍ مُغَرِّدِ

---

(١) مبلَّد: رجل ضعيف.

(٢) بذلت: أصل البيتين لدريد بن الصمة والبيت الثاني:

وهل أنا إلّا من غَزيةَ إن غوت ... غَويت وإن ترشُد غَزية أرشد

فغيره بما هو أعز وأكرم

(٣) غلة الصدى: عطش العطشان.

(٤) شباة المهند: طرف حدّ السيف.

القصيدة السابعة عشرة من الإماميات

الرد على جواب سيف الإسلام محمد بن يحيى

فعاد جوابه بما يثلج الخاطر، ويقر الناظر، وينعش الرجا، ويبشّر بكشف الدجى. فقلت في أثناء الجواب عليه:

خيالكَ وافَى والخَلِيُّون هُجَّدُ ... فلم أَدْرِ إلّا والمحبونَ سُجَّدُ[١]

وما في سجودِ القلبِ ذامٌ وقلّما ... يكون ارتفاعٌ بعده بل يُؤَبَّدُ[٢]

هو الحبُّ يذكيه النَّوى فقلوبنا ... بها الجمرُ من تبريحه يَتَوَقَّدُ

نهاري مع الخِلّانِ حزنٌ ولوعةٌ ... ونومي إذا جَنّ الظلامُ مُشرَّدُ

أَلَا قلَّما تَبقَى على ما لقِيتُه ... من الوَجْد صمُّ الصخر لولا التجلُّدُ

صبرتُ على حَرِّ الهضيمةِ والنوى ... لئلّا يراني شامِتٌ يترصَّدُ

وقلَّبْتُ طَرْفي في البلاد لعلّني ... أُلاقي كريماً عاليَ النفس يُنْجِدُ

وأقسمتُ لا مستثنياً بعد خِبرَةٍ ... بأن لا فتى في الشرق إلّا محمّدُ

جميلُ المحيَّا باسمُ الثغر واضحُ الْجـ ... ـبينِ بكفّيْه الندى والمهَنَّدُ[٣]

إليه تناهَى المجد واجتمعتْ له ... خصالُ العُلَى في المهْد أو وهْو أمردُ

أناف على هَامِ السُّها وسَما به ... جهادٌ وتوفيقٌ ويُمْنٌ ومُحْتِدُ[٤]

(١) الخليون: الأخلياء من الأسى. هجد: نيام.

(٢) ذام: عيب.

(٣) الندى والمهند: الجود والسيف.

(٤) السُّها: كوكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى من الناس به أبصارهم.

نماه أميرُ المؤمنين فحقّه كما شاءت الأقدار عزٌّ وسؤدُدُ
أبوه الإمامُ المرتضى وشقيقهُ وليّ مواثيقِ الخلافةِ أحمدُ
يقولون يأتي كلّ عصرٍ مُجَدِّدٌ إذا صح ما يُروَى فهذا المجدِّدُ
وإن جازف المُدّاحُ في وصف فاضلٍ وأطروْه في جَزْل الكلام وردَّدُوا
فما قلت هذا القولَ إلّا حقيقةً وآثارُه الحُسنَى بما قلتُ تَشهَدُ
تِهامةُ من ريّاه ينصَعُ طيبُها ويمحو محيّاه الدُّجَى وهو أَرْبَدُ[1]
أدين له بالشكر حيّاً وإن أَمُتْ يَنُبْ في الثنا عني القريضُ المخلَّدُ
وإني لأرجو منه نصراً مؤزّراً يقيم العِدَا في حضرموتَ ويُقْعِدُ
ويَحيَا به حقٌّ ويَزْهَقُ باطلٌ ويُنصَرُ مظلومٌ ويُقْهَرُ مفسِدُ
ولم أَرْجُ إلّا وافياً أنْجبَتْ به مغاييرُ قومٍ زَندهم ليس يَصْلِدُ[2]
وقد أَثْلَجَتْني بالبريدِ رسالةٌ أتتني وفيها منه وعدٌ مؤكّدُ
فقرَّ قرارِي واطمأنّتْ خَوَاطِري لأنَّ كلامَ ابنِ الأئمةِ عَسْجَدُ
وأيقنتُ أن اليمن أقبلَ والدُّجَى أنارَ وأنَّ الخيرَ يأتي به الغَدُ
وقد عمني في البدءِ فائضُ جودِه وعُدْتُ له والعودُ قد قيل أحمدُ
ومن فضله التعجيلُ فالوقتُ قابلٌ وشَمْلُ العِدا بالاختلاف مُبَدَّدُ
وما حاجتي إلّا حمايةُ ملّةٍ بنُصرتِها آباؤه قد تفرَّدُوا
هم القومُ حول العرش تأوي نفوسهُم إذا كاد ذُو مجد على الشمس يَقْعُدُ
يخفُّون للجُلّى نَشاوَى لنصرها إذا ازْوَرَّت الأبطالُ عنها وعَرَّدُوا[3]
ودُمْ يا جمالَ الدين في مطعم الهدى ضياءً لك الإجماعُ بالفضلِ يُعقَدُ

---

(١) ينصع: يخلص. الدجى: الظلمة. أربد: مغبر كلون الرماد.

(٢) مغايير: ذوو غيرة وحمية. ليس يصلد: يقال صلدَ الزند؛ يصلد كجلس إذا صوت ولم يور؛ يريد أن الزند تورى إذا قدحت.

(٣) عردوا: فروا وهربوا.

القصيدة الثامنة عشرة من الإماميات

إلى العلامة ابن الوزير أمير تهامة

وسيرت القصيدة الآتية في سنة ١٣٥٢هـ؛ إلى حضرة العلامة ابن الوزير؛ أمير تهامة؛ إثرْ انبرام الصلح بواسطته؛ بين إمام اليمن وعاهل نجد والحجاز؛ ولما اجتمعت بابن الوزير في سنة ١٣٥٤ بالحديدة؛ أفادني بأن ابن السعود؛ التمس من الإمام أنْ يوفده للمفاوضة في الصلح؛ فأرسله، وفي طريقه إلى الطائف التقى بصاحب الفضيلة أمين الحسيني؛ وشكيب أرسلان ومن معهم؛ منصرفين من عند ابن السعود؛ قال: فملؤوا صدري يأساً من الصلح؛ غير أني مضيت لشأني؛ وبمجرد ما قابلت الملك؛ انمحى من قلبي ما ارتسم عليه بكلامهم؛ من عوارض القنوط؛ وما هي إلّا مفاوضات يسيرة بيني وبينه؛ حتى قال لي: لقد فوضت إليك أمر الصلح؛ فاكتب ما شئت؛ وأنا متعهد بالإمضاء عليه؛ بدون شرط ولا قيد. وإن شئتَ أمضيتُ على الورق أولاً؛ لا تكتب إلّا عن قطع بالموافقة، قال: فوثقت بكلامه لاشتهاره بالوفاء؛ ولأنني عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

ولما اجتمعت أنا بابن السعود في ذلك العام؛ بدأني بالحديث عن القضية؛ فكان موافقاً لما تحدث به إليَّ ابن الوزير؛ سواء بسواء لا يزيد أحدهما ولا ينقص؛ وقال لي: إنني لما أبرقت إلى ولدي فيصل بالجلاء عن الحديدة؛ أجابني بأن الانتحار أهون عليه من ذلك؛ فأجبته بأن انتحارك لا يقلل من عدد أبنائي؛ وقد نيفوا على الأربعين؛ ثم هو هيّن عليَّ في سبيل حقن دماء المسلمين، هذا نص كلامه لي بمرأى من ولده فيصل ومسمع؛ ولقد برَّ بكر بن النطاح في قوله:

هكذا هكذا وإلّا فلا لا؛ وإني لأحمد الله؛ أن جعلني أسمع في زماني؛ على تراذله؛ بمثل هذه الأخبار؛ وهذه هي القصيدة:

أرقت من بارقٍ بالغوْر لمَّاع ... وساقِ حرٍّ شجَى قلبي بتسجاع[1]

فَبتُّ والصبر قفرٌ والنوى قُذُفٌ ... والدمعُ قد جدَّ في خِصبٍ وإمراع[2]

مبلبلَ الفكر مذهوبَ الفؤاد على ... جَمْر من الوَجْد للأحشاءِ لذّاع

تبكي الحمامُ ولكن لا يخالِجها ... حزنٌ كحزني وأوجاعٌ كأوجاعي

طليقةٌ وأنا رهنُ الحوادث لا ... أُمسِي وأُصبحُ إلّا ضيِّقٌ باعي

أهوَى العُلى وهي لا تُرْخِي الزمامَ ولا ... تَنَهْنَهَتْ في طِلابِ المجد أطماعي[3]

ولستُ أولَ حرٍّ مسَّه نكَدٌ ... بل هكذا كلّ ضرارٍ ونفّاع

وطَّنْتُ نفسي على هُوج المكارِهِ في ... هذي السبيل فما عزمي بمُنْصَاع[4]

وإن تلوّى مرامٌ أو نَبا غرضٌ ... رُضْتُ الجماح بإمضائي وإزماعِي[5]

لا بد من نيل آمالي وإن عصفَت ... بي في طريقي إليها كلُّ زَعزاع[6]

صبرٌ وروُحٌ من الإيمان تنجِدُه ... في كل قِطع لأهل الضعف قطاع[7]

وسيلةٌ قلما صحَّت لذي طلب ... إلّا وأفضت لتوفيقٍ بإسراع

وفي تِهامه لي كهفٌ ألوذُ به ... من عَيثِ كل أتيِّ الليلِ دفّاع[8]

حرٌّ بغُرَّته آثارُ نجدته ... وكلُّ شيء بعنوانٍ وإلماع

---

(١) بالغور: يريد تهامة. ساق. حر: ذكر الحمام. تسجاع. سجع.

(٢) النوى قذف: بعيد

(٣) تَنَهْنَهَتْ أطماعي: كفت.

(٤) هوج المكاره: جمع هَوْج وهو الريح تقلع البيوت. منصاع: منفتل منصرف.

(٥) إمضائي: تنفيذي. ازماعي: إجماع رأيي عليه.

(٦) نيل آمالي: كتب الشاعر بالهامش. إن شاء الله تعالى. زعزاع: ريح شديدة.

(٧) تنجده: تقويه والضمير للصبر.

(٨) عيث: إفساد. أتيّ الليل: ما يأتي به مما لا يعرف.

إذا طَغَى موجُ أهل الريث في جهة ... أغنت مهابتهُ عن كل إخضاع
كم اصطلَوْا نارَ حربٍ ترتمي شرراً ... من مَضْرَحيٍ طويلِ الرمح وقَّاع[(١)]
تنزو قلوبُ العِدا من حربه جزَعاً ... وللسباع تباشيرٌ بإشباع[(٢)]
بعد الإمام ووالي عهدِ دولتِه ... له التفرُّدُ في الدنيا بإجماع
مُباركُ الوجه ميمونُ النقيبة لو ... يشاء بالجد قاد العُصْمَ بالقاع[(٣)]
مظُفَّرٌ كلما هبَّتْ عزائمُه ... لمطلب حُزْنَهُ من غير إيضاع[(٤)]
جِدٌّ حَتى في وجوه السابقين فلم ... يُدرِكْهُ في ريثه للغايةِ الساعي
ومنصبٌ زانَ إكليلَ الفخارِ له ... بالصلح إذ تمَّ عن عدلٍ وإقناع
صُلْحٌ به جبهةُ الإسلام مسفِرةٌ ... والكفرُ قامَ على أنْصَابِه النَّاعي[(٥)]
صلحٌ به نِلْتَ ودَّ المسلمين فما ... في الأرض من مسلمٍ إلّا لكم داعِي
خِفنا على بيضة الإسلام منِ فِتَنٍ ... تُفْضِي لأجناس أضرارٍ وأنواع
رام الأجانبُ تَوسيع الفتُوق فلم ... يبقَ امرؤٌ فيه دينٌ غيرَ مُرتاع
تفاقم الصدْعُ وامتدت مسافَتهُ ... وأعضل الأمرُ لولا خيرُ رَقَّاع
فوفقَّ اللّهُ رأي العاهِلَيْن بِمسْـ ... ـعاكُم لمصلحة المرْعِيِّ والراعي
فاشرب على الظفر الحلو الذي ينعتْ ... به رياضُ التهاني أيَّ إيناع[(٦)]
واترك من الكاس لي فضلاً يطيب به ... قلبٌ يَمُور اضطراباً بين أضلاعي
ناوِلْني المُدَّ من أمِّ السرور وإن ... تُرِدْ بأصْغَر واشرب أنْتَ بالصاع[(٧)]

---

(١) مضرحي: هو الرجل السيد الكريم.

(٢) تنزو: تثب.

(٣) ميمون النقيبة: مبارك النفس. العصم: الوعول في أعالي الجبال: القاع: أسفل الوادي.

(٤) إيضاع: إسراع.

(٥) أنصابه: حجارته المنصوبة له.

(٦) ينعت: أثمرت.

(٧) المد والصاع: مكيالان معروفان.

واذكر سُوَيعاتٍ وصلٍ بالصفا امتلأت ... لـلّـه مـا كـانَ أحـلاهـنَّ مـن سـاع
لَمَ يخْلُ من طعمها ذوقي وإن غربت ... بالْـهَـمّ يقظان عادتني بتهجاعي[١]
من الكمال لك العِدُّ الخَسِيفُ فلا ... تبخلْ على قُطرنا الظامي بإنقاع[٢]
يابن الوزير الذي ما زال من شَرفٍ ... مـقـابِـل مـلءِ أبـصـارٍ وأسـمـاع
لا تنسى عهدي فإني في محبتكم ... عادَيت رَهطي ولم أحفِل بأشياعي
ولم أكن إن دَنَتْ داري وإن شحَطَتْ ... لـدولـة الـحـق إلّا جـدَّ مـطـواع
أردت من قربكم نصرَ الشريعة في ... وادي المهاجر محيي السنة الداعي
فقد تعدَّى عليها واستهانَ بها ... فـي أرضـنـا كـلُّ خـتـال وخـدَّاعِ
أمـانـةٌ مـن رسـول الله لـيـس لـهـا ... إلّا الـخـلـيـفـةُ يـحـيـى حِـرْزَ إيـداع
ومنه بالنصر لي وعدٌ أُراقبهُ ... ولم يكن «صانة الباري» بمضياع
عارٌ عليكم وقد وافيت سُدَّتكم ... أن لا أعـود بـأنـصـارٍ وأتـبـاع
والبطءُ يتعِبُ والغيم المغيِّرُ في ... جوِّ السياسة قد أفضى لإقلِاع[٣]
إليك يرفع شكواه الحليفُ وما ... أهـابَ إلّا بـشـهـمٍ نـافـذٍ واعـي
فانصر صديقكَ لا يشْقَى بزَوْرته ... أَلستَ أفضل من شَوْرٍ وقعقاع[٤]
واسأل إمامَ الهدى إنجازَ موعده ... فالريثُ ضيّق أخلاقي وأنساعي[٥]
واسلمْ ودمْ للعلى ذُخراً وإن عرضت ... أكرومة وغلت كن خير مبتاعِ

---

(١) غربت: ذهبت. بالهم: واحد الهوم. يقظان. حال يقظتي. بتهجاعي: بنومي.

(٢) العِدّ: أصله القديم من الركايا. الخسيف: المحفور في الحجارة الذي لا ينقطع ماؤه. الإنقاع: الإرواء يريد أن له من الكمال ما لا نهاية له فليجد على قطره الظمآن بالإرواء.

(٣) أفضى لإقلاع: وصل للزوال.

(٤) قعقاع: رجل. يشير إلى قول الشاعر.

وكنتُ جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

(٥) أنساعي: حبالي.

القصيدة التاسعة عشرة من الإماميات

حين التوجه للمكلا
لإتمام مهمة إنقاذ حضرموت

وفي شوال من سنة ١٣٥٣ هـ؛ وردني كتاب من حاكم عدن؛ يشير عليَّ بالتوجه إلى المكلا؛ مؤكِّداً لي أن سلطانها سيخدم قضيتي؛ وكل ذلك نتيجة التوصية بي من أمير المؤمنين، وهذه صورة ذلك الكتاب:

نمرة ١٤ «دار حكومة عدن حرر بتاريخ ٢ جنواري سنة ١٩٣٥م[(١)].

جناب محترم المقام؛ السيد عبد الرحمن بن عبيد الله؛ المفخَّم؛ دام محروساً.

بعد السلام؛ نحرر هذا لنفيدكم؛ بوصول كتاب توصية أرسل بها إلينا جلالة

---

(١) يلاحظ أن هذا الجواب كان قبل إبرام معاهدة الحماية بين الدولة الحضرمية الكثيرية وبين بريطانيا والتي كانت سنة ١٩٣٦م وهي المعاهدة التي حاربها الإمام ابن عبيد الله بكل ما أوتي من قوة وكانت السبب في ما حصل من نفور وتباعد بينه بين السلطان الكثيري علي بن منصور والسلطان جعفر الكثيري من بعده وأيضاً بينه وبين الكثير من أعيان بلده وقد أثبتت السنوات فيما بعد صحة رأي الإمام ابن عبيد الله حيث ترتب على هذه المعاهدة ضرر كبير على حضرموت حتى إن السلطان جعفر الكثيري كما جاء في كتاب تحفة الأحباب جاء إلى العلامة الحبيب علوي بن شهاب يشتكي من تدهور الأمور بحضرموت وعدم استطاعته منع الأجانب التحكم في أمر البلاد وإنه قرر اعتزال السلطنة؛ وربما كان هذا الخطاب المرسل للإمام ابن عبيد الله من ضمن الوسائل التي يتبعها الإنجليز لتليين موقف المعارضين حتى لا يعارضوا مخططاتهم؛ إلّا أن ابن عبيد الله لا يمكن أن يخالف ما يخدم دينه وعقيدته مهما بلغ التهديد ومهما تزينت المغريات.

ملك اليمن في شأنكم؛ وبموجبها طلبنا من نائب سمو سلطان «الشحر والمكلا»؛ أن يبذل لكم المساعدة التي يقدر عليها؛ بالطريقة الحقانية؛ ولذلك ينبغي لكم الآن أن تذهبوا إلى المكلا وتلتقوا شخصياً به؛ وتشرحوا له مسألتكم؛ وإنا متيقنون أنه سيجري اللازم في المادة؛ ودمتم محروسين».

الكرنوليك السكرتير السياسي

فرحلت في المحرم من سنة ١٣٥٤هـ وفي وجهي ذلك أقول:

شجونٌ أَطارت في الظلام منامي	لتِذكارِ أيّام بسَفْح يثامِ[(١)]
بحيث الفضاءُ الرحبُ والسَّدرُ حوله	منابتُ نخلٍ باسقٍ وبَشامِ[(٢)]
قليلٌ به الأعنابُ لكنَّ ماءَه	أَلذُّ وأَشهى من سُلَاف مُدامِ[(٣)]
يبيتُ الشَّجِيُّ القلبِ فيه مقَسّماً	عَلَيّ لَحْنِ أوتارٍ وسجْع يَمامِ
شهورٌ بلذَّاتِ الوصالِ وطيبِهِ	تَقَضَّى ولم تُعرفْ لهنّ أسامِي[(٤)]
على الروح والريحان والأنس والصفا	وأقصى المُنى مرّت لنا بسلامِ
تولّت وريّاها بأنفي وحسنُها	بعيني وفيها للنديِّ كلامي[(٥)]
وما نُزَهُ الدنيا وجنّاتُ ريفها	بأنفعَ من بطحائه لسقامِ

---

(١) يثام: منطقة جبل يثمة بسيؤون التي ينصح السلف بالذهاب إليها لمن يريد الانشراح وإزالة ما به من همّ وغم ويتبين في الأبيات حب الإمام لمدينته وإنه يرى كل ما فيها من أجمل ما يتمناه المرء ويعشقه.

(٢) بشام: شجر طيب الرائحة والطعم يستاك به.

(٣) سُلَاف مُدام: أول ما يعصر من الخمر أو أخلصه وأفضله. وتشتهر مدينة سيؤون في السابق بعذوبة مائها أما الآن فإن الأسلوب الحديث للصرف الصحي أفسد طعم مياهها الجوفية.

(٤) تقضّى: تنصرم وتذهب.

(٥) للندى: لأهل النادي.

ولن أنسَ فوق الرمْل فيه مجالسِي ... شِمالِيَ بنتي واليمينُ غلامِي[(١)]

عَشايا على تلك السفوح تصرَّمت ... بإِثْر غَدايا في هَنًى ووِئام

بصحبة قوم طاهرين مَراجحٍ ... مَيامِينَ شمٍّ صادقين كِرامِ[(٢)]

مضَوْا كلهُّم قُدْماً وعاشوا بحمدهم ... وإن أُعْقِبُوا في عصرنا بلِئام

كأنِّي من الأشجان ناقِفُ حنظلٍ ... أُباهي بدمعي عُروَة بنَ حِزامِ[(٣)]

فما لوعةُ الأشواق عندي بلوعةٍ ... ولكنها في القلب وخْزُ سهامِ

أُوَقِّر نفسي ما استطعتُ تجلُّداً ... وللبين في نفسي رسولُ حِمامِ[(٤)]

وأكْثُر للأعداءِ خوفَ شماتِهم ... وأَحشايَ من حَرِّ الفراق دَوامي

وأُظهرُ فضلَ الصبر حتى إذا جرى ... لحرِّ النَّوى ذكرٌ تلينُ عِظامِي

ولا عابَ في هذا فكم أرغم الهَوى ... معاطِسَ أبطالٍ أُولاتِ عُرَامِ[(٥)]

وما زلتُ صُلبَ العودِ لكنني له ... خضَعْت ولم أملِك فضول زِمامِي

وما اخترتُ مُرَّ البَيْن إلّا لأنه ... يمهِّدُ لي في الدار طيبَ مُقامِي

وخفَّفتْ بعضَ الوجد عنِّيَ أنني ... على ثقةٍ كُبرَى بِبرْدِ أُوامِي[(٦)]

فما كان جَوْبِي للمآسِد في الدُّجَى ... ووقتِ الضحى إلّا بأمر إمامِي[(٧)]

---

(١) كانت للإمام جلسة في العشية على البطحاء من غير فرش يجلس فيها مع عائلته ثم صار يستقبل فيها زواره ويعقد لهم عليها درساً علمياً.

(٢) مراجح: حلماء. ميامين: ذوي بركة. وكان والده الإمام عبيد الله بن محسن ومعاصريه من العلماء يجلسون على هذه البطحاء في سابق الزمن.

(٣) ناقف حنظل: كاسر الحنظل عن حبه كالظليم وناقف الحنظل تدمع عيناه لمرارته شبه نفسه به يوم الفراق لشدة بكائه. عروة بن حزام هو مجنون عفراء.

(٤) وقّر فلان يوقر وقاراً: رزن وثبت. البين: الفرقة.

(٥) عاب: عيب. معاطس أنوف. عرام: شدة وشراسة.

(٦) أوامي: عطشى أو شدته.

(٧) المآسد: الأرض الكثيرة الأسود.

أتـى أَمـرُهُ الـسـامـي فـسـرتُ بـهـمَّـةٍ عـلـى ضـوءٍ وعـدٍ صـادقٍ وذِمـامِ
وعـن رأيه في الصَّيف أنضيتُ ناقتي وقطَّعت سَرْجي بالسُّرَى ولجامِي[1]
وكـم قـذَفـات تـنـثـنـي الـعُـصْـمُ دونـهـا وفـيـح فـيـافٍ جُـزْتُـهـا ومَـوَامِـي[2]
وحَـرٍّ هـجـيـرٍ يـأكُـلُ الـظـلَّ تـارةً وأُخرى شآبيبُ السِّماكِ هَوَامِي[3]
ولا كـهـفَ فـي تـلـك الـجـبالِ وأُمتِي عـن الـنـفـع فـي صَـدٍّ وسـوءِ تـعـامِـي
ولـو كـان عـنـد الـنـجـم ذَحْلِـي بَلَغْتُه بـوحـيِ إمـامٍ لا بِـلَـحْـيِ حُـسَـامِ[4]
ومـا ثـمَّ إلّا مـن تـبـيَّـن حـالـهُـم بـمـا قـالـه مـروان نـبـتَ ثُـمـامِ[5]
أذمَّ عـلـى الأيـام لـي بـكـتـابـه وجـارُ الإمـامِ الـحقِّ غـيـرُ مُـضـامِ[6]
ولـم يـخـتـلِـجْـنِـي الـشـكُّ بـعـد رسالَةٍ بـمـسـعـاتِـه جـاءت بـصـدق حَـذَامِ[7]
مـلـيـك يـحـب الـعـفوَ والـسـلـم نـفـعـهُ على المسلمين اليومَ صوبُ غمامِ
ويُـسـرِعُ لـلـجـلَّـى إذا كـان لـم يَـجِـدْ لـطـبٍّ صُـدَاعِ الـخـصـم غـيـرَ لِـطـامِ[8]
كـبـار مـلـوك الأرض تـخـطُـب ودَّه ويـخـضَـع مـن مـرآه كـلُّ هـمـامِ
وتـعـتـرف الأمـلاكُ أنّ خـلافَـه مـصـارعُ أجـسـامٍ وشِـقْـوةُ هـامِ[9]

---

(١) أنضيت ناقتي: أهزلتها.

(٢) العصم: الوعول. فيح الفيافي: حر الصحاري. موامي. جمع مومة وهي الفلاة.

(٣) الشآبيب من المطر الدفعات: السماك: نجم وكان العرب ينسبون المطر إلى فعل النجوم. هوامي: تهمي وتمطر.

(٤) ذحلي: ثأري. لحي حسام: إهلاكه.

(٥) الثمام: نبت ضعيف في البادية لا يطول يقال للشيء والذي لا يعسر تناوله هو على طرف الثمام لأن الثمام لا يطول فيشق تناوله.

(٦) أذم على الأيام: أخذ عليها الذمة والعهد.

(٧) حذام: هي بنت العنبك بن أسلم بن يذكر بن عنزة وهي التي قيل فيها.
اذا قـالـت حـذام فـصـدقـوهـا فـإن الـقـول مـا قـالـت حـذام

(٨) لطام: هو ضربك الخد بالكف.

(٩) هام: رؤوس.

عساكرهُ عدُّ الحَصَى وهْو وحدَه ... بهيبته يُغنِي غَناءَ لهَامِ[(١)]

يحوطُ ذِمارَ الدين بالرِّفق والحِجَى ... وضربٍ لأعناق البُغاة تُؤَامِ[(٢)]

وبالعدل والرأي السديد فليسَ في ... سياسته خرقٌ وقربُ أثامِ[(٣)]

بصيرٌ بأعقابِ الأمور كأنَّما ... تجلَّى له الآتي بغير لِثامِ

يدورُ مع الإلهام فضلُ أناتِه ... وإن زَنَّه فيها الغلاةُ بذامِ[(٤)]

له نظرٌ يُصْمِي الرمايا وإن رَمى ... صغارُ النُّهى في رَيْثِه بِمَلَامِ[(٥)]

به أَحتمِي من رُبْع قرنٍ وأنتمِي ... له وعَداني الضَّيمُ وهو يحامِي

وبالخمسة الأرواح من فائض النَّدى ... وجزل العطا أرجو بلوغَ مرامي

وأن يجمع الشملَ الشتيتَ بسُرعةٍ ... لنا في مَسرَّاتٍ وحسنِ نظامِ

وطولِ حياةٍ في سوابغ نعمةٍ ... تَوالَى على طول المَدَى بتمامِ

وأن يَقْرن المسعى بيُمْنٍ مضاعفٍ ... ويجعلَ هذا العام أسعَد عامِ

ففي البيْنِ مرَّت مَيْعَةُ العمر لم أزل ... أَشُدُّ حزامي أو أحطُّ خِيَامِي[(٦)]

شكا فرسي سَيري وملت صَحابتي ... وكلُّ بعيرٍ لي أجبُّ سَنامِ[(٧)]

وكم رحلة في الأرض أحمدت غِبَّها ... وهذي بحول الله مسك ختامِ[(٨)]

* * *

(١) لهام: جيش كثير.

(٢) تؤام: جمع توأم واحدة مع أخرى.

(٣) خرق: بضم فكون جهل وحمق. أثام: لثم.

(٤) الأناة: التأني. زنه: اتهمه. الذام: العيب.

(٥) يصمي الرمايا: تنفذ فيها رميته. الريث: التأخير وهو هنا يشير إشارة لطيفة إلى تأخر عون الإمام لنجدة حضرموت.

(٦) ميعة العمر: أوله.

(٧) أجب سنام: مقطوع السنام.

(٨) غبها: عاقبتها.

القصيدة العشرون من الإماميات

لأمير تعز علي بن عبد الله الوزير

ولما وصلت المُكلَّا[١]؛ لم أجد عند صاحبها غناء؛ ولا نتيجةً ما؛ فأبحرت إلى عدن؛ واجتمعت بنائب واليها؛ وأخبرني بأن السلطان عمر بن عوض؛ رهين مرض لن ينجو منه؛ وعلى وصول السلطان صالح من بعده إلى «المكلا» سيخدم قضيتك؛ فركبت إلى «تعز»[٢] وعليها حضرة الأمير الخطير علي بن عبد الله الوزير وهناك ألقيت القصيدة الآتية:

تذكّرتُ شرقيَّ الحمَى منبت الأثْلِ ... وما أصعبَ الذكرى على ذي الوفا مثلي[٣]

مشارفُ ما فيهن للعين منظَرٌ ... يَرُوق سوى شيء من السِّدر والنخلِ[٤]

فما زرعُها ذاكٍ ولا ثَمَّ قاطنٌ ... بها غير شاكٍ قلةَ الأمنِ والعدلِ

ولكنَّ فيها نشأتي وولادتي ... وخلَّفْتُ فيها صِبيتِي وبها أهلِي

وفيها الكِعابُ الهيفُ يلعَبْنَ بالنهى ... ويقتُلْنَ بالألحاظ والأعينِ النجْلِ[٥]

(١) المكلا مدينة ساحلية على بحر العرب كانت عاصمة للدولة القعيطية وهي ميناء طبيعي ممتاز على الطريق إلى باب المندب.

(٢) تعز مدينة تقع على المرتفعات الجنوبية لليمن وتقع على سفح جبل صبر الذي يرتفع عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر وتبعد عن العاصمة صنعاء ٢٦٥ كيلومتر وبها أكبر نسبة من عدد سكان اليمن.

(٣) الأثلِ: شجر أجود عوداً من الطرفاء.

(٤) السدر: شجر النبق.

(٥) الكعاب: الفتيات. حين تبدو أثداؤهن للنهود. جمع كاعب. الهيف: جمع هيفاء. ضامرة =

فـمـا فـي بـلاد الله أرض كـمـثْـلِـهـا ... لـديّ عـلـى تـلـك الـمـخـاوف والأزْل[(١)]

ولـم أنـسَ فـي يـوم الـوداع مـواقـفـاً ... لواعجُهَا في القلب أَشوى من الثُّكْلِ[(٢)]

تـراجِـعُـنـي فـيـهـا الـهـوى أُمُّ شـادنٍ ... وأجفانُهَا تجرِي وأشجانُهَا تغلي[(٣)]

وتَـلْـوِي بَـلِـيَّـتِـهـا مـخـافـةَ طـفـلـةٍ ... تَرَى ما بها من حسرةِ البين أو طفلِ[(٤)]

تـصـدُّ لإيـهـام الأطـيـفـال تـارة ... وتـقـبـلُ أحـيـانـاً بِـفَـوّارَتَـيْ وَبْـلِ[(٥)]

ويـمـنـعـهُـا سَـوْقَ الـمـقـال نـشـيـجـهُـا ... سوى كلماتٍ ساقَطَتها على رِسْلِ[(٦)]

تـقـول إلـى أيـن الـسُّـرى؟ بـعـدمـا تَـرى ... فـلـيـس لـنـا ذَرْعٌ عـلـى فُرْقَة الـشـمـلِ[(٧)]

فـقـلـتُ قـريـبـاً تـنـطَـوِي شُـقَّـةُ الـنـوَى ... ويُـعـقِـبـهُـا مـن فـضـلِـه الـلّـهُ بـالـوَصْـل

ومـا كـان سَـيـري بـاخـتـيـاري وإنـمـا ... أطالب مالِي عند قومي من الذَّحْل[(٨)]

أترضَيْن لي أن أحمل الضَّيمَ والأذى ... وأُسْلِسَ لـلأعـدَا الـقِـيـادَ عـلـى نُـبْـلِـي؟

وأُدهِـنَ فـي الـفـتـوى وأُغـضِـيَ لـلـقَـذَى ... وأنقُضَ بعد الشيْب في خدمتي غَزْلِي

ومـا سِـرْت إلّا فـي ضـيـاءِ إشـارة ... وموعدِ صدقٍ من إمامِ الهدى مُسْلي

أُصـارُ إلـى الـحـسْـنَـى بـحـسـنِ الـتـفـاتِـه ... فـأفـضـيـتُ مـن وَعْـر الـزانِ إلـى الـسّـهـلِ

= البطن رقيقة الخصر. الإلحاظ: جمع لحظ. النظر بمؤخر العين. الأعين النجل: الواسعة الحسنة.

(١) الأزل: الضيق والشدة.

(٢) لواعجها: آلامها. الثكل: الموت والهلاك.

(٣) الشادن من أولاد الظباء: الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه.

(٤) تلوي بليتها: تعصر غطاء وجهها حتى يخرج ما فيه من الدموع. يقال: لويت الثوب ألويه لياً عصرته حتى يخرج ما فيه من الماء.

(٥) بفوارتي وبل: بعينين تفوران بالدمع.

(٦) النشيج: الإجهاش بالبكاء. رسل: تمهل.

(٧) ذرع: طاقة وقدرة.

(٨) الذحل: الثأر.

وعلَّقت في استعجاله واقتضائِهِ رَجَائي على آل الوزير أُولي الفضْلِ
مُصَاصُ العُلَى كهفُ المَلَا ذَادَةُ البَلَا مراجحُ مشهورون في القول والفعل[١]
تشابَه يومَ الجمع والرَّوع بيضُهم وأقوالُهم في مقطع الحقِّ والصقْل
جسامٌ عطاياهم ثِقالٌ حلُومُهم وآراؤهم للملْك أَمضى من النَّصْل
جبالٌ إذا خفَّ الوقورُ وليدهُم بفضل وقارِ الحِلم في هيبة الكهْل
حَثَوْا في وجوه السابقين وبرَّزوا على الناس بالأخلاقِ والشرفِ الجزْلِ
وساسوا قلوبَ الخلْق فاندمجت على محبتهم لما أَراقُوا دَمَ البُخل
بفضل الحِجى دانَ الرجالُ لأمرهم وبالسُّمْر أيضاً والمناصِل والنَّبِل[٢]
فللعنفِ منهم جانبٌ يُقْلِقُ العِدَا وآخر للأحباب باللينِ والبذْلِ
يَفِيضُ الندى والحلمُ والعفْو إن رَضُوا وإن غضِبُوا لله يَا كثرةَ القتْل
جَناحُ أمير المؤمنين وكفُّه وساعِدُه والفرعُ من ذلك الأصلِ
عمَدت لعبد الله ثم لصِنْوِهِ عليّ بن عبد الله ذي السؤدد العَبْل[٣]
أَويتُ إلى الركن الركين فلم أَخَفْ على إبلي أن تستبيحَ بَنُو ذُهْل[٤]
إلى جبلِ المجدِ المنيعِ إلى العُلَى إلى مضرَبِ الأمثالِ بالمنطقِ الفصلِ
لدى القولِ يَهْمِي الدمعُ من عَذْبِ وعظهم وفي الصَّولِ يجري الموتُ في مدرج النَّمْلِ
متى نزلوا أرضاً يَئُث نباتهُا وتمشي مع الشاءِ السَّراحِينُ في ظلّ[٥]
ولن يستطيع العلْم ينفي شعورَها وقد جاء أن الله أوحى إلى النحل

---

(١) المصاص: كالمصاص. خالص كل شيء: ذادة البلا: دافعوه ومانعوه. مراجيح: حلماء.
(٢) السمر: الرماح. المناصل: السيوف. النبل: السهام.
(٣) العبل: الضخم العظيم.
(٤) ذهل. هو ابن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة من ربيعة يشير إلى قول الشاعر: لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا.
(٥) يئث نباتها: يكثر ويلتف مثلثة الهمزة. الشاء: جمع شاة. السراحين: الذئاب جمع سرحان.

إليكم طوَيت البرَّ والبحرَ آملاً نجاحَ مُهِمٍّ لم أزلْ منه في مَطْل
وشأنِيَ لا يَخفى وشُهرةُ قِصَّتي كفتني فلا أَحتاج تطويلَ ما أُمْلِي
وعندي مواثيقُ الإمامِ بنصرتي وميعادُهُ الجِدُّ البعيدُ عن الهزْلِ
ولم تتخالَجْني الظنونُ وإنما أَراهُ حماهُ الله يمشي على مَهْل
ومن سير منٍّ كم تلقَّيتُ مِحنةً على ودِّه تُفضِي إلى زلَّة النَّعْلِ[1]
وفي إثر عودِي عنه من دونِ نجدةٍ تعبتُ وزادت جرأة الظلم والجهل
وكم فتَلَتْ لي في الغوارب والذرى عُدَاتي فلم أَحفلْ بذلِكم الفتْل[2]
ولا ذنبَ لي إلّا اعتصامي بحبلِهِ لديهم وأنّي بالعلى دائماً شُغْلي
وما زلتُ في حربٍ على نصرة الهدى وأعداؤه أهلُ الأضاليل والدَّجْل
وقد كَثَرُوني واعتدَوْا غير أنهم يُقرُّونَ شاؤوا أم أَبَوْا لِيَ بالفضلِ
عييتُ بأمري فالتجأتُ لركنكم وألقيتُ بعد الجُهْدِ في سُوحكم رَحْلي[3]
وما القصدُ إلّا نصرةُ الحق إنه بأرضِيَ في قيد ثقيل وفي غُلّ
فقولوا لَعا فالدهرُ لجَّ عِثارُهُ به وغَدَا مثلَ المكبَّل في الوَحْل[4]
وأكرمتُ شِعري عن سواكم وصانه وفائي وإحجامي بنفسي عن الذُّل
ولن يأتكم مُدلٍ بقُربَى وحرمةٍ كمِثليَ من بعدي ولا جاء من قبلي[5]

(١) زلة النعل: زلة القدم.

(٢) يقال: ما زال يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته.

(٣) السوح: جمع ساحة وهي الناحية أو الفضاء بين دور الحي.

(٤) لعاً: لا عثرت؛ دعاء له. عثاره: شره.

(٥) لن يأتكم: كتب الشاعر بالهامش: قال ابن هشام وزعم بعضهم أن لن قد تجزم كقول كثير: «فلن يحل للعينين بعدك منظر» وقول الأعرابي للحسين بن علي عليه السلام: «لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة» اهـ. بمعناه وذكر أيضاً في آخر كتابه: أن لن تعطى حكم لم في الجزم وذلك كما في بيت الأعرابي المذكور.

وغـالـبُ ظـنِّـي بـل يـقـيـنـيَ أنـنـي بـمأتـايَ هـذا خفَّ ظهري من الثَّقْلِ
وحـاشـا ولـي عـهـد طـريـف وتـالـد أعـود بـلا خـيـل تـجـول ولا رجـل

* * *

القصيدة الحادية والعشرون من الإماميات

إلى الأمير عبد الله بن أحمد الوزير

وبإثر شهرين قضيتها في «تعز»؛ على أسعد حال؛ نتمثل كأنا في حضرة سيف الدولة بن حمدان؛ أو الصاحب بن عباد؛ أو المعتمد؛ لِمَا تمتلئ به المجالس من الأدب الغض؛ والمحاضرات الشهيَّة؛ توجهت إلى «الحُديدة»[1] حسب الرحلة المنظومة؛ وأقمت بها أربعة أشهر؛ ثم أبحرت إلى الحجاز؛ وتشرفت بالزيارة وأداء النسكين؛ وعدت إلى الحديدة؛ ولم تزد إقامتي بها على نصف شهر؛ ثم ركبت إلى عدن؛ ومنها إلى المكلا؛ ومنها إلى حضرموت. وفي أثناء إقامتي بالحديدة؛ تعاظمني ما أشار به عَلَي مولانا أمير المؤمنين؛ من الانتقال بالعائلة إلى اليمن؛ مع انتظاري النجدة بالوطن.

وتقدمت بالأبيات التالية؛ إلى حضرة الرجل الكبير؛ والشهم الأمير؛ عبد الله بن أحمد الوزير:

أرِقتُ وضاقَ بي المأوى الفسيحُ ... على أني فصيحٌ لا أصيحُ[2]

وحاولت التعلُّلَ بالأماني ... ولكنِّي متى أدعو تُشِيحُ[3]

تخالجُني الظنون ولست أدري ... بأيِّ الخصلتين تَهُبُّ ريحُ

---

(١) مدينة يمنية تقع على ساحل البحر الأحمر وتبعد عن العاصمة صنعاء ٢٢٦ كيلومتراً وتعدّ من أجمل المدن اليمنية وهي ميناء اليمن الرئيسي.

(٢) على أني فصيح: أي من أني نصيح لا فصيح بالشكوى.

(٣) تشيح: تعرض.

يَحُزُّ اليأس في صدري ويبدو لعيني تارة برقٌ يُليحُ[1]
تجاذبني الوساوسُ وهي شرٌّ فلا أملٌ ولا يأسٌ مريحُ
وَوُدّي للإمام الحق صافٍ ورأيي فيه يكشفه المديحُ
وما عرف التصنُّعَ قطُّ طبعي ولا مذقَ الهوى خُلقِي السجيحُ[2]
وهبْ أنّي بلا وعدٍ وثيقٍ هبطتُ عليه والفلواتُ فِيحُ[3]
أيَرْضَى بالهضيمة لي ويُغْضِي وشأني وهو لي عمٌّ طريحُ؟[4]
أليس عليه نصرُ بنِي أبيه إذا ما شاء باغٍ يستبيحُ؟
ألستُ مجاهداً من ربع قرن ولي من هاشمٍ نسبٌ صحيحُ؟
أليس رعايتي حقٌّ قضتْ لي بها فتواه والنصُّ الصريحُ؟
أَشِرْ يابن الوزير برأيٍ صدقٍ فَرأيك لي هو الرأيُ الرجيحُ
فإنّي بالتردد ضِقْتُ ذَرْعاً وبِتُّ وزَنْدُ إيرائي شحيحُ[5]
فقلّب لي الأمورَ بعين نصحٍ فما إلّاكَ لي خلٌّ نصيحُ
وبيِّن لي الصوابَ فإنَّ فكريَ لكثرة ما تَعاوَرَهُ طَلِيحُ[6]
فإما أنْ أقَرَّ رَخِيَّ بالٍ وحظّي من ولايتكم ربيحُ
وإما أن أفِرَّ وفي مسيري بحول الله لي عملٌ نجيحُ
وفيت لكم فوَفوا لي وإلّا فلي في الأرض متسعٌ فسيحُ
وهل ضاقت بمثلي الأرض كلّا ولكن ذاكَ بي وبكم قبيحُ

---

(١) يليح: يضيء.
(٢) مذق الهوى: خلطه ولم يخلصه والسجيح: اللين السهل.
(٣) فيح: واسعة.
(٤) الهضيمة: الظلم. شأني طريح: شأني مطروح.
(٥) ذرعاً: طاقة. الزند: ما يقدح به. إيرائي: قدحي. يقال: قدح بالزند إذا رام الإيراء به.
(٦) طليح: ذو إعياء وتعب.

سأفْرِغُ في الجهادِ الجُهْدَ حتى أوفىَ أو يواريني الضريحُ[(١)]
وبشَّرَني بحسن الحظِ فألٌ جرى في الصبح طائرةُ السنيحُ[(٢)]

* * *

(١) الضريح: القبر.
(٢) السنيح: وهو ما أتاك عن يمينك وكانوا يتفاءلون به.

القصيدة الثانية والعشرون

من الإماميَّات

أجِبالٌ شامخاتٌ قد رَسَيْنْ أم تئط الأرض من مجْد الحسين[١]
شرفٌ ضخمٌ ومجدٌ باذخٌ من عليٍّ وإمامِ القبلتين[٢]
زانه علمٌ وحلمٌ وتُقىً واعتصامٌ ثابتٌ بالثقلَيْنْ
منصبٌ من تحته الجوزا وما فوقها زاحمه بالمنكبين
نورهُ أبدعُ من شمس الضحى ليس في مشكاته نقطةُ غَيْنْ[٣]
نبْعةٌ من دَوْحةِ الوحي زَكَتْ وأتت طوبَى لها قرَّةُ عَيْنْ[٤]
غُرَّةٌ واضحةٌ من دونها رَوْنَقُ السيف إذا يجَلوه قَيْنْ[٥]
لو رأته الشهبُ في موكبِه وعليه هيبة العلم بَكَيْنْ
تشهد الشِّعرَى بنامي حسنِه ولسامي قدره يعنُو البُطَيْنْ[٦]
ثمرٌ حلوٌ وأصلٌ كلُّهُ طيِّبٌ يمنعُ من كيفَ وأيْنْ
ما استوى عشرين حتى امتلأت بمزاياه نواحي الخافِقَيْنْ

---

(١) تئط الأرض: تصوت من ثقل العبء.

(٢) باذخ: عال.

(٣) غين: غيم وسواد؛ وفي البيت إبداع فإن الغين أخت العين وهي نقطة.

(٤) نبعة: شجرة تنبت في قلل الجبال يصنع منها القسي والسهام.

(٥) القين: الحداد.

(٦) البطين: من الكواكب.

كملَت فيه وما اشتَدَّ القُوَى ... شِيمٌ غيَر العلى المحضِ أَبَيْنْ
مثَّل الهادين في سيرتِه ... فغدا منه صغيراً ذُورُعَيْنْ[1]
كذَّبت أيامهُ الغراءُ مَنْ ... قال للإنصاف أيامٌ مضَيْنْ
مظهرُ الرحمةِ بالأمّة في ... سائرِ الأحوالِ جمٌّ العفوِ لَيْنْ
أنجبته السادةُ الغُرُّ الأُلى ... دوَّخوا الكفرَ ببدْرٍ وحُنَيْنْ
وبنوهم والأبُ الأدنى الذي ... قد حَوى ميراثَهم بالجِهتَيْنْ
طابت الأيامُ واستخذت له ... والليالي بالذي يهوَى أَتَينْ
فمُناوِيه وباغِي كيدِه ... يدهُ أضعفُ من أم حُبَيْنْ[2]
لا تناويه العِدا إلّا إذَا ... حانَ منها بقضاء الله حَيْنْ[3]
ولنا البشرى بتقوى نجلِهِ ... صادقِ الهمّة مبسوطِ اليدَيْنْ
لم أزل أشتاقه مُذْ نَشَرَتْ ... ألسنُ الراوين عنه كلَّ زَيْنْ
شنَّفُوا سمعي بحالي مدحِهِ ... فتولتني له لَوْعَةُ بَيْنْ[4]
وبحول الله يأتي وصلُه ... عن قريبٍ فيُجَلَّى كلُّ رَيْنْ[5]
نسأل الله اجتماعاً رائقاً ... يجمع الإقبالُ فيه الحسَنَيْنِ
يا نقيَّ الجيبِ يا حلوَ الثنا ... يا مِثال العدل يابن النَّيرِيْنْ
خذ على شبهِ ارتجالٍ غادةً ... يسجد النامي لها وابن عُنَيْنْ[6]

---

(١) ذورعين: ملك حمير.

(٢) أم حبين: أنثى الحرباء يلعب بها الصبيان.

(٣) حين: هلاك.

(٤) بين: فراقي.

(٥) الربن: غلب على القلب من آثار القطيعة.

(٦) النامي: هو أبو العباس النامي من شعراء سيف الدولة ابن حمدان. ابن عنين: من شعراء دمشق في عصر صلاح الدين الأيوبي وقد نفاه منها لولعه بالهجاء.

ومتى جئتم كما شاءَ الهوى يحصلُ القصدُ ويكْفي كلُّ شَيْنْ[١]
ولنا وعدٌ على دولتِكم وجميلُ الوعدِ عند الحرِّ دَيْنْ
وصلاة الله تغشَى المصطفى وعليِّ المرتضى والحَسَنَيْنْ
وعلى الزهراءِ والكبرى ومن وَلَدَا ما السفْنُ في البحر جَرَيْنْ

أبيات مداعبة لعامل تعز[٢]
في رثاء كلب

وبينما نحن في مدينة «تعز» المحروسة؛ مات كلب؛ فرآه العامل ملقى في الطريق؛ إثْرَ سماء؛ [٣] فاشتدَّ غيظاً على ناظر البلدية؛ المدعو بالقاضي؛ «حسب اصطلاحهم في إطلاق هذا اللفظ على أكثر المحتشمين من غير الأشراف» وهمَّ بعزله عن وظيفته؛ إذ قصَّر بتركه على مدرجة المارَّة؛ وتشفَّعنا فيه؛ فقُبلت الشفاعة؛ وقلنا على سبيل المداعبة:

أُمورٌ جرَتْ من بعضها يخشع القلبُ غداةَ قضَى نحباً بحكم الهوى الكلْبُ
ضعيفٌ تولاه الغرامُ بمثله فأشواه من فرط الجَفا بالضَّنا الحُبُّ[٤]
ومات ذليلاً في الطريق وهكذا يموت الشجِيُّ القلبِ والوالهُ الصَّبُّ
وكم من قتيل نحوَه في سبيله ذوى تحت تأثير الجَوى غصنُه الرطبُ
مساكينُ أهلُ العشق ماذا تجرّعُوا من العشقِ؟ لكن مرُّه عندهم عذْبُ
هنيئاً له الرُّحمى التي شهدت بها اللوائحُ وانهلّتْ على إثرها السُّحْبُ
وما أُخِّرَ التجهيزُ إلّا لحكمةٍ فليس لقاضيكم ولا غيره ذَنبُ

---

(١) شين: قبيح.

(٢) العامل هو الذي يوليه إمام اليمن إمارة بلدة من بلادها.

(٣) إثر سماء: أي بعد نزول المطر.

(٤) أشواه: أحرقه وأهلكه.

ولا عيب إلّا منعُ فضل عمامةٍ يغطّى بها من قبل أن يُردَمَ التربُ
رأوا أنّه أمرٌ يُهِمُّ رِفاقَهُ ففي فَقْده ما بينهم يَعظُم الخطبُ
فَراثُوا بأمر الدفن حتى تجمَّعتْ عشائره القصوى وغُصّ بها الرّحْبُ(١)
فإن العُرَى في جنسِه ما تقصَّمَتْ وما زال يُرْعَى فيهم الجارُ والصحبُ(٢)
لدى الحيوان اليوم والعَجَمِ الْوَفا على حين قد ضحَّتْ بأخلاقها العُرْبُ
سعى للعلى الساعي وما عند قومنا من الشُّغل إلّا اللهوُ والأكلُ والشربُ
خلائقهُم سُفْلى وشيمتَهُم وَرَا وطالعهُم شومٌ ومقبلهم صعبُ
ومنا عزاءٌ في الفقيد مضاعفٌ لمنِ مسَّهُ بالرُّزء في موته كَرْبُ

* * *

---

(١) راثوا: فجاؤوا. الرحب: الكان الواسع.

(٢) في هذا البيت والذي يليه تعريض بالإمام يحيى بأن العرى بين الكلاب لا زالت قوية وأنها ترعى جيرانها وأصحابها وفي البيت الثاني يقول بأن الوفاء موجود عند الحيوان وعند العجم ويقصد بهم الإنجليز بينما لا يوجد عند العرب التي ضعفت أخلاقها ويستمر التعريض في البيت الذي يليه ولعلها جرأة من ابن عبيد الله أن يقول هذا الكلام أمام عامل تعز الذي لا شك أنه سيبلغه إلى الإمام ولكن يبدو أن الإمام ابن عبيد الله قد فاض به الكيل من تأخر الإمام يحيى عن تقديم المساعدة العسكرية لإنقاذ حضرموت بعدما قدمه من الوعود وما سار بينهم من القصائد.

القصيدة الثالثة والعشرون من الإماميات

الى سيف الإسلام علي ابن الإمام يحيى

ولما كنا بالحديَّدة؛ أهداني الشاعر الأديب؛ سيف الإسلام علي ابن الإمام؛ بندقيّة عجيبة؛ ولكن من غير مؤنة؛ فكتبت إليه ألتمس لها زاداً؛ وقلت:

يا ذا المحاسن والمزايا الشائعة ... والأرْيَحِيَّة والهبات الذائعهْ

والظَّرف والآداب والشعر الذي ... تأتِي له عُصْم المعاني طائعَهْ

لا تنبري مسترسلاً في نظمِه ... إلّا وآتاكَ الكلامُ بدائعَهْ

يا مَنْ تضوعُ له القوافي وهو في ... زمن به عُرْزُ الفوائد ضائعَهْ

سمحت يداكَ بغادةٍ فتّانةٍ ... في الحسن بالغةِ النهاية رائعَهْ

فتّاكة الألفاظ كم من بهجةٍ ... تضحَى لنغمتِها الشجيّةِ مائعَهْ

عجميَّةُ الأنساب إلّا أَنها ... عربيةُ الأحساب يوم الهائعَهْ[1]

فتشت عن زاد يليقُ بقَدْرِها ... يابن الإمام فما لَقِينا بائعَهْ

فابعث بما يكفي لحفظِ قِوَامها ... عَجِلاً فقد بقيتْ لدينا جائعَهْ

❋ ❋ ❋

(١) أي أن البندقية أوروبية الصنع لكنها لكونها بلا ذخيرة فهي كأنها من العرب الذين لا يفيدون عند الحرب وأرى في هذا البيت تعريضاً بالإمام يحيى الذي لم ينهض لنصرة حضرموت بالرجال والسلاح وإنما اكتفى بالكلام فكأنما هو أعطى بنقدية ليس منها فائدة لأنها بلا ذخيرة.

القصيدة الرابعة والعشرون من الإماميات

الرد على ولي عهد اليمن
الإمام أحمد حميد الدين

وبإثر وفاة المغفور له؛ البدر ابن أمير المؤمنين؛ وردني كتاب من أخيه ولي عهد اليمن؛ شهاب الدين أحمد؛ ابن أمير المؤمنين؛ يعزيني ويسليني؛ ويعدني وعداً جازماً؛ بأنه سيكون لي كما كان أخوه ﷺ؛ وأنه لم يغب منه إلّا سواده؛ فجهزت له القصيدة الآتية في سنة ١٣٥١هـ.

يخفي الصبابةَ والسماتُ تبوحُ ... جسدٌ يذوبُ ومحجر مقروحُ[١]

كيف التكتُّم بالهوى؟ ودليلُه ... في كل جانحة له مشروحُ

ضَعُفَتْ قواه عن الجَوَى ولدَى النوى ... غلبَ الصلابةَ دمعُه المسفوحُ

ذهبَ التجلُّد باطلاً من زَفْرة ... أبداً تجيءُ بعقلِه وتروحُ

يا راحِلين ترفّقُوا بمتَيَّم ... كادت بهيكلِه تطيرُ الرُّوحُ

لا يطمئن بسلوَةٍ لا سيَّما ... بالليل إن سمِع الحمامَ ينوحُ

قَلِقُ الفؤادِ بألف وَادٍ ترتمي ... أفكاره فيضيقُ عنها اللُّوحُ[٢]

بعْدٌ عن المأوى وشغْلٌ بالعُلَى ... غَبقانُ من سَجْليهما مصبوحُ[٣]

---

(١) المحجر: العين.

(٢) اللوح: يريد اللوح وهو الصحيفة.

(٣) غبقان: الاغتباق: الشرب بالعشي، والصبوح الشرب أول النهار. السجل: الدلو العظيم.

وحـوادثٌ جُـلَّـى تـنـوءُ بـهـا الـقُـوَى　　لـولا الـشـهـابُ وبـابـه الـمـفـتـوحُ
حـانـي الـرؤوسِ وقـائـد الـشُّـوسِ الـذي　　كَـبْـشُ الـكـمـاةِ بـبـأسِـه مـنـطـوحُ[1]
كـم وقـعـةٍ فـي نـصـرة الـديـن انـطَـفَـتْ　　مـنـهـا بـنـقْـعِ بَـنـاتِ أعـوجَ يُـوحُ[2]
لـم تـنـكـشِـفْ غـمـراتـهـا عـن فـوزه　　إلّا وكـلُّ مـدجَّـج مـذبـوحُ
قـطـبُ الـحـروب ومـنـقِـذُ الـمـحـروب من　　بـيـن الـنـيـوب الأوحـدُ الـمـمـدوحُ[3]
بـهـرت مـحـاسـنُـه وشـاع ثـنـاؤه　　وزكَـتْ شـمـائـلُـه وطـاب الـبُـوحُ[4]
أخـذ الـمـكـارمَ عـن أبـيـه وجـدِّه　　وبـوجـهـه سِـرُّ الـوصـيِّ يـلـوحُ
نـسـبٌ تـتـابـعَ كـابـراً عـن كـابـر　　شـرفُ الـنـجـوم بـنـوره مـفـضـوحُ
يـابـن الـخـلائـقِ يـا ولـي الـعـهـد يـا　　مَـنْ فـي الـظـلام بـه تُـضِـيءُ الـسُّـوحُ
لـي مـنـك وعـدٌ جـازمٌ يـومَ الـلـقـاء　　بـالـروض يـنـصـعُ طـيـبُـه ويـفـوحُ
أكّـدْتَ مـيـعـاد الـخـلـيـفـة فـاشـتَـفَـى　　مـن لـطـفـكـم بـي قـلـبـيَ الـمـجـروحُ
وأخـوكَ بـدرُ الـديـن قـرَّر نـجـدتـي　　سَـبْـطُ الـبـنـانِ ذراعـهُ الـمـشـبـوحُ[5]
وأقـرَّ عـيـنـي مـن كـتـابـك مـوعـدٌ　　يـفـتّـر مـنـه وفـاؤكَ الـمـسْـجُـوحُ[6]
لـكـنَّ صـدري قـد يـضـيـق بـرَيْـثـكـم　　والـدهـرُ بـالـشـرع الأغـرِّ جـمـوحُ
عـارٌ عـلـيـكـم بـعـد مـا اسـتـنـصـرتـكـم　　أن تـتـركُـوه وشـأنـهُ مـرجُـوحُ

---

(١) الشوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً أو تغيظاً.
(٢) النقع: الغبار. نبات أعوج: جياد الخيل: اليوح من أسماء الشمس أي انطفت الشمس منها بغبار الحرب الذي تثيره الخيل لتكاثفه وسواده.
(٣) المحروب: المسلوب ماله.
(٤) طاب البوح: كرم الأصل.
(٥) سبط البنان: سخي كريم. ذراعه المشبوح: يقال: رجل مشبوح الذراعين عريضهما أو طويلهما. كناية عن القوة.
(٦) المسجوح: الذي طبعت عليه.

قوموا لهديِ نبيِّكم فحريمه متهَجِّمٌ وزمامهُ مطروحُ[١]

أفتسكتون على اهتضام حقوقه وله بكم غُرَفٌ سَمَتْ وصُروحُ؟[٢]

فيمَ التمهل بعد ما بلغ الزُّبى سيلُ الطغاةِ وفعلُها المقبوحُ

والجور فاض بصولة الدينار في وادي المهاجر والهُدَى مضْرُوحُ[٣]

وبجدكم قد عمّ في أنحائه غِبَّ الضلالة والفسادِ صلُوحُ[٤]

وافاه لاعن ذمّةٍ مُستنجِدٌ فطوَى البلاد له أغرُّ طَمُوحُ[٥]

فلجندكم فيها مآثر جمةٌ ولهم وقائع دُوِّنت وفتُوحُ

وإذا أردتم فالطريق مُعبَّدٌ والأمر سهلٌ والزمانُ سَنُوحُ

يكفي له يابن الأئمة مِقْنَبٌ تَطوِي بقائده الفَلَاة سَبُوحُ[٦]

أَرسلت هذا والفؤاد به صَدَى وسحابةُ الجورِ الفظيع دَلُوحُ[٧]

ويكاد يقضي اليأسُ لولا عارضٌ يرفضُّ منه سماحك الممنوحُ[٨]

وسمعت أخباراً بها انقلب العِدَا ولهم إلى بعض الصواب جنُوحُ

أَلقوا من الذل البُرَى وقد انطوت منهم على الداء الدوِيِّ كُشُوحُ[٩]

---

(١) حريمه متهجم: حرماته معتدى عليها. زمامه: مقاده.

(٢) صروح: قصور عالية.

(٣) مضروح: مقبور.

(٤) غب: بعد. صلوح: مصدر صلح ضد فسد.

(٥) مستنجد: طالب نجدة.

(٦) مقنب: جماعة الخيل والفرسان. سبوح: فرس سبوح في جريها كالسابح في سياحته.

(٧) صدى: عطش شديد. دلوح: مثقلة بالماء؛ يريد شدة الفظائع.

(٨) يرقص منه: ينهل منه.

(٩) البرى: جمع برة وهي الحلقة في أنف البعير لتذليله. كشوح: جمع كشح وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع. أي أن الأعداء خففوا شدتهم معهم وإن كانت جوانحهم تنطوي على الحقد.

أمـا أنـا فـبـمـبـدَئـي مـتـمـسـك | مـن ربـع قـرنٍ لـلإمـام نـصـوحُ
صـلـبُ الـحـصـاةِ وإن نَـبـانـي مـوطـنٌ | لـم تَـسْـتَـلِـنّـي غـربـةٌ ونـزوحُ[١]
ولـكـم لـقـيـت مـن الأذى فـي ودّكـم | وبـإثـر عـودي زاد مـنـه طـفُـوُحُ[٢]
لـكـنـنـي أمـضـي لـتـأيـيـد الـهُـدَى | قُـدُمـاً وعـن كـيـد الـسُّـعـاة صَـفـوُحُ
وسَـلـوا الـقـصـائـدَ والـخـطـابـة إنـنـي | بـولائـكـم فـي الـعـالَـمـيـن صُـدُوحُ[٣]
فـعـسـى يـعـودُ جـوابـكـمُ بـفـواتـحٍ | مـنـهـا يـخِـفُّ فـؤاديَ الـمـفـدوحُ[٤]

❊ ❊ ❊

(١) صلب الحصاة: قوي لا يلين. لم تستلني: لم تحملني الغربة على اللين والموادعة.
(٢) طفوح: امتلأت وارتفاع فاض.
(٣) صدوح: كثير الصدح ورفع الصوت.
(٤) المفدوح: المثقل.

القصيدة الخامسة والعشرون من الإماميات

إلى وليِّ العهد

سح الزمانُ برقَّةٍ وتعطُّفِ ... من بعد طول تَعَجُّمٍ وتغطرُفِ[1]
من كان يندُبُ حظَّه أو يشتكي ... من دهره فزمانُنا بَرٌّ حَفِي[2]
ذلّت معاطِسُه ولأنَ قيادُه ... لمّا ورَدْنا حضرةَ الملك الوَفِي
ملكٌ أذمَّ على الزمان بجُودِه ... وبنودِه والمرهَفاتِ الرُّعف[3]
لو أنه ممن تقدَّم عصرُهُ ... لمحا من القاموسِ ذكرَ الأشرفِ
بمحاسنٍ طُبعت عليها نفسهُ ... لكريم عنصره بغير تَكَلُّفِ
شتَّان بينهما مَدَى أُكْرُومَةٍ ... إذ لا تُجارِي الكردُ سادةَ خِنْدِف[4]
أَين الحضيضُ على دَماثةِ أرضهِ ... من ذِروة الرَّوْض الأريضِ المشرفِ؟[5]
شرفٌ تقِلُّ به عطايا حَاتم ... وثباتُ بسطامٍ وحلمُ الأحنفِ[6]

---

(١) تعجم: تنكر.

(٢) حفي: مبالغ في الإكرام.

(٣) أذم على الزمان: أخذ عليه الذمة والعهد. بنوده: أعلامه وراياته. المرهفات: السيوف الرقيقة الحواشي. الرعف: التي أصابها الرعاف. أي هي تقطر دماً.

(٤) شتان: بعد. أكرومة: غاية مكرمة. سادة خندف: ولد إلياس بن مضر بن نزار ينسبون إلى أمهم خندف وهي ليلى بنت حلوان على ما قيل. ويريد بالكرد السلطان الأشرف من المماليك في مصر والشام.

(٥) الدماثة: في الأصل سهولة الخلق والمراد الجودة. الروض الأريض: الزكي الحسن المنظر.

(٦) حاتم هو الطائي الذي يضرب به المثل في الجود. بسطام: هو ابن قيس بن مسعود من شجعان العرب. الأحنف: هو ابن قيس التميمي يضرب به المثل في الحلم.

مَخَر الهضابَ من الرَّقِين بطيبةٍ ... للمسلمين وهمَّة لم تنزِف[1]
فغَنَوْا وتمَّ سرورُهم في ظلِّه ... ونَسُوا أحاديثَ الزمان المجْحِفِ
في ريف رأفته استلانُوا عيشَهم ... والناسُ في غمراتِ أَزْلٍ مُتْلفِ[2]
وبفضلِه قد صانَهم عما جَرى ... في عهد ذي شُفْرٍ ودولة يوسفِ[3]
وحمَى البلادَ بأَمنِه وبِيُمْنِه ... شرَّ البوائقِ والرياح العُصّفِ[4]
فِتن كموج البحرِ طامٍ شرُّها ... وقفَت به القارات أَشأم موقفِ
من كل طائرةٍ يهول أزِيزُها ... تهوِي كما يهوِي العُقابُ المنكَفِي[5]
ترمي قذائفَها وترسل نارها ... فوق العمائر كالرُّعودِ القُصَّفِ[6]
فلكم بروجٌ كالجِبَالِ تناطحت ... بالشُّهْب أضحت مثلَ قاعٍ صَفْصَفِ[7]
مذ ضيعوا إنجيلَهم ضاعُوا كما ... حُفِظتْ مدائنكم بحفظِ المصحفِ
والنصرُ للإنصاف أدنى شقّةً ... والويلُ في العقبى لمن لمْ ينْصِفِ[8]
لله درُّك يا ولي العهد يا ... جمَّ المكارِمِ يا رجاءَ المعتَفِي[9]

---

(١) مخر الهضاب: أرسل فيها الماء لتجود. الرقين: الدرهم يريد أكثر المال في البلاد. لم تنزف: لم تتغير ولم تنقطع.

(٢) أزل: شدة وضيق.

(٣) ذي شفر: هو ابن أبي سرح الخزاعي والد تاجه التي حفر السيل عن قبرها باليمن فوجد فيه حلي ومال كثير ولوح مرقوم فيه أنها بعثت مائرها إلى يوسف الصديق فأبطأ عليها ولم ينفعها مالها ثم ماتت وتركت وصية وعظة للناس بعدها. وقد نقل قصتها صاحب القاموس عن ابن هشام في مادة الشفر.

(٤) البوائق: الدواهي. الرياح العصف: الشديدة الهبوب.

(٥) أزيزها: شدة حركتها.

(٦) رعد قاصف: صيِّت.

(٧) قاع صَفْصَفِ: أرض مستوية.

(٨) أدنى شقة: أقرب مسافة.

(٩) المعتفي: طالب المعروف.

معناك ضخمٌ والقريحةُ ماؤُها   نزْرٌ وألفاظُ المعاني لا تفِي
ولقد قرأت تراجمَ العظما فلمْ   أسمع بمثل كمالك المتكشِّفِ
فعلى جبين الدهر مجدٌ خالدٌ   لكم تُسَطِّرهِ عراضُ الأحرفِ
فوقَ الكلام علاؤكم وثناؤكم   لكنْ بهذا قد أردتُ تشرُّفِي
فلْنستزِدْ من ربِّنا في عمرِكُمْ   بالشكر طُولاً إنه اللُّطْفُ الخَفي
ولنرْفع الأيدي وندعو بالبقاء   أيضاً وبالإقبال للمستخلَفِ
وَانْعَمْ بعرش الملك عيناً مثلما   نعمَ الأنامُ بجودك المتردِّفِ

* * *

المباراة الشعرية

مباراة شعرية مع شاعر يمني[1]
وينتصر فيها الإمام ابن عبيد الله

وفي أواخر سنة ١٣٥١هـ ورد حضرموت رجل متشاعر من اليمن أخذ يتفَتَّح ويتحدى ويتشبَّع بما لم يعظ؛ حتى هابه الناس، وفي الليلة الأولى من المحرم سنة ١٣٥٢هـ اجتمعنا به في منزل السيد عبد الرحمن ابن شيخ الكاف؛ في جماعة من الطلبة وأهل الأدب؛ فاقترحوا علينا المباراة؛ في موضوع عينوه؛ كما عينوا البحر والقافية أيضاً؛ فانتبذت عنهم قليلاً في المجلس؛ ولم تمض ساعة وربع؛ حتى جهزت القصيدة الآتية:

(١) هو الشاعر القاضي أحمد بن محمد الحضراني؛ كان حافظاً لأشعار العرب؛ ورحل إلى مكة المكرّمة عام ١٣٣٣هـ واتصل بشريف مكة الحسين وبقي عنده عدة سنوات؛ وأعلن الشريف خلالها الحرب على الدولة العثمانية عام ١٣٣٤هـ ثم لازم الشريف زيد بن الحسين ثم عاد إلى اليمن سنة ١٣٣٧هـ وكان بصحبة السيد محمد بن علي الشامي عندما دخل البيضاء لفك الحصار على الأمير عبد الله بن أحمد الزبير الذي دخل البيضاء عام ١٣٤٢هـ وانتقل بعدها إلى العواذل وحصل أثناء إقامته بها أن أرسلت بريطانيا طائرة محلّقة على ارتفاع منخفض لإخافة الأهالي فتقدم لها الحضراني وأطلق رصاصة من بندقيته مصيباً بها رأس قائدها حتى سقطت الطائرة وتحطمت وحمل خوذة الطيار وسلّمها للإمام يحيى كشاهد على صدق دعواه؛ وبقي في صنعاء حتى قيام الثورة فلم يطب له المقام باليمن بهدها فانتقل إلى المدينة المنورة ثم سكن الطائف وأقام حتى وفاته سنة ١٤٠٧هـ (نقلاً عن هداية الأخيار للسيد حسين بن محمد الهدار جزء ٢).

القصيدة الأولى

للإمام ابن عبيد الله في المباراة

حرامٌ على عينِ المحبِّ جُمودُها وأنْ يتغَشَّاهَا لماماً رُقُودُها[١]

ومِنْ أين للصبِّ المنامُ وفي الحَشَى جَوىً نارُه بِالبينِ ذاكٍ وَقودُها؟[٢]

هو الحبُّ فيه الشُّوسُ ذلَّتْ أما تَرى مَهَا الرمل فيه بالبُرين تقودُها[٣]

وإني لَصُلْبٌ يحملُ الهمَّ خاطِري إذا لم يَرُعْنِي من سُلَيْمى صُدودُها

فكيف وقد شطّت وأمسَتْ وبيننا ديامِيمُ تُنْضِي اليعملاتِ نجودُها[٤]

وما أنسَمِ الأشياءَ لم أَنْسَ بُرهةً من الدهر في صنعاء تُشجِي عهودُها

بلادٌ تفوقُ الراحَ رقةُ أهلِها وتَسْبي الذي لم يعرف العشقَ خُودُها[٥]

يَسِرْنَ الهُوَيْنا عانةً بعد عانةٍ قِصارَ الخُطَى أعجازُهن قيودُها[٦]

تَدَاخلُ من فرطِ الحيَا في رِياطِها فتأبَى لها أردافُها ونهودُها[٧]

---

(١) لماماً: غِباً.

(٢) ذاك: ملتهب.

(٣) الشوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً. ذلت: أصابت الذل. البُرين جمع برة وأصلها حلقة في أنف البعير تذله عند قوده.

(٤) ديا ميم: فلوات شاسعة. تنضي اليعملات: تهزل النوق العاملة. نجودها: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

(٥) خودها: جمع خَود وهي الفتاة الحسنة الخلق الشابة.

(٦) عانة بعد عانة: جماعة بعد جماعة وأصلها القطعة من حمار الوحش.

(٧) رياطها: جمع ريطة وهي الملاءة التي كلها قطعة واحدة ونسج واجد. أردافها: جمع ردف وهو العجز.

وكم قد وردنا من حياضٍ معارفٍ بأفيائها يروي النزيفَ وُرُودُها[1]
عناجيجُ في ميدانِها آيُ قُلَّة لهم ما تسنَّى بالفهُوم صعودُها[2]
يَقَرُّ لعينِ الدينِ غُرُّ فضائل قد اجتمعَتْ فيهم عَزيزٌ وجودُها
علومٌ وأعمالٌ وعدلٌ وعفةٌ تسامَت بهم فوق النجوم حُدودُها
ومنهم إمامُ الحق والعاهلُ الذي به ملةُ الإسلام قام عمودُها
حماها وآواها وأفرَخَ رَوْعها وأثلجَها فاشتدَّ غيظاً حسودُها[3]
وفي نصرها وَالى الجهادَ وما ثَنَى عزيمتَه برقُ العِدا ورعودُها
به أصبحت صنعاءُ للناس قِبلةً ييمّمُها من كل أرضٍ وفودُها
إذا عاينته الشُّمُّ ذَلّتْ أُنوفُها وطال له خضعانُها وسجودُها
على وجهه بين السِّماطين هيبةٌ جلالةُ خير المرسلين تَجُودُها[4]
هو البدرُ يوم الحفل في ضمن هالةٍ من الزُّهر لا ينفك عنها سُعودُها
رعى الله عهداً مرّ لي في رُبُوعه دنت لي القوافي فيه حتى شَرُودُها[5]
نظمت الثريا في عُلاهُ قصائداً سهِرْت عليها كي يطولَ خُلودُها
قلائدُ من شكوى ونصح ثمينةٌ أَمِنْتُ عليها أن تضيعَ عقودُها
طفقْت بها أحْدُو عزيمتَه إلى مُهِمٍّ لَدَينا مثلُه لا يؤودُها[6]
وما كان شأني دون عمرو بن سالم ونبعَتهُ من سيِّد الرسْل عُودُها

---

(١) بأفيائها: بظلال صنعاء وفي الأصل بأفنائها وهو تصحيف. النزيف: الرجل الذي عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه.
(٢) عناجيج: أهلها كنجائب الخيل في ميادينها. القلة أعلى الجبل.
(٣) أفرخ روعها: ذهب فزعها بسببه. أثلجها: شفاها.
(٤) السماطين: الصفين. تجودها: تمدها من جادهم المطر يجودهم جوداً إذا نزل غزيراً يروي كل شيء.
(٥) شرودها: نافرها.
(٦) لا يؤودها: لا يشق عليها.

ومـنـه لـنـا عـهـدٌ ووعـدٌ وذمّـةٌ وقـربَـى ومـيـثـاقٌ عـدولٌ شـهـودُهـا
يـؤكـدهـا لـي صـاحـبُ الـعـهـد مَـن إذا مشَى ركبةُ في الخيس لانت أُسودُها[١]
شهابُ الهدى غيظ العِدا مورد الردى ذخـائـرُه جُـرْدُ الـمـذاكـي وقُـودُهـا[٢]
أَفي النُّجح شكٌّ بعد ما التزَمَتْ به مراجيحُ تأبى أن تَخيسَ وعودُها[٣]
ولـم نـرجُ منـهـم غـيـرَ إصـلاح بقـعـةٍ أُبـوتُـهـم قـد دوَّخـتـهـا جـنـودُهـا
بـنـى الـمـرتـضـى هـذا الإمـام ونـجـلـهِ وأنـتـم مـفـاتـيـح الـعُـلَـى وزُنُـودُهـا[٤]
أجـيـبُـوا كـلامـي واقـدحـوهـا فـإنـهـا وعتبي كثيرٌ طال منها صلُودُها[٥]
ولا تـغـفُـلـوا عـن ذكـر نـفـسٍ قـيـامـهُـا بـأكـثـره فـي ذكـركـم وقـعـودُهـا
وقـد أطـمـع الـريـثُ الـنـصـارى فـهـذه أجـادِلـهـا فـي جـوّنـا وبـنـودُهـا[٦]
وفـي أُمـتـي كـثُـرٌ ولـكِـنّ رَأْيَـهـا شتيتٌ ولا يهفُو إلى المجد جُودهُا
قـلـيـل لـتـحـصـيـل الـمـعـالـي سِـمـاحـهُـا ولـكـنـهـا فـي الـشـرِّ تَـهـمِـي نـقـودُهـا
أسـاءت إلـى أوطـانـهـا وهـي تُـرْبـةٌ فَـدَتْـهـا بـحـبَّـاتِ الـقـلـوب جـدُودُهـا

أما الشيخ اليماني فجاء في نفس المدة بأربعة وعشرين بيتاً لا ترتفع إلى الإجادة ولا تنحط إلى التقصير. ثم أنه تحدى للمباراة ثانية؛ واقترح قافية الظاء من البحر الآتي؛ ولم يجئ بشيء. ومن غير مهلة؛ قلنا؛ والإشارة في مطلعها بتلك إلى قصيدتنا السابقة.

* * *

---

(١) الخيس: موضع الأسد.
(٢) جرد المذاكي: الخيل الجياد.
(٣) مراجيح: حلماء. تخيس: تنقض وتخلف.
(٤) زنودها: الزند العود الأعلى الذي يقدح لاستخراج النار.
(٥) صلودها: يريد أنها قدحت ولم تور.
(٦) أجادلها: صقورها. يريد الطائرات. بنودها: أعلامها.

القصيدة الثانية

للإمام ابن عبيد الله في المباراة

تلك المعاني في حُلَى ألفاظها عينُ البراعةِ في جميل جِحَاظِها[١]

نَصَعَتْ حقيقتهُا وزانَ مجازُها فبمُوقِها تُسْبَى النهى ولحاظِها

والناس تَعرف في البلاغة رتْبتِي وتفردِّي فيها بفخر عكاظِها[٢]

ولقد تعرّض من يُمَنِّي نفسَه ببدائعي لحريقه بشُواظِها[٣]

فأربأ بنفسك أيها القاضي عن البـ ـيض المواضي واخْشَ مرَّ عظاظِها[٤]

ولقد شربت من النجاح بِنَغْبَةٍ يكفيك منه تمتُّعٌ بِلماظِها[٥]

واحذر مقارعةَ الفُحول ولا تكن كابن الزبير إذ اصطلى بمقاظِها[٦]

فأنا على مَهَلي المجلّي إن جَرتْ للمجد فرسانٌ على إلظَاظِها[٧]

وتُذيبُ بادِرَتي الشكيمةَ عندما تهفُو بعاطِفتي شَمول حِفاظِها[٨]

---

(١) جحاظها: ظهورها وبروزها.

(٢) عكاظها: : يشير إلى سوق عكاظ.

(٣) الشواظ: اللهب لا دخان فيه.

(٤) البيض المواضي: السيوف القاطعة. العظاظ: الشدة.

(٥) النغبة: الجرعة. اللماظ: الطعام يتلمظ ويتذوق باللسان.

(٦) بمقاظها: أي شدة حرها.

(٧) المجلي: السابق. إلظاظها: إلحاحها في الجري.

(٨) حفاظها: المحافظة على الحُرَم.

ومواقفٍ فيها تقاصرَت الخُطا جَليت بالبرهان غيمَ كِظاظها[1]
وبذلت جهدي في نصيحة أمتي لو ساعدَ التوفيق لاستيقاظِها
طوراً ألَاينُ في الخطابة بينهَا وأعود أحياناً إلى إغلاظِها
لم أدَّخِرْ وسُعاً ولكن صدَّها عني وعما قلتُ سوءُ حِظاظِها[2]
واسْأَلْ إذا لم تَدْر حتى حُسَّدِي عن فضل إرشادِي وعن وعاظِها[3]
ولك الهناء فأنتَ في الأشعارِ إن عُدَّت رواةُ العصر من حُفّاظِها

أما الشيخ اليماني؛ فجاء في نفس المدة؛ بأربعة وعشرين بيتاً؛ لا ترتفع إلى الإجادة؛ ولا تنحط إلى التقصير. واتفق اجتماع آخر؛ حدانا فيه الحاضرون للمباراة؛ واقترحوا البحر والقافية؛ ولم يعيِّنوا الموضوع؛ فوقف حمار الشيخ في العقبة؛ وأما أنا فقلت القصيدة الثالثة:

* * *

(١) كظاظها. الكظاظ في الحرب الضيق في المعركة.
(٢) حظاظها: جمع حظ وهو النصيب والبحث.
(٣) إلظاظها: مداومتي لها وإلحاحي عليه بها من ألظ أي ألح ودام وفي الأصل وعاظها.

القصيدة الثالثة

للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية

أما والذي لا يعلم السرَّ غيرُه ... ولا فضلَ إلا منه والخيرُ خيرُه
به تحصل الرُّحْمي وينكشِفُ البَلَا ... ويُدفعُ مكروهُ الزمان وضَيرُه
لقد ساءَت الشيخَ العزوبةُ حسبما ... يقول وآذاه من الشوق أيْرُه
وبالأمس طاف الريفَ فاستقبل المها ... جلتها له دَمُّونهُ وفُجَيْرُه[(١)]
وحاشا وقد أمسى نزيلاً لسادة ... يخيبُ من الإقبالِ واليُمْنِ طيرُه
ولن يستريح الشيخُ إلّا إذا ابتُنِي ... لراهبه القوَّامِ بالليل دَيْرُه
فهاتوا له خُوداً أو اكووه كية الغَـ ... ـرَامِ فإن لم تفعلوا ساءَ صَيرُه[(٢)]
أديب خفيف العقل والروح لحظُه ... وهيئتهُ تنبيك عنه وسَيرُه
ولولا ضياع الفضلِ لاستوجب الذي ... من ابن سِنانٍ كان لاقى زُهَيرُه[(٣)]
وخذ من قريع الشعر قرحةَ أدهمٍ ... تقرّ لها ذُبيانهُ ونُمَيرُه[(٤)]

* * *

(١) الريف: الأرض الخصبة. المها: بقر الوحش. ودمون والفجير قرى في حضرموت.
(٢) خودا: جمعه خود وهي الفتاة الحسناء الشابة. كية الغرام: أي العشق. وكان العرب يكوون أليتي العاشق ليذهب عشقه.
(٣) ابن سنان: هو هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى.
(٤) قرحة أدهم: الأدهم: الفرس الأسود والقرحة: بياض بين عيني الفرس قدر الدرهم فأقل. ذبيانه: هو النابغة الذبياني. نميره: هو الراعي النميري الشاعر الذي هجاه جرير.

القصيدة الرابعة

للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية

وفي جلسة رابعة ببيت الكاف أيضاً؛ أخذ اليماني يتفنَّج؛ واتَّفق حضوري؛ فاقترح الحاضرون البحر؛ والتمسوا المباراة؛ فأفحم الرجل؛ وقلت حسب الاقتراح من لسان القلم؛ الأبيات التالية:

دَعُوني فإن الشوق للمجد مَالِكي ... وبالعلم تَهديني إليه مسَالِكي
بحرمة أمِّ المؤمنين خديجةٍ ... وبالمرتضَى وابنيه وابن العواتِكِ[1]
وبالحرَّة الزهراء أرجو بجاهِهم ... من الله كشفَ المظلماتِ الحوالِكِ
فلي منهُمُ حبٌّ صحيحٌ ولم أزل ... إلى نَضَدٍ آوي بهم متشابِكِ[2]
وما زال قِدْحي عالياً بولائهم ... وفي جاههم ذُخري العِدا في المعاركِ[3]
وكم رام هضمي الكاشحون وأجلَبوا ... فما ضرَّني كيدٌ ولا زُورُ آفِكِ
بفضلٍ من الباري حتَى في وجوههم ... غداةَ رهانِ القول نقْعَ السنابِكِ[4]
وسل من تُرِدْ في قطرنا عن تفرُّدِي ... فما ليَ في سُوق العُلا من مشارِكِ
عناية مولانا تحيطُ وجوده ... يجيشُ لنا من فضله المتدارِكِ[5]

(١) ابن العواتك: هو النبي ﷺ: والعواتك جداته. وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب.

(٢) النضد. الشريف من الرجال.

(٣) القدح العلي: أفضل قداح الميسر.

(٤) نقع السنابك: الغبار المتصاعد من أطراف حوافر الخيل. جمع سنبك.

(٥) المتدارك: المتابع.

وشتَّانَ ما بينَ العوادِي - جسارةً ... على القِلل الكأدَا - وبين الأوَارِكِ[1]
إذا لُزِّمنِّي ابنُ اللَّبُون ببازلٍ ... لدى مأقِطٍ ألفيتَه في الهوالِكِ[2]
وإني لأرثى للمعرِّض نفسَه ... بميدان حَرْب فيه مجرى السوافكِ[3]

ولما وصلتُ إلى هنا؛ قاطعني؛ واقترح تغيير الموضوع والبحر والقافية؛ إلى ما يأتي؛ فأجبت؛ ولكنه مع ذلك؛ تعذَّر عليه القول؛ حتى ارتاب الحاضرون مما جاء به في معارضة قصيدتنا الأولى؛ وظنوا الاقتراح السابق؛ كان بمواطأة معه؛ والله أعلم.

ولما نظمت من الآتية ثمانية أبيات على البديهة؛ لاذ الرجل بالفِرار؛ فلزم التوقف؛ ولكنني أتممتها قصيدة بعد ذلك.

* * *

(١) العوادي: الإبل المقيمات في العضاه لا تفارقها. الأوارك. الإبل المقيمات في الحمض وهو الأراك لا تفارقه.

(٢) ابن اللبون: البعير إذا طعن في الثالثة وصار لأمه لبن والبازل: البعير إذا طعن في التاسعة وطلع نابه. قال جرير:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرَنٍ ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

الماقط؛ بكسر القاف: المضيق في الحرب وجمعه مآقط.

(٣) السوافك: الدماء المهراقة.

القصيدة الخامسة

للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية

دعاني الهَوى وهو الغريبُ صنيعُه ... فأسْمَعُ لكن ما أراني أطيعُه

وهل من تَصابٍ بعد ما ابيضَّ عارضي ... ومرَّ من العمر النفيس ربيعُه

لخمسين عاماً واثنتين تصرَّمَتْ ... غَريقُ الهوى ينجو ويصحُو صريعُه؟

ولكن حسناً في «أزال» لو انجلى ... لعِزْهاةِ قوم لم يكن يستطيعُه[1]

فلا غرو إن أعطيته ثِنْيَ مِقودي ... وقلت له عُمري إليك جميعُه[2]

مَهاً تشترِي العقلَ السليم بسَيْرِها ... كمثل حَبَاب الماء ثم تَبِيعُه[3]

ذكرت بها فضل الزمان الذي دنا ... لنا فيه من زهر القريض بديعُه

ويومَ تُباريني الرجالُ لنظمه ... وتعترف النقادُ أني قريعُه

وعن قَذَفاتي العُصْم يقصُر خَطوهُا ... فكيف يجاريني إليه رقيعُه[4]

ولو أن فكري ظالع فيه لاجتوى ... بياني الإمامُ الحقُّ وهو ضليعُه[5]

بعيدُ المدى لا يدرك الوهم شوطَه ... منوَّرُ ما بين الضلوع وَدِيعُه[6]

---

(١) أزال: منطقة بصنعاء. العزهاة: الرجل لا يحدث النساء ولا يريدهن ولا يلهو معهن. والمعنى أن الحسناء التي رآها في أزال بصنعاء لا يمكن أن يسلم منها حتى العزهاة.

(٢) فلا غرو: فلا عجب. ثني مقودي: طرفه.

(٣) مها: بقر الوحش. يريد الفتيات الخود. حباب الماء. تكسره.

(٤) العصم: الوعول. الرقيع: الأحمق.

(٥) ظالع: مائل أو متهم. لاجتوى بياني: كرهه. ضليعه: قوية العليم به.

(٦) المدى: الغاية. وديعه: قلبه المودع بين ضلوعه.

يَتمُّ به من كل وافٍ سرُورُه ... ويَهمِي به من كل باغ نَجِيعُه[١]
به الملَّةُ الغراءُ أضحت وسورُها ... يَردُّ العِدَا صُورَ العيون رفيعُه[٢]
على حين هان الدينُ واضطُهد الهدى ... ولانت أواخيه وذلَّ شَجِيمُه[٣]
فلولاه للإسلام ما اخضرَّ عودُه ... ولم يلتئم بالمشرفيِّ صدِيعُه[٤]
به قد تأوّلنا من الآي جملةً ... وما زال للقرآن سرٌّ يُذِيعُه
وفي السُّنَّة الغراء وعدٌ بمثله ... نؤمل أن يُشْفِي الصدورَ سريعُه
إلى نَضَدٍ نأوِي بفضل انتسابِنا ... له وهو مرهوبُ الجنابِ مَنِيعُه
ومنه لنا عهدٌ صحيحٌ فهل ترى ... على شاوِهِ في المكرمات يُضِيعُه[٥]
تغَنَّى به السُّمارُ بل زاد شهرةً ... لدى الحيِّ حتى كاد يَدري رضيعُه
وقد ساءَنا هذا التمكُّثُ وافترى ... علينا به أعمى النُّهَى وتَبِيعُه[٦]
فإن مسَّنا ضرٌّ به التَاطَ عارُه ... ولاقاهُ مِنْ عابِ الملام شَنِيعُه[٧]
وأشعرته من نحو عشرين حجِة ... بِسُمٍ على الوادي يُخاف نقِيعُه[٨]
لكي يتلافى الشرَّ جَذْعاً فإنه ... إذا طرَّ منه النابَ أعيا فظيعُه[٩]
وما زال للتدبير في القوس مَنْزَعٌ ... لمن لا يزلُ الحزْمُ وهو ضَجِيعُه
وإن شاء من أهل الصلاح رهينةً ... أتاه حسيبُ المنتَمي لا وضيعُه

---

(١) يهمي به: يسيل. نجيعه: دمه.
(٢) سورها يرد رفيعه العدا؛ صور العيون أي مائليها جمع أصور وهو المائل العنق لثقل حمله.
(٣) أواخيه: جمع أخِية. وهي حبل يجعل كالعروة تشد إليه الدابة. شجيعه. شجاعه.
(٤) صديعه: مصدوعه أي ما صدعه منه.
(٥) شاوه: شأوه أي سبقه.
(٦) تبيعه: تابعه.
(٧) التاط عاره: التصق. عاب الملام: عيبه.
(٨) نقيعه: ما اجتمع منه.
(٩) جذعا: يريد في أول أمره وأصله بالتحريك وسكن للضرورة. طرَّ منه الناب طلع وبرز.

وكم جاهل في الأجنبيّ له هوىً ... ولا قُطرَ إلّا يَستغيثُ لِسيْعَهُ[١]
يريدون منه النفعَ والضُّر ظاهرٌ ... على خُلوِه الممزوج فيه ضَرِيعهُ[٢]
ولولا تروٌّ منك ما هبّ واحد ... لشرٌّ بوادي حضرموتَ يُشِيعُه[٣]
وقد كان إسماعيلُ جدُّك ضمَّه ... وروَّي ربُاه من نداه مَرِيعُه[٤]
أتاه صريخٌ منه من غير ذِمّة ... فلبَّى وما يخفَى عليك صنيعُه[٥]
وكم سابقٍ في حَلْبَة الشعر سِفْتُه ... قبيح بمولانا الإمام يُجيعُه[٦]
وما لي والحاحي عليه ونفسُه ... إلى نفسِه في نجزْ وعدي شفيعُه

* * *

(١) لسيعه: لضياعه
(٢) الضريع: أخبث طعام وهو من أطعمه أهل النار.
(٣) تروٌّ منك: تريث من الروية بمعنى النظر وعدم التعجل.
(٤) مريعه: غيثه المريع أي ذو المراعة والخصب أي روي غيثه المريع رياه من عطائه وجوده.
(٥) صريخ: مستغيث.
(٦) سِفْتُهُ: ضربته بسيفي.

تعليق للمحقِّق

كانت هذه المبارزة الأدبية متعة عظيمة لمحبي الأدب والشعر بحضرموت؛ وكان منهم إذ ذاك كثير بسيؤون وتريم؛ وتشهد هذه المباراة على عبقرية الإمام ابن عبيد الله الشعرية؛ وقوة قريحته؛ وسرعة بديهته؛ وما هذه المباراة إلّا غيض من فيض فقد سمعنا بأمثالها مما يمكن أن يأتي في الجزء الثاني المخطوط من دواوين شعره.

ومع ذلك فإنني أعتقد أن شعرالإمام ابن عبيد الله لا يقارن بخطبه؛ التي ينتابك عند قراءتها الشعور؛ بأنَّ قائلها لا يعيش في عصرنا؛ بل يعيش في العصور الزاهية لعلوم العرب وحضارتهم ولغتهم؛ ولا تشعر حين تقرأها بالندم على فوات الاستماع لخطباء العرب المشهورين من أمثال سحبان أو قس بن ساعدة؛ فخطب الإمام ابن عبيد الله؛ بلغت في نظري؛ من البلاغة والبيان؛ ما يضعها في مصاف خطب أولئك الخطباء المشهورين. ولحسن الحظ؛ فقد حفظت لنا المخطوطات بعض خطب الإمام؛ ولكنها أوراق مخطوطة؛ والخطر على ضياعها عظيم. وقد أورد الإمام بعض خطبه في كتابه التاريخي الموسوعي العظيم (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت) والذي ما زال للأسف بأجزائه الكبيرة الثلاثة؛ مخطوطاً.

ويندهش القارئ لكتب الإمام ابن عبيد الله من سعة علومه؛ بل ويزيد اندهاشه؛ عندما يعلم أنَّ الإمام ابن عبيد الله قد أملى أغلب هذه الكتب؛ إن لم يكن كلّها؛ من ذاكرته القوية؛ غير مستعين بكتاب ولا ناظر في ديوان؛ والغريب قول الإمام: إنه لم يزدد من العلم شيئاً بعد تعدِّيه سن الخمس وعشرين سنة.

وإذا أمعنَّا النظر في أحوال العلماء السابقين؛ نجد أنَّ القليل منهم؛ قد ماثل

الإمام ابن عبيد الله في سعة علومه؛ وتنوُّع فنونه؛ فهو علامة ضليع في الفقه الشافعي؛ بل يأتي في مرتبة كبار الفقهاء السابقين من أمثال الرملي وابن حجر الهيتمي؛ وما مصنَّفه الكبير صوب الركام في أدلة الأحكام؛ إلّا شاهد قوي على ذلك؛ كما أن الإمام ابن عبيد الله إمام في النقد الأدبي؛ يشهد بذلك كتابه المطبوع؛ النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي؛ وله أيضاً باع طويل في الأدب ومجالسه يشهد بذلك كتابه الذي أحدث ضجة بين الأدباء وطلبة العلم؛ وهو العود الهندي في مجالس الكندي؛ إلّا أن جوهرة التاج في نظري هو كتابه المطبوع مؤخراً وهو بلابل التغريد فقد جمع فيه الإمام لنفسه فلسفة الغزالي؛ وتأملات الفخر الرازي؛ ونظريات ابن خلدون؛ مع كثير من المباحث والاستنتاجات؛ وهو أعجوبة بين الكتب؛ إلّا أن المؤسف؛ أنَّ ما توفر منه هو الجزء الأول فقط؛ وبقي جزآن؛ لا يعلم أحد لهما مكان. ومن المؤسف أيضاً أنَّ هذا الإمام العظيم لم ينل ما يستحقه من الشهرة والتعريف؛ بل عاش في وطنه المعزول منغَّصاً منكَّداً؛ كما قرأنا ما كتبه في قصائد هذا الديوان.

هذا وممن عاصر هذه المباراة الشعرية؛ الشاعر الحضرمي زين العابدين بن أحمد الجنيد؛ فكتب القصيدة التالية؛ معزِّياً فيها القاضي الحضراني الذي خسر هذه المباراة الشعرية أمام عملاق حضرموت؛ وبيَّن له فيها؛ أن مجرد وقوفه أمام ابن عبيد الله؛ يعتبر شرفاً كبيراً له. وقد جاءت هذه القصيدة؛ في ديوانه الشعري المطبوع بسنغفورا؛ والمسمى ديوان عابدين؛ صفحة ٥٥.

وقال في مقدمتها: إنه قالها بمناسبة المباحثة الأدبية والمباراة الأدبية بين فضيلة العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العلوي وحضرة القاضي أحمد الحضراني في بيت أبي تمام وقد قدمها للقاضي الحضراني.

ويلاحظ أن الإمام ابن عبيد الله تجنَّب أن يذكر الحضراني باسمه؛ كما هي عادته على ما يبدو في إغفال أسماء كثير من الأعلام الذين أنشأ فيهم قصائده.
ومن أبيات هذه القصيدة التي يخاطب فيها الشاعر الجنيد القاضي الحضراني ما يلي:

أعليت قصرا للفخار مشيدا وفتحت عصراً للرقي مشيدا
أنت الذي نلت بالجد معارفا لم تأل في تحصيلها مجهودا
يكفيك فخراً أنك الرجل الذي باريت فرداً في الكمال فريدا
وكلاكما بحر ولكن ابن عبيدالـ لّه نال من العلوم مزيدا
ما حازه بجموده لكنها هممٌ تخرّ لها الجبال سجودا
ملك البلاغة فهي طوع لسانه وزمامها أمسى به معقودا
وعلا ذرى الشرف الرفيع فعاش بيـ ـن القوم عيشاً طيّباً وحميدا
وأتى إليه المجد يخطبه على رغم المعادي طارفاً وتليدا
من ذا يكون الآية الكبرى إذا ماحل رمز المشكلات عنيدا
من ذا يبارز سيِّداً عشقته أبـ ـكار العلا قبل الفطام وليدا
لو شاء شنّ على الأعادي غارة شعواء تحوي فيلقا محشودا
وأثار حرباً باليراع وحوله قوم لنصرته تكون جنودا
كل المعاني في خزائن ذهنه تلقى فينظم دُرّهُنَّ قصيدا
بحر الخيال يمدُّه بفرائدٍ جعلت على نحر القريض عقودا
فلسانه وبنانه وخياله قاموا عليه بما ادَّعاه شهودا
يا معشر الأدب الجليل ورهطه من يستطيع لما أقول جحودا

والقصيدة طويلة ونكتفي بما سبق.

إلّا أن هذه المبارة الشعرية؛ أنشأت صداقة وطيدة بين الإمام ابن عبيد الله وبين القاضي الحضراني؛ الذي بقي على مودته واحترامه للإمام ابن عبيد الله؛ ولأبنائه بعد وفاته. ويقول والدي السيد محسن بن علوي السقاف: إنَّ الحضراني هو الذي قام بتقديم الخال حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله إلى الإمام أحمد فيما بعد؛ والذي ذهب لليمن للعمل لطلب الرزق؛ وبقي الخال حسن على علاقة متينة بالحضراني أثناء الفترة التي قضاها لطلب الرزق باليمن.

وقال لي والدي أيضاً: إنه خلال مرورهم باليمن؛ مع الخال محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله؛ والسيد العطاس؛ في طريق هجرتهم من حضرموت إلى الحبشة لاكتساب الرزق بها؛ وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية؛ لم يجدوا من يستقبلهم بتعز إلّا القاضي الحضراني؛ الذي رحب بهم وأهَّل؛ وأنزلهم في بيته على الرحب والسعة؛ رغم ضعف حاله؛ وتواضع سكنه. بل كان الحضراني هو الذي ذهب بهم لمقابلة الإمام أحمد حميد الدين؛ وقدمهم له؛ وعرَّفه بهم؛ فاحترمهم الإمام وأنزلهم في ضيافته الرسمية؛ وأكرمهم؛ واستبقاهم عنده لأكثر من شهر لأجل مزيد من الإكرام والاحترام؛ رغم استعجالهم السفر للحبشة؛ وعندما أذن لهم بالسفر؛ أمدَّهم بكل ما يحتاجونه من المال والزاد لرحلتهم الشاقة.





في الغزل العفيف[1]

(١) هذه القصائد الغزلية لم تكن مضمومة لبعضها بل أتت متفرقة في الديوان فرأيت أن أجمعها ببعضها لتسهيل الوصول إليها (مراجع التحقيق).

أبيات غزَل
أم نفثات مصدور؟

وقلت متغزلاً في ريم «أزال»[١]:

تذكرت من صنعاءَ حمرَ المعاجرِ يَصِدْن النُّهَى من تحتِها بالمحَاجرِ[٢]
ويقتُلْن من لم تعرِف الحبَّ نفسُهُ إذا مِسْنَ زَهواً بالقدودِ الشواجرِ[٣]
ويُظْهِرْن أطرافَ البنانِ كأنها خِلَال الرياطِ السودِ زُهرُ الدياجرِ[٤]
سُفوح «أزالٍ» مسْرَح الحسن والهوى إذا قالَ قومٌ بين سَلْعٍ وحاجرِ[٥]
رعى الله عهداً مرّ لي في ربوعها سددت به الطاقات في شهر ناجرِ[٦]
إذا مرَّ بي سِرْبٌ من الخُودِ هاجرٌ أقولُ له ارفَقْ بالغريب المهاجرِ[٧]
وخفِّفْ بمغْسُولٍ من القول غُرْبتِي وكن مطمئناً إنني غير فاجرِ

---

(١) أزال منطقة بالعاصمة صنعاء.

(٢) المعاجر: جمع مِعجر وهو ثوب تافه تضعه المرأة على استدارة رأسها ثم تتجلب فوقه بجلبابها. المحاجر: جمع محجر ومحجر العين ما يبدو من النقاب.

(٣) مِسْنَ: تبخترن في مشيتهن. بالقدود الشواجر: الشبيهة بالرماح المتداخل بعضها في بعض.

(٤) الرياط: جمع ريطة وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين. الدياجر: جمع ديجور وهو الظلمة. وزهرها نجومها.

(٥) أزال: الموضع المعروف. قال قوم: استراحوا نصف النهار من القيلولة. سلع: حاجز ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به أو هو الجدار الذي يمسك الماء بين الديار.

(٦) شهر ناجر: هو شهر صفر وكان يسمى بذلك في الجاهلية وكل شهر في فصل الحر فاسمه ناجر.

(٧) الخُودِ: جمع خَوْد وهي الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً.

ولـم أدر أن الـبـخـل فـيـهـنَّ شـيـمـةٌ ... شـمِـلْـن مـن الـعَـدْوى بـه كـلَّ تـاجـرِ
لـئـن صـدكُـنَّ الـشُّـحُّ عـنـي فـإنَّ لـي ... سِـواكـنّ والإسـلامُ عـنـكُـنَّ زاجـرِي

* * *

الفهرس

الباب الثاني

في الاجتماعيات والصوفيات

وما يناسبهما على ترتيب حروف المعجم

قصائد
في مناقب العيدروس

القسم الثاني
من المديح وما يدل في بابه

قسم التركيَّات

القصائد الإمامية

المباراة الشعرية

في الغزل العفيف